

ديوان حافظ إبراهيم

مطبوعه ومصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين أحمد الزين إبراهيم الأبياري



المكتبة القومية المصرية - القاهرة

١٩٨٧

الطبعة الثالثة





المروم مافظ ابراهيم بك

نموذج من خط حافظ ابراهيم

شَكَرْتُ جَمِيلَ صَنَعَتِهِ بِدُعَايِ
وَدَعَايِ الْعَيْنِ تَقْيِاسُ الشُّعُورِ
لَدَوْلٍ رَفِيعٍ قَدْ ذَامَ جُفْنِي
عَلَى مَا ذَاقَهُ قَوْمُ السُّرُورِ
مِنْ فَضْلِ اِبْرَاهِيمَ

وهما بيتان قالهما في المجمع العلمي العربي بدمشق عند ما استقبل فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ديوانه حافظ ابراهيم

بقلم محمد اسماعيل كافي

المبحث الأول	في عصر الشاعر
المبحث الثاني	في نشأة الشاعر وبيئته وسيرة حياته
المبحث الثالث	في طبيعة الشاعر وما يتميز به من خصائص
المبحث الرابع	في شعر الشاعر

تمهيد :

جرت العادة بتقديم ديوان الشعر بمقدمة نتناول التعريف بالشاعر ومنشأه وبيئته وعصره ، ثم نتحدث عن منهجه الشعري وميزاته وخصائصه ، ثم ننتهي المقدمة عادة بالحديث عن مكانته الشعرية ومرتبته بين الشعراء .

ولا شك في أهمية هذه المقدمة للدارسين ، حيث تعطيم فكرة عن الشاعر وشعره ، تمكنهم من تقديره وتقويمه .

وحافظ إبراهيم ، كان عالما من أعلام الشعر في العصر الحديث ، ووطنيا مصريا وعربيا ضحيا ، وقف حياته وشعره على النضال ضد قوى البنى والاستعمار التي أحاطت بالعالم العربي كله من أحرابات القرن الماضي إلى ما جاوز منتصف قرننا الحالي .

فدراسة شعر حافظ ، فوق أنها دراسة للأدب العربي المتطور إلى أرقى صور الجزالة والرصانة والأصالة العربية ، هي أيضا دراسة لتاريخ مظلم طويل ، وكفاح مضى مرير ، لمصر وللعالم العربي أجمع ، في تلك الحقبة العسرة من التاريخ ... وهى على ما كانت عليه من ظلام وظلم ، فإنها تعتبر مفخرة من مفخر الشعب المصرى ، وآية من آيات أصالته وصلابته وقدرته على احتمال الشدائد وتحطيتها . فما كان هناك شعب يتحمل ما تحمله الشعب المصرى في تلك الحقبة الكالحة من حياته دون أن يستسلم أو يتلاشى ، ولكن الشعب المصرى يحمل وصبر ، وعمل وكافح ، لم يهدأ ، ولم يلق ، ولم يستكن ، وظل ساهرا حاملا وإعيا مترقبا ، حتى انتصر واستعاد وجوده وكيانه واستقلاله .

في تلك الحقبة السقيمة التي أسدلت ستورها السوداء على عالمنا العربي ،
ظهر حافظ ابراهيم ، فكان بشعره ووطنيته وكفاحه السياسى العنيف ، نتاجا
شريفا ، ونبأ أصيلا طيا ، لبيئته وعصره ، ولمصريته وعروبته الخالصة
النقية .

لذلك اهتز العالم العربى كله بوفاته سنة ١٩٣٢ ، وحزن لفقده أشد الحزن ،
معتبرا وفاته نكبة وطنية أضافها إلى ما ابتلى به من محن وكوارث . . واجتمعت
العروبة بشعرائها وأدبائها وكبار قادتها ومفكرها في دار الأوبرا المصرية ، وأقيمت
حفلات التأبين ، ونشرت الصحف المصرية والعربية بمجلة بالسواد ، وخصصت
مجلاتها أعدادا كاملة في رثائه وذكر فضله وعظيم بلائه في خدمة الوطن والعرب
أجمعين .

وتنهت وزارة المعارف العمومية في مصر ، إلى أن شعر شاعرها الكبير لم يجمع
في ديوان ، فحشيت عليه أن يندثر ويضيع ، فكان وزيرها الجليل المغفور له
على زكى العرابى باشا ، بخنسة من الأدباء ، رأسها الأستاذ الكبير المغفور له
أحمد أمين ، عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد « جامعة القاهرة الآن » وعضوية
الشاعر الكبير المرحوم أحمد الزين والأستاذ الأديب المحقق ابراهيم الابيارى ،
وعهد اليها بجمع قصائده حافظ وشرحها في ديوان تطبعه الوزارة ، وتوزعه على طلاب
مدارسها ، تنفيذية لهم بأنقى وأدم لبان الوطنية ، في أسنى الأساليب والصور
الشعرية ، وتعريفهم بأصالة أوطانهم العربية وكفاح آبائهم الجاد الدائب في
سبيل التحرر والاستقلال ، كفاحا قاسيا مريرا لم يؤته إلا أولو العزم من
الرجال .

مقدمة الطبعة الثانية

وقامت اللجنة الوزارية لجمع الديوان بمهامها ، وكان مرجعها في ذلك ما نشرته الصحف والمجلات من شعر الشاعر ، وشرحته شرحا طيبا ، كما وضع رئيسها الأستاذ الكبير المرحوم أحمد أمين مقدمة الديوان ، بذل فيها من الجهد ما يليق بمثله ، وما يليق بالشاعر العظيم .

ولكن العجلة التي اكتتفت عمل اللجنة ، فوق تعدد المصادر التي تعين الرجوع إليها ، وتناثرها واختفاء أكثرها لعدم العهد أو لاحتجاب كثير من الصحف والمجلات ، أدى كل ذلك إلى عدم عبور اللجنة على كثير وكثير جدا من شعر الشاعر الكبير ، ولا زال الكثير منها مفقودا .

وقد اتصل بي بعض محبي الشاعر ومريديه ، يحملون إلى بعض القصائد التي منقطعت من الديوان ، وقدم بعضهم قصاصات من الصحف نشرت فيها قصائد للشاعر خلا منها ديوانه . فجمعت هذا وذاك في انتظار إصدار طبعة ثانية جديدة للديوان

وكما تنبه المفطور له الأستاذ على زكي العرابي باشا عندما كان وزيرا للعارف العمومية ، إلى وجوب المسارعة إلى جمع ديوان حافظ من الصحف والمجلات ، تنبه جميع وزراء الثقافة في مصر في عهد الثورة الوطنية ، إلى خلو المكتبة العربية من ديوان حافظ ، وإلى أن وزارة التعليم أوقفت طبعه من عهد طويل ، فضلا عن أنه لم يطبع من قبل لعامة الناس وخاصتهم ، فمهدوا إلى الهيئة العامة للكتاب بطبع الديوان وإخراجه للأمة العربية ، متضمننا ما عثر عليه أخيرا من شعر الشاعر بعد تحقيقه وشرحه .

وقد أبت الهيئة العامة للكتاب — كالمهد بها — إلا أن يخرج الديوان في صورة كاملة منقورة ، فلم تر الأكتفاء بالمقدمة التي وضعها المغفور له الأستاذ أحمد أمين لطبعة وزارة المعارف للديوان ، بل آثرت أن أضع بنفسى مقدمة طبعها ، ففى تقديرها أنى ، وأنا من أسرة الشاعر ، أقدر على الحديث عنه ، وأكثر معرفة به من غيرى ، وقد أصحح بعض ما جاء فى المقدمة السابقة ، أو أجيب عن بعض ما ورد فيها من تساؤلات لم يجدوا لها وقت وضعها إجابات تشفى أو تعليقات مقبولة .

وكان هيئة الكتاب ما أرادت ، وهأنذا أضع المقدمة ، فإ كان لى أن أعتذر بأى عذر ازاء الهيئة التى حملت مسئولية الكتاب فى مصر ، وازاء حافظ وديوانه على وجه الخصوص

والواقع أن الحديث عن حافظ ، حديث لا يفرغ ولا يمل ، فقد كان أمة فى ريسل .. كان ملء القلوب والأسماع والأبصار من رجال جيلنا الماضى فى كل أرجاء عالمنا العربى .. كان شخصية فذة متعددة الجوانب ، حمل لواء الشعر الوطنى والاجتماعى ما عاش ، يلهب حماس الجماهير ويدفعهم دفعا إلى الثورة على الاستعمار والمستعمرين ، ويقرعهم بقوارص الكلم إذا وجد منهم استنامة أو استرخاء .. ويحى دارس الآمال فيهم ، ويبعد عنهم أشباح اليأس وعوامل الامتسلام ، ويتناول عيوبهم الاجتماعية فيصبرهم بها فى غير هوادة ولا مداراة ، ويبين لهم سوء أثرها فى مجتمعهم وآلمهم ومآل بلادهم . كان أستاذا فى السياسة ، وأستاذا فى الاجتماع ، نصب نفسه وأوقف حياته من أجل رسالته التى ارتضاها لنفسه ، والتى دفعه إليها حبه المشالى لوطنه ولبنيه وللعروبة كافة . ولعل بابى

السياسة والاجتماع أهم أبواب شعره، بل لانعدو الحقيقة اذا قلنا اننا اذا اسقطنا هذين البابين من شعره ، مضافا اليهما باب المراثى باعتباره امتدادا لشعره السياسى، لا نجد أمامنا حافظا بما يتميز به عن سائر شعراء عصره وعن كثير قبلهم . وحسب الشاعر أن يجيد في باب من الأبواب الشعرية العديدة ، ليشتهر ويخلد ، فما بالناس وقد خلق حافظ أبوابا جديدة أضحت أهم أبوابه وأكثرها لفتا للناس، فنفرج بالشعر من الكآبة إلى الضرورية، ومن الرفاهة الذهنية إلى استخدامه سلاحا روحيا لا يقاوم في كفاح المستعمرين وفي تهيئة أذهان الشعب وحفره على الكفاح الوطنى الكبير .

حافظ إبراهيم إذن هو نتاج عصره ونتاج بيئته ونتاج مصر ته وعروبتة، كان بكل اختصار : « مصر تتحدث عن نفسها » .

ويقتضينا المنهج العلمى فى البحث ، أن نبدأ فى تقديم الديوان ، بعصر الشاعر ، ثم بنشأته وبيئته لما لهما من كبير الأثر فيه وفى شعره ، ثم نتناول طبيعة الشاعر كإنسان وما يتميز به من خصائص ، ثم نتناول شعره بعد ذلك بالنقويم والتمحيص لنصل إلى مرتبته وأثره ومكانته فى اللغة والأدب وفى الشعر العربى خاصة .

فإذا نحن سلكنا هذا المسلك فى وضع التقديم ، نكون — على ما نرى — قد بلغنا القصد ، بإعطاء القارئ والباحث ما يرجوه من العلم بالشاعر وشعره كمدخل للديوان .

المبحث الأول ... فى عصر الشاعر

لم يعرف بالضبط تاريخ مولد الشاعر — ومن واقع الأوراق الرسمية فى ملف خدمته ، يتبين أنه عندما أحيل إلى القومسيون الطبى لتحديد سنه عندما أريد

مقدمة الطبعة الثانية

تعيينه في دار الكتب ، وكان ذلك يوم ٤ من فبراير سنة ١٩١١ ، قدر القومبون الطبي سنة يومئذ بتسع وثلاثين سنة . وتأسيسا على هذا قرر أنه ولد يوم ٤ من فبراير سنة ١٨٧٢ . ولما كان قد توفي يوم ٢١ من يولييه سنة ١٩٣٢ فكانه عاش ستين سنة وبضعة أشهر ، حكم مصر خلالها من أسرة محمد علي ، الخديويون إسماعيل ومحمد توفيق وعباس حلمي الثاني ، ثم السلطان حسين كامل والملك أحمد فؤاد الأول من بعده .

وفي سنة ١٨٨٢ أى بعد مولد حافظ بعشر سنين ، احتل الإنجليز مصر بعد إخماق الثورة العربية ، التي قامت أولا للمطالبة بحق الضباط المصريين في التسوية بينهم وبين الضباط الأتراك والجواكسة في الجيش المصري ثم امتد هدفها إلى المطالبة بحق الشعب المصري في إدارة شئونه . وظل احتلال الإنجليز لمصر حتى سنة ١٩٥٦ حين تم جلاؤهم عن البلاد في شهر يونيو من تلك السنة .

وكالت مصر ولاية تابعة لسلطان تركيا وقت قيام دولة الخلافة ، فلما احتل الإنجليز مصر ، أصبح يحكمها حاكمان : حاكم شرعي هو الخديوي أو السلطان أو الملك ، وهو في حقيقته أجنبي بأصله عن البلاد وإن استمد شرعية حكمه من الفرمانات التي كان يصدرها سلطان تركيا يجعل الولاية في مصر لكبير أسرة محمد علي ، ثم تعدلت الى أكبر أبناء الخديوي إسماعيل .

وحاكم فعلي ، وهو أجنبي أيضا عن البلاد والعباد ، هو معتمد الدولة البريطانية التي احتلت مصر بجهوشها ، وأصبح له كل الحول وكل السلطان الحقيقي في البلاد ، يمارسه خفية باستخدام الحاكم الشرعي حيناً ، ويمارسه جهاراً وعلانية بصفة مباشرة أحيانا كثيرة .

ولعل السبب في إبقاء الحاكم الفعلي البريطاني على الحاكم الشرعي وهو الخديو، هو أن السند الذي استندت إليه بريطانيا في غزو مصر واحتلالها هو الإبقاء على العرش الخديوي وتثبيت دعائمه ضد الخارجين عليه من الشعب، فإذا هي طردت الخديو، وأزالت وجوده، فقد قضت على سند بقائها في مصر، ولم تكن السياسة البريطانية لتقع في مثل هذا الخطأ، فأبقت على الخديو، إبقاء على وجودها، وإن نزعته منه كل سلطة.

وهكذا قدر لمصر في عصر حافظ أن يحكمها حاكم أجنيان عنها، تنافسا على السلطان وعلى سلب خيراتهما، كل بقدر ما استطاع وتمكن.. تألفا في الظاهر والعلن، وتباغضا أشد البغض في السر والباطن، فقد عزز على الحاكم الشرعي أن يشاركه في الحكم والسلطان من استعان به في تثبيت حكمه وعرشه ضد شعبه، بل لقد تجاوز هذا الشريك كل حد معقول في المشاركة، إلى الاضطراد الحقيقي بالحكم والتوجيه، حتى وجد الحاكم الشرعي نفسه وليس له من الأمر شيء، وإن ألبس ثوب السلطان، وإن أسكن في قصوره، وإن دموا له كولي أمر على المنابر.

أما عن الإنجليز، فقد احتلوا مصر وغزوها بجيوشهم، وبذلك أصبح لهم فيها حق الفزو والفتح، ومن ثمت فلا عجل لذلك السلطان المتداعي، الأجنبي بأصله عن البلاد، ولكن مقتضيات السياسة البريطانية وقتئذ وما سارت عليه في حكم البلاد التي تحتلها، ألا تتم مظاهر الحكم فيها وما ألقه الناس، تهدئة ومهادنة للشعور العام، حتى لا تتورط عليهم تلك الشعوب فيكون ما لهم الطرد وإن طال الزمن. هذا ما أمل على الإنجليز الإبقاء على الإمرة الحاكمة في مصر، فمن طريقها يحكمون، ومن طريقها ينسى الشعب وجودهم واحتلالهم، ثم هي أسرة مكروهة من الشعب منعزلة عنه، فلا خشية منها على الإنجليز ولا خطر.

ومع هذا فيجب أن يعلم ذلك الحاكم الشرعى جيدا ، وألا ينسى ، أنه لم يعد في الوضع الذى كان عليه من قبل ، وضع الحاكم المنفرد المستقل بإرادته وبتصرف شئون الحكم في البلاد ، فقد قام الى جانبه ، بل مقدما عليه حاكم إنجليزى كبير مسئول ، فاذا لان الخديو وخضع بقى في مكانه ، وإلا بفحش الاحتلال موجود يستطيع أن يتناوله في أية لحظة ويلقى به خارج البلاد ، ويأتى بخديو جديد ، وما أكثر الطامعين في المنصب من تلك الأسرة الحاكمة ، أسرة محمد على .

ولقد كان من آثار احتلال الانجليز لمصر أن ازداد نفوذ الأجانب وشوكتهم في مصر ، وبخاصة رمايا الدول المتنازة التي أقر لها السلطان العثمانى بامتيازات لها ولرماياها في مصر . هؤلاء الأجانب جميعا وجدوا من الانجليز الناصر القوى الممكن لهم في مصر وثرواتها على حساب الشعب المصرى كله ، وفي سنوات قليلة استطاع هؤلاء الأجانب أن يستولوا على معظم أراضيها الزراعية وأن يسيطروا على أسواقها المالية والتجارية سيطرة تكاد تكون مطلقة ، وأخذوا يمتصون خيرات البلاد وينقلونها نقل نازح البثرالى بلادهم ، لا يتركون فيها من الفئات إلا أقل قدر يحمي أهلها في ضنك ، وبالحرمة التي تسمح للحياة بأن تسير في شرايين البلاد ضعيفة واهنة دون أن تقدر على ثورة أو تمرد .

فاذا بحثت بعد ذلك عن الشعب ودوره في ذلك الخضم النائر الفائر من الخوصم الأقوياء المتفقين عليه ، وجدته شاردا ذاهلا من هول صدمة المفاجأة القاسية بهزيمة جيشه بقيادة أحمد عرابى ودخول الجيش الانجليزى القاهرة ، وسيطرته على البلاد كل مسيطر ، وما وقر في نفسه بعد ذلك من شعور بالغ المرارة بالضيااع ، وزاد من شعوره ذاك ، تلك الحملة الانتقامية المسعورة التي شنها الاحتلال على

الوطنيين من أهل البلاد ، فصادر من ثرواتهم ما صادر ، وحكم بالسجن أو بالنفى أو التشريد على من حكم عليه منهم ، ووقعت مصر كلها في طوفان من الظلم والعسف والتنكيل دون جريئة إلا الوطنية الخالصة ، وإلا رفض احتلال الأجنبي وقيده ... وفي مثل هذه الظروف القاسية المعريضة بكل القيم ، تصبح الوطنية أو كما كان يقال « الحديث في السياسة » كبرى الجرائم ، تودى بصاحبها إلى أسفل سافلين ، وما من منجد ولا من معين .

وإذا كان الشعب المصرى ، في مبدأ عهد الاحتلال ، قد أخذ وفوجئ على غرة منه بما لم يكن في حسبانته ولا توقعه ، فانهارت مقاومته فترة قصيرة من الزمان للاحتلال الغاشم المدجج بالسلاح ، وهو الشعب الأعزل المسالم ، فقد كان ذلك بسبب وقوعه في طبيعة بشرية ، فإذا كان يمكن لأعزل يحكمه أجنبي أن يفعل شيئا إزاء طوفان هائج مدمر إلا أن يلم شعثه ، وإلا أن يصبر ويحسن الصبر ، حتى تنكشف الآزفة التي ليس لها من دون الله كاشفة .

وبدأت عراقة الشعب المصرى تعمل ، وأصائله تطفو وتظهر بعد قليل من تلك الكارثة الطاحنة التي فاجأته وبغته ، وبدأ يسترد أنفاسه ويفيق من الصدمة ، وبدأ العملاق يتحرك بطيئا وينهض متثاقلا ، وينصب قامته ، ويسترد مواقفه موقعا فوقعا ، وظهرت زعاماته الوطنية ، مفتحة عهدوها جمال الدين الأفغانى ، بفناء الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل ومحمد فريد وحسين رشدى وعلى شعراوى وسعد زغلول وعبد العزيز فهمى وغيرهم وغيرهم ... ولا ننسى فضل شبابنا الوطنى الذى بذل من روحه ودمه ما يسجل له في سجل الخالدين ، وظل الشعب بجميع طوائفه يكافح الاحتلال والاستعمار لا يهدأ ولا يلين ، وقامت

الثورات والجمعيات الوطنية حتى انتصر على أعدائه انتصارا نهائيا بثورة سنة ١٩٥٢ ، حينما أجبر قوات الاحتلال على الجلاء عن البلاد كلها في يونيه سنة ١٩٥٦ .

وكان من حظ حافظ أن عاش أيام يؤس مصر كلها ، ذاق مرارتها ، وتجرع غصصها حتى الثمالة ، وشارك في الجهاد الوطنى بأوفى نصيب ، حينما سخر شعره وأوقفه على قضايا وطنه وقضايا العروبة والاسلام ، حتى لقي ربه راضيا مرضيا عنه في فجر الحادى والعشرين من شهر الثورات ، شهر يولييه سنة ١٩٣٢ . فانطوت بوفاته صفحة من أنقى وأطهر الصفحات في سجل جهادنا الحر الأمين .

المبحث الثانى . . فى نشأة الشاعر و بيئته وسيرة حياته

هو محمد حافظ ، ابن المهندس ابراهيم فهمى ، أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط، رزق بابنه حافظ وهو يقيم فى « ذهبية » كانت رامية على شاطئ النيل سنة ١٨٧٢ على السند التاريخى الذى أوضحناه من قبل .

ويعلق المرحوم الأستاذ أحمد أمين على ولادة حافظ على صفحة النيل ، بأنه « كان ارهاصا لطيفا، وإيماء طريفا، إذ شاء القدر إلا بولد شاعر النيل الا على صفحة النيل . »

وكان أبوه ابراهيم فهمى مصريا صميا . أما أمه فهمى السيدة « هانم بنت أحمد البورصه لى » من أسرة تركية محافظة عريقة تسكن حى المغربلين ، أحد الاحياء الشعبية القديمة بمدينة القاهرة ، تعرف باسم أسرة الصروان . وسبب تسمية الأسرة بهذا الاسم أن والد أم حافظ ، أى جده لأمه ، كان أمين الصرة فى الحج . فلقب

« الصروان » معناه القيم على الصرة ، وهى المال الذى كانت تبعث به حكومة مصر سنويا فى موسم الحج للأقطار الحجازية ، معونة لساكنى الاراضى المقدسة وحكومتها ، بفضه هبة من حكومة مصر ، والبعض الآخر هوريج الأعيان المصرية الموقوفة على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة .

وبذلك اجتمع فى حافظ دمان ، دم مصرى صميم مستمد من والده ، ودم تركى طاهر نقي من والدته . ومن مجموع خصائص كلا السامعين وتفاعلها فى نفس وتكوين حافظ ، تكونت شخصية حافظ وبرزت خصائصه وميزاته .

ولعل من أبرز الخصائص المصرية فى حافظ هى قوة احتماله للكروه والسخرية المزة منه ، وديمقراطيته الواضحة ، وتواضعه للناس جميعا وحبهم وأنسه بهم ، ولعل جرأته التى لا تعرف الحدود فى مواجهة السلطات دون أى تقدير للعواقب ، وتضحياته بلقمة العيش والأمن ، وترفعه عن كل المغريات ، وهزأه بكل المحاولات التى بذلت لاستمالة إلى الحاكمين ، وصلابته فيما يراه حقا وعدلا ، هى من الخصائص التركية فيه ، وإن شاركها خصائصه المصرية أيضا .

ولقد تحدث المرحوم الأستاذ أحمد أمين عن الدم التركى الذى كان يجرى فى حافظ فقال إنه « دم تركى ديمقراطى » وشتان بين الدم التركى الديموقراطى والدم التركى الارستقراطى ،

وأرى أن أفق هنا وقفة قصيرة ، لأقول إن الدم يتأثر فعلا بالديمقراطية أو الارستقراطية . فالارستقراطية فى الدم تدفع حاملها إلى الكبر والتعالى والشعور بالامتياز ، وما يتبع ذلك من الشعور بالاثرة وحب النفس والبعد عن الناس ، مما يؤدي إلى كراهيتهم له وعدم اطمئنانهم اليه . أما الدم الديموقراطى فذو خصائص

واحدة في جميع الشعوب والأجناس . ولعل أقوى دليل على ديمقراطية الدم التركي في حافظ أن جده لأمه ، التركي الأصيل اختار حى المغربلين لإقامته ، أى فى حى من صميم الأحياء الشعبية ، مجاورا ومخالطا ومندمجا فى الشعب المصرى ، فلولا ديمقراطيته الأصيلة لما أقام فى هذا الحى ، ولأثر حيا خاصا يضمه والسادة الأتراك من مواطنيه وقتئذ .

ورغم مركز هذا الجلد ، كأمين للصرة المصرية وهو منصب كبير مرموق فى ذلك العصر حيث كان ينتقى له أكبر الشخصيات وأكثرهم أمانة وثقى ، فلم يترك لورثته شيئا يعيشون منه إلا ناتج عملهم وما يكسبونه بجهودهم . وفى ذلك ما فيه من دلالة على عفته وإبائه وترفعه عن كل ما يشين ، وإلا كان كغيره من السادة الأتراك الذين كانوا يسرقون وينهبون ويكثرون ما يجمعون من ثروات ضخام . ولعل أقوى دليل على ديمقراطية أسرة ذلك التركي العظيم أنها زوجت ابنتها لمهندس مصرى صميم فى مصريته هو والد حافظ من كان يأنف الأتراك والأرستقراطيون من جوارهم بله مصاهرتهم . وما لنا نتحدث عن ديمقراطية جده حافظ ، وحافظ نفسه أقوى دليل على هذه الديمقراطية الأصيلة الموروثة إلى جانب عفته وإبائه وترفعها ! .

والفرع ينبى عن كريم أصوله * والشمس تبعث دفئها وشعاعها وعاش حافظ فى كنف أبيه أربع سنوات ، مات بعدها الوالد فمادت به أمه من ديروط إلى بيت أسرته . وتوفى جده حافظ قبل مولده ، فتولى أمره وأمر الأسرة الصغيرة ، خاله محمد نيازى الذى كان مهندسا بتنظيم القاهرة ، وبلغ حافظ السن التى تبعث به إلى المدرسة فأدخله خاله أقرب مدرسة إلى منزله فى ذلك

الحين ، وكانت المدرسة الخيرية بالقلعة فتعلم فيها القراءة والكتابة وشيئا من العربية والحساب والدين ، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة القرية الابتدائية ، تحول بعدها إلى مدرسة المبتديان ثم المدرسة الخديوية وهما من المدارس الثانوية .

والتقى حافظ وهو في المدرسة الخيرية بالقلعة بالزعيم مصطفى كامل ، حيث تزاملا في التعليم وحيث كانت بين أسرتهما صلات قرابة ونسب ، فقد كانت أم حافظ وأم مصطفى كامل بنتى خالة . ثم ما لبثت أن فرقت بينهما الأحداث حتى التقيا ثانية في شبابهما في الجهاد الوطنى الذى خاضاه ضد الاستعمار .

ونقل خال حافظ الذى يرعاه ويتولى شئونهُ الى وظيفة مهندس تنظيم طنطا ، فكان لزاما أن ينتقل معه حافظ ، وخرج حافظ من القاهرة الى طنطا ، من عالمه الذى ألفه واطمأن اليه الى عالم جديد غريب عليه ، ليس له فيه إلا خاله . وهذا الخال مهما كان عطفه وحده ، فهو رجل ، وإنه لرجل تركى جاد يسعى وراء لقمة العيش حيثما كانت وإنما كتبت له . ورجل بهذه الحال هو أبعد ما يكون عن الملاينة أو تقدير الظروف التى يمر بها الغلام ، والتى تحتاج الى مداواة النفس بما ألحقته بها الأحداث .

والحقه خاله بمدرسة ثانوية بطنطا لاستكمال تعليمه ، وانصرف خاله الى عمله الذى يستغرق كل وقته . ويتمرد الغلام ، ويصب تمردهُ على المدرسة ودروسها ، فكان يذهب يوما اليها ليغيب عنها عشرة ، لانصرافا عن التعليم ، وإنما لأن الذى كان يتلقاه فيها من دروس لا يتفق وميوله الطبيعية التى وجدها فى الجامع الأحدى بطنطا ، فكان يجلس فى حلقات الدرس يتلقى عن الأئمة العلماء دروسا فى علوم اللغة والفقه والشريعة ، وتلقته اللغة وآدابها ، ويشد الشعر بموسيقاه ووقعه فى النفس كل

انتباهه ، ويملك عليه حواسه فيبدأ بدراسة الشعر ، ويطلع على دواوين الشعراء القدامى ويحمد نفسه قد حفظ كل ما تقع عليه عيناه من عيون الشعر والأدب ، دون جهد يبذله أو تعمد للحفظ . ثم اذا به بعد قليل يقرض الشعر وينظمه على نحو أثار إعجاب الكثيرين من شيوخ الأدباء وذواق الأدب في مدينة طنطا . ولم يستطع خال حافظ أن يقبل من ابن شقيقته هذه الفوضى ولا هذا الانقلاب المضيع وهو المسئول الأول والأخير عنه ، فزاد من تأنيبه وتقريعه ، فيحتاج حافظ ويعزم على قطيعة خاله الذي يقف عقبة في سبيل سلوكه طريق الأدب الذي رضىه لنفسه واختطه لحياته ، وسرعان ما تلقفه تقيب المحامين في طنطا وقتئذ ، فضمه الى مكتبه مساعد له في القضايا بعد ما لمس فيه من فصاحة اللسان وقوة الحججة وفضارة البيان . ولم تكن المحاماة وقتئذ منظمة بقانون أو مشترطا فيها مؤهل ، وانما كانت مهنة مفتوحة يلجها وينخرط فيها كل من آس في نفسه صلاحها . وأخذ حافظ ينتقل من مكتب الى مكتب ، فقد كان ملولا بطبعه ، لا يستقر على حال ، ولعله داء القلق النفسى الذى لازمه طوال حياته نتيجة لما تعرض له من أزمات نفسية توالى عليه منذ طفولته .

في هذه الآونة كان هناك ضابط مصرى شاب اسمه محمد كافي ، يعمل مهندس أركان حرب بالجيش المصرى وكان يجاور أسرة حافظ في السكن في حي المغرلين .

ولما كان من شباب الجيش العراقى المرموقين — تحاصل على أعلى شهادة في هندسة أركان الحرب على يد الجنرال ستون الأمريكى الذى كان من كبار ضباط الحرب الأهلية الأمريكية واستقدمه الخديو اسماعيل للنهوض بمستوى

الجيش المصرى وإعادة بنائه . ولما كان مهندسنا المصرى ذاك قد أبلى بلاء حسنا ضد الغزاة الانجليز باختياره مدينة كفر الدوار وتحصينها ونجاسه في منع وصولهم الى مصر من الاسكندرية ، في مطلع غزو الانجليز للبلاد ، فقد كان أول المفصولين من خدمة الجيش المصرى بعد الاحتلال وأمر بملازمة قريته التى جاء منها ، وهى القبرية المعروفة الى اليوم باسم « كفر قورص » من أعمال مركز أشمون محافظة المنوفية .

ثم لما رأى بعد ذلك إعادة تكوين الجيش ، دعى ثانية الى الخدمة لحاجة الجيش الجديد الى مهندسين حربيين بتركية من الجنرال ستون نفسه ، فعاد الى مسكنه القديم بالمغربين . ولما أنس فى أسرة حافظ من عراقة الأصل والمحافظة تقدم اليها طالبا يد ابنتها عائشة شقيقة حافظ ، وتم القران ، وعاشت معه عمرا ليس بالطويل ، أعقب منها خلافا أربعة أبناء ، ثم توفيت . وتلفت أم حافظ بعد ذلك أبناء ابنتها الأربعة تربيهم وتقوم عليهم ، لغياب والدهم عنهم بسبب نقل الإنجليز له من الجيش الى وزارة الأشغال بعد ان ضاقوا به ذمرا كرجل وطنى خير مسالم لهم ، وألحق مهندسا للرى بأسيوط . وتلقى حافظ بفقد شقيقته ضدمة أخرى ، بفقد شقيقته الحبيبة الأثيرة لديه وهى فى ميعه الصبا وزهرة العمر .

ولقد ساء صهر الاسرة محمد كاتى الضابط بالجيش حال حافظ شقيق زوجته ، إذ رآه شابا صالحا قوى البنية متين البنيان وعلى ثقافة طيبة ، ولكنه مضطرب التفكير فى الطريق الذى يخططه لحياته العملية ، كما ساءه أن أدركته « محنة الأدب » فقد كان الأدب وقتذاك يعتبر محنة من المحن حيث لم يكن امتحانه يبنى من جوع ، فعرض عليه أن يلحقه بالمدرسة الحربية عندما كان لا يزال فى الجيش ، حيث لم يكن يشترط أكثر من الشهادة الابتدائية للالتحاق بها . فوافق حافظ مرحبا

حيث وجدها تكفل له وظيفه تدرّ عليه راتباً شهرياً يدرأ عنه الحاجة ، وفي الوقت نفسه يستطيع أن يشبع هوايته الأدبية كما يشتهي .

ذكرت كل ذلك رداً على ما جاء في مقدمة الأستاذ أحمد أمين لديوان حافظ عن قصة التحاقه بالمدرسة الحربية ، حيث يقول « فشل في المحاماة » ، ففكر فيما يعمل ، فهداه تفكيره الى أن يسافر من طنطا إلى القاهرة ويدخل المدرسة الحربية . . . ويبدو هذا التفكير غريباً ، فأديب ناشئ ، ومحام فاشل ، يفكر في أن يكون ضابطاً ، لسنا ندرى الباعث على هذا التفكير ، قد يكون الباعث عليه قراءة سيرة البارودي الحربى الشاعر ، وقد يكون ما رأى في نفسه من بسطة في الجسم ، وقد تكون المصادفة البهجة هيأت له ذلك » .

وتخرج حافظ سنة ١٨٩١ في المدرسة الحربية ضابطاً في الجيش ، ثم نقل إلى الشرطة التي كانت تستمد ضباطها من الجيش وقتئذ ، ثم أعيد إلى الجيش وخدم في السودان ما يقرب من السنتين متنقلاً بين سواكن وطوكر وقبل حلقا ، ثم أحيل إلى الاستيداع مرتين ثم طلب إحالته إلى المعاش سنة ١٩٠٣ .

يتبين مما سبق أن حياة حافظ منذ نشأته حتى تركه خدمة الجيش ، حياة مضطربة لا تستقر على حال . حيث أراد لنفسه الاستقرار بوظيفة تضمن له العيش إذا بطبيعته الثائرة والقلق الذى يلزمه بإيوان عليه الهدوء الذى ينشده والاستقرار الذى يتبغى ، وإذا بوطنيته الثائرة تدفعه دفعا إلى أن يشعل ويشارك في حركات صغار الضباط في تمردهم على كبار ضباطهم الذين كانوا يضطرون إلى بمالة الإنجليز . وكثيرا ما قدم هؤلاء الضباط الصغار إلى المحاكمات العسكرية فكانوا ينيون حافظا للدفاع عنهم ، مستفيدا من أيام المحاماة ، حتى جاءت

سنة ١٨٩٩ خدشت ثورة في الجيش المصرى بالسودان ، فقد جاهرت فرقة من فرق الجيش السودانى بالمصيان ، وأحمد الإنجليز تلك الثورة بعد ذلك وحاكوا عددا من زعمائها أمام المجالس العسكرية ، فأحيل منهم ثمانية عشر ضابطا إلى الاستيداع وأبعدوا عن السودان إلى مصر وكان منهم حافظ ، وحكم على البعض الآخر بالسجن مددا مختلفة وأرسلوا إلى مصر ليقضوا مدّة السجن فيها .

وعاد حافظ الى مصر ولا مورد له ولا عمل يقتات منه بعد أن استقال من الجيش وهو فى الاستيداع يأسا من إمكان استمراره فى خدمة جيش فى قبضة عدو يضعه تحت المراقبة وينظر إليه نظرة الريبة فيه والنعمة عليه .

ودخل حافظ فى طور جديد من حياته كان أهم ما مر به من أطوار .

كان حافظ قد بلغ من ذبوع الصيت والشهرة فى الأوساط الوطنية التى بدأت تتحرك ، مبلغا كبيرا ، فقد شد شعره الوطنى وسيرته كضابط حر جرى جسور ، كل الأنظار والأسماع ، وكان يتردد على مجالس الزعماء الأحرار فى ذلك الوقت ، وعلى راسهم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل باشا وسعد باشا زغلول ومحمود باشا سليمان وآل أباطة وآل عبد الرازق وغيرهم ، فأحبوه جميعا وقربوه إليهم ، وقد وجدوا فيه ذخيرة وطنية تستحق المراقبة ، كما وجدوا فى شعره سلاحا من أمضى الأسلحة التى يجب استخدامها فى الهاب الشعور الوطنى فى البلاد وتحريك مشاعر الجماهير تمهيدا للقيام بالحركة الوطنية .

وإذا كان الإنجليز قد طاردوه وأغلقوا فى وجهه كل أبواب الرزق ، فقد كان فى رعاية كبار زعماء البلاد له فى ذلك الحين خير عوص . إلا أن كرمه الزائد الذى فطر عليه ، وعدم تقديره لعواقبه لم يمنعا عنه الشعور بالفاقة والحاجة الدائمة .

فقد كان يأتيه المال غزيرا من هنا ومن هناك ، وكان أخرى به أن يحافظ عليه وأن ينفق منه بحساب ، إلا أنه كان لا يحتمل وجود المال في يده دون أن ينفقه أو أن يرى صاحب حاجة دون أن يمد إليه يده ببذخ وسرف ، ولا أن يقصده قاصد دون أن يعطيه ما في جيبه كله بالغنا ما بلغ . وهكذا عاش حياته ، لا يقيم للسال وزنا ولا يرضن به على قاصد ولا محتاج ، وبخاصة أدباء عصره .

وتفرغ حافظ للشعر ومنابره ، لا يترك أمرا من الأمور ولا مناسبة وطنية إلا وضع فيها أقوى القصائد وأشدها حرارة واشتعالا . صاحب مصطفى كامل ومحمد فريد ثم صاحب سعدا وغيره من الزعماء في جهادهم الوطني الطويل . وعلى ما كان بين الزعماء في ذلك الوقت من اختلاف كبير في وجهات النظر أدى إلى خلاف أكبر بينهم ، فإن حافظا ظل على علاقته الطيبة بهم جميعا ، يرى فيهم جميعا أبناء أوفياء برة بوطنهم وإن ساءت منهم تلك الخلافات الصغيرة التي ظل أتباع كل منهم ينفخ فيها بنفثات الشيطان حتى صارت كبيرة وحتى استدار كل منهم لمحاربة الآخر . وكان ذلك أقصى ما كان يحلم به المستعمرون . وصارت فتنة في البلاد بهبوط أسهم الحزب الوطني بعد وفاة زعيمه مصطفى كامل ونروج محمد فريد من مصر وظهور حزب الأمة وبدء ظهور سعد زغلول وقد كان من رجال ذلك الحزب فالف حزب الوفد المصري ، ثم صارت فتنة ثانية في البلاد حينما انشق بعض رجال الوفد عليه وألقوا حزب الأحرار الدستوريين ، وانقسمت البلاد قسمين . . قسم غالب مع الوفد وقسم قليل مع الأحرار الدستوريين ، ولم تغف القسمة عند حد الخلاف في الرأي ، بل أصبح الوفد وأنصاره حربا على خصومهم في الرأي ، وكذلك كان الأحرار الدستوريين ، وإن كانت خصومة الأحرار قد ظلت ولم تتعد الخصومة العسكرية . ثم شاء الله خيرا

بمصر فانتقلت كلمتهم ، تلاقى سعد زغلول وعدلى وثروت إلا أن ذلك الائتلاف لم يدم طويلا ، فقد سارع الموت باختطاف سعد ، ثم لحقه ثروت ، وعادت مصر إلى دوامة الخلاف الداخلى . وظل حافظ فى مستواه الوطنى العالى فوق الخصومات الحزبية ، لا يخضع لها ولا يخضعونه لها ، فكان صديقا لسعد ولرجال الوفد جميعا كما كان صديقا لعدلى وثروت ورشدى ومجد محمود ولطفى السيد وهيكىل من أقطاب الأحرار فضلا عن رجال الحزب الوطنى ، يزور هؤلاء وهؤلاء ويلقى قصائده فى محافل كل منهم ، والجميع حريصون على وده ومحبتة وإيثاره ، ولمس له كان الوحيد من رجالات ذلك المهد من كان له مثل هذا الموقف الخاص ، العام فى الوقت نفسه ، ومرجع ذلك ولا شك أن حافظا كان من الرجال القلائل المشهود لهم بالوطنية الخالصة ، وبالأستقلال فى الرأى ، وكانت له مكانته الوطنية الكبرى فى نفوس الشعب كله ، ولم يكن فى صالح أى حزب من الأحزاب أن يتخذ موقفا معاديا لحافظ ، بل على العكس كان كل حزب يشعر بحق أن حافظا قوة وطنية يجب أن تكسب ، فكان أن قبل منه ما لم يقبله من غيره . قبل منه هذا الموقف الذى يساوى بينها ولا يفرق .

وإذا كان هذا هو رأى رجالات مصر وأحزابها فى حافظ وموقفها منه ، فقد كان ذلك أيضا رأى القصر فيه وموقفه منه . فقد تقرب إليه الخديو عباس حلمى ثم السلطان حسين كامل وأخيرا الملك فؤاد ، رغم علم الجميع بعدم إمكان أحد احتواءه . فلقد عين رئيسا للقسم الأدبى فى دار الكتب سنة ١٩١١ وأنعم عليه برتبة البكوية سنة ١٩١٢ ثم بنيشان النيل حيث أطلق عليه بعد ذلك لقب شاعر النيل ، وإن كان يفضل دائما أن يلقب بالشاعر الاجتماعى . فقد كان يرى

أن النيل جزء من العروبة والعروبة جزء من الشرق والإسلام . وهو شاعر العروبة والشرق والإسلام بالمضمونين الاجتماعى والوطنى .

ولم يكن الإنجليز أقل إدراكا لمكانة حافظ الشعبية فى مصر والشرق العربى ، فأخذوا بدورهم يتقربون إليه بعد أن وجدوا أن حربهم عليه لم تجدهم نفعا ، ولم تنل منه شيئا ، فتعرف إليه السكرتير الشرقى لدار المندوب السامى وقتئذ وكان اسمه السيرو لتر سمارت ، وكان منصب السكرتير الشرقى من أكبر مناصب دار المندوب السامى ، إذ كان يلى المندوب السامى مباشرة ، فكان يزور حافظا فى بيته بين الحين والحين ويدعو نفسه إلى مائدته الشرقية التى اشتهر بها حافظ . وقد سأل حافظ ذات مرة عما دعاه إلى التعرف به ومصادقته وزيارته ، فكان رد المستر سمارت أنهم يقدرون كل وطنى مخلص لبلاده ولو كان من ألد أعدائهم ، ويحترمون ويحنون الجباه لكل مجاهد نظيف ، وأنهم لذلك لا يغضبون منه ولا يحقدون عليه مهما قال فيهم ومهما أثار الشعب عليهم .

وعلى الرغم من زيارات أقطاب الحكام الإنجليز له فى بيته ، فلم يدخل حافظ دار المندوب السامى البريطانى طوال حياته . وظل حافظ على ولائه لبلاده ودعوته ضد الاحتلال رغم الصداقات الخاصة التى قامت بينه وبين بعض رجاله ، مثلما كانت تقوم بيننا ونحن طلبة بالمدارس الثانوية وبين أساتذتنا الإنجليز فى مدارسنا من صداقات ، وكثيرا ما كانوا يدعوننا إلى حفلات شاي صغيرة يقيمونها لنا فى بيوتهم . ورغم وجودنا فى بيوتهم وجلسنا إلى مواعيدهم لم يكن يحلو لنا الحديث إلا فى السياسة وإلا فى وجوب جلاء الإنجليز عن مصر واستقلالها التام بشؤونها . . وكثيرا ما كانوا يصححون لنا بعض التعابير عندما كنا نقول مثلا تسقط إنجلترا باللغة الإنجليزية .

والحق يقال . . إن الإنجليزي كفرد رجل ممتاز وصديق طيب ، أما الإنجليزي
لحكومة وسياسة فالصورة معكوسة تماما ، هي القبيح كله والغدر كله والانتهازية
كلها .

وما دمنا نتحدث عن صداقات حافظ ، فما أكثرها وما أكثر تنوعها ، ولعل
السبب فيها بساطة في نفس الرجل ، وروح طيبة وديعة مرحة ، ونفس متفتحة
متقبلة للناس جميعا لا تعقيد فيها ولا التواء . ولذلك كنت تجد من أصفياه
وأحبائه أمراء البيت المالكي وشيوخ الأزهر والآباء الروحيين والوزراء والعظماء
وأقطاب الأحزاب وأساتذة الجامعات والأطباء والمحامين والمهندسين ومن جميع
المهن ، حتى من لا مهنة له من عامة الشعب . . . قلبه مفتوح للجميع وبيته مفتوح
للجميع ويده مبسوطة للجميع .

— وبكل اختصار كان الرجل مثلا حيا لمصر . بل لقد تجسدت مصر فيه كلها ،
بترفها ، بإبائها بسممها بطيبتها بساطتها بصدقها ، بعنادها ، بقوتها بصلابتها
بصبرها على المكاره ، بأخلاقيها بديمقراطيتها بإيمانها بالله الواحد الأحد .

بقى أن نسأل أنفسنا ، هل وطنية حافظ ومكانته كانتا السبب الوحيد في إقبال
تلك الجموع المتباينة عليه أم أن هناك سببا آخر . . الواقع أننا نرى أن الوطنية
وحدها لا يمكن أن تكون السبب الوحيد لذلك ، فقد كان الرجل حلوا المعشر
ساحر الحديث ، حاضر البديهة رائع النكتة راوية للشعر والأدب ولطائف
النوادر من الطراز الأول ، ولتصوّر ما كان يحدث إذا اجتمع حافظ والشيخ
عبد العزيز البشري والدكتور محبوب ثابت في مجلس ، ولكل منهم شخصيته
الفكهة المرححة النادرة المثال والتي قل أن يجود بمثلها الزمان .

بقيت جرحية أخيرة في سيرة حافظ تتعلق بشخصه ، فقد تزوج حافظ بعد عودته من السودان ببضع سنين من إحدى قريبات زوج خاله . ولكن لم تطق طبيعة حافظ المنطلقة قيود الزوجية ، وانتهى الأمر بالفرقة بين الزوجين ولما تنقضى على الزواج بضعة أشهر ولم يعد حافظ بعد هذه التجربة إلى الزواج أو التفكير فيه .

وكان حافظ باراً بأهله ، يزورهم دائماً في بيوتهم ، ويدعوهم دائماً إلى زيارته في داره ، ويساعدهم بكل ما في طوقه . كفل طفلة يتيمة اسمها جلييلة ، رباها في داره حتى كبرت فزوجها وأث لها بيتها وظل بوالها برعايته حتى لقي ربه . كما ربى طفلة أخرى هي إحدى قريبات زوج خاله ، اسمها رفيعة حتى كبرت ولحقت بأهلها قبيل وفاته .

وهو لم ينس رعاية السيدة أمينة هانم زوج خاله المرحوم المهندس محمد نيازى له أثناء إقامته معهما في مصر وطنطا على ما أسلفنا . فعندما مات خاله ولم تكن لزوجها أمينة هانم من يكفلها ضمها حافظ إليه معززة مكرمة وأصبحت سيدة داره والقيمة عليه . ولما توفيت قبل وفاة حافظ بحوالى ثلاث سنوات قام على خدمته خادمه حسن الذى أخلص له كل الإخلاص فعينه حافظ وزيرا لمساكنه المضطربة ، يعطيه مرتبه كله لينفق على البيت ، ويسحب منه ما يحتاج إليه من مال ، فلم يكن حافظ يطمئن إلى نفسه وإلى سلامة تديره الذى كثيرا ما أوقعه في أزمات .

* *

المبحث الثالث : في طبيعة الشاعر كإنسان وما يتميز به من خصائص :

علمنا مما سبق أن شاعرنا رجل من عامة الشعب ، نشأ وربى في أحياه الوطنية بين أترابه المصريين البسطاء . كما علمنا ما اكتنف حياته منذ نشأته وفي أدوار طفولته وشبابه من مآسٍ بفقد أقرب الناس إليه بالوفاة ثم بانتقاله من بيت أبيه بعد وفاته إلى بيت جده بالمغربلين إلى بيت خاله بحى الخليفة بمصر وطنطا وقيام خاله برعايته والإنفاق عليه حيث لم يورثه أبوه مالا ، ولا شك فيما تركه ذلك كله في نفسه من جروح غائرة ، فكان بادى الحزن والتجهم ما انفرد بنفسه ، أما إذا خرج للناس فعكس ذلك تماما ، لا تشاهد منه إلا المرح ، والفكاهة الحلوة ، والنادرة المستملحة . وقصارى القول إنه حيث كان يوجد حافظ يوجد السرور وتعلو الضحكات والفقهة التى تنبعث عالية حتى من أشد الرجال تزمتا ووقارا .

ما السر في هذا . . هل ما يقال من أن شر البلية ما يضحك ؟ وأن الشيء إذا زاد على الحسد انقلب إلى الضد ؟ كما تدمع عيوننا من شدة الضحك ؟ أو تجدد العيون عن الدمع عند اشتداد البلوى ؟

ومع ذلك فلا نكاد نرى لفكاهة الشاعر أثرا يذكرك في شعره ، وإنما هو جاد كل الجدة فيه ، رزين فيه كل الرزانة ، بل كثيرا ما تلبس في شعره من القوة والعنف والحزن الدفين والألم الممض ما لا يتصور فى قائلها أن يكون مرحا فكها بساما فى حياته الإجتماعية .

والذى أعتقد أن شعر الشاعر كشاف لحبيثة نفسه ، ما صدق مع نفسه وصدق فى شعره ، أما الحياة أمام الناس وما يرتد به لها من ألبسة وأقنعة ، فكلمها مظاهر خارجية قد تقتضيها الظروف وترغم بها .

فطبيعة شاعرنا إذن هي الطبيعة الجادة التي نطقت بها شاعريته المنبعثة من قرار مكين في نفسه . أما المرح والدعابة والفكاهة التي اشتهر بها بين الناس ، فقد تكون من باب إنسانية الشاعر ، فما ذنب الناس ليعملهم همومه ومتاعبه ، وما شأنهم فيما لاحقه به الدهر من مأس ونكبات ، ألا يكفي الناس ما يحملونه منها ؟ أما بكفهم ذل الأمر والإحتلال ونكبة الوطن ليزيدهم همه فوق همومهم .

إن المذكورين المهمومين أحق الناس بالتسرية عنهم ، فلماذا لا يكون ماملا على ذلك وقد أحب وطنه ومواطنيه الحب كله ، ذلك الحب الذي ملا عليه فؤاده ومشاعره ولم يجعل فيها مكانا لحب آخر .

وخلق الإنسان هو نتاج طبيعته الخاصة والمظهر الذي يبدو فيه للناس ، فإذا نحن تكلمنا عن خلق إنسان فلنمنا في الواقع نتكلم عن طبيعته كما يكشف عنها خلقه .

وتأسيسا على هذا يمكن تلخيص طبيعة حافظ في أنها طبيعة حزينة ، يلفها أمام الناس برداء كثيف من المرح والفكاهة لعل السبب فيها ما ذكرنا من الإشتاق على الناس ، ولعلها الكبرياء الطبيعية فيه ، فقد يرى في الحزن ضعفا لا يليق بالرجال ، ولعله أخيرا التنفيس الطبيعي عن النفس ، شأنه في ذلك شأن المصريين جميعا ، حيث يقابلون كل مأساة أو نكبة بالنكتة اللاذعة والسخرية القارعة .

ومن المظاهر الواضحة في طبيعة حافظ أيضا أنها طبيعة قلقة لا تستقر على حال ، كما أنها طبيعة جادة في تناوله الشعر وتخيره الأبواب الجادة منه ، في بساطة نفس أدت إلى بساطة في الأسلوب وبساطة في العرض وبساطة في التناول ، بغير عمق ولا تعسير ، كل ذلك في رصانة وقوة أداء وقوة في الإقناع . يعرف مواطن الحساسية في النفس فيضرب عليها حتى يشد إليه الأسماع والإنثدة والمشاعر جميعها .

بقيت مسألة أخيرة تتعلق بطبيعة الشاعر وما يتميز به من خصائص ،
أود أن أتعرض لها ، استكمالاً لهذا المبحث من المقدمة ، ورداً على أسئلة كثيرة
راودت نفوس الباحثين وأفكارهم في شعره ، ويمكن إيجازها أو تضمينها السؤالين
التاليين :

السؤال الأول — ما هذه البساطة اللغوية الواضحة في شعر حافظ ، إذا
ما قورنت بشعر زميله ومعاصره أحمد شوقي ؟ صحيح
أن شعر حافظ من نوع السهل المنتع ، وهذا إعجاز
في حد ذاته ، ولكن هل لهذا سبب يرجع إلى حصيلة
لغوية ضيقة أو محدودة ؟

السؤال الثاني — كيف يكون هذا الشاعر الضخم بلا مكتبة خاصة
يرجع إلى كتبها عند الحاجة ؟ بل كيف تنتهى حياته
وبيتته خالٍ من قصائده حتى يرجع إلى الصحف
والمجلات العديدة في جمعها ؟

وللاجابة عن هذين السؤالين وغيرهما من الأسئلة العديدة أقول :
إن حافظاً كان عالماً من علماء اللغة العربية ، درسها في الكتاب وفي المدارس
الأميرية ، ثم درسها دراسة أزهريّة مستفيضة في الجامع الأحمدى بطنطا ، وبما
كان يقرأه ويستوعبه من أمهات الكتب العربية ، وعلى رأسها وفي مقدمتها
القرآن الكريم الذي أصبح من قديم المراجع الثبّت الوحيد للغة العربية .

لا محل للشك مطلقاً في علو كعب حافظ في اللغة وتعمقه فيها ، ثم لم يوجد
كتاب في اللغة أو في الأدب ، ولا ديوان للشعر ، لم يطلع عليه حافظ أو لم
يدرسه دراسة واعية مستفيضة . بهذه الحصيلة الوفيرة الغنية ، لم يكن ممكناً

من اللغة فحسب ، بل كان مرجعا موثوقا به فيها ، يرجع إليه كثير من الكتاب والأدباء والشعراء فيما قد يتشككون في صحته ..

وكان لحافظ من اسمه أوفى نصيب .. كان قوى الحافظة بغير حدود .. لا يقرأ كتابا حتى يستطيع أن يعيد ما قرأه بالفاظه وأرقام صحائفه مهما طال به الزمن على قراءته ..

والأعجب من هذا ، أنه لم يكن يستعين بورقة وقلم في نظم قصائده ، بل كان ينظم القصيدة من مطلعها إلى نهايتها في ذهنه .. ينظمها ويهذبها ويرتب أبياتها ، ويقدم فيها ويؤخر ، كل ذلك يتم في ذهنه ، ثم يقبل على الحفل ، وبلقى قصيدته من الذاكرة ، وكان رجال الصحافة يُعدُّون أنفسهم له لسرمة التدوين حتى لا يفوتهم شيء منها .

فليس بصحيح إذن ، الظن بأن حصيلة حافظ اللغوية حصيلة ضحلة أو محدودة ، ولكن الصحيح أن حافظا اختط لنفسه أن يكون شاعر الشعب ، فكان عليه إذن وهو مخاطب الشعب أن يتخير من الألفاظ والعبارات والأساليب ما يسهل فهمه على الكافة ، وإلا انزل عن الشعب لاختلاف لغة التفاهم بينه وبينهم .. ولا شك في صعوبة مخاطبة الشعب بالعربية الفصحى ، والشعر أيضا ، وبالأسلوب وبالمعاني المؤثرة النافذة إلى صميم النفوس والوجدان ، وتلك قدرة وعبقرية انفرد بها حافظ ولا جدال ..

وقد بلغ من حرص حافظ الشديد على البساطة اللغوية مع الجزالة والمتانة الشعرية ، أنه يتخير رجلا من عامة الشعب ، اعتبره المستوى العام لفهم « ابن البلد » المصرى ، وكان اسمه على محمود حسن الكرماتى ، فكان يعرض عليه أولا كل قصيدة يضعها ، بيتا بيتا ، فإذا وجد منه فهما للبيت أجازها ، وإلا غير وبدل ،

بل وحذف أحيانا ، حتى يطمئن إلى أن كل الشعب المصرى بمستوياته الثقافية المختلفة سيفهم ويسعى كل بيت فى القصيدة ، فإذا فهم الشعب المصرى فهمت بعده كل الشعوب العربية فى مختلف أرجائها ..

وكانت حافظة حافظ النادرة قد أغتته عن الرجوع إلى كتب اللغة وآدابها ، ثم كان فى عمله بدار الكتب المصرية كل الغنى عن الحاجة إليها أيضا ، وقليل ما كان يرجع إلى بعض الكتب ويطلب صفحات معينة فيها للاستيثاق مما فى ذاكرته منها ، وأشهد ، ويشهد معاصروه وقد أصبحوا أقل من القليل ، أن ذاكرته لم تخنه فى يوم من الأيام ، لا فى الموضوع الذى أرادته ، ولا فى صفحة نشره .

ولقد كانت حافظته السبب فى عدم اهتمامه بتدوين قصائده والاحتفاظ بها فى بيته ، فقد كان يستطيع أن يعيد على المسامع قصيدة قالها من عشرات السنين ويذكر مناسبتها ويوم القائها بل ومن حضروها من الشخصيات البارزة وقتها .. فلما فاجأه الموت ، وقع المحذور ، وفقدنا بفقدته كثيرا وكثيرا جدا من تراثه الغالى الثمين ..

أعتقد أن ما رددت به من ذلك على أسئلة السائلين قد أقنعهم ، وسد ثغرة كانوا يجدونها فى بحوثهم عن حافظ ، وقفوا إزاءها حائرين طويلا .

المبحث الرابع - فى شعر حافظ

الشعر فى حقيقته روح وإحساس وعاطفة. وقد جاء لفظ الشعر من الشعور . ويجب أن تكون الروح فى الشاعر صادقة مرهفة والإحساس لديه عميقا نافذا والعاطفة قوية جياشة حتى يمكن أن يطلع بشعره على الناس فكرا صائبا وعرضا

جبيلا لما يهمهم ويتفعهم . وليس لدى الناس كلهم الشعور الصادق المرهف ، ولا الإحساس العميق النافذ ، كما أنه ليس لدى كل الناس تلك النظرة الفاحصة المدققة اللاقطة لما يقع تحت بصرها من مراثيات ومشاهد ، يستبطنها ويستنبط منها ، ولكن هي ميزة لا تتوافر إلا في الأديب والشاعر . ثم إن الشعراء والأدباء يتفاوتون في ذلك أيما تفاوت ، ومن هنا يجيء شعراء المرتبة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة والرابعة وهكذا تبعا لما منحه الله للشاعر أو الأديب من وفرة في الشعور والإحساس والعاطفة . ثم تأتي بعد ذلك القدرة على التعبير عن الشعور والأحاسيس ، وفي ذلك يتفاوت الشعراء والأدباء أيضا . وإذا كان صدق الشعور ورهافته ، وعمق الإحساس ونفاذه في النفس ، هبتين من هبات الله للأديب أو الشاعر ، فكذلك القدرة على التعبير هي أيضا هبة من أجل الهبات ، ولكن بقدر ، إذ على الإنسان أن يقوى من هذه القدرة وينميها كلكمة من أهم الملكات ، بالاطلاع والدرس واستيعاب جلائل ما أبدعته قرائع القدامى ، ليكون نفسه كأديب لا غنى له عن ذخيرة وفيرة تساعد وتثري شعره بما تعطيه له من نماذج وتعبيرات وطرق في تناول الموضوعات التي يطرقها . فالشاعر كالنحلة ، تسقط على ما يهرها أو يجذبها من روائح الزهور ، فتمتص من رحيقها ما تمتص ، ثم تخرج ما امتصته بعد ذلك غذاء آخر شهيئا نافعا للناس ، وكلما حسنت تغذية النحل . واختير لها من أنواع الزهور ، كان نتاجها . فمن النحل ما يعطيك عسلا برائحة الزهور ، أو برائحة البرتقال أو بلا رائحة ، ولا يتأتى لها هذا بطبيعة الحال إلا بالنوع الذي استمدت منه رحيقه ، ومع ذلك فليس كل ما يعطيه النحل عسل ، فمن النحل ما لا يصيبك منه إلا لسعاته ، وكذلك الشاعر .

أذن فالعناصر التي تكون الشاعر ثلاثة ...

العنصر الأول : هو الموهبة التي لا غنى عنها ولا محيص ، وتلك من هبات الله جل شأنه ، يمنحها من يشاء من عباده ولا دخل للإنسان فيها .

وهنا نجد الفارق واضحاً وكبيراً بين الشاعر والناظم . فالناظم خافد الموهبة وإن تعلم أوزان الشعر وبحوره ، فيضع نظمه بلا روح شعرية فيكون شعره أشبه بالزهور الصناعية ، لا روح فيها ولا شذى ولا تأثيراً جمالياً لها تنفعل به النفس .

العنصر الثاني : هو القدرة على التعبير عما يحس به الشاعر ويحرك مشاعره . وعلى كل ذي موهبة شعرية أن ينمي من هذه القدرة بالقراءة والاطلاع والعلم بالأساليب وأصول اللغة وعلوم البلاغة وقواعد الشعر ، فهي أركان التعبير وأدواته ، وهي الجزء الذي يجب على الشاعر أن يستكمل في نفسه بنفسه . وبمعنى آخر هي الجزء العلمي المكتسب في أمر أساسه الموهبة .

والعنصر الثالث : والأخير هو ثقافة الشاعر ، فيقدر ما يتقن الشاعر نفسه بثقافات عصره المتنوعة يحیی شعره بقدرها ، بل عليه أن يزيد من حصيلته الثقافية حتى يسبق عصره أو يواكبه على الأقل بفكره فيما يقول . وكلما زادت ثقافة الشاعر زادت قيمة شعره وعلت مرتبته .

وفي شاعرنا حافظ نجد أن العنصرين الأول والثاني قد توافرا فيه إلى حد بعيد ، فالموهبة الشعرية قد وضحت فيه كل الوضوح ، بل هي التي قادته في مستقبل صباه إلى أن يتفرغ لها ، أما قدرته على التعبير فقد كان خيراً بارعاً متمكناً منه ، يساسس في الصياغة ، ويحسن اختيار الكلمات ، ويضع اللفظ موضعه تماماً .

بل إنه تفوق في ذلك تفوقاً واضحاً في صياغته للشعر ، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أنه أول من صاغ الشعر صياغة خطابية تتفق وطبيعة موضوعات شعره وتزيده جلالاً وتأثيراً وانتشاراً . أما عن العنصر الثالث وهو ثقافة الشاعر ، فقد تناولها المرحوم الأستاذ أحمد أمين بقوله :

« ولكنه أكل ثقافته ، ووسع معارفه من نواح متعددة ، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب وأطال النظر خاصة في كتاب الأغاني ، فقد حدث أن قرأه مرات ، وتحدث هو عن نفسه أنه كان يطيل النظر في دواوين الشعراء ويتغير من أمثال شعر بشار بن برد ، ومسلم بن الوليد وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبحتري ، والشريف الرضي ، وابن هانيء الأندلسي ، وابن المعتز ، والعباس ابن الأحنف ، وأبي العلاء المعري ، يدل على ذلك ما كان يحفظ من متنخل الأدب وعيون الشعر . فإذا جلست إليه أخذ يسمعك من محفوظه ما يبهرك ، حتى لقد خيل إلى أنه لودون ما يحفظه لفاق أبا تمام في اختياره « ديوان الحماسة » إذ كان حافظ يتخير بذوق العصر ، وروح العصر — وكان له حافظة قوية تسعف ذوقه وتلبي اختياره . فما يختار جيداً من القول حتى يرتسم في حافظته ، ويبقى في ذاكرته ، ثم يتجلى ذلك في شعره — لكنه — مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة ، ولم يقرأ قراءة مستفيضة في عمق ولم يرسم له خطة يلتزمها في الدراسة ، بل كان كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة ، وترتشف من هذه رشفة ومن تلك رشفة ، فهو يرضى ذوقه في أوقات فراغه بالمطالعة المتنقلة ، فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اختزنه في نفسه .

وقد عاينه عن المطالعة الراتبة المنظمة ، أنه كان ملول الطبع ، كما يدل عليه تاريخ حياته ، عمل في المحاماة فلم تعجبه ، واشتغل في « البوليس » فلمه ، وفي الجيش فسئمه ، ولولا أنه كان حراً طليقاً — إلى حد كبير — في دار الكتب لملمها

أيضا ، ثم كانت هذه الفوضى في قراءته يتبعها إهمال في حياته الأدبية ، فقلما يكتب قصيدته وقلما يحافظ على شعره ، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قلما كان يعنى أن يكون في بيته دواة وقلم ، أو مكتبة منظمة ، كان لديه كتب تبعثر ، فيأتى زائر يأخذ جزءا من الأغاني ، وجزءا من غيره ، حتى أنه لما مات — رحمه الله — لم يكن في بيته من الكتب غير جزء من « تذكرة داود » وجزءا من تفسير الأحلام لابن سيرين ، فأما الأول فلأنه كان في سنيه الأخيرة دائم الشكوى من المرض ، كثير توهم العلل ، فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به ، ولعله اقتنى « تذكرة داود » ليرجع إليها فيما يتخيل من ادواء ، وأما « تفسير الأحلام » فلأنه كان يعتقد في الرؤى وأثرها في حياة الإنسان ، وكان يرجع إليه في التناذر على بعض الأصدقاء ، فقد حدثنا أنه كان في ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا ، في مسجد وصيف ، وكان حافظ وصحبه يتنادرون على صديق من الأضياف ، كان يعتقد في الأحلام وصحتها ، ويتفائل بها في آماله في منصب كبير ، أو مطلب خطير .

وشئ آخر يعد مصدرا كبيرا من مصادر ثقافته ، وهو كثرة غشيانه لمجالس العلماء وقادة الرأي في الأمة ، فقد اتصل بالاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وعد نفسه فناء ، وكان يحضر بعض دروسه التي يلقيها على نخبة من الفضلاء في منزله بعين شمس ، ويجلس في مجالسه ، ويصحبه في أسفاره ، ثم يغشى مجالس أمثال سعد زغلول ، وقاسم أمين ، ومصطفى كامل ، ونحوهم وكانت مجالسهم مدارس من أرقى المدارس ، تطرح فيها المسائل العالمية ، والمعضلات السياسية ، والمشكلات الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم ، وكيف عولجت وما إلى ذلك — وحسبك بمدارس كان المعلم فيها أمثال محمد

عبده ، وسعد ، ومصطفى كامل . ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التي صاغها في شعره .

ثم كان له مجلس من الأدباء في المقاهى والمتدييات أمثال : خليل مطران والبشرى ، وامام العبد ، وكانت مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة ، والنادرة الطريفة ، ويستعرض فيها الأدب وطرائفه ، فكان كل منهم مفيدا عارضا سامعا .

وقد كان حافظ يلم بالفرنسية ، فمكثته من الاطلاع على شىء من آدابها ، وقد ترجم البؤساء لفيكتور هوجو ، وترجم بعض قطع بلزان جاك روسو ، واشترك مع الأستاذ خليل مطران في ترجمة كتاب « موجز الاقتصاد » وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الانجليزى ، كما ترى أثر ذلك في ترجمته لبعض قطع شكسبير ، ولكنه على كل حال ، لم ينل حظا وافرا من الأدب الغربى ، ولم يكن أثر ذلك كبيرا في شعره ، انما شعره — على الأكثر — نتاج الأدب العربى ، والثقافة العربية والتجارب الشخصية .

وأخيرا — وإن شئت أولا — كان من مصدر ثقافته ، تجاربه الواسعة ، فقد أتاح له يؤسه الامتزاج بفهار النامس ومجالستهم ومشاركتهم فى الخير والشر ، ومطارحتهم النكات والنوادر كما مكن له ظرفه وأدبه أن يتصل بسادة النامس وقادتهم يسمع لحدِيثهم ، ويسمعون لأدبه وأن يتصل برجال النهضة الوطنية فيأخذ عنهم ، ويلتهب حماسة من حماسهم ، ويمتلىء وطنية من وطنيتهم » .

أما وقد اكتملت العناصر المكوّنة للشاعر فى شاعرنا فما هى الطبيعة التى تميز حافظا وشعره عن غيره من الشعراء ؟ وما هى أبواب الشعر وفنونه التى

طرقها وبرز فيها ؟ فليس من المفروض ولا من المعقول أن يبرز الشاعر ، أى شاعر ، فى كل نواحى الشعر وأغراضه ، فحسبه أن يجيد فى باب أو باين من أبواب الشعر إجادة تامة أو إجادة ملحوظة . والعبرة بالإجادة لا بالكثرة ولا بالتنوع . والعبرة أيضا بأن يعطى الشاعر ما تريده منه أمتة وما يحتاج اليه شعبه وعصره . ولعل ذلك ما يفسر لنا تعريف البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، كما يفسر لنا الحكمة العربية بأن لكل مقام مقالا .

فاذا كان ذلك كذلك ، فقد كان حافظ شاعر عصره ، وشاعر أمتة وشاعر عربوته وشاعر شوقيته بل شاعر ماله الاسلامى فى ذلك الحين .

حدث أن كنت أتناول الغداء على مائدة المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، وهو على ما نعلم كان أديب مصر والمؤرخ الكبير لقادة الإسلام ، والوطني الوفى ، والسياسى العملاق البعيد النظر فى الأمور ، وكان يحلوه على مائدة الغداء أن نتحدث فى بعض المسائل الأدبية أو الفقهية أو السياسية ، فسألنى عن رأيى فى حافظ بعد أن فرغت من حديثى عن بعض معجزات شوقى الشعرية . ولما كنت أعلم أنه كان صديقا لكلا الشاعرين ومعجبا كل الإعجاب بكليهما ، ولما كنت أعلم أنه هو الذى وضع مقدمة ديوان شوقى ، وأنه يعلم قرابى لحافظ ، فقد صغت ردى على سؤاله صياغة ابتسم لها ، حيث قلت إن من دلائل عظمة حافظ ومكانته الشعرية أنه استطاع أن يوجد له مكانا واسما الى جوار شوقى . وعجبت أيما عجب من تعقيبه على تلك الكلمة بقوله : ولم لا تقول إن من دلائل عظمة شوقى أنه استطاع أن يوجد له مكانا واسما الى جوار حافظ ، فقد كان الوقت وقت حافظ ، والعصر عصر حافظ ، والمجال مجال حافظ !!! وسكت الأديب العالم الحصيف عند هذا .. فاذا رجعنا الى ما سبق أن ذكرته عن ال

البلاد في هذه المقدمة ، أيقنا بأن البلاد وهى في بالغ عسرتها الوطنية ، كانت أحوج ما تكون الى الشاعر الوطنى والى الشعر الوطنى ولا غير ، فالوصف والغزل والمديح وما أشبه لم تكن البلاد فى حاجة اليها ولا حاجة لشبابها ورجالها الى سماعها والانتفات اليها ، وفى مثل تلك الأبواب تحفل دواوين كبار شعراء العربية مما لا مزيد بعده لمستريد .

إن البلاد والشعب المكافح فى عسرتة ، كانا أحوج ما يكونان الى الشاعر الذى يلهب حماسهم ويجمع صفوفهم ويصبرهم بأحوالهم ، ويذكرهم بأجمادهم ، ويضرب الأمثال لهم ، ويعالج أدواءهم ويحيى دارس الآمال فيهم ، أما ما عدا ذلك فلا حاجة للبلاد والناس اليه ، فهى رفاهة وخيال ونعم ينكرها الشعب ، ويأبأها القادة المهملون لشعب عليه أن يكافح ويستमित فى كفاحه فى سبيل الحرية والاستقلال .

وكما قال أستاذنا الجليل المرحوم الأستاذ أحمد أمين فى مقدمته : إن ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت فى شعره آمال أمته أولاً ، وآمال الشعب العربى ثانياً . كانت الامة تشكو من فوضى الأخلاق ، وتشكو من الاحتلال ، وتشكو من تضيق الغرب على الشرق ، وكان الخطباء يحاولون إيقاظه ، وكان حافظ بما له من حس مرهف ، وعاطفة حساسة يجمع كل ذلك فى نفسه ، فلما ثار على الشعر القديم وحطمه ، بنى على أنقاضه شعره الجديد فى الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات ، وكان فى شعره يقف موقف الصحافة الوطنية ، والخطباء الوطنيين وقادة الراى الاجتماعيين ، يغشى مجالس كل هؤلاء ، ويتشرب من أرواحهم ، ويستمد من وحيهم ، ويغذى عواطفه من عواطفهم ، ثم يخرج ذلك كله شعرا

قويا ملتبها ، يفعل في النفوس — وذلك شأن الشعر الحى — ما لا تفعله الخطب والمقالات ، فكان حافظ — حقا — شاعر الوطنية ، وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يجاراه أحد في ذلك من شعراء عصره .

وقف حافظ في ذلك مواقف مختلفة ، فتارة يقرع الامة تقريرا جارحا مؤلما على استنامتها واخلاصها الى السكون واستسلامها للأجانب ، وتارة تبدأ الأمة بحركة وتقف موقفا مشرفا فيحيى أمله ، ويبشر بعد أن كان ينذر ، ويعاوده الأمل بعد اليأس ، والرجاء بعد الخيبة . . وهكذا يضطرب في شعره بين التفاؤل والتشاؤم ، اضطراب الأمة بين البقطة النوم ، والعمل والتواكل والاصابة والخطأ فهو صدى لها في حركاتها ، وهو المدرس الحكيم الذى يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

نعم إنه بعد ثورته على الشعر القديم ، نظم في موضوعاته ، ولكنه حتى في هذه لا ينسى مقامه ، ولا يجهل رسالته ، ولا يقوته غرضه ، فهو ينتهز فرصة تحية العام الجديد ، وتحية الملك وثناء الفقيد ، وتنهائى العيد ، ليثبت في ذلك كله عاطفته الوطنية ، ونظراته الأخلاقية ، وليبشر وينذر ، ويرغب ويهيب ، فهو مجتهد من هذه الناحية ، في موضوعاته الجديدة وموضوعاته القديمة ، حتى في وصفه لا يريد أن يخليه من غرضه الذى ملك عليه قلبه ، ولا يحاول أن يجعله أدبا صرفا فهو يشبه طول الليل بعهد الاحتلال الى كثير من أمثال ذلك . ويتغزل في هذا الطور من الحياة ، ولكن لا في جارية ولا في غلام ، ويتغنى ولكن لا في كأس أو مدام ، إنما يتغزل في مصر ، ويتغنى بمصر ، ويأرق في حب مصر .

لم يشأ حافظ أن يكون شعره في وطنياته طبلا أجوف ، يقول قولاً عاماً لا يستند إلى مادة من حقائق ، وإنما اتخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية

في عصره أساسا لدعوته ، وسنادا لهجته . فقد كان يترصد كل حادث هام يعرض ، فيخلق منه موضوعا لشعره ، ويلوؤه بما يجيش في صدره . . كان في شعره سجل الأحداث ، إنما يسجلها بدماء قلبه ، وأجزاء روحه ، ويصوغ منها أدبا قيما يستحث الهمم ويدفع الى النهضة ، سواء أضحك في شعره أم بكى ، أمل أم يأس . ويتسع أفقه في كثير من الأحيان ، فينظر الى الوحدة العربية ، والوحدة الإسلامية ، فكم قال في علاقة الشاميين والمصريين ، وفي الدعوة الى الإخاء والقضاء على من يبذر بذور البغضاء ، وكما قال في علاقة مصر بالآستانة ، وتمنى نهضة الخلافة ورفع لوائها وعودة مكاتها ، وكما شعر في وحدة الشرق وتعاونها وتبادل المنافع بين أجزائه ، فكان شعره مقربا للقلوب داعيا الى ائتلاف الشعوب ، ينتهز لذلك كل فرصة ، بل أحيانا يزيد اتساع أفقه فينظر الى الانسانية كلها .

وقد أجاد حافظ كل الإفادة في الرثاء واحسن كل الإحسان ، وسبب ذلك أنه استطاع في كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من حادثة فردية الى مأساة اجتماعية ففوت الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده نكبة على مصر وعلى العالم الإسلامي ، وموت مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحققة ، فهو يتسلل في حذق ومهارة بعد تصوير الفقيده في صورة كاملة الى المسائل العامة الاجتماعية ، وبذلك يجلس حافظ على عرشه ، ويقول في مهولة وخزلة ما برع فيه وفاق أقرانه . »

* *

ولقد عاب البعض على حافظ أنه لا يعتبر شاعرا من شعراء الطبيعة ، كأن الطبيعة هي كل شيء في الحياة ، أو كأن من لا يصف الطبيعة ليس شاعرا أو شاعرا محدود الشاعرية ، وينسى أو يتناسى القائلون بهذا أن الإنسان هو أول وأكبر مظهر للطبيعة في الوجود وهو أعقد مشكلاتها .

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إننا لا نجد شاعرا أحسن في وصف الإنسان وحالاته وخلجات نفسه ما أحسن حافظ . وإذا كان الإنسان مخلوقا معقدا بطبعه وطبيعته ، فإنه لا يتعرض لوصفه ووصف حالاته إلا ذو القدرة المكين .

ثم إن كل إنسان ، أديب أو شاعر ، يستطيع أن يتعرض للطبيعة بالوصف ، ولكن ليس أحد من هؤلاء بمستطيع أن يتناول الإنسان بالوصف والتحليل وإبراز المشاهد الإنسانية متناول حافظ لها ، ولترجع الى قصائده في الانقلاب العثماني وفي حادث دنشواي ، وفي رحلته الى إيطاليا ، وفي زلزال مسينا وفي غيرها من قصائده كثيرة ، تأكيداً لما نقول .

والشاعر بحق ، هو من ينقل أحاسيسه الصادقة بالطبيعة والحياة ، وشعوره بها ، الى نفس ووجدان ومشاعر قارئه ، ويترجمها له ترجمة دقيقة واضحة المعالم اخاذة فعاذة . وهكذا كان حافظ وصافاً للرثيات والمحسوسات ، بعيداً عن مجرد الخيال المحض ، بما يعجز عنه أى معبر مهما بلغ من عمق ودقة وبلوغ قصد . والطبيعة أيضاً من الرثيات والمحسوسات ، ولقد تناولها حافظ فيما تناول ، ولكنه لم يتناولها إلا عبوراً وبمناسبة تلفت اليها ، فلم تكن في غالبية شعره مقصداً من مقاصده ، ولا هدفاً من أهدافه .

والعبرة فيما يكتبه الشاعر ، سواء كان وصفاً أو غيره ، انه حيث يتناول موضوعاً من الموضوعات أن يأتي فيه بجديد ، يتعمق في الفكرة مع حسن العرض وإكماله . وكثيراً ما رأينا موضوعات نحسبها تافهة أو رخيصة ، فإذا تناولها الكاتب الكبير أو الشاعر الفحل ، تتغير فيها النظرة ، ونعجب كيف كنا نصفها بهذا الوصف . وعلى هذا يمكن أن نقول إن العبرة بالتناول وقدرته ، لا بأهمية

الموضوع أو تفاهته ، فالعظيم اذا تناول الحقير من الأمور أضحى الحقير بيده عظيماً ، وكذلك الصغير اذا تناول أجل الأمور أضحى الجليل بيده مستصغراً نافعاً .

تحضرني في ذلك أبيات لشيخ المعرة ، في وليد توفي بعد ثلاثة أيام من مولده ، فلننظر في هذا الموضوع اليسير الذي لا غرابة فيه ، وكيف خرج من يد العظيم عظيماً . قال أبو العلاء :

أعجبت بالطفل الصغير بمهده * لم يخط ، كيف سرى بغير رواحِل
قد عاش يوميه وعُمَرُ ثالثا * ثم استراح من المدى المتماحل
كم سار من سَنَةِ أبوه ، فياله * قطع المسافة في ثلاث مراحل
رُفِعَتْ له بُلُجُجُ البحارِ فعامها * ونجا ، وأصبح سالماً بالساحل

وإذا كانت هذه المقدمة قد طالت ، ولم يعد فيها متسع للامثال من شعر حافظ على ما ذكرنا ، وهذا ديوانه كله بأيدينا ، إلا أنني لا أرى بأساً من إيراد وصفه لبعض المشاهد الإنسانية للدلالة على ما ذكرنا .

ففي زلزال مسينا الذي وقع في إيطاليا وقضى على المدينة ومن فيها من الأحياء يصف هذا المشهد

رب طفل قد ساخ في باطن الار * ض ينأى أى أبى أدركانى
وفناء هيفاء تشوى على الجمر تعانى من جره ما تعانى
وأب ذاهل الى النار يمشى * مستميتاً ، تمتد منه اليدان
باحثاً عن بناته وبنيه * مسرع الخطو ، مستطير الجنان
تأكل النار منه ، لا هونا ج * من لظاها ، ولا اللظى عنه وان

ثم هو يصل الى أعلى مراتب الإنسانية حين يدعو الى تبرع المصريين لغوث هؤلاء المنكوبين فيقول :

ذاك حق الإنسان عند بنى الإنسان^{*} لم أدعكم إلى إحسان
ويصف تنفيذ أحكام الأعدام والجلد في أهالي دنشواي ، وزهو المستشار
الإنجليزي في ساحة الأعدام :

جلدوا ولو منيتهم لتعلقوا * بحبال من شقوا ولم يتهيبوا
شقوا ولو منحوا الخيار لأهلوا * بلظى سياط الجلادين ورحبوا
يتحاسدون على الممات ، وكأسه * بين الشفاء ، وطعمه لا يعذب
موتان ، هذا عاجل متنمر * يرنو ، وهذا آجل يترقب
والمستشار مكائر برجاله * ومعاير ومناجر ومحزب
يختال في إنحائها متبسما * والدمع حول ركابه يتصبب
ثم يختم القصيدة بيتين سارا مسرى المثل مع ما فيها من تقرع شديد للامة
على استكاتها ، صاغها في صورة نصيحة للتعتمد البريطاني وقتئذ :

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم * هي أمة تلهو ، وشعب يلعب
واستبق غفلتها ، ونم عنها تم * فالناس أمثال الحوادث قلب
ومن المشاهد الإنسانية الدقيقة ما وصف به المرحوم الأستاذ حفي ناصف
كأب مفجوع في ابنته التي فقدوها في قصيدته في رثائها :

أنا لم أذق فقد البنين ولا البنات على الكبر
لكنني لما رأيت فؤاده وقد انفطر
ورأيت قد كاد يحرق زائره إذا زفر

ورأيت أنه أتى خطأ * خطوا تجبل أو عثر
أيقنت معنى الحز * ن حزن الوالدين، فما أمر
ولعل أحدا من الشعراء والكتاب لم يبلغ ما بلغه حافظ في وصفه للرجل
السياسي ، وهو ما جاء في رثائه للرحوم عبد الخالق ثروت باشا ، حيث قال :

لله مر في بناية ثروت * سبحان باني هذه الأعصاب
إني سألت العارفين فلم أفز * منهم على عرفانه بجواب
هو مستقيم مُتَوٍّ ، هو لينٌ * صلبٌ ، هو الواعي هو المتغابي
هو حَوْلٌ هو قُلْبٌ ، هو واضحٌ * هو غامضٌ ، هو قاطعٌ هو نابي
ما جاء من باب لصيد دهائه * إلا نجما بدهائه من باب

والأمثلة على ذلك كثيرة ، لو استوردنا فيها لما اتينا .

ومن ميزات حافظ الكبرى أنه كان يحسن إلقاء الشعر ، فكان يليق قصائده
بنفسه ، ولا يتنب عنه أحدا في إلقاءها إلا ما ندر لمذر قاهر يمنعه عن الحضور ، كان
جهير الصوت ، قوى الاداء ، إذا اعتلى المنبر اهتز تحته ، كأنها البراكين تتفجر ، يعلو
صوته كالرعد في وطنياته ، وجموع الشعب تصبى في إعجاب وانبهار وقد ملك عليها
أفئدتها وأنفاسها وكل مشاعرها ، حتى إذا انتهى إلى مقطع من مقاطع القصيد ،
جاوبه الشعب بهدير وزجاجة تعبر عن شعورهم وتقديرهم ومكنون ضمائرهم . وإذا رثى
لا يتملك السامعون أنفسهم من البكاء والنحيب شعورا بما عبر عنه من فداحة
المصائب فيمن يرثيه . . وهكذا كان رحمه الله ... كانت قوته أيضا في إلقاءه ، حتى
كان يؤثر عن المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد أنه قال : شعر حافظ لا يقرأ
وإنما يسمع : ولو كانت في عهده أجهزة تسجيل ، لسجل شعره بدلا من طبعه .

والآن ، ما هي مكانة حافظ بين شعراء عصره ؟ وما مكانته بين شعراء العربية .

عاصر حافظا شعراء كثيرون ، نذكر من كبارهم محمد عبد المطلب واحمد شوقي وخليل مطران وولي الدين يكن واسماعيل باشا صبرى ، ومن قبلهم محمود سامى باشا البارودى . إلا أن أكبر شاعر من هؤلاء المعاصرين كان بلا شك أحمد شوقي بك الملقب بأمير الشعراء والذي عاصر حافظا وزامله فى الشعر طول حياته : حتى لقد لقيا الله فى سنة واحدة هى سنة ١٩٣٢ ، حيث توفى حافظ فى ٢١ من يولييه ، وقفاه شوقي فى ١٤ من أكتوبر من نفس السنة .

وقد انقسم الناس فى عهديهما فريقين : فريقا فضل حافظا وآثره عن سواه ، وفريقا فضل شوقي كعميزة شعرية مع حبه لحافظ واعجابه به ، وقيلا من وقف موقفا وسطا . كانت هذه حال الناس ، لا فى مصر وحدها ، بل فى مشارق الارض العربية ومغاربها . . ولكل وجهة هو موليها . .

ولقد تناول عميد الأدب العربى المرحوم الأستاذ الدكتور طه حسين فى كتابه « حافظ وشوقي » فيما تناوله من دراسة الشاعرين ، اختلاف الناس فيهما ، وتعرض للسؤال التقليدى الذى ثار بينهم حول من هو أشعر من صاحبه . ولعلنا فى هذه العجالة نحسن اذا نحن آتينا بخاتمة بحثه فى رده على هذا السؤال . . حيث يقول الدكتور العميد :

« وصل شوقي فى شيخوخته الى ما وصل اليه حافظ فى شبابه ، لأن شوقي مسكت حين كان حافظ ينطق ، ونطق حين اضطر حافظ الى الصمت . بالسوء الحظ ، ليت حافظا لم يوظف قط ، وليت شوقي لم يكن شاعرا الأمير قط . ولكن

هل تنفع شيئا لبت ؟ لقد أسكت حافظ ثلث عمره ، وسجن شوقي « في القصر »
ربع قرن ، وخسرت مصر والأدب بسعادة هذين الشاعرين العظمين شيئا كثيرا .
... كلا الشاعرين قد رفع لمصر مجدا بعيدا في السماء ، وكلا الشاعرين قد
غذى قلب الشرق العربي نصف قرن أو ما يقرب من نصف قرن بأحسن الغذاء .
وكلا الشاعرين قد أحيا الشعر العربي ورد إليه نشاطه ونضرتة ورواه . وكلا
الشاعرين قد مهد أحسن تمهيد للنهضة الشعرية المقبلة التي لا بد من أن تقبل .
هما أشعر أهل الشرق العربي منذ مات المتنبي وأبو العلاء ، هما ختام هذه الحياة
الأدبية الطويلة الباهرة التي بدأت في نجد و انتهت في القاهرة وعاشت
خمسة عشر قرنا والتي ستستجیل وتتطور وتستقبل لونا جديدا من ألوان الفن وضربا
جديدا من ضروب المثل العليا في الشعر . هما أشعر العرب في عصرهما . . . ولكن
أيهما أشعر من صاحبه ؟

أفترى أن ليس من هذا الحكم بد ؟ أفترى أن تفضيل أحد الرجلين على
صاحبه يغني أو يفيد ؟ نعم ، ليس من هذا الحكم بد ، لأنه تقرير الحق الواقع ،
وفي هذا الحكم نفع عظيم لأنه وضع للأشياء في نصابها ، لأنه يبين للبنديين في الشعر
من الشباب أين يكون المثل الأعلى .

أما أنا فلا أستطيع أن أقول إن أحد الشاعرين خير من صاحبه على الإطلاق .
ولكن شوقي لم يبلغ ما بلغ حافظ من الرثاء ، ولم يحسن ما أحسن حافظ من تصوير
نفس الشعب وآلامه وآماله ولم يتقن ما اتقن حافظ من إحساس الألم وتصوير
هذا الإحساس وشكوى الزمان .

لم يبلغ شوقي من هذا ما بلغ حافظ . وهو بعد هذا أخصب من حافظ طبيعة ،
وأغنى منه مادة وأنفذ منه بصيرة ، وأسبق منه إلى المعاني ، وأبرع منه في تقليد

الشعراء المتقدمين ، لأن حافظا كان يقلد الالفاظ والصور ، وكان شوقي يقلد
فيهما وفي المعاني أيضا ، ولشوقي فنون لم يحسنها حافظ وما كان يستطيع أن يحسنها .
شوقي شاعر الغناء خير مدافع ، وشوقي شاعر الوصف غير مدافع ، وشوقي
منشئ الشعر التمثيلي في اللغة العربية .

يلتقى الرجلان في كثير ، ويفترق الرجلان في كثير ، ولكنهما على كل حال
أعظم المحذنين حظا في إقامة مجدنا الحديث .

بهذا انتهى الدكتور طه في حكمه على كلا الشاعرين ، وليس بعد حكم الاستاذ
العميد حكم ، وخلاصته أن حافظا وشوقي كانا أشعر أهل الشرق العربي منذ مات
المتنبي وأبو العلاء ، وأنهما كانا ختام حياة أدبية طويلة باهرة بدأت في نجد
وانتهت في القاهرة ...

وأن ليس أحد الشاعرين خيرا من صاحبه ، فلكلا الشاعرين مجاله وميدانه .
وأن كليهما قمة من قمم الشعر في عصرنا الحديث .

وبهذا يكون رأينا في مكانه شاعرنا حافظ وتحقيق مرتبة بين شعراء عصره
وبين شعراء العربية جميعا .

أما وقد اتينا الى ما اتينا اليه ، فلم يعد أماننا إلا أن تقدم الديوان بما
حواه من ذخائر وقيم ، ودروس وعظات ، وتجديد للشعر في موضوعاته ، قلمنا
اجتمعت في ديوان من دواوين الشعراء قديما وحديثا .

واقه نبال ، وهو نعم المسئول ، وخير مستعان ومأمول ، أن ينتفع به شباب
مصر والعرب أجمعين ، وأن يكون لهم ضياء يستضيئون به ، ومثلا طيبا يحتذونه ،
ودروسا في الجهاد الخالص لوجه الله والوطن ، وتاريخنا ولغة وأدبا يزيدهم ثقافة
وعلمنا وبصرا بالحياة .

محمد اسماعيل كاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ديوانه حافظ ابراهيم للاستاذ أحمد أمين

معلومات رسمية عنه مستقاة من ملف خدمته
المحفوظ الآن بإدارة المعاشات

(١) لم يعرف بالضبط تاريخ مولده . ولم يعرفه حافظ نفسه ، كما أقر بذلك .
وقد عُرض على القومسيون الطبي عند ما أريد تعيينه في دار الكتب ، فقدر سنة
تسعا وثلاثين سنة . وكان الكشف الطبي عليه يوم ٤ فبراير سنة ١٩١١ ، برئاسة
الدكتور بتسي ؛ وهذا هو السبب الذي اعتمد عليه من قال : إنه ولد يوم ٤ فبراير
سنة ١٨٧٢ م وهو سبب واهٍ كما ترى .

(٢) كتب حافظ بخطه ما يأتي : ” ولدت في ذهبية (أى حراقة) بالنيل ،
بالقرب من قناطر (ديروط) بالصعيد “ .

(٣) كُتب الى (ديروط) للبحث في الدفاتر عن تاريخ ميلاد حافظ ، فأجابت
بأنها بحثت من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٨٠ فلم تعثر عليه في دفاترها .

(٤) كتب حافظ بخطه أن ” أباه اسمه إبراهيم فهمي ، واسم أمه الست هانم
كريمة أحمد البورصة لى بك “ .

(٥) الدبلومات والشهادات الحاصل عليها : ” عريضة ملازم أول “ .

(٦) وظائفه :

في وزارة الحربية : من الى

ملازم ثان ١٨٩١/ ٢/ ١٣ ١٨٩٣/ ٧/ ٣١ الى

ملازم أول ١٨٩٣/ ٨/ ١ ١٨٩٤/ ٥/ ٦

في وزارة الداخلية :

ملاحظ مركز بنى سويف ... ١٨٩٤/ ٥/ ٧ ١٨٩٥/ ٣/ ٢٣

معاون بوليس مركز الإبراهيمية ١٨٩٥/ ٣/ ٢٤ ١٨٩٥/ ١٠/ ١٥

في وزارة الحربية ثانية :

أحيل على الاستيداع ١٨٩٥/ ١٠/ ١٦ ١٨٩٦/ ٣/ ١٧

ملازم أول بإدارة التعينات ... ١٨٩٦/ ٣/ ٨ ١٩٠٠/ ٥/ ٢

أحيل على الاستيداع ١٩٠٠/ ٥/ ٣ ١٩٠٣/ ١٠/ ٣١

أحيل على المعاش ١٩٠٣/ ١١/ ١

(٧) كانت إحاالته على المعاش بناء على طلبه ، فقد كتب تظلمها قال فيه ”إنه

مكث بخدمة الجيش ١٢ سنة ، ولم يحصل فيها على غير رتبة ملازم أول . ومضى

عليه أربع سنوات وهو فى الاستيداع ، وأنه فقد الأقدمية ، ويلتمس إحاالته على

المعاش ليتمكن من وجود شغل له يقوم بنفقته وثققة عائلته الكبيرة التى لا يقوم

مرتب الاستيداع بلوازمها “ . ” وبناء على ذلك تقرر إحاالته على المعاش كالتماسه “ .

(٨) كان مرتبه فى الاستيداع ٤ جنيهات .

(٩) فى أثناء خدمته بإدارة التعينات سافر الى السودان . وقد أمضى فيه

مدة ، منها :

مقدمة الطبعة الأولى

يوم	شهر	
١٥	٩	في سواكن .
٥	٢	» وطوكو .
—	١٠	قبلى حلفا .

(١٠) حينما أحيل إلى المعاش كتب وكيل الحربية مانصه : "إن محمد حافظ إبراهيم الملازم أول المحال على المعاش سلم السيف والقايش (الذين كانوا في عهده) " .

(١١) عين رئيسا للقسم الأدبي بدار الكتب في ١٤/٣/١٩١١ تحت الاختبار، بمرتبة قدره ٣٠ جنيا . وفي ١/٤/١٩١٢ عين بصفة دائمة . وفي ٧/٢/١٩١٦ عين رئيسا للغيرين بدار الكتب أيضا .

(١٢) كتب وهو في سن الخامسة والخمسين يطلب إحالته على المعاش ، وأن يعطى خمسين جنيا شهريا . لأنه خدم اللغة والأدب مدة طويلة ، فلم يُحِبَّ إلى طلبه .

(١٣) ظل مرتبه في دار الكتب يزيد إلى أن بلغ ثمانين جنيا .

(١٤) أحيل إلى المعاش من دار الكتب في ٤/٢/١٩٣٢

(١٥) مجموع مدة خدمته في الحكومة : ٣٥ سنة و ٤ أشهر و ٢٩ يوما .

وبيانها كالآتي :

يوم	شهر	سنة	
٨	٦	١٤	مدة خدمته في الحربية والداخلية .
٢١	١٠	٢٠	» بدار الكتب .

(١٦) ملف خدمته مملوء بطلب الإجازات الاعتيادية والمرضية . وفي سنة ١٩٢٣

طلب اجازة ثلاثة أشهر لقضائها خارج القطر ابتداء من ٣٠ غسطس .

حياته — حوالى سنة ١٨٧٢ م . كانت سفينة (ذهبية) ترسو على شاطئ النيل أمام بلدة (ديروط) فى أعلى الصعيد، وكان يسكنها إبراهيم افندى فهمى أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط وزوجته الست هانم .

ففى يوم منها أو قريب منها ، ولد لهذه الأسرة فى هذه السفينة مولود سموه "محمد حافظ" وهو شاعرنا فيما بعد، فكان ذلك إرهابا لطيفا، وإيماء طريفا، إذ شاء القدر ألا يولد "شاعر النيل" إلا على صفحة النيل .

كان أبوه "إبراهيم فهمى" مصريا صميا، وكانت أمه "هانم بنت أحمد البورصلى" من أسرة تركية الأصل، تسكن "المغربلين" تعرف بأسرة الصروان، إذ كان والدها أمين الصرة فى الحج، فلقب بالصروان (القيم على الصرة) ولقبت الأسرة به .

ومع أن الدم التركى كان يجرى فى عروقه كالدم المصرى، لم يترنم بمدح الترك ترنمه بمدح مصر والعرب، ولم يُشيد بذكر الأتراك إشادة (شوق) بهم، لأن ما كان فى (شوق) دم تركى أرسنقراطى، وما فى حافظ دم تركى ديمقراطى؛ ولأن تركية شوق غلبت على القصور التى ولد بها، وعاش فى أكافها، وتنفس فى جوها؛ وتركية حافظ غلبت على حياته البائسة، وعيشه فى أوساط الجاهل، واندماجه فى غمار الناس، يعيش عيشتهم، ويحيا حياتهم، فماتت عصبية التركية إلا نادرا؛ فكان شوق إذا شعر فى الترك وحروبهم والخلافة وشؤونها شعرت أنه يتحدث عن قومه، يفخر بنصرهم، ويمتدحهم، ويراعى العلاقة القوية بين عابدين وبلدز، وبين الخديوى والخليفة؛ وإذا شعر حافظ فى ذلك لم ترعصية جنسية، إنما هى عصبية دينية ووطنية، فهو يفخر بنصرة الترك، لأنها نصرة للإسلام، ويخشى على الخلافة لأن فى ضعفها ضعفا لدينه، وفى النيل منها نيلا من وطنه .



لم يعيش أبو حافظ طويلا بعد ولادته، ولم يرزق ولدا غيره ؛ وقد توفي إبراهيم في ديروط وحافظ في الرابعة من عمره، فانتقلت به والدته إلى القاهرة، ونزلت عند أخيها، فتولى أمره، وقام بتربيته .

أدخله خاله مدرسة "تسمى المدرسة الخيرية" كان مقرها (القلعة) ، وكانت مكتبا تُعَلَّم فيه القراءة والكتابة وثنى من العربية وثنى من الحساب .
ثم دخل مدرسة القربية وهي مدرسة ابتدائية يُعَلَّم فيها ما يُعَلَّم في المكتب على نخط أرقى .

ثم تحوّل إلى مدرسة المبتديان، ثم صار إلى المدرسة الخديوية ، ولكن لم يطل مقامه فيها ، فانتقل مع خاله "محمد افندى نيازى" إلى طنطا، وكان خاله هذا مهندس تنظيم بها .

وقد تعرّف به هناك الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وكان هذا طالبا بالمعهد الأحمدي، وذلك في شعبان سنة ١٣٠٥ هـ - أبريل سنة ١٨٨٨ م . وسنّ حافظ إذ ذاك نحو ستة عشر عاما . قال الأستاذ النجار : "عند ما عدت من القرشية إلى طنطا في شعبان من تلك السنة ، رأيت إخوانى وأصدقائى يلوذون بفتى غض الإهاب ، جديد الشباب ، وقد أسرعوا بتقديى إليه وتقديمه إلى ، باسم الأديب الشاعر "محمد حافظ إبراهيم" ولم تمرّ إلا عشية أو صباحها حتى أحسست من نفسى ميلا إليه يجاذب من الأدب الذى كان نهمة نفسى ، حتى آل ذلك إلى غرام بادبه وما يشتمل عليه من ظرف ولطف محاضرة، وبديهة مطاوعة، وبسرعة خاطر، وحضور نادرة " .

”وقد قضينا رمضان هذه السنة نصلي المغرب والعشاء والتراويح معا، ثم نلبث في سمر ممتع، ومطارحة للشعر، ومذاكرة في نوادر الأدب، وما كان يطرفني به مما يقف عليه من جيد القريض، إلى أن يأتي وقت السحور، ثم نعود بعد السحور إلى ما كنا فيه إلى انبثاق الفجر . فتؤديه، ثم نخرج بغلس إلى خارج المدينة . ثم نعود وقد آذنت الشمس بالطلوع، فيذهب كل منا إلى بيته“^(١).

فهو في سن السادسة عشرة يربي نفسه بالمطالعات، ويحفظ جيد الشعر، ويسمر به مع أصدقائه، ويقلده فيما يقوله هو من الشعر، لا عمل له ولا مدرسة إلا مدرسته التي أنشأها بنفسه لنفسه، وكان فيها وحده المعلم والمتعلم .

وحدثت حادثة طريقة تدل على شدة شعوره بجمال الطبيعة، وحسن ذوقه وجودة حسه؛ فقد رأى طائرا جميلا هو (اللقاق) أو كما يسمى في مصر «البشروش» في حديقة مدرسة الفرير بطنطا، فكان يقزعه بتحريك حلقة باب المدرسة ليرى جمال شكله وجمال حركته، واستمر على هذا حتى ضج رجال المدرسة، وأكمنوا له وقبضوا عليه، وأسأموه للضبطية، ثم عفوا عنه لما رأوا من سذاجته وطهارته الباعث على عمله^(٢).

طبيعي أن يمل خاله هذه الحال التي عليها ابن أخته، ولو كان أبوه حيا لملها منه، فشاب ليس في مدرسة، وليس له ثروة، ثم لا يتكسب، حالة توجب الملل؛ أشعره خاله بذلك، أو شعر هو به . فنظم له بيتين يدلان على ما في نفسه من ألم عميق، فهو يقول :

تَقَلَّتْ عَلَيْكَ مُؤَوَّتِي * إِنِّي أَرَاهَا وَاهِيَةً
فَأَفْرَحُ فَإِنِّي ذَاهِبٌ * مُتَوَجِّهٌ فِي دَاهِيَةٍ

(١) مقال للأستاذ النجار نشر في مجلة أبولو : يولييه سنة ١٩٣٣ (٢) المصدر نفسه .

شعر ساذج في سنّ الصبا ، ولكنه يكنّ عاطفة قوية حزينة . موقف أليم في بيت خاله يذكره دائماً بيطمه وعدمه ، ويصوّره دائماً يؤسه وشقاءه ؛ وهذا يفسر لنا ما كان في نفس حافظ من حزن عميق ، وألم كامن ، على الرغم مما يلوح على سطحها من ضحك وسرور .

يذكر لنا الأستاذ النجار أنه في هذه الحالة ، كان كثيراً ما يشكو الدهر ويندب سوء حظه ، ويتبرم بأحداث الزمن . ويتنّى لو يوافيه حمامه ؛ فمن ذلك قوله :

عَجِبْتُ لِعُمُرِي كَيْفَ مَدَّ قَطَالًا * وَمَا أَثَرْتُ فِيهِ الْهُمُومُ زَوَالًا
وَاللِّمُوتِ ، مَا لِي قَدْ آرَاهُ مُبَاعِدًا * وَجُلُّ مُرَادِي أَنَّ أَوْسَدَ حَالًا
فَلِلْمُوتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ أَرَى بِهَا * ذَلِيلًا وَكُنْتُ السَّيِّدَ الْمَفْضَالًا

ماذا يصنع وقد ضاقت به السبل ، وعضبه الفقر ، لقد أبى أن يأكل من بيت خاله ، فمن أين يأكل ؟

كانت أمامه إحدى سبيلين : سلكهما قبله من كان على شاكلته ممن تعلموا علماً لم يتبع نظاماً ، ولم يستند إلى «شهادة» وهي أن يكون معلماً في مكتب أو شبهه . كما فعل قبله (عبد الله نديم) وكثير غيره ، أو يكون محامياً ، كلاهما إذ ذاك كان مهنة حرة يدخلها من شاء بلا قيد ولا شرط .

ولعل حافظاً رأى أنه طلق اللسان ، حسن التأني إلى ما يريد ، مداور محاور ، وأن المحاماة تدرّ على صاحبها إذا نجح ما لا يدرّ عليه التعليم إذا نجح . ففضل أن يكون محامياً .

ولكنه لا يستطيع أن يفتح مكتباً ، وينتظر شهرته " فذهب إلى أحد المحامين الشيخ محمد الشيمي المحامي بطنطا (بك فيما بعد) واشتغل عنده في مكتبه ، وكان

يسافر إلى المحاكم الجزئية القريبة من طنطا، ويرتفع في القضايا ويكسبها؛
ثم اختلف معه وتركه "وترك له بيتين وهما :

جِرابٌ حظىَ قد أفرغته طمعا * بِبابِ أستاذنا الشَّيْمي ولا عجا

فَعادَ لي وهو مملوءٌ فقلتُ له * تَمَّا؟ فقال: مِنَ الحِسرَاتِ وَاحَرَبًا

ثم انتقل بعد ذلك الى مكتب محمد أبى شادى بك بطنطا ، فمكث عنده مدة
كان فيها مغتبطا كل الاغباط ، وكان أبوشادى بك يرى نفسه قد عثر على كثر ثمين
فكانا يتنادران بالأدب ، ويتطارحان الشعر .

ثم خرج من مكتبه إلى مكتب عبد الكريم فهم افندى المحامى ، فمكث فيه
مدة من الزمن يشتغل عنده^(١) .



لم تطمئن نفس حافظ إلى المحاماة ، ولم ينجح فيها ؛ ويرجع ذلك - فى نظرى -
إلى أمور : فالمحاماة تتطلب عكوفاً على درس القضايا وكتابة وقائعها ، ووضع
مذكراتها ، وليس «حافظ» بالصبور على ذلك ، فهو يجيد الكلام ويجيد الدفاع
بالخطرات تخطر له ، ولكنه لا يجيد البحث والكتابة ؛ ثم كان قتي غرا ، فهو
فى السادسة عشرة ، أو السابعة عشرة لم تحنكه التجارب ، ولم تعلمه الأيام ، إنما كان
همه أن يستعرض ديوان شعريقع منه على ما يرضى ذوقه ، فيرتسم فى حافظته ؛
أما العناية بكتب الفقه والقانون ومراجعتها ، واستخراج الحكم منها ، فعمل لم يألوه
حافظ ، ولم يدرسه ، ولم يتذوقه ، ثم هو ملول لا يشتغل فى مكتب واحد حتى يمله
وهى خصلة لا تُنصح ، كالتاجر يفتح كل يوم دكانا فى مكان ثم يلقها ليفتح فى مكان

(١) المصدر نفسه .

آثر — وأخيرا — هو متلاف ، ينفق كل ما تصل اليه يده ، فلا يستطيع أن يقتصد ما يمكنه من فتح مكتب يعتمد فيه على نفسه .

فشل في المحاماة ففكر فيما يعمل ، فهداه تفكيره الى أن يسافر من طنطا الى القاهرة ، ويدخل المدرسة الحربية .

يبدو هذا التفكير غريبا ، فأديب ناشئ ، وحام فاشل ، يفكر في أن يكون ضابطا ! لسنا ندرى الباعث على هذا التفكير ، قد يكون الباعث عليه قراءة سيرة البارودي الحربى الشاعر ، وقد يكون ما رأى في نفسه من بسطة في الجسم ، وقد تكون المصادفة البحتة هيات له ذلك .

وأيا ما كان فقد دخل المدرسة الحربية واغبط بدخولها ومنى نفسه بمنصب حكومى يضمن له فيه الرزق ، ثم يقول الشعر بعد ذلك ، يغنى به لنفسه ولإخوانه ، وظل في المدرسة الى أن تخرج سنة ١٣٠٩ هـ — ١٨٩١ م ، فيكون عند تخرجه في سنّ العشرين تقريبا .

وكانت المدرسة الحربية قد نظمت في عهد الخديوى توفيق باشا عقب الثورة العربية ، وأدخل عليها تعديلات جديدة ، وعين لها البكاشى هولوت (Hulett) الإنجليزى قومنداناً ، وكان ناظرها اللواء لارمى باشا الفرنسى . وزادوا عدد تلاميذها الى بضع وتسعين ، وكان ذلك سنة ١٨٨٧ ؛ وجعلت الدراسة فيها نوعين : دروسا مشتركة لجميع التلاميذ ، ودروسا خاصة للأقسام ؛ فالمشتركة هى القوانين ، والتعليمات العسكرية ، والجغرافيا ، واللغة الأجنبية ، والطبيعة ، والكيمياء ، والرسم ؛ والخاصة هى الطبوغرافيا ، والاستحكامات ، والتمريعات فى الطوبجية والسوارى (والجناز والشيش) . وعين المستر براين الإنجليزى أيضا فى وظيفة معلم أول بالمدرسة سنة ١٨٨٩ ، وأصدر السردار أمرا ببيان اختصاص القومندان والمعلم الأول

فكان اختصاص القومندان النظر في كل شيء يتعلق بإدارة المدرسة، واختصاص المعلم الأول النظر في البرامج؛ وبذلك سلب من الناظر الفرنسي كل شيء^(١). هذا هو عهد المدرسة أيام كان فيها حافظ، بدأت تتدخل فيها السلطات وتحدّد برامجها، وتحدّد من تعليمها. وكانت الثقافة فيها سطحية ضعيفة لم يستفد منها حافظ كثيرا من ناحية معارفه العامة، فما كان عنده من ذلك فهو ما استفاده من مطالعته الشخصية.

عين في الحربية بعد تخرجه وظل بها نحو ثلاث سنوات، ثم نقل إلى الداخلية ملاحظ بوليس في بني سويف، ثم الإبراهيمية لأن مدرسة البوليس لم تكن أنشئت بعد فكان يؤخذ للبوليس من الحربية، ثم أعيد للحربية. وسافر منها إلى السودان في الحملة الأخيرة التي كانت بقيادة اللورد كتشنر، وكانت منطقة عمله في السودان الشرقى.

تبرم حافظ من عمله بالسودان، وأكثر من الشكوى إلى أصدقائه، وعاوده داء الملل القديم، ولم يطق جو السودان، ولا جفاء العيشة في السودان، فتحسر على أصدقائه في مصر، وليسالى الأتس بها، وجوها البديع، وعيشها الناعم، كما يدل على ذلك شعره في هذه الفترة.

قال في ذلك يصف حاله :

وما أعذرتُ حتى كان نعلي * دما ووسادتي وجه التراب
وحتى صيرتني الشمس عبدا * صبيغا بعد ما دبغت إهابي
وحتى قلم الإملاق ظفري * وحتى حطمت المقدار نابي
متى أنا بالغ يا مصر أرضا * أشم بتريها ريح الملاب

(١) انظر الجزء الثاني من حقائق الأخبار لاسماعيل مرهوك باشا.

وزاد حاله سوءا في السودان كراهية كتشنرله ، إذ كان حافظ غير معنيّ بنظام ، ولا مراعيّا حسن هتدام ، وعبر عن ذلك بما كتب به إلى الأستاذ الإمام من السودان ، إذ يقول ”وقعدت همّة التّجّمين ، وقصرت يد الجديدين ، عن إزالة ما في نفس ذلك الجبار العنيد ؛ فلقد تمّاضب ضغنه على “ ، وبدرت بوادر سوء منه إلى ، فأصبحت كما سر العدو ، وساء الحميم “ الخ .

وكان رئيس فرقته رفعت بك يكرهه ، ويرفع التقارير السيئة عنه ، إذ كان حافظ يعمل الأراجيز في ذمه يحدوها هو وأصحابه ، فمنها قوله فيه :

تراه إذ ينفخ في المزمار * تحسبه في رتبة السردار
يحتنب العاقل والنبيا * ويعشق الجاهل والسفيا



وافادته أيام عمله في المحاماة فاستغلها في السودان ، فقد عرف بين إخوانه بقوة الحجّة ، وحسن البيان ، فكان كثيرا ما ينييه الضباط المتهمون في الدفاع عنهم أمام المجالس العسكرية .

حتى إذا جاءت سنة ١٨٩٩ م حدثت ثورة في السودان ، اتهم فيها ثمانية عشر ضابطا ، كان من بينهم حافظ ، فحوكوا وأحيلوا إلى الاستيداع .

وقد قال اللورد كرومر في كتابه « عباس الثاني » عن هذا الحادث ما يأتي :

” عند ما شبت حرب جنوبي افريقيا ، عاد كثير — من أفضل الضباط البريطانيين ، الذين كانوا يقودون فرق الجيش السوداني — إلى فرقهم الأصلية في الجيش البريطاني ، ونظرا لبعض الملابس التي لا حاجة بي إلى ذكرها — والتي ما كانت تقع لو لم يضطر هؤلاء الضباط الخيرون إلى السفر — حدث استياء في الجيش

وجاهرت فرقة من فرق الجيش السوداني بالعصيان — وقد كثرت الإشاعة بأن الخديوى قد قال أقوالا تجعل النافرين يعتقدون أنه راض عنهم عاطف عليهم . على أن الثورة أتمدت بدون إراقة دماء ، وحوكم عدد من الزعماء أمام المجالس العسكرية ، وحكم عليهم بالسجن مددا مختلفة ، وأرسلوا إلى مصر ليقضوها بها .

ولما حدثت الخديوى فى هذه المسألة ، رأيت من الحكمة أن أتجاهل ما كان يقال عن اشتراكه فى الثورة ، لأن ذلك لا سبيل إلى إثباته ، واقتصرت فى حديثى على وصف الحادثة والخيانة العظمى التى ارتكبها بعض جنده نحو سموه ، واقترحت عليه أن يرى المحكوم عليهم ، ويخاطبهم بكلمات اخترتها وعربت لها ، فوجد الخديوى نفسه فى مأزق حرج ، وموقف لا يدري كيف يخرج منه ، لأنه إذا رفض يعرض نفسه للشبهة فى أنه حرض على الثورة فى جيشه ، كما فعل جده من قبله ، وإذا قبل يتضح للنافرين أن لا أمل لهم بمساعدته ، وبذلك يفقد كثيرا من احترامه وتقوده فى الجيش ، على أنه — كما كنت أتوقع — اختار الأمر الأخير^(١) .

أثر هذا الحادث كثيرا فى نفس حافظ وملاه ياسا وخالط نفسه شيء ليس بقليل من الخوف ، فلم يقل فى ذلك شعرا ، أو قاله وكتمه ، وزاد فى خوفه ويأسه ، ما صار إليه أمر الثورة ، وأمر الأمير .

وخير ما يمثل فى هذا الموقف قوله :

إذا نطقتُ ففأعُ السجين متكأً * وإن سكَّتْ فإنَّ النفسَ لم تطيب

ثم التمس إحالته إلى المعاش ، فأجيب إلى طلبه ، وكان قد أخذ يبحث عن عمل يعمل به ، فعرض نفسه على جريدة الأهرام ليتولى عملا فيها ، ويظهر أن ذلك كان

(١) كتاب الورد كرومر «عباس الثانى» .

بإعزاز الخديوى، لأنه شعر بتبعته نحو هؤلاء الضباط، وأنه هو السبب فيما آلت إليه حالهم، وأنه لا يستطيع توظيفهم فى الحكومة، فأخذ يسهل لهم الأعمال الحرة، يدل على ذلك أن الذى قُدم حافظا لصاحب الأهرام هو شوقى بك . وصلته بالقصر معروفة. ولكن ذلك لم يتم، ولستأ ندرى السبب فى ذلك .

فظل بلا عمل يغشى مجلس الأستاذ الإمام، وكان قد اتصل به أيام كان فى السودان، فلما عاد زاد اتصاله به، وعطف عليه الأستاذ، وأنهله من علمه وفضله، كما غشى مجالس الأدياء والعظماء، يسمع منهم، ويغنى لهم شعره وأدبه، حتى كانت سنة ١٩١١ فساعدته المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وعينه رئيسا للقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية، وظل بها إلى فبراير سنة ١٩٣٢، إذ أحيل إلى المعاش بعد أن ظل بها نحو من عشرين سنة .

كما أعانته حشمت باشا، إذ طلب له رتبة البكوية من الدرجة الثانية، فأنعم عليه بها سنة ١٩١٢ م . ثم أنعم عليه بنشان النيل من الدرجة الرابعة .

فى سنة ١٩٠٦ بعد أن عاد حافظ من السودان، تزوج من أسرة بحى عابدين ولكن لم يدم زواجه أكثر من أربعة أشهر، فافترق الزوجان، ولم يعقب منها؛ ثم لم يعد بعد ذلك إلى الزواج .

وتوفيت والدته حول سنة ١٩٠٨ فظل يعيش مدة فى بيت خاله، وبعد أن توفى خاله، كان يعيش مع زوجة خاله نيازى بك الست عائشة هانم؛ فكانت تدبر بيته، وتقوم بأمره، وكانت لم ترزق بأولاد، فكانت تثنى بثنين وظلت تقوم بشؤونه الى أن توفيت قبل وفاة حافظ بنحو ثلاث سنين .

وفي بيت صغير بالزيتون من ضواحي القاهرة ، توفي حافظ في الساعة الخامسة من صباح الخميس ٢١ يولييه سنة ١٩٣٢ ، أى بعد إحالته الى المعاش بنحو أربعة أشهر ونصف .

دعا في ليلة وفاته صديقين من أصدقائه لتناول الطعام معه ، ولكنه لم يستطع مشاركتهما لما أحس من تعب . فافتصر على أن آتسهما بمحدثه .
وبعد انصرافهما ازداد ألمه ، فأسرع خادمه إلى مخاطبة صديق له ليحضر ومعه طبيب ، فلما حضرا ، كان حافظ في التزع الأخير ، وما لبث أن فاضت روحه ، رحمه الله .

أخلاقه — انتاب حافظا كثير من الشدائد منذ حادثته ، فقد مات والده صغيرا ، ولم يورثه ثروة . وكان بأثسا في بيت حاله ، ولم ينجح في المحاماة ، وأصيب في منصبه فأحيل إلى الاستيداع ، ثم إلى المعاش في مقتبل عمره ، وكانت له إلى هذا نفس شاعرة ، وحس مرهف ، فأثر كل ذلك في نفسه أثرا بليغا ، فهو ناغم على الدهر ، ناغم على قومه ، يكثر من شكوى الزمان وشكوى الناس .

ولكن أبت الطبيعة إلا أن تجد لثوران نفسه منفذا ، ولشقائه مسعدا ، فمنحته القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة ، والتادرة المستملحة ، فضحك من البؤس ، ومن الشقاء ، ومن كل شيء ؛ وكان له ذوق بارع في اختراع النكتة من كل ما يدور حوله ، فما يسمع حديثا ، أو يعرض أمامه شيء ، حتى يدرك موضع الفكاهة منه فيصوغ ذلك صياغة تستخرج ضحك السامعين من أعماق صدورهم ، وقرارات قلوبهم ؛ فكان في مجالسه موضع إعجابهم ، ومنع سرورهم ، يرسل النكتة من بديهة حاضرة ، فتستخف الوقور ، وتستهوى الرزين ، فهو زينة المجلس ، وبهجة النادي .

ومن العجيب مع هذا أنك قلباً ترى للنوادر والنكات في شعره مجالا، فمن قرأ شعره وحده ، ولم يعرف شيئا من صفاته ، لا يشعر بأنه كان فكها مزاحا ، وسبب ذلك أن الأديب في كثير من الأحيان تكون له شخصيتان أو أكثر؛ فله في حياته العامة شخصية خاصة، فإذا أراد أن يصوغ شعره أوثره، انصب في قالب خاص، وتقمص شخصية أخرى؛ ولو قد أتيج له أن يدخل كثيرا من فكاهته في شعره ، لربحنا من وراء ذلك الشيء الكثير . وسبب آخر، وهو أن الناس كانوا ينظرون إلى هذه النوادر، كأنها من الأدب الشعبي الذي لا يصح أن يرتقى إلى الأدب الأرستقراطي ، ولذلك قل أن يدخلوا — حتى الآن — فكاهتهم ونواذرهم في الأدب، كما احتقروا القصة، واحتقروا ألف ليلة وليلة ، وقصة عنتره ونحوها ، ولم يعرها الأدباء الراقون اهتماما إلا في الأيام الأخيرة ؛ فكان حافظ إذا قال شعرا في فكاهة أو مزح، عدّه من سقط متاعه ، ولم ينظر إليه عند ما يتخير شعره للنشر أو التدوين .



ثم قد تعود في حياته ألا يقيم للال وزنا، فهو كريم، واسع العطاء، ذاق طعم البؤس، فعرف موقعه من الناس، فسخت كفه، ونديت راحته، حتى لو ملك الدنيا كلها لفرقها في يوم واحد؛ قد عرض له الفقير البأس فيسمح له بما في يده وهو أحوج ما يكون إليه لسد رمقه وتفريح همه .

وكما كان كريما على الناس فهو كريم على نفسه ، يتمتع بما تشتهى ما وجد الى ذلك سبيلا ، يأكل خير ما يؤكل ، وقد عرف إخوانه بيقته بذلك ، ويدخن خير "سيجار" وأغلاه ، ويستمتع بكل ما تصبو اليه نفسه ، فإذا فرغ جيبه عرف كيف يصبر؛ له يد صناع في الكسب ، خرقاء في الإلتحاق ؛ خير أيامه وهو "موظف"

بضعة أيام في أول الشهر، ثم لا شيء ، فإذا لم يكن "موظفاً" نخير أيامه ما استفاد فيها مالا فحسب ، لو كان تاجراً لأضاع رأس ماله في أول شهره ثم أعلن إفلاسه ، ولو وضع ميزانية دولة لجعل الإنفاق كله في أيامها الأولى ثم لا إنفاق . ومن طريف ملاحظاته في ذلك أنه كان يقترح على الحكومة أن تعطى موظفيها أكبر مرتب أول استخدامهم ، ثم تنقصه شيئاً فشيئاً كلما تقدمت به السن ، لا أن تعطيه مرتباً يزيد مع القدم ؛ وكان يعلل ذلك بأنه يبدأ وظيفته وهو يبدأ شبابه ، وهذا هو زمن الإنفاق ، فإذا هرم ثم شاخ فيكفيه القليل ، وحسبه من غنى شيع وري .

ومع هذا فلم يكن سخياً بمنصبه سخاءه بماله ، فهو حريص على بقائه في عمله بدار الكتب أشد الحرص ، ضنين به أشد الضن ، فهو لا يقول شعراً يغضب به أحداً من ذوى السلطان خشية أن يزحزحوه عن منصبه ، أو يتألوه بأذى فيه ؛ وإن قال شعراً سياسياً أخفاه ولم ينسبه إلى نفسه ، فقد قال قصيدته في مظاهرة السيدات سنة ١٩١٩ ، ولكنها نشرت في منشور من غير اسمه ، ولم تنشر في الصحف إلا سنة ١٩٢٩ حين أمن عاقبة نشرها ؛ وكذلك قصيدته التي قالها حين خيف على الآستانة من احتلال الأجانب ، لم تنشر إلا سنة ١٩٣٢ ، وهكذا ؛ وما قاله من الشعر السياسي في ذلك العصر — صراحةً — هادئ لين ، أو في ظروف تحميه ؛ بل قد قال في ذلك العهد أحياناً ما يخالف منهجه ، ولا يجرى مع ما عرف من حماسته ، كقوله للغفور له السلطان حسين يطلب إليه أن يوالى الإنجليز ويمادهم جبال الود .

وإِلِ القومِ إِنْهُمْ كَرَامٌ * مَيَّامِئُ النَّقِيَّةِ أَيْنَ حَلُّوا
وليس كَقَوْمِهِمْ فِي الْغَرْبِ قَوْمٌ * مِنْ الْأَخْلَاقِ قَدْ نَهَلُوا وَعَلُّوا

وإن شاورتهم والأمر جدٌ * ظفرت لهم برأي لا يزلُ
فاددْهم حبال الوُدِّ وأنهض * بنا قفادنا لخير سهلُ



ومن ثم كانت هذه الفترة في حياته — وما أطولها — فترة نضوب في شعره،
وجمود في قريحته إلا نادراً؛ فكان منصبه نعمة عليه، ونقمة على فنه، ومنفعة له،
ومضرة على الناس — ولعل أيام بؤسه الأولى روعته وأفرغته حتى قامت شبحاً
دائماً أمام عينه تنذره بالويل والثبور، وعظائم الأمور، إن هو أصيب في منصبه
أو مسّ في مرتبه .

ولعل ذلك الخوف لازمه بعد خروجه من وظيفته بإحالة إلى المعاش، إذ ألف
حب الأمن واعتاده، وعقد عليه، حتى لقد أنشدني قبيل وفاته قصيدته التي مطلعها:
قد مرّ عامٌ . يا سعاد وعامٌ * وابن الكانة في حماء يضامُ

وكانت نحو مائتي بيت ، يصف فيها وزارة إسماعيل صدق باشا فأشرت
عليه أن ينشر بعضها، أو يكتبها، أو عليها، أو يحتفظ بها بأي شكل من الأشكال
فقال : ” إنى أخاف السجن، ولست أحتمله “ .



ثم هو واسع الصدر في تقدك شعره ، إذا كنت وهو على انفراد ، فإذا نشرت
تقدك في صحيفة أو على ملاء من الناس ، فهو غضوب أشد الغضب ، ناغم أشد
النقمة: حريص على مترلته في فنه أكثر من حرصه على شخصه ، حتى لأحب إليه
أن تهجوه من أن تهجو شعره :



وثقافته الرسمية — إن جاز هذا التعبير — ثقافة محدودة، فهي لا تعدو دراسته في مكتب أو مدرسة ابتدائية، ثم دراسة فنية وما تستلزمها في المدرسة الحربية . ولكنه أكل ثقافته ، ووسع معارفه من نواح متعددة، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب، وأطال النظر خاصة في كتاب الأغاني؛ فقد حدث أنه قرأه مرات . وتحديث هو عن نفسه أنه كان يطيل النظر في دواوين الشعراء ويتخير من شعرهم ويحفظ ما يتخير من أمثال شعر بشار بن برد ، ومسلم بن الوليد ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبحتري ، والشريف الرضي ، وابن هاني الأندلسي ، وابن المعتز والعباس بن الأحنف ، وأبي العلاء المعري . يدل على ذلك ما كان يحفظ من متنخل الأدب وعبور الشعر ، فإذا جلست إليه أخذ يسمعك من محفوظه ما يبهرك ، حتى لقد خيل إلى أنه لو دون ما يحفظه لفاق أبا تمام في اختياره "ديوان الحماسة" إذ كان حافظ يتخير بذوق العصر ، وروح العصر — وكان له حافظه قوية تسعف ذوقه، وتلبى اختياره ، فما يختار جيداً من القول حتى يرسم في حافظته ، ويبقى في ذاكرته ، ثم يتجلى ذلك في شعره — لكنه — مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة، ولم يقرأ قراءة مستفيضة في عمق، ولم يرسم له خطة يلتزمها في الدراسة ؛ بل كان كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة ، وترتشف من هذه رشفة، ومن تلك رشفة، فهو يرضى ذوقه في أوقات فراغه بالمطالعة المتنقلة؛ فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اخترته في نفسه .

وقد عاقه عن المطالعة الراتبية المنظمة ، أنه كان ملول الطبع ، كما يدل عليه تاريخ حياته ؛ عمل في الحمامة فلم تعجبه ، واشتغل في البوليس فملّه ، وفي الجيش

فسمعته : ولولا أنه كان حرا طليقا — إلى حد كبير — في دار الكتب لملها أيضا . ثم كانت هذه الفوضى في قراءته يتبعها إهمال في حياته الأدبية ، فقلما يكتب قصيدته وقلما يحافظ على شعره ؛ بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قلما كان يعنى أن يكون في بيته دواة وقلم ، أو مكتبة منظمة . كان لديه كتب تبعثر ، فيأتى زائر ويأخذ جزءا من الأغاني ، وجزءا من غيره ، حتى إنه لما مات — رحمه الله — لم يكن في بيته من الكتب غير جزء من تذكرة داود ؛ وجزء من تفسير الأحلام لابن سيرين . فأما الأول فلأنه كان في سنيه الأخيرة دائم الشكوى من المرض ، كثير توهم العلل ؛ فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به ، ولعله اقتنى تذكرة داود ليرجع إليها فيما يتخيل من أدواء ؛ وأما "تفسير الأحلام" فلأنه كان يعتقد في الرؤى وأثرها في حياة الإنسان ؛ وكان يرجع إليه في التناذر على بعض الأصدقاء ، فقد حدثنا أنه كان في ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا ، في مسجد وصيف ، وكان حافظ وصحبه يتنادرون على صديق من الأضياف ، كان يعتقد في الأحلام وصحتها ؛ ويتفاعل بها في آماله في منصب كبير ، أو مطلب خطير .

وشىء آخر يعد مصدرا كبيرا من مصادر ثقافته ، وهو كثرة غشيانه لمجالس العلماء وقادة الرأي في الأمة ، فقد اتصل بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وعد نفسه فتاه ، وكان يحضر بعض دروسه التي يلقيها على نخبة من الفضلاء في منزله بعين شمس ، ويجلس في مجالسه ، وقد يصحبه في أسفاره ؛ ثم ينشئ مجالس أمثال سعد زغلول ، وقامم أمين ، ومصطفى كامل ، ونحوهم ؛ وكانت مجالسهم مدارس من أرقى المدارس ، تطرح فيها المسائل العلمية ، والمعضلات السياسية ، والمشكلات الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم ، وكيف عولجت

وما إلى ذلك — وحسبك بمدارس كان المعلم فيها أمثال محمد عبده ، وسعد ، ومصطفى كامل ، ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التي صاغها في شعره .

ثم كان له مجلس من الأدباء في المقاهي والمتدييات أمثال : خليل مطران والبشرى ، وإمام العبد ، وكانت مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة ، والنادرة الطريفة ، ويستعرض فيها الأدب وطرائفه ، فكان كل منهم مفيدا مستفيدا عارضا سامعا .

وقد كان حافظ يلم بالفرنسية ، فكنته من الاطلاع على شيء من آدابها ، وقد ترجم البؤساء لفيكتور هوجو ، وترجم بعض قطع بلان چاك روسو ، واشترك مع الأستاذ خليل مطران في ترجمة "كتاب موجز الاقتصاد" وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الانجليزي ، كما ترى أثر ذلك في ترجمته لبعض قطع شكسبير ، ولكنه على كل حال ، لم ينل حظا وافرا من الأدب الغربي ، ولم يكن أثر ذلك كبيرا في شعره ، إنما شعره — على الأكثر — نتاج الأدب العربي ، والثقافة العربية ، والتجارب الشخصية .

وأخيرا — وإن شئت أولا — كان من مصدر ثقافته ، تجاربه الواسعة ، فقد أتاح له بؤسه الامتراج بغمار الناس ومجاسمتهم ومشاركتهم في الخير والشبر ، ومطارحتهم النكات والنوادر ، كما مكن له ظرفه وأدبه أن يتصل بسادة الناس وقادتهم يسمع لحديثهم ، ويسمعون لأدبه ، وأن يتصل برجال النهضة الوطنية يأخذ عنهم ، ويلتهم حماسة من حماسهم ، ويمتلئ وطنية من وطنيتهم .

✕ شعره — منح حافظ عاطفة قوية ، ونفسا فنية سمت به عن أقرانه من نابتة العصر ، ومن طلبة المدرسة الحربية التي كان بها ، وإلا فما الذي جعله وسط صليل

السيف، والتدريب العسكري، وترويض الخيل، يتجه نحو الشعر يطالعه ويتذوقه، ويتخيره ويحفظه، ثم يحاول أن يقلده، وينظم على غرارهِ، وكان له أسوة حسنة في محمود سامي البارودي باشا، فقد تخرج في المدرسة الحربية، وتعلم فنونها، وترقى في رتب الجيش، وخاض معامع القتال، وكان ربّ القلم، كما كان رب السيف، وكان مؤسس النهضة الحديثة في الشعر، أعاد إليه بهجته الأولى ونضارته وقوته. فاتخذ حافظ مثله الأعلى يحذو حذوه، ويخط نهجه، ويأمل أن يبلغ في الحياة مبلغه، فيكون ذا الرأستين، وحامل اللواءين، وقد عبر عن تقديره له للبارودي وإعجابه به في قصيدة من قصائده يمدحه بها إذ يقول فيه :

أمير القوافي إت لي مستهامة * بملح ومن لي فيه أن أبلغ المدى
أعزني لمديك اليراع الذي به * تخط وأقرضني القريض المسددا
ومر كل معنى فارسي بطاقتي * وكل نفور منه أن يتوددا
وهبني من أنوار علمك لمعة * على ضوءها أسرى وأقفون اهتدى
وأربو على ذاك الفخور بقوله * إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

ومدحه في هذه القصيدة بالإجادة في الحماسة والنسيب واللعب بالسيف والتفنن في التشبيب، فكانه في مدحه البارودي يرسم لنفسه مثله، ويتحد مستقبله؛ وقد قلد البارودي أيضا في ناحيته الأدبيتين، فقد عني البارودي بالتخير من شعر الفحول، فاختر ثلاثين شاعرا من الشعراء المولدين، ثم أنشأ شعره، وجود نظمته، وكذلك فعل حافظ، فقد تخير وشعر، وحفظ ونظم. ولكن قعد بحافظ عن جمع مختاره ما عهد فيه من إهمال، ولولا نعمة الصحف والمجلات تنشره بعض ما نظم لكان مصير شعره مصير مختاره.

ولكن شاء الله لحافظ أن يقارب شأو البارودى فى دولة القلم لا فى دولة
السيف، فاتمى - على عجل - تاريخ حافظ الحربى بإحاطته فى شبابه إلى المعاش،
واستمر - طول حياته - تاريخه الأدبى، فلم يتحقق إلا شطر رجاءيه، ولم يدرك
من البارودى إلا إحدى دولتيه .

وكان حرياً بحافظ أن يدرك أن ما ناله البارودى فى عهد الاستقلال، لا يمكن
أن يناله حافظ فى عهد الاحتلال، إذ كيف يرضى الاحتلال أن يبلغ أحد مبلغ
العظمة فى الحروب، ومبلغ العظمة فى الآداب، والاحتلال هو الذى حطم
سيف البارودى، بل وحطم قلبه القوى، وقدم له قلباً آخر يشكو به الدهر،
ويبكي على زمانه الغابر؛ ولكن أنى لشباب حافظ أن يدرك هذه الحقائق المرة،
والشباب يهزأ بكل قوة .

على أنه يخيل لى أن حافظاً لم يخلق رجل قال؛ نعم كان منظره رجل حرب،
فهو مستحكم الخلق، وثيق التركيب، مفتول الساعدين، عريض المنكبين؛ ولكن
لا أظن أن قلبه يشاكل جسمه، لقد ظل وهو فى السودان يشكو فى شعره حره،
ويشكو حرمانه من لذائذ القاهرة وترفها ونعيمها :

فن لى أن أرى تلك المغانى * وما فيها من الحسن المقيم
وها أنا بين أنياب المنايا * وتحت براثن الخطب الجسيم
أتيتك والخطوب تزف رحلى * ولى حال أرق من السديم

وهكذا ظل فى السودان يبكي ويتوجع ويتشوق، ويستغيث بالأستاذ الإمام
المرة بعد المرة أن يرده إلى مصر "رد الشمس قطرة المزن إلى أصلها"، ورد
الوفى الأمانات إلى أهلها". . وليست هذه بالنفس الحربية؛ ثم لما ثار الضباط

في السودان وهو منهم ، وطرّدوا وعادوا إلى مصر ، وأحبلوا إلى المعاش ، لم ينطق بشكوى ، ولم يثر على من ظلمه ، ولم يهيج من نكبه ؛ ولكنه سكّت واستسلم ، وأخذ يسعى إلى وظيفة في القصر ، أو أن يكون شاعرا لخليفه أو أمير .

ولما عين في دار الكتب سكّت وأمعن في السكوت ، إلا ما كان يقوله في المواسم والحفلات ، أو ما تدعو إليه المناسبات .

كل هذا يرينا أنه كان مغاليا في أمله - إن كان - أن يجمع في يده بين السيف والقلم .



ولكن إن أخفق حافظ في حربه فقد نجح في شعره ، بدأ ينظمه في أغراض اعتاد الناس أن ينظموا فيها ، من مدح للخدوي والأغنياء ، ومداعبة الإخوان ، والشكوى إليهم ، ونحو ذلك ؛ وقل أن تجد في هذا النوع من الشعر معنى جديدا أو خيالا رائعا ، وإنما هو أسلوب من سبقه ومعانيهم وأغراضهم . ومع هذا فكان يرى في نفسه أنه في هذا المهد أكبر شاعر في مصر لا يفضلّه إلا شوقي ؛ فيقول من قصيدته التي قالها سنة ١٩٠١ :

قل للألى جعلوا للشعر جائزة * فيم الخلاف ألم يرشدكم الله
إني فتحت لها صدرا تليق به * إن لم تحلوه فالرحمن حلاه
لم أخش من أحد في الشعر يسبقني * إلا فتى ما له في السبق إلاه
ذاك الذي حكمت فينا يراعتنه * وأكرم الله والعباس مشواه

وكان في عصره من كبار الشعراء المصريين أمثال البارودي ، وإسماعيل صبري ، وشوقي ، ومحمد عبد المطلب .

ولكن يحق له هذا القول، لأن حظ مصر في هذا العصر من الشعر، بل من الأدب عامة، كان حظا ضعيفا، فلم يحافظ له ندا غير شوقي، لأن البارودي على إجادته وفتحته للناس باب الشعر الحلى القوى بعد أن أغلق طويلا، كان في آخريات أيامه، وقد برحت به الحوادث، ودلف إلى القبر، إذ أدركته وفاته سنة ١٩٠٤.

وإسماعيل صبرى باشا كان أشعر من حافظ في ناحية خاصة، وهى مقطوعاته الصغيرة، يعبرها عن معان دقيقة، وعن شعور نفسى عميق — ولم يكن يحترف الشعر كما احترفه شوقي وحاول أن يحترفه حافظ — وكان منصبه الحكومى يسمو به عن ذلك.

لهذا جهر حافظ بأنه خير شاعر فى مصر إذا استثنى شوقي، ولعله كان يرى فى أعماق نفسه أن "شوقي" لم يفضل به شاعريته، وإنما فضله بقربه إلى القصر وأنه شاعر الأمير، ولولا ذلك لما فضله، ويشير إلى هذا المعنى من طرف خفى فى هذه القصيدة نفسها، إذ يقول :

ذاك الذى حكمت فىنا براعته * وأكرم الله والعباس مشواه

+
+

قامت بعد ذلك حركة فى مصر من بعض الأدباء المثقفين ثقافة غربية وبعض قادة رأى، تعيب على الشعراء هذا الشعر التقليدى فى أسلوبه وفى أغراضه، وفى أوزانه وقوافيه، وتقد شوقي وحافظا من النقد، لأنهما قديمان فى أفكارهما، مقلدان فى أغراضهما، محافظان فى أوزانهما.

كان من آثار هذه الحركة فى حافظ أن ثار هو أيضا على الشعر القديم، فقال قصيدته المشهورة فى الشعر، التى مطلعها :

ضعت بين النهى وبين الخيال * يا حكيم النفوس يا ابن المعالي
عاب فيها على شعراء الشرق شعرهم في الكاس والطاس ، والمدح والهجاء
والرثاء ، وحب سلمى وليل ، ومكان الآثار والأطلال ، والرجال والجمال ، ثم يقول :

آن يا شعر أن تفك قيودا * قيدتنا بها دعة المحال
فأرفعوا هذه الكهائم عنا * ودعونا نشم ريح الشمال

فكانت ثورة صارخة على الشعر القديم . فهل جدد حافظ بعد في شعره ؟
لم يجدد في بحوره وأوزانه . ولم يجدد في أسلوبه وبيانه ، ولا تفكيره وخياله ،
إنما جدد في شيء هو فوق ذلك كله ، جدد في موضوعه وأغراضه ، فبدلاً من
أن ينظم في موضوعات أمرئ القيس وطرفة ، أو جرير والفرزدق ، أو بشار
وأبي نواس ، نظم في موضوعات عصره وأمانى قومه .

وساعده على هذا الاتجاه تربيته الحربية ، فإن فشل في حرب السيف
فليحارب بالقلم ، وإن تكمر سنّ رمحہ فليشرع سنّ قلمه ، وإن أخطأ النجاح
في ثورة الضباط في السودان ، فليكتب له التوفيق في إثارة الأمة على الاحتلال .

ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت في شعره آمال أمته أولاً ، وآمال الشعب
العربي ثانياً .

كانت الأمة تشكو من فوضى الأخلاق ، وتشكو من الاحتلال ، وتشكو من
تضييق الغرب على الشرق ، وكان زعماء الوطنية يلهبون حماسه ، ويشعلون غيظه ،
وكان الخطباء يحاولون إيقاظه ؛ — وكان حافظ — يبا له من حس مرهف ،
وعاطفة حساسة — يجمع كل ذلك في نفسه ، فلما ناز على الشعر القديم وحطمه ،

بنى على ألقاضه شعره الجديد في الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات ؛ وكان في شعره يقف موقف الصحافة الوطنية ، والخطباء الوطنيين ، وقادة الرأي الاجتماعيين ؛ يغشى مجالس كل هؤلاء ، ويتشرب من أرواحهم ، ويستمد من وحيهم ويغذى عواطفه من عواطفهم ، ثم يخرج ذلك كله شعرا قويا ملتها ، يفعل في النفوس — وذلك شأن الشعر الحى — مالا تفعله الخطب والمقالات ؛ فكان حافظ — حقا — شاعر الوطنية ، وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يماره أحد في ذلك من شعراء عصره .

وقف حافظ في ذلك مواقف مختلفة ، فتارة يقرع الأمة تقرعا جارحا مؤلما على استناتها وإخلادها إلى السكون ، واستسلامها للأجانب .

أمة قد فت في ساعدها * بنفضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب في غير العلا * وتفدى بالنفوس الرتبا
وهى والاحداث تستهدها * تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القوم بها * أم بها صرف الليالى لعبا
ويقول :

فما أنت يا مصر دار الأديب * ولا أنت بالبلد الطيب

♦ ♦

وكذا بمصر من المضحكات * كما قال فيها أبو الطيب
أمور تُمَرَّ وعيش يُمَرَّ * ونحن من اللهو في ملعب
وشعب يفتر من الصالحات * فرار السليم من الأجرب
ويقول :

وإذا سئلت عن الكانة قل لم * هى أمة تلهو وشعب يلعب
ونحو ذلك كثير في ديوانه .

وتبدأ الأمة بحركة ، وتقف موقفا مشرفا يوما ؛ فيحيي أمه ، ويشر بعد
أن كان ينذر ، ويعاوده الأمل بعد اليأس ؛ والرجاء بعد الحية ، فيقول مخاطبا
سعدا :

فاوض خلفك أمة قد أقسمت * ألا تنام وفي البلاد دخیل
عزل ولكن في البلاد ضراغم * لا الجيش يفزعها ولا الأسطول
ويقول :

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا * سنريه كيف يصيده زغلول
ويقول :

أقننا بعد نوم فوق نوم * على نوم كأصحاب الرقيم
إلى كثير من أمثال ذلك .

وهكذا يضطرب في شعره بين التفاؤل والتشاؤم ، اضطراب الأمة بين اليقظة
والنوم ، والعمل والتواكل ، والإصابة والخطأ ، فهو صدى لها في حركاتها ، وهو
المدرس الحكيم الذي يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

نعم إنه بعد هذه الثورة على الشعر القديم ، نظم في موضوعاته ، ولكنه حتى
في هذه لا ينسى مقامه ، ولا يجهل رسالته ولا يقوته غرضه ، فهو يتنهر فرصة تحية
العام الجديد ، وتحية المليك ، وثناء الفقيد ، وتهاني العيد ، ليبحث في ذلك كله عاطفته
الوطنية ، ونظراته الأخلاقية ، وليشر وينذر ، ويرغب ويهيب ؛ فهو يجدد من
هذه الناحية في موضوعاته الجديدة وموضوعاته القديمة ، حتى في وصفه لا يريد
أن يخليه من غرضه الذي ملك عليه قلبه ، ولا يحاول أن يجعله أدبا صرفا ، فهو
يشبه طول الليل بعهد الاختلال ، إلى كثير من أمثال ذلك .

ويتنزل في هذا الطور من الحياة ، ولكن لا في جارية ولا في غلام ، ويتغنى ولكن لا في كأس أو مدام ، إنما يتنزل في مصر ، ويتغنى بمصر ؛ ويأرق في حب مصر :

وما أنا والغرام وشاب رأسي * وغال شبابي الخطب الجسام
لعمرك ما أرتق لغير مصر * ومالي دونها أمل يرام
ذكرت جلالها أيام كانت * تصول بها الفراغة العظام
وأيام الرجال بها رجال * وأيام الزمان لها غلام
فأقلق مضجعي ما بات فيها * وباتت مصر فيه فهل ألام

لم يشأ حافظ أن يكون شعره في وطنياته طبلا أجوف ، يقول القول عاما لا يستند إلى مادة من حقائق ، وإنما اتخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية في عصره أساسا لدعوته ، وسنادا لهجمته .

فقد كان يربص كل حادث هام يعرض فيخلق منه موضوعا لشعره ، ويملؤه بما يحيش في صدره .

تقوم حركة الجامعة ، ويستخدم الجدال بين أنصار الكتائب وأنصار الجامعة ، فيناصر الحركة الوطنية ، ويدعو إلى التبرع للجامعة ، ويبين مزاياها ، ويكتب هو بالشعر — كما يقول — ليكتب قومه بالمال .

وتحدث حادثة المؤيد؛ وينقسم فيها الرأي العام في مصر قسمين : قسم يطالب بحرية المرأة في الزواج ، وقسم يطالب بالمحافظة على التقاليد ، فيتخذ ذلك وسيلة إلى تقريع المصريين باهتمامهم بصغائر الأمور ، وتركهم جسامها ، وتحزبهم فئات : منهم من يلوذ بالأمر ، ومن يلوذ بالعميد ، ومن يصبح مع الصالحين ، ثم يلذعهم لهذا

أليما في جهم للجاملة ، وتركهم الصراحة ، وإلغما لهم يقرعون صاحب المؤيد
على فعلته ، والوفود تتوافد على بيته .

وتحدث حادثة دنشواي فيشن الغارة على الانجليز في تصرفهم ، وعلى بعض
المصريين في معاوتهم ، وعلى المصريين جميعا في استكاثهم ، ويلهب الشعور ،
ويشعل الحماسة ، ويستثير الدمع .

ويتحدث الناس في اللغة العربية ، وهل هي أداة صالحة للعلوم الحديثة ،
والأدب الحديث ، فيبين محاسنها ، ويظهر مزاياها ، ويدعو إلى إنهاضها ، وينعى على
من لم يأخذ بيدها ؛ وهكذا شعره في رعاية الأطفال ، والجمعية الخيرية الاسلامية ،
ومساعدة العميان ، وما إليها .

كان في شعره سجل الأحداث ، إنما يسجلها بدماء قلبه ، وأجزاء روحه
ويصوغ منها أدبا قيما يستحث النفوس ، ويدفع إلى النهضة ، سواء أضحك في شعره
أم بكى ، وأمل أم يئس .

ويتسع أفقه في كثير من الأحيان ، فينظر إلى الوحدة العربية ، والوحدة
الاسلامية ، فكم قال في علاقة الشاميين والمصريين ، وفي الدعوه إلى الإخاء
والقضاء على من يبذر بذور البغضاء ؛ وكم قال في علاقة مصر بالآستانه ، وتمنى
نهضة الخلافة ، ورفع لوائها ، وعودة مكاتها ؛ وكم شعر في وحدة الشرق وتعاونه
وتبادل المنافع بين أجزائه ، فكان شعره مقربا للقلوب ، داعيا إلى ائتلاف الشعوب ،
ينتهز لذلك كل فرصة ، كافتتاح السكة الحديدية المجازية ، وأعياد الدستور للأمة
التركية ، وحفلات التكريم التي يشترك فيها أدباء الشرق ، ونحو ذلك ، بل أحيانا يزيد
اتساع أفقه ، فينظر إلى الإنسانية كلها ، كالذى يقوله في زلزال مسينا :

فسلام عليك يوم تولد * بت بما فيك من مغان حسان
وسلام على امرئ جاد بالدم * مع وثني بالأصفر الرنان
ذاك حق الإنسان عند بني الإنسان لم أدعكم إلى إحسان
ومما يتصل بناحية حافظ الاجتماعية أشد اتصال، شعره في الرثاء، فقد أكثر
منه، كما في ديوانه، وقد قال في ذلك عن نفسه :

إذا تصفحت ديواني لتقصر أنى * وجدت شعر المرأى نصف ديوانى
وقد أجاد فيه كل الإجادة ، وأحسن كل الإحسان ، وسبب ذلك ، أنه
استطاع في كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من مسألة فردية إلى مسألة اجتماعية ،
فموت الأستاذ الشيخ محمد عبده نكبة على مصر ، وعلى العالم الإسلامى ، وموت
مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحققة ، فهو يتسلل في حذق ومهارة بعد
تصوير الفقييد صورة كاملة ، إلى المسائل العامة الاجتماعية ، وبذلك يجلس حافظ
على عرشه ، ويقول في سهولة وجزالة ما برع فيه وفاق أقرانه .

وشئ آخر ، وهو أن الموت كان عند حافظ وسيلة من وسائل شكوى الزمان
والحنق عليه ، والغيظ منه . فالزمان قد فعل بحافظ الأفاعيل ، فرماه بالبؤس والفقر ،
ورمى أمته بالتفرق والتواكل ، وبالاحتلال ، ورمى العالم الإسلامى بالغرب يمتص
دمه ، ويسومه سوء العذاب ، فما هو إلا أن يموت ميت من أصدقائه حتى يعر
جرحه وينفجر ألمه .

وثالث : هو أنه رحمه الله كان شديد الحرف من الموت ، دعاء ذلك إلى أن ينحى
نفسه ، ويتألم كثيرا لشيخوخته ، وبسوءهم المرض في كل عضو من أعضائه ، فإذا مات
قرين له أو صديق أو نديم راعه ذلك . لأن موته إنذار بموت حافظ ، وما أشد وقع
ذلك على نفسه .

فكان يصوغ من نبوغه في الناحية الاجتماعية، ومن بغضه للدهر وحققه عليه،
ومن إشفاقه على نفسه، رثاء يقطع الأحشاء، ويذيب لفائف القلب؛ ولولا هذه
مجتمعة ما بلغ في الرثاء ما بلغ .



قد يؤخذ عليه أنه لم يكن يتعمق في دراسة المسائل الاجتماعية، ولم يكن يكون
فيها رأيا بعد بحثها وتمحيصها، ودرس حججها، كموقفه في مسألة الزوجية، لقد
هرب من إبداء رأيه فيها، ولم يتحيز إلى أحد الفريقين، وترك المتنازعين يتنازعون
في حرية المرأة وتقييدها، وحلق في المسائل العامة التي أشرت إليها قبل؛ وموقفه
إزاء دعوة قاسم أمين، فقد حكى عنه بعض أصدقائه رواية عنه، أنه لم يقرأ كتاب
تحرير المرأة، وإن كان قال فيه شعرا، ولم يقطع بإصابة قاسم أو خطئه، ويظل على
هذا حتى في رثائه، فيقول :

إن رأيت رأيا في انجذاب ولم * تعصم فلك مراتب الرسل
الحكم لا إيام مرجعه * فيا رأيت فم ولا تسلم
فإذا أصبت فانت خير فتي * وضع الدواء مواضع العلل؟
أولا فحسبك ما شرفت به * وتركت في دنياك من عمل؟

فتراه مضطربا لا يستطيع الجزم برأى؛ أو هو لا يريد . وتراه في بعض
المواقف السياسية يكتفى بسرد آراء الفريقين وحججهم، كما في قصيدته في وداع
الورد كرومر، فقد حكى فيها آراء المادحين وآراء الناقدين، ثم قال :

نهذا حديث الناس والناس أنسن * إذا قال هذا صاح ذاك مفندا
ولو كنت من أهل السياسة بينهم .. لسجنت لى رأيا وبلغت مقصدا
ولكننى في معرض القول تساعر * أضاف إلى انتشارخ قولاً مغلدا

وهرب بذلك من إبداء رأى، وترجيح قول على قول .

ولكن قد يخفف من هذا النقص أن هناك فرقا كبيرا ، بين الأديب والعالم ، فالعالم يلاحظ الأشياء ليستكشف ظواهرها وقوانينها ، وعلاقتها بالأشياء الأخر ، وعلاقتها بالظروف التى تحيط بها ، على حين أن الأديب يلاحظ الأشياء من حيث علاقتها بعواطف الانسان وطبيعته الأخلاقية ؛ فالعالم بالنبات مثلا يدرسه ليكشف كل الطبائع الخاصة ، وأوجه الشبه بينه وبين أمثاله من النباتات الأخر ، ووظيفة كل جزء منه ، والتغيرات التى تطرأ عليه كلما نما ، حتى يصل به إلى الموت والفناء . أما الأديب فلا يهمه كل ذلك ، إنما النبات فى نظره قد خلق للجمال ، وليست شجرة الورد فى نظره إلا زهرته الجميلة وأريجها العطر .

فهذه الناحية الخاصة التى يعنى بها الأديب تغتفر لحافظ قلة عمقه فى البحث وإمعانه فى الدرس ، وتخفف حدة نقدنا فى أنه كان ينظر إلى الأشياء نظرة عامة من ناحية اتصالها بعواطف الجمهور .

ومما يتصل بهذا أن حافظا كان يؤثر فى الجمهور بإلقائه بالقدر الذى يؤثر فيه بنفس شعره ، لقد كان فى نبرات صوته وحسن إجادته فى الإلقاء يلعب بعواطف السامعين كما يلعب بها بالفاظه ومعانيه ، ومن أجل هذا ، يحسن ألا يقوم شعر حافظ ومقدار أثره فى الجمهور بمقدار ما يقيسه قارئ لديوانه ، فهو بقرائه يفقد جزءا كبيرا من تأثيره السحرى الذى كان يتركه فى سامعه . ومن أجل هذا كان يطيل الوقت فى تمخير اللفظ الذى يحسن وقوعه فى السمع ، كما يتخير الانسجام فيتغنى بالبيت قبل أن يدخله فى عداد شعره ، ويتصمت إلى جرسه ووقعه على سمعه قبل أن يبدأ بإيقاعه على أسماع الناس .

وعلى الجملة ، كان حافظ يرصد الحوادث الاجتماعية والسياسية كما يرصدها رجال مصر على اختلاف مناجيهم ؛ فيصوغها الصحفيون الوطنيون مقالات حارة قوية ؛ ويصوغها القادة وأولو الرأي أفكارا ينادون بها في مجلس الشورى ، أو الجمعية العمومية ، أو أحاديث وحكا وأمثالا في مجالسهم الخاصة ؛ ويصوغها حافظ شعرا قويا يغذى نفوس الشباب ، ويلهب شعور من سمعه .

كان طلبة المدارس الثانوية والعالية ينحازون إلى معسكرين : قسم يتعصب لحافظ ويفضله على شوقي ، وقسم يتعصب لشوقي ويفضله على حافظ ؛ وكنا نلاحظ أن من فضل حافظا كان يفضل له لأن شعره غذاء قلبه ، وغذاء وطنيته ، ومن فضل شوقي فضله لفنه وخياله . فشيبة الوطنية إمامهم حافظ ، وشيبة الفن إمامهم شوقي .



ظل حافظ يغنى بشعره التقليدى — أولا — والجديد — ثانيا — نحو خمسة عشر عاما تلتى سنة ١٩١١ ، لما عرضت عليه «وظيفة» دار الكتب . وطبيعى أن «الوظيفة» الحكومية لم تكن تتفق وشعر حافظ السياسى والاجتماعى فهو يدعو المصريين إلى الثورة ، والانجليز إلى الجلاء ، وحرام على الموظف وقتذاك أن يتكلم فى السياسة ، وأن يتصل بالجرائد ، فكيف يسمح بالشعر السياسى عامة ، ولشعر حافظ خاصة .

كان حافظ يفهم كل هذا حق الفهم ، فلما قبل الوظيفة كان معنى قبولها سكوته فى هذا الباب ، وقد بر بوعده ، ووفى بشرطه غالبا ؛ فلم يقل من الشعر إلا قليلا ، وفى مناسبات ملحة ، ويتحفظ تام وحذر شديد ، أو أن تجميه الظروف .

غيره كثيرون بذلك وبقبوله الوظيفة ، ولكن لما إذا نغيره وحده بالوظيفة ولا نغير من ألباه ، لما إذا نطلب منه التضحية بقوته ، ونؤنبه على سكوته ، ولا نؤنب

الأمة وقتذاك تعجب به، ثم يتبخر هذا الإعجاب، ولا يتحول إلى قليل من مال يتبلغ به — الحق أن الأمة في تاريخها الماضي أبدت جودا عجيبا وشحا أليما في حافظ وأمثاله؛ تصفق لهم طويلا، وتركهم يلمون من الحاجة إلى ضروريات الحياة، وتعيهم إذا ركنوا إلى الوظيفة، ولا تشجعهم بقليل مما في أيديها، وتعم وتغرق في الترف، وتدعو المغنى أن يغنى لها، ثم ترض عليه بأجره، فإذا طالها به غضبت منه .

إذا — فليس من العدل أن نسرف في نقله على صمته، ونعيه بكسر عوده وقيثارته، فلم يفعل غير ما فعله من قبله :

غزلت لم غزلا رقيقا فلم أجد * لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

إنما يضح أن يوجه إليه نقد من نوع آخر، وهو أن حافظا لم يكن يستطيع — حقا — وقد قبل المنصب في دار الكتب أن يقول الشعر فيما كان يقول فيه قبل من اجتماعيات وسياسيات، ولكن لماذا سكنت عن فنون الشعر الأخرى، والمجال أمامه فسيح؟ فليس كل شعر سياسة واجتماعا، فهناك شعر الطبيعة، وهناك شعر القصص، وهناك شعر الوصف، وغيره من أنواع الشعر، ولم تكن وظيفته تمنعه من أن يقول في كل ذلك، أو في شيء من ذلك، وفي شوقي المثل لهذا، فقد كان مقيدا في القصر بأشد من قيود دار الكتب، ومع هذا ظل يقول في فنون مختلفة من الشعر لا تتنافى وتقاليد القصر .

ولكن ما ذنب حافظ، ونبوغه إنما كان في ثورته، وإجادته في فورته، وطبيعته وتعليمه ودربته تدعو إلى النبوغ في سياسياته واجتماعياته، لا في غزله ونهمياته، وما يعيب الموسيقى أن يكون ملك العود، وليس ملك القانون، أو ملك الكمان، وليس ملك الناي، فليكن في إحداها خير عندي من سوقه في جميعها .



و بعد، فما منزلة شعر حافظ في الشعر، وما قيمته الأدبية ؟

الشعر الجيد - في نظري - فيضان من شعور قوى، سما به الخيال، وحلّاه اللفظ، ووقع على نغمات الأوزان . فهو لا بد أن تجتمع فيه - ككل نوع من الأدب - عاطفة وخيال - وصياغة وجمال ؛ ويمتاز الشعري أن له لغة خاصة غير لغة النثر، وللشاعر ملكة لا يمكن توضيحها تمام الوضوح، يستطيع بها أن يتخير من ألفاظ اللغة ما يرى أنها أبعث على إثارة المشاعر، وأفعل في نفس السامع ؛ ثم هو يضعها بعد في أساليب خاصة يتخيرها من بين التراكيب اللغوية، والأساليب الأدبية، يرى أنها تؤدي غرضه، وتخدم مآربه ؛ كما يمتاز بما له من موسيق عبر عنها بالبحور والأوزان، ولهذه الأوزان فعل في النفوس كفعل «رنات المثلث والمثلثان»، وللشاعر قدرة على أن يختار منها ما يناسب موضوعه، من رقة ولين في شعر الغزل، وقوة وجلبة في شعر الحماسة . والقصيدة على قافية قد يكون لها من الأثر في النفس ما ليس لقافية أخرى، وهكذا . وأخيرا حاجة الشاعر إلى الخيال الخصب أقوى من حاجة النثر ! فلا بد له من اختراع صور، وتأليف مناظر، ومقارنة صورة بصورة، ومنظر بمنظر، حتى يثير المشاعر، ويحرك العواطف، ويفعل في النفوس فعل السحر .

وقد سلم لشاعرنا من هذه الأمور ثلاثة ، قوة العاطفة، وحسن الصياغة ، وجمال الموسيقى . وأعوزه أمر منها وهو قوة الخيال .

فأما عاطفته فقوية فياضة ، وأكبر مظهر لقوتها إثارة نفس السامع والقارئ ؛ فما يسمع شعره سامع ولا يقرؤه قارئ إلا توثبت نفسه ، وحاجت مشاعره ؛ وعواطفه صحيحة لا مريضة ، والعاطفة الصحيحة هي التي تدعولأن تكون حياتنا

أسعد وأقوى ؛ حافظ يريد منا أن نتبوا مقعدنا بين الأمم، وأن يرفع عنا نير الاحتلال، وأن يعادل الشرق الغرب، وأن تكون حياتنا الاجتماعية خيرا مما هي، فلا نواكل ولا استنامة ولا خنوع . ويريد أن تكون لغتنا حية قوية ؛ وأن نجحد في الحياة حتى ننعم بطبياتها، ونحو ذلك من وجوه الإصلاح ، فهو يمتثل شعورا بذلك، ثم يصوغه شعرا يسير فينا سير العافية؛ وأجمل ما في هذه العاطفة أنها ليست من ذلك النوع المألوف الذي اعتدناه في كثير من الأدب العربي من إفراط في المديح؛ فان العاطفة التي يبعثها ضعيفة من ناحية ميلها إلى أمور شخصية ؛ والأدب الذي ينبعث من عاطفة عامة ويبعث عليها ، خير من الذي ينبعث عن عاطفة شخصية ويبعث عليها . كما أن عاطفته ليست من هذا النوع الذي يذوب رقة في غزل ، أو هيأما في حب ؛ فان هذا النوع قد كثرت حتى ملّ، وهو في كثير من الأحيان أجوف؛ وهو في كثير من الأحيان نتاج عاطفة مريضة، فليس من الخير أن يبيع الإنسان عواطفه بهذه السهولة وهذا الرخص .

فزية عاطفة (حافظ) في شعره عمومها وقوتها، وإن شئت فقل : وجدتها؛ فلم نعرف شاعرا عربيا قبله، ولا معاصرا له أفاض في العاطفة الوطنية والاجتماعية إفاضة .

قد يؤخذ عليه أن عاطفته ينقصها التنوع — كما أشرنا إلى ذلك قبل — فلا تجد كثيرا من شعره في جمال الطبيعة، بل لاتجد شعره فيها حيا قويا ، كما ترى في قصيدته في الشمس .

وسبب ذلك — على ما يظهر — أن طبيعة حافظ كانت مخالفة تمام المخالفة لمظهره الخارجى . كان مظهره الخارجى ضحوكا مرحا، لا يراه الرأى حتى يضحك

من ضحكك ، ولا يكون في مجلس حتى يملأه سرورا وضحكا، ولكنه في أعماق نفسه حزين ، كالشمعة تضيء وهي تحترق ، أو كالمثلل يجيد تمثيل دور الضاحك وهو في نفسه يذوب حسرات .

وهذا ما يعلل أيضا ضعف الفكاهة في شعره، وقوتها في مجلسه؛ وهذا ما يعلل أن نصف شعره رثاء كما يقول هو .

هذا الطبع الحزين يبعث عواطف حزينة، ويحمل على الإجابة فيها، فتوافق طبعه وشكوى الزمان والرثاء والبكاء على الأمة وعلى الشرق، ونحو ذلك .

ومن أجل هذا أيضا أجاد حافظ في أحد وجهي الوطنية، أكثر مما أجاد في وجهها الآخر، ذلك أن الشعر في الوطنيات والسياسيات والاجتماعيات يدور على التفاؤل والتشاؤم، والتأمل وعدمه، والترغيب والترهيب، والمدح للتشجيع، والذم للترغيع، فأجاد حافظ في التشاؤم وفي الترهيب وفي الترغيع أكثر مما أجاد في التفاؤل والترغيب والتشجيع . لأن الضرب الأول أنسب لحزنه، وأقرب إلى نفسه؛ والثاني يحتاج إلى مقدار كبير من الأمل، والأمل يحتاج إلى سرور، وهو قليل في نفسه . فغير شعر حافظ ما اتصل بعاطفته الحزينة؛ فاما فرح بالطبيعة، وفرح بنفسه ونحو ذلك مما ينبعث من عاطفة السرور، فلم يكن له كبير مجال في شعره .

هذه العاطفة القوية التي شرحنا، بحثت لها عن الثوب الذي تلبسه حتى عثرت عليه، فكانت صيغتها قوية، وموسيقاها قوية . يفقش عن اللفظ حتى يجد أنسبه لنفسه، وأنسبه لمعناه، ويعرض للترادفات، يقلبها حتى يختار خيرها ، وينثر كلماته ليتخير أشدها عودا، وأصلها مكسرا؛ ويعمد إلى الأساليب يتصفحها ليوائم بين المعنى واللفظ والأسلوب . وكان «حافظ» يسمى هذه «العملية» كلها «التذوق» ،

يمدح بعض الشعراء بأنه «ذواق» يريد بذلك أن له ذوقا مرهفا في اختيار اللفظ واختيار الأسلوب. وقد بالغ في ذلك حتى كان جهده في اختيار الألفاظ والأساليب يفوق جهده في ابتكار المعاني، فهو يذهب مذهب من يرى أن المعاني مطروحة في الطريق، وإنما الإجادة في الصياغة. وهو يستعين على ذلك بالموسيقى، موسيقى اللفظ، وموسيقى الأسلوب، وموسيقى الأوزان والقوافي .

قد كان يصنع البيت فيردده على أذنه بإنشاده اللطيف حتى يتبين موقعه من أذنه قبل أن يوقعه على آذان الناس، ويتذوق موسيقاه بنفسه قبل أن يتذوقها الناس، فكان يراعى موسيقى الطول والقصر، وموسيقى الفخامة والرقّة، وموسيقى اللين والشدة، ويوائم بين ذلك وموضوعه، وبين ذلك ومعانيه وأغراضه، فيوفق في ذلك توفيقا كبيرا .

أما خياله، فكان مع الأسف — خيالا قريبا — قلل حظه من الابتكار، وقلل حظه من التصوير، قصر خياله عن أن يغوص في باطن الشيء فيصل إلى مكان الحياة منه، ثم يخرج به إلى الناس كما يشعر به، وقصر عن أن يخلق في السماء فيصوّر منظرا عاما يجذب النفوس إليه .

لقد حاول أن يخلق بخياله قصة، ولكنها خرجت قصة عرجاء، نتخلج على الأرض، ولا تسبح في السماء، قريبة المنال، مضحكة التصوير — إن شئت فاقراً. قصته في مدح البارودي التي مطلعها * تعمدت قتل في الهوى وتعمدنا * إذ يصف ذهابه إلى حبيبته خفية، فيقلد عمر بن أبي ربيعة في رائيته المشهورة، ثم لا يحسن التقليد، ولا يأتي خياله بجديد، أو فاقراً قصته الشعرية التي وضعها في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت، والتي مطلعها :

لسلاى ما أنا حى * يرجى ولا أنا ميت
ترخيالا ساذجا وتصويرا مهلهلا .

ولكن من ذا الذى حاز الكمال أجمع ، ومن ذا الذى بلغ شأوالفن فى جميع
عناصره ، حسب الشاعر النابغة أن تكتمل فيه صفات ، ثم يستطيع أن يعوض
ما نقص بالبراعة التامة فيما أتقن ؛ لئن نقص حافظ فى الخيال فقد غطى عيبه شيوخ
الجمال فى سائر نواحيه ، وكفاه ذلك موهبة .



وقد رأى حضرة صاحب المعالى على زكى العرابى باشا وزير المعارف العمومية
حبا منه فى الأدب ، وتقديرا لحق الوطن ، أن يجمع شعر حافظ ، وتقوم على طبعه
وزارة المعارف .

وكان من حظى أن ندبى معاليه للقيام بهذا العمل ، فتفضل وطلب إلى جمع شعره
وضبطه وشرحه ، وتبويبه وتقديمه ، فاغتنبت للساهمة فى هذا العمل الجليل ، لأن
حافظا شاعرا كبيرا ، ومن واجبه الأدبى أن نخلد شعره ، ونحفظ ذكره ، وهو شاعر
الوطنية فى عصرنا ، غذى شعره الشعور الوطنى ، وألهبه غيرة وحماسة ، وكان داعيا
للنهضة والمطالبة بالحركة حتى ننال استقلالنا .

فكان واجبا — وقد بدأنا — نجنى ثمار جهادنا ، أن نؤرخ قادة حركتنا ؛
وأقول واجب نفعله فى تاريخ شاعر أن نجمع شعره ، ونمضى بشعره ، ونأخذ فى درسه .
ومن حسن الطالع أن يكون صيدور ديوانه ، معاصرا للنجاح ودعوته
زملائه من القادة والزعماء والخطباء والأدباء الذين تعهدوا الحركة الوطنية ، وسهروا
عليها ، وضحوا فى سبيلها ، ولم يدركهم فى ذلك سأم ولا ملل ، ولم يفت فى ساعدتهم

تعذيب ولا اضطهاد، حتى تمت المعاهدة، وبدأنا ننعم بالاستقلال، نحمل عبئنا على ظهورنا، ونبذل جهدنا لنيل سعادتنا بأيدينا .
فإخراج ديوان حافظ أمانة في عنقنا تؤذيها، وواجب نهض به .



وكان من حظي أيضا أن شاركني في هذا العمل الأستاذان : (أحمد الزين)،
(وإبراهيم الإبياري) ؛ فقد لقيا من العناء في الضبط والشرح والتصحيح
والترتيب ما أترك تقديره للقارئ الكريم . وكان لهما من العمل وبذل الجهد في ذلك
فوق مالى . وإليهما يرجع أكثر الفضل في إخراج الديوان على هذا الوضع .

كان حافظ رحمه الله غير منظم في عمله ، ولا حريص على تدوين شعره ، فيكتبه
في ورقة حيثما اتفق ، ويلقيها أيضا حيثما اتفق ، فضاع كثير منه ، ولولا فضل
الصحف والمجلات في نشره والاحتفاظ به ، لما بقى من شعره إلا القليل .

وقد جمع في حياته بعضا منه ، معتمدا على ما نشر في الصحف والمجلات ، وعلى
ما كان منه عند الأصدقاء ، ولكن وقف في ذلك عند أجزاء ثلاثة صفار؛ نشر الجزء
الأول منها سنة ١٣١٩ هـ مع تعليقات قيمة بقلم محمد إبراهيم هلال بك ، وقد استفدنا
منها ؛ ونشر الثاني سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م ، والثالث سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م ؛
فأما شعره بعد ذلك فلم يجمع في حياته .

فلما توفي حافظ جمع الأديب الدمشقي السيد أحمد عبيد طائفة من شعره لم تنشر
في ديوانه ، ونشرها بدمشق سنة ١٣٥١ ، وكذلك فعل في شوقي وجمع ما نشر
في رثائهما ، وبعض ما كتب عنهما ، وسمى كتابه ” ذكرى الشعارين “ .

ثم نشرت مكتبة الهلال في مصر سنة ١٣٥٣ ديوانه مجموعا فيه ما نشر من
قبل في الأجزاء الثلاثة ، وما نشره السيد أحمد عبيد ” في ذكرى الشعارين “ .

ولكن ما ورد في ذلك كله ليس وافيا ولا مستقصيا، فاضطررنا إلى أن نرجع إلى المجلات والصحف نتصفحها عددا عددا ، من يوم أن نشر له شعر ، إلى يوم وفاته ؛ ورجونا على صفحات الجرائد من القراء أن يبعثوا إلينا ما كان عندهم من شعره ، فتمت لنا بذلك مجموعة هي أقصى ما وصل إليه جهدها .

ثم رتبناها حسب الموضوعات ، فذكرنا كل ما قاله في المديح ، ثم ما قاله في الهجاء ... الخ . وفي كل باب رتبنا ما جاء فيه حسب تاريخ قوله أو نشره ، ثم أتبعنا ذلك بما قاله ولم نقف على تاريخه بالضبط ، حتى ولو كانت القرائن تدل على زمنه ، ورأينا هذا الوضع أقرب إلى الإفادة ، وأدل على مناحى الشاعر . ووضعنا فهرسا مرتبة فيها القصائد حسب حروف الهجاء في آخر الديوان ، ليسهل الرجوع إلى القصيدة لمن حفظ قافيتها .

وقد ضبطناه ضبطا كاملا لتسهيل قراءته على الناشئ ، وشرحناه نوعين من الشرح : شرحا يذكر ظروف القصيدة وملابساتها وتاريخ نشرها أو قولها ، حتى يتمكن القارئ من معرفة إشارات وجوها ؛ إذ في ذلك أكبر إعانة على فهمها وتقديرها ؛ وشرحنا لغويا لمفرداتها وأساليبها ؛ وبيان المراد من عباراتها ، وذكر الحوادث التاريخية التي أشار إليها في أبياتها ، وقد نكون بالغنا بعض الشيء في كثرة الشرح والضبط ، وعذرنا أننا راعينا نابتة الأدب ، وناشئة الشعر ، أكثر مما راعينا الخاصة والمنتهين ؛ وقد رنا أن الديوان ستتناوله أيدي الطلبة في المدارس الثانوية ومن في مستواهم ، فقصدها هم بالشرح ، ونظرنا إليهم في البسط . ونرجو أن نكون قد وفقنا في تحقيق ما ندبنا له ، وأدبنا شيئا من واجب الأمة والوزير والشاعر ، والله الموفق ما

ديوان حافظ ابراهيم

المحتويات

صفحة	
٣	المدائح والتهاني
١٥٩	الأهاجي
١٦٢	الإخوانيات
٢٠٥	الوصف
٢٣٩	الخمريات
٢٤٦	الغزل
٢٥٠	الاجتماعيات
٣١٩	السياسيات
٤٢٦	الشكوى
٤٤٥	المراثي
٥٦٣	قصائد لم تنشر في الطبعة الأولى

(١)
فَرِحَتْ أَرْضُ الْحِجَازِ بِكُمْ * فَرَحَهَا بِالْهَاطِلِ الْمَسِينِ
(٢)
وَسَرَتْ بِشَرَى الْقُدُومِ لَهُمْ * بَكَ مِنْ مِصِيرٍ إِلَى عَدَنِ

(٣)
تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء
(١٣١٧ هـ - ١٨٩٩ م)

(٤)
بَلَّغْتُكَ لَمْ أَنْسُبْ وَلَمْ أَتَغَزَّلِ * وَلَمَّا أَقْفَيْنَ أَهْوَى وَالتَّدَلَّلِ
(٥)
وَلَمَّا أَصِفْ كَأْسًا وَلَمْ أَبْكِ مَتَرَلًا * وَلَمْ أَتَحَيَّلْ فَرًّا وَلَمْ أَتَبَلَّلِ
(٦)
فَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِي مَدِيحُكَ مَوْضِعًا * تَجُولُ بِهِ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَزَلِ
(٧)
رَأَيْتُكَ وَالْأَبْصَارُ حَوْلَكَ خُشَعٌ * فَقُلْتُ (أَبُوحَفْصِ) يُرِيدُكَ أُمُّ (عَلِي)
(٨)
وَحَقَّقْتُ مِنْ حُرْنِي عَلَى مَجْدِ أُمَةٍ * تَدَارَكْتُهَا وَالْخَطْبُ لِلْخَطْبِ يَعْتَلِي

(١) سكن الشاعر « الفرج » لضرورة الوزن . والهاطل : المطر المتتابع العظيم القطر . والهنين : المنصب .
(٢) عدن : مدينة معروفة باليمن على ساحل بحر الهند . ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ؛ ولم يتيسر لنا العثور عليه ، فأبنتهاها على اقتضاها . (٣) الشيخ محمد عبده ، هو ابن عبده بن حسن خير الله ؛ ولد في محلة نصر من إقليم البحيرة بمصر سنة ١٢٦٦ هـ . وتعلم العلم في الجامعين الأحدي والأزهر ، وتولى عدة مناصب علمية وقضائية ودينية ، وآخر منصب تولاه منصب الإفتاء ، وظل فيه إلى أن توفي بالاسكندرية في سنة ١٣٢٣ هـ - سنة ١٩٠٥ م ، ودفن في القاهرة . (٤) بلغتك ، أى وصلت الى مدحك . ولم أنسب : لم أشب بالنساء . يريد أنه ابتداء القصيدة بمدحه ولم يسلك طريق الشعراء في تقديم التزك والفخر وما إليها على المدح في أوائل القصائد . (٥) اتحل الشيء : ادعاه لنفسه وهو لتيره . وتبل الرجل : تكلف النبل وتشبه بالنبل . (٦) يشير إلى بيت امرئ القيس :
فقا نيك من ذكرى حبيب ومزول * الخ

(٧) أبو حفص : كنية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهى في الأصل كنية الأسد . وعلى : هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . (٨) يريد بقوله « والخطب للخطب يعتل » : تراكم الخطوب بعضها فوق بعض .

(١) طَلَعَتْ بِهَا بِالْيَمِينِ مِنْ خَيْرِ مَطْلَعٍ * وَكُنْتَ لَهَا فِي الْقَوْزِ قَدَحَ (أَبْنِ مُقْبِلِ)
(٢) وَجَرَدْتَ لِلْفُتَيَّا حُسَامَ عَزِيمَةٍ * بِحَدِيثِهِ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُتَزَلِّ
مَحَوَتْ بِهِ فِي الدِّينِ كُلَّ ضَلَالَةٍ * وَأَثَبَتْ مَا أَثَبَتْ غَيْرُ مُضَلِّلٍ
لَنْ ظَفِيرَ الْإِفْتَاءِ مِنْكَ بِفَاضِلٍ * لَقَدْ ظَفِيرَ الْإِسْلَامِ مِنْكَ بِأَفْضَلِ
(٣) فَا حَلَّ عَقْدَ الْمُشْكِلَاتِ بِحِكْمَةٍ * سِوَاكَ وَلَا أَرَبِي عَلَى كُلِّ حَوْلٍ

✱ ✱

وقال يمدحه ويصف حضرته :

(٤) قَالُوا صَدَقْتَ فَكَانَ الْصَّدَقُ مَا قَالُوا * مَا كُلُّ مُنْتَسِبٍ لِلْقَوْلِ قَوْلُ
(٥) هَذَا قَرِيضِي وَهَذَا قَدْرُ مُتَدَحِي * هَلْ بَعْدَ هَذَيْنِ إِحْكَامٌ وَإِجْلَالُ
إِنِّي لَا بَصِيرُ فِي أَثَاءِ بُرْدَتِهِ * نُورًا بِهِ تَهْتَدِي لِلْحَقِّ ضُلَالُ
(٦) حَلَلْتُ دَارًا بِهَا تُتَلَّى مَنَاقِبُهُ * بَيَّابِهَا أَرْدَحَمَتْ لِلنَّاسِ آمَالُ

(١) القدح (بكسر القاف) : واحد قداح الميسر، وهي سهامه ، وقدح ابن مقبل ، يضرب مثلاً في حسن الأثر والقوز ، وابن مقبل : رجل من جاهلية العرب ، واسمه : تميم بن أبي بن مقبل ، شاعر مخضرم من المعمرين ، وكانت كثير المقامرة ، فاز قدحه سبعين مرة متوالية ، فضرب به المثل في الفوز . (٢) جرد الحسام : سله من غمده . (٣) أربي : زاد . والحوّل : البصر بالأمور وتحويلها ، لا تؤخذ عليه طريق إلا قدح في غيرها . (٤) القوال : حسن القول السن . أى قالوا صدقت في مدح الإمام وهم صادقون فيما وصفوني به . (٥) القرىض : الشعر . ومتدحى ، أى ممدوحى . (٦) المناقب : المفاخر والأعمال الكريمة ، الواحدة : منقبة .

- (١) تيممها والليل في غير زيه * وحامدُها في الأفق يُعري بني العدا
(٢) سريت ولم أحتذر وكانوا يترصد * وهل حذرت قبلي الكواكب رصدا
(٣) فلما رأوني أبصروا الموت مقبلا * وما أبصروا إلا قضاء تجسدا
(٤) فقال كبير القوم قد ساء فائنا * فلأنا نرى حقا بجثف تقلدا
(٥) فليس لنا إلا آتقاء سبيله * وإلا أعل السيف منا وأوردا
(٦) فغطوا جميعا في المنام ليصرفوا * شبا صاربي عنهم وقد كان مغندا
(٧) وخضت بأحشاء الجميع كأنهم * نيام سقاهم فاجئ الرعب مرقد
ورحلت إلى حيث ألتى تبعث ألتى * وحيث حدا بي من هوى النفس ماحدا

(١) تيممها : قصدت إليها . ويريد بقوله « في غير زيه » : أنه ليل مقمر ليس في هيئته المبهودة من السواد والظلمة . ويريد « بالحامد » (هنا) : البدر ، لشيها به في الجمال . (٢) سري يسري : ساروا قبل . والمرصد : المرقب . والرصد : الرقباء ، جمع راصد . (٣) يريد بقوله : « تجسد » أنه قضاء محقق لا شك فيه ، حتى كأنه جسد بلس ويقتل . (٤) يقال : ساء فاه ، أى ساء ظنه . و « حقا بجثف تقلد » ، أى موتا تقلد موتا ، يريد قصه متقلدا سيفه . وقد خطأ بعضهم حافظا في تعديده « قلد » ، بالباء في هذا البيت ، وقال : « إنه من الأفعال المتعدية بنفعها لا بالحرف » . وهو مردود بقول الزجاج في قوله تعالى : (ولا الهدي ولا القلائد) : لأنهم كانوا يقلدون الإبل بلحاء شجر الحرم . (٥) أعل : من اللعل (بالتحريك) ، وهو السقية الثانية . أى إن لم تخل له سبيله من السيف من دمانا مرة بعد مرة . (٦) غط النائم غطا وغطيطا : نحر وتردد قصه ساعدا إلى حلقه حتى يسمعه من حوله . وشاة الصارم : حده ، وجمه : شبا . وقد يستعمل هذا الجمع في الشعر مكان المفرد كما في هذا البيت ، قال الشاعر :

أما شبا السيف مسلولا على القمم * فقد حدا ولم نذم شبا القمم

(٧) خضت بأحشاء الجميع : مررت وسطهم وعبرت عليهم . والمرقد : الشراب الذي يجلب

الرقاد .

- (١) وَحَيْثُ قَنَاءُ الْحَذَرِ تَرْقُبُ زَوْرِي * وَتَسْأَلُ عَنِّي كُلَّ طَيْرٍ تَقَرَّدَا
(٢) وَتَرْجُو رَجَاءَ اللَّصِّ لَوْ أَسْبَلَ الدُّجَى * عَلَى الْبَدْرِ سِتْرًا حَالِكِ اللَّوْنِ أَسْوَدَا
(٣) وَلَوْ أَنَّهُمْ قَدَّوْا غَدَائِرَ فَرْعِهَا * خَافُوا لَهُ مِنْهَا تِقَابًا إِذَا بَدَا
فَلَمَّا رَأَتْني مُشْرِقَ الْوَجْهِ مُقْبِلًا * وَلَمْ تَتَّعِثْ عَنِّي مَوْعِدِي خَشْيَةُ الرَّدَى
(٤) تَنَادَتْ وَقَدْ أَحْبَبْتُهَا - كَيْفَ تَهْتَمُّ * وَلَمْ تَتَّخِذْ إِلَّا الطَّرِيقَ الْمُجْبَدَا
فَقُلْتُ: سَلِي أَحْشَاءَهُمْ كَيْفَ رُوِّعَتْ * وَأَسْأَلُهُمْ هَلْ صَاحَفَتْ مِنْهُمْ يَدَا
(٥) فَقَالَتْ: أَخَافُ الْقَوْمَ وَالْحَقْدُ قَدَ بَرَى * صُدُّوهُمْ أَنْ يَبْلُغُوا مِنْكَ مَقْصِدَا
(٦) فَلَا تَتَّخِذْ عِنْدَ الرُّوَّاحِ طَرِيقَهُمْ * فَقَدْ يَقْنُصُ الْبَازِي وَإِنْ كَانَ أَصِيدَا
(٧) فَقُلْتُ: دَعِي مَا تَحْدَرِينَ فَلِأَنِّي * أَصَاحِبُ قَلْبٍ بَيْنَ جَنِيٍّ أَيْدَا
(٨) فَالْتِ لِنُغْرِي وَمَا لَهَا أَلْهَوَى * فَدَثْتُ نَفْسِي وَالضَّمِيرُ تَرَدَّدَا
(٩) أَهْمُّ كَمَا هُمْتُ فَادْكُرْ أَنِّي * فَتَاكَ فَيَدْعُونِي هُدَاكَ إِلَى الْهُدَى

- (١) تفرد الطائر، كثره: رفع صوته وطرز به. (٢) أسبل: أرخى. والحالك: الشديد السواد. (٣) قدَّوا: قطعوا. والغدائر: الضفائر. والفرع من المرأة: شعرها، جمعه فروع. وحاكوا: نسجوا. والتقاب: البرقع. ويريد بهذا البيت والذي قبله أن محبوبته ترجو كما يرجو اللص أن يشند الظلام ويستتر البدر، أو أن تجعل للبدر نقايا من غداثها السود سراً لمحيوها عن أعين الزبائن. (٤) الطريق المجد: المهد المسلك. (٥) يرى الحق قد صدورهم، أي أسقمها رأذانيا. (٦) يقنص: يصاد. والبازي: نوع من الصقور يمتد للصيد. والأحيد (هنا): الأقدر على الصيد الأعرف به. (٧) الأيد (تشد الباء): القوى الشديد. (٨) مألها: ساعدها وشايعها. (٩) يريد بهذا البيت والذي قبله أنها آمنت لتغريه بنفسها وساعدها على ذلك هواها له وهواه لها، فهت به وهم بها، ثم ذكر هدى المدح فاهتدى بهديه.

وَأَشِدُّ أَشْعَارِي وَإِنْ قَالَ حَاسِدِي * نَعَمْ شَاعِرٌ لَكِنَّهُ غَيْرُ مِثَارِ
 فَحَسْبِي مِنَ الْأَشْعَارِ بَيْتٌ أَزِيئُهُ * يَذْكُرُكَ يَا (عَبَّاسُ) فِي رَفْعٍ مَقْدَارِي
 كَذَا فَلْيَكُنْ مَدْحُ الْمُلُوكِ وَهَكَذَا * يَسُوسُ الْقَوَافِي شَاعِرٌ غَيْرُ ثَرَارِ^(١)
 وَيَسْلُبُ أَصْدَافَ الْبَحَارِ بَنَاتِهَا * بَنَفْتَةٌ تَبْخُرُ أَوْ بِمَخْطَرَةٍ أَفْكَارِ^(٢)
 مَعَانٍ وَأَلْفَاظُ كَمَا شَاءَ (أَحْمَدُ) * طَوْتُ جَزَلٍ (بَشَّارِ) وَرِقَّةٌ مَهْيَارِ^(٣)
 إِذَا نَظَرْتَ فِيهَا الْعُيُونُ حَسِبْتَهَا * لِحُسْنِ أَنْسَجَامِ الْقَوْلِ كَالْجَدُولِ الْجَارِي^(٤)
 أَمْوَالِي هَذَا الْعَيْدُ وَأَفَاكُ فَاحْجُهُ * بِجُلَّةِ إِفْبَالٍ وَبَيْنِ وَإِشَارِ^(٥)
 وَيَمْتَنُهُ وَأَنْثَرُ مِنْ سُعُودِكَ فَوْقَهُ * وَتَوَجَّهُ بِالْبُشْرَى وَمُرُهُ بِالسَّفَارِ^(٦)
 فَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ تَبْنِي سُعُودَهَا * لَدَى مَلِكٍ يَسِيرِي عَلَى عَدْلِهِ الْسَّارِي^(٧)
 وَلَا زِلَّتْ فِي دَسْتِ الْجَلَالِ مُؤَيِّدًا * وَلَا زَالَ هَذَا الْمُلْكُ فِي هَذِهِ الدَّارِ^(٨)

(١) يسوس القوافي : يروضها ويذلها . والثرثار : المتشدد الذي يكثر الكلام تكلفا .

(٢) بنات الأصدا ف : اللائ التي تكون فيها . والنفت : النفخ ، وأضافه الى السحر ، لأن الساحر

ينفث في العقد . (٣) الظاهر أنه يريد « بأحمد » : أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي . ويقول :

إن لشعره من الجزالة والرفة ما يفوق جزالة بشار ورقة مهيأ . (٤) الجدول : النهر الصغير .

(٥) حياه يحبوه : أعطاه بلا جزاء ولا من . وآثره إيتارا : خصه بالإكرام .

(٦) يمه ، أى أفض عليه من اليمن ، وهو البركة . والذى فى القاموس وشرحه : « يمن عليه »

بتمدية هذا الفعل بالحرف . والإسفار : الإضاءة والإشراق . (٧) يسرى على عدله السارى .

أى أن عدله قد ظهر واشتهر حتى صار منارا يهتدى به .

(٨) الدست : صدر المجلس ، فارسي معرب .



وقال أيضا يمدحه ويهئته بعيد جلوسه في ٨ يناير سنة ١٩٠١ م
 (١) ما ذا أدخرت لهذا العيد من أدب * فقد عهدتك رب السبق والغلب
 (٢) تشدو وترهف بالأشعار مرمجلاً * وتبرز القول بين السجر والعجب
 (٣) وتصقل اللفظ في عيني فأحسبني * أرى فيرند سيف ألميد في الكتب
 هذا هو العيد قد لاحت مطالعه * وكلنا بين مشتاق ومرتعب
 (٤) فادع أليان ليوم لا تطاوله * يد البلاغة في الأشعار والخطب
 (٥) إني دعوت القوافي حين أشرق لي * عيد الأمير فلبت غرة الطلب
 (٦) وأقبلت كأيديه إذا أنسجت * على ألورى وغدت منى على كسب
 (٧) فقممت أخنار منها كل كاسية * ناهت بنضرتها في ثوبها القشب
 وحار فيه بياني حين صحت به : * بالعزيبدا أم بالمجد والحسب ؟
 (٨) يا من تنافس في أوصافه كلمي * تنافس العرب الأجداد في النسب

- (١) في هذا البيت وما بعده يوجه الشاعر الخطاب الى نفسه . (٢) تشدو : تترنم .
 وأرهف بالشعر : قاله على البديهة ولم يهتبه قبل إنشاده . (٣) تصقل اللفظ : تجلوه وتكسبه
 رونقا وملاوة . وفرند السيف : مأوه الذي يجري فيه ؛ مترب . يشبه الشعر في بهجة وبهائه بالسيف
 في لمعانه وروائه . (٤) لا تطاوله : لا تبلغ مدى وصفه . (٥) غرة الطلب : أوله .
 يريد أن الشعر أجابه أول ما طلبه ولم يوجهه الى تكرار الطلب . (٦) الأيادي : المتن .
 وانسجت : توالى وتناوبت . والكتب : القرب . (٧) الكاسية : ذات الكسوة ؛ ويريد
 بها الألفاظ في ثوب من الجمال . والنضرة : الحسن . والقشب : الحديد .
 (٨) تنافس : تنافس وتبارى .

سَأَلُوا فَلَاكَ الدَّوَارَ هَلْ لَاحَ كَوَكَبٌ * عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعَرْشِ أَوْ رَاحَ كَوَكَبٌ ؟
 وَهَلْ أَشْرَقَتْ شَمْسٌ عَلَى مِثْلِ سَاحَةِ * إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ (الْمَحِيدِي) تَنْسَبُ ؟^(١)
 وَهَلْ قَرَّ فِي بُرْجِ السُّعُودِ مُنَوِّجٌ * كَمَا قَرَّ فِي (يَلْدِيزِ) ذَلِكَ الْمُعَصَّبُ ؟^(٢)
 تَجَلَّى عَلَى عَرْشِ الْجَلَالِ وَتَاجُهُ * يَهْشُ وَأَعْوَادُ السَّرِيرِ تُرْحَبُ^(٣)
 سَمَا فَوْقَهُ وَالشَّرْقُ جَدْلَانُ شَيْقٍ * لَطَلَعَتِهِ وَالْغَرْبُ حَذْلَانُ يَرْقُبُ^(٤)
 فَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى تَرَعَّرَعَتْ * بِهِ دَوْحَةُ الْإِسْلَامِ وَالشَّرْكَ مُجْدِبُ^(٥)
 وَقَرَّبَ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ تَقَرُّبًا * إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى فَنِعْمَ الْمُقَرَّبُ^(٦)
 وَكَمْ حَاوَلُوا فِي الْأَرْضِ إِظْفَاءَ نُورِهِ * وَإِظْفَاءَ نُورِ الشَّمْسِ مِنْ ذَلِكَ أَقْرَبُ
 فَرَأَعَهُمْ مِنْهُ بِجَيْشٍ مُدَجَّجٍ * لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَقِّ مَذْهَبُ^(٧)
 يُدَانِي شَخْصَ الْمَوْتِ حَتَّى كَأَنَّمَا * لَهُ يَنْبَ أَظْفَارِ الْمَنِيَةِ مَطْلَبُ

(١) الحميدي : نسبة الى السلطان عبد الحميد . (٢) يلديز : كان قصر الخلافة بالآستانة .
 والمعصب : المتوج ، وذلك لأن التاج يحيط بالرأس كالعصابة ، قال عمرو بن كلثوم :

بكل معصب من آل سعد * بتاج الملك يحجي المحبرينا

(٣) تجلى : ظهر . ويهش : يرتاح . (٤) جدلان : من الجذل (بالتحريك) ، وهو
 الفرج . والشيق : المشتاق . ويريد بالجدلان : المخدول . ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما
 راجعناه من مدققات اللغة ؛ وإنما ذكرها الشاعر موافقة لقوله في الشطر الأول : « جدلان » .

(٥) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . (٦) يريد « بالمسجدين » (هنا) :
 بيت المقدس ومسجد المدينة ؛ ويشير بذلك الى الخط الحميدي الحجازي من دمشق الى المدينة ، وقد بدئ
 العمل فيه في مايو سنة ١٩٠٠ م ، واحتفل بالقراغ منه وافتتاحه سنة ١٩٠٨ م .

(٧) راعهم : أفرغهم . والمدجج : المسلح .

(١) إِذَا نَارَ فِي يَوْمِ الْوَعَى مَالٌ مِنْكَ * مِنَ الْأَرْضِ وَالْأَطْوَادِ وَأَنْهَالَ مِنْكَ
(٢) لَهُ مِنْ رُؤُوسِ الشُّمِّ فِي الْبَرِّ مَرْكَبٌ * وَمِنْ نَائِرِ الْأَمْوَاجِ فِي الْبَحْرِ مَرْكَبٌ
(٣) فِدَى لَكَ يَا (عَبْدَ الْحَمِيدِ) عِصَابَةٌ * عَصَتْ أَمْرَ بَارِيهَا وَحِزْبٌ مُذَبِّبٌ
مَلَكْتَ عَلَيْهِمْ كُلَّ فِجٍّ وَجَلَّةٍ * فَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَهْرَبٌ
(٤) تَقَاذِفُهُمْ أَيْدِي الْيَلَالِي كَانَهُمْ * بِهَا مَثَلُ النَّاسِ فِي الْقَوْمِ يُضْرَبُ
(٥) وَكَمْ سَأَلُوهَا لَمْ أَذِيَالِكَ الَّتِي * لَهَا فَوْقَ أَجْرَامِ السَّمَوَاتِ مَسْحَبٌ
فَمَا بَلَّغُوا سُؤْلًا وَلَا بَلَّغُوا مَنًى * كَذَلِكَ يَشْقَى الْخَبَائِنُ الْمُتَقَلِّبُ
(٦) فَيَا صَاحِبَ الْعِيدَيْنِ لَا زِلْتَ سَالِمًا * هَيْنَكَ بِالْعِيدَيْنِ شَرْقٌ وَمَغْرِبٌ
فَفِي كُلِّ رَوْضٍ مِنْكَ طِيبٌ وَنَضْرَةٌ * وَفِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْكَ عِيدٌ وَمَوْكَبٌ
(٧) أَرَى يَمْضِرَ وَالْأَنْوَارُ : مِنْهَا مُورِدٌ * وَمِنْهَا الْجَيْنِيُّ ، وَمِنْهَا مُدْهَبٌ
(٨) وَأَشْكَالُهَا شَتَّى فَهَذَا مَنْظَمٌ * وَذَلِكَ مَشُورٌ وَذَاكَ مُقَبِّبٌ

- (١) الوعى : الحرب لما فيها من الأصوات والجليلة . ومنكب من الأرض ، أى ناحية منها .
والأطواد : الجبال العظيمة ، الواحد طود (فتح الطاء) . والمعنى أن الأرض تيمد بهذا الجيش
لكثرة وعدته . (٢) الشم : الجبال العالية ، واحدها : أشم .
(٣) يشير الى حزب تركيا الفتاة الذى كان يعارض السلطان عبد الحميد فى سياسته .
(٤) تقاذفهم ، أى تقاذفهم فى تسيدهم فى البلاد بالأمثال السائرة بين الناس
من لسان الى لسان . (٥) سألوها ، أى سألوا اليبالى . وأجرام السموات : أفلاكها .
والمسحب : المكان الذى تسحب عليه الأذيال . (٦) يريد « بالعيدين » : عيد جلوس السلطان
وعيد تأسيس الدولة العثمانية . (٧) الجينى : نسبة الى الجين ، وهو القصة . (٨) المقبب :
المصنوع على أشكال القباب .

(١) وَبَعْضٌ تَجَلَّى فِي مَصَابِيحَ، زَيْتُهَا * يُضِيءُ وَلَا نَارَ وَبَعْضٌ مَكْهَرَبٌ
(٢) وَأَنْظُرُ فِي بُسْتَانِهَا النُّجُومَ مُشْرِقًا * فَهَلْ أَنْتَ يَا بُسْتَانَ أَفْقٍ مَكْوَبٌ
(٣) وَأَسْمَعُ فِي الدُّنْيَا دُعَاءَ بَنَصْرِهِ * يَرُدُّهُ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَيَثْرِبُ

تهنئة جلالة ادوارد السابع بتتويجه^(٤)

[نشرت في ٩ أغسطس سنة ١٩٠٢ م]

(٥) تَحْتَ مِنْ مِصْرَ ذَاكَ التَّاجَ وَالْقَمَرَ * فَقُلْتُ لِلشَّعْرِ هَذَا يَوْمٌ مِنْ شَعْرًا
(٦) يَادُولَةً فَوْقَ أَعْلَامٍ لَهَا أَسَدٌ * تَحْشَى بَوَادِرَ الدُّنْيَا إِذَا زَارًا
(٧) بِالْأَمْسِ كَانَتْ عَلَيْكَ الشَّمْسُ ضَاحِيَةً * وَالْيَوْمَ فَوْقَ ذُرَاكِ الْبَدْرِ قَدْ سَفَرَا
(٨) يُؤْوِلُ عَرْشُكَ مِنْ شَمْسٍ إِلَى قَمَرٍ * إِنَّ غَابَتِ الشَّمْسُ أَوَّلَتْ تَاجَهَا الْقَمَرَا
(٩) مَنْ ذَا يُنَاوِيكَ وَالْأَقْدَارُ جَارِيَةً * بِمَا تَشَائِنَ ، وَالدُّنْيَا لِمَنْ قَهَرَا

- (١) يريد بقوله : « يضيء ولا نار » : أن هذا الزيت صاف براق . (٢) المكوكب : ذوا الكواكب . (٣) البيت العتيق : الكعبة . ويثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٤) ولد ادوارد السابع في سنة ١٨٤١ م ، روى الملك في يناير سنة ١٩٠١ م ، وتوفي في سنة ١٩١٠ م .
(٥) يريد « بالقمر » : صاحب التاج - وشعر ، أى قال الشعر . (٦) الأسد : الدولة الإنجليزية ، كما جعل النسر شعار الدولة الألمانية ، والهلال شعار الدولة العثمانية ، وغير ذلك .
والبوادر : جمع بادرة ، وهى ما يبدو من الشر . أى يسبق منه عند الحدة والغضب . (٧) يريد « بالشمس » : الملكة فكتوريا ملكة الإنجليز . والنرا : جمع ذروة ، وهى ما ارتفع من المواضع . ويريد « بالبدر » : ابنا الملك ادوارد السابع . وسفر : ظهر وانكشف . (٨) أولت : أعطت .
(٩) المناوأة : المعاداة والمعارضة .

- (١) اذا أَبَسَمْتِ لَنَا فَالْدَهْرُ مُبْتِمٌ * وَإِنْ كَثُرَتْ لَنَا عَنْ نَابِهِ كَثْرًا
لَا تَعَجَبِي لِمَلِكٍ عَنْ جَانِبِهِ * لَوْلَا التَّعَاوُنُ لَمْ تَنْقُزْهُ أَثَرًا
(٢) مَائِلٌ رَبُّكَ عَرِشًا بَاتَ يَحْرُسُهُ * عَدْلٌ ، وَلَا مَدَّ فِي سُلْطَانٍ مَنْ غَدَرَا
(٣) خَبَرْتُهُمْ فَرَأَيْتُ الْقَوْمَ قَدْ سَبَرُوا * عَلَى مَرَاقِبِهِمُ وَالْمَلِكُ قَدْ سَبَرَا
(٤) تَشَاوَرُوا فِي أُمُورِ الْمَلِكِ مِنْ مَلِكٍ * إِلَى وَزِيرٍ إِلَى مَنْ يَفْرِسُ الشَّجَرَا
وَكَانَ فَارِسُهُمْ فِي الْحَرْبِ صَاعِقَةً * وَدُو السِّيَاسَةِ مِنْهُمْ طَائِرًا حَذَرَا
(٥) بِالْبَرِّ صَافِنَةً دَاسَتْ سَنَائِكُهَا * مَنَاجِمَ التَّيْرِ لَمَّا عَافَتْ أَلَمَدَا
(٦) وَفِي الْبَحَارِ أَسَاطِيلُ إِذَا غَضِبَتْ * تَرَى الْبَرَائِكِينَ فِيهَا تَقْنِفُ الشَّرَا
(٧) وَهِنَّ فِي السَّلْمِ وَالْإِيَّامِ بِاسْمَةٍ * عَرَائِسُ يَكْتَسِينَ الدَّلَّ وَالْحَقَرَا
(٨) حَتَّى إِذَا تَشَبَّهَتْ حَرْبٌ رَأَيْتَ بِهَا * أَغْوَالَ قَفِيرٍ وَلَكِنْ تَهْشُ الْحَجَرَا

(١) كثر عن نابه : كشف عنه وأبداه ؛ وهو مستعمل هنا في معنى التشر والفضب .

(٢) ثل الله عرشهم ، أى هدم ملكهم وأذهب عزهم .

(٣) المراقق : المنافع والمصالح . والمالك (يتسكن اللام) : لغة في الملك (بكسرهما) .

(٤) من يفرس الشجر ، أى القلاح .

(٥) الصافنة : الخيل . والشافن منها : ما قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الزاوية ، وهو من الصفات المحبودة فيها . والسنايك : أطراف الخوافر ، الواحد : سنيك (يضم السين والباء) . والملا : التراب المطبد . يريد أن جيوشهم ملكت من الأرض أغناها وأكثرها ثروة حتى إن خيولهم تدرس ما تضمنت الأرض من ذهب ، لكثرة ما في أيديهم من الأماكن الغنية ، وكثرة أن تدرس التراب .

(٦) شبه سفنهم في الحرب ببرائكين النار . (٧) الخفر (بالتحريك) : شدة الحياء .

(٨) الأغوال : جمع غول ، شبه بها ما ترميه السفن من القذائف .

(١) اليوم يُشْرِقُ «إِدْوَارُ» على أَسْمِ * كَانَهَا الْبَحْرُ بِالْأَذَى قَدْ زَنَرَا
 (٢) لو أَمْطَرَ الْفَيْثُ أَرْضًا تَسْتَظِلُّ بِهِمْ * عَدَتْ رُءُوسَهُمْ عَنْ وَجْهِهَا الْمَطَرَا
 (٣) اليومَ يَلِثُ تَاجُ الْعِزِّ مُحْتَشِمًا * رَأْسًا يُدْبِرُ مُلْكًا يَكْلَأُ الْبَشَرَا
 (٤) بِصَرْفِ الْأَمْرِ مِنْ مِصْرِ إِلَى عَدَنِ * فَالْهِنْدِ فَالْكَلْبِ حَتَّى يَغْبِرَ الْجُزْرَا
 (٥) قَدْ سَالَمَتْهُ اللَّيَالِ حِينَ أَنْجَزَهَا * عَقْدًا لِحَلِّ أَوْ تَقْوِيمِ مَا أَطْرَا
 (إِدْوَارُ) دُمْتَ وَدَامَ الْمُلْكُ فِي رَغَدٍ * وَدَامَ جُنْدُكَ فِي الْآفَاقِ مُتَّصِرَا
 (٦) حَقَنْتَ بِالصِّلَحِ وَالرَّأْيِ السَّيِّدِ دَمًا * رَوَى الشُّعَابَ وَرَوَى الصَّارِمَ الذِّكْرَا
 هُمْ يَذْكُرُونَكَ إِنْ عَدُّوا عُدُوهُمْ * وَنَحْنُ نَذْكُرُ إِنْ عَدُّوا لَنَا (عُصْرَا)
 (٧) كَأَنَّمَا أَنْتَ تَجْعَزِي فِي طَرِيقَتِهِ * عَدْلًا وَحِلْمًا وَإِقَامًا بَيْنَ أَشْرَا

(١) أذى البحر : موجه ، وجمعه : أواذى (بتشديد الواو) . شبه به الأم التي تحت سلطان التاج البريطاني في كثرتها . (٢) «عدت رؤوسهم» اطلع . أى صرفت رؤوسهم المطر عن وجه الأرض . يفهم بكثرة العدد ، حتى إنهم لكثرهم يحجبون وجه الأرض برؤوسهم فلا يسه المطر . (٣) محتشما ، أى مستحيا . ويكلا : يحفظ ويحرس . (٤) بصرف الأمر : يدبره ويقبله كما يشاء . (٥) أطره ، عزبه وثناه . والمعنى أن الدهر قد صالحه وسالمه حين لم يقدر على تناوئته ومعارضته فيما أراد . (٦) يقال : حقن فلان دم فلان ، إذا حل به القتل فأقتله . ويريد «بالشعاب» : الطرق ، الواحد : شعب (بكسر الشين) ، وهو في الأصل : الطريق في الجبل . والصارم الذكر : السيف الذي شفرته من الحديد الذكر ، ومنته من الحديد الأنثى . والحديد الذكر : هو أيس الحديد وأجوده . ويشير بهذا البيت إلى الصلح في الحرب التي كانت بين البوير والإنجليز ، وقد ابتدأت في سنة ١٨٩٩م وانتهت في سنة ١٩٠٢م وهي السنة التي قال فيها الشاعر قصيدته في توديع إدوارد السابع . (٧) أشر بأشر (من باب فوح يفرح) : بطر ، يريد العامى المتمرد .

إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده^(١)

قالها في سفره إلى بعض بلاد الوجه البحري وكان مصاحبا له في هذا السفر

صَدَفْتُ عَنِ الْأَهْوَاءِ وَالْحُرِّ يَصْدِفُ * وَأَنْصَفْتُ مِنْ نَفْسِي وَذُو اللَّبِّ يَنْصِفُ^(٢)
 صَحِبْتُ أَلْهَدَى عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً * قَقَرَّ يَقِينِي بَعْدَ مَا كَانَ يَرْجِفُ^(٣)
 فَرَحْتُ فِي نَفْسِي مِنَ الْيَأْسِ صَارِمٌ * وَعُدْتُ فِي صَدْرِي مِنَ الْحِلْمِ مُضْحَفُ
 وَكُنْتُ كَمَا كَانَ (أَبْنُ عِمْرَانَ) نَاشِئًا * وَكَانَ كَنًى فِي (سُورَةِ الْكَهْفِ) يُوصَفُ^(٤)
 كَأَنَّ فِئَادِي لِإِبْرَةٍ قَدْ تَمَغَطَسَتْ * بِحُبِّكَ أَوْ حُرْفَتْ عَنْكَ تَعَطَّفُ^(٥)
 كَأَنَّ بَرَاعِي فِي مَدِيحِكَ سَاجِدٌ * مَدَامُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَذَرِفُ^(٦)
 كَأَنَّكَ وَالْأَمَالُ حَوْلَكَ حُومٌ * تَمِيرُ عَلَى عِطْفِيهِ طَيْرٌ تَرْفِفُ^(٧)
 وَأَزْهَرَ فِي طَرِيسِي بَرَاعِي وَأَتَمَّلِي * وَلَقَطِي فَبَاتَ الطَّرْسُ يُمْنِي وَيَقْطِفُ^(٨)

- (١) انظر التعريف بالأستاذ الإمام في الحاشية رقم ٣ ص ٤ من هذا الجزء . (٢) صدفت : أعرضت وصددت . (٣) يرحف : يضطرب . ويشير بهذا البيت إلى قصة سمعناها منه وهي أن حافظا كان يظن بالأستاذ الإمام أنه شاك في عقيدته الدينية غير قائم بالشعائر الإسلامية من صلاة وصوم ونحوهما فلما صحبه في هذا السفر واصل به تلك الملة المذكورة كان يراه في الليل يكثر الصلاة والتضرع لله تعالى مبالغا في كثرة ذلك عن حوله ؛ فأحسب الشاعر اعتقاده بالأستاذ الإمام وأيقن أنه كان على خطأ في ظنه الأول به ؛ ثم اهتدى بهديه ، وبذل شكه يقينا . (٤) يشير إلى قصة نبي الله موسى الكليم مع الخضر عليهما السلام ، وإكثار موسى على الخضر في الأسئلة ؛ وقد ذكرنا ذلك في سورة الكهف . (٥) تعطف : ترجع . (٦) تذرف : تيل . (٧) الحزم من الطيور : التي تدور حول الماء . الواحد : حاتم . والنير : الماء . التاجع في الزى . والمطفان : الجانيان . (٨) أزهر : أخرج الزهر . والطرس : الصحيفة التي يكتب فيها .

(١) وَجَمَعَ مِنْ أَنْوَارِ مَدْحِكَ طَاقَةً * يُطَالِمُهَا طَرْفُ الرَّيْسِجِ فَيُطَرْفُ
(٢) تَهَادَى بِهَا الْأَرْوَاحُ فِي كُلِّ مُخَصَّرَةٍ * وَتَمَشَّى عَلَى وَجْهِ الرِّيَاضِ فَتَعْرِفُ
(٣) إِمَامَ الْمُهْدَى لَمَّا أَرَى الْقَوْمَ أَبْدَعُوا * لَمْ يَدْعَا عَنْهَا الشَّرِيعَةُ تَعْرِفُ
رَأَوْا فِي قُبُورِ الْمَيِّتِينَ حَيَاتَهُمْ * فَقَامُوا إِلَى تِلْكَ الْقُبُورِ وَطَوُّوا
(٤) وَبَاتُوا عَلَيْهَا جَائِمِينَ كَأَنَّهُمْ * «عَلَى صَنِمٍ لِلْجَاهِلِيَّةِ عُكَّفُ»
فَأَشْرَقَ عَلَى تِلْكَ النَّفُوسِ لَعَلَّهَا * تَرَقُّ إِذَا أَشْرَقَتْ فِيهَا وَتَلَطَّفُ
(٥) فَأَنْتَ بِهِمْ كَالشَّمْسِ بِالْبَحْرِ لَمَّا * تَرَدُّ الْأَجَاجُ الْمِلْحَ عَذْبًا فَيُرَشَفُ
(٦) كَثِيرُ الْأَيْدَى، حَاضِرُ الصَّفْحِ، مُنْصَفٌ * كَثِيرُ الْأَعْدَى، غَائِبُ الْحَقْدِ، مُسَعِفٌ

(١) الأنوار: جمع نور (يفتح النون)، وهو الزهر . والطاقة : الحزمة من الزهر . ويطالها طرف
الريبع، أى تنظر إليها عينه . فيطرف، أى يصاب بما يؤذيه ؛ يقال : طرف فلان عين فلان ،
إذا أضاها بشئ، فدمعت ؛ وقد طرفت عينه (منبأ للجهول) فهى مطروقة . يريد أن مدحه للاستاذ
الإمام يفوق أزهار الربيع حسنا ، فإذا نظر إليه الربيع ارتد طرفه عنه حسرا .

(٢) تهادى ، أى تهادى . والتهادى : المشى فى لين وثقل ؛ ويجوز أن يكون التهادى (هنا) من
الإهداء ، أى أن الرياح تحمل طيب هذه الطاقة فيهدى بعضها بعضا به . والسحرة : أول وقت السحر .
وتعرف (بضم الراء) ، أى تصير ذات عرف (يفتح العين وسكون الراء) ، أى رائحة طيبة ؛ أى أن
الرياح تمر على الرياض حاملة طيب هذه الطاقة فتعطر الرياض به . (٣) أبعدوا : أهدوا .
وتعرف (بضم الزاى وكسرهما) : تنصرف وتعرض . (٤) جاثمون : ملازمون لها لم يهرحوا ؛
وفعله من باب (نصر وضرب) . وقوله : «على صنم» الخ : يجزيت من نصيدة للقرزوق ، وقوله :

لقد علم الجيران أن قدورنا

ترى حولن المقتيرين كأنهم

والعكف : الماكفون ، من عكف على الشئ ، إذا لزمه وحبس نفسه عليه .

(٥) بهم ، أى فيهم . ويشير إلى ما هو معروف من تجمد ماء البحر بحرارة الشمس وصبر ووة هذا
البنار صعبا ، ثم مطرا . والأجاج من الماء : الشيد الملوحة . ويرشف ، أى يشرب . وأصل الرشف :
مض الماء بالشفتين . (٦) الأيدى : النعم . وغائب الحقد : لا يحقد على أحد .

له كل يوم في رضى الله مَوْقِفٌ * وفي ساحة الإحسان والبر مَوْقِفٌ
 تَجَلَّى (جمال الدين) في نور وجهه ^(١) وأشرق في أنشاء برديه (أخف)
 رأيتك في الإقتناء لا تُغْضِبُ أحبا * كأنك في الإقتناء والعلم (يوسف) ^(٢)
 فانت لها إن قام في الشرق مُرْجِفٌ * وانت لها إن قام في الغرب مُرْجِفٌ ^(٣)
 كملت كمالا لو تناول كُفْرَه * لأصبح إيمانا به يُخَفِّفُ ^(٤)



وقال يهنته بعودته من سياحته في بلاد الجزائر :

[نشرت في ٦ أكتوبر سنة ١٩٠٢ م]

بَكْرًا صَاحِبِي يَوْمَ الْإِيَابِ * وَفَقَايَ (بَيْتِ شَمْسٍ) قِفَايَ
 إِنِّي وَالَّذِي يَرَى مَا يَنْفِسِي * لَمَشُوقٌ لِيْظَلَّ تِلْكَ الرَّحَابِ ^(٥)

- (١) يشير الى أستاذ المدوح الشيخ جمال الدين الأنثاني العالم الفيلسوف المعروف ، ورد مصر في زمن إسماعيل باشا ، وتلقى عليه العلم أذكياء الطلاب بالأزهر ، ومنهم الأستاذ المدوح ، فكانوا دعاة النهضة الحديثة وهدايتها . ويريد بالأخف : الأخف بن قيس القيس ، وكان من سادات التابعين ، مشهورا بالحلم ، وأسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه ، وشهد بعض الفتوحات ، وتوفي حوالي سنة سبع وستين .
- (٢) الجفا : العقل . يريد أن الأستاذ الإمام وفق بين الدين والعقل في فتاويه . ويوسف ، هو نبي الله يوسف الصديق عليه السلام ؛ ويشير الى قوله تعالى في سورة يوسف : (ولما بلغ أشده آتيناها حكما وعلمنا) الآية .
- (٣) لها ، أى لمة الإسلام . والمرجف : الذى يخوض في الأخبار السيئة على أن يوقع في الناس الاضطراب من غير أن يصح عنده شئ . منها . (٤) يخفف به : يتعب به . يشير الى ما هو مأثور في كلام القرس من قولهم : كل شئ يتناول الليل يخول الى علة ، وكذلك العكس ، فكل شئ يتناوله الصحيح يخول الى صحة ، والكامل لما يتناول الكفر صار إيمانا . وكان الأستاذ الإمام كثيرا ما يردد هذه العبارة . ويريد الشاعر أن كمال الأستاذ الإمام لو تناول كفر هذا المرجف لصير إيمانا .
- (٥) الذى يرى ما بنفسه هو الله تعالى .

يا أَمِينًا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْإِفْ * سَاءَ وَالشَّرْعَ وَالْهُدَى وَالْكَتَابَ
 أَنْتَ نِعَمَ الْإِمَامُ فِي مَوْطِنِ الرَّأ * يَ وَنِعَمَ الْإِمَامُ فِي الْمِحْرَابِ^(١)
 خَشَعَ الْبَحْرُ إِذْ رَكِبْتَ جَوَارِيهِ * بِهْ خُشُوعَ الْقُلُوبِ يَوْمَ الْحِسَابِ^(٢)
 وَبَدَأَ مَاؤُهُ نَحَاطِرَكَ الْمَصَّ * تَحُولِ أَوْ كَالْفِرْنِذِ أَوْ كَالسَّرَابِ^(٣)
 يَتَجَلَّى كَأَنَّهُ صُحُفُ الْأَبِّ * رَارٍ مَشْشُورَةٌ بِيَوْمِ الْمَلَأَبِ^(٤)
 عَلِمْتَ مَنْ يُقَالُ فَاثْبَثَتْ لَدِ * قَصْدٍ مِثْلَ أَنْبِغَانِهِ لِلثَّوَابِ^(٥)
 فَهِيَ تَسِيرُ كَأَنهَا دَعْوَةُ الْمُضْ * طَرَفٌ فِي مَسْبَحِ الدُّمَاءِ الْجَبَابِ^(٦)
 وَضِيَاءُ (الْإِمَامِ) يُوضِحُ لِلرُّبَّسَانِ سُبُلَ النِّجَاةِ فَوْقَ الْعُبَابِ^(٧)
 بَاتَ يُغْنِيهِ عَنْ مُكَافَةِ الْبَحْرِ * بِرِ وَرُقْبَى النُّجُومِ وَالْأَقْطَابِ^(٨)
 وَسَرَى الْبَرْقُ لِلْجَزَائِرِ بِالْبُشْ * سَرَى بِقُورِبِ الْمُطَهَّرِ الْأَوَابِ^(٩)
 فَسَعَى أَهْلُهَا إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ * بِرِ وَنُودًا بِالْبُشْرِ وَالتَّرْحَابِ^(١٠)
 أَدْرَكُوا قَدْرَ ضَيْفِهِمْ فَأَقَامُوا * يَرْقُبُونَ (الْإِمَامَ) فَوْقَ السَّحَابِ^(١١)

- (١) الجوارى : السفن . (٢) المصقول : المجلز . وفرد السيف : ماؤه الذى يترقق فيه ؛ وهو فارسي معرب . والسراب : ما يرى على البعد في نهاية الأفق كأنه الماء وليس به . شبه الشاعر به ماء البحر في الصفاء . (٣) المأب : المريع ، ويوم المأب ، أى يوم القيامة . شبه ماء البحر بصحف الأبرار في الصوع والبقاء . (٤) علمت ، أى السفينة . وتقل : تحمل . (٥) مسبح الدعاء ، أى طريقته . (٦) عباب البحر : موجه . (٧) الرقبي : المراقبة . (٨) الأتواب : الكثير الرجوع إلى الله ، (٩) يشير بهذا الكلام إلى ما ذهب إليه بعض الشيعة من أن محمد بن الحنفية سيرجع إليهم في نلال من النمام ؛ فنه الأستاذ الإمام به .

لَيْتَ مِصْرًا كَغَيْرِهَا تَعْرِفُ الْفَضْلَ * لَلَّذِي الْفَضْلُ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ
 لَهَا لَوْ دَرَّتْ مَكَانَكَ فِي الْحَجَّةِ * يَدِ وَمَرَمَاكَ فِي صُدُورِ الصَّعَابِ
 (١)
 وَتَفَانِيكَ فِي سَبِيلِ (أَبِي حَفْصَ) * وَمَسْعَاكَ عِنْدَ دَفْعِ الْمَصَابِ
 لَا ظَلَمْتَكَ بِالْقُلُوبِ مِنَ الشُّنَّةِ * سِيسِ وَوَارَتْ عِدَاكَ تَحْتَ التُّرَابِ
 أَنْتَ عَلَّمْتَنَا الرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ * وَرَدَّ الْأُمُورِ لِلْأَسْبَابِ
 (٢)
 ثُمَّ أَشْرَقَتْ فِي (الْمَنَارِ) عَلَيْنَا * بَيْنَ نُورِ الْهُدَى وَنُورِ الصَّوَابِ
 (٣)
 فَقَرَأْنَا عَلَى ضِيَائِكَ فِيهِ * كَلِمَاتِ الْمُهِمِّينَ الْوَهَابِ
 (٤)
 وَسَكَنَّا إِلَى الَّذِي أُنْزَلَ اللَّهُ * لَهُ وَكُنَّا مِنْ قَبْلِهِ فِي أَرْتِيَابِ
 أَيُّهَا الْإِمَامُ أَكْثَرَتْ حُسَا * دِي فَبَاتَتْ نُفُوسُهُمْ فِي الْتِهَابِ
 أَبْصَرُوا مَوْفِقِي فَعَزَّ عَلَيْهِمْ * مِنْكَ قُرْبِي وَمِنْ عِلَاكَ أُنْتِسَابِي
 (٥)
 أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً وَبَاتُوا * يُسْمِعُونَ الْوَرَى طَيْنِ الدُّبَابِ
 (٦)
 وَتَسُوسُوا رَبَّهُمْ وَقَالُوا ضَمِنَا * بَعْدَهُ عَنْ رِحَابِ ذَاكَ الْجَنَابِ

-
- (١) « وتفانيك في سبيل أبي حفص » ، أي أسماتك في نصرة الحق ، وهو سبيل أمير المؤمنين
 عمر بن الخطاب . (٢) يريد (مجلة المنار) المعروفة ، التي كان يحررها المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا
 تلميذ الأستاذ الإمام ، وقد أنشئت هذه المجلة في سنة ١٣١٥ هـ (سنة ١٨٩٨ م) .
 (٣) يشير بذلك إلى ما كان ينشر في (مجلة المنار) من تفسير الأستاذ الإمام لبعض آيات القرآن
 الكريم . (٤) سكن إلى الأمر : اطمان إليه ووثق به .
 (٥) أجمعوا أمرهم عشاء ، أي يتو النية على الكيد والوشاية .
 (٦) يريد جناب الأستاذ الإمام .

(١) قُلْ لَجَمْعِ الْمُنَافِقِينَ وَمِنْهُمْ * خُصَّ بِالْقَوْلِ عَبْدٌ أَمَّ الْحَبَابِ
(٢) عَبْدَ تَلَكَ أَلَّتِي يُحَرِّمُهَا اللَّهُ * هُ إِزَاءَ الْأَزْلَامِ وَالْأَنْصَابِ
(٣) إِنْ نَقَسَ الْإِمَامُ فَوْقَ مُنَاهُمْ * مَا تَمَنَّسُوا وَأَتَى غَيْرُ صَائِي
شَابَ فِيهِمْ وَلَا تُهْمَ حِينَ شَابُوا * وَوَلَائِي فِي عُتُقَانِ الشَّيَابِ

++

وقال فيه عند عودته من بعض أسفاره :

(٤) لَوْ يَنْظِمُونَ إِلَّا كِي مِثْلَ مَا نَظَّمْتُ * مُذْ غَبَتَ عَنَّا عُيُونُ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ
(٥) لَا قَبْرَ الْجِدِّ مِنْ دُرٍّ يُحِيطُ بِهِ * وَالْفُتُورِ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَالْكَأْسِ مِنْ حَبِّبِ

++

وقال مدافعا عنه أيضا ضد من حمل عليه من أعدائه في الصحف
ورسموا له صورا ترزى بقدره :

إِنْ صَوَّرُوكَ فَلَا تَمَّا قَدْ صَوَّرُوا * تَابَ الْفَخَّارِ وَمَطْلَعُ الْأَنْوَارِ

(١) أم الحباب : نكابة عن الخمر . والحباب : الفقائع التي تملأ الشراب في الكأس . ويريد « بعد أم الحباب » : أحد الساعين في التفريق بينه وبين الأستاذ الإمام ، وكان مدمنا للخمر .
(٢) إزاء الأزلام ، أى معها . والأزلام : سهام الميسر ، الواحد زلم (بالتحريك) . والأنصاب : ما ينصب من الأوتان لعبد من دون الله ، الواحد نصب (وزان عتق وقفل) . ويشير بهذا الى قوله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام) الآية . (٣) صائى ، أى صائى (بالهمز) ، وهو الخارج من دين الى دين ؛ واستعمله هنا فى المتحول عن مودته . (٤) يريد « يعيون الفضل والأدب » : ما كان يحبه الأستاذ الإمام فى غيبه من مقالات وخطب . (٥) الجيد : العتيق . وحبيب الكأس : الفقائع التي تملأ شراب . والمراد بهذا البيت والذي قبله أن الناس لو أرادوا أن ينظموا مثل ما نظمت فى خطبك ورسائلك لم يجدوا غير در النحور ولأكل النور وحبيب الكؤوس شيئا بما قلت ، ولاستغنى نظمهم كل ذلك .

أَوْ نَقْصُوكَ فَإِنَّمَا قَدْ نَقَّصُوا * دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ
 سَخَرُوا مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي أُوتِيَتْهُ * وَاللَّهُ يَسْخَرُ مِنْهُمْ فِي النَّارِ
 لَا تَجْزَعَنَّ فَلَسْتَ أَوَّلَ مَا جِدَ * كَذَبَتْ عَلَيْهِ صَحَائِفُ الْفُجَّارِ
 رَسَمُوا بِذَلِكَ لِلنَّوَاطِرِ جَنَّةَ * عَفُوفَةَ بِمَكَارِهِ الْأَشْعَارِ^(١)
 وَقَوْلُوا عَنْكَ الْقَبِيحَ وَهَكَذَا * يُنَنِّي الْكَرِيمُ بِغَارَةِ الْأَنْشَارِ^(٢)
 لَنْ يَجْجُوكَ عَنِ الْوَرَى أَوْ يَجْجُوا * فَلَقَّ الصَّبَاحُ وَمَشَرَاقَ الْأَقَارِ^(٣)
 أَوْ يَلْفُوا عَلَيْكَ حَتَّى يَلْفُوا * يَنْ الزَّوَاهِرِ صُورَةَ الْجَبَّارِ^(٤)
 مَا أَنْتَ ذِيكَ الْبَيْضُ فَتَلْنِي * مُتَسَرِّبًا بِالْعَارِ فَوْقَ الْعَارِ^(٥)
 لَعِبُوا بِهِ فِي صُورَةٍ قَدْ أَسْفَرَتْ * عَنْ عَزْلِهِ فَأَقَامَ حِلْسَ الدَّارِ^(٦)

(١) يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم : « حفت الجنة بالمكاره » . شبه صورة الإمام في مصحف أهدائه وما كتبه حولها من مستكره المجهز بالجنة التي حفت بالمكاره . (٢) يقال : تقول عليه الخير، اذا افتراه . ويعنى : يتل ويصاحب . (٣) أرى يجبروا، أى حتى يجبروا . وعلق الصباح : ضوؤه أول ما يبدو . (٤) الزواهر : النجوم . والجبار : اسم الجوزاء ؛ يقال : « طلع الجبار » وذلك لأنها على صورة ملك متوج على كرسى . (٥) المتسريل : اللابس . (٦) حلس الدار : الذى يلزمها ولا يرحها . ويشير الى أنهم كانوا قد رسموه على صورة تشعرائه قد منزل من منصب الإفتاء وأقام فى داره . واستعماله « أسفرت » بمعنى « سفرت » ، أى كشفت وأظهرت ، لم يرد فى كتب اللغة التى بين أيدينا ؛ وهو استعمال شائع بين كتاب المعصر . والذى فى كتب اللغة أن « أسفر » بمعنى أضاء وأشرق ؛ وليس مرادها هنا .

تهنئة الخديوى عباس الثانى بعيد الأضحى سنة ١٣٢١ هـ

[نشرت في ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٤ م]

- (١) طُفْ بِالْأَرِيكَ ذَاتِ الْعِزِّ وَالشَّانِ * وَأَقِصْ أَلْمَاسِكَ عَنْ قَاصٍ وَعَنْ دَانِي
(٢) يَا عَيْدُ لَيْتَ الَّذِي أَوْلَاكَ نِعْمَتَهُ * بِقُرْبٍ صَاحِبٍ مِصْرٍ كَانِ أَوْلَانِي
(٣) صُفْتُ الْقَرِيضَ فَمَا غَادَرْتُ لُؤْلُؤَهُ * فِي تَاجٍ (كَسْرَى) وَلَا فِي عَقْدٍ (بُورَانِ)
(٤) أَغْرَيْتُ بِالْفَوْصِ أَقْلَامِي فَمَا تَرَكْتُ * فِي جِلَّةِ الْبَحْرِ مِنْ دُرٍّ وَمَرْجَانِ
(٥) شَكَأَ (عُمَانُ) وَصَحَّ الْغَائِصُونَ بِهِ * عَلَى الْآلِي وَصَحَّ الْحَاسِدُ الشَّانِي
(٦) كَمْ رَامَ شَاوِي فَلَمْ يَذْرِكْ سِوَى صَدْفٍ * سَاحَتْ فِيهِ لِنَظَامٍ وَوَزَانِ
(٧) حَابُوا مُكُوتِي وَلَوْلَاهُ لَمَا نَطَقُوا * وَلَا جَرَّتْ خَيْلُهُمْ شَوْطًا بِمَيْدَانِ
وَالْيَوْمَ أَنْشِدُهُمْ شِعْرًا يُعِيدُهُمْ * عَهْدَ (النَّوَاسِي) أَوْ أَيَّامَ (حَسْبَانِ)

(١) الأريكة : سرير الملك . وقد شبه في هذا البيت ما يؤديه المخلصون للخديوى من شعائر الولاء بالذين يؤدون مناسك الحج . ومناسك الحج : أموره وشؤونه ، أو المواضع التي تدبج فيها ذبايحهم .
(٢) أولاك : أعطاك . (٣) كسرى : لقب ملك الفرس . وبوران ، هى بوران دخت بنت كسرى ؟ أو هى بوران بنت الحسن بن مهمل . شبه شعره بالآلى التى فى هذا التاج وذلك القصد .
(٤) أغراه به : حظه عليه . (٥) عمان ، كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند يجلب منها اللؤلؤ . يقول : إن مناص اللؤلؤ بهذا الموضع ومن يفوصون به قد شكوا وتغيظوا من كثرة ما أناله من الآلى الغالية التي أرفع بها شعرى وأحول بينهم وبينها ؟ وهى مبالغة فى تشبيه شعره بالنفاة . والشانئ بالهمز (وسهل للشعر) : المبغض السيئ الخلق . (٦) الشاؤ : الغاية . ويريد « بالنظام والوزان » : الذين يقولون الشعر خالين من المعانى ذات القيمة . (٧) يريد « بالنواسى » : أبانواس الشاعر المعروف . وحسان ، هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت وفاته سنة أربع وخمسين هجرية .

(١)
أَرْفُ فِيهِ إِلَى (الْعَبَاسِ) غَايَةً * عَفِيفَةً الْجَذْرِ مِنْ آيَاتِ مَدَنَانِ
مِنْ الْأَوَانِسِ حَلَاهَا يَرَاغُ قَتَى * صَافِي الْقَرِيحَةِ صَاحِجٌ غَيْرُ تَشْوَانِ
(٢)
مَا ضَاقَ أَصْغَرُهُ عَنْ مَدْحِ سَيِّدِهِ * وَلَا اسْتَعَانَ بِمَدْحِ الرَّاحِ وَالْبَانِ
(٣)
وَلَا اسْتَهْلَ بِذِكْرِ النِّبِيدِ مِدْحَتَهُ * فِي مَوْطِنٍ يَجَلَلُ الْمُلُوكِ رَيَّانِ
أَغْلَيْتَ بِالْعَدْلِ مُلْكًا أَنْتَ حَارِسُهُ * فَاصْبَحْتَ أَرْضَهُ تُشْرَى بِمِيزَانِ
جَرَى بِهَا الْحِصْبُ حَتَّى أَتَبَّتْ ذَهَبًا * فَلَيْتَ لِي فِي ثَرَاهَا نِصْفَ قَدَانِ
نَظَرْتَ لِلنَّيْلِ فَاهْتَرَّتْ جَوَانِبُهُ * وَفَاضَ بِالْخَيْرِ فِي سَهْلِ وَوِذْيَانِ
(٤)
يَجْرِي عَلَى قَدَرٍ فِي كُلِّ مُنَحَدَرٍ * لَمْ يَحْفُفْ أَرْضًا وَلَمْ يَعْمِدْ لَطْفِيَانِ
كَأَنَّهُ وَرِجَالُ الرِّىِّ تَحْرُسُهُ * مُمْلِكٌ سَارَى جُنْدٍ وَأَعْوَانِ
(٥)
قَدْ كَانَ يَشْكُو ضَيَاعًا مُذْ جَرَى طُلُقًا * حَتَّى أَقَمَتْ لَهُ نَحْرَانَ أُسْوَانِ
(٦)
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ فِي الْقَطْرَيْنِ صَالِحَةٍ * فَاصْبَتْ عَلَيْنَا بِجُودٍ مِنْكَ هَتَانِ

- (١) شبه قصيدته في حسنها وجمالها بالثانية، وهي الفتاة التي غنيت بجمالها عن الخلى. ويريد بقوله: «عفيفة الجذر»: اختصاص مدحته بالخدوى تشبيها لما بالثانية التي لم يطرق خدوها غير حليلها. «ومن آيات عدنان» أى أنها عربية صميمية. (٢) أصغره، أى لسانه. والراح: الخمر. ويريد بقوله: «ولا استعان» الخ. أنه لم يجر على طريقة الشعراء في ابتداء قصائده المدح بوصف الخمر وما إليها. (٣) استهل: ابتداء. والنيد من النساء: النواغم اللينات منهن، الواحدة غادة. (٤) على قدر، أى على حساب ومقدار. ويريد بقوله: «ولم يعمد لطفيان»: أنه لم يفرق البلاد بكثرة فيضانه. ويشير بهذا البيت الى ما يقوم به المهندسون في تدبير ماء النيل. (٥) طلقا (بضم الطاء واللام)، أى مطلقا بلا قيد ولا حبس. (٦) يريد «بالقطرين»: مصر والسودان. وهتان، أى منصب.

(١) رَدَدْتَ مَا سَلَبْتَ أَيْدِي الزَّمَانِ لَنَا * وَمَا تَقَلَّصَ مِنْ ظِلِّ وَسْطَانِ
 (٢) وَمَا قَعَدْتَ عَنِ السُّودَانِ إِذْ قَعَدُوا * لَكِنْ أَمَرْتَ فَلَبَّى الْأَمْرَ جَيْشَانِ
 (٣) هَذَا مِنَ الْغَرْبِ قَدْ سَأَلَتْ مَرَاكِبُهُ * وَذَا مِنَ الشَّرْقِ قَدْ أَوْقَى بَطُوفَانِ
 وَلَا لَكَ رَبُّكَ مُلْكًا فِي رِعَايَتِهِ * وَمَدَّهُ لَكَ فِي خِضْبِ عُثْمَانِ
 (٤) مِنْ كُرْدُفَانٍ إِلَى مِصْرٍ إِلَى جَبَلٍ * عَلَيْهِ كَلَّمَهُ (مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ)
 (٥) فَكُنْ بِمُلْكِكَ بِنَاءَ الرِّجَالِ وَلَا * تَجْعَلْ بِنَاءَكَ إِلَّا كُلَّ مِعْوَانِ
 وَأَنْظُرْ إِلَى أُمَمٍ لَوْلَاكَ مَا طَلَبَتْ * حَقًّا وَلَا شَعَرَتْ حُبًّا لِأَوْطَانِ
 (٦) لَأَذَتْ بِسُدَّتِكَ الْعُلِيَاءَ وَأَعْتَصَمَتْ * وَأَخْلَصَتْ لَكَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ
 (٧) حَسْبُ الْأَرِيكَةِ أَنْ اللَّهُ شَرَّفَهَا * فَاصْبَحَتْ بِكَ تَسْمُو فَوْقَ كَيَوَانِ
 (٨) تَاهَتْ بِتَهْدِ مَلِيكَ فَوْقَ مَفْرِقِهِ * لِلْمَلِكِ مِصْرٍ وَلِلسُّودَانِ تَاجَانِ
 هَذَا هُوَ الْمَلِكُ فَلْيَهْنِ مُمْلَكَهُ :: وَذَا هُوَ الشَّعْرُ فَلْيُنْشِدْهُ أَوْمَاتِي

- (١) تقلص، أي تقبض وتقامصر . (٢) يشير هذا البيت إلى إعادة فتح السودان الذي تم سنة ١٨٩٨ م . ويريد « بالجيوشين » : الجيش المصرى والجيش الانجليزى .
 (٣) أوقى بطوفان، أي جاء بعدد كثير كطوفان الماء . (٤) كردفان : إقليم من السودان معروف . ويريد « بالجبل » : جبل الطور الذى كلم الله نبيه موسى بن عمران عليه السلام فوقه .
 (٥) يقول : هي لشعبك رجالا تعتمد عليهم عند الشدائد ، ولا تعتمد إلا على كل عظيم المعونة منهم .
 (٦) سدتك، أي بابك . (٧) كيوان : اسم زجل بالقارسية ؛ وهو ممنوع من الصرف .
 وإنما أوردته الشاعر هنا مجرورا بالكسر لضرورة القافية . (٨) المرق (يشنع الراى وكثيرها) : وسط الرأس ، وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر .



وقال أيضا يهني سمّوه بالعام الهجري :

[نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٤]

(١) قَصُرْتُ عَلَيْكَ الْعُمَرَ وَهُوَ قَصِيرٌ * وَغَالَبْتُ فِيكَ الشُّوقَ وَهُوَ قَدِيرٌ
(٢) وَأَنْشَأْتُ فِي صَدْرِي لِحُسْنِكَ دَوْلَةً * لَهَا الْحُبُّ جُنْدٌ وَالْوَلَاءُ سَفِيرٌ
فَوَادَى لَهَا عَرْشٌ وَأَنْتَ مَلِكُهُ * وَدُونَكَ مِنْ تِلْكَ الضُّلُوعِ سُتُورٌ
(٣) وَمَا انْتَقَضَتْ بِوَمَا عَلَيْكَ جَوَائِجِي * وَلَا حَلٌّ فِي قَلْبِي سِوَاكَ أَمِيرٌ
كَنْمْتُ فَقَالُوا: شَاعِرٌ يُنْكِرُ الْهَوَى * وَهَلْ غَيْرُ صَدْرِي بِالْفَرَامِ خَيْرٌ
(٤) وَلَوْ شِئْتُ أَذْهَلْتُ النُّجُومَ عَنِ السَّرَى * وَعَطَلْتُ أَفْلاكًا بِهِنَّ تَدُورُ
وَأَشْعَلْتُ جِلْدَ اللَّيْلِ مِثْلَ بَرْقَرَةٍ * غَرَامِيَةِ مِنْهَا الشَّرَارُ يَطِيرُ
(٥) وَلَكِنِّي أَخَفَيْتُ مَا بِي وَإِنَّمَا * لِكُلِّ غَرَامٍ عَذْلٌ وَعَذِيرٌ
أَرَى الْحُبَّ ذُلًّا وَالشَّكَايَةَ ذِلَّةً * وَإِنِّي بَسْتِرُ الدَّلَائِلَ جَدِيرُ
(٦) وَلِي فِي الْهَوَى شِعْرَانِ : شِعْرُ أَذِيعِهِ * وَأَخَرُ فِي طَيِّ الْفُؤَادِ سَيِيرُ
(٧) وَلَوْلَا لِحَاجِ الْحَامِيْدِينَ مَا بَدَأَ * لِمَكْنُونِ سِرِّي فِي الْغَرَامِ حَمِيرُ

- (١) قصرت عليك العمر، أي حبسته على حبك . (٢) الولاء (بفتح الواو) : الإخلاص .
(٣) انتقضت، أي فسدت، كما تنفض الإمارات على أمرائها، أي تخرج عليهم وتنتسب عصا الطاعة .
(٤) السرى : السير بالليل . يقول : إنني لو شئت بثت من اللوعة وحرارة الوجد ما يذهل النجوم
عن سيرها ، ويعطل الأفلاك عن دوراتها ، فتصني لي ، وترثي لوجدى . (٥) العذير : العاذر
والنصير أيضا . (٦) سيرة، أي مستور، فصيل بمعنى مفعول . (٧) اللجاج : التماهى في العناد
والخصومة . يقول : لولا عناد ذوي الحسد والبغضاء لما بدأ بما أكتنمه من غرائى وشوق ما يشعر الناس بهما .

(١) ولا شرعت هذا البراع أنا ملى * لشكوى ولكن البجاج يُشير
 (٢) على أنى لا أركب اليأس مَرَجًا * ولا أكره البأساء حين يُغير
 (٣) فكَم حاد عني الحين والسيف مُصلت * وهان على الأمر وهو عسير
 وكَم لَمعة في غفلة الدهر نَفست * هُموما لها بين الضلوع مَعِير
 فقد يَشْتفى الصَّب السقيم بِزُورَةٍ * وَيَجْبو بَلَقِظ عائرٍ وأَسِير
 عسى ذلك العامُ الجَدِيدُ يَسُرَّنِي * بِبُشرى وهل للبائسين بِشِير؟
 (٤) وَيَنْظُرُنِي رَبُّ الْأَرِيكةِ نَظْرَةً * بها يَجْعَلِي لَيْلُ الْأَسَى وَيُنِيرُ
 (٥) مَلِيكَ إِذا غَنَى الْبِرَاعُ بِمَدْحِهِ * مَرَّتْ بِالْمَعَالِي هِزَّةٌ وَسُرُورُ
 (٦) أَمْوَلَايَ إِكَّ الشَّرْقِ قَدْ لَاحَ نَجْمُهُ * وَأَنِّ لَهُ بَعْدَ الْمَمَاتِ نُشُورُ
 (٧) تَفَاعُلَ خَيْرًا إِذْ رَأَاكَ مُمْلَكًا * وَفَوْقَكَ مِنْ نُورِ الْمُهَيْمِنِ نُورُ
 (٨) مَضَى زَمَنٌ وَالْعَرْبُ يَسْطُو بِحَوْلِهِ * عَلَى وَمَالِي فِي الْأَنَامِ ظَهِيرُ

- (١) يقال : شرع الرخ ، اذا سَدَّه وسَوَّبه . شبه القلم بالرخ في ذلك . ويشير : يهيج .
 (٢) «لا أكبر البأساء» الخ ، أى لا أستعظم الشدة إذا تركت بي ، بل أستبين بها ما أصبر على مضضا .
 (٣) الحين (يفتح الحاء) : الهلاك . والسيف المصلت : المجزؤ من غمده . (٤) رب الأريكة
 هو خديوى مصر . والأريكة : العرش ؛ وأصل معناها السرير المنجد المزين في قبة أو بيت .
 (٥) الهزة (بكسر الهاء) : الأريحية والخفة . (٦) التشور : البعث . (٧) التفاضل :
 من القال (يسكون الهزرة) ، وهو ضد التلير ، فهو فيما يستحب ، أما التلير ، فهو فيما يسوء .
 (٨) هذا البيت والذي بعده على لسان الشرق المتقدم ذكره . ويسطو : يعدو . والحول : القوة .
 والظهير : المعين والصير .

إلى أن أتاح الله للصقر نهضة * فقلت غرارا الخطيب وهو طير^(١)
جرت أمة اليابان شوطا إلى العلا * ومضر على آثارها ستسير^(٢)
ولا يمنع المصير إدراك شأوها * وأنت لطلاب العلا نصير^(٣)
فقف موقف (الفاروق) وانظر لأمة * إليك بجبات القلوب تسير^(٤)
ولا تستشر غير العزيمية في العلا * فليس سولها ناصح ومشير^(٥)
فمرشك محروس وربك حارس * وأنت على ملك القلوب أمير^(٦)

تهنئة الى رفعت بك بوكالته لمصلحة السجون

أهنيك أم أشكو فراقك قائلا * أيا ليتني كنت السجين المصفدا^(١)
فلو كنت في عهد (ابن يعقوب) لم يقل * لصاحبه : أذكرني ولا تنسني غدا^(٢)

- (١) كنى « بالصقر » عن الشرق . وفل السيف : ثم حده . ولقارار : الحد . والطير : المهدد . يقال : طرا ليف ونحوه يطره (من باب نصر) طرا وطرورا ، أى حده .
(٢) الضمير في « شأوها » لأمة اليابان السابق ذكرها . والشاؤ : الغاية .
(٣) الفاروق : أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . (٤) يقول : اذا حاولت أمرا تكون غايته المحبة والعلا فاعله ، ولا تستشر غير منك الوهاب ، ومنك البعيدة الغاية .
(٥) المصعد : المقيد . (٦) يريد بهذا البيت : أن السجناء يتنون بقاءهم في السجن لحسن أخلاقه وجميل عشرته ، فلو تولى السجن في عهد يوسف عليه السلام لأثر البقاء بجانبه في السجن ولم يقل لصاحبه الذي نجا : (أذكرني عند ربك) كما حكى الله تعالى ذلك في القرآن في سورة يوسف .

مدحة كتب بها الى محمد بك هلال^(١)

^(٢) هَجَمْتُ يَا طَيْرٌ وَلَمْ أَهْجِجْ * مَا أَنْتَ إِلَّا عَاشِقٌ مُدْعَى

^(٣) لَوْ كُنْتَ مَنْ يَعْرِفُونَ الْجَوَى * قَضَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ سُهْدًا مَعِي

^(٤) يَا مَنْ تَحَامَيْتُمْ سَبِيلَ الْهَوَى * أَعِيدُكُمْ مِنْ قَلْبِي الْمَضْجَعِ

^(٥) وَحَسْرَةً فِي النَّفْسِ لَوْ قُسِّمَتْ * عَلَى ذَوَاتِ الطُّوقِ لَمْ تَسْجَعِ

وَيَا بَنِي الشُّوقِ وَأَهْلَ الْأَمَى * وَمَنْ قَضَوْا فِي هَذِهِ الْأَرْبَعِ

^(٦) عَلَيْكُمْ مِنْ وَاحِدٍ مُنْعَرِمٍ * نَيْجَةُ الْمُوجَعِ لِلْوَجَعِ

لِلَّهِ مَا أَقْسَى فَوَادَ الدُّبْحَى * عَلَى فَوَادِ الْعَاشِقِ الْمُوَلِّعِ

^(٧) هَذَا غَلِظٌ لَمْ يَرْضَهُ الْهَوَى * مَا بَيْنَ جَنَى أَسْوَدٍ أَسْفَعِ

^(٨) وَذَلِكَ فِي جَنَى قَتَى مُذْنِفٍ * عَلَى سِوَى الرِّقَةِ لَمْ يُطْبَعِ

- (١) هو ابن إبراهيم بك هلال؛ وكان — رحمه الله — شاعرا مجيدا وكاتبا فاضلا، قد اشتغل بالصحافة زمنا غير قصير، وكانت له صحيفة اسمها «التواب»، كما كان واسع العلم بأخبار ما حدث في البلاد في نصف القرن الأخير. وتوفي رحمه الله في ليلة الأحد ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٢ م.
- (٢) الهجوع: النوم بالليل. (٣) الجوى: الحرة وشدة الوجد من عشق أو حزن.
- (٤) تحامى الشيء: تجنبه وبعده. (٥) ذوات الطوق: الحمام؛ والطوق، هو اليأس المحيط بأعناقها. وتسجع: تهدر وتردد أصواتها. (٦) الراجد: ذو الوجد.
- (٧) يشير بقوله: «هذا» إلى «فواد الدبحي» السابق ذكره. وراضه يروضه: ذلله. والأسفع: الشديد السواد؛ يريد الليل. (٨) يشير بقوله: «ذلك» إلى فواد العاشق «السابق ذكره». والمذنف: الذي أثقله المرض المشرف على الموت.

(١)

وَأَغْبِدِ أَسْكَنَهُ فِي الْحَشَا * وَقُلْتُ : يَا نَفْسُ بِهِ فَاغْنِي

نِفَارُهُ أَسْرَعُ مِنْ خَاطِرِي * وَصَدُّهُ أَقْرَبُ مِنْ مَذْمِي

وَحَدُّهُ لَا تَطْغِي نَارُهُ * كَأَنَّمَا يَقْبِسُ مِنْ أَضْلِي^(٢)

تَسَاءَلَتْ عَنِّي نُجُومُ الدُّجَى * لَمَّا رَأَيْتَنِي دَانِيَ الْمَصْرِعِ

قَالَتْ : تَرَى فِي الْأَرْضِ ذَا لَوْعَةٍ * قَدْ بَاتَ بَيْنَ الْيَاسِ وَالْمَطْمَعِ

يَنْتِ كَالْمَقْشُودِ أَوْ كَالَّذِي * أَصَابَهُ سَهْمٌ وَلَمْ يُتْرَجِ^(٣)

إِنْ كَانَ فِي بَذْرِ الدُّجَى هَائِمًا * أَمَا لِهَذَا الْبَذْرِ مِنْ مَطْلَعِ؟

أَوْ كَانَ فِي ظَلِي الْجَمَى مُغْرَمًا * أَمَا لِهَذَا الظِّلِّ مِنْ مَرْتَعِ؟^(٤)

هَيْهَاتَ يَا أَجْجُمُ أَنْ تَقْلَبِي * مُبِيرَ أَشْجَانِي أَوْ تَطْمِي^(٥)

إِنِّي لَضَنَّانٌ بِذِكْرِ أَسْمِي * ضَنْنِي بُوْدُ الْكَاتِبِ الْأَلْمِي^(٦)

الضَّارِبِ الْجُزْيَةَ مُنْذُ أَنْشَى * عَلَى يَرَاعِ الشَّاعِرِ الْمُبْدِعِ

(١) الأغيد : المائل المتى ، اللين الأعطاف ، المتقى لنا ؛ والأثى : غداء .

(٢) قبس النار وأقبسها : أخذ منها قبسا (بالتحريك) ، أى شعلة .

(٣) المقشود : المصاب بفؤاده .

(٤) أرطمعى ، أى تطمعى فى علم ذلك .

(٥) الضنان : الشديد الضن ، وهو البخل . والألمى : الذكى المتوقد ذكاه .

(٦) الجزية : ما يفرض من الضرائب على الروس . ومعنى البيت أن هذا الممدوح قد فرض منذ نشأته

على المبدعين من الشعراء أن يؤدوا إليه من المدح والثناء جزاء بما أسدى إليهم من النعم والآلاء . ولم نجد

قيا راجعناه من كتب اللغة « انتشى » بمعنى نشأ ، كما هو المراد فى هذا البيت .

(١) والحاويل الأَقلامَ مَشْرُوعَةً * كَأَنَّهَا بَعْضُ الْقَنَّا الشُّرْعِ
 (٢) إِذَا دَعَا الْقَوْلُ أَتَى طَائِعًا * وَإِنْ دَعَاهُ إِلَيَّ لَمْ يَسْمَعْ
 (٣) صَحْبُهُ دَهْرًا فَأَلْقَيْتُهُ * قَتَّى كَرِيمَ الْأَصْلِ وَالْمَتَرِجِ
 (٤) مَوَدَّةً كَالنَّخْرِ إِنْ عَقَّتْ * جَادَتْ وَفَضَّلَ بِاسْمِ الْمَشْرِعِ
 (٥) وَعَزَمَةً لَوْ قُسِمَتْ فِي الْوَرَى * بَأْتُوا مِنَ الشُّعْرَى عَلَى مَسْمَعِ

تهنئة (على حيدر بك) بعيد الأضي

وكان مديرا لبني سويف إذ ذاك

لِلَّهِ عِيدٌ كَبِيرٌ * يَزْهُو بُنُورُ جَبِينِكَ
 (٦) لَمْ تَقْتَبِلْهُ النَّبَايَا * إِلَّا لَلِّمْتَ يَمِينِكَ

- (١) المشروعة : المسددة نحو الفرض . والقنن : الزمان ، الواحدة قننة . والشرع ، بمعنى المشروعة .
 (٢) العلى (بالكسر) : الحصر والعجز عن اليان . (٣) المتزعج : الأصل الذي يزعج إليه أى يجذب ويميل ؛ ويقال : «زعج فلان إلى عرق كريم» ، «وزعج إلى أبيه» ، أى مال إليه وأشباهه .
 (٤) انخر المقتبة (بتشديد التاء) : القديمة . والمشرع : المورد الذي يستق منه . (٥) الشعري : كوكب نير يطلع بعد الجوزاء . ومعنى البيت : أن عزيمته لوزعت على الناس لسماها إلى منزلة الشعري .
 ولاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ؛ ولم يتيسر لنا العثور عليه ، فأثبتناها على قصصها .
 (٦) اقتبل الأمر : استقبله .

تهنئة سليمان أباطة باشا^(١)

بإبلاله من مرض ألم به ، وبعرس نجله (على بك)

تَرَامَى لَكَ الْإِقْبَالُ حَتَّى شَهِدَنَاهُ * وَدَانَ لَكَ الْمِقْدَارُ حَتَّى أَمِنَاهُ^(٢)
 (سُلَيْمَانُ) ذَكَرْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ * يَعِزُّ (سُلَيْمَانُ) وَإِقْبَالُ دُنْيَاهُ^(٣)
 إِذَا سِرْتَ يَوْمًا حَذَرَ التَّمَلُّ بِعَضَاهُ * تَخَافَةُ جَنْشٍ مِنْ مَوَالِيكَ يَغْشَاهُ^(٤)
 وَإِنْ كُنْتَ فِي رَوْضٍ تَفَنَّتْ طُيُورُهُ * وَصَاحَتْ عَلَى الْأَفْنَانِ : بِحَرُوكِ اللَّهِ^(٥)
 وَكَانَ (أَبْنُ دَاوُدَ) لَهُ الرَّيْحُ خَادِمٌ * وَتَحْدُوكَ الْأَيَّامُ وَالسَّعْدُ وَالْجَاهُ
 تَحْمِلُ بِحَيْثُ التَّجْدُ أَلْقَى رِحَالَهُ * «فَطَاهِرَةٌ» وَالْبَيْتُ وَالْقُدُسُ أَشْبَاهُ^(٦)
 لَيْسَتْ الشَّفَا ثَوْبًا جَدِيدًا مُبَارَكًا * فَالْبَسْنَا ثَوْبًا مِنْ أَلِيزُ نَوْضَاهُ
 وَكَانَ عَلَيْكَ الدَّهْرُ يَحْفِقُ قَلْبُهُ * فَلَبَّ شَفَاكَ اللَّهُ أَهْدَاتِ أَحْشَاهُ
 وَهَذَا جَدِيدُهُ الزَّمَانُ وَأَصْبَحَتْ * تَسُوقُ لَنَا الْأَيَّامُ مَا تَتَمَنَّا^(٧)

- (١) سليمان أباطة باشا، هو ابن حسن أباطة، وكان مولده في نحو سنة ١٨٣٤م، وتولى عدة مناصب في الحكومة المصرية؛ وأثر منصب تولاه نظارة المعارف في عهد المغفور له توفيق باشا الخديوي عقب الثورة العرابية؛ وكانت وفاته في سنة ١٨٩٧م . (٢) ترامي لك : تصدى لك لراه . «ردان» : خضع . والمقدار : القدر بالتحريك . بالغ في تصوير الإقبال حتى جعله شيئاً يرى . (٣) يريد بسليمان الثاني نبي الله سليمان بن داود، عليهما السلام . (٤) يشير بهذا البيت إلى ما حكاه الله تعالى عن النمل حين رأى نبي الله سليمان مقبلاً بجنوده، إذ قال تعالى في سورة النمل : (حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطبنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) . والموال العبد، الواحد مولى . (٥) الأفنان : الأغصان ، الواحد فتن (بالتحريك) . (٦) ألقى راحله : أقام . وطاهرة : بلد بالعلم الشرقي من أعمال مركز الزقازيق، وهو بلد المندوح . ويريد «البيت» : الكعبة . (٧) الجديدان : الليل والنهار . ولا يردان، فلا يقال : الجديد لواحد منهما .

(١)
وَبَاتَ بَنُوكَ الْفُرَّ مَا بَيْنَ رَافِلٍ * بِحُلَّةٍ يُمْنٍ أَوْ شَكُورٍ مَوْلَاهُ
(سُلَيْمَانُ) دُمَ مَا دَامَتِ الشُّهْبُ فِي الدَّجَى * وَمَا دَامَ يَسِيرِي ذَلِكَ الْبَدْرُ مَسْرَاهُ
وَكُنْ (لَعْلَى) بَهْجَةَ الْعُرْسِ إِنَّهُ * بِعِزِّكَ فِي الْأَفْرَاجِ تَمَّتْ مَزَايَاهُ
وَلَا تَقْسَ مَنْ أَمْسَى يُقَلِّبُ طَرْفَهُ * فَلَمْ تَرَ إِلَّا أَنْتَ فِي النَّاسِ عَيْنَاهُ

(٢) فكتور هوغو

[نشرت سنة ١٩٠٧ م]

أَعْجَمِي كَذَّ يَحْلُو تَجَمُّهُ * فِي مَمَاءِ الشَّعْرِ تَجَمُّ الْعَرَبِي
(٣)
صَالِحَ الْعِلْيَاءِ فِيهَا وَالتَّقَى * «بِالْمَعَرَى» فَوْقَ هَامِ الشُّهْبِ
(٤)
مَا تُغَوِّرُ الزَّهْرَ فِي أَكْثَامِهَا * ضَائِحَكَاتٍ مِنْ بُكَاءِ الشُّحْبِ
(٥)
نَظَّمَ الْوَهْمِيَّ فِيهَا لَوْلَا * كَتَنَابَا الْغَيْدِ أَوْ كَالْحَبِيبِ

(١) الفر : جمع أغز ، وهو السيد الشريف الكريم الأفعال . ورفل في ثوبه : بر ذيله وتجنّز .
والعين : البركة . (٢) هو الشاعر الفرنسي المعروف ؛ ولد سنة ١٨٠٢ م ، وكانت وفاته بباريس
سنة ١٨٨٥ م . ومن كتبه : كتاب البؤساء الذي نقله إلى العربية المرحوم حافظ بك . وفي هذه
القصيدة يشير حافظ إلى فن فيكتور بأمر لويس بوناپرت في سنة ١٨٥١ م إلى خصوبة تريحته في منفاه ،
وكثرة ما وضع من المؤلفات . (٣) الهام : الروس ، الواحدة هامة . وقد قارنه بأبي العلاء
المعري لأثبت كليهما شاعر فيلسوف . (٤) الأكام : جمع كم ، وهو غطاء الزهر ؛ وكنى
بضحك الأزهار عن ففتحها . ويريد «بكاء الحب» : مطرها . (٥) الوهمي : المطراول
الربيع . والثنايا : الأسنان الواحدة ثنية (يفتح اللثاء وتشدّ الياء) . والتفيد : جمع غيداء ، وهي المرأة
المتشبهة لنا .

- (١) عند مَنْ يَقْضِي بَاهِي مَنْظَرًا * مِنْ مَعَانِيهِ الَّتِي تَلْعَبُ فِي
بَسَمَتِ اللَّذَّهِ فَاَسْتَهْوَتْ نُهْي * مُغْرِمَ الْفَضْلِ وَصَبَّ الْأَدَبِ
(٢) وَجَلَّتْهَا حِكْمَةٌ بِالْفَنَاءِ * أَعْجَزَتْ أَطْوَاقَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ
(٣) سَائِلُوا الطَّيْرَ إِذَا مَا هَاجَكُمْ * شَدُّهَا بَيْنَ الْهَوَى وَالطَّرِبِ
(٤) هَلْ تَفَنَّتْ أَوْ أَرَنْتِ بِسَوَى * (شِعْرِ هُوَعُو) بَعْدَ عَهْدِ الْعَرَبِ
(٥) كَانَ مُرُّ النَّفْسِ أَوْ تَرْضَى الْعُلَا * تَنْظَمُ الْأَفْلَاكُ إِنْ لَمْ يَشْرِبِ
(٦) عَافٍ فِي مَنَاقِهِ أَنْ يَدُنُو بِهِ * عَقُوزُ ذَاكَ الْقَاهِرِ الْمُغْتَصِبِ
(٧) بَشُرُوهُ بِالْتَّدَانِ وَتُسُوا * أَنَّهُ ذَاكَ الْعِصَامِيِّ الْأَيِّ
(٨) كَتَبَ الْمُنَى سَطْرًا لِلَّذِي * جَاءَهُ بِالْعَفْوِ فَاقْرَأْ وَأَعْجِبِ
أَبْرِيءٌ عَنْهُ يَعْفُو مُذْنِبٌ ؟ * كَيْفَ تُسَيِّدُ الْعَفْوَكَفُ الْمَذْنِبُ ؟
(٩) جَاءَ وَالْأَحْلَامُ فِي أَصْفَادِهَا * مَا لَهَا فِي سِجْنِهَا مِنْ مَذْهَبِ

- (١) يقضي : يحكم . وأهلى منظرا : خير «لما» في قوله السابق : «ما تغرور» الخ .
(٢) جللتها : صقلتها . والأطواق : جمع طوق ، وهو الطاقة والجلهد . (٣) شدوها :
تفريدها وترغمها . (٤) أرنت : صاح . (٥) مر النفس : شديد المراس .
(٦) يشير إلى نفى فكتور سنة ١٨٥١ إلى بروكسل حين اشترك في الحرب ضد لويس بوناپرت ، وقد بقي
بعيدا عن وطنه ثمانى عشرة سنة ، وقد أقسم ألا يعود إلى أرض فرنسا ما دام الامبراطور على العرش ، ولقد برز
بقسمه ، فلم يعد إليها إلا بعد سقوط الامبراطور سنة ١٨٧٠ م . ويريد «بالقاهر المنتصب» : لويس بوناپرت
السابق ذكره . (٧) العصامي : الذى ساد بنفسه ، نسبة إلى عصام المذكور في قول الشاعر :
* نفس عصام سودت عصاما
(٨) المنى : فكتور هو جو . (٩) الأحلام : العقول ، الواحد حلم (بالكسر) .
والأصفاة : القيود ، الواحد صفد (بالتحريك) .

- (١) طَبَعَ الظُّلُمُ عَلَى أَقْفَالِهَا * يَلْظَاهُ خَائِمًا مِنْ رَهَبِ
(٢) أَمَّعَنَ التَّقْلِيدُ فِيهَا فَغَدَّتْ * لَا تَرَى إِلَّا بَيْنَ الْكُتُبِ
(٣) أَمَرَ التَّقْلِيدُ فِيهَا وَنَهَى * يُجَيِّشُ مِنْ ظُلَامِ الْحُجُبِ
(٤) جَاءَهَا (هُجُوءٌ) بَعَزِمَ دُونَهُ * عِزَّةُ التَّاجِ وَزَهْوُ الْمَوَكِبِ
(٥) وَانْبَرَى يَصْدَعُ مِنْ أَغْلَالِهَا * بِالْيَرَّاعِ الْحُرِّ لَا بِالْقُضْبِ
(٦) هَالَهُ إِلَّا يَرَاهَا حُرَّةً * تَمْتَطِي فِي الْبَحْثِ مَتْنِ الْكَوَكِبِ
(٧) سَاءَ إِلَّا يَرَى فِي قَوْمِهِ * سِيرَةَ الْإِسْلَامِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ
(٨) قُلْتَ عَنْ نَفْسِكَ قَوْلًا صَادِقًا * لَمْ تَشْبُهْ شَائِبَاتُ الْكَذِبِ :
أَنَا كَالْمُتَجَسِّمِ يَبْرُ وَتَرَى * فَاطْرَحُوا ثُرْبِي وَصُونُوا ذَهَبِي

تهنئة سمو الخديوى عباس الثانى بعيد الأضحى

(١٣٢٥ هـ - ١٩٠٨ م)

- سَبَكَنَ الظُّلَامُ وَبَاتَ قَلْبُكَ يَحْفِقُ * وَسَطًا عَلَى جَنَابِكَ هَمٌّ مُقْلِقُ
(١) حَارَ الْفِرَاشُ وَحَرَّتْ فِيهِ فَأَتَمَّا * تَحْتَ الظُّلَامِ مُعَذِّبٌ وَمُؤَرِّقُ

- (١) اللظى : النار . (٢) أمعن : بالغ . (٣) الزهو : الاختيال . (٤) يصدع : يكسره ويحطم . والأغلال : السلاسل ، الواحد غل (بضم الغين وتشديد اللام) . والقضب : السيوف ، الواحد قضيب . (٥) المتن : الظهور . (٦) لم تشبه : لم تتماثل . (٧) في هذه القصيدة يشكر سمو الخديوى على عفوه عن مسجونى دنشواى . وهو يجارى بهذه القصيدة قصيدة اسماعيل صبرى باشا التى مطلعها :
لو أن أطلال المنازل تنطق * ما ارتد حران الجوامع شئ
(٨) المؤزق : المسبب الذى ذهب عنه النوم .

(١) دَرَجَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مَفْتُونُ الْمُنَى * وَمَضَى الشَّبَابُ وَأَنْتَ سَاهٍ مُطْرَقُ
عَجَبًا يَلْذُكَ السُّكُوتُ مَعَ الْهَوَى * وَمِسْوَاكَ يَبْعَثُهُ الْفَرَامُ فَيَنْطِقُ
خُلِقَ الْفَرَامُ لِأَصْغَرِكَ وَطَالَمَا * ظَنُّوا الظُّنُونُ بِأَصْغَرِكَ وَأَغْرَقُوا^(٢)
وَرَمَوْكَ بِالسُّلُوبِ وَلَوْ شَهِدُوا الَّذِي * تَطْوِيهِ فِي تِلْكَ الضُّلُوعِ لِأَشْفَقُوا
أَخْفَيْتَ أَسْرَارَ الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا * يَسُرُّ الْفُؤَادِ مِنَ النَّوَاطِرِ يُسْرِقُ^(٣)
نَفْسَ رَبِّكَ عَنْ فُؤَادِكَ كَرْبُهُ * وَأَرْحَمَ حَشَاكَ فَإِنَّهَا تَمَزَّقُ^(٤)
وَإِذْ كُنَّا لَنَا عَهْدَ الَّذِينَ بَيْنَاهُمْ * جَمَعُوا عَلَيْكَ هُمُومَهُمْ وَتَفَرَّقُوا
مَا لِلْقَوَائِي أَنْكَرَكَ وَلَمْ تُكُنْ * لِكِسَادِهَا فِي غَيْرِ سُوقِكَ تَنْفَقُ^(٥)
مَا لِلْيَلِيَّاتِ بَغْيٌ بِإِيكَ وَاقِفًا * يَبْكِي وَيُعْجِلُهُ الْبُكَاءُ فَيَشْرِقُ^(٦)
إِنِّي كَهَمِّكَ فِي الصَّبَابَةِ لَمْ أَزَلْ * أَلْهُوُ وَأَرْجِيحُ الْقَرِيضَ وَأَعْشَقُ^(٧)
نَفْسِي بِرَغَمِ الْحَادِثَاتِ فَيَتَّعُ * عُودِي عَلَى رَغَمِ الْكَوَارِثِ مُورِقُ
إِنَّ الَّذِي أَغْرَى الشُّهَادَ بِمُقَلَّتِي * مُتَعَتَّ قَلْبِي بِهِ مُتَعَلِّقُ^(٨)
وَأَتَقَتُّهُ إِلَّا أَبُوحَ وَإِنَّمَا * يَوْمَ الْحِسَابِ يُحْمَلُ ذَاكَ الْمَوْثِقُ^(٩)

- (١) درج : ذهب ومضى ، ومفتون المتى ، أى طامع فيما لا ينال . (٢) الأصفران : القلب واللسان . وأغرقوا : بالنوا وأفرطوا . (٣) يقول : إن ما يكنه الفؤاد تبديه العين . (٤) نفس : فرج وخفف . (٥) تنفق : تروج . (٦) يشرق : يفس . (٧) الهم : العزم والقصد . (٨) أغراه به : أرلله به وحضه عليه . (٩) واقته : طاعده . يريد أن سرجه سيظل مكتوما الى يوم القيامة .

وَشَقِيتُ مِنْهُ بِقُرْبِهِ وَيَعَادِهِ * وَأَخُو الشَّقَاءِ إِلَى الشَّقَاءِ مُوَفَّقُ^(١)
 صَاحِبْتُ أَسْبَابَ الرِّضَا لِرُكُوبِهِ * مَتَنَ الْخِلَافِ لِمَا بِهِ ائْتَلَقُ^(٢)
 وَصَبَرْتُ مِنْهُ عَلَى الَّذِي يَمَيَّا بِهِ * حِلْمُ الْحَلِيمِ وَيَتَّقِيهِ الْأَخْمَقُ^(٣)
 أَصْبَحْتُ كَالْدهِرَى أَعْبَدُ شَعْرَهُ * وَجِئِنِّي وَأَنَا الشَّرِيفُ الْمُعْرِقُ^(٤)
 وَغَدَوْتُ أَنْظِمُ مِنْ ثَنَائِهِ نَغْمَهُ * دُرّاً أَقْلَدُهَا الْمَهَا وَأَطْوَقُ^(٥)
 (صَبْرِي) أَسْتَوْتُ دَفَائِنِي وَهَزَزْتِي * وَأَرَيْتَنِي الْإِبْدَاعَ كَيْفَ يَنْسَقُ^(٦)
 فَاجْتَحَتْ لِي شَكْوَى الْهَوَى وَسَبَقْنِي * فِي مَدْحِ (عَبَّاسٍ) وَمِثْلِكَ يَسْبِقُ^(٧)
 قَالَ الرَّئِيسُ فَا لِقَوْلٍ بَعْدَهُ * بَاعَ تَطَوُّلٌ وَلَا لَمَدٌ رَوَقُ^(٨)
 (شَوْقِي) تَسَبَّهْتَ فَمَا مَلَكَتُ مَدَامِي * مِنْ أَنْ يَسِيلَ بِهَا النَّسِيبُ الشَّقِيقُ^(٩)

- (١) المتن : الظاهر . وركوبه من الخلاف : تخاية عن المناضبة والشقاق . يقول : إني وإياه
 لمتخالفان ، أنا ملازم فعل ما يرضيه ، وهو دائب على أن يخالف ما في طبعي وأخلاق . (٢) يما به :
 يسبحه . (٣) الدهرى : اللحد الذي ينكر الإله وينسب الفضل إلى الدهر . ونص الشاعر
 الشعر والجين بالذكر لما في الأول من سواد يشبه ظلمة الليل ، وما في الثاني من تألق يشبه بياض النهار ؛
 وليس الدهر إلا الليل والنهار . وهو في البيت يعجب من جمعه بين شبه متباينين : إلحاد في العقيدة ، وشرف
 في النسب . والمعرق (فتح الزاء وكسرهما) : الذي له أصل في الكرم . (٤) المها : البقر الوحشي ،
 يريد النساء التي تشبهها في جمال العيون ، الواحدة مهاة . (٥) استنار : هيج . ويريد « بالدفائن » :
 ما يضره القلب من الشجون ، الواحدة دفيئة . ويشير بذلك إلى قصيدة صبري التي أوردنا مطلعها في السابق .
 (٦) يريد « بالرئيس » : اسماعيل صبري باشا . وطول الباع : كناية عن اتساع المقدرة وقوة
 الاستطاعة . (٧) يريد أحمد شوقي بك الشاعر . والنسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن .
 ويريد « بالثيق » : الشائئ ؛ والتي وجدناه في كتب اللغة أن « الشيق » بمعنى المشناق ؛ وليس مراداً
 هنا . ويشير بهذا البيت إلى قصيدة شوقي في هذا العيد ، والتي جارى فيها صبري ، ومطلعها :
 أما الشاب فبالأحبة أخلق * والحب يصلح بالعتاب ويصدق

(١) أَعْجَزَتْ أَطْوَاقَ الْأَنَامِ مِدْحَةً * سَجَدَ الْيَأْنَ لِرَبِّهَا وَالْمَنْطِقُ
 لَمْ تَتَرَكَا لِي فِي الْمَدَائِحِ فَضْلَةً * يَجْرِي بِهَا قَلْبِي الضَّعِيفُ وَيَلْحَقُ
 نَفْسِي عَلَى شَوْقٍ لَمَدِّحٍ أَمِيرِهَا * وَبِرَاعَتِي بَيْنَ الْأَنْامِلِ أَشَوْقُ^(٢)
 مَاذَا أَقُولُ وَأَنْتُمْ فِي مَدْحِهِ * بَحْرَانِ بَاتَ كِلَاهُمَا يَتَدَفَّقُ
 الْعَجْزُ أَقْعَدَنِي وَابْتُ عَزَائِي * لَوْلَا كُنَا فَوْقَ السَّمَاءِ مُخَلِّقُ^(٣)
 فَلَيْتَنِي الْعَبَّاسُ أَنْتَ بِكَفِّهِ * عَلَيْنِ هَزَّهُمَا الْوَلَاءُ الْمُطْلَقُ^(٤)
 وَلَيْتَنِي ذُنُورًا لِلْبِلَادِ وَأَهْلِهَا * يَغْفُو وَيَرْحُمُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعِيقُ
 (عَبَّاسُ) وَالْعِيدُ الْكَبِيرُ كِلَاهُمَا * مُنَالِقُ بَازَائِهِ مُنَالِقُ
 هَذَا لَهُ تَجْرِي الدَّمَاءُ وَذَا لَهُ * تَجْرِي الْقَرَائِحُ بِالْمَدِيحِ وَتُعْنِقُ^(٥)
 صَدَقَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِيهِ وَحَسْبُهُ * أَنَّ الزَّمَانَ لِي يَقُولُ مُصَدِّقُ
 (لَكَ مِصْرُ مَا ضِيهَا وَحَاضِرُهَا مَعًا * وَلَكَ الْغَدُ الْمُتَحَمُّمُ الْمُتَحَقِّقُ)^(٦)

- (١) الأطواق : جمع طوق ، وهو الوسع والطاقة .
 (٢) البراعة : القلم .
 (٣) السماك : أحد مجيئ نيرين يقال لأحدهما : السماك الراح ، وللاتر : السماك الأعزل .
 (٤) يريد « بالعَيْن » : صبرى وشوق السابق ذكرهما .
 (٥) هذا ، أى العيد الكبير . ويشير بقوله « تجرى الدماء » : إلى دماء الأضاحى . وذا ، أى العباس . وتعنق : تسرع .
 (٦) هذا البيت من قصيدة صبرى فى هذا العيد ، والتي أشرنا إلى مطلعها فيما سبق .

(١) تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه

[نشرت في أول سبتمبر سنة ١٩٠٨ م]

(٢) أَنَّى الْحَجِيجُ عَلَيْكَ وَالْحَرَمَيْنِ * وَأَجَلٌ عِيدَ جُلُوسِكَ الثَّقَلَيْنِ
أَرْضَيْتَ رَبَّكَ إِذْ جَعَلْتَ طَرِيقَهُ * أَمْنًا وَفُزْتَ بِنِعْمَةِ الرِّضْوَانِ
وَجَمَعْتَ بِالْأُسُورِ حَوْلَكَ أُمَّةً * شَتَّى الْمَذَاهِبِ بِجَمَّةِ الْأَضْغَانِ
(٣) فَغَدَوْتَ تَسْكُنُ فِي الْقُلُوبِ وَتَرْتَعَى * حَبَاتِهَا وَتَحُلُّ فِي الْوُجْدَانِ
رَاعَيْتَهُمْ حَتَّى عَالَمْتَ بِأَنَّهُمْ * بَلَّغُوا أَشَدَّهُمْ عَلَى الْأَزْمَانِ
بَجَعَلْتَ أَمْرَ النَّاسِ سُورَى بَيْنَهُمْ * وَأَقَمْتَ شَرْعَ الْوَاحِدِ الدِّيَانِ
لَوْ أَنَّهُمْ وَزَنُوا الْجِيُوشَ بِمَشْهَدِ * رَجَحْتَ بِجَيْشِكَ كِفَّةَ الْمِيزَانِ
(٤) لَوْ شَاءَ زَلَزَلَهَا عَلَى أَعْدَائِهِ * أَوْ شَاءَ أَذْهَلَهَا عَنِ الدَّوَرَانِ
(٥) بِمَشُونٍ فِي حَلْقِ الْحَدِيدِ إِلَى الْعِدَا * وَكَأَنَّهُمْ سَدُّ مِنَ الْإِنْسَانِ
(٦) وَكَأَنَّ مَقْدَمَهُمْ إِذَا لَمَعَ الضُّحَى * سَيْلٌ مِنَ الْهِنْدِيِّ وَالْمُرَائِنِ
(٧) يَتَوَاقِعُونَ عَلَى الرَّدَى وَصُفُوفُهُمْ * رَغَمَ الْوُثُوبِ تَخَابَتِ الْبُيُوتِ

(١) انظر التعريف بالسلطان عبد الحميد في الحاشية رقم ٤ ص ١٥ من هذا الجزء . (٢) الحجيج : جمع حاج . والثقلان : الإنس والجن . (٣) حبات القلوب : سويداواتها . وترتعى حباتها : الارتعاء . الرعى : وهو تبالغة في تعلق القلوب به . (٤) زلزلها وأذهلها ، أى الأرض . يصف جيشه بالقوة والكثرة ، حتى إنه لو شاء أمال الأرض بأعدائه ، أو جعلها تحف ذاهلة لما ترى من بأسه وقوته . (٥) حلق الحديد : الدروع . (٦) الهندى : السيف . والمزنان : الرماح القوية اللدنة ، الواحدة : مرانة . (٧) الردى : الهلاك .

فإذا المدافع في التّزالِ تجاوبت * بزئيرها وتلاحم الجبشان^(١)
 وإذا القنايل دمدت وتنجرت * تحت القبار تفجّر البركان^(٢)
 وإذا البنادق أرسلت نيرانها * طلقاً وأسباب الهلاك دوان^(٣)
 أبصرت جنّا في مساليج فتية * وشهنت أئيدة من الصّوان^(٤)
 مرهم يخوضوا الزّاحرات وينسفوا * ثمّ الجبال فتورة الإيمان^(٥)
 تليجت صدورهم وقرّ قراهم * لما حلفت بأوثق الإيمان^(٦)
 تالله ما شكوا بصدقك دونها * هم يعرفون شمائل السلطان^(٧)
 لكنهم درجوا على سنن به * لوفاية الدستور خير ضمان^(٨)
 يأبى الشعب الكريم تماسكوا * وخذوا أموركم بنير قواني
 مالى أذكركم وتلك ربوعكم * مرعى النّهى ومنايت الشّجنان^(٨)
 أدركم الدستور غير ملوث * بدّم ولا ملطخا بهوان

(١) استعمال «القنايل» بمعنى قذائف المدافع، استعمال شائع في لغة العصر؛ ولم ترد به لغة العرب.
 ودمدنت عليهم، أى أرحفت الأرض بهم وأطبقت عليهم العذاب. (٢) طلقاً (بضم الطاء واللام)،
 أى إطلاقاً بلا احتباس ولا تقييد. (٣) المسالخ والمسالخ: الجلود، الواحد: مسالخ.
 يقول: إلتهم جن في صور الإنس. (٤) الزّاحرات: البحار. وثم الجبال: أعاليها.
 (٥) تلج صدره بالنّوى: برد وأطمأن وسكن قلبه إليه. ويريد «بأوثق الإيمان»: الإيمان الذى حلفها
 السلطان على احترام الدستور. (٦) دونها، أى دون الإيمان. (٧) درجوا: ساروا.
 والسنن (بالتحريك): الطريق. يقول: إلتهم ساروا على الطريقة الدستورية المتبعة في جميع الممالك
 وهى أن يحلف الملك الإيمان على احترام الدستور، وإن كان الملك مقطوعاً بصدقه عند رعيته، ولكن
 ليكون ذلك الحلف ضماناً للدستور. (٨) الهوان: القتل.

وَقَعَلْتُمْ فِعْلَ الرِّجَالِ وَكُنْتُمْ * يَوْمَ الْفَخَارِ كَأْتِمَةِ الْيَابَانِ
 تَقْفِيْتُوا ظِلَّ الْهِلَالِ فَإِنَّهُ * جَمُّ الْمَبْرَةِ وَإِسْعُ الْإِحْسَانِ^(١)
 يَرْعَى لِمُوسَى وَالْمَسِيحِ وَأَحْمَدِ * حَقِّ الْوَلَاءِ وَحُرْمَةِ الْأَدْيَانِ
 نَحْنُذُوا الْمَوَاتِقَ وَالْعُهُودَ عَلَى هُدًى إِلَى * نُورَةِ الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
 وَتَذَوُّقُوا مَعْنَى الْحَيَاةِ فَإِنَّهَا * فِي مِصْرَ الْقَاطِ بِنِيرِ مَعَانِي
 وَدَعُوا التَّقَاطُعَ فِي الْمَذَاهِبِ بَيْنَكُمْ * إِنَّ التَّقَاطُعَ آيَةُ الْخِذْلَانِ^(٢)
 وَتَسَابَقُوا لِلْبَاقِيَاتِ وَأُظْهِرُوا * لِلْعَالَمِينَ دِفَاتِينَ الْأَذْهَانِ^(٣)
 وَلَى زَمَانُ الْمُعْتَدِينَ كَمَا أَنْطَوَتْ * حِجْلُ الشُّيُوخِ وَإِمْرَةُ الْخَصِيَانِ^(٤)
 لَا الشُّكُّ يَذْهَبُ بِالْيَقِينِ وَلَا الرُّؤْيُ * تُجْدِي الْمُسَىءَ وَلَا رُقَى الشَّيْطَانِ^(٥)
 وَضَعَ الْكِتَابُ وَسَبَقَ جَمْعُهُمْ إِلَى * يَوْمِ الْحِسَابِ وَمَوْقِفِ الْإِذْهَانِ

- (١) تخبرنا ظل الهلال ، أى التبرأ إليه واستظلوا به ؛ يقال : تقيأ الشجرة ، إذا دخل في أفيائها ، أى ظلها ، واستظل بها . (٢) الباقيات : المآثر الخالدة بعد زوال أصحابها . ويريد «دِفَاتِينَ الْأَذْهَانِ» : نتائج القرائح وثمرات العقول . (٣) يريد «بإمرة الخصيان» : السلطة التي كانت للأخوات في القصور . (٤) الرؤى : الأحلام ، الواحدة : رؤيا . والرقي : جمع رقية ، وهي الودة التي يرق بها من به علة . ويشير «بالرؤى والرقي» : إلى أحوال أبي الهدي العبادي في زمن السلطان عبد الحميد ، وما كان يدخل به إلى قلب السلطان من الحيل والأكاذيب بالرقي والتعاريذ والأحلام وغير ذلك . (٥) يشير بقوله : «وضع الكتاب» : إلى قوله تعالى إخبارا عما يكون في البعث يوم الحساب : (وضع الكتاب قرى المجرمين) الآية . والمراد بوضع الكتاب هنا : الاستعداد لحساب المجرمين من الشعب على ما قدمت أيديهم قبل الدستور . والكتاب ، هو السجل الذي أحصيت فيه أعمالهم . والإذنهان : الخضوع والاقبياد .

(١) وَتَوَسَّعُوهُمْ فِي الْقُيُودِ فَقَائِلٌ * هَذَا فُلَانٌ قَدْ وَشَى بِفُلَانٍ
(٢) وَمَلَبَّبَ لَقَرِيمِهِ وَمُطَالِبٌ * بَدِيمٍ أَرِيقَ بَمَسِجِ الْحِيتَانِ
(٣) قَدْ جَاءَ يَوْمُهُمْ هُنَا ، وَأَمَامَهُمْ * بَعْدَ النُّشُورِ هُنَاكَ يَوْمٌ ثَانِي
(٤) سُبْحَانَ مَنْ دَانَ الْقَضَاءُ بِأَمْرِهِ * لِيَدِ الضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ الْجَانِي
(٥) يَوْمَ عَادَ النَّازِحُونَ لِأَرْضِهِمْ * يَتَسَابَقُونَ لِرُؤْيَةِ الْأَوْطَانِ
(٦) لِلَّهِ كُمْ أَطْفَآتٍ مِنْ نَارٍ ذَكَتْ * دَهْرًا وَكَمْ هَدَّاتٍ مِنْ أَشْجَانِ
(٧) هَذَا يَطِيرُ إِلَى (فُرُوقٍ) وَمِنْ بَهَا * شَوْقًا وَذَاكَ إِلَى رَبِّي بُنَانِ
(٨) خَلَعُوا الشَّبَابَ عَلَى الْبَشِيرِ وَأَخْلَقُوا * بِاللَّئِيمِ عَهْدَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
(٩) وَتَعَانَقُوا بَعْدَ النَّوَى نَحْمَائِلُ * يَحْلُو بَيْنَ تَعَانُقِ الْأَغْصَانِ
فَقَرَى النَّسَاءَ مَعَ الرِّجَالِ سَوَافِرًا * لَا يَتَّقِينَ عَوَادِيَ الْأَجْفَانِ

(١) توسعواهم ، أى تفزسوا فى وجوههم وتعزفهم . (٢) يقال : لب فلان فلانا ، اذا اخذ بئليه ، أى جمع ثيابه عند صدره ونحوه فى الخصومة ثم جره . ومسج الحيتان : البحر . يشير الى من كان يأمر السلطان بإغراقهم فى مضيق البسفور . (٣) النشور : الإحياء بعد الموت ، أى يوم القيامة . (٤) « دان القضاء » : ألغى : أى اقصد الضعيف من القوى . (٥) النازحون : البعيدون ؛ ويريد رجال السياسة الذين كان قد تقاهم السلطان عبد الحميد عن بلادهم لمعالجتهم إياه بالدستور . (٦) ذكت النار : اشد لهبها . (٧) فروق (يفتح الفاء) : اسم القسطنطينية . والرب : جمع ربوة ، وهى ما أرتفع من الأرض . (٨) خلعوا الشباب على البشير ، أى أنهم كادوا من فرحهم يشرى العودة الى بلادهم يخلعون على من بشرهم بذلك حلال شبابهم بدل ثيابهم . وأخلقوا بالقم الخ ، أى أكثروا من تقبيل عهد الخليفة الى أن صار كالتوب الخلق ، أى الرث البالى . ويريد «بعهد الخليفة» : فرمان المكتوب بهذه إليهم ، وتأمين الخاضعين منهم . (٩) الخائل : جمع نخيلة ، وهى الموضع الكثير الشجر .

عَجَبًا لَهَنَ وَقَدْ حُلِقْنَ أَوَائِسَا * يَبْرُزْنَ فِي فَرَجٍ وَفِي أَحْزَانِ
 أَهْلًا بِجَاسِرَةِ اللَّثَامِ وَمَنْ إِذَا * سَفَرَتْ عَنَّا لَجَمَاهِا الْقَمَوَانِ
 خَطَرَتْ فَعَطَّرَتْ الْمَشَارِقَ عِنْدَمَا * هَبَّتْ نَسَائِمُهَا مِنَ الْبَلْقَانِ (٢)
 يَأْلِيهَا خَطَرَتْ بِمَضَرٍّ وَأَشْرَقَتْ * فِي يَوْمٍ أَسْعَدَهَا عَلَى طُهْرَانِ (٣)
 أَضْنَاهُمَا شَوْقٌ قَدْ أَبْيَضَتْ لَهُ * كَيْدَاهُمَا وَتَصَدَّعَ الْقَلْبَانِ (٤)
 عَرَفَ الْوَرَى مِيقَاتَهَا فَتَرَقَّبُوا * (تَمْوَزُ) مِثْلَ تَرْقِيبِ الظُّمَانِ (٥)
 شَهْرٌ بِهِ بُعِثَ الرَّجَاءُ وَأَنْشُرَتْ * أُمَمٌ وَبُدِّلَ خَوْفُهَا بِأَمَانِ (٦)
 فَلَهُ عَلَى الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ نِعْمَةٌ * يَشْدُو بِذِكْرِ صَبِيْعِهَا الْفَتَيَانِ
 وَعَلَى فَرَنْسِيْسِ الْحَضَارَةِ مِنَّةٌ * تُثْلَى أَنَاشِيدُهَا وَأَغَانِي
 تَمْوَزُ، أَنْتَ أَبُو الشُّهُورِ جَلَالَةٌ * تَمْوَزُ، أَنْتَ مُنَى الْأَسِيرِ الْعَانِي
 هَلَّا جَعَلْتَ لَنَا نَصِيْبًا عَلَنًا * تَجْرِي مَعَ الْأَحْيَاءِ فِي مِيْدَانِ
 أَيْسُودُ مِنْكَ الْآمِلُونَ بِمَا رَجَوْا * وَنَعُودُ نَحْنُ بِذَلِكَ الْحِرْمَانِ

- (١) حاسرة اللثام : كاشفته . ويريد بها الحرية . وعنا : خضع . والقمران : الشمس والقمر .
 (٢) طهران : مدينة بإيران معروفة ، وهي عاصمتها . يتنى في هذا البيت الدستور والحرية لمصر وإيران
 مثل تركيا . (٣) أضناه الشوق : أسقمه . وأبيضاض الكبد : كناية عن شدة الحزن .
 (٤) ميقاتها : وقتها . وتموز : اسم شهر من السنة المسيحية ، يقابل شهر يوليو ، وهو الشهر الذي نالت
 فيه الأمة العثمانية دسورها ، كما نالت فيه فرنسا حريتها ، واستقلت فيه أمريكا ؛ ولهذا يجعله الشاعر
 ميقات الحرية وإبانها . (٥) أنشرت : من الإنشاء ، وهو الإحياء بعد الموت .
 (٦) الدنيا الجديدة : أمريكا . ويشدو : يترنم . والفتيان : الليل والنهار .

تَمْوَرُ، إِنَّ بَنَّا إِلَيْكَ لِحَاجَةً * فَمَتَى الْأَوَانُ وَأَنْتَ خَيْرُ أَوَانٍ
(١)
مِنِّي عَلَى دَارِ السَّلَامِ تَيْجَةً * وَعَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ
(٢)
وَعَلَى رِجَالِ الْجَيْشِ مِنْ مَا فِيهِ * أَوْ رَاكِبٍ أَوْ نَازِحٍ أَوْ دَانِي
(٣)
وَعَلَى الْأَلَى سَكَنُوا إِلَى الْحُسْنَى سَوَى * ذَلِكَ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْعِصْيَانِ
(٤)
وَالِي الْجِجَارِ الْخَارِجِيِّ وَمَا بِهِ * إِلَّا آفَتِنَا صُ الْأَصْفَرِ الزَّانِ
(٥)
مَا لِلشَّرِيفِ الْمُتَمَيِّ حَسَبًا إِلَى * خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَنِي عَدْنَانَ
(٦)
أَمْسَى بِمَالِكِهِ وَيَنْصُرُ غِيَّةَ * وَضَلَّاهُ بِمُجَالَّةِ الْعُرْبَانِ
(٧)
تَاللَّهِ لَوْ جَنَدْتُمَا رَمَلَ النَّقَا * وَتَزَلُّمًا بِمَوَاطِنِ الْعِقْبَانِ
(٨)
وَعَرَسْتُمَا أَرْضَ الْجِجَارِ أَسِنَّةً * وَأَسَلْتُمَا بَحْرًا مِنَ النَّبْرَانِ
(٩)
وَأَقْسَمْتُمَا فِيهَا الْمَعَاقِلَ مَنَعَةً * مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ إِلَى خَلِيجِ عُثْمَانَ
(١٠)
لَدَهَائِكُمْ وَرِمَاكُمَا وَذَرَاكُمَا * مَا حِيَ الْحُصُونِ وَمَا حِيَ الْبُلْدَانِ
إِنْ تَأْتِيَا طَوْعًا وَإِلَّا فَاتِيَا * كَرَمًا بِلَا حَوْلَ وَلَا سُلْطَانِ

- (١) دار السلام : الآسنة . (٢) النازح : البعيد . (٣) سكنوا إلى الحسنى :
اطمأنوا إليها ولاذوا بها . (٤) الأصفر الزنان : الذهب . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى ما كان
يضمه وإلى الجواز والشريف من عهدها السلطان والانتفاض عليه إذ ذاك . (٥) الشريف :
أمير مكة . والمتمى : المنسوب . (٦) يمالة : يشايمة . والخاللة : سفلة الناس . (٧) الضمير
في « جندتما » يعود إلى وإلى الجواز وشريف مكة . والنقا : القطعة العظيمة من الرمل تتقاد محدودة ، شبه بها
الجنود في كثرة العدد . ويريد « بمواطن العقبان » : رموس الجبال ، إذ هي التي تسكنها . والعقبان :
جمع عقاب ، وهو من جوارح الطير ، وتسميه العرب بالكاسر . (٨) يريد « بالأسنة » : الرماح .
(٩) المعاقل : الحصون ، الواحد معقل . (١٠) يقال : ذرت الريح التراب في الهواء .
تذروه ذروا وتذريه ذريا ، إذا فرقته وأطارته . ويريد « بما حِيَ الحصون » : الخ : السلطان .

- (١) وَالْمَلِكُ يَا قَرَعَ الْخَلَائِفَ مِدْحَةً * عَزَّتْ شَوَارِدُهَا عَلَى (حَسَانِ)
 (٢) مِنْ شَاعِرٍ تَبُّ النَّهْيَ لِقَرِيضِهِ * وَتَبَّ النَّفْسَ لِرَنَّةِ الْعِيدَانِ
 (٣) يَهْدِي الْمَدِيحَ إِلَى الْمَلِكِ سَبَائِكًا * تَعْنُو لَهْنُ سَبَائِكِ الْعِيقَانِ
 (٤) إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا أَسْتَوَتْ أَلْبَسَتْهَا * بِالْمَدِيحِ تَيْجَانًا عَلَى تَيْجَانِ

الى أحمد شوقي^(٥) بك

يهنته حين أنعم عليه بالرتبة الأولى العلمية

إِنْ هَنَأُوكَ بِهَا فَلَسْتُ مُهْتَنًّا * لِمَنِّي عَهْدُكَ قَبْلَهَا مَحْسُودًا
 قَدْ كَانَ قَدْرُكَ لَا يُحْدِثُ نَبَاهَةً * وَسَعَادَةٌ فَتَدَا بِهَا مَحْدُودًا

تهنئة الخديوى عباس الثانى بقدمه من الحج

[١٩٠٩م ١٣٢٧هـ]

مُنَى قَلْبَهَا يَا لَيْسَ الْجَمِيدُ مُعَلِّمًا * أَدِينًا وَدُنْيَا؟ زَادَكَ اللَّهُ أَنْعَمًا^(٦)

- (١) الشوارد من الشعر : المعانى التى تترد عن أذهان الشعراء وتغزب عنها لفرابتها . ورحسان هـ رابن ثابت الأنصارى الشاعر المعروف . (٢) القريض : الشعر . (٣) تعنو : تخضع . والعيقان : الذهب الخالص . (٤) استوت ، أى جلست على عروشها وتملكت .
 (٥) ولد أحمد شوقي بك بالقاهرة حوالى سنة ١٨٦٨ م وبعد أن أتم علومه الابتدائية ثم الثانوية التحق بمدرسة الحقوق ، وبعد تخرجه فيها اتصل بمعية أمير مصر ، ثم سافر الى أوربا لينتم دراسه ، ثم عاد الى المعية ثانية ، وبقى بها حتى خلع عباس الثانى ، فاستقال . وتوفى رحمه الله فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ عن نحو أربعة وستين عاما ، وله ديوان شعر مطبوع ، جمع فيه أكثر شعره وغير ذلك من الكتب .
 (٦) الثوب العلم ، هو الذى له علم من طراز وغيره ، شبه به المجد فى وضوحه واشتهاره .

فَلِلَّهِ مَا أَبْهَكَ فِي مِصْرَ حَالِيَا * وَلِلَّهِ مَا أَتَقَاكَ فِي الْبَيْتِ مُحَرَّمَا
 أَقُولُ وَقَدْ شَاهَدْتُ رَكْبَكَ مُشْرِقَا * وَقَدْ يَمَمَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ الْمُحَرَّمَا ^(١)
 مَسَتْ كَعْبَةُ الدُّنْيَا إِلَى كَعْبَةِ الْهُدَى * يَفِيضُ جَلَالُ الْمَلِكِ وَالَّذِينَ مِنْهُمَا
 فَيَا لَيْتَنِي أَسْطَعْتُ السَّبِيلَ وَلَيْتَنِي * بَلَّغْتُ مَنَى الدَّارَيْنِ رَجَبًا وَمَغْنَمًا ^(٢)
 وَفِي الرُّكْبِ شَمْسٌ أَجْنَبَتْ أَجْنَبَ الْوَرَى * قَفَى الشَّرْقِ مَوْلَانَا الْأَمِيرَ الْمُعْظَمَا ^(٣)
 تَسِيرُ إِلَى شَمْسِ الْهُدَى فِي حَفَاوَةٍ * مِنَ الْعِزِّ تُحَدِّدُهَا الزَّوَاهِرُ أَيْتَا ^(٤)
 فَلَمْ أَرَأَ أَفْقًا قَبْلَ رَكْبِكَ أَطْلَعَتْ * جَوَانِبُهُ بَدْرًا وَشَمْسًا وَأَنْجَبَا
 وَلَوْ أَنِّي خَيْرْتُ لَأَخْتَرْتُ أَنْ أَرَى * لِعَيْسِكَ وَحْدِي حَادِيًا مُرْتَمَا ^(٥)
 أَسِيرُ خِلَالَ الرُّكْبِ نَحْوَ حَظِيرَةٍ * عَلَى رَبِّهَا صَلَّى الْإِلَهِ وَسَلَّمَا
 إِلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ جَاءَ نَاطِقًا * بَأْيَاتِهِ إِتْمِلُ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَا
 حَلَلْتَ بِأَكْخَافِ الْجَزِيرَةِ حَائِرًا * فَأَنْضَرْتَ وَادِيَهَا وَكُنْتَ لَهَا سَمَا ^(٦)
 وَأَشْرَقَتْ فِي بَطْعَاءِ مَكَّةَ زَائِرًا * فَبَاتَ عَلَيْكَ اللَّيْلُ يُحْسَدُ زَمَنَمَا ^(٧)

- (١) يم : قصد . والبيت العتيق : الكعبة . (٢) اسطعت : استطعت ؛ ويريد قدرته على أداء فريضة الحج ؛ يشير إلى قوله تعالى : (وقه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) .
 (٣) يريد «بالشمس» : أم الخديوي ، وكانت قد حججت معه . (٤) يريد «بشمس الهدى» : رسول الله صلى الله عليه وسلم . والحفاوة : العناية والإكرام . والزواهر : النجوم ، والمراد وصفاتها .
 وأينما ، أي أينما سارت . (٥) العيس : الإبل ؛ ويطلق في الأصل على الإبل البيض يتخالط بينها شقرة ؛ ويقال : إنها كرام الإبل ، الواحد أعيس ، والآخر عيساء . (٦) أكخاف : الجزيرة ؛ جوانبها . وأنضرت واديا ، أي جعلته ناضرا حسنا يهيجها من الخصب . ويريد بقوله : «وكننت لها سما» : أنه كان لها مطرا ؛ وقد هطل المطر في جزيرة العرب أيام حجه .
 (٧) البطعاء والأبطح : مسيل للاء واسع ، فيه دقاق الحصى . وبطعاء مكة : مسيل واديا .

- (١) وما ظفرت من بعد (هارون) أرضها * بمثلك ميمون النقيبة منعمًا
 ولا أبصر الحجاج من بعد شخصه * على عرفات مثل شخصك محرمًا
 (٢) رميت فسددت الجار فلم تكن * حمارًا على إيليس بل كن أسهما
 (٣) وإن الذي ترميه وقف على الردى * وإن لاذ بالآفلاك يا خير من رمى
 وبين الصفا والمروة أزدت عزه * يسعك يا (عباس) لله مسلما
 (٤) هزول للولي الكريم معظما * وتم هزول الساعي إليك وعظما
 (٥) وطقت وك طافت بسدتك المنى * وتم أمسك الراجي بها وتحرمًا
 (٦) ولما استلمت الركن حاجت شجونه * فلو أنه أسطاع الكلام تكلمًا
 (٧) تذكر (زين العابدين) وجده * وما كان من قول (الفرزدق) فيهما

(١) يريد هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف . وميمون النقيبة ، أى محمود المختبر (فتح الباء) .
 (٢) الجمار : الحصى الذى يرى به الحجاج فى منى . (٣) الردى : الهلاك . يقول : إن الذى ترميه هالك لا محالة وإن تحصن منك بأفلاك السماء . (٤) المرولة : الإسراع فى المشى .
 ويريد « بالساعى » : طالب المعروف . (٥) السدة : الباب . وتحزم بسدته : احتنى بها واستأمن من نواب الدهر بالوقوف بها كما يستأمن الداخل فى الحرم من العدوان عليه . (٦) شجونه ، أى أشواقه . (٧) زين العابدين ، هو أبو الحسن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم ، أحد الأئمة ، وهو من سادات التابعين ، ولد فى سنة ثمان وثلاثين للهجرة . وتوفى سنة أربع وتسعين ؛ وقيل : اثنتين وتسعين . والفرزدق ، هو أبو فراس همام بن غالب التميمى أحد فحول الشعراء فى العصر الأموى ؛ وكانت ولادته ونشأته بالبصرة ؛ وتوفى بها نحو ستة مائة وعشر هجرية . ويشير الشاعر فى هذا البيت الى قول الفرزدق فى قصيدته المشهورة فى مدح زين العابدين ، ومنها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي التقي الطاهر العلم

- (١) فلو يَسْتَطِيعُ الرُّكْنُ أَمْسَكَ رَاحَةً * مَسَحَتْ بِهَا يَا أَكْرَمَ النَّاسِ مُتَمَتَّى
دَعَوْتَ لَنَا حَيْثُ الدُّعَاءُ لِجَابَةٍ * وَأَنْتَ بَدَعَوَى اللَّهِ أَطْهَرُنَا فَمَا
أَمَانِيكَ الْكُبْرَى وَهَمُّكَ أَنْ تَرَى * بِأَرْجَاءِ وَادِي النَّيْلِ شَعْبًا مُنْعَمًا
(٢) وَأَنْ تَبْنِي الْمَجْدَ الَّذِي مَالَ رُكْنُهُ * وَأَنْ تُرْهِفَ السَّيْفَ الَّذِي قَدْ سَتَلْنَا
دَعَوْتَ لِمَصِيرٍ أَنْ تَسُودَ وَكَمْ دَعَتْ * لَكَ اللَّهُ مِصْرًا أَنْ تَعِيشَ وَتَسَلَا
(٣) فَلَيْتَ مُلُوكَ الْمُسْلِمِينَ تَشَبَّهُوا * بِمَلِكٍ إِذَا مَا أَحْجَمَ اللَّهُمُّ أَقْدَمًا
سَلِيلَ مُلُوكٍ يَشْهَدُ اللَّهُ أَنَّهُمْ * أَقَامُوا عُمُودَ الدِّينِ لِمَا تَهْدَمَا
(٤) لئن بَاتَ بِالْمَجْدِ الْمُؤْتَلِ مُغْرَمًا * لَقَدْ كَانَ (إِبْرَاهِيمُ) بِالْمَجْدِ مُغْرَمًا
(٥) وَإِنْ تَامَ حُبُّ الْمَكْرُمَاتِ فَوَادَهُ * لَقَدْ كَانَ (إِسْمَاعِيلُ) فِيهَا مُتِمًّا
(٦) وَإِنْ سَكَنْتَ تَقْوَى الْمُهِمِّينَ قَلْبَهُ * فَقَدْ كَانَ مِنْهَا قَلْبُ (تَوْفِيقٍ) مُقْعَمًا
(٧) وَإِنْ بَاتَ نَهَاضًا بِمِصْرٍ إِلَى الذَّرَا * مِنْ جَدِّهِ الْأَعْلَى (عَلِيٍّ) تَعَلَّمَا

(١) المتحمي : الأصل الذي يشتمى إليه الإنسان ، أى يتسبب . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول الفرزدق في زين العابدين :

يكاد يسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

- (٢) أرهف السيف : حده . وتعلم : بكسر حده ، أى تعيد لمصر القوة التي تطرق إليها الضعف .
(٣) الملك (يسكون اللام) : لغة في الملك (يكسرها) . وأحجم : تأخر . (٤) المجد المؤتل :
المؤصل الثابت . وإبراهيم ، هو إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا الكبير ؛ ولد سنة ١٧٨٩ م ؛ وتولى عرش مصر
في حياة أبيه سنة ١٨٤٨ م وتوفى في نفس السنة التي ولى فيها . (٥) تامه الحب والعشيق :
استعبده . وإسماعيل ، هو إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا ؛ ولد سنة ١٨٣٠ م ؛ وولى خديوية مصر في ١٨
يناير سنة ١٨٦٣ م ؛ وعزل عنها سنة ١٨٧٩ م وتوفى في ٢ مارس سنة ١٨٩٥ م . (٦) توفيق ،
هو محمد توفيق باشا ابن إسماعيل باشا ولد في سنة ١٨٥٢ م ، وتولى الخديوية سنة ١٨٧٩ م وتوفى
سنة ١٨٩٢ م . والقعم : المنزل . (٧) علي ، أى محمد علي باشا جد الأسرة المالكة ؛ ولد
بمدينة قوله عام ١٧٦٩ م ؛ وولى مصر عام ١٨٠٥ م ، وتوفى في ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ م .

- (١) حَوَى مَاحَوَى مِنْ مَجْدِهِمْ وَنِجَارِهِمْ * وَزَادَ قَاعِيَا الْمَادِحِينَ وَأَفْحَمَا
 (٢) دَعَا بِكَ وَأَسْتَسْقُوا فَلَبَّى دُعَاءَهُمْ * مِنَ الْأَفْقَى هَتَّانُ مِنَ الْمُنْزَنِ قَدْ هَمَى
 (٣) أَلَحَّ عَلَى أَوْعَارِهِمْ وَسُهُورِهِمْ * وَحَيَّا عَبُوسَ الْفَقْرِ حَتَّى تَبَسَّما
 (٤) وَلَمَّا طَوَى بَطْطَاءَ مَكَّةَ هَزَّه * إِلَى الْبَيْتِ شَوْقُ الْمُسْتَهَامِ فِيمَا
 (٥) أَطَافَ بِهِ ثُمَّ أَنْتَى عَنْ فَنَائِهِ * وَلَوْ عَبَّ مِنْهُ (السَّامِرِيُّ) لَا سَلَامَا
 (٦) طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ أَسْعَدَ الْخَلْقِ مَطْلَعًا * وَعُدَّتْ الْيَنَا أَيْمَنَ الْخَلْقِ مَقْدَمَا
 رَجَعْتَ وَقَدْ دَاوَيْتَ بِالْجُودِ فَقَرَّهُمْ * وَكُنْتَ لَهُمْ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ مَوْسِمَا
 (٧) وَأَمَنْتَ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ طَرِيقَهُ * وَكَانَ طَرِيقُ الْبَيْتِ مِنْ قَبْلِهَا دَمَا
 (٨) وَيَسَّرْتَهُ حَتَّى أَسْتَطَاعَ رُكُوبَهُ * أَخُو الْفَقْرِ لَا يَطْوِيهِ جُوعٌ وَلَا ظَمَا

(١) النجار: الأصل . وأخيه : أعجزه عن الكلام . (٢) استسقوا ، أى طلبوا السقيا .
 والضمير في «دعوا» «واستسقوا» لأهل مكة . وهتاتان : المنصب . والمزن : السحاب ذرا الماء .
 وهى : سال لا يثنى شئ . ويشير بهذا إلى مطر غزير نزل بمكة أيام حج الخديوى فأخصبت به الأرض
 وقاضت بالخير . (٣) ألح على أوعارهم : دام عليها . والأوعار : ما صعب من الأرض . وعبوس
 الفقر : ما أجذب منه وقل نباته ، فصار كالوجه العابس الذى لا بشر فيه . وتبسم ، أى أخصب وكثر
 نباته ، فاستعار «التبسم» لخصب الأرض وظهور ألوان النبات فيها . (٤) طوى ، أى المزن
 السابق ذكره . وبططاء مكة : مسبل وادبها . وهزه : حركة . ويمم : قصد .

(٥) الفناء : الساحة . ويريد الشاعر بهذا البيت والذى قبله أن السحاب لما روى بططاء مكة
 تشوق إلى الصكبة فصار إليها ، ثم ارتد عنها إحلالا لها ولم يحطر عليها . وعب منه : شرب . ويريد
 بالسامرى : موسى السامرى الوارد ذكره في القرآن في قصة بنى إسرائيل ، إذ صنع لهم عجلا من الحلي
 وحضهم على عبادته ، وكان ذلك في غيبة نبي الله موسى عليه السلام في ميقات ربه ؛ قال تعالى في سورة
 طه : (قال فإذا قد فتننا ثم لم تكملهم وأضلهم السامرى) الآيات . (٦) أيمن الخلق ، أى أبركهم .
 (٧) دما ، أى ملوا بالقتل وسفك الدماء . (٨) لا يطويه ، أى لا يردده ولا يصرفه .

(١)
وَجَدْتَ وَجَدْتَ رَبَّةَ الطُّهْرِ وَالنَّقَى * عَلَى الْعَالَمِ حَتَّى أَخَصَبَ الْعَالَمُ مِنْكَ
فَلَمْ تُقَيِّبَا فَوْقَ الْحَزِيرَةِ بَائِسًا * وَلَمْ تَتْرُكَا فِي سَاحَةِ الْبَيْتِ مُعْدِمًا
فَأَرْضَيْنَا الدِّيَانَ وَالْدِّينَ كُلَّهُ * لَقَدْ رَضِيَ الدِّيَانُ وَالْدِّينُ عَنْكَ

(٢) تحية محمد سعيد باشا

بمناسبة عودته من أوروبا في اليوم الحادى عشر من شهر شوال سنة ١٢٣٠ هـ وكان رئيسا للحكومة إذ ذاك

(٣)
فِيكَ السَّعِيدَانِ اللَّذَانِ تَبَارَيَا * يَا مِصْرُ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ
نَيْلٌ يَفِيضُ عَلَى سُهْلِكَ رَحْمَةً * وَقَى يَقِيكَ غَوَائِلَ الْعَثَرَاتِ
عَادَ الرِّئِيسُ فَرَحِي بِقُدُومِهِ * وَتَهَلَّى بِمُقَرَّجِ الْأَزْمَاتِ

(الى أمين واصف بك)

قال هذين البيتين ليكتب في لوحة مهداة إليه من مدرسة طوخ الصناعية ، إذ كان مديرا للتعليمية

[نثرا في ٩ مايو سنة ١٩١٢]

لَمْ تَجِدْ مَا بَقِيَ بِقُدْرِكَ فِي الْمَجَى * يَدِ فِيمَدَى إِلَى حِمَاكَ الْكَرِيمِ
فَبَعَثْنَا إِلَيْكَ بِاسْمِكَ مَكْتُومًا * بَأْ عَلَى صَفْحَةِ الْوَلَاءِ الْمُقِيمِ

- (١) يريد «ربة الطهر» : والدة الخديوى . (٢) محمد سعيد باشا هو الوزير المعروف ولد في سنة ١٨٦٣م وبعد أن أتم علومه تولى عدة مناصب قضائية وعدة وزارات ورأس الوزارة مرتين الأولى من سنة ١٩١٠م الى سنة ١٩١٤م والثانية سنة ١٩١٩م وكان وزيرا للعارف في الوزارة السعدية سنة ١٩٢٤م ثم اعتزل السياسة إلى أن توفى في ٢٠ يولييه سنة ١٩٢٨م ؛ وكانت معروفًا بالعقل والدهاء في الشؤون السياسية . (٣) تباريا : تسابقا .



وقال يودّعه :

أنشدنا في حفل أقامه كبار موظفي مديرية القليوبية إذ كان مديرا لمديرتهم ونقل.

[نشرت في ٩ مايو سنة ١٩١٢]

إِنِّي دُعِيتُ إِلَى احْتِفَالِكَ بِخَآةَ * فَأَجَبْتُ رَغْمَ شَوَاغِلِي وَسَقَايِي
(١)
وَدَعَوْتُ شِعْرِي يَا (أَمِينُ) تَغَانِي * أَدَّبِي وَلَمْ يَرَعِ الْقَرِيبُ ضِمَامِي
فَأَتَيْتُ صِفْرًا لَكَفَّ لَمْ أَمْلِكْ سِوَى * أَمَلِي بِصَفْحِكَ عَنْ قُصُورِ كَلَامِي
وَأَتَجَلَّى أَبْكُورُ هَذَا مَوْفَى * فِي حَفْلَةِ التَّوْدِيعِ وَالْإِكْرَامِ
وَأَنَا الْخَلِيقُ بِأَنْ أُرْتَلَّ لِلْوَرَى * آيَاتِ هَذَا الْمُصْلِحِ الْمِقْدَامِ
وَأَقُومُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ غَيْرِي بِمَا * يَقْضِي الْوَلَاءُ وَوَجِبُ الْإِعْظَامِ
(٢)
(بِنَهَا)، لَقَدْ وَفَّيْتَ قِسْطَكَ مِنْ مُنَى * وَسَعَادَةٍ وَرِعَايَةٍ وَنِظَامِ
فَدَعَى سِوَاكَ يَفْزُ بِقَرَبِ مُوَفَّى * هُوَ فِي الْحُكُومَةِ تُجَبَّةُ الْحُكَامِ
لَيْسَ التَّوَاضَعُ حُلَّةً وَمَشَى إِلَى * رُتَبِ الْجَلَالِ مُسَدِّدِ الْأَقْدَامِ
وَعَدَا بِأَبْرَاجِ الْعُلَا مُسْتَقْلًا * كَالْبَذْرِ يُسْعِدُهُ السُّرَى بِتَمَامِ

(١) الندام : الحق والحكمة .

(٢) بنها : عاصمة مديرية القليوبية .

تهنئة محمود سامي بك (باشا)^(١)

فالها في حفل أقيم لتكريمه بفندق الكونتنتال المناسبة ترقية إلى منصب كبير في نظارة الأشغال

[نشرت في ١٢ يولييه سنة ١٩١٢ م]

رَبَّكَ وَالِدَكَ الْكَرِيمُ عَلَى التَّقَى * وَعَلَى التَّزَاهَةِ وَالضَّمِيرِ الطَّاهِرِ
فَلَشَّاتَ بَيْنَ رِعَايَةٍ وَعِزَايَةٍ * وَدَرَجَتَ بَيْنَ عَمَادٍ وَمَفَايِرِ
وَسَمَّوْتَ يَا (سَامِي) إِلَى أَوْجِ الْعُلَا * وَبَرَّعْتَ قَوْمَكَ بِالذِّكَاوِ النَّادِرِ
رَبِّي أَبُوكَ عَقُّوْنَا وَنُفُوسَنَا * فَأَهْنَأُ بِوَالِدِكَ (الْأَمِينِ) وَفَاحِرِ
وَأَهْنَأُ بِمَا أُوتِيْتَهُ مِنْ نِعْمَةٍ * فِي عَهْدِ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ الزَّاهِرِ
يَا مَالِيَّ الْكَرِيمِيَّ مِنْهُ مَهَابَةٌ * وَكِفَايَةٌ يَا مِلَّءَ عَيْنِ النَّاطِرِ
إِنِّ الَّتِي قُلْدَتْهَا فِي حَاجَةٍ * لِعَزِيمَةٍ تَمْضِي وَرَأْيِي بِاتِّرِ
فَأَقِضْ ضِيَاءَكَ فِي النِّظَارَةِ كُلِّهَا * وَأَقِضْ عَلَى الْأَعْمَالِ قَبْضَ الْقَادِرِ
وَأَخْذُكُمْ بِلَادِكَ بِالَّذِي أُوتِيْتَهُ * مِنْ فِطْنَةٍ وَأَقْلَ عِشَارِ الْعَاثِرِ
هَنَأْتُ مَضَرَ وَنِيلَهَا وَرِجَالَهَا * لَمَّا رَأَيْتُكَ فِي نِيَابِ الْأَمِيرِ
وَرَأَيْتُ فِي الدِّيَوَانِ قَدْرَكَ حَالِيًا * وَالنَّاسَ تَهْتَفُ بِالشَّنَاءِ الْعَاظِرِ

(١) هو ابن صاحب السعادة الأستاذ أمين سامي باشا المربي المعروف . تولى رحمه الله عدة مناصب

عالية في الحكومة المصرية آخرها منصب الوزير المفوض لمصر في أمريكا ، وتوفي في يولييه سنة ١٩٣٦

(٢) يشير بهذا البيت الى أن والد الممدوح من رجال الريسة بوزارة المعارف ، وكان ناظرا للمدرسة دار العلوم مدة طويلة من الزمن ، ويخرج في أيام نظارته لهذه المدرسة كثيرون من الأساتذة الأجلاء .

(٣) العهد الزاهر : المضيء ، المشرق ، ويريد عهد الخديوي عباس الثاني . (٤) البائر : تقاطع .

(٥) يقال : أقال فلان عثار فلان وعثرته ، إذا صفح عن زلة ودفع عنه ما يتوقع سببها من تكرره .

مَا بَيْنَ مُعْتَرِفٍ بِفَضْلِكَ مُعْلِنٍ * أَوْ ضَارِعٍ لَكَ بِالْدُعَاءِ وَشَاكِرٍ
أُمْهِنْدَسِ النَّيْلِ السَّعِيدِ تَحِيَّةً * مِنْ مِصْرَ تَحْدُوها تَحِيَّةُ شَاعِرٍ
يَدْعُو إِلَهَكَ أَنْ يَكْثُرَ بَيْنَنَا * أَمْثَالَ (ساي) فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ

إلى الدكتور على ابراهيم بك (باشا) الجراح المعروف

[نشرت في ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٢]

هَلْ رَأَيْتُمْ مُوَفَّقًا (كَعَلِيٍّ) * فِي الْأَطِبَّاءِ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ
أَوْدَعَ اللَّهُ صَدْرَهُ حِكْمَةَ الْعِلْمِ * سَمِ وَأَجْرَى عَلَى يَدَيْهِ الشِّفَاءَ
كَمْ نُفُوسٍ قَدْ سَلَّهَا مِنْ يَدِ الْمَوْتِ * تِ بِلُطْفٍ مِنْهُ وَكَمْ سَلَّ دَاءَ^(١)
فَارَانًا (لُقْمَانَ) فِي مِصْرَ حَيًّا * وَجَبَانًا لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءَ^(٢)
حَفِظَ اللَّهُ مِصْرًا فِي يَدَيْهِ * قَدْ أَمَاتَ الْأَمْسَى وَأَحْيَا الرَّجَاءَ^(٣)

تحية خليل مطران بك

أنشدتها في حفل أقيم بدار الجامعة المصرية لتكريمه بمناسبة الإنعام عليه بالنيشان المجيدى

يوم ٢٤ أبريل سنة ١٩١٣ م

جَازَى عِرْفُهَا فَهَاجَ الْغَرَامَا * وَدَعَانِي فِزْرُثَهَا إِيْلَامَا^(٤)
جَنَّةٌ تَبْعُثُ الْحَيَاةَ وَتَجْلُو * صَدَا النَّفْسِ رَوْثَقًا وَنِظَامَا

(١) سلها: اقترعها وأقربها. (٢) لقمان: حكيم معروف. وجبانًا: أعطانا. (٣) الموضع: المشروط. والأمسى: الحزن. (٤) العرف: الرمح اللينة. وإيلاما، أى زيارة قصيرة.

- (١) زُرْتُهَا مَوْهِنًا وَفِي طَيِّ نَفْسِي * ذِلَّةُ الصَّبِّ وَأَنْكَسَارُ الْيَتَامَى
- (٢) وَتَقَلُّتُ فِي تَحَايِلِهَا الْخُضْبَ * سِرِّيمِنَا وَيَسْرَةَ وَأَمَامَا
- (٣) فَإِذَا رَوَّضَاتٍ فِي ذَلِكَ الرَّوِّ * ضِ تَمِيسَانٍ تَحْتَ رِيحِ الْخُزَامَى
- (٤) جَاءَنَا تَحْطِرَانِ وَالنَّجْمُ سَاهٍ * وَعُيُونُ الْأَزْهَارِ تَبْنِي الْمَنَامَا
- (٥) جَازَتَا مَوْضِعِي فَهَبَّ نَسِيمٌ * أَذْكَى مِنِّي الْأَمْسَى وَهَاجَ الْهَيَامَا
- (٦) فَتَرْتَمَّتْ مِنْهُمَا أَثَرُ الْخَطِّ * وَوَخَافَتْ فِي الْمَسِيرِ احْتِشَامَا
- (٧) وَتَسَمِعْتُ عَلَيَّ أَطْفِئُ الشُّوْ * قَ وَأَرْوِي مِنَ الْفُؤَادِ الْأَوَامَا
- (٨) فَإِذَا لَهَجَتَانِ مِنَ لَهَجَاتِ الْأَشْ * رَقٍ قَدْ شَاقَتَا فُؤَادِي فَهَامَا
- تلك سُورِيَّةٌ تَفِيضُ بَيَانًا * تِلْكَ مِصْرِيَّةٌ تَسِيلُ أَنْسِجَامَا
- فِطْنَةٌ عِنْدَ رِقَّةٍ عِنْدَ ظَرْفٍ * عِنْدَ رَأْيٍ تَحَالُهُ إِلْهَامَا
- (٩) مَالَتَا نَحْوَ دَوْحَةٍ تُرْسِلُ الْأَغْ * مَصَانٍ وَأَخْتَارَتَا لَدَيْهَا مُقَامَا

(١) الموهن : نحو نصف الليل . (٢) الخناتل : المواضع الكثيرة الشجر، الواحدة خنيلة .

(٣) تميمسان : تبختران - والخنزاي : خنزي البر، وزهره من أطيب الأزهار قحمة .

(٤) كنى « بسهو النجم » و « نوم الزهر » عن سكون الليل وركود ظلامه .

(٥) يلاحظ أنه لا يستقيم الوزن إلا بحذف حرف العلة من قوله « أذكى » ؛ وهو خطأ لا يجيزه اللغة، ولعل في لفظي « أذكى » « وهاج » في هذا الشطر تقدما وتأخيرا ؛ والصواب « هاج » في الأول و « أذكى » في الثاني لسم من ذلك العيب . والأسمى : الحزن . والهيام : شدة الشوق .

(٦) خافت في المسير، أى خفضت منه وخفتت من وقع الخطو فلا يسمع .

(٧) الأوام : شدة العطش . ويريد الاشتياق إلى حديثهما .

(٨) المراد « بالهجة » هنا : طريقة النطق بالألفاظ وجرس الكلام .

(٩) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة .

- (١) ثم أَلَقْتُ فِتْنَاهَا بِنْتُ مِصْرٍ * وَأَمَاطَتْ بِنْتُ الشَّامِ اللُّثَامَا
فَنَوَّهْتُ أَنْ قَدْ انْفَلَقَ الْبَدُ * رُوقْدُ كُنْتُ أَنْكِرُ الْأَوْهَامَا
(٢) فَوَارَيْتُ ثُمَّ عَلَّقْتُ أَنْفَا * سِي مَا اسْطَعْتُ وَأَرْتَدَيْتُ الظَّلَامَا
ظَنًّا ذَلِكَ الْمَكَانَ خَلَاءَ * لَا رَقِيًّا يُخَشِي وَلَا نَمَامَا
بِغْرَى فِيهِ مَا جَرَى مِنْ حَدِيثٍ * كَانَ بَرْدًا عَلَى الْحَشَا وَسَلَامَا
حِينَ قَالَتْ لِأُخْتِهَا بِنْتُ مِصْرٍ : * إِنَّكُمْ أُمَّةٌ أَبَتْ أَنْ تُضَامَا
(٣) صَدَقَ الشَّاعِرُ الَّذِي قَالَ فِيكُمْ * كَلِمَاتٍ نَبَّهْنَ مِنَ النَّيَامَا
(٤) رَكِبُوا الْبَحْرَ جَاوَزُوا الْقُطْبَ فَأَتُوا * مَوْقِعَ النَّيِّرِينَ خَاضُوا الظَّلَامَا
يَمْتَقِطُونَ الْخُطُوبَ فِي طَلَبِ الْعَيْدِ * يَشِي وَيَبْرُونَ لِلنِّصَالِ السَّهَامَا
(٥) فَأَنْبَرَتْ ظَلِيَّةُ الشَّامِ وَقَالَتْ : * بَعْضَ هَذَا فَقَدْ رَفَعَتْ الشَّامَا
أَنْتُمْ الْأَسْبَقُونَ فِي كُلِّ مَرَمِي * قَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَرَامَا
(٦) إِنَّمَا الشَّامُ وَالْكِنَانَةُ صِنَوَا * نِ رَغَمِ الْخُطُوبِ عَاشَا لِزَامَا
(٧) أَمْكُمْ أَمْنَا وَقَدْ أَرْضَعْتَنَا * مِنْ هَوَاهَا وَنَحْنُ نَأْبَى الْفِطَامَا
(٨) قَدْ نَزَّلْنَا جَوَارِكُمْ فَمِذْنَا * مِنْكُمْ الْوُدَّ وَالنَّدَى وَالذَّمَامَا

(١) أَمَاطَتْ اللُّثَامَ : أبعده ونحوه . (٢) علقت ألقامي ، أى حبستها عن التردد في صدرى
لئلا تسمع فيعرف مكانى . (٣) الشاعر ، هو حافظ ، والبيتان اللذان بعد هذا البيت من قصيدة
له ستأتى في هذا الديوان . (٤) النيران : الشمس والقمر . يصف عزم الشاميين وكثرة ارتحالهم
في طلب الرزق . (٥) بعض هذا ، أى قول بعض هذا إذ لا يستحق كله . (٦) الصنو :
الأخ الثقي . (٧) ريد « بالأم » : اللغة العربية . (٨) الذمام : الحرمة والذمة .

وَحَلَّلْنَا فِي أَرْضِكُمْ فَأَصَبْنَا * مَنَزِلًا مُخِصَّبًا وَأَهْلًا كَرَامًا
 وَغَشِينَا دِيَارَكُمْ حَيْثُ شِئْنَا * فَلَقِينَا طَلَافَةً وَابْتِسَامًا
 وَشَرِبْنَا مِنْ نَيْلِكُمْ فَتَسِينَا * مَا لُبَّنَا سَلَسَلًا وَالْعَمَامَا^(١)
 وَقَبَسْنَا مِنْ نُورِكُمْ فَكَتَبْنَا * وَأَجَدْنَا نِسَارَنَا وَالنَّظَامَا
 وَتَلَوْنَا آيَاتِ شَوْقٍ وَصَبْرِي * فَرَأَيْنَا مَا يَهْرُ الْأَفْهَامَا
 مَلَاةَ الشَّرْقِ حِكْمَةً وَأَقَامَا * فِي ثَنَايَا التُّفُوسِ أُنَى أَقَامَا
 غَنِيَا الْمَشْرِقَيْنِ مَا تَرَكَ الْأَفْ * لَكَ حَيْرِي وَأَذْهَلَ الْأَجْرَامَا
 وَأَعَادَا عَهْدَ الرَّشِيدِ لَعَبَا * سَ فَكَانَا يَرَاعُهُ وَالْحُسَامَا^(٢)
 فَأَشَارَتْ فِتَاءُ مَضْرُوقَاتٍ : * قَدْكَ، لَمْ تَتْرُكِي لِمَضْرُوقَاتِهَا^(٣)
 أَتَمَّ النَّاسُ قُدْرَةَ وَمَضَاءَ * وَنُهُوضًا إِلَى الْعُلَا وَأَعْتَرَامَا^(٤)
 أَطْلَعْتَ أَرْضَكُمْ عَلَى كُلِّ أَفَقٍ * أَتُجْمَا إِثْرُ الْأُتْجَمِ تَدْرَأِي^(٥)
 تَرَكُبُ الْمَوَلَّ لَا تَفَادِي وَتَمِشِي * فَوْقَ هَامِ الصَّعَابِ لَا تَتَّحَمِي^(٥)
 قَدْ سَمِعْنَا "خَلِيلَكُمْ" فَسَمِعْنَا * شَاعِرًا أَقْعَدَ النَّهْيِ وَأَقَامَا^(٦)
 وَطَمَعْنَا فِي شَأْوِهِ فَقَعَدْنَا * وَكَسَرْنَا مِنْ عَجْزِنَا الْأَقْلَامَا

(١) السلسل : العذب . (٢) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسي ، وكان عصره

حافلًا بالأدباء والشعراء . ويريد « بعباس » : الخديوي السابق عباس حلمي الثاني .

(٣) قدك : حسبك . (٤) يريد « بالأنجم » : رجال سوريا المتفرقين في أنحاء العالم .

(٥) لا تفادي ، أي لا تتفادي . (٦) الشار : الناية .

نَظَمَ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ وَمِصْرًا * سِلْكُ آيَاتِهِ فَكَانَ الْإِمَامَا
 فَشَى النَّشْرَ خَاضِعًا وَمَشَى الشَّعْرُ* وَأَلْقَى إِلَى الْخَلِيلِ الزَّمَامَا
 وَرَأَى فِيهِ رَأَيْنَا صَاحِبُ النَّيِّ * لَمْ فَأَهْدَى إِلَيْهِ ذَلِكَ الْوَسَامَا^(١)
 شَارَةً زَانِتِ الْقَزِيضِ فَكَانَتْ * شَارَةً النَّصْرِ زَانِتِ الْأَعْلَامَا
 فَعَقَدْنَا لَهُ اللَّوَاءَ عَلَيْنَا * وَاحْتَفَلْنَا تَزِيدَهُ إِكْرَامَا
 ذَاكَ مَا دَارَيْنَ حَدِيثَ شَهِيٍّ * يَسْتَفِرُّ النَّهْيَ وَيَشِجِي النَّدَامَا
 قَدْ تَسَقَّطَتْهُ وَخَالَفَتْ فِيهِ * مَنْ يَرَى الثَّقَلَ سُبَّةً وَاجْتِرَامَا^(٢)
 فِى الثَّقَلِ مَا يَكُونُ حَلَالًا * وَمَنْ الثَّقَلَ مَا يَكُونُ حَرَامَا

صَدَقَ الْغَادَتَانِ يَا لَيْتَ قَوْمِي * سَاكِمَا قَالَا هَوَىٰ وَاللَّيْمَا
 نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى كُلِّ مَا يُنْ * يَمِي قُؤَانَا وَيَرْبِطُ الْأَرْحَامَا
 فَاجْعَلُوا حَفْلَةَ الْخَلِيلِ صَفَاءً * بَيْنَ مِصْرٍ وَأَخْتَهَا وَسَلَامَا
 وَأَسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُدِيمَ عَلَيْنَا * مَلِكُ "عِبَاسٍ" نَاضِرًا بَسَامَا^(٣)
 هُوَ آمَانُنَا وَحَايِي حِمَانَا * أَيَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ وَأَدَامَا

(١) صاحب النيل، أى امير مصر. وكان إذ ذاك عباس الثانى .

(٢) تسقط الأخبار: تقيها واحذرها شيئا بعد شيء .

(٣) منع "عباسا" من الصرف لغرورة الوزن .

تهنئة له أيضا للإنعام عليه بالوسام السابق ذكره

[نشرت في أول أبريل سنة ١٩١٣ م]

(١)
وَسِعَ الْفَضْلُ كُلَّهُ صَدْرُكَ الرَّحْمَ * بُ مِنْ شَاءَ فَلَيْسَ بِي وَسَامَةٍ
لَمْ يَزِدْكَ الْوِسَامُ قَدْرًا وَلَكِنْ * زَادَ قَدْرَ الْعِلَّا وَقَدَّرَ الْكَرَامَةَ
كَمْ وَسَامٍ كَمْ حِلْيَةٍ كَمْ شِعَارٍ * فَيْكَ كَمْ شَارَةٍ وَكَمْ مِنْ عَلَامَةٍ
لِإِبَاءٍ وَحِكْمَةٍ وَإِخَاءٍ * وَصَفَاءٍ وَهَمِيَّةٍ وَشَهَامَةٍ

تحية إلى واصف غالى بك (باشا)

أُنشدها في فندق شبرد في ٤ يونية سنة ١٩١٤ عند ما نشر كتابه المعروف « بحديقة الأزهار »
الذي ترجم فيه بعض الشعر العربي القديم إلى اللغة الفرنسية ، وكان يلقي محاضرات وخطب
في فرنسا ينوه فيها بالعرب ومصر والشرق

(٢)
يَا صَاحِبَ الرُّوضَةِ الْغَنَاءِ هَجَّتْ بِنَا * كَرَى الْأَوَائِلِ مِنْ أَهْلِ وَجِيحَانِ
نَشَرْتَ فَضْلَ كِرَامٍ فِي مَضَاجِعِهِمْ * بَرَّ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ ذَيْلَ نَسِيَانِ
إِنِّي أَحْيَيْكَ عَنْهُمْ فِي جَزِيرَتِهِمْ * وَفِي الْعِرَاقِ وَفِي مِصْرٍ وَلُبْنَانِ
(٣)
جَلَوْتَ لِلْغَرْبِ حُسْنَ الشَّرْقِ فِي حُلَّالٍ * لَا يُسْتَمَانُ بِهَا نَسَاجَ (هَرْنَانِي)

(١) الضمير في « وسامه » للصدر . (٢) الروضة الغناء : هي التي تمر الريح فيها غير صافية
الصوت لكثافة نبتها والتفافه . (٣) نسيج هرناني . يريد تشبيه واصف غالى بفكتور هوجو
الشاعر الفرنسي المعروف مؤلف رواية هرناني ، وهي رواية تمثيلية معروفة تعد من عيون الأدب الفرنسي ،
وقد ترجمت إلى العربية .

- (١) ظَنُّوكَ مِنْهُمْ وَقَدْ أَثْنَأْتَ تَحْطُّهُمْ * بِمَا عَنَّا لَكَ مِنْ سِحْرِ وَيَتِيَانِ
 مَا زِلْتَ تَبْهَرُنَا طَوْرًا وَتَبْهَرُهُمْ * حَتَّى أَدْعَاكَ وَحَيَّاكَ الْفَرِيقَانِ
 لَوْلَا أَسْمِرُكَ فَازُوا فِي أَدْعَائِهِمْ * (بِوَصِيفِ) وَخَسِرْنَا أَيْ خُسِرَانِ
 غَرَسْتَ مِنْ زَهْرَاتِ الشَّرْقِ طَائِفَةً * فِي أَرْضِ (هَيْجُو) بِخَاءَتْ طُرُقَةَ الْجَانِي
 حَاقِدَةً لَكَ لَمْ نَعْمِدْ لَهَا شَبَّهَا * بَيْنَ الْحَدَائِقِ فِي زَهْرِ وَأَفْنَانِ
 يُحْيِي شَذَاهَا نُفُوسَ الْوَافِدِينَ وَمَا * مَرُّوا بِوَرْدٍ وَلَا طَائِفُوا بِرَمْحَانِ
 لَكُنْهَا مِنْ أَزَاهِيرِ الثَّمَرِ جَمَعَتْ * مَا لَا تُتْلَفُهُ أَزْهَارُ بُسْتَانِ
 بِالْأَمْسِ كَانَ لَهَا شَرْقٌ تَضُوعُ بِهِ * وَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا بِالْقَرْبِ شَرْقَانِ
 أَسْمَعْتَهُمْ مِنْ نَسِيبِ الْقَوْمِ فَانْطَلَقَتْ * سُؤُونَ كُلَّ شَيْءٍ الْقَلْبِ وَلَمَّانِ
 وَزِدْتَهُمْ مِنْ كَلَامِ (الْبَحْتَرِيِّ) قِطْعًا * مِثْلَ الرِّيَاضِ كَسَتْهَا كُفَّ (نَيْسَانَ)
 سَلَّ (الْقَرِيدَ) وَ(الْمَرْيُوتَ) هَلْ جَرَّيَا * مَعَ (الْوَلِيدِ) أَوْ (الطَّائِي) بِمَيْدَانِ

(١) ظنوك منهم، أي ظنك الفرنسيون فرنسا منهم. وعنا: خضع وذل. (٢) يريد بالزهرات: المقطوعات الأدبية التي ترجمها. وهيجو، هو فيكتور هوجو الشاعر المعروف انظر التعريف به في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٨ من هذا الجزء. والطرفة: الغريب المستحسن المعجب. (٣) الشذا: قوة ذكاء. الراححة. (٤) تتلفه، أي تباريه وتغالبه في النفع، أي الراححة الطيبة. (٥) تضوع: تفوج وتشتت. (٦) النسيب: التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر. ويريد بالقوم شعراء العرب. والشؤون: بجاري الدموح. (٧) نيسان: شهر من شهور السنة المسيحية معروف، وهو يقابل أبريل. (٨) انظر التعريف بالفريد ديموسيه في الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٢٦ من هذا الجزء. ولا مارتين، هو الفونس دلامارتين الشاعر الفرنسي؛ ولد سنة ١٧٩٠ وتوفي في سنة ١٨٦٩ وهو معروف برقة الغزل حتى قيل له: شاعر الحب والجمال. والوليد، هو أبو عبادة البحتري. والطائي، هو أبو تمام حبيب بن أوس؛ وكلاهما شاعر معروف.

(١)

وَهَلْ هُمَا فِي سَمَاءِ الشَّعْرِ قَدْ بَلَّغَا * شَاوُ (النَّوَاسِي) فِي صَوْنٍ وَإِنْقَانٍ

(٢)

وَدَا وَقَدْ شَهِدَا بِالْحَقِّ أَنَّهُمَا * فِي بَيْتِ (أَحْمَدَ) لَوِ رَضَى نَدِيمَانِ

أَمْسَى كِتَابُكَ "كَالْسِيَا" يُعِيدُ لَهُمْ * مَرَأَى الْحَوَاثِثِ مَرَّتْ مِنْذُ أَزْمَانِ

(٣)

قَدْ شَاهَدَا فِيهِ تَحْتَ النَّقَمِ عَنَتَرَةٌ * يُصَارِعُ الْمَوْتَ عَنْ عَيْسٍ وَذُبْيَانِ

وَشَاهَدُوا أَسَدًا يَمْشِي إِلَى أَسَدٍ * كِلَاهُمَا غَيْرُ هَيَّابٍ وَلَا وَانِي

(٤)

هَذَا مِنَ الْعَرَبِ لَا يُلَوِّي بِهِ فَرْعٌ * وَذَاكَ أَرْوَعٌ مِنْ آسَادِ خَفَّانِ

يَهْ دَرَّ يَرَايَ أَنْتَ حَامِلُهُ * لَوْ كَانَتْ فِي أَمْتِي يَوْمًا لَأَغْنَانِي

وَقَفَّتْ تَدْفَعُ عَنْ آدَابِنَا تُهْمًا * كَادَتْ تُقَوِّضُ مِنْهَا كُلَّ بُنْيَانِ

فَكُنْتَ أَوَّلَ مِصْرِيٍّ أَقَامَ لَهُمْ * عَلَى نَبَالَةٍ مِصْرٍ أَلْفَ بُرْهَانِ

(١) وهل هما، أي ألفريد ولا مارتين . والنواسي ، هو أبو نواس الحسن بن هاني، الشاعر المعروف . والثناؤ : الثناء . (٢) يريد أبا الطيب أحمد بن الحسين التميمي الشاعر المعروف . (٣) النعم : النبار في الحرب . وعنترة ، هو ابن شذاد العبسي ، وهو من خول شعراء الجاهلية ومن فرسانهم المعروفين بالشجاعة والبأس ، وهو صاحب المعلقة التي أولها :

هل غادر الشعراء من متردّم * أم هل عرفت الدار بعد نوحم

وعيس وذبيان : قيلتان من قبائل العرب معروفتان ، ويشير إلى أن الممدوح قد ترجم بعض شعر عنترة في كتابه .

(٤) « لا يلوى به فرع » ، أي لا يصرفه ولا يردّه خوف . والأروع : النهم الشجاع . وخفان : موضع قرب الكوفة تأوى إليه الأسود . ويشير بهذا البيت والذي قبله إلى قصيدة البديع الحمذاني التي قالها على لسان بشر بن عروة ، وذكر فيها لقاءه للأسد ومواقفته إيّاه حتى قتله ، وهي من القصائد التي ترجمها الممدوح إلى اللغة الفرنسية في كتابه السابق ذكره ، وأولها :

أفاطم لو شهدت بيطن خبت * وقد لاقى المزبر أخاك بشرا

(١) مَا زِلْتَ تُلْقَى عَلَى أَتْمَاعِهِمْ حُجْبًا * فِي كُلِّ نَادٍ وَتَأْتِيهِمْ بِسُلْطَانِ
(٢) حَتَّى أَتَنَبَّتَ وَمَا لِلْعَرَبِ مُجْتَرِي * عَلَى الْبِنَاءِ وَلَا زَارٍ عَلَى الْبَانِي
(٣) مَحَوْتَ مَا كَتَبُوا عَنَّا بِقَاطِعَةٍ * مِنَ الْبَرَاهِينِ قَلْتُ قَوْلَ (رِيَّانِ)
(٤) أَنَحَى عَلَى الْأَدَبِ الشَّرْقِيِّ مُفْتَرِيًا * عَلَيْهِ مَا شَاءَ مِنْ زُورٍ وَبُهْتَانِ
(٥) ظَنُّ الْحَقِيقَةِ فِي الْأَشْعَارِ تَقْصُصُنَا * وَاللَّفْظَ وَالْقَصْدَ وَالتَّصْوِيرَ فِي آنِ
(٦) وَأَنْتَا لَمْ نَصِلْ فِيهَا إِلَى مِثْلَةٍ * عَدَا وَذَلِكَ لِي أَوْ لِنَقْصَانِ
(٧) وَلَوْ رَأَى (ابْنَ جُرَيْجٍ) فِي قَصَائِدِهِ * لَقَالَ آمَنْتُ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
مَالِي أَفْأَحِرُ بِالْمَوْتِ وَبَيْنَ يَدَي * مِنْ شِعْرِ أَحْيَانُنَا مَا لَيْسَ بِالْقَانِي
فِي شِعْرِ (شَوْقٍ) وَ(صَبْرِي) مَا تَبَيَّه * عَلَى نَوَائِيهِمْ دَعَا شِعْرَ (مُطْرَانِ)
بُورِكْتَ يَا بَنَ الْوَزِيرِ الْحُرِّ مِنْ رَجُلٍ * لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ أَوْ فِي فَضْلِهِ أَشْنَانِ
بَلَّغَ إِذَا جِئْتَ (بَارِيًا) أَفَاضِلَهَا * عَنَّا التَّحِيَّاتِ وَأَشْفَعَهَا بِشُكْرَانِ

(١) السلطان : الحجة والبرهان . (٢) الزارى : العائب . (٣) ريَّان هو الفيلسوف الفرنسى المعروف الذى ردَّ عليه الأستاذ الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده فيما رى الإسلام والمسلمين به من تهم ؟ وقد غرَّ الأدب الشرقى بعدة مغامر سذكها الشاعر بعد . (٤) يقال : أَنَحَى عَلَيْهِ بِالشَّمِّ ، إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِهِ . وَالْمُفْتَرَى : الْكَاذِبُ الْمُخْتَلَقُ . (٥) « وَأَنْتَا » الخ ، أى ظن أن شعراء العرب لم يصلوا فى القصيدة الى مئة بيت ، ونسب ذلك إلى العجز فى المنطق ونقصان اللغة العربية وقصورها عن تأدية ما يريد الشاعر . (٦) يريد بـابن جريج أبا الحسن على بن العباس بن جريج الروى مولى بنى العباس ، الشاعر المكثّر ، صاحب التوليد الغريب والمعانى المبتكرة ؟ ولد ببغداد سنة ٢٢١ هـ . وتوفى سنة ٢٨٣ هـ وهو مشهور بالمطولات من القصائد . (٧) الوزير ، هو بطرس غالى باشا أبو المندوح .

- (١) وَخُصَّ كَاتِبُهُمْ (زُولَا) بِأَطْيَبِهَا * كَيْمَا يُقَابِلُ إِحْسَانُ بِإِحْسَانِ
(٢) وَاجْعَلْ لِسْفَرِكَ ذَيْلًا فِي شَوَاعِرِنَا * وَقِفْ لَهْنَ هُنَاكَ الْمَوْقِفَ الثَّانِي
(٣) وَاتُّرَعْلَى الْغَرِيبِ مِنْ تِلْكَ الْحُلَى وَأَشْدُ * بِكُلِّ حُسْنَانَةٍ فِينَا وَحُسْنِ
(٤) وَعُدْ إِلَى الشَّرْقِ عَوْدَ الْفَاتِحِينَ لَهُ * وَخُذْ مَكَانَكَ فِيهِ فَوْقَ (كِيَوَانِ)
(٥) وَأَشْكُرْ رِعَايَةَ عَبَّاسٍ وَمِيتَهُ * وَأَشْرَحْ وَلَاءَكَ يَا (غَالِي) (لُعْمَانِ)
(٦) وَأَضْرِعْ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَرْعَى أَرِيكَتَنَا * مَرْفُوعَةَ الشَّانِ مَا مَرَّ الْجَدِيدَانِ

تهنئة المغفور له السلطان حسين كامل بالسلطنة^(٧)

[نشرت في أوّل يناير سنة ١٩١٥م]

هَيْبَتًا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَجَلُّ * لَكَ الْعَرْشُ الْجَدِيدُ وَمَا يُظَلُّ
(٨) تَسْمُ عَرْشَ (اسماعيل) رَجَبًا * فَأَنْتَ لَصَوْبُ لِحَانِ الْمَلِكِ أَهْلُ

- (١) هو اميل زولا الكاتب الفرنسي المعروف؛ ولد في باريس سنة ١٨٤٠م، وتوفي سنة ١٩٠٢م.
(٢) يرغب حافظ الى المدوح أن يترجم الى اللغة الفرنسية كتابا آخر من شعر النساء العرييات يكون ذيلًا لكتابه الأول . (٣) أشاد بذكره، أي رفعه بالثناء عليه . وبكل حسنة وحسان، أي بكل مجيدة محسنة في الشعر ومجيد محسن . ويجوز أن يقرأ هذان اللفظان بفتح الحاء، على معنى شاعرة وشاعر يشبهان حسان بن ثابت . (٤) كيوان : اسم كوكب زحل بالفارسية . (٥) يرغب الى علوهه أن يشرح لعثمان مرتضى باشا إخلاصه للندوى ليلفقه إياه، وكان عثمان باشا في سراي الخديوى عباس الثاني في منزلة كبير الأمناء الآن . (٦) الأريكة : سرير الملك . والجديدان : الليل والنهار .
(٧) ولد السلطان حسين كامل في يوم (١٩ صفر سنة ١٢٧٠هـ) (٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣م)، وفي يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤م تولى عرش مصر؛ وتوفي رحمه الله في ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧م . (٨) تسم العرش : ملاه . والصوبان : المعنا المعوجة من الطرف؛ وهو لفظ فارسي معرب؛ وكانت الملوك تتخذ شعارا للآل .

وَحَصَّنَهُ بِإِحْسَانٍ وَعَدِلَ * فِخْصُ الْمَلِكِ إِحْسَانٌ وَعَدِلُ
 وَجَدَّ سِيرَةَ الْعَمَرَيْنِ فِينَا * فَأَنْشِكَ بَيْنَنَا لِلَّهِ ظِلُّ^(١)
 لَقَدْ عَزَّ السَّرِيرُ وَتَاهَ لَمَّا * تَبَوَّأَهُ الْمَلِكُ الْمُسْتَقِيلُ^(٢)
 وَهَشَّ النَّجَّاجُ حِينَ عَلا جَبِينًا * عَلَيْهِ مَهَابَةٌ وَعَلَيْهِ نُبُلُ^(٣)
 تَمَنَّى لَوْ يَقَرُّ عَلَى أَبِي * تَذِلُّ لَهُ الْخُطُوبُ وَلَا يَذِلُ^(٤)
 وَقَدْ نَالَ الْمَرَامَ وَطَابَ نَفْسًا * فَهَا هُوَ ذَا بِبَلَابِيسِهِ يُبْدِلُ^(٥)
 وَمَا كُنْتَ الْغَرِيبَ عَنِ الْمَعَالِي * وَلَا النَّجَّاجُ الَّذِي بَكَ بَاتَ يَعْلُو^(٦)
 وَإِنَّكَ مَنْذُ كُنْتَ وَلَا أَغَالِي * حُسَامٌ لِلْأَرِيكَةِ لَا يُقْلُ^(٧)
 فَكَمْ نَهْنَهَتْ مِنْ غَرْبِ الْعَوَادِي * وَكَمْ لَكَ فِي رُبُوعِ النَّيْلِ فَضْلُ^(٨)
 وَمَا مِنْ جَمْعٍ لَخَيْرٍ إِلَّا * وَمِنْ كَفَيْكَ سَمَّ عَلَيْهِ وَبُلُ^(٩)
 فَقَدْ عَرَفَ الْفَقِيرُ نَدَاكَ قَدَمًا * وَقَدْ عَرَفَ الْكَافِرُ عُلَاكَ قَبْلُ
 لَكَ الْعَرْشَانِ : هَذَا عَرْشُ مِصْرٍ * وَهَذَا فِي الْقُلُوبِ لَهُ مَحَلُّ
 فَالْفَ ذَاتَ بَيْنِهِمَا بَرَأِي * وَعَزَّيْمٌ لَا يَحْكُلُ وَلَا يَمَلُّ

(١) العمران : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . (٢) تاه : اختال . وتبوأه : جلس عليه .

(٣) هش للأمر : ارتاح إليه . (٤) يذل ، أى يفرط في التيه والاختيال .

(٥) قوله : « ولا النجاج الذى بك بات يعلو » أى ليس النجاج الذى علا بهلاك غربيا عن المعالي

أيضا . (٦) لا أغالى ، أى لا أبالغ . ولا يغل ، أى لا يظلم حده . (٧) « نهنت من

غرب العوادي » ، أى كفت من الثواب ومرقتها عن مصر . وغرب البهيف ونحوه : حده .

(٨) الويل : المطر الكثير .

فَعَرِشٌ لَا تُحْفُ بِهِ قُلُوبٌ * تَحْفُ بِهِ الْخُطُوبُ وَيَضْمَعُلُ^(١)
 (أَبَا الْفَلَاحِ) كَمْ لَكَ مِنْ أَيْادٍ * عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ تَدُلُّ^(٢)
 وَالْأَيُّ وَانْتَ أَطْنَبْتُ فِيهَا * وَفِي أَوْصَافِهَا فَا نَا الْمُقِلُّ^(٣)
 عُنَيْتَ بِمَالَةِ الْفَلَاحِ حَتَّى * تَهَيَّبَ أَنْ يَزُورَ الْأَرْضَ مَحَلُّ^(٤)
 وَكَيْفَ يَزُورُ أَرْضًا سِرَتْ فِيهَا * وَانْتَ الْفَيْتُ لَمْ يَمْسِكْهُ بُحْلُ
 وَكَمْ أَحْبَبْتَ مِنْ أَرْضِ مَوَاتٍ * فَاصْطَحَتْ تُسْتَرَادُ وَتُسْتَقَلُّ^(٥)
 وَأَخْصَبَ أَهْلُهَا مِنْ بَعْدِ جَذْبٍ * وَفَاضَ عَلَيْهِمْ رَغْدٌ وَتَقَلُّ^(٦)
 وَكَمْ أَسْمَعْتَ فِي مِصْرٍ جَرِيحًا * عَلَيْهِ الْمَوْتُ مِنْ كَثْبٍ يُطَلُّ^(٧)
 وَكُنْتَ لِكُلِّ مُسْكِينٍ وَقَاءً * وَأَهْلًا سِينَ لَمْ تَنْفَعْهُ أَفْلُ^(٨)
 وَكُنْتَ قَتَى بِعَهْدِ أَيْكَ نَدْبًا * لَهُ رَأْيٌ يُسَدِّدُهُ وَيَفْعَلُ^(٩)
 لِكُلِّ عَظِيمَةٍ تُدْعَى قُبْلِي * بَلَاءٌ مُجَرَّبٌ يَحْدُوهُ عَقْلُ
 تَوَلَّيْتَ الْأُمُورَ قَتَى وَكَهْلًا * فَلَمْ يَبْلُغْ مَدَالِكَ قَتَى وَكَهْلُ^(١٠)

- (١) يضمحل : يخل ويذهب . (٢) كان المفقور له السلطان حين كامل يعني كل
 العناية بغير الفلاح ورعاؤه ؛ وكان رعيًا لجميع الزراعية مدة من الزمن . (٣) الآلا : النعم .
 والمحل : المورجى الكلام . (٤) المحل : الجذب . (٥) استراد المكان : طلبه
 ونخيره للزول فيه . (٦) الفل : زيادة الخير . (٧) من كَثْبٍ : أى من قرب .
 (٨) الوقاء : الحفظ . (٩) التدب : هو من اذا تدب لحاجة أسرع في قضائها ، والسرير
 الى الفضائل . (١٠) يشير بقوله : « تولى الأمور قَتَى وكهلاً » الى المناصب التى تولاها فى عهد
 أبيه اسماعيل وأخيه توفيق وابن أخيه عباس الثانى .

(١) وَجَرَّبْتَ الْحَوَاثِثَ مِنْ قَدِيمٍ * وَمِثْلَكَ مَنْ يُجْرِبُهَا وَيَسْلُو
(٢) وَكَتَبْتَ لِمَجْلِسِ الشُّورَى حَيَاةً * وَنِيرَاسًا إِذَا مَا الْقَوْمُ ضَلُّوا
(٣) فَلَمْ يُلَيْمِ بِسَاحِحِهِ جُحُودٌ * وَلَمْ يَحْلِسْ بِهِ عُضْوٌ أَشَلُّ
(٤) وَمَا غَادَرْتَهُ حَتَّى أَفَاقُوا * وَمِنْ أَمْرَاضٍ عَيْشِهِمْ أَبْلُوا
فِعْشَ لِلنَّبِيلِ سُلْطَانًا أَبْيَا * لَهُ فِي مُلْكِهِ عَقْدٌ وَحَلُّ
(٥) وَوَالِ الْقَوْمَ إِنَّهُمْ كِرَامٌ * مَيَّامِينُ النَّقِيَّةِ أَيْنَ حَلُّوا
(٦) لَهُمْ مُلْكٌ عَلَى التَّامِيزِ أَصَحُّ * ذُرَاهُ عَلَى الْمَعَالِي تَسْتَهْلُ
(٧) وَلَيْسَ كَقَوِيهِمْ فِي الْغَرَبِ قَوْمٌ * مِنْ الْأَخْلَاقِ قَدْ نَهَلُوا وَعَلُّوا
فَإِنْ صَادَقْتَهُمْ صَدَقُوكَ وَدَا * وَلَيْسَ لَهُمْ إِذَا قَتَشْتَ مِثْلُ
(٨) وَإِنْ شَاوَرْتَهُمْ وَالْأَمْرُ جِدُّ * ظَفِيرَتَ لَهُمْ بِرَأْيٍ لَا يَزِلُّ
وَأَنْ نَادَيْتَهُمْ لَبَّاكَ مِنْهُمْ * أَسَاطِيلُ وَأَسْيَافٌ تُسَلُّ
(٩) فَمَادِدُهُمْ حِبَالُ الْوَدِّ وَأَنْهَضُ * بِنَا فِقْيَادُنَا لِلْخَيْرِ سَهْلُ

- (١) يسلو : يختبر . (٢) النيراس : المصباح . (٣) ألم بالمكان :
زاره زيارة غير طويلة . (٤) أبل المريض : شفى .
(٥) يريد بالقوم : الانجليز . وميمون النقية : محمود المختبر .
(٦) التاميز : نهر بانجلترا معروف . والقرى : المرتفعات ، الواحدة ذروة . وتستهل : تظهر .
(٧) التهل (بالتحريك) : الشرب الأول . والهلل (بالتحريك أيضا) : الشرب الثانى . يريد أنه
ليس فى أمم أوروبا أمة مثل الانجليز قد ارتوت من منهل الأخلاق . (٨) يزل : يخطئ .
(٩) يقال : تماذا حبال الود ، اذا تواذا .

(١)
وَحَقَّفَ مِنْ مُصَابِ الشَّرِّ فِينَا * فَتَجَنُّ عَلَى رِجَالِ الْعَرَبِ ثِقْلُ
إِذَا نَزَلَتْ هُنَاكَ بِهِمْ خُطُوبٌ * أَلَمْ يَبْنَاهُنَا قَلْقًا وَشُغْلًا
(٢)
حَيَارَى لَا يَقْرُنَا قَرَارٌ * تُنَازِلُنَا الْخُطُوبُ وَنَحْنُ عُزْلُ
فَاهْلًا بِالذَّلِيلِ إِلَى الْمَعَالِي * أَلَا سِرِّيَا (حُسَيْنٌ) وَنَحْنُ تَتْلُو
وَأَسْعِدُنَا بِعَهْدِكَ خَيْرَ عَهْدٍ * بِهِ أَيَّامُنَا تَصْفُو وَتَحْلُو
(٣)
فَأَمْرُكَ طَاعَةٌ وَرِضَاكَ غُنْمٌ * وَسَيْفُكَ قَاطِعٌ وَنَدَاكَ جَزْلُ

إلى الطليبة (لونا)

قال هذين البيتين فيها بمناسبة طفلة رزقها صديقه محمد بك بدر
وكانت (لونا) هي المولدة

[نشرت في ١٥ فبراير سنة ١٩١٦ م]

(لُؤَنَا) شُهْرَةٌ فِي الطَّبِّ نَاهَتْ * بِهَا يَضُرُّ وَتَاهَ بِهَا مَدِيحِي
(٤)
وَمِنْ عَجَبِ تَدِينُ بَدِينِ (مُوسَى) * وَتَأْتِينَا بِمُعْجَزَةِ (الْمَسِيحِ)

(١) يريد بالخطر الثاني من هذا البيت أن نأمننا عن الغريمين جعلنا حملاً ثقيلاً على كواهلهم .

(٢) العزل : الذين لا سلاح لهم ، الواحد أعزل .

(٣) الجزل : الكثير .

(٤) يريد تشبيه هذه الطليبة في طلبها بنبى الله عيسى عليه السلام ، إذ كانت معجزته إحياء الموتى .

ذكرى شكسبير^(١)

قالها تلبية لدعوة المجمع العلمى بالبحرنا الذى أقام احتفالا

بذكرى شكسبير لمرور ثلثائة عام على وفاته

[نشرت فى ١ مارس سنة ١٩١٦ م]

يُحْيِكَ مِنْ أَرْضِ الْكِتَابَةِ شَاعِرٌ * شَخُوفٌ بِقَوْلِ الْعَبَقَرِيِّينَ مُغْرَمٌ
وَيُطْرِبُهُ فِي يَوْمٍ ذِكْرُكَ أَنْ مَشَتْ * إِلَيْكَ مُلُوكُ الْقَوْلِ عُزْبٌ وَأَعْجَمٌ^(٢)
نَظَرْتَ بَيْنَ الْغَيْبِ فِي كُلِّ أُمَةٍ * وَفِي كُلِّ عَصْرِ تَمَّ أَنْشَأَتْ تَحْكُمُ^(٣)
فَلَمْ تُخْطِئِ الْمَرْمَى وَلَا غَرَوِ أَنْ دَنَتْ * لَكَ الْغَايَةُ الْقُصُوى فَإِنَّكَ مُلْهِمٌ^(٤)
أَفْنَى سَاعَةٍ وَأَنْظُرْ إِلَى الْخَلْقِ نَظْرَةً * تَجِدُهُمْ - وَإِنْ رَأَى الطَّلَاءُ - هُمْ هُمُ^(٥)
عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ شَرِّ أَطْلَاعِهِمْ دَمٌ * وَفَوْقَ عُيَابِ الْبَحْرِ مِنْ صُنْعِهِمْ دَمٌ^(٦)
تَفَانُوا عَلَى دُنْيَا تَقَرُّ وَبَاطِلٌ * يَزُولُ إِلَى أَنْ جَبَّتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ^(٧)
فَلَيْتَكَ تَحْيَا يَا أَبَا الشَّعْرِ سَاعَةً * لَتَنْظُرَ مَا يُصَيِّبُ وَيُدْبِي وَيُؤْلِمُ^(٨)
وَقَائِعَ حَرْبٍ أَجَّجَ الْعِلْمُ نَارَهَا * فَكَأَدَّهَا عَهْدُ الْحَضَارَةِ يُحْتَمُّ^(٩)

(١) وليام شكسبير، هو الشاعر الانجليزي المعروف؛ ولد سنة ١٥٦٤م، وكانت وفاته سنة ١٦١٦م.

(٢) الأجم: وصف يطلق على الجمع كما هنا، وعلى المفرد؛ يقال: رجل أجم، وقوم أجم.

(٣) القصوى: البعيدة. (٤) رافئى طلائه: أعجبنى ظاهره. (٥) ظهرها، أى

ظهر الأرض. (٦) أسماء السهم: قتله. (٧) أجج العلم ناراها، أى أشعلها العلم

بمطرقة المهلكة.

وَتَعْلَمُ أَنَّ الطَّبَعَ لَا زَالَ غَالِبًا * سَوَاءَ جَهُولُ الْقَوْمِ وَالْمُتَعَلِّمُ
 فَمَا بَلَّغْتَ مِنْهُ الْحَضَارَةَ مَارَبًا * وَلَا نَالَ مِنْهُ الْعِلْمُ مَا كَانَتْ يَزِمُ^(١)
 أَهَبْتَ بِهَذَا مِنْ قُرُونٍ ثَلَاثَةَ * وَكُنْتَ عَلَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ تَنَقِّمُ^(٢)
 وَمَا هَدَمَ التَّجْرِبُ رَأْيَا بَنِيَّتَهُ * وَلَا زَالَتِ الْآرَاءُ تُبْنَى وَتُهْدَمُ
 إِلَّا إِنْ ذِكْرِي شَكْسِيرَ بَدَتْ لَنَا * بَسِيرَ سَلَامٍ تَنْهَرُهُ يَتَبَسَّمُ^(٣)
 فَلَوْ أَنْصَفُوا أَبْطَلَهُمْ لَتَهَادَنُوا * قَبْلًا وَحَيَّوْا شِعْرَهُ وَرَتَمُوا^(٤)
 وَلَمْ يُطْلِقُوا فِي يَوْمٍ ذِكْرَاهُ مِدْقًا * وَلَمْ يُزْهِقُوا نَفْسًا وَلَمْ يَتَقَحَّمُوا^(٥)
 لَهُ قَلَمٌ ماضِي الشَّابَةِ كَأَنَّمَا * أَقَامَ بِشَقِيهِ الْقَضَاءُ الْمُحْتَمُ^(٦)
 طَهُورٌ إِذَا مَا دُنُسَتْ كُفٌّ كَايِبٍ * وَقُوبٌ إِذَا مَا قَرَّ فِي الطَّرِيسِ مِرْقَمُ^(٧)
 وَلَوْعٌ بِتَصْوِيرِ الطَّبَاعِ فَلَمْ يَحْزُ * بِمَاطِنَةٍ إِلَّا حَسْبَانَهُ يَرْثُمُ^(٨)
 أَرَانِي فِي (مَا كَيْتُ) لِلْحَقْدِ صُورَةً * تَكَادُ بِهَا أَحْشَاؤُهُ تَنْتَضِرُ^(٩)
 وَمَثَلٌ فِي (شَيْلُوكَ) لِلْبُخْلِ مَخَنَّةٌ * عَلَيْهَا خُبَارُ الْمُؤَبِّ وَالْوَجْهُ أَقْمُ^(١٠)
 وَأَقْعَدُنِي عَنْ وَصْفِ (هَمَلِيَّتَ) حُسْنًا * وَفِي مِثْلِهَا تَعْبَا الْبِرَاعَةُ وَالْقَمُ

(١) مه، أى من الطبع . (٢) أهدت : دعوت .

(٣) تهادنوا قليلا، أى كفوا عن الحرب . يشير إلى ما كان إذ ذاك من توند نار الحرب العظمى .

(٤) تقم الحرب واتسمها : دخل فيها وخالطها . (٥) شابة القلم : مه .

(٦) المرقم : القلم . (٧) يشير بهذا البيت إلى قصيدة شكير في خنجر ما حكيت

التي ترجعها حافظ ونشرت في هذا الديوان . (٨) المسون : الذل . والأقم : العابس

دَعِ السَّحَرَفِي (رُمِيُو) (جُولِيَت) إِنَّمَا * مَحْسُ بِمَا فِيهَا الْأَدِيبُ الْمُتَمِّمُ
 أَتَاهُمْ بِشِعْرِ عَبْقَرِيَّ كَأَنَّهُ * سَطُورٌ مِنَ الْإِنْجِيلِ تُتْلَى وَتُكْرَمُ
 نَدِيٌّ عَلَى الْأَيَّامِ يَزْدَادُ نَضْرَةً * وَيَزْدَادُ فِيهَا جِدَّةً وَهُوَ يَقْدَمُ^(١)
 يُؤْتِي إِلَى قُرْآنِهِ أَنْ نَسْجَه * لِيَوْمٍ وَأَنْتَ الْخَائِكُ الْيَوْمَ فِيهِمْ^(٢)
 كَيْتَلِكَ الثُّقُوسُ الزَّاهِيَاتِ بِمَعْبِدٍ * لِفِرْعَوْنَ لَا زَالَتْ عَلَى الدَّهْرِ تَسْلَمُ
 فَلَمْ يَذَنْ مِنْ إِحْسَانِهِ مُتَأَخَّرٌ * وَلَمْ يَحْرِ فِي مَيْدَانِهِ مُتَقَدِّمُ^(٣)
 أَطْلَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَمَاءٍ خَيَالِهِ * وَحَلَقَ حَيْثُ الْوَهْمُ لَا يَتَجَشَّمُ^(٤)
 وَجَاءَ بِمَا فَوْقَ الطَّبِيعَةِ وَقَعَهُ * فَأَكْبَرَ قَوْمٌ مَا أَتَاهُ وَأَعْظَمُوا^(٥)
 وَقَالُوا نَحْنُ ذُنَا بِمَا يُعْجِزُ الْتَهَى * فَلَسْنَا إِذَنْ آثَارَهُ نَتَرَسَّمُ
 وَلَمْ يَتَحَدَّ النَّاسَ لَكُنْهُ أَمْرُو * بِمَا كَانَتْ فِي مَقْدُورِهِ يَتَكَلَّمُ
 لَقَدْ جَهِلُوهُ حَقْبَةً ثُمَّ رَدَّهُمْ * إِلَيْهِ الْهُدَى فَاسْتَغْفَرُوا وَتَرَحَّمُوا^(٥)
 كَذَلِكَ رِجَالُ الشَّرْقِ لَوْ يُنْصَفُونَهُمْ * لَقَامَ لَهُمْ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَوْسِمُ
 أَضَاءَ بِهِمْ بَطْنُ الثَّرَى بَعْدَ مَوْتِهِمْ * وَأَعْقَابُهُمْ عَنْ نُورِ آيَاتِهِمْ عَمُوا

(١) يريد « بالندى » تشبيه شعره بالزهر المبتل بالندى ؛ والذي وجدناه في كتب اللغة بهذا المعنى (الندى) بخفيف الياء مع كسر الدال لا بتشديدها .

(٢) يقول : إن شعره بلغة معانيه ومسايرتها لكل عصر يخيل لقراءه أنه قد قيل في هذا العهد الذي قراؤه فيه ، وأن قائله لا يزال حيا بينهم . (٣) لا يتجشم ، أى لا يتكلف .

(٤) نتخذنا : بارانا ونأرمنا الغلبة . وترسم آثاره : اقتدى بها وسار عليها .

(٥) الحلقة : المدة من الدهر .

فَقُلْ لِيَنِ التَّامِيزِ وَالْجَمْعُ حَافِلٌ * بِهِ يُنْشَرُّ الدُّرُّ الثَّمِينُ وَيُنْظَمُ
لَنْ كَانَ فِي صَخْمِ الْأَسَاطِيلِ نَحْرُهُمْ * لَفَخْرُكُمْ بِالشَّاعِرِ الْفَرْدِ اعْظَمُ

الى عظمة السلطان حسين كامل^(١)

ألقاهما بين يديه أثناء زيارته لمدينة طنطا في السراوق الذى أقيم له هناك

[نشرت فى ٦ مايو سنة ١٩١٦ م]

(٢)
فِي سَاحَةِ (الْبَدَوِيِّ) حَلَّتْ سَاحَةٌ * عِزُّ الْبِلَادِ يَعْزُهَا مَوْصُولُ
وَأَتَى (الْحُسَيْنِ) يَزُورُ قُطْبَ زَمَانِهِ * يَرَعَى وَيَحْمُسُ رَكْبَهُ (جَبْرِيلُ)
زَادَتْ مَوَاسِمُنَا (بَطْنَطَا) مَوْسِمًا * لِمَلِكِهِ الْقُدَيْسِ وَالْتَّبَجِيلُ
بِالسَّاحَتَيْنِ لِكُلِّ رَاجٍ مَوْئِلُ * وَلِكُلِّ عَافٍ مَرْبَعٌ وَمَقِيلُ^(٣)
قُلْ لِلْفَقِيرِ إِذَا مَأَلَتْ فَلَا تَخَفْ * رَدًّا فَا فِي السَّاحَتَيْنِ بَنِيْلُ
بَرَكَاتُ هَذِي لَا يَغِيضُ مَعِينَهَا * نَفَقَاتُ تِلْكَ كَثِيرُهَا مَأْمُولُ^(٤)
قَدْ أَخْصَبَ الْإِقْلِيمُ حِينَ حَلَّتْهُ * وَالْغَيْثُ لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مُحْوَلُ^(٥)

(١) انظر التعريف بالمغفور له السلطان حسين كامل فى الحاشية رقم ٧ ص ٦٧ من هذا الجزء .

(٢) يريد « بالبدوى » : السيد احمد البدوى المعروف بريحه ومسجده بطنطا . ويريد بالساحة

الثانية : ساحة السلطان . (٣) العالى : طالب المعروف . والمربع : المكان يقام فيه وقت

الربيع . والمقيل : موضع الراحة نصف النهار . (٤) « هذى » : إشارة الى ساحة البدوى .

ولا يغيب معينا ، أى لا يقل ولا يتقص موردها . والمعين فى الأصل : الماء الجارى . « وتلك » :

إشارة الى ساحة السلطان . (٥) المحول : الجذب .

وَبَدَا يَمْوُجُ بِسَاكِنِيهِ وَعِطْفُهُ * قَدْ كَادَ مِنْ طَرَبِ اللِّقَاءِ يَمِيلُ^(١)
 ذَكُّوا بِمَقْدَمِكَ الْمُبَارَكِ مَوْقِفًا * قَدْ قَامَ فِيهِ أَبُوكَ (إِسْمَاعِيلُ)
 فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ خَلَّدَ ذِكْرَهُ * أَثَرُهُ يَنْبَغِ الْعِبَادِ جَلِيلُ
 ثَرَا السُّمُودِ عَلَى الْوُفُودِ وَحَوْلَهُ * يَتَجَاوَبُ التَّكْثِيرُ وَالتَّهْلِيلُ
 دَامَتْ مَاثِرُهُ وَمَنْ يَكُ صُنْعُهُ * كَأَيِّكَ إِسْمَاعِيلُ كَيْفَ يَزُولُ؟
 فَاهْنًا بِمُلْكِكَ يَا (حُسَيْنُ) فَمَهْدُهُ * عَهْدُ بَتَحْقِيقِ الرَّجَاءِ كَفِيلُ
 وَأَنْهَضُ بِشَعْبِكَ فِي الشُّعُوبِ فَإِنَّمَا * لَكَ بَعْدَ رَبِّكَ أَمْرُهُ مَوْكُؤُ
 وَلِيَهْنِي الْبَسَوِيُّ أَنَّ صَدِيقَهُ * عَنْ وَدِّهِ الْمَعْهُودِ لَيْسَ يَحْصُلُ
 قَدْ جَاءَهُ يَسْمَى إِلَيْهِ وَحَوْلَهُ * أَعْلَى وَأَكْرَمُ مَنْ سَقَاهُ النَّيْلُ^(٢)

(١) يَمْوُجُ : يضطرب . والعلف : الجانب .

(٢) يَرِيدُ « بِالْأَعْلَى » و « الْأَكْرَم » : مَنْ كَانَ فِي رُكْبِ الْمُلْطَانِ .

عمر بن الخطاب^(١)

انشدها في الحفل الذي أقيم لسماع هذه القصيدة بمرجع وزارة المعارف بدرب الجاميز

مساء الجمعة ٨ فبراير سنة ١٩١٨ م

- (٢) حَسْبُ الْقَوَائِي وَحَسْبِي حِينَ أَلْقَيْهَا * أَنَّى إِلَى سَاحَةِ (الْفَارُوقِ) أَهْدَيْهَا
(٣) لَا هُمْ ، هَبْ لِي بَيَانًا أَسْتَعِينُ بِهِ * عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِي نَامَ قَاضِيهَا
(٤) قَدْ نَارَعَتْنِي نَفْسِي أَنِّي أَوْفَيْهَا * وَلَيْسَ فِي طَلُوقِي مِثْلُ أَنْ يُؤْفَيْهَا
(٥) فُسْرَسِرَى الْمَعَانِي أَنْ يُؤَاتِنَنِي * فِيهَا فُلَانِي ضَعِيفُ الْحَالِ وَاهِبِهَا

(مقتل عمر)

- (٦) مَوَلَى الْمَغِيرَةِ ، لَا جَادَتَكَ غَادِيَةً * مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَا جَادَتْ غَوَادِيهَا

(١) ولد أبو حفص عمر بن الخطاب بمكة سنة ٣٧ قبل الهجرة ، وكان قبل إسلامه من أشد الناس عداوة للإسلام وأهله ، ثم أسلم رضي الله عنه بعد ست سنين من بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كلها ؛ ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له اليد الطولى في حسم الخلاف بين المسلمين على الخلافة ؛ ولما أحسن أبو بكر يده لأجله استخلف عمر . وتاريخ عمر حافل بالأمور الجسام ؛ وقتل رضي الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليل بقيت من ذي الحجة سنة ٥٢٣ هـ .
(٢) الفاروق : اسم لعمر بن الخطاب ، سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه فرق بين الحق والباطل .
(٣) لا هم ، أى اللهم . (٤) الطوق : الجهد والطاقة . (٥) سرى المعاني : شربها ورفيعها . ويؤاتيني : يطعني ويمتني . (٦) مولى المغيرة ، هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وهو فارس الأصل ، وكان قد شكا إلى عمر ارتفاع الخراج الذي ضربه عليه مولاه المغيرة ، ووجه في تخفيفه ، فلم يجبه إلى ما طلب ، فأمرها في نفسه ، وتحين به الفرص حتى طعنه بخنجره وهو قائم يصل . ويقال : إن قتل عمر لم يكن نتيجة حقد أبي لؤلؤة عليه ، ولكنه كان نتيجة مؤامرة سياسية كان أكبر الحاملين فيها المهرمان القارسي ، واختير أبو لؤلؤة لتنفيذ هذا الفرض . والغادية : السحابة تنشأ غداة واجمع النوادي . وجادتك : أمطرتك ؛ يدعو عليه بانقطاع الخير والرحمة عنه .

- (١) مَزَقَتْ مِنْهُ أَيْدِيًا حَشَوُهُ هِمٌّ * فِي ذِمَّةِ اللَّهِ عَلَيْهَا وَمَاضِيهَا
 (٢) طَعَنْتَ خَاصِرَةَ (الْفَارُوقِ) مُنْتَقِمًا * مِنْ الْحَنِيفَةِ فِي أَعْلَى مَجَالِهَا
 (٣) فَاصْبَحَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ حَائِرَةً * تَشْكُو الْوَجِيعَةَ لَمَّا مَاتَ آسِهَا
 (٤) مَضَى وَخَلَفَهَا كَالطُّودِ رَاسِخَةً * وَزَانَ بِالْعَدْلِ وَالتَّقْوَى مَعَانِيهَا
 (٥) تَبَيُّو الْمَعَاوِلَ عَنْهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ * وَالْمُهَادِمُونَ كَثِيرٌ فِي نَوَاحِيهَا
 حَتَّى إِذَا مَا تَوَلَّاهَا مُهَدِّمُهَا * صَاحَ الزَّوَالُ بِهَا فَاذْنَكُ عَلَيْهَا
 (٦) وَأَهَا عَلَى دَوْلَةٍ بِالْأَمْسِ قَدْ مَلَأَتْ * جَوَانِبَ الشَّرْقِ رَغْدًا مِنْ أَيْدِيهَا
 (٧) كَمْ ظَلَّلَتْهَا وَحَاطَتْهَا بِأَجْنِحَةٍ * عَنْ أَعْيُنِ الدَّهْرِ قَدْ كَانَتْ تُوَارِيهَا
 (٨) مِنَ الْعِنَايَةِ قَدْ رِيشتُ قَوَادِمُهَا * وَمِنْ صَمِيمِ الثُّقَى رِيشتُ خَوَافِيهَا
 (٩) وَاللَّهِ مَا غَالَمَا قَدَمًا وَكَادَهَا * وَأَجَثْتُ دَوْحَتَهَا إِلَّا مَوَالِيهَا
 لَوْ أَنَّهَا فِي صَمِيمِ الْعُرْبِ قَدْ بَقِيَتْ * لَمَّا نَعَاهَا عَلَى الْإَيَّامِ نَاعِيهَا

- (١) الأديم : الجلد . وقوله : « عليها وماضيها » يصف همة عمر بالرفعة والمضاء .
 (٢) الخاصرة : الخصر . وفي أعلى مجالها ، أى فى أرضهم مظاهرها .
 (٣) الآسى : الطيب . (٤) الطود : الجبل العظيم . والمنافى : المنازل ، الواحد معنى .
 (٥) تبو : تكل وترتد . (٦) الأيادى : النعم . (٧) كم ظللها ، أى أن هذه الدولة
 ظلت بجوانب الشرق . (٨) القوادم : عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى كبار الريش
 الواحدة قادمة . والخوافى : صفار الريش ، وهى تحت القوادم . (٩) غالما : اغتالها وأهلكها .
 راجعت : استأصل . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل ، والجمع دوح . ويريد « بالموالى » : غير
 العرب . ويشير بهذا البيت الى نكبة الدول الإسلامية على أيديهم ، فهم الذين قتلوا عمر ، وكانوا سببا
 فى إسقاط الدولة الأموية وإضعاف الدولة العباسية حتى سقطت .

(١) يَالَيْتَهُمْ سَمِعُوا مَا قَالَه (عُمَرُ) * وَالرُّوحُ قَدْ بَلَغَتْ مِنْهُ تَرَاقِيهَا :
لَا تُكْثِرُوا مِنْ مَوَالِيكُمْ فَإِنَّ لَهُمْ * مَطَامِعًا بِسَمَاتِ الضَّعِيفِ تُخَفِّيهَا

(إسلام عمر)

(٢) رَأَيْتَ فِي الدِّينِ آرَاءَ مُوقِفَةً * فَأَنْزَلَ اللَّهُ قِرَاءًا يُزَكِّيهَا
وَكُنْتَ أَوَّلَ مَنْ قَرَّتْ بِصُحْبَتِهِ * عَيْنُ الْحَنِيفَةِ وَأَجْتَازَتْ أَمَانِيهَا
قَدْ كُنْتَ أَعْدَى أَعَادِيهَا فَصَرَّتْ لَهَا * بِنِعْمَةِ اللَّهِ حِصْنًا مِنْ أَعَادِيهَا
نَجَرْتَ تَبْغِي أَذَاهَا فِي (عَجْدِهَا) * وَلِلْحَنِيفَةِ جَبَّارٌ يُؤَالِيهَا
فَلَمْ تَكُنْ تَسْمَعُ الْآيَاتِ بِاللُّغَةِ * حَتَّى أَنْكَفَأَتْ تُتَاوَى مِنْ يُنَاوِيهَا

- (١) يقال بلغت روحه التراقي، اذا شارف الموت . والتراقي : أعلى الصدر حيث يترقى النفس .
(٢) يزكها : يعزها ويؤيدها . ويشير بهذا البيت الى ما كان من عمر — رضي الله تعالى عنه — حين كان يرى الرأي فينزل به القرآن ، حتى بلغت موافقاته نيفا وعشرين آية ، منها آية التحريم في الخمر لما قال : « اللهم بين لنا في الخمر يا نا شافيا » . ومنها آية الاستئذان في الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان ناظما ، فقال : « اللهم جرم الدخول » ؛ فنزلت آية الاستئذان الخ . (٣) يشير الشاعر بهذا البيت الى ما عرف عن عمر من شدته على النبي والمسلمين قبل إسلامه ، ثم ما كان منه بعد ذلك من إعزاز الاسلام بدخوله فيه . (٤) يؤالها : يناصرها ، وهو الله تعالى . ويشير الشاعر بهذا البيت والآيات بعده الى السبب في إسلام عمر ، وذلك أنه كان خرج في يوم من الأيام ليواصل أذاه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلقى نعيم بن عبد الله وأخبره بإسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد ، وعيره ذلك ، فرفع عمر اليهما غاضبا ، وكان عندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة طه يقرئها إياها ؛ فلما دنا عمر من البيت سمعهم ، وأحسوا هم به ، فاختلف خباب ، ودخل عمر ، فشرع على الصحيفة وقرأ ما فيها ، فأعجب به وأطراه ، ومال قلبه الى الاسلام ، فقصص الى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يديه .
(٥) انكفأ : رجع . وتناوى : تناوى ، أى تعادى .

- (١١) سَمِعْتَ (سُورَةَ طه) مِنْ مَرَّتِلْهَا * فَزَلَزْتَ نَبِيَّةً قَدْ كُنْتَ تَنْوِيهَا
 (٢١) وَقُلْتَ فِيهَا مَقَالًا لَا يُطَاوِلُهُ * قَوْلُ الْمُحِبِّ الَّذِي قَدْ بَاتَ يُطْرِيهَا
 (٣١) وَيَوْمَ أَسْلَمْتَ عِزَّ الْحَقِّ وَارْتَفَعْتَ * عَنْ كَاهِلِ الدِّينِ أَثْقَالَ يُعَانِيهَا
 (٤١) وَصَاحَ فِيهِ (بِلَالٌ) صَيِّحَةً خَشَعَتْ * لَهَا الْقُلُوبُ وَلَبَّتْ أَمْرَ بَارِيهَا
 (٥١) فَانْتَ فِي زَمَنِ (الْمُخْتَارِ) مُنْجِدُهَا * وَأَنْتَ فِي زَمَنِ (الصَّدِّيقِ) مُنْجِيهَا
 (٦١) كَمْ أَسْتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ مُعْتَبِرًا * بِحِكْمَةِ لَكَ عِنْدَ الرَّأْيِ يُلْفِيهَا

(عمر وبيعة أبي بكر)

- (٧١) وَمَوْفِقُكَ بَعْدَ (الْمُصْطَفَى) أَفْتَرَقْتَ * فِيهِ الصَّحَابَةُ لَمَّا غَابَ هَادِيهَا
 بَايَعَتْ فِيهِ (أَبَا بَكْرٍ) فَبَايَعَهُ * عَلَى الْخِلَافَةِ قَاصِمِهَا وَدَانِيهَا

- (١) يريد «بالبية» : البية التي كان ينويها عمر قبل اسلامه من إلقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 (٢) لا يطاوله : لا يغال به - وأطراه يطريه : أحسن الثناء عليه وبالغ في مدحه .
 (٣) الكاهل : مقدم أهل الظهر مما يلي العنق . (٤) بلال ، هو ابن رباح ، وكان مولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، اشتراه ثم أعنته ، وكان له خازنة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً ، ومات رحمه الله بدمشق سنة عشرين هجرية . ويشير الشاعر بهذا البيت الى اظهار المسلمين أمر دينهم بسبب اسلام عمر بعد ما كانوا يخفونه خوفاً من المشركين ، ويظهر بلال بالأذان .
 (٥) يريد بالصديق : أبا بكر أول الخلفاء الراشدين ، ويشير بالشطر الثاني من هذا البيت الى الخلاف الذي سبق مبايعة أبي بكر ، وحسنه عمر يوم البقيعة ، ومناصرة لأبي بكر مدة خلافته ، ويشير الشاعر الى ذلك بعد . (٦) استراك : أصلها استره لك ، أى طلب رأيك . (٧) يشير الى اختلاف المسلمين في يوم البقيعة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وما كاد يلحقهم من انقسام الكلمة في اختيار خليفة لهم ، وإلى فضل عمر يومها بله شتمهم وإسراعه الى مبايعة أبي بكر بالخللافة .

- (١) وَأُطِفِفَتْ فِتْنَةٌ لَوْلَاكَ لَأَسْتَعَرْتُ * بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَأَنَسَبَتْ أَفَاعِيهَا
(٢) بَاتَ النَّبِيُّ مُسَجِّىً فِي حَظِيرَتِهِ * وَأَنْتَ مُسْتَعِيرُ الْأَحْشَاءِ دَائِمِيهَا
(٣) تَتِيمٌ بَيْنَ عَجِيجِ النَّاسِ فِي دَهْشٍ * مِنْ نَبَأَةٍ قَدْ سَرَى فِي الْأَرْضِ سَارِيهَا
(٤) تَصِيحُ: مَنْ قَالَ نَفْسُ الْمُصْطَفَى قُبِضَتْ * عَلَوْتُ هَامَتَهُ بِالسَّيْفِ أَرْبِيهَا
أَنْسَاكَ حُبُّكَ طَهَّ أَنْهُ بَشَرٌ * يُجْرَى عَلَيْهِ شُؤْنُ الْكَوْنِ مُجْرِيهَا
وَأَنَّهُ وَارِدٌ لَا بَدَّ مَوْرِدَهُ * مِنْ الْمَنِيَّةِ لَا يُغْفِيهِ سَاقِيهَا
نَسِيتَ فِي حَقِّ طَهَّ آيَةً نَزَلَتْ * وَقَدْ يُذَكِّرُ بِالآيَاتِ نَاسِيهَا
(٥) ذَهَلَتْ يَوْمًا فَكَانَتْ فِتْنَةً عَمَمٌ * وَتَابَ رُشْدُكَ فَانْجَابَتْ دَوَاجِيهَا
(٦) فَلِلْسَّقِينَةِ يَوْمٌ أَنْتَ صَاحِبُهُ * فِيهِ الْخِلَافَةُ قَدْ شِيدَتْ أَوَاسِيهَا
(٧) مَدَّتْ لَهَا (الْأَوْسُ) كَفًّا كَتَّى تَتَاوَلَهَا * فَدَتَّ (الْخَزْرَجُ) الْإَيْدِي تُبَارِيهَا

- (١) استعرت : اتقذت . (٢) سبي الميت : مدَّ عليه ثوبه وغطاه به .
(٣) هام بهيم : ذهب على وجهه لا يدرى أين يذهب . والعجيج : الصياح ورفع الصوت . والنباة :
الصوت الخفى ، ويريد نبأ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . ويشير بهذا البيت والآيات الخفية بعده الى
ما تولى الناس وعسر معهم من الدهش بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى إن عرّفهم بينهم يهددهم
بقطع رأس كل من يقول : ” مات محمد “ حتى جاءهم أبو بكر ، فخطبهم خطبة ذكرهم فيها بقوله تعالى :
(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية ؟ فعادوا الى صوابهم . (٤) الهامة : الرأس .
(٥) عمم : عامة ، وانجابت : انقشمت وزالت . والدباجى : الظلمات .
(٦) الأراسى : جمع آسية ، وهى السود .
(٧) الضمير فى « لها » و « تاتاولها » لخلافة . والأوس والخزرج : قبيلتا الأنصار . وتباريها :
تازعها القلبة على الخلافة .

(١).
وَلَنْ كُلَّ قَرِيقٍ أَنْتَ صَاحِبُهُمْ * أَوَّلَىٰ بِهَا وَأَوَّلَىٰ الشَّحْنَاءَ آتِيهَا
(٢)
حَتَّىٰ أَنْبَرَيْتَ لَهُمْ فَارْتَدَّ طَائِعُهُمْ * عَنْهَا وَأَتَىٰ (أَبُو بَكْرٍ) أَوَاخِيَهَا

(عمر وعليّ)

(٣)
وَقَوْلُهُ (لَعَلِّي) قَالَهَا (عُمَرُ) * أَكْرَمَ بِسَامِعِهَا أَعْظَمَ بِمُلْقِيهَا!
حَرَقْتُ دَارَكَ لَا أَتْبِي عَلَيْكَ بِهَا * إِنَّ لَمْ تُبَايِعْ وَيَنْتُ المِصْطَفَىٰ فِيهَا
مَا كَانَ غَيْرُ (أَبِي حَفِصٍ) يَفُوهُ بِهَا * أَمَامَ فَارِسٍ (عَدْنَانٍ) وَحَامِيهَا
كَلَامُهُمَا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ غَزَمَتُهُ * لَا تَتَّقِنِي أَوْ يَكُونَ الْحَقُّ ثَانِيهَا
فَاذْكُرْهُمَا وَتَرَحَّمْ كُلُّمَا ذَكَرُوا * أَعَاظُهَا أُلْهُوَا فِي الْكَوْنِ تَأْلِيهَا

(عمر وجبله بن الأيهم)

(٤)
كَمْ خِفْتُ فِي اللَّهِ مَضْعُوقًا دَعَاكَ بِهِ * وَكَمْ أَخَفْتُ قَوِيًّا يَتَّقِنِي تِيهَا
(٥)
وَفِي حَدِيثٍ قَتَىٰ غَسَّانَ مَوْعِظَةً * لِكُلِّ ذِي نَعْرَةٍ يَأْبَىٰ تَنَاسِيَهَا

(١) صاحبهم ، أى الذى نصبوه للخلافة منهم . (٢) أئى أواخيا ، أى مكن لها ووثق
صلاتها وقواها . والأواشى : العرا ، الواحدة آنحية . (٣) يشير بهذه الأبيات
الى امتناع على عن البيعة لأبى بكر يوم السقيفة ، وتهديد عمر إياه بخريق بيته اذا استمر على امتناعه
وكان فيه زوجة على فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم . (٤) المضعوف ، أى الضعيف ؛
والقياس مضعف ، كقولهم : أسعد الله فهو مسعود ؛ والقياس مسعد (فتح العين) . وبه ، أى بالله .
وتيا : كبيرا . (٥) قى غسان ، هو جبله بن الأيهم أحد أبناء النخاسة ملوك الشام ، كان قد
اعتنق الإسلام ، وربنا هو يوما يطوف إذ وطئ أعرابى ثوبه ، فلطمه جبله لطمه هشت أفعه ، فشكاه
الأعرابى الى عمر ، فأمر أن يقتل منه ، وأبى جبله ذلك ، وحرب ، والتجأ الى القسطنطينية ، وتنصر .
والنردة (بخروك العين) — وسكنت هنا للضرورة — : الخلاء والكبر .

فما القوي قويا رغم عزته * عند الخوصومة (والفاروق) قاضيا
وما الضعيف ضعيفا بعد مجته * وإن تخاصم واليها وراعيا

(عمر وأبو سفيان)

(١) وما أقلت (أبا سفيان) حين طوى * عنك الهدية معترا بمهديها
لم يغن عنه وقد حاسبته حسب * ولا (معاوية) بالشام يجيبها
قيدت منه جليلا شاب مفرقه * في عزة ليس من عز يدانيها
قد نوهوا بأسمه في جاهليته * وزاده سيد الكونين تنويرها
في فتح مكة كانت داره حرما * قد آمن الله بعد البيت غاشيا

(١) وما أقلت أبا سفيان، أي مآركته ولا تناضيت عنه . ومهديها، أي معاوية . ويشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما يروى من أن معاوية - وهو على الشام - بعث مرة إلى عمر بن الخطاب بمال وأدم وكتب إلى أبيه أبي سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر، ففرج الرسول حتى قدم على أبي سفيان بالمال والأدم، فذهب أبو سفيان بالأدم والكتاب إلى عمر، واحتبس المال لنفسه؛ فلما قرأ عمر الكتاب قال: فأين المال يا أبا سفيان؟ قال: كان عليا دين ومعونة، ولنا في بيت المال حق، فإذا أخرجت لنا شيئا قاضيتا به؛ فقال عمر: اطرحوه في الأدم (أي القيد) حتى يأتي بالمال، فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال، فأمر عمر بإطلاقه من الأدم، فلما قدم الرسول على معاوية قال: أرايت أمير المؤمنين أعجب بالأدم، قال: نعم، وطرح فيه أباك؟ قال: ولم؟ قال: جاءه بالأدم وجبس المال؛ قال: أي والله، والخطاب لو كان لطرحه فيه .

(٢) يريد بقوله "جليلا" وما بعده من الأوصاف: أبا سفيان . والمفروق: وسط الرأس .
(٣) توه به . رفع ذكره ومدحه وعظمه . (٤) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى ما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان يوم فتح مكة من جعل يته أمنا لمن دخله واختصم به من المشركين .
وقوله: «بعد البيت»، أي بعد الكعبة .

وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَشْفَعْ لَدَى (عُمَرَ) * فِي هَفْوَةٍ (لَأَبِي سُفْيَانَ) يَأْتِيهَا
 (١)
 تَاللَّهِ لَوْ فَعَلَ (الْخَطَّابُ) فَعَلَّتَهُ * لَمَا تَرَخَّصَ فِيهَا أَوْ يُجَازِيهَا
 (٢)
 فَلَا الْحَسَابَةَ فِي حَقِّ يُجَامِلُهَا * وَلَا الْقَرَابَةَ فِي بَطْلِ يُجَازِيهَا
 (٣)
 وَتِلْكَ قُوَّةُ نَفْسٍ لَوْ أَرَادَ بِهَا * شَمَّ الْجِبَالِ لَمَا قَزَتْ رَوَاسِيهَا

(٤) (عمر وخالد بن الوليد)

(٥)
 سَلَّ قَاهِرَ الْفُرْسِ وَالرُّومَانِ هَلْ شَفَعَتْ * لَهُ الْفُتُوحُ وَهَلْ أَغْنَى تَوَالِيهَا
 (٦)
 غَزَى فَأَبَى وَخَيَّلَ اللَّهُ قَدْ عَقِدَتْ * بِالْيَمِينِ وَالنَّصْرِ وَالْبُشْرَى نَوَاصِيهَا

(١) ترخص في الأمر : تساهل . يقول : لو فعل الخطاب ، وهو أبو عمر ، مثل هذا ، ما تساهل في عقابه حتى يجازيه . (٢) الحساب : الحسب . والبطل : الباطل . (٣) الشم : المرتفعة . والروامي : النابت . (٤) بينما كان خالد بن الوليد يقود جيوش المسلمين في فتح الشام ، إذ جاء البريد من المدينة ينعي أبا بكر ، ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب ، ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد ، وإسناد إمارة الجيش العامة إلى أبي عبيدة بن الجراح ، فكتم أبو عبيدة الأمر عن خالد ، وبناتم النصر للمسلمين ، وكان وصول البريد على أصح الروايات والمسلمون على حصار دمشق . ويقال : إن سبب عزل خالد أمران : أولهما ما كان في نفس عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد منذ قتل خالد مالك بن نويرة ، وتركه امرأاً في حرب الردة ؛ وثانيهما إقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد وحجم له واستماتهم بين يديه في جميع حروبه في العراق والشام ، وذلك لين طالعه في الحروب وشجاعته . وقد علم عمر بذلك ، تخشى من افتتان الناس به ، لهذا بادد بعزله قبل أن يصل خبر توليه الخلافة إلى المسلمين ؛ وخالد أمير على جيش عظيم منهم . ولم يكتف عمر عن خالد ما في نفسه من جهته ، بل أظهره له ، فقال له بعد عزله : « وما عزلتك لرية فيك ، ولكن افتتن الناس بك ، نغمت أن تفتن بالناس » . وبقى خالد إلى آخر حياته مطيعاً لعمر ، وقبل موته أوصى عمر بأولاده ؛ وقد أشار الشاعر إلى ذلك . (٥) قاهر الفرس والرومان : خالد بن الوليد . (٦) النواصي : جمع ناصية ، وهي مقدم الرأس . والمسموع في مثل هذه العبارة إدخال الباء على « النواصي » لا على « العين » كما هنا ؛ ومثله قوله صلى الله عليه وسلم : « انحلل معقود بنواصي الخير » فدخلوا على العين على سبيل القلب ، والقلب في اللغة سماعي .

- (١) يَرْمِي الْأَعَادِي بَأْرَاءٍ مُسَدَّدَةٍ * وَبِالْقَوَارِيسِ قَدْ سَالَتْ مَذَاكِهَا
(٢) مَا وَقَعَ الرُّومَ إِلَّا فَرَّ قَارِحُهَا * وَلَا رَمَى الْفُرْسَ إِلَّا طَاشَ رَامِيهَا
(٣) وَلَمْ يُحْزَرْ بَلْدَةٌ إِلَّا سَمِعَتْ بِهَا * اللَّهُ أَكْبَرُ تَدَوَّى فِي نَوَاحِيهَا
(٤) عِشْرُونَ مَوْقِعَةً مَرَّتْ مُحْجَلَةً * مِنْ بَعْدِ عَشْرِ بَنَانِ الْفَتْحِ تُحْصِيهَا
(٥) وَ(خَالِدٌ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُوقِدُهَا * وَ(خَالِدٌ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَالِيهَا
(٦) أَنَاهُ أَمْرُ (أَبِي حَفْصٍ) فَقَبَّلَهُ * كَمَا يُقَبِّلُ آيَ اللَّهِ تَالِيَهَا
وَأَسْتَقْبَلَ الْعَزْلَ فِي إِيَّانٍ سَطَوْتَهُ * وَبِحَيْدِ مُسْتَرِيحِ النَّفْسِ هَادِيَهَا
(٧) فَاتَّجَبَّ لَسِيدَ نَخْزُومٍ وَفَارِيَمِهَا * يَوْمَ التَّرَالِ إِذَا نَادَى مُنَادِيهَا
(٨) يَقُودُهُ حَبِيشِي فِي عِمَائَتِهِ * وَلَا تُحَرِّكُ نَخْزُومٌ عَوَالِيهَا
(٩) أَلْقَى الْقِيَادَ إِلَى الْجَرَاحِ مُتَثَلًّا * وَعِزَّةُ النَّفْسِ لَمْ تُجَرِّحْ حَوَاشِيهَا
وَأَنْضَمَّ لِلْجُنْدِ يَمْشِي تَحْتَ رَايَتِهِ * وَبِالْحَيَاةِ إِذَا مَالَتْ يُفَدِّيَهَا

- (١) المذاكي : الخيل التي تم سنها وركلت قوتها . وانساب المذاكي : كناية عن انتشارها وكثرتها
تشبها بانساب الماء . (٢) فارحها ، أي القوى المكتمل منهم . (٣) المسموع
تدوى (بتشديد الواو) ، أي يرتفع الصوت بها . (٤) محجلة ، أي واضحة مشرقة بالانتصار فيها .
ومعنى البيت أن خالدًا ظفر في ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح . (٥) صالها : أي يقاسى
حرها وشدها . (٦) أمر أبي حفص ، أي أمر عمر بن عبد العزيز . (٧) نخزوم : قبيلة خالد .
(٨) يريد « بالحبشي » بلال بن رباح ، وهو الذي قذف أمر عمر في خالد بأن يجبره بهامته حين استنجا
أبو عبيدة من تنقيده ، فهد بلال عمامة خالد ووضعها في رقبته ، ثم رجمها إلى رأسه ثانية ، وقال : طلع
أمرأنا ونكرم ساداتنا . والعوالى : الرماح . ونحريكها : كناية عن الثورة على عمر والانتصاف لخالد .
(٩) الضمير في "ألقي" : يعود إلى فارس نخزوم خالد بن الوليد . والجراح ، هو أبو عبيدة بن الجراح .

- (١) وما عرته شُكُوكُ في خَلِيفَتِهِ * ولا ارتضى إمرة الجراح تمويها
(٢) (نخالد) كان يدري أن صاحبه * قد وجه النفس نحو الله توجيها
(٣) فما يُعالج من قول ولا عمل * إلا أراد به للناس ترفيها
لذلك أوصى بأولاده (عمرًا) * لما دعاه إلى الفِرْدَوْسِ داعيا
(٤) وما نهي (عمر) في يوم مضرعه * نساء محزوم أن تبكي بواكيها
(٥) وقيل: خالفت يا (فاروق) صاحبتنا * فيه وقد كان أعطى القوس باريها
فقال: خفت أنتان المسلمين به * وفنت النفس أعت من يداويها
(٦) هبوه أخطأ في تأويل مقصده * وأنها سَنَقْطَةٌ في عين ناعيا
(٧) فلن يعيب حصيف الرأي زلته * حتى يعيب سُيُوفَ الهند نايها
تالله لم يتبع في (ابن الوليد) هوى * ولا شفى غلة في الصدر يطويها
(٨) لكنّه قد رأى رايًا فأتبعه * عزيمة منه لم تُسلم فواضيها

- (١) التوبة: إظهار ما يخالف الباطن. (٢) صاحبه، أي عمر بن الخطاب. (٣) الترفيه: الرغد والنعيم. (٤) يشير إلى ما يروى من أن عمر بلغه أن نسوة من نساء بني المنيرة اجتمعن في دار يمين علي بن خالد بن الوليد، فقال: وما عليهن أن يمينن أبا سليمان ما لم يكن تقع أو قلققة. (٥) صاحبتنا، يريد أبا بكر، «وفيه»، أي في خالد. وأعطى القوس باريها، أي استعان في الحرب بمن له معرفة وحذق، وهو مثل يضرب في تفويض الأمر إلى من يحسنه ويبيده. (٦) هبوه. أي هبوا عمر، وهو خطاب من الشاعر إلى الناس. وفي عين ناعيا، أي في عين من يمدد سقطات عمر وزلاته. (٧) حصيف الرأي: جيده ومحكمه. و«نايها»، أي ما يليو من سيوف الهند ويكل ويرتد. يقول: من عرف بالحكمة في الرأي لا تقيسه زلة، كما لا يحط من قدر سيوف الهند أن تبو مرة. (٨) المواضي: السيوف الماضية. ومعلم تظم، أي لم تكسر أشفارها.

(١) لَمْ يَرْعَ فِي طَاعَةِ الْمَوْلَى خُؤُولَتَهُ * وَلَا رَعَى غَيْرَهَا فِيمَا يُنَافِيهَا
(٢) وَمَا أَصَابَ ابْنَهُ وَالسَّوْطُ يَأْخُذُهُ * لَدَيْهِ مِنْ رَافَةٍ فِي الْحَدِّ يُنْفِيهَا
(٣) إِبْنُ الَّذِي بَرَأَ (الْفَارُوقَ) نَزَّهَهُ * عَنِ النَّقَائِصِ وَالْأَغْرَاضِ تَنْزِيهَا
فَذَلِكَ خُلِقَ مِنَ الْفِرْدَوْسِ طَيْبَتُهُ * اللَّهُ أَوْدَعَ فِيهَا مَا يُنْقِيهَا
لَا الْكِبَرُ يَسْكُنُهَا، لَا الظُّلُمُ يَصْحَبُهَا، * لَا الْحَقْدُ يَعْرِفُهَا، لَا الْحِرْصُ يُغْنِيهَا

(٤) عمر وعمر بن العاص

(٥) شَاطَرَتْ دَاهِيَةَ السَّوَاسِ ثَرَوَتَهُ * وَلَمْ تَخْفَهُ بِمِصْرِ وَهُوَ وَالِيهَا
وَأَنْتَ تَعْرِفُ (عُمَرَ) فِي حَوَاضِرِهَا * وَلَسْتَ تَجْهَلُ (عُمَرَ) فِي بَوَادِيهَا
لَمْ تُنَبِّتِ الْأَرْضُ كَابِنَ الْعَاصِ دَاهِيَةً * يَرْمِي الْخُطُوبَ بِرَأْيِ لَيْسَ يُحِيطُ بِهَا

(١) - خؤولته ، أى خؤولة قبيلة خالد لعمر : فأم عمر حمنة بنت حاشم بن المنيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وفيها ينافيها ، أى في معصية المولى . (٢) يقول : إن ابنه لم يزل معه رافة وهو يحمي في شرب الخمر ، والسياط تأخذ من جسمه . ويشير بذلك إلى حدة ولده عبد الرحمن في الخمر وقد مرض بعد ذلك ومات . (٣) برأ الفاروق : خلقه .

(٤) كان شأن عمر رضى الله عنه مع عماله أن يصادهم في أنصاف أموالهم ؛ لأنه كان يرى أن ما يجمعونه من المال إنما هو حق للبلدين ، فينبغي أن يؤخذ منهم ويرد لبيت المال ، فمل هذا عمر مع من رأى لديهم ثروة لم يعلم مصدرها . وقد كتب إلى عمرو بن العاص : إنه قد فشت لك فاشية من متاع وديق وآتية وحبوان لم تكن حين وليت مصر . فكتب إليه عمرو : إن أرضنا أرض مزدور ومتجر ، فنحن نصيب فضلاً عما نحتاج إليه لنفقتنا . فكتب إليه : إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إلى كتاب من ألقاه الأخذ بالحق ، وقد مؤت بك ظناً ؛ وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك ، فأطلعه عليه وأخرج إليه ما يطالبك به ، وأغفه من الغنطة عليك . فلم يسع عمرو بن العاص على دهاه وعلو مكانته وبهذه عن أمير المؤمنين إلا الخضوع لما أمره به ، ومقاسمة ابن مسلمة ماله . وإلى هذه القصة يشير الشاعر . (٥) داهية السواس : عمرو بن العاص .

(١) فلم يُرِغَ حِجْلَةً فِيمَا أَمَرَتْ بِهِ * وَقَامَ (عَمَرُو) إِلَى الْأَجْمَالِ يُزَيِّجُهَا
(٢) وَلَمْ يُقَلِّ حَامِلًا مِنْهَا وَقَدْ كَثُرَتْ * أَمْوَالُهُ وَقَشَا فِي الْأَرْضِ فَاشِيَهَا

(عمر وولده عبد الله)

(٤) وَمَا وَفَى أَبْنُكَ (عَبْدُ اللَّهِ) أَيْتُّهُ * لَمَّا أَطْلَمْتَ عَلَيْهَا فِي مَرَايِهَا
بِهَا فِي حِمَاهُ وَهِيَ سَارِحَةٌ * مِثْلَ الْقُصُورِ قَدْ أَهْرَتْ أَطَالِيهَا
فَقُلْتَ : مَا كَانَ (عَبْدُ اللَّهِ) يُسْمِعُهَا * لَوْ لَمْ يَكُنْ وَلَدِي أَوْ كَانَ يَرْوِيهَا
(٥) قَدْ اسْتَمَعَ بَجَاهِي فِي تِجَارَتِهِ * وَبَاتَ بِأَسَمِ (أَبْنِي حَفِصٍ) يُنَمِّيهَا
رُدُّوا النَّيَاقَ لَيْتَ الْمَالِ إِنَّ لَهُ * حَقَّ الزَّيَادَةِ فِيهَا قَبْلَ شَارِيهَا
(٦) وَهَذِهِ خُطَّةٌ لِلَّهِ وَاضِعُهَا * رَدَّتْ حُقُوقًا فَأَغْنَتْ مُسْتَمِيعَهَا
(٧) مَا الْإِشْرَاقُ الْمُنْشُودُ جَانِبُهَا * بَيْنَ الْوَرَى فَيَرْمِي مَنْ مَبَانِيهَا
(٨) فَإِنْ نَكُنْ نَحْنُ أَهْلُهَا وَمَنْتَبَهَا * فَإِنَّهُمْ عَزَّنُوهَا قَبْلَ أَهْلِهَا

- (١) أَرَاغَ يَرِغَ : طَلَبَ . وَزَيَّجَهَا : يَسَوْفَهَا . (٢) وَلَمْ يُقَلِّ حَامِلًا مِنْهَا ، أَيْ لَمْ تَعَفْ أَحَدًا مِنْ عَمَالِكَ مِنْ مَشَاوَرَةِ مَالِهِ . وَقَشَا ، أَيْ أَتَشَرَّ وَكَثُرَ .
(٣) يُشِيرُ الشَّاعِرُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى مَا يَرَوِي مِنْ أَنَّ عَمْرًا يَوْمًا بَنُوهُ قَدْ بَدَتْ طَلْعُهَا آثَارَ النِّعْمَةِ فَسَالَ عَنْ صَاحِبِهَا ، فَقِيلَ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ ، فَسَأَلَهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ غَلَا مَهْ أَنْ ثَرَوَهُ ابْنُهُ لَا تَقْنِي لَهَا ، وَأَنَّهُ لَوْلَا جَاهُهُ بَيْنَ النَّاسِ مَا قَدَّرَ عَلَى إِطْعَامِهَا . (٤) الْأَيْتُ : النَّيَاقُ .
(٥) نِيْمًا : يَزِيدُهَا . (٦) أَغْنَتْ مُسْتَمِيعَهَا ، أَيْ أَغْنَتْ أَصْحَابَ الْحَقِّ عَنْ اسْتِجْدَائِهَا وَاتِّمَامِهَا بِمِثْلِ السُّؤَالِ . (٧) الْمُنْشُودُ : الْمَطْلُوبُ . يَرِيدُ أَنْ الْمَذْهَبَ بِالْإِشْرَاقِ الْمَعْرُوفِ مَا هُوَ إِلَّا فَرَعٌ مِنْ هَذِهِ الْخُطَّةِ الَّتِي سَارِعَ عَلَيْهَا عَمْرٌ . (٨) فَإِنْ نَكُنْ نَحْنُ ، أَيْ الْعَرَبُ ، أَهْلُ هَذِهِ الْخُطَّةِ وَفِيهَا نَبَتْ ، فَإِنَّ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ عَرَفُوها وَعَمَلُوا بِهَا قَبْلَنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا .

(عمر ونصر بن حجاج^(١))

جَنَى الْجَمَالَ عَلَى (نَصْرِ) فَعَرَّبَهُ * عَنِ الْمَدِينَةِ تَبَيَّكِهِ وَيَبْكِيهَا
وَكَمْ رَمَتْ قَسِمَاتُ الْحُسَيْنِ صَاحِبَهَا * وَأَتَعَبَتْ قَصَبَاتُ السَّيْقِ حَاوِيَهَا^(٢)
وَزَهَرَةُ الرُّوضِ لَوْلَا حُسْنُ رَوِّقِهَا * لَمَّا اسْتَطَالَتْ عَلَيْهَا كُفُّ جَانِبِهَا^(٣)
كَانَتْ لَهُ لِمَّةً فَيَنَانُهُ عَجَبٌ * عَلَى جَبِينِ خَلِيقِ أَنْتَ يُحَلِّبُهَا^(٤)
وَكَانَ أَتَى مَشَى مَالَتْ عَقَائِلُهَا * شَوْقًا إِلَيْهِ وَكَادَ الْحُسْنُ يَسْبِيهَا^(٥)
هَتَفَنَ تَحْتَ اللَّيَالِي بِأَسْمِهِ شَفَقًا * وَلِيَحْسَانَ تَمَنَّيَ فِي لَيَالِيهَا^(٦)
جَزَزَتْ لَيْتَهُ لَمَّا أُتِيَتْ بِهِ * فَفَاقَ عَاطِلُهَا فِي آلْحُسَيْنِ حَالِيهَا^(٧)

(١) يشير الشاعر بهذه الأبيات إلى الماروي من أن عمر - رضي الله عنه - مر ليلة في المدينة فسمع امرأة تقول :

هل من سبيل إلى نصر فأشربها * أو من سبيل إلى نصر بن حجاج

فَقَالَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مَعَهَا : مَنْ نَصْرٌ؟ قَالَتْ : رَجُلٌ أَوْدَلُوكَانَ مَعِي طَوْلُ لَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَنَا أَحَدٌ . فَدَعَا بِهَا عَمْرٌ ، فَخَفَقَهَا بِالْعِزَّةِ ، وَدَعَا بِنَصْرٍ فَخَلَقَ لَهَا ، ضَادَّ أَحْسَنَ مَا كَانَ ؛ فَقَالَ : لَا تَسَاكُنِي فِي بَلَدَةٍ يَمْتَنَّاكَ النِّسَاءُ بِهَا ، وَأَخْرِجْهُ إِلَى الْبَصْرَةِ . وَحَادِلُ نَصْرٍ أَنْ يَمُودَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِ عَمْرٌ وَقَالَ : أَمَا وَلِي سُلْطَانٌ فَلَا . وَكَانَ نَصْرٌ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ .

(٢) قَسِمَاتُ الْحُسَيْنِ : مَجَالِيهِ . وَقَصَبَةُ السَّيْقِ : مَا يُنْصَبُ فِي مِيزَانِ السِّبَاقِ ، فَمَنْ سَبَقَ أَقْلَعَهَا وَأَخَذَهَا لِيَلْمَ أَنَّهُ السَّابِقُ .

(٣) الْإِلَهَ (بِالْكَسْرِ) : الشَّعْرُ الْمُجَاوِرُ شُعْمَةِ الْأُذُنِ ، وَاجْتَمَعَ لَمْ . وَفِيَانَةٌ : طَرِيقَةٌ حَسَنَةٌ .

(٤) عَقَائِلُهَا ، أَيْ عَقَائِلُ الْمَدِينَةِ . وَعَقَائِلُ النِّسَاءِ : كَرَامَتُهُنَّ ، الْوَاحِدَةُ عَقِيلَةٌ .

وَيَسْبِيهَا : يَأْسُرُهَا .

(٥) عَاطِلُ الْإِلَهَ : الْمَجْرَدُ مِنْهَا . وَحَالِيهَا : الْمَتْرَيْنُ بِهَا .

فَصَحَّتْ فِيهِ تَحَوُّلٌ عَنْ مَدِيَنَتِهِمْ * فَإِنَّمَا فَتَنَةٌ أَخْشَى تَمَازِيهَا
وَفِتْنَةُ الْحُسَيْنِ إِنْ هَبَّتْ نَوَاحِيهَا * كَفِتْنَةِ الْحَرْبِ إِنْ هَبَّتْ سَوَافِيهَا^(١)

(عمر ورسول كسرى)^(٢)

وَرَأَعَ صَاحِبَ (كِسْرَى) أَنْ رَأَى عُمرًا * بَيْنَ الرَّعِيَةِ عُطْلًا وَهُوَ رَاعِيهَا^(٣)
وَعَهْدُهُ بِمُلُوكِ الْفُرسِ أَنَّهَا * سُورًا مِنَ الْجُنْدِ وَالْأَحْرَاسِ يَجْمَعُهَا
رَأَاهُ مُسْتَعْرِفًا فِي نَوْمِهِ فَارَأَى * فِيهِ الْجَلَالََةَ فِي أَشْمَى مَعَانِيهَا
فَوْقَ الْآثَرِ تَحْتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتِمِلًا * بِبُرْدَةٍ كَادَ طَوْلُ الْعَهْدِ يُنِيلُهَا^(٤)
فَهَانَ فِي عَيْنِهِ مَا كَانَ يُكْبِرُهُ * مِنْ الْأَكَاوِيرِ وَالْأَنْدِيَا بِأَيْدِيهَا
وَقَالَ قَوْلَةً حَقٌّ أَصْبَحَتْ مَثَلًا * وَأَصْبَحَ الْجَيْلُ بَعْدَ الْجَيْلِ يَرْوِيهَا:
أَمِنْتَ لِمَا أَقَمْتَ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ * فَنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا

(١) نواحيها: أى روائعها الطيبة، جمع ناحة. وسوافى الحرب، أى عواصفها - والأصل فى السوافى: الريح تحمل الغبار. يقول: إن الحسن يفعل فى النفوس بطفه ورقته ما تفعله الحرب بقسوتها وشدةها. ويريد به بعض الأدباء قتلا عن حافظ «لواحيها» باللام مكان «نواحيها» بالنون، واللواحي: الرياح الحارة المحرقة، جمع لائحة، والمعنى عليه يستقيم أيضا كما هو ظاهر.

(٢) يشير بهذه الأبيات إلى ما يروى من أنه لما وصل رسول كسرى إلى المدينة يريد مقابلة الخليفة جعل يستهدى إلى قصره، فلم أنه لا يسكن قصرًا، وانتهى به الأمر إلى أن وصل إلى بيت كعب بن الأشرف فأقترع العرب وشكك كان الخليفة العظيم راقدا على الرمل أمام البيت، فجاءه منه وسادة أسند إليها رأسه، ولم يكن حوله من مظاهر هذه الحياة ما يميزه من أصفر فردى رعيته؛ فلما رأى الرسول ذلك دهش، ووقف أمامه خاشعا وقال عبارة المعروفة: عدلت يا عمر وأمنت فمنت. (٣) عطلا (بالضم)، أى متجردا من مظاهر الأبهة. (٤) الدوح: جمع دوحه، وهى الشجرة العظيمة المتسعة الظل. واشتمل الرجل بثوبه: تلفف به وأداره على جسده.

(عُمَر والشورى)^(١)

يَارَافِعَا رَايَةَ الشُّورَى وَحَارِسَهَا * جَزَاكَ رَبُّكَ خَيْرًا عَنْ مُحِبِّهَا
لَمْ يُلْهِكَ التَّزَعُّعُ عَنْ تَأْيِيدِ دَوْلَتِهَا * وَلِلْمَنِيَّةِ آلَامٌ تُعَانِيهَا^(٢)
لَمْ أُنْسَ أَمْرَكَ لِلْمِقْدَادِ يَحْمِلُهُ * إِلَى الْجَمَاعَةِ إِنْذَارًا وَتَنْبِيهَا
إِنْ ظَلَّ بَعْدَ ثَلَاثِ رَأْيِهَا شُعْبًا * بَجَرْدِ السَّيْفِ وَأَضْرِبَ فِي هَوَادِيهَا^(٣)
فَاعْجَبْ لِقُوَّةِ نَفْسٍ لَيْسَ يَصْرِفُهَا * طَعْمُ الْمَنِيَّةِ مُرًّا عَنْ مَرَامِيهَا
دَرَى عَيْدُ بَنِي الشُّورَى بِمَوْضِعِهَا * فَعَاشَ مَا عَاشَ يَتْنِهَا وَيُعْلِيهَا
وَمَا أَسْتَبَدَّ بِرَأْيٍ فِي حُكُومَتِهِ * إِنَّ الْحُكُومَةَ تُغَيِّرُ مُسْتَبَدِّيَهَا
رَأَى الْجَمَاعَةَ لَا تَشْقَى الْبِلَادُ بِهِ * رَغْمَ الْخِلَافِ وَرَأَى الْقَرْدِ يُسْقِيهَا

(١) كان عمر بن الخطاب بالشورى في أمورهم، وكان يقول: لا خير في أمر أبرم من غير شورى . وهو أول من قرر قاعدة الشورى في انتخاب الخليفة، فقد سئل عند ما طعن عن يومى به بعده، قال للقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرة فأدخل عليا وعثان والزيير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم، وأحضر عبد الله بن عمر، ولا شيء له من الأمر، وقم على رؤسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاضرب رأسه بالسيف؛ وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رأسهما، فإن رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا منهم، فحكوا عبد الله بن عمر، فأبى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله فكونوا مع الذين فهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس . وال هذه القصة يشير الشاعر .

(٢) دولتها، أى دولة الشورى .

(٣) بعد ثلاث، أى بعد ثلاث ليال - والمهادى : الأعناق .

(مثال من زُهدِه)

- (١) يَا مَنْ صَدَفَتْ عَنِ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتْهَا * فَلَمْ يَغْرَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مُغْرِيهَا
 (٢) مَاذَا رَأَيْتَ بَابَ الشَّامِ حِينَ رَأَوَا * أَنْ يُلْبِسُوكَ مِنَ الْأَثْوَابِ زَاهِيهَا
 (٣) وَيُرْكَبُوكَ عَلَى الْبِرْدُونِ تَقْدُمُهُ * خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ تَحْلُو مَرَائِيهَا
 (٤) مَشَى فَهَمَلَجَ مُخْتَالًا بِرَاكِيهِ * وَفِي الْبَرَادِينِ مَا تُرْهِى بِعَالِيهَا
 (٥) فَصَحَّتْ : يَا قَوْمُ ، كَادَ الزَّهْوُ يَقْتُلُنِي * وَدَاخَلَنِي حَالٌ لَسْتُ أَدْرِيهَا
 (٦) وَكَادَ يَصُبُّ إِلَى دُنْيَاكُمْ (عُمَرُ) * وَيَرْتَضِي بَيْعَ بَاقِيهِ بِفَانِيهَا
 (٧) رُدُّوْا رِكَابِي فَلَا أَبْنِي بِهِ بَدَلًا * رُدُّوْا ثِيَابِي خَشْيَ الْيَوْمَ بِأَلِيهَا

(مثال من رَحْمَتِه)

- (١) وَمَنْ رَأَاهُ أَمَامَ الْقَدْرِ مُنِيطًا * وَالنَّارُ تَأْخُذُ مِنْهُ وَهُوَ يُدْكِيهَا
 (٢) وَقَدْ تَخَلَّلَ فِي أَشْءٍ لِحْيَتِهِ * مِنْهَا الدُّخَانُ وَفُوهُ غَابَ فِي فِيهَا

- (١) صدق : أعرض وصد . (٢) البردون : ضرب من الدواب دون الخيل وأقوى من الحر . ويشير بهذا البيت وما بعده الى أن عمر لما شخص الى بيت المقدس رأى فرسه يتربى ، فنزل عنه وأتى بردون فركبه ، فهزه ، فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال : قبح الله من عليك ، هذا من الخلاء ، ثم دعا بفرسه بعد ما أجه أيا ما فركبه ، ثم سار حتى انتهى الى بيت المقدس ، ولم يركب قبله ولا بعده بردونا .
 (٣) الهملجة : حسن السير في تجتر . وأزهى (بالبناء للجھول) : اختال . وعاليا : راكمها .
 (٤) بصور : يميل . (٥) يشير بالأبيات الآتية الى ما روى من أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يتمسك بالليل ، فرأى امرأة توقد النار على حصى وماء ، تشغل بذلك أولادها عن طلب الطعام حتى يناموا ، فحمل إليها عمر من بيت المال شيئا من الدقيق ، وجلس هو يشعل النار وينضج الطعام ، ولم ينصرف حتى أكل الأطفال وناموا . (٦) انبطح : قام على وجهه ممتدا على الأرض . وأذكى النار : أوقدها . (٧) فوه غاب في فيها ، أى فوه غاب في قم النار وهو ينفضها .

رَأَى هُنَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى * حَالِ تَرُوعٍ - لَعَمْرُ اللَّهِ - رَائِبَهَا
يَسْتَقْبِلُ النَّارَ خَوْفَ النَّارِ فِي غَدِهِ * وَالْعَيْنُ مِنْ خَشْيَةٍ سَالَتْ مَا فِيهَا^(١)

(مَثَالٌ مِنْ تَقَشُّفِهِ وَوَرَعِهِ)^(٢)

إِنْ جَاعَ فِي شِدَّةٍ قَوْمٌ شَرَكْتَهُمْ * فِي الْجُوعِ أَوْ تَجَلَّى عَنْهُمْ غَوَاشِيهَا^(٣)
جُوعُ الْخَلِيفَةِ - وَالدُّنْيَا بِقَبْضَتِهِ - * فِي الزُّهْدِ مِثْلُ مِثْلَةِ مُبْعَانَ مُوَلِّبَهَا
فَمَنْ يُبَارَى (أَبَا حَفِصٍ) وَسِيرَتِهِ * أَوْ مَنْ يُحَاوِلُ (لِلْقَارُوقِ) تَنْسِيَهَا
يَوْمَ اشْتَهَتْ زَوْجَهُ الْحَلَوَى فَقَالَ لَهَا: * مِنْ أَيْنَ لِي ثَمَنُ الْحَلَوَى فَأَشِيرَهَا
لَا تَمْتَطِي شَهَوَاتِ النَّفْسِ جَاعِمَةً * فِكْسَرَةُ الْخُبْزِ عَنْ حَلَوَاكِ تَجْزِيهَا^(٤)
وَهَلْ يَفِي بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا * تُوَحِّي إِلَيْكَ إِذَا طَاوَعْتَ مُوَحِّبَهَا^(٥)
قَالَتْ : لَكَ اللَّهُ إِنِّي لَسْتُ أَرْزُوهُ * مَا لَا لِحَاجَةَ نَفْسٍ كُنْتُ أَيْبَهَا
لَكِنْ أُجَنِّبُ شَيْئًا مِنْ وَظِيفَتِنَا * فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى حَالِ أَسْوِيهَا^(٦)

(١) المآق : جمع ماق وموق، وهو طرف العين مما يلي الأنف، وهو مجرى الدم .

(٢) يشير الشاعر بهذه الأبيات الآتية الى حادثتين من تقشف عمر : الأولى، ما يحكى عنه من أنه كان اذا نزل بالقوم مجاعة لا يأكل داخل بيته، ويأخذ طعامه ويشترك مع القوم الى أن تنهى المجاعة، حتى يعلموا أن الخليفة لا يأكل من غير ما يأكلون . والثانية، ما حكى عنه من أن امرأته اشتت الحلواء، فأذخرت لذلك من نقعة بيتها حتى جمعت ما يكفي لصنعها، فلما نمت هذا الى عمر رد ما أذخرت الى بيت المال وقص من تقفها بقدر ما أذخرت . (٣) «أو تجل» الخ، أى حتى تنكشف عنهم غواشيها، أى ما ينشام ويصلهم من الشدة والقطط، الواحدة غاشية . (٤) تجزيها، أى تقنى عنها .

(٥) لست أرزؤه مالا، أى لست أصيب من بيت المال شيئا .

(٦) وظيفتنا، أى ما يجرى علينا من بيت المال .

(١)

حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْنَا مَا يُكَافئُهَا * شَرَبْتُهَا ثُمَّ لَأَى لَا أَتْنِيهَا

(٢)

قَالَ : اذْهَبِي وَأَعْلَيْ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً * أَنَّ الْقَسَاعَةَ تُغْنِي نَفْسَ كَاسِيهَا

وَأَقْبَلْتُ بَعْدَ تَحْمِيسٍ وَهِيَ حَامِلَةٌ * دُرَيْهَمَاتٍ لِيَقْضَى مِنْ تَشَمُّهَا

قَالَ : نَبَّهْتَ مِنِّي ظَافِلًا فَدَعَيْ * هَذِي الدَّرَاهِمَ إِذْ لَاحَقَ لِي فِيهَا

(٣)

وَيَلِي عَلَى عُمَرٍ يَرْضَى بِمُؤَفِّيَةٍ * عَلَى الْكَفَافِ وَيَنْهَى مُسْتَرِيدِيهَا

مَا زَادَ عَنْ قُوَّتِهَا فَالْمُسَائِمُونَ بِهِ * أَوَّلَى فُقُوبِي لَيْتَ الْمَالِ رُدِّيَهَا

كَذَلِكَ أَخْلَافُهُ كَانَتْ وَمَا عُدَّتْ * بَعْدَ النَّبْزَةِ أَخْلَاقُ مُخَافِيهَا

(مِثَالٌ مِنْ هَيْبَتِهِ)

فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ هَيْبَتُهُ * تَلْتَمِشُ الْخُطُوبَ فَلَا تَعْدُو عَوَادِيهَا

فِي طَلْقِ شِدَّتِهِ أَسْرَارُ مَرَحَمَةٍ * لِلْعَالَمِينَ وَلَكِنْ لَيْسَ يُشْفِيهَا

(٤)

وَيَنْ جَنْبَيْهِ فِي أَوْفَى صَرَامَتِهِ * فُؤَادُ وَالِدَةٍ تَرعى ذُرَارِيهَا

(٥)

أَغْنَتْ عَنْ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ دِوْنَهُ * فَكَمْ أَخَافَتْ غَوَى النَّفْسِ طَائِفِيهَا

(٦)

كَانَتْ لَهُ كَعَصَا (مُومَى) لِصَاحِبِهَا * لَا يَتَرَلُّ الْبُطْلُ مُجْتَازًا بِوَادِيهَا

(١) لَا أَتْنِيهَا، أَيْ لَا أَعُودُ إِلَى طَلَبِ ذَلِكَ مَرَّةً ثَانِيَةً : (٢) كَاسِيهَا، أَيْ التَّجَمُّلُ بِهَا -

(٣) بِمُؤَفِّيَةٍ عَلَى الْكَفَافِ، أَيْ بِمَا يَزِيدُ عَلَى الْحَاجَةِ مِنَ الرِّزْقِ . (٤) أَوْفَى صَرَامَتِهِ، أَيْ

فِي أَقْصَى شِدَّتِهِ . (٥) الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ : السِّيفُ الْمَجْلُوعُ . وَالْفَرْزَةُ : الْعَصَا يُضْرَبُ بِهَا، وَدَرَّةٌ

عَصَا مَعْرُوفَةٌ . وَالغَوَى : الضَّالُّ . (٦) الْبُطْلُ (بِالضَّمِّ) : الْبَاطِلُ . وَيُرِيدُ بِالشَّطْرِ الْخَالِقَ أَنَّهُ

لَا يُضْرَبُ بِهَا إِلَّا فِي حَقِّ .

- (١) أَخَافُ حَتَّى الدَّرَارِي فِي مَلَاعِيهَا * وَرَاعَ حَتَّى الْفَوَانِي فِي مَلَامِيهَا
(٢) أَرَيْتَ تِلْكَ الَّتِي لِلَّهِ قَدْ نَذَرْتُ * أَنْشُودَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ تَهْدِيهَا
قَالَتْ: نَذَرْتُ لئن عَادَ النَّبِيُّ لَنَا * مِنْ غَزْوَةٍ لَعَلِّي دُفُّ أَغْنِيهَا
وَيَمِثُّ حَضْرَةَ الْهَادِي وَقَدْ مَلَأَتْ * أَنْوَارُ طَلْعَتِهِ أَرْجَاءَ نَادِيهَا
(٣) وَأَسْتَذِنْتُ وَمَشْتُ بِالْذُّفِّ وَانْدَفَعْتُ * تُشْجِي بِأَلْحَانِهَا مَا شَاءَ مُشْجِيهَا
(والمصطفى) (وَأَبُو بَكْرٍ) بِجَانِبِهِ * لَا يُنْكَرَانِ عَلَيْهَا مِنْ أَغَانِيهَا
(٤) حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بَعْدِهَا (عُمَرُ) * خَارَتْ قُؤَاهَا وَكَادَ الْخَوْفُ يُرِيدُهَا
(٥) وَخَبَّاتُ دُفُّهَا فِي ثَوْبِهَا فَرَقًا * مِنْهُ وَودَّتْ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ تَطْوِيهَا
(٦) قَدْ كَانَ حِلْمُ رَسُولِ اللَّهِ يُؤْنِسُهَا * بِخَاءِ بَطْشِ (أَبِي حَفْصٍ) يُخْشِيهَا
فَقَالَ مَهْمِيطُ وَخِي اللَّهِ مُبْتِمَاءً * وَفِي ابْتِسَامَتِهِ مَعْنَى يُوَسِّسُهَا
قَدْ فَرَّ شَيْطَانُهَا ، لَمَّا رَأَى عُمَرَا * إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَخْشَى بَأْسَ مُخْزِيهَا

(١) النواقي : النساء غنين يحسنن ويعاملن عن الزينة ، الواحدة غانية .

(٢) أريت ، أى أرايت : ويشير الشاعر بهذا البيت وما بعده الى ما يروى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سقرا ، فنزلت جارية من قريش لئن رده الله تعالى أن تضرب بالدف ، وتغنى بين يديه ؛ فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية لتغنى بذكرها ، وضربت على الدف وكان أبو بكر إلى جانب الرسول لا ينكر أن عليها ذلك ، فلما طلع عليها عمر أسقط في يدها واضطربت ففرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال متبعا : « لقد فر شيطانها » حين رأى عمر .

(٣) تشجى : تطرب . (٤) حارت قواها : ضعفت . وأرداد : أهلكه .

(٥) الفرق : الخوف . (٦) يخشها : يخوئها .

(١)
(مِثَالٌ مِنْ رُجُوعِهِ إِلَى الْحَقِّ)

(٢) وَفَتِيَّةٌ وَلِمُسَا بِالرَّاحِ فَاَنْتَبَدُوا * لَمْ مَكَانًا وَجَدُوا فِي تَعَاطِيهَا
(٣) فَظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ لَمَّا عَلِمَتْ بِهِمْ * وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ سَاجِيهَا
(٤) حَتَّى تَبَيَّنَتْهُمْ وَالنَّخْرُ قَدْ أَخَذَتْ * تَعْلُو ذُؤَابَةَ سَاقِيهَا وَحَاسِيهَا
(٥) سَفَهَتْ أَرَأَهُمْ فِيهَا فَا لَيْثُوا * أَنْ أَوْسَعُوكَ عَلَى مَا جِئْتَ تَسْفِيهَا
(٦) وَرُمْتَ تَفْقِيَهُهُمْ فِي دِينِهِمْ فَإِذَا * بِالشَّرْبِ قَدْ بَرَّعُوا (الْفَارُوقِ) تَفْقِيهَا
قَالُوا : مَكَانَكَ قَدْ جِئْنَا بِوَاحِدَةٍ * وَجِئْنَا بِثَلَاثٍ لَا تُبَالِيهَا
(٧) فَأَيُّ الْيُوتِ مِنَ الْأَبْوَابِ (يَا عُمَرُ) * فَقَدْ يُزْنُ مِنَ الْجِلْبَانِ آتِيهَا
(٨) وَأَسْتَأْذِنُ النَّاسَ أَنْ تَغْشَى بُيُوتَهُمْ * وَلَا تُلِمَّ بِدَارٍ أَوْ تُخَيِّبَهَا

(١) يشير بهذا البيت وما بعده إلى ما روى من أن عمر تسود الحائط على جماعة يشربون الخمر يريد أن يباغتهم ، فأنكروا عليه أمورا ثلاثة أتاها ، وهي دخوله عليهم من غير الباب ، وعدم استئذانه ، ومحسسه عليهم ، وكل هذه نهي منها الله ، فالتقى عنهم بعد أن لزمه حجبتهم .
(٢) الراح : الخمر .
(٣) ظهر الحائط : علاه . واعتكر الليل : اختلط ظلامه . والليل الساجي : الساكن الرأكد الظلمة .
(٤) يريد بالذؤابة أعلى الرأس . والذؤابة في الأصل : الضفيرة من الشعر . وحاسيها : شاربها .
(٥) فيها ، أى في الخمر . (٦) الشرب : الشاربون . وبرعوا : فاقوا .
(٧) نون « عمر » هنا لضرورة الوزن . وفي كتب النحور أن المنادى المنى على الضم إذا اضطر الشاعر إلى تنويعه فله فيه وجهان : الضم والنصب ؛ فن الأول :
* سلام الله يا مطر عليها *

ومن الثاني :

* يا عديا لقد وقتك الأواقي *

وريزن : بهم . (٨) أى لا تدخل الدار حتى تستأذن وتسلم على أهلها .

ولا تجسس فهذي الاى قد نزلت * بالتهى عنه فلم تذكر نواهيها
فعدت عنهم وقد اكبرت حجبتهم * لما رايت كتاب الله يملئها
وما انفت وان كانوا على حرج * من ان يحجك بالآيات عاصيها^(١)

(٢) عُمُرُ وَشَجَرَةُ الرُّضْوَانِ

وسرحة في سماء السرج قد رفعت * ببيعة المصطفى من رأسها نيبها^(٢)
أزلتها حين غالوا في الطواف بها * وكان تطواؤهم للدين تشويها^(٣)

(الخاتمة)

هذي مناقبه في عهد دولته * للشاهدين والأعقاب أحكيها^(٤)
في كل واحدة منهم نايلة * من الطبايع تغذو نفس وإعيا^(٥)
لعل في أمة الإسلام نايئة * تجلوا لحايرها مראה ماضيها^(٦)
حتى ترى بعض ما شادت أوائلها * من الصروح وما عاتاه بانها^(٧)
وحسبها أن ترى ما كان من (عمر) * حتى ينبئه منها عين غافها

(١) الحرج : الإثم . وجهه يحجه : فله بالجهة . (٢) شجرة الرضوان : هي الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها يوم الحديبية ، وقد رأى عمر أن الناس يصلون عندها ويطوفون بها ، تخاف أن ينصرف تركهم لها إلى معنى من معاني الوثنية ، فأمر بقطعها ، فقطعت ، وإلى هذا يشير الشاعر بالآيات الآتية . (٣) السرحة : الشجرة الطويلة ، أو هي من الشجر الماشوك فيه . يقول : إن هذه الشجرة قد قامت بها راتنا على مثلاتها من أعلى الأنجار بهذه البنية . (٤) غالوا : بالغوا ، بالغوا وأكثروا . (٥) نايلة ، أى حجة شريفة من مجايا النبيل . (٦) النايئة : الناشئون . (٧) الفاقى : النائم .

تحية محمد عسران عبد الكريم

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتكريمه في فندق شبرد في ٧ يولييه سنة ١٩١٩ م حين استقال من الحكومة
أول مرة، وهي على لسان تجار الغلال

لقد عاشرتنا فليئت فينا * مثالا للتزاهة والكمال
بحلم كان محمود المزايا * وعذلي كان محمود الظلال
فإن كنت اعترلت إباء ضميم * فثلك بالوظائف لا ييالي
حبأت القلوب تسوق شكرًا * إليك بقدر حبات الغلال^(١)

تحية أحمد شوقي بك

وكان حافظ قد أعدّها ليستقبله بها عند قدومه الى مصر من منفاه بالأندلس ، ولكنه عجل بنشرها
قبل قدومه خافة أن يلحقه القدر المحتوم ، كما قال في رسالته الى الأهرام

[نشرت في ١٤ أغسطس سنة ١٩١٩ م]

ورد الكانة عبرى زمانه * فتتظري يا مضر سحر بيانه^(٢)
وأنى الحسان فهتئوا ملك النهى * بقيام دولته وعود حسانه^(٣)
النيل قد ألقى إليه بسمعه * والماء أمسك فيه عن جريانه
والزهر مضغ والتمائل خشع * والطير مستمع على أفنانه^(٤)

(١) حبات القلوب : سويداواتها . (٢) تنظري : انتظري .

(٣) الحسان من الرجال (بضم الحاء) والحسن (بالتحريك) : كلاهما بمعنى واحد

(٤) التمايل : المواضع تكثر فيها الأشجار الواحدة نجيله .

(١) وَالْقَطْرُ فِي شَوْقٍ لِأَنْدَلُسِيَّةٍ * شَوْقِيَّةٌ تَسْفِيهِ مِنْ أَشْجَانِهِ
(٢) يُصْنِي لِأَحْمَدَ إِنْ شَدَا مَتَرَمَّا * إِصْفَاءُ أُمِّهِ أَحْمَدٍ لِأَذَانِهِ
(٣) فَأَصْدَحَ وَغَنَّ النَّيْلَ وَأَهْرُزُ عِطْفَهُ * يَكْفِيهِ مَا عَانَاهُ مِنْ أَجْرَانِهِ
(٤) وَأَذْكُرْنَا الْحُمْرَاءَ كَيْفَ رَأَيْتَهَا * وَالْقَصْرَ مَاذَا كَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ
(٥) مَاذَا تَحَطَّمَتْ مِنْ ذُرَاهُ وَمَا الَّذِي * أَبَقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ أَرْكَانِهِ
(٦) وَاهَاً عَلَيْهِ وَأَهْلِهِ وَبُنْيَانِهِ * أَيَّامَ كَانَ النَّجْمُ مِنْ مُكَانِهِ
(٧) إِذْ مُلْكُ أَنْدَلُسٍ عَيْرِيضٌ جَاهُهُ * وَشَبَابُهُ الْبَكِيُّ فِي رِيْعَانِهِ
(٨) الْفَتْحُ وَالْعُمَرَاءُ آيَةُ عَهْدِهِ * وَكَتَائِبُ الْأَقْدَارِ مِنْ أَعْوَانِهِ
(٩) لَيْسَتْ بِهِ الدُّنْيَا لِبَاسَ حَضَارَةٍ * قَدْ كَانَ يَحْتَلِّعُهُ عَلَى حَيْرَانِهِ
(١٠) زَالَتْ بِشَاشَتِهِ وَزَالَ وَأَقْفَرَتْ * مِنْ أَنْسِهِ الدُّنْيَا وَمِنْ أَنْسَانِهِ
(١١) وَطَوَى الْتَرَى مِرَّ الزَّوَالِ فَيَأْتُرَى * هَلْ ضَاقَ صَدْرُ الْأَرْضِ عَنْ كِتَابِهِ

(١) أندلسية شوقية ، أى قصيدة من شعر شوقي في وصف الأندلس .

- (٢) يريد « بأحمد » الثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٣) صبح : رفع صوته بالثناء .
والعطف : الجانب ، (٤) الحمراء ، هو ذلك البناء الذي لا يزال على طول عهده في غرناطة أجل ما يرى في البلاد الإسبانية ، وكان قلعة تضم بين جدرانها القصر السلطاني ، وفي هذا القصر كان يعيش سلاطين بني الأحمر . (٥) تحطم : تهدم . وذراه : أعاليه . وصروف الزمان : حوادثه وتغيراته .
(٦) ريعان كل شيء : أزهله . (٧) حيرانه ، أى عمالك الغرب المجاورة للأندلس .
(٨) إنسانه ، أى أهله . (٩) مر الزوال ، أى السبب في زوال ملك العرب عن الأندلس يستفسر الشاعر في هذا البيت والذي بعده : هل ضاق صدر الأرض عن حفظ ذلك السرفاج به لشوقي لما وقف على أطلال الحمراء ؟

فَتَكَلَّمْتُ تِلْكَ الطُّلُولَ وَأَنْصَحْتُ * لَمَّا وَقَفْتَ مُسَائِلًا عَنْ شَانِهِ
وَلَمَّا نَكَبْتَهُ هُنَاكَ تَفَرُّقٌ * وَتَعَلُّدٌ قَدْ كَانَ فِي تَيْجَانِهِ
عَبَّرَ رَأَيْنَاهَا عَلَى أَيَّامِنَا * قَدْ هَوَّنَتْ مَا نَابَهُ فِي آيِهِ
وَحَوَادِثُ فِي الْكَوْنِ إِثْرَ حَوَادِثٍ * جَاءَتْ مُشْمَرَةً لِمَدِّ كِيَانِهِ
سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ الْعُلَا * وَمُقَلَّبِ الْأَكْوَانِ فِي أَكْوَانِهِ
أَهْلًا بِشَمْسِ الْمَشْرِقَيْنِ وَمَرْحَبًا * بِالْأَبْلَجِ الْمَرْجُوِّ مِنْ إِخْوَانِهِ
أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَزُمَرَةٍ * بَرَحَتْ فُؤَادَ الشَّعْرِ فِي أَعْيَانِهِ
كَمْ خَارِجٍ عَنْ أَفْقِهِ حَصَبَ الْوَرَى * بِقَرِيضِهِ وَالْعُجْبِ مِلْءُ جَنَانِهِ
يَحْتَالُ بَيْنَ النَّاسِ مُتَيْدِّدَ الْخَطَا * رِيحُ الْغُرُورِ تَهْبُ مِنْ أَرْدَانِهِ
كَمْ صَبَّكَ مَسْمَعَنَا يَجْنَدِلُ لَفِظُهُ * وَأَطَالَ مَحْتَنَّا بِطُولِ لِسَانِهِ
مَا زَالَ يُعْلِنُ بَيْنَنَا عَنْ نَفْسِهِ * حَتَّى اسْتَغَاثَ الصُّمُّ مِنْ إِعْلَانِهِ
نَصَحَ الْهُدَاةَ لَهُمْ فَزَادَ غُرُورَهُمْ * وَاشْتَدَّ ذَاكَ السَّيْلُ فِي طُغْيَانِهِ
أَوْ لَمْ تَرَ الْفُرْقَانَ وَهُوَ مُفَصَّلٌ * لَمْ يَلْفِتِ الْبُودِيَّ عَنْ أَوْنَانِهِ

(١) الأبلج : الطلاق الوجه . (٢) أعيانه ، أى رجال الشعر المبرزين فيه . « ويريد بالزمرة »
ضعاف الشعراء ، وكان منهم فى رأى حافظ عبد الحليم المصرى الشاعر ، وهو المقصود بقوله بعد : « كم
خارج » الخ وكان قد تلاحيا قبل مقدم شوقى ثم احتكما اليه حين قدم . (٣) أصل الحصب : الرى
بالخصا ثم استعمل فى كل رى . (٤) متدد : متمهل . وأردانه ، أى أنوابه . والأردان : جمع
ردن بضم الراء ، وهو أصل الكم . (٥) الجندل : الصخر .

قُلْ لِلَّذِي قَدْ قَامَ يَشَاوِرُ أَحْمَدًا * خَلَّ الْقَرِيضَ فَلَسْتَ مِنْ قُوسَانِهِ ^(١)
 الشَّعْرُ فِي أَوْزَانِهِ لَوْ قَسَمْتَهُ * لَطَلَّتْهُ بِالْدَّرِّ فِي مِيزَانِهِ ^(٢)
 هَذَا أَمْرٌ قَدْ جَاءَ قَبْلَ أَوَانِهِ * إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ جَاءَ بَعْدَ أَوَانِهِ ^(٣)
 إِنْ قَالَ شِعْرًا أَوْ تَسَمَّ مِنْبَرًا * فَتَعَوَّذَا بِاللَّهِ مِنْ شَيْطَانِهِ ^(٤)
 تَمَيَّزَ الْخِيَالُ لَهُ بِرَأْفَةٍ فَاحْتَلَى * فَوْقَ الشُّهُبِ يَسْتَنُّ فِي طَيْرَانِهِ ^(٥)
 مَا كَانَ يَأْمَنُ مَعْتَقَةً لَوْ لَمْ يَكُنْ * رُوحَ الْحَقِيقَةِ تُمْسِكًا بِعِثَانِهِ ^(٦)
 فَأَتَى بِمَا لَمْ يَأْتِهِ مُتَقَدِّمٌ * أَوْ تَطْمَعُ الْأَنْهَانُ فِي إِيَّانِهِ ^(٧)
 هَلْ لِلْخِيَالِ وَالْحَقِيقَةِ مَنَهْلٌ * لَمْ يَنْغِهِ الرُّوَادُ فِي دِيْوَانِهِ ^(٨)
 إِنَّا لَنَلْهُوَ إِذْ نَمِيدُ وَإِنَّا * لَنَجِدُ إِذْ يَلْهُو بِتَنْظِيمِ جُمَانِهِ ^(٩)
 أَقْلَامُهُ لَوْ شَاءَ شَكَّ قَصِيرُهَا * هَامَ الثُّرَيَّا وَالشُّهُبُ بِسِنَانِهِ ^(١٠)
 يُمَلِّي عَلَيْهَا عَقْلُهُ وَجَنَانُهُ * مَا لَيْسَ يُنْكِرُهُ هَوَى وَجَدَانِهِ

- (١) يشاوأحداء، أى يبلغ غاية شوق . (٢) في أوزانه، أى في الأوزان التي ينظم منها شوق . و « بالدر » : متعلق بقوله : « قس » . (٣) يريد أن شوقاً قد جاء في غير زمانه، وزمانه الجدير به إما أن يكون زمن السابقين من الفحول الأقدمين ، أو من سيحود هم الزمن بعد اكتمال الفن . (٤) تسَمَّ الشيء : علاه . (٥) البراق ، هى الدابة التي يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ركبها ليلة المراج . والسها : كوكب خفى من نبات نض الصغرى . ويسق : يسرع . (٦) العنان : سير الهجام الذي تمسك به الدابة . يقول إن الذي حى شعره من الزلل والخطل ، وهو أنه جعل الحقيقة غرضه الذي يرى إليه في قصائده ، ولولا ذلك لم يأمن الزلل . (٧) المنهل : المورد ينهل منه الظالمون . والرواد : الطالبون . (٨) الجمان : التزوؤ . (٩) الهام : الرومى الواحدة هامة .

- (١) بَسْلٌ عَلَى شُعْرَانَا أَنْ يَنْطِقُوا * قَبْلَ الْمُثُولِ لَدَيْهِ وَأَسْتَفْذَانِهِ
(٢) عَافَ الْقَدِيمَ وَقَدْ كَسَتْهُ يَدُ الْبَلَى * خَلَقَ الْأَدِيمَ فَهَانَ فِي خُلُقَانِهِ
(٣) وَأَبَى الْجَدِيدَ وَقَدْ تَأَقَّى أَهْلُهُ * فِي الرَّقِيشِ حَتَّى غَرَّ فِي أَلْوَانِهِ
(٤) بَخْسِيْدُهُ بَعَثَ الْقَدِيمَ مِنَ الْبَلَى * وَأَعَادَ سُؤْدَدَهُ إِلَى إِبَانِهِ
(٥) وَرَمَى جَدِيدَهُمْ نَخْرَ بِنَاؤُهُ * بِرُوءٍ زُخْرُفِهِ وَبَرَقِ دِهَانِهِ
(٦) شُعْرَاءُ نَفَحَ الطَّيِّبُ أَشْرَ ذِكْرَهُمْ * فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ أَدِيبُ زَمَانِهِ
(٧) وَدَّ (ابْنَ هَانِيَّ) (وَابْنَ عَمَارٍ) بِهَا * لَوْ يَظْفِرَانِ مَعًا بَلَثْمَ بَنَانِهِ
(٨) وَلَوْ اسْتَطَاعَا فَوْقَ ذَلِكَ لَأَقْبَلَا * رَغَمَ الْبَلَى وَالْقَبْرِ يَسْتَقْبَانِهِ
(٩) يَا كَرَمَةَ (الْمَطْرِيَّةِ) أَبْتَهِجِي بِهِ * وَاسْتَقْبِلِي الظُّلْمَانَ مِنْ أَخْدَانِهِ
مُدَى الظَّلَالِ عَلَى الْوُفُودِ وَجَدْدِي * عَهْدًا طَوَاهُ الدَّهْرُ فِي بُسْتَانِهِ

(١) بسل : حرام . (٢) عاف القديم : تحبب القديم من أغراض الشعر ومعانيه التي رث وبلت . (٣) الرقيش : النقش والتزيين . (٤) السؤدد : السيادة والرفعة . وإبان الشيء : زمانه . (٥) الرواء : حسن المنظر . (٦) نفح الطيب ، هو نخب الطيب تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن يحيى المقرئ المغربي ، نزيل فاس ، ثم مصر ، المتوفى في شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ هـ . وصف في هذا الكتاب جريرة الأندلس ووجاها من الكتاب والشعراء وغيرهم . ومعنى البيت أن شوفيا قد أحيا بحسن شعره ذكر الشعراء الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب . (٧) بها ، أى بالأندلس ، وابن هاني هو أبو القاسم محمد بن هاني الأسدي الأندلسي الشاعر المعروف . ومنع «هائنا» من الصرف لضرورة الوزن . وابن عمار ، هو ذووزارتين أبو بكر محمد بن عمار الأندلسي الشاعر المشهور ، وقد مات بأشبيلية سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، وكانت ولادته سنة اثنين وعشرين وأربعمائة . (٨) يستقبانه ، أى يمشيان أمامه بحيلة واحتراما . (٩) المطرية : ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة ، وفيها كان بيت المرحوم شوقي بك المعروف بكريمة ابن هاني .

(١) كم تجلس لله فيه شهده * فسكرت من ديوانه ودنائه
(٢) غنى مغنيه فهاج غناؤه * شجوا الحمام على ذوائب بانه
(٣) فترحت أشجاره ومائلت * أعوادها طرباً على عيدانه
(٤) فكان مجلسنا هناك قصيدة * من نظمه طلعت على عيدانه
فالحمد لله الذي قد رده * من بعد غربته الى أوطانه
فتنظروا آياته وتسمعوا * قد قام ببلوكم على أعصانه

في حفل عكاظ

أنشد هذه القصيدة في حفل من الأدباء والشعراء برئاسة أحمد شوقي بك بدار التمثيل العربي لتحية
بجريدة عكاظ يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وقد سمي صاحب الجريدة هذا الحفل « سوق عكاظ » .
وهي تتضمن مدحا لشوقي بك ورئيس الحفل ونعيا على المصريين امتنانهم بلثت ملوكهم الأقدمين

أتيت سوق عكاظ * أسعى بأمر الرئيس
(٥) أزيى إليه قوافي * منكسات الرؤوس
(٦) ليست بذات رواء * ترهى به في الطروس
ولا بذات جمال * يسرى بها في النفوس

(١) الدنان : جمع دن (بالفتح) ، وهو إناء كبير الخمر . (٢) شجوا الحمام : يكاؤوه . والبان :
شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، الواحدة بانه . وذوائبه : أعاليه . (٣) يريد
عيدان النناء . (٤) الضمير في "نقله" لشوقي . وعيدانه (بضم العين وكسرهما) ، أى عيده من
بقية الشعراء . (٥) أزيى : أسوق . (٦) الزواء : حسن المنظر . والطروس :
الصحف يكتب فيها ، الواحد طرس .

(١)

لَمْ يَجِبْهَا فَضْلُ شَوْقٍ * بَقِيَّةً مِنْ نَيْسٍ

فَهَنْ قَفَرُ خَوَالٍ * مِنْ كُلِّ مَعْنَى نَفِيسٍ

وَهَنْ جُهْدُ مَقِيلٍ * حَلِيفَ هَمْ وَبُوسٍ

قَالَ الرَّيْسُ وَمَنْ ذَا * يَقُولُ بَعْدَ الرَّيْسِ

(٢)

مَسَى الْحُضُورَ شَرَابًا * يُنْسِي شَرَابَ الْقُسُوسِ

مُسْتَقًا قَبْلَ عَادٍ * فِي مُظْلِمَاتِ الْحُبُوسِ

(٣)

تُذَكِّي الدِّيَارَاتُ مِنْهُ * نَارًا كَنَارِ الْمَجُوسِ

يُرِيكَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ * تُجْمِئُهُ فِي الْكُؤُوسِ

بَنَاتُ أَفْكَارِ شَوْقٍ * فِي جَلْوَةِ كَالْعُرُوسِ

(٤)

تُزْهِى بِمَعْنَى سَرَى * أُنَى بِمَعْنَى شُمُوسِ

(٥)

وَلَيْلَةٌ مِنْ "عُكَازٍ" * صَمَتُ حُمَاةِ الْوَطَيْسِ

(٦)

أَحْيَا بِهَا ذِكْرَ عَهْدٍ * آثَارُهُ فِي الطُّرُوسِ

عَهْدٌ مِمَّا الشَّعْرُفِيهِ * إِلَى بَحَالِي الشُّمُوسِ

- (١) النيس : بقية الروح . (٢) يريد «شراب القسوس» : الخمر، وذلك لما اشتهر به القسامرة والرهبان من أذخار الخمر وتعتيقها في الأديار . (٣) تذكي : تشعل . ونار المجوس : النار التي يعبدونها ؛ ويضرب بها المثل في قوة الاشتعال ودوامه . وقد شبه بها الخمر في الحرة حتى كأنها تلهب . (٤) السرى : الرقيق . والشومس : الثغور الصعب المثال . (٥) الوطيس : الحرب . ويريد «جماعة الوطيس» : حملة الأتلام . (٦) يريد عهد سوق عكاظ الأول في الجاهلية ، أيام كان يحضرها لحول الشعراء يتناشدون الأشعار .

(١) وَوَرْدُهُ كَانَ أَصْقَى * مِنْ مَوْرِدِ الْقَامُوسِ
 يَخْتُمُنَا بِحَدِيثٍ * أَسْوَفُهُ لِلْجُلُوسِ
 قَدْ زُرْتُ مُتَحَفٍ مِصْرٍ * فِي ظُهُرِ يَوْمِ الْخَمِيسِ
 (٢) فِي زُمرَةٍ مِنْ رِفاقٍ * غُرِّ الشَّامِلِ شُوسِ
 (٣) فَضِصْتُ ذَرْعًا بِأَمِيرٍ * عَلَى النُّفُوسِ بَيْتِيسِ
 (٤) وَكَدْتُ أَصْرَعَ غَمًّا * لِحَظِّهَا الْمَعْكُوسِ
 (٥) وَصَرَعَةُ الْغَمِّ أَذَى * مِنْ صَرَعَةِ الْخَنْدَرِيسِ
 (٦) رَأَيْتُ جَنَّةَ (خُوفُو) * بِقُرْبِ (سِيزُوسْتَرِيسِ)
 فُكَلْتُ يَا قَوْمُ هَذَا * صُنْعَ الْعُقُوقِ الْخَسِيسِ
 (٧) أَجْسَادُ أَمْلاكٍ مِصْرٍ * وَشَائِدَى مَتَفِيسِ
 (٨) مِنْ بَعْدِ تَحْسِينِ قَرْنًا * لَمْ تَسْتَرِحْ فِي الرُّمُوسِ
 أَرَى فَوَاعِينَ مِصْرٍ * فِي ذِلَّةٍ وَنُحُوسِ
 مَعْرُوضَةٌ لِلْبَرَايَا * أَجْسَادُهُمْ بِالْفُلُوسِ

- (١) القاموس : البحر أويلته . (٢) شوس ، أى من طية القوم وعظائهم ، الواحد أشوس وهو فى الأصل : الذى يتطير بؤثر العين تكبرا وتيا . (٣) بيتيس : شديد .
- (٤) حظها ، أى حظ مصر . (٥) الخندريس : النمر المتهمة . (٦) خوفور سيزوستريس : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين . (٧) متفيس : مدينة مصرية قديمة كان لها شأن كبير معروف فى تاريخ مصر القديم ، وموضعها الآن البدرشين وبية رعية . (٨) الرموس : القبور ، الواحد رمس .

(١)
عَنَّهُمْ نَبَشْنَا زَمَانًا * فِي مُظْلِمَاتِ الدُّرُوسِ
فَدَيْسَ ظُلُمًا جَاهُمْ * وَكَانَ غَيْرَ مَدُوسِ
(٢)
لَعَلَّهُمْ حَصَّنُوهُمْ * مِنْ هَادِمَاتِ الْقُوسِ
(٣)
عَلَّمَا أَنَّ سَوْفَ يُمْنَى * بِيَوْمِ شَرِّ عَبَّوسِ
(٤)
لَوْ أَنَّ أَمْثَالَ (مِينَا) * فِي الْغَرْبِ أَوْ (رَمْسِينِ)
بَنَوْا عَلَيْهِمْ وَخَطُّوا * حَظَائِرَ التَّقْدِيسِ

مدحة للغفور له (فؤاد الأول)^(٥)

أنشدها بين يدي جلالة حين زيارته مدرسة فؤاد الأول بقصر الزعفران في ديسمبر سنة ١٩٢٢ م

أَقْصَرَ الزُّعْفَرَانُ لَأَنَّتَ قَصْرٌ * خَلِيقُ أَنْ يَتَيْسَ عَلَى التَّجْجُومِ
(٦)
كَلَّا عَهْدِيكَ لِلْأَجْيَالِ نَقْرٌ * وَزَهْوُ الْحَدِيثِ وَالْقَدِيمِ

- (١) الدروس : العفاء والبلب . ويريد « بمظلمات الدروس » : طبقات الأرض التي دفنوا فيها .
(٢) يشير إلى ما اشتهرت به مقابر قدماء المصريين من التحصين والامتناع على من يريد اقتحامها .
(٣) الضمير في « مئى » يعود على « حمى » المتقدم ذكره . ومعنى : يتلى ويصاب . (٤) ميناء ورمسين : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين . (٥) ولد المغفور له الملك فؤاد الأول بقصر الجيزة في ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ هـ وارتقى عرش الملكة المصرية في ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ هـ وتوفي بعد ظهر يوم الثلاثاء ٧ صفر سنة ١٣٥٥ هـ . (٦) قصر الزعفران بالعباسية ، من القصور التي بناها المغفور له إسماعيل باشا الخديوى ، وسمى قصر الزعفران لأن الأرض التي بنى فيها كان يزرع بها الزعفران قديما ، وكانت هناك ترعة يقال لها : ترعة الزعفران ، وردمت هذه الترعة قريبا . وهذا الموضع الذى بنى فيه القصر يتبع الروايل الصغرى ، وقد استبدل به المغفور له الملك فؤاد الأول قطعة أرض في مركز طلعا ، مديرية الغربية من أملاك الحكومة .
(٧) يريد « بالعهدين » : عهد هذا القصر أيام إسماعيل ، وعهده أيام كان مدرسة ثانوية .

قَوَى بِالْأَمْسِ فَيْكَ عَلًّا وَمَجْدًا * وَأَنْتَ الْيَوْمَ مَثْوَى لِلْعُلَمِ (١)
 فَمِنْ نُبَيْلٍ ، إِلَى مَجْدِ أَثِيلٍ ، * إِلَى عِلْمٍ ، إِلَى نَفْعٍ عَمِيمٍ
 أَصَفْتَ إِلَى صُرُوحِ الْعِلْمِ صَرَحًا * بِزُورَةِ ذَلِكَ الْمَلِكِ الْحَكِيمِ
 فَيَا لَكَ مَثَرًا رَجَبًا سَرِيًّا * بَتْنِهِ أَتَامِلُ النَّوْقِ السَّلِيمِ
 وَحَاطَتْهُ بُسْتَانِ أَيْتِي * يُرِيكَ جَمَالَهُ وَجْهَ النِّعَمِ (٢)
 (أَبَا فَاوُوقَ) أَنْتَ وَهَبْتَ هَذَا * لِمَصْرٍ وَهَكَذَا مَنَحَ الْكَرِيمِ
 وَلَا عَجَبٌ فَمَصْرٌ عَلَى وِلَاءٍ * وَمَالِكُهَا عَلَى خُلُقٍ عَظِيمِ
 يُطَالُمُهَا بِرُكْلٍ يَوْمٍ * وَيَرَاهَا بِعَيْنِ أَبِي رَحِيمِ
 وَيُرْهِفُ مِنْ عَزَائِمِ آلِ مِصْرٍ * إِذَا خَارَتْ لَدَى الْحَطِيبِ الْجَسِيمِ (٣)
 كَسَوَتْ الْأَزْهَرَ الْمَعْمُورَ ثَوْبًا * مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْعِزِّ الْمُقِيمِ (٤)
 فَضَيَّتْ بِهِ الصَّلَاةَ فَكَادَ يُزْهِى * بِزَائِرِهِ عَلَى رُكْنِ الْحَطِيمِ (٥)
 رَأَى فِيكَ (الْمُعِزَّ) زَمَانَ أَعْلَى * قَوَاعِدَهُ عَلَى ظَهْرِ الْأَدِيمِ (٦)
 فَهَشَّ وَهَزَّهُ طَرَبٌ وَشَوْقٌ * كَمَا هَشَّ الْجَمِيمُ إِلَى الْجَمِيمِ (٧)
 وَهَلَّلَ كُلُّ مَنْ فِيهِ وَدَوَّتْ * بِهِ أَصْوَاتُ شَعْبِكَ كَالْمُزِيمِ

- (١) قَوَى : أَعَانَ . وَالْمَثْوَى : الْمَكَانُ يَقَامُ فِيهِ . (٢) الْأَيْتِي : الَّذِي يُعْجِبُكَ بِحَسَبِهِ .
 (٣) أَرَاهُ السَّيْفَ وَالسَّكِينِ وَنَحْوَهُمَا : شَحْذُهُ وَحَدِّدُهُ . وَخَارَتْ : ضَعُفَتْ . (٤) الْحَطِيمُ :
 حَجَرُ الْكَعْبَةِ (يَكْسُرُ الْحَاءُ وَسُكُونُ الْجِيمِ) . (٥) يَرِيدُ الْمُعِزَّ لَدَيْنَ اللَّهِ الْفَاطِمِي ، الَّذِي اخْتَلَطَتْ
 فِي أَيَّامِهِ الْقِسَامَةُ ، وَبَنَى الْأَزْهَرَ . وَظَهَرَ الْأَدِيمُ : وَجْهُ الْأَرْضِ . (٦) الْجَمِيمُ : الصَّدِيقُ .
 (٧) دَوَّى : عَلا صَوْتَهُ فَسَمِعَ . وَالْمُزِيمُ : صَوْتُ الزَّعْدِ .

(١) كَذَا فَلْيَحْمِلِ التَّاجِينَ مَلَكٌ * يُعِزُّ شَمَائِرَ الدِّينِ الْقَوِيمِ
وَيُخَشَى رَبَّهُ وَيُطِيعُ مَوْلَى * هَدَاهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
أَيَّاذَنْ لِي الْمَلِكُ الْبَرَّاءُ * أَهْنَى مَضَرَ بِالْأَمْرِ الْكَرِيمِ
فِيَامِضُ أَجْجِدِي لِلَّهِ شُكْرًا * وَتَيْبِي وَأَقْعِدِي طَرَبًا وَقَوْمِي
فَقَدْ تَمَّ الْبِنَاءُ وَعَنْ قَرِيبٍ * تُرْفُ لَكَ الْبَشَائِرُ مِنْ "نَسِيمِ"
قَدَارُ (الْبَرْلَانِ) أَعَزُّ دَارٍ * تُشَادُّ لَطَالِبِ الْمَجْدِ الْعَمِيمِ
بِهَا يَجْمَلُ الْعَرْشُ الْمُفْدَى * وَتَحْيَا مِضْرُ فِي مَيْشِ رَخِيمِ
فَشَرَفُهَا بِرَبِّكَ وَأَخْتَمَهَا * وَأَسْعِدَهَا بِنُسْتُورِ تَيْمِ
بَايَ (تُحْمِدِ) وَبَايَ (عَيْسَى) * فَعَوَّذُهُ وَأَيَاتِ (الْكَلِيمِ)
(أَبَا فَاوُوقَ) خُذْ بِيَدِ الْأَمَانِي * وَحَقِّقْهَا عَلَى رَغَمِ الْخَصِيمِ
أَفْقَنَا بَعْدَ نَوْمٍ قَوْقُ نَوْمٍ * عَلَى نَوْمٍ كَأَصْحَابِ الرِّقِيمِ
وَأَصْبَحْنَا بِيَمِينِكَ فِي نُهْوضٍ * يُكَافِي نُهْضَةَ النَّبِيِّ الْجَمِيمِ
خُطْنَا بِالرَّعَايَةِ كُلِّ يَوْمٍ * نُحْفُكَ بِالْوَلَاءِ الْمُسْتَدِيمِ

- (١) يريد «التاجين» تاج الملك ، وتاج الدين . (٢) يريد البناء : دار البرلن .
ويريد «نسيم» : محمد توفيق نسيم باشا ، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك . (٣) التيم : التام .
(٤) الضمير في «عوذ» للدستور . والكليم : موسى عليه السلام . (٥) يريد
«بأصحاب الرقيم» أهل الكهف ؛ ويضرب المثل بطول نومهم . قال تعالى : (وليثوا في كهفهم
ثلاث مائة سنة وازدادوا تسما) الآية . والرقيم : لوح كتبت فيه أسماءهم ، أو هو كهفهم الذي
بلغوا إليه . (٦) العين : البركة . ويكافئ : يماثل . والجيم من التبت : الناهض المنتشر .

تهنئة المغفور له سعد زغلول باشا بالنجاة^(١)

قالها على أثر الاعتداء عليه بإطلاق النار في محطة القاهرة إذ كان مسافرا إلى الاسكندرية^(٢)

[نشرت في ١٢ يولية سنة ١٩٢٤ م]

أَحْمَدُ اللَّهِ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ * قَدْ رَمَاهَا فِي قَلْبِهَا مَنْ رَمَاكَ

أَحْمَدُ اللَّهِ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ * لَيْسَ فِيهَا لَيَوْمٍ جِدِّ سِوَاكَ

أَحْمَدُ اللَّهِ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ * وَوَقَاهَا بِطُفْفِهِ مَنْ وَقَاكَ

قَدْ شُغِلْنَا يَا (سَعْدُ) عَنْ كُلِّ شَيْءٍ * وَشُغِلْنَا بِأَنْ يَتِمَّ شِفَاكَ

فِي سَبِيلِ الْجِهَادِ وَالْوَطَنِ الْمُحْتَمَى * جُوبِ مَا سَالَ أَحْمَرًا مِنْ دِمَاكَ

قُلْ لِذَلِكَ الْأَيْمِ وَالْفَائِكِ الْمَفْدَى * نَتُونُ: لَا كُنْتَ، كَيْفَ تَرْتِي السَّمَاءَ؟^(٣)

أَتَمَا قَدْ رَمَيْتَ فِي شَخِصٍ (سَعْدُ) * أَمَّةٌ حُزَّةٌ فَشَلَّتْ يَدَاكَ

- (١) ولد المغفور له سعد زغلول باشا بايانا من أعمال مركز قزة سنة ١٨٦٠ م وبعد أن قضى في الأزهر حيناً من الزمن تولى بعض أعمال التحرير في الوقائع المصرية ، وكتب فيها بعض المقالات في الاستبداد والشورى والأخلاق ، ثم التحق ببعض الأعمال الإدارية في الحكومة ، وفصل لاتباه بالاشتراك في الثورة العرابية ، فاشتغل بالمحاماة إلى أن أختير للقضاء بحكمة الاستئناف الأهلية سنة ١٨٩٢ م وهو أول محام ولى مناصب القضاء في مصر ، ثم ولى منصب وزارة المعارف ، وهو أول من تفرغ لدراسة العلوم الرياضية باللغة العربية ، ثم تولى وزارة الحفانية ، ثم كان عضواً بالجمعية التشريعية ، وتولى زعامة النهضة الوطنية ورئاسة الوفد المصري ، وظل زعيماً لتلك النهضة من سنة ١٩١٩ م إلى أن توفى في أغسطس سنة ١٩٢٧ م رحمه الله .
- (٢) في يوم ١٢ يولية سنة ١٩٢٤ م بينما كان سعد زغلول باشا والوزراء في محطة القاهرة يريدون السفر إلى الاسكندرية لتهنئة جلالة الملك بعبء الأضي (سنة ١٣٤٢ هـ) (١٩٢٤ م) ، ومن ثم يسافرون إلى إنجلترا للتفاوض ، تقدم من سعد باشا عبد الخالق عبد اللطيف الدلبشاني وأطلق عليه رصاصة مرت بالذراع اليمنى فيما يلي الإبط ، ومست التلى الأيمن ، وكان الجرح غير شديد ، فشفى منه بعد أيام .
- (٣) يريد بالأئيم القاتك عبد الخالق الدلبشاني ، وهو الذى اعتدى على المغفور له سعد زغلول باشا .

وقال فيه أيضا :

أنشدها في الحفل الذي أقامه أعضاء البرلمان يوم الخميس ٢٤ يولية سنة ١٩٢٤ بكازينو
سان استفانو بالاسكندرية تكريما لسعد وإبهاجا بنجاة من حادث الاعتداء عليه

الشَّعْبُ يَدْعُو اللَّهَ يَا زَغُولُ * أَنْ يَسْقِلَ عَلَى يَدَيْكَ النَّيْلُ
إِنَّ الَّذِي أَدْنَسَ الْأَيْمُ لِقَتْلِهِ * قَدْ كَانَ يَحْرُسُهُ لَنَا جَبْرِيلُ
أَيَمُوتُ (سَعْدُ) قَبْلَ أَنْ نَحْيَا بِهِ؟ * خَطْبٌ عَلَى أَبْنَاءِ مِصْرَ جَلِيلُ
يَا (سَعْدُ) إِنَّكَ أَنْتَ أَعْظَمُ عُدِيَّةً * ذُنَحْتَ لَنَا نَسْطُوبُهَا وَنُصُولُ
وَلَأَنْتَ أَمْضَى نَبَلَةٍ نَزِيهِ بِهَا * فَانْقُذْ وَأَقِصِدْ فَالْشَّالُ قَلِيلُ^(١)
النَّسْرُ يَطْمَعُ أَنْ يَصِيدَ بِأَرْضِنَا * سَنُرِيهِ كَيْفَ يَصِيدُهُ زُغُولُ^(٢)
إِنَّا رَمَيْنَاهُمْ بِنَدَبِ حَوْلٍ * عَنْ قَصِيدِ وَاْدَى النَّيْلِ لَيْسَ يَحُولُ^(٣)
بِأَسَدْنَا بِأَسَا وَأَقْدَمِنَا عَلَى * خَوْضِ الشَّدَائِدِ وَالْخُطُوبِ مُثُولُ^(٤)
بَقِيَ جَمِيعُ الْقَلْبِ غَيْرِ مُشْتَتٍ * إِنْ مَالَتِ الْأَهْرَامُ لَيْسَ يَمِيلُ^(٥)
فَاوِضْ وَلَا تُخْفِضْ جَنَاحَكَ ذِلَّةً * إِنَّ الْعَدُوَّ سِلَاحَهُ مَقُولُ^(٦)
فَاوِضْ وَأَنْتَ عَلَى الْمَجْرَةِ جَالِسٌ * لِمَقَامِكَ الْإِعْظَامُ وَالتَّبَجُّيلُ^(٧)
فَاوِضْ نَخْلَفَكَ أُمَّةٌ قَدْ أَقْسَمَتْ * أَلَّا تَنَامَ فِي الْبِلَادِ دَخِيلُ

- (١) أقصد السهم : أصاب المقتل . (٢) يريد بالنسر : الانجليز ؛ واستعمله هنا لإفارة
العجب من أن يصيد الزغول (فرخ الحمام) بالنسر . (٣) الضمير في « رميناهم » للإنجليز .
والندب : الماضي في الحاجة ، النافذ في قضائهما . والحول : الشدائد الاحتيال . (٤) مثول ، أى
ماثلات حاضرة . (٥) جميع القلب : لا يتفرق من الخوف . (٦) مقول : مظلوم
مكسر الحد لا يصلح للضرب والطمان . (٧) يريد علق مكانته وارتفاع منزلته .

عَزَلٌ وَلَكِنْ فِي الْجِهَادِ ضَرَاغِمٌ * لَا الْجَيْشُ يُفْزِعُهَا وَلَا الْأَسْطُولُ^(١)
 أَسْطُولُنَا الْحَقُّ الصُّرَاخُ وَجَيْشُنَا أَلْ * حُجَجُ الْفِصَاحِ وَحَرْبُنَا التَّدْيِيلُ
 مَا الْحَرْبُ تُذَكِّهَا قَنَا وَصَوَايِمُ * كَالْحَرْبِ تُذَكِّهَا نَهْيٌ وَعُقُولُ^(٢)
 خُضُّهَا هُنَالِكَ بِالْيَقِينِ مُدَرَّعًا * وَاللَّهُ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ كَفِيلُ
 أَزْعِمُهُمْ شَاكِيَ السَّلَاحِ مُدَجِّجٌ * وَزَعِيمُنَا فِي كَفِّهِ مَنِيْدِيلُ^(٣)
 وَكَذَلِكَ الْمَنِيْدِيلُ أَبْلَغُ ضَرْبَةٍ * مِنْ صَارِيمٍ فِي حَدِّهِ التَّقْيِيلُ
 لَكَ وَقْفَةٌ فِي الشَّرِّ تَعْرِفُهَا الْعُلَا * وَيَحْتَفِيهَا التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ
 زَلْزَلُهَا فِي الْغَرْبِ كُلِّ مُكَابِرٍ * لِيَرَى وَيَعْلَمَ مَا حَوَاهُ الْغَيْلُ^(٤)
 لَا تَقْرِبِ (التَّامِيزَ) وَأَحْذَرِ وَرْدَهُ * مَهْمَا بَدَا لَكَ أَنَّهُ مَعْسُولُ^(٥)
 الْكَيْدُ مَمْزُوجٌ بِأَصْفَى مَائِهِ * وَالتَّخَلُّلُ فِيهِ مُنَوَّبٌ مَصْقُولُ^(٦)
 كَمْ وَارِدٍ يَا (مَسْعَدُ) قَبْلَكَ مَاءَهُ * قَدْ عَادَ عَنْهُ وَفِي الْفُؤَادِ غَلِيلُ^(٧)
 الْقَوْمُ قَدْ مَلَكُوا عِنَانَ زَمَانِهِمْ * وَلَهُمْ رِوَايَاتٌ بِهِ وَقُصُولُ^(٨)

- (١) العزل : الذين لا سلاح معهم ، الواحد أعزل . والضراغم : الأسود .
 (٢) أذكى الحرب : أشعل نارها . والقنا : الرماح ، الواحدة قناة . والصوامم :
 السيوف القواطع . (٣) شاكي السلاح ، أى ذو شوكة وحدة في سلاحه . والمدجج :
 اللابس السلاح . (٤) التل : الأجمة وموضع الآساد .
 (٥) معنى النهي عن قرب التاميز : التحذير من خداع أهله . (٦) التخلل : الخداع والمكر .
 (٧) الغليل : شدة العطش . (٨) القوم : الإنجليز . والمان : سير الهجم الذى
 يمسك به الفرس .

(١)
 وَلَهُمْ أَحَابِيلٌ إِذَا لَقَوْا بِهَا * قَنَصُوا النَّهْيَ فَاسِيرَهُمْ تَحْبُولُ
 فَاحْذَرِ سِيَاسَتَهُمْ وَكُنْ فِي يَقْظَةٍ * سَعْدِيَّةٌ إِنَّ السِّيَاسَةَ غُولُ
 إِنْ مَثَلُوا فَدَجَّ الْخِيَالُ فَإِنَّمَا * عِنْدَ الْحَقِيقَةِ يَسْقُطُ التَّمَثِيلُ
 الشُّبْرُ فِي عُرْفِ السِّيَاسَةِ فَرَسُخٌ * وَالْيَوْمُ فِي فَلَكِ السِّيَاسَةِ جِيلُ
 وَلِكُلِّ لَفْظٍ فِي الْمَعَاجِمِ عِنْتَهُمْ * مَعْنَى يُقَالُ بَأَنَّهُ مَعْقُولُ
 تَصَلَّتْ سِيَاسَتُهُمْ وَحَالَ صِبَاغُهَا * وَلِكُلِّ كَاذِبَةٍ الْخِضَابُ نُصُولُ
 جَمَعُوا عَقَائِرَ الدَّهَاءِ وَرَكَّبُوا * مَا رَكَّبُوهُ وَعِنْدَكَ التَّحْلِيلُ
 يَا (سَعْدُ) أَنْتَ زَعِيمُنَا وَوَكِيلُنَا * وَعَلَيْكَ عِنْدَ مَلِكِنَا التَّعْوِيلُ
 فَادْفَعْ وَانْضِلْ عَنْ مَطَالِبِ أُمَّةٍ * يَا (سَعْدُ) أَنْتَ أَمَامَهَا مَسْئُولُ
 النَّبْلِ مَتَّبِعُهُ لَنَا وَمَصَبُّهُ * مَا إِنْ لَهُ عَنِ أَرْضِهَا تَحْوِيلُ
 وَثَقَّتْ بِكَ النُّقَّةَ الَّتِي لَمْ يَنْفَرِجْ * لِلرَّيْبِ فِيهَا وَالشُّكُوكِ سَبِيلُ
 جَعَلْتَ مَكَانَكَ فِي الْقُلُوبِ نَجْمَةً * أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْوَلَاءِ دَلِيلُ
 كَادَتْ تُجِنُّ وَقَدْ جُرِحَتْ وَخَانَهَا * صَبْرٌ عَلَى حِمْلِ الْخَطُوبِ جَمِيلُ
 لَمْ يَبْقَ فِيهَا نَاطِقٌ إِلَّا دَمًا * لَكَ رَبِّهِ وَدُمَاؤُهُ مَقْبُولُ
 يَا سَعْدُ كَادَ الْعَيْدُ يُصْبِحُ مَائِمًا * الدَّمْعُ فِيهِ أُمِّي عَلَيْكَ يَسِيرُ (٣)

(١) الأحابيل، أى العبايد .

(٢) فصلت : انكشفت وترجت من لونها الكاذب الى لونها الصادق . وحال : تحوّل .

(٣) العيد، أى عيد الأضحي من سنة ١٣٤٢ هـ . وقد عطلت فيه الهأى بسبب الاعتداء على سعد باشا .

لولا دِفَاعُ اللَّهِ لَأَنْطَوَتْ الْمُنَى * عِنْدَ أَنْطَوَانِكَ وَأَنْقَضَى التَّائِمِلُ^(١)
 شَلَّتْ أَنَا مِلُّ مَنْ رَمَى، فَلَكَّفَهُ * حَزُّ الْمُدَى وَلِكَفَّكَ التَّقْيِيلُ^(٢)
 هَذَا وَيَسَامُكَ فَوْقَ صَدْرِكَ مَالَهُ * مِنْ يَيْنَ أَوْ سِمَةِ الْفَخَارِ مِثْلُ^(٣)
 حَلِيَّتِهِ بِدَمِ زَكَّى طَاهِرٍ * فِي حُبِّ مِضْرَ مَصُونُهُ مَبْذُولُ^(٤)
 فِي كُلِّ عَصِيرٍ لِبُغْنَةِ جَرِيرَةٍ * لَيْسَتْ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ تَزُولُ^(٥)
 جَارُوا عَلَيَّ (الْفَارُوقِ) أَعْدَلُ مَنْ قَضَى * فِينَا وَزَكَّى رَأْيَهُ التَّنْزِيلُ^(٦)
 وَعَلَى (عَلِيٍّ) وَهُوَ أَطْهَرُنَا فَنَّا * وَيَدَا وَسَيْفُ نَيْنَا الْمَسْلُوكُ^(٧)
 قِفْ يَا خَطِيبَ الشَّرْقِ جَدِّدْ عَهْدَنَا * قَبْلَ الرَّحِيلِ لِقُطْعِ التَّائِيلِ
 فَأَوْضُ فَإِنْ أَوْجَسَتْ شَرًّا فَاغْتَرِمَ * وَاقْطَعْ خَبْلَكَ بِالْمُدَى مَوْصُولُ
 وَأَرْجِعْ الْبِنَا بِالْكَرَامَةِ كَاسِيَا * وَعَلَيْكَ مِنْ زَهْرَاتِهَا إِكْلِيلُ^(٨)
 إِنَّا سَنَعْمَلُ لِلتَّلَاصِ وَلَا تَقِي * وَاللَّهُ يَقْضِي بَيْنَنَا وَيُدِيلُ^(٩)
 كَمْ دَوْلَةٍ شَهِدَ الصُّبْحُ جَلَالَهَا * وَأَتَى عَلَيْهَا اللَّيْلُ وَهِيَ قُلُوكُ^(١٠)
 وَقُصُورِ قَوْمٍ زَاهِرَاتٍ فِي الدُّجَى * طَلَعَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ وَهِيَ طُلُوكُ^(١١)

(١) المدي : جمع مدية، وهي السكنى . (٢) يريد «بالوسام» ما أصاب صدره من الدم .

(٣) الجريرة : البغاية . (٤) الفاروق، هو عمر بن الخطاب . يشير إلى قتل أبي لؤلؤة
 بإياه غيلة . وزكي : عزز . يريد ما كان يزل من الآيات تعزيرا وموافقة لما كان يراه عمر .

(٥) يشير إلى قتل عبد الرحمن بن ملجم عليا رضي الله تعالى عنه غيلة أيضا . (٦) وفي نسخة :

قصر . ويديل : يجعل الدولة لنا عليهم . (٧) وهي قتل، أي متفرقة مهزومة .

(٨) الطلوك : جمع طلل، وهو الشاخص من آثار الديار .

(١) يَا نَشْرُ الْكَرَامِ نَحِيَّةً * كَالرَّوْضِ قَدْ خَطَرَتْ عَلَيْهِ قَبُولُ
 يَا زَهْرَ مِصْرَ وَزَيْنَهَا وَحُمَاتَهَا * مَدَحِي لَكُمْ بَعْدَ الرَّئِيسِ فُضُولُ
 (٢) جُدْتُمْ لَهَا بِالنَّفْسِ فِي وَرْدِ الصَّبَا * وَالسَّوْدُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ دُبُولُ
 (٣) كَمْ مِنْ تَبِيحٍ دُونَهَا وَمُجَاهِدٍ * دُمَهُ عَلَى عَرَصَاتِهَا مَطْلُولُ
 سِيرُوا عَلَى سَنَنِ الرَّئِيسِ وَحَقَّقُوا * أَمَلِ الْبِلَادِ فَكُلُّكُمْ مَأْمُولُ
 (٤) أَتَمَّ رِجَالٌ غَدٍ وَقَدْ أَوْفَى غَدٌ * فَاسْتَقْبِلُوهُ وَجَّجَلُوهُ وَطُولُوا

الى الأستاذ أحمد لطفى السيد بك (باشا)

وجهها اليه حين تريم كتاب الأخلاق لأرسطو سنة ١٩٢٤ م

يَا كَايِيَّ الْأَخْلَاقِ فِي * بَلَدٍ عَنِ الْأَخْلَاقِ عَارِي
 (٥) لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُجَا * دِلٌ فِي مَقَامِكَ أَوْ يُمَارِي
 (٦) بِالْأَمْسِ قَدْ عَلَّمْنَا * أَدَبَ الْكِتَابَةِ وَالْحَوَارِ
 (٧) وَالْيَوْمَ قَدْ أَلْطَفْنَا * بِالطَّيِّبَاتِ مِنَ الثَّمَارِ

- (١) القبول : ربح الصبا . (٢) فى ورد الصبا ، أى فى زهرة الشباب .
 (٣) العرصات : جمع عرصة ، وهى كل بقعة ليس فيها بناء ؛ يريد ميا دينا . ومطلول : لم يثار به .
 (٤) أوفى : أتى . وججلوه ، أى اجعلوه يوما أبيض . وطولوا : اغفروا واعتزوا .
 (٥) يمارى : ينازع . (٦) يشير بهذا البيت الى عهد المندوح فى رئاسة تحرير «الجريدة»
 (٧) أطلقه بكذا : أتحفه به .

(١)
بِكَتَابِ رَسْطَالَيْسَ تَا * جِ نَوَادِرِ الْفَلَكَ الْمُدَارِ
جَاهَدْتَ فِي تَفْصِيلِهِ * وَوَصَلْتَ لَيْلَكَ بِالنَّهَارِ
تَرِنَ الْكَلَامَ كَأَنَّهُ * مَأْسُ بِيْزَانِ التَّجَارِ
(٢)
وَتَصُونُ مَعْنَى رَبِّهِ * صَوْنُ اللَّائِي فِي الْحَارِ
(٣)
وَتَضُنُّ دُهْقَانَ الْكَلَا * مِ كَضْنِ دُهْقَانِ النَّضَارِ
حَتَّى حَسِبْتُكَ فِي الْأَنَا * إِهْ وَالْإِخْتِيَارِ وَالْإِخْتِيَارِ
(٤)
صَمًا يَصُورُ فِي الْفُصُو * صِ لَدَى الْفَرَاغَةِ الْيَكَارِ
إِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَهُ * يَنْ الْخُشُوعِ وَالْإِعْتِبَارِ
فَإِذَا الْمُتَرْجِمُ مَائِلٌ * جَنْبَ الْمُؤَلِّفِ فِي إِطَارِ
وَعَلَيْهِمَا نُورٌ يَفِي * ضُ مِنْ الْمَهَابَةِ وَالْوَقَارِ
قَالُوا : لَقَدْ هَجَرَ السَّيَا * سَةً وَأَتَزَوَّى فِي عُقْرِ دَارِ
تَرَكَ الْمَجَالَ لَغَيْرِهِ * وَرَأَى النُّجَاةَ مَعَ الْفِرَارِ
(٥)
لَا تَظْلُمُوا رَبَّ الْإِنْسَى * وَحَذَارِ مِنْ خَطْلٍ حَذَارِ
هَجَرَ السِّيَاسَةَ لِلْسَيَا * سَةِ لَا لِنَوْمٍ أَوْ قَرَارِ

(١) تاج نواذر الفلك، أى آمن نواذر الزمن وأقمها . (٢) ربه، أى مؤلفه
أرسطوطاليس . (٣) دهنان الكلام (بالنصب)، على النداء . والدهقان (بكر الدال وقسم) :
التاجر . والنضار : الذهب . (٤) الصنع (بالتحريك) : الحاذق بالصنعة ؛ وشبهه بالمصور
في الفصوص لما في ذلك من مراعاة الدقة . (٥) الخطل : الخطأ والزلل .

لو أَنَّهُمْ عَلِمُوا الَّذِي * يَنْبِي لَهُمْ حَلْفَ السَّارِ
 (١)
 لَسَعَوْا إِلَى حَامِي الْقَضِي * لَمَّةَ وَالْحَقِيقَةِ وَالذَّمَارِ
 (٢)
 وَأَفَاهُمْ بِدَعَائِمِ .ال * أَخْلَاقِ وَالْحَكَمِ السَّوَارِي
 (٣)
 أَمْسِ السِّيَاسَةِ وَالنَّجَا * حِجِّ وَحِصْنِ سَيِّدَةِ الْبَحَارِ
 (٤)
 كَلَيْفَتْ بِهَا وَتَمَسَّكَتْ * قَبْلَ الْفَيَالِقِ وَالْجَوَارِي
 (٥)
 يَا مَاشِقَ الْخُلُقِ الصَّرِيدِ * بَحِّ وَشَانِي الْخُلُقِ الْمَوَارِي
 (٦)
 إِنِّي اخْتَبَرْتُكَ فِي الْكُھُو * لَمَّةَ وَالصَّبَا حَقَّ اخْتِبَارِ
 (٧)
 لَمْ يَتَحَرَّ فِي نَادِيكَ هُجْرٌ * رُ الْقَوْلِ أَوْ خَلَعُ الْعِذَارِ
 (٨)
 حُلُوُ التَّوَاضُّعِ وَالْتَوَا * ضَعُ آيَةُ الْقَوْمِ الْخِيَارِ
 (٩)
 مَرُّ التَّكْبَرِ حِينَ يَدُ * عَوْكَ التَّوَاضُّعِ لِلصُّغَارِ
 (١٠)
 سِرٌّ فِي طَرِيقِكَ وَإِدْمَا * فَلَانَتْ مَأْمُونُ الْعِشَارِ
 (١١)
 وَأَجْعَلْ عَلَى لُقَمِ الطَّرِيدِ * بَقِي صَوَى تَلُوحُ لِكُلِّ سَارِي
 (١٢)

- (١) الذمار : كل ما يلزمك حفظه وحمايته . (٢) الدعائم : العمد ، الواحدة دعامة .
 والسواري : جمع سارية ، أى التى تدير فى الناس . (٣) يريد « بسيدة البحار » : انجلترا .
 (٤) الفياق : الجيوش العظيمة ، الواحد فيلق . والجواري : السفن ، الواحدة جارية .
 (٥) الشانى : المبعض . (٦) هجر القول : القبح منه . وخلع العذار : كتابة عن التهنك
 وعدم المبالاة . (٧) الصغار : الذل . (٨) لقم الطريق (بفتح اللام وضمها) :
 وسطه . والصوى : العلامات التى تحصل على الطريق ليهتدى بها ، الواحدة صوة (بضم الصاد
 وتشديد الواو) .

إِنَّا إِلَى (كُتِبَ السَّيَا * سَةِ) بِأَحْكِمٍ عَلَى أَوَارِ^(١)
 عَجَّلَ بِهَا قَبْلَ (الْقَسَا * دِ) وَقَبْلَ عَادِيَةِ الْبَوَارِ^(٢)
 إِنَّا نُنَاضِلُ أُمَّةً * أَفْطَاهَا أَسَدُ ضَوَارِ^(٣)
 عَرَكُوا الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ * وَتَحَصَّنُوا مِنْ كُلِّ طَارِ^(٤)
 أَمَسَتْ سِيَاسَتُهُمْ كَيْطَلُسُيْمٍ يُحَيِّرُ كُلَّ قَارِ
 إِنِّ يُنْكِرُوا بَعْضَ الْقُمُو * ضِ عَلَى أَدِيبٍ ذِي أَقْدَارِ^(٥)
 فَلَا تَهْتَمُّ لَمْ يَذْكُرُوا * أَنْ التَّرْجِمَ فِي إِسَارِ^(٦)
 لَمْ يَبِىَّ أَحْمَدُ أَنْ يَحْيَى * ءَ بَايَ قَيْسٍ أَوْ نِزَارِ^(٧)
 وَهُوَ الْمَجَلَّى فِي أَسَا * لَيْبِ الْفَصَاحَةِ وَالْمُبَارِ^(٨)
 نَفْسُ الْعُلُومِ حَقَائِقُ * هِيَ عَنْ زَخَارِفِنَا عَوَارِ^(٩)
 تَأْتِي الْغُلُوُّ وَتَحْسَبُ الـ * لِإِغْرَاقِ كَالثَوْبِ الْمُعَارِ
 وَالنَّقْلُ إِنِّ عَدِمَ الْأَمَّا * نَهَ كَانَ عُتُونًا الْخَسَارِ

- (١) يريد بكتب السياسة : كتاب أرسطوفنيا . والأوار : شدة العطش . (٢) يشير إلى كتاب (الكون والفساد) الذي كان يترجمه الأستاذ أحمد لطفى السيد وقتئذ ، وكان يود حافظ لو أن الأستاذ ترجم كتاب أرسطو في السياسة ونشره قبل كتاب الكون والفساد . (٣) يريد الأمة الانجليزية . والضواري : المتعددة الصيد والأقتراس . (٤) عركوا الزمان : خبروه . والطاري ، أى الطارئ ، أى ما يطرأ على الدول من أحداث . (٥) «أن المترجم» الخ : أى أنه متقيد بأغراض المؤلف وعباراته لا يبدوها . (٦) يريد بقوله : «بأى قيس أو نزار» : بيان العرب الأقدمين . وقيس ونزار : قبيلتان من العرب معروفتان . (٧) المجلى : السابق الذى يحى . أولاً . (٨) زخارفنا ، أى ما يزين به الأدباء . أشعارهم ورسائلهم من تحلية وتجميل . (٩) الغلو والإغراق فى الشيء : المبالغة فيه .

الى حفنى بك محمود

قالها حين رشحته الوفه لعضوية البرلمان عن بندر الجزيرة

[نشرت في ١١ مايو سنة ١٩٢٦م]

(١)
يا كاسى الخلق الرضى وصاحب ال * أدب السرى ويا فتى الفتيان
(٢)
إن رشحوك فانت من بيت رعى * بسهامه عن حوزة الأوطان
زكأك إقدام ورأى شاهد * ونق إيمان وحسن بيان
(٣)
لو كنت بين الناهيين لأدرتوا * ما فيك يا (حفنى) من رضوان

الى سعد زغلول باشا

أنشدها بين يديه على أثر قدومه من مسجد وصيف إلى العاصمة على البخرة دندرة

[نشرت في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٦م]

(٤)
ما بال (دندرية) تميمس هاديا * ميس العروس مشت على إستبرق
والنيل يحرى تحتها مهلا * والموج بين مهلل ومصفق
(٥)
ألهما والتيه يثنى عطفها * حلت ركاب زعيم قلب المشرق

(١) السرى : الرفيع . (٢) حوزة الأوطان ، أى ما يجب الدفاع عنه وحمايته منها .

(٣) يشير بهذا البيت الى أن المندوح من بلد آخر غير البلد الذى وشح للنباهة عنه ، ولو كان منه لأدرك

أهله ما فيه من رضى وخير . (٤) تميمس : تمايل وتبقة ، والإستبرق : الديباج الفليظ ،

وهو لفظ معرب . (٥) العطف : الجانب . ويريد « قلب المشرق » : مصر ، لأنها منه بمنزلة

القلب من الجسد .

إِنِّي أَرَى نُورًا يَفِيضُ وَطَلْعَةً * قَدْ زَانَهَا وَصَحَّ الْحَيْنِ الْمَشْرِقُ
(١١)
هَذَا زَعِيمُ النَّيْلِ حَلَّ عَرِينَهُ * بَعْدَ الْغِيَابِ فَيَاؤُودُ تَدْفِقُ
(١٢)
وَيَمْنِي بِقُدُومِهِ وَتَرْقِي * عِنْدَ الزَّحَامِ فَسَلِّمْ وَتَفَرِّقِ
(١٣)
وَتَنْظُرِي إِنْ الْخِلَاصَ مُحَمَّمٌ * فَاللَّهُ أَسْلَمَ أَمْرًا لِمُوقِي
(١٤)
كَمْ أَزْمَةٌ مَرَّتْ بِنَا فَاجْتَا حَهَا * (سَعْدُ) بِسَبِيلِ بَيَانِهِ الْمُنْدَقِ
(١٥)
يَأَيُّهَا السَّبَاقُ فِي طَلَبِ الْعَلَا * هَا قَدْ آتَيْتَ مُجَلِّيًا لَمْ تُسَبِّقِ
(١٦)
سَبَقَ الْبَشِيرَ رِكَابُ سَعْدٍ جَارِيًا * وَرِكَابُ سَعْدٍ وَإِنِّي لَمْ يُلْحَقِ

تهنئة أحمد شوقي بك^(٧)

أنشدنا في المهرجان الذي أقيم تكريمه بالأوبرا في ٢٩ أبريل سنة ١٩٢٧ م

وقد اشترك فيه بعض شعراء الأقطار الشرقية

(٨)
بَلَّالٍ وَادِي النَّيْلِ بِالْمَشْرِقِ أَنْجَبِي * بِشَعْرِ أَمِيرِ الدَّوْلَتَيْنِ وَرَجَّي
(٩)
أَعْيَدِي عَلَى الْأَشْمَاعِ مَا غَرَّدَتْ بِهِ * يَرَاعَةُ شَوْقِي فِي أَبْتِدَاءِ وَمَقْطَعِ
(١) العرين : مأوى الأسد . (٢) يروى أن الرئيس انتم عند ما أنشد هذا البيت ، وقال :
”إلا أنت يا حافظ“ . (٣) تنظري : انتظري . (٤) اجتاحتها : استأصلها وأودى بها .
ويقال : إن حافظا لما أنشد هذا البيت خاطب الرئيس وقال : ”ألم يحصل ؟“ ، فضحك سعد
وقال : «أنا لا أعرف» . (٥) المحلل : السابق الذي يجي، أولا . (٦) يقول : إن سعدا
قد أفاض من صفته — وهى السبق فى سبيل العلا — على الباهرة ، فسبقت البشير وهو يجرى ، ولو كانت
وانية لسبقته أيضا ، لأنها اكتسبت فضيلة السبق بمن حل بها . (٧) انظر التعريف بالمرحوم
(أحمد شوقي بك) فى الحاشية رقم ٥ من ص ٥٠ (٨) يد « بالدولتين » : النظم والثر .
والترجيع : ترديد الصوت بالغناء . (٩) فى ابتداء ومقطع ، أى فى أول القصيدة وآخرها .

- (١) بَرَاهَا لَهُ الْبَارِي فَلَمْ يَنْبُ سِنَهَا * إِذَا مَا نَبَا الْعَسَالُ فِي كَفِّ أَرْوَعِ
 (٢) مَوَاقِعُهَا فِي الشَّرْقِ وَالشَّرْقُ مُجْدِبٌ * مَوَاقِعُ صَيْبِ النَّيْثِ فِي كُلِّ بَلْقَعِ
 (٣) لَدَيْهَا وَفُودُ اللَّفِظِ تَسْأَلُ خَلْقَهَا * وَفُودُ الْمَعَانِي خُشَعًا عِنْدَ خُشْعِ
 (٤) إِذَا رَضِيَتْ جَاءَتْ بِأَنْفَاسِ رَوْضَةٍ * وَإِنْ غَضِبَتْ جَاءَتْ بِنَجَاءِ زَعْرَجِ
 (٥) أَحْنُ عَلَى الْمَكْدُودِ مِنْ ظِلِّ دَوْحَةٍ * وَأَحْنَى عَلَى الْمَوْلُودِ مِنْ ثَدْيِ مُرْضِعِ
 (٦) عَلَى سِنِّهَا رَفْقٌ يَسِيلُ وَرَحْمَةٌ * وَرَوْحٌ لَمَنْ يَأْسَى وَذِكْرَى لِمَنْ يَبْعِي
 (٧) تَسَابِقُ فَوْقَ الطَّرِيسِ أَفْكَارُ رَبِّهَا * سِبَاقُ جِيَادٍ فِي مَجَالٍ مُرْبِعِ
 (٨) تَطِيرُ بُرُوقُ الْفِكْرِ خَلْفَ بُرُوقِهَا * تُنَاشِدُهَا بِاللَّهِ لَا تَتَسَرَّعِي
 (٩) تُحَاوِلُ قُوَّةَ الْفِصْرِ لَوْ لَمْ تُكْفَهَا * أَنَا مِلَهُ كَفِّ الْجَمُوحِ الْمُرُوعِ

- (١) نبا، خبر: كل وارتد. والعسال: الرخ يهزلنا. والأروع: الشجاع الشهم.
 (٢) صيب (بفتح السين ياء) أصلها صيب (بفتح السين ياء)، وهو المطر المنهمر المنصب. والبلقع: الأرض الفعسر لانهاء بها. يقول: إن آثار قلبه تفعل في نفوس الشرقيين الظائمة ما تفعل الصبح في الأرض المجردة.
 (٣) يقول: إن براعة هذا الشاعر قد ملكت ناصيتي الألفاظ والمعاني لا يستعصى عليها منها شيء. (٤) النجاء: الريح تعرف عن مهب الرياح، وتقع بين ريحين. والزعرج: الشديدة العصف. (٥) المكدود: من أضناه الكد والمشقة. والدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة الظل. (٦) الروح: الراحة والرحمة. ويأسى: يحزن. ويأسى: يحفظ.
 (٧) تسابق، أي تتسابق. والطريس: الحقيقة يكتب فيها. والمجال: حيث تجول الجياد، أي تجرى.
 (٨) بروق الفكر، أي بروق فكر الشاعر. والضمير في «بروقها» يعود على «البراعة» المقدمة. شبه فكر الشاعر وبراعته في مرعيتها بالبروق، وبحل برق براعته أسرع من برق فكره.
 (٩) الجموح: الفرس الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء. والمرقع: المقزع. يقول: إن براعته تسبق أفكاره لولا أن أنامله ترددها وتكبيها.

(١) فهذا (كَلِمُ اللَّهِ) قد جاءَ قَبْلَهُ * (بِهَارُونَ) ما يَأْمُرُهُ بِالْوَحْيِ يَصْدَعُ
 (٢) بَلَغَتْ بَوْصِفِ النَّيْلِ مِنْ وَصْفِكَ الْمَدَى * وَأَيَّامَ (فِرْعَوْنَ) وَمَعْبُودِهِ (رَجِ)
 (٣) وما سُقَّتْ مِنْ عَادِ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا * وما قُلَّتْ فِي أَهْرَامِ (خُوفُو) وَ(خَفَرِ)
 (٤) فَأَظْلَعَتْهَا شَوْقِيَّةٌ لَوْ تَنَسَّقَتْ * مع النَّسِيَّاتِ الزُّهْرِ خُصَّتْ بِمُطْلَعِ
 (٥) (مِنْ أَىِّ عَهْدٍ فِي الْقُرَى) قد تَفَجَّرَتْ * يَتَابِعُ هَذَا الْفِكْرَ أَمْ (أَخْتُ يَوْشَعَ)
 (٦) وَفِي (تُوتَ) مَا أَعْيَا أَشْكَارَ مُوَفِّقٍ * وَفِي (نَاشِئٌ فِي الْوَرْدِ) إِلْهَامٌ مُبْدِعِ

(١) كَلِمُ اللَّهِ : نبيه موسى عليه السلام . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحاً . ويشير إلى ما ورد في القرآن حكاية عن موسى عليه السلام : (واجعل لي وزيرا من أهل هارون أخى أشد به أزرى) الآيات . (٢) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت إلى قصيدة لشوقي في النيل وتاريخ من ملكه من القراءة بحث بها إلى مرجليوث المستشرق المعروف في سنة ١٩١٤ م ، وأولها :
 من أى عهد في القرى تتدفق * وبأى كف في البرية تفسد
 «ورع» : اسم للشمس عند قدماء المصريين ، وهو من معبوداتهم . (٣) العاد : جمع عادة ؛ يريد عادات قدماء المصريين . وخوفو وخفرع : ملكان معروفان من ملوك مصر القراءة .
 (٤) تنسقت : انتظمت . والنسريات الزهر : النجوم . (٥) «من أى عهد في القرى» : مطلع القصيدة السابق ذكرها في الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة . وأخت يوشع : الشمس ؛ وأطلق عليها ذلك لما روى من أنها تأخرت عن المغيب لأجل يوشع . ويشير إلى قصيدة لشوقي في توت عنخ آمون ، أولها :
 تفتي يا أخت يوشع خبرينا * أحاديث القرون الغابرينا

(٦) يشير بقوله : «وفي توت» إلى قصيدة لشوقي في توت عنخ آمون أولها :
 درجت على الكثر القرون * وأنت حل الدن السنون
 وقوله : «ناشئ في الورد» إلى قصيدة له في المتحررين لرسولهم في الامتحانات ، أولها :
 ناشئ في الورد من أيامه * حسب الله يا الورد عثر

(١) أَسَأَلْتُ (سَلَا قَلْبِي) شُئُونِي تَذَكُّرًا * كَمَا ثَرَّتْ (رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ) أَدْمَعِي
(٢) وَ(سَلَّ يَلْدِزَا) إِنِّي رَأَيْتُ جَمَاهَا * عَلَى الدَّهْرِ قَدْ أَسَى جَمَالَ (المُقَفِّعِ)
(٣) أَطَلَّتْ عَلَيْنَا (أَخْتُ أُنْدَلُسَ) بِمَا * أَطَلَّتْ فَكَانَتْ لِلنَّبَى خَيْرَ مَشْرِعِ
(٤) وَفِي تَسْجِ (صَدَاحِ) آتَيْتَ بَابِي * مِنْ السَّهْلِ لَا تَتَّقَادُ (لَا بِنِ الْمُقَفِّعِ)

(١) يشير بقوله : "سلا قلبي" الى قصيدة لشوقي قالها في استنباله لمصر عند عودته من منفاه بالأندلس ، أولها :

سلا قلبي غداة سلا وتابا * لعل على الجبال له عتابا

وبقوله : "ريم على القاع" الى قصيدة له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم سماها : نهج البردة ، وأولها :

ريم على القاع بين البان والعلم * أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

والشئون : الدموع .

(٢) يشير الى قصيدة للمدوح في خلع السلطان عبد الحيد سماها : (عبرة الدهر) أولها :

سل يلدزا ذات القصور * هل جاءها نيا البدور

ويريد بالمقنع : المقنع الكندي ، وهو لقب ظب عليه لأنه كان أحسن الناس وجها وأدبهم قامة وأكلهم خلقه ، فيرون أنه كان إذا سافر التام أصابه أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت ، فكان لا يمشي إلا مقنعا ؛ واممه محمد بن ظفر بن عمير ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان ذا منزلة وشرف بين قومه .

(٣) أطلت علينا ، أى ظهرت لنا من أعلى . ويشير الى قصيدة لشوقي في رثاء مدينة أدوية ، وهى من

أهيات مدن الدولة العثمانية ، وكانت قد سقطت في يد البلغار في الحرب البلقانية ، وأول القصيدة :

يا أخت أندلس عليك سلام * هوت الخلافة عنك والإسلام

والمرشح : المورد الذى يستق منه .

(٤) يشير الى قصيدة لشوقي في تفصيل حجاب المرأة على سفورها ، يحاطب بها المرحومة باحثة

البادية ، أولها :

صداح يا ملك الكفا * روى أمير البلبيل

وابن المقفع ، هو عبد الله بن المقفع الكاتب المعروف .

- (١) ورائع وَصِفَ فِي (أَبِي الْهَوَلِ) مُقْتَنَهُ * كُبُتَانِ تَوَرَّقَ قَبْلَ رَعِيكَ مَا رُئِيَ
(٢) نَحَرَجْتَ بِهِ عَنْ طَوِّقِ كُلِّ مُصَوِّرٍ * يُجِيدُ دَقِيقَ الْفَنِّ فِي جَوْفِ مَصْنَعِ
(٣) وَفِي (انْظُرْ إِلَى الْأَقْفَارِ) زَفَرَةٌ وَاجِدٍ * وَأَنَّهُ مَقْرُوحُ الْفُؤَادِ مُوزَّعٍ
بَكَيْتَ عَلَى سِرِّ السَّمَاءِ وَطَهَّرَهَا * وَمَا أَبْتَدَلُوا مِنْ خِذْرِهَا الْمُتَرَفِّعِ
(٤) شَاطِئِينَ إِنْسٍ تَسْرِقُ السَّمْعَ خُلْسَةً * وَلَا تَحْذَرُ الْمَخْبُوءَ لِلتَّسْمِعِ
(٥) وَسَيْئَةٍ (الْبُحْتَرِيِّ) تَسَحَّتْهَا * بِسَيْئَةٍ قَدْ أَخْرَسَتْ كُلَّ مُدْعِي
(٦) أَنَّى لَكَ فِيهَا طَائِعًا كُلَّ مَا عَصَى * عَلَى كُلِّ جَبَّارٍ الْقَرِيحَةَ أَلْمَعَى

(١) الرائع : ما أعجب الناس بحسه . ويشير إلى قصيدة لشوقي في وصف أبي الهول ، أولها :

أبا الهول طال طيك المعصر * وبلغت في الأرض أقصى المعصر
والنور (يفتح النون) : زهر النبات .

(٢) الطوق : الجهد والطاقة . (٣) يشير إلى قصيدة لشوقي في رثاء فحى ونورى الطيارين

العمانيين ، وكان قد سقطت بهما طائرتهما أثناء رحلتهما إلى مصر قبل نشوب الحرب العظمى ، وأولها :

انظر إلى الأقار كيف تزول * وإلى وجوه السعد كيف تحول

والواجد : ذوالوجد . والفؤاد الموزع : المفرق بما اختلف عليه من الشجون . (٤) يريد

بشياطين الإنس : الطيارين . ويريد « بالمخبوء للتسمع » : الشهب التي يرمي بها من الشياطين من يسرق

السمع من السماء . (٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لأبي عبادة البحتري على قافية السين في وصف

إيوان كسرى ، أولها :

صنت قمى عما يدنس قمى * وترفعت عن جدا كل جيس

وقصيدة لشوقي يمارضه بها ، يذكر فيها بعده عن بلاده في منفاه ، ويرثي فيها الأندلس ، وأولها :

اختلاف النهار والليل ينسى * اذكرا لي الصبا وأيام أنسى

(٦) الألعى (بتشديد اللام وخففت للشمع) : الذكي المتوقد .

(١) شَجَا (البُحْتَرِي) إِيوَانُ (كُتْرِي) وَهَاجَه * وَهَاجَتْ بِكَ (الْحَمْرَاءُ) أَشْجَانُ مُوَجَع
وَقَفَتْ بِهَا تَبْكِي الرُّبُوعَ كَمَا بَكَى * فَيَا لَكَا مِنْ وَاقِقَيْنِ بَارُبَّع
فَنَسُجَكَ كَالدَّبَّيَاجِ حَلَاهُ وَشَيْه * وَفِي النَّسْجِ مَا يَأْتِي بِشَوْبٍ مُرَقِّعِ
وَيَشْعُرُكَ مَاءُ النَّهْرِ يَجْرِي مُجَدِّدَا * وَيَشْعُرُ سَوَادِ النَّاسِ مَاءٌ بِمَنْتَقِعِ
أَفْضَى إِلَى خَتَمِ الزَّمَانِ فَقَضَاهُ * مِنْ الْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ أَمْ قَوْلُ لَوْذَعِي
وَقَلْبِي أَذْكَرْتَ الْيَوْمَ غَيْرَ مُوَفِّقِي * رُقِيَ السَّحَرِ أَمْ أَنَا تُ أَسْوَانُ مُوَلِّعِ
تَمَلَّكَتَ مِنْ مُلْكِ الْقَرِيضِ فَسِيحَه * فَلَمْ تَبْقِ يَا (شَوْقِي) لَنَا قَيْدَ إَصْبَحِ
فَبِاللَّهِ دَعِ لِلنَّائِرِينَ وَسِيلَةً * تَنِيءُ عَلَيْهِمْ وَأَتْنِي اللَّهُ وَأَقْنَعِ
عَمِلْتَ عَلَى نَيْلِ الْخُلُودِ فَنَتْنَه * فَقُلْ فِي مَقَامِ الشُّكْرِ يَا رَبِّ أَوْزِعِ
جَلَا شِعْرَهُ لِلنَّاسِ مِرَآةَ عَصْرِهِ * وَمِرَآةَ عَهْدِ الشُّعْرَيْنِ عَهْدِ (تُبْعِ)

(١) البُحْتَرِي، هو أبو عبادة الوليد بن عبد الله الطائي، الشاعر المعروف، والحمراء: قصر بخرامة بالأندلس، بنى في عهد دولة بني الأحمر، ولا تزال آثاره ماثلة حتى اليوم. (٢) الوحي: النش. وشبه في الشعر الثاني الشعر الذي لا تستوي أجزأه في الحسن وضده بالتوب المرقع. (٣) سواد الناس: عامتهم. والمنقع: الموضع يستنقع فيه الماء. (٤) يشير إلى قول شوقي في رثاء الوردة كارتافون الذي كشف عن قبر توت حنغ آمون:

أَفْضَى إِلَى خَتَمِ الزَّمَانِ فَقَضَاهُ * وَحَبَا إِلَى التَّارِخِ فِي مَحْرَابِهِ
وَالْوَدْعَى: الذكي الذهن. (٥) الأسوان: الحزين. والرقى: جمع رقبة، وهي العودنة يتوذ بها من العلل والآفات. (٦) تنيء عليهم، أي تعود عليهم بالخير والرزق. (٧) أوزعه الله الشكر: ألهمه إياه. ويشير إلى قوله تعالى حكاية عن سليمان بن داود عليهما السلام في سورة النمل: (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك) الآية. (٨) تبع: لقب للملك حير. ويريد بهذا البيت أن شعر الممدوح قد صور التقديم والتقديم والجديد.

(١) يَجِيءُ لَنَا أَنَا (بِأَحْمَدَ) مَا مِلًّا * وَأَوْتَهُ (بِالْبُخَيْرِي) الْمُرْصِعَ
 (٢) وَيَشْأَوُرُقِي (هُوَجُو) وَيَأْتِي نَسِيئُهُ * لَنَا مِنْ لِيَالِي (الْفَرِيدَ) بَارَبِجَ
 (٣) وَإِنْ خَطَرْتُ ذِكْرِي الْفُحُولِ بِفَارِسَ * وَمَا خَلَقُوا فِي الْقَوْلِ مِنْ كُلِّ مُشَبِّحِ
 (٤) أَنَا بَرَوْضِ مُزْهِرٍ مِنْ رِيَاضِهِمْ * وَ (حَافِظُهُمْ) فِيهِ يُغْنِي وَيَرْتَبِي
 (٥) قُفْلَ لِلَّذِي بَنِي مَدَاهُ مُنَافِسًا * طِمَعَتَ لَعَمْرُ اللَّهِ فِي غَيْرِ مَطْمَعِ
 (٦) فَذَلِكَ سَيْفُ سَلَّهِ اللَّهُ قَاطِعٌ * فَأَيَّانَ يَضْرِبُ يَقِرُّ دِرْعًا وَيَقْطَعُ
 (٧) وَهَلْ تَدْفَعُ الدَّرْعُ الْمَيْعَةَ صَارِمًا * بِهِ يَضْرِبُ الْمِقْدَارُ فِي كَفِّ سَلْفَعِ

(١) يريد « بأحمد » أبا الطيب أحمد بن الحسين المكنى الكوفي الكندي الشاعر المعروف . (٢) يشأو: يسبق . ورقى هوجو، أى أشعاره التى تشبه ورق السحر . وفكتور هوجو، هو شاعر فرنسا المعروف . انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٨ والنسب : التشبيب بالنساء . وذكر محاسنهن فى الشعر . والفريد : هو ألفريد ديموسيه من كبار شعراء فرنسا ، ولد بباريس سنة ١٨١٠ م ، وتوفى بها سنة ١٨٥٧ م وكان ممتازا فى شعره بالرفقة ولطف الصياغة ، وهو صاحب الليالى الأربع المشار إليها فى هذا البيت فى الحب والشك والسلوان ، وهى ليلة من (آيار) وليلة من (كانون أول) ، وليلة من (آب) وليلة من (شهرين أول) . وفى كل ليلة من هذه الليالى الأربع يشرح حالا من أحواله المتعلقة بالحب ، وهذه الليالى هى التى رفعت إلى الطبقة الأولى بين شعراء فرنسا . (٣) بفارس ، يريد أمة الفرس ، وقد عرف شعرائها بالإبداع فى المعانى ، وفى هذا يقول حافظ من قصيدة له فى مدح البارودى :

ومر كل معنى فارسي بطاعتي * وكل قصور منه أن يتوددا

(٤) يريد « بحافظ » : شمس الدين محمد الشيرازى الشاعر الغنائى المعروف ، ولد بشيراز فى مستهل القرن الثامن الهجرى ، وتوفى سنة ٨٧٩٣ . يقول فى هذا البيت والذى قبله : إنه إذا ذكر الفحول من شعراء الفرس وما أبدعوا فيه من المعانى وأجادوا ، تمت شوق من رياض أشعاره ما يحكى رياض أشعارهم حتى إن شاعرهم الكبير حافظ الشيرازى ليتغنى ويرتعى فى رياض ذلك الشاعر العربى (شوق) . (٥) المدى : الناية . (٦) يفرى : يشق . (٧) المقدار : القدر . والسلفع : الجرى . الشجاع .

(١) نَفِيتَ فَلَمْ تَجْزَعْ وَلَمْ تُكْ ضَارِعًا * وَمَنْ تَرِمِهِ الْأَيَّامُ يَحْزَعْ وَيَضْرَعُ
(٢) وَأَخْصَبْتَ فِي الْمُنَى وَمَا كُنْتَ مُجْدِبًا * وَفِي النَّفَى خَصْبُ الْعَبْقَرِيِّ السَّمِيدِ
(٣) لَقَدْ زَادَ (هُجُوجُ) فِيهِ خَصْبَ قَرِيحَةٍ * وَأَبَّ إِلَى أَوْطَانِهِ جِدَّ مُنْجِعِ
(٤) وَأَدْرَكَ (سَامِي) بِالْجَزِيرَةِ غَايَةً * إِلَيْهَا مُلُوكُ الْقَوْلِ لَمْ تَنْطَلِعْ
(٥) تَذَكَّرْتَ عَذَابَ النَّيْلِ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ * إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ كُؤُوبِ مَاءٍ مُشْعِشِ
(٦) وَأَرْسَلْتَ تَسْتَسْقِي بَنِي مِصْرَ شَرِبَةً * فَقَطَّعْتَ أَحْشَاءِي وَأَضْرَمْتَ أَضْلَعِي
أَرْوَى وَلَا تَرَوَى وَأَنْتَ أَحَقُّ * يَرَى فَيَا قَلْبَ النَّبُوءِ تَقَطَّعِ
(٧) وَإِنْ شِئْتَ عَنَّا يَا سَمَاءُ فَأَقْلَعِي * وَيَا مَاءَهَا فَأَكْفُفِي وَيَا أَرْضُ فَأَبْلَعِي
حَرَامٌ عَلَيْنَا أَنْ نَلْدَّ بِنَهْلَةٍ * وَأَنْتَ تُنَادِينَا وَنَحْنُ بِمَسْمَعِ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَرْدَّكَ سَالِمًا * وَمَنْ يَرْعَهُ يَسْلَمُ وَيَقْنَمُ وَيَرْجِعُ

(١) يضرع : يذل . (٢) يريد بقوله : « اخصب في المنى » : أن شعره
جاء وحسن في المنى ، وما كان مجدبا من قبل . والسديد : السيد الكريم . (٣) « فيه »
أى في المنى . والمنج : المنصب . شبه شوقيا (يهووج) كلاهما زاده النفى خصبا في قريحته
ونضوجا في شاعريته . (٤) ملوك القول : غول الشعراء . ويشير إلى فنى المرحوم محمود باشا
سامى البارودى إلى جزيرة سيلان عقب الثورة العراقية ، وما قاله في أثناء المنى من الشعر .
(٥) النهلة : السقية . والمشعشع : المزوج . يشير بهذا البيت وما بعده إلى الأبيات التى بثت بها
شوقى وهو فى مفاه إلى حافظ ، وهى :

يَا سَاكِنِي مِصْرَ إِنَّا لَا نَزَالُ عَلَى * عَهْدِ الْوَفَاءِ وَإِنْ غَبَا مَقِيمُنَا

الأبيات . انظر صفحة ١٨٦ من هذا الجزء . وانظر رد حافظ عليها فى ص ١٨٧ .

(٦) أضرمت : ألهبت . (٧) أفلعت السماء : كفت عن المطر . ويشير إلى قوله تعالى

فِي سُورَةِ هُودَ : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا مَاءُ اقْلَعِي) .

(١) وَعُدَّتْ فَقَرَّتْ عَيْنُ مِصْرٍ وَأَصْبَحَتْ * رِيَاضُ الْقَوَافِي فِي رَيْبِ مَوْشِعٍ
 (٢) وَأَذْرَكْتَ مَا تَبْنِي وَشَدَّتْ آيَةً * عَلَى الشَّاطِئِ الْغَرْبِيِّ فِي خَيْرِ مَوْقِعٍ
 (٣) يَحْفُ بِهَا رَوْضٌ يُحْيِي بُدُورَهَا * بُكُورًا بِرِيَاءٍ عَرَفَهُ الْمُتَضَوِّعُ
 (٤) جَمِي يَتَهَادَى النَّيْلُ تَحْتَ ظِلَالِهِ * تَهَادَى خَوْدٌ فِي رَدَاءٍ مُجْزِعٍ
 (٥) لَقَدْ كُنْتَ تَرْجُو مِنْهُ بِالْأُمْسِ قَطْرَةً * فَدُونَكَ فَا بَرْدٌ غَلِيلَكَ وَانْقِعَ
 أَمِيرَ الْقَوَافِي قَدْ أَتَيْتُ مُبَايَعًا * وَهَذِي وَفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِي
 (٦) فَغَنَّ رُبُوعَ النَّبِيلِ وَأَعْطَفَ بَنْظَرَةً * عَلَى سَاكِنِي النَّهْرَيْنِ وَأَصْدَحَ وَأَبْدَعَ
 (٧) وَلَا تَلَسْ (تَجِدْ) لَهَا مَنِيَّتُ الْهَوَى * وَمَرَعَى الْمَهَا مِنْ مَسَارِحَاتٍ وَرُتَجٍ
 وَحَى ذُرًّا (لُبْنَانَ) وَأَجْعَلْ (لُتُونِس) * نَيْصِيًّا مِنَ السَّلَوَى وَقَسَمَ وَوَزَّجَ
 فِي الشَّعْرِ حَثَّ الطَّامِعِينَ إِلَى الْعَلَا * وَفِي الشَّعْرِ زُهْدُ النَّاسِكِ الْمُتَوَرِّجِ
 (٨) وَفِي الشَّعْرِ مَا يُنْفِي عَنِ السَّيْفِ وَقَعَهُ * كَمَا رَوَّعَ الْأَعْدَاءَ بَيْتُ (لَا تُفْجِعْ)

(١) الربيع الموشع : الموشى بألوان الزهر والنبات . (٢) يشير إلى قصر شوقى الذى بناه على الشاطئ الغربى للنيل بالجيزة . (٣) الريا والعرف : الرائحة الطيبة . وبكورا ، أى فى بكرة الصباح . والمتضوع : المنشر الرائحة . (٤) يتهادى : يمشى فى لين وخفة . والخود : الشابة الحسنة . والمجزع : المختلف الألوان . (٥) تقع ظمأه بالماء : أرواه . (٦) يريد بساكينى النهرين : أهل العراق . والتهران : دجلة والفرات . وأصده ، أى غن بالشعر . (٧) المهيا : بقر الوحش ، الواحدة مهية ، يريد النساء اللاتي تشبهها فى سمة العيون وجمالها . ويطلب الى الشاعر أن ينفى نجيذا بشعره ، كما ينفى أهل مصر . (٨) يشير الى بيت لأشعج بن عمرو السلى الشاعر العامى المعروف من قعيدة يمدح بها الرشيد :

وعلى مدرك يا بن صمم محمد * رصدان ضوه الصبح والإغلام

فاذا تنبه رمته وإذا غفا * ملت عليه سيولك الأحلام

والمقصود هنا البيت الثانى .

وفي الشعر إحياء النفوس وربها * وأنت لرى النفس أعذب منبع
(١)
فنبه عقولاً طال عهد رقادها * وأفيدة شئت إليها بأنسج
فقد غمرتها مخنة فوق مخنة * وأنت لها يا شاعر الشرق فأدفع
وأنت بحمد الله ما زلت قادراً * على النفع فاستبض بياك وأقع
(٢)
وخذ بزمام القوم وأزع بأهله * الى المجيد والعليا أكرم مترج
(٣)
وقفنا على النهج القويم فإننا * سلكنا طريقاً للهدى غير مهيج
ملأنا طباق الأرض وجداً ولوعة * بهند ودعد والرباب وبوزع
(٤)
وملت بنات الشعر منا موافقاً * بسقط اللوى (والرقتين) (ولعلج)
وأقوامنا في الشرق قد طال نومهم * وما كان نوم الشعر بالمتوقع
(٥)
تغيرت الدنيا وقد كان أهلها * يرون متون العيس ألين مضجع
(٦)
وكان يريد العلم غيراً وأينقاً * متى يعيها الإيجاف في اليد تطلع
فأصبح لا يرضى البخار مطبئة * ولا السلك في تياره المتدفع

- (١) الأنسج : جمع نسع (بكر النون) وهو سير من جلد تشد به الرجال . يريد وصف الأقدسة
بالنقد والأسر في أغلال العادات القديمة . (٢) وأزع بأهله ، أى قد أهل الشرق وسريهم .
(٣) ففنا على النهج القويم ، أى أرشدنا الى الطريق المستقيم في أعراض الشعر . والمهج : الطريق
الواضح الين . (٤) بنات الشعر ، أى معانيه وأغراضه . و « سقط اللوى » الخ :
أسماء مواضع في بلاد العرب وردت في شعر القدماء . (٥) متون العيس : ظهور الإبل .
(٦) العير : القافلة . والإيجاف : الإمراع . واليد : جمع يدا . وتطلع : تخرج في مشيتها .
يقول : كانت وسائل العلم فيما مضى السفر على ظهور الإبل التي لا تسعف راکبها .

وقد كَانَ كُلَّ الْأَمْرِ تَصْوِيبُ نَبَلَةٍ * فَأَصْبَحَ بَعْضُ الْأَمْرِ تَصْوِيبُ مِدْفَعٍ^(١)
 وَنَحْنُ كَمَا غَنَى الْأَوَائِلُ لَمْ نَزَلْ * نَغْنَى بِأَرْمَاحٍ وَيَبِضُ وَأَدْرَعُ^(٢)
 عَرَفْنَا مَدَى الشَّيْءِ الْقَدِيمِ فَهَلْ مَدَى * لَشَيْءٍ جَدِيدٍ حَاضِرِ النَّفْعِ مُتَمِّعٍ^(٣)
 لَدَى كُلِّ شَعْبٍ فِي الْحَوَادِثِ عُذَّةٌ * وَعُدَّتْنَا نَدْبُ التَّرَاثِ الْمُضْطَبِّعِ^(٤)
 فَيَا ضَيْعَةَ الْأَقْلَامِ إِنْ لَمْ يُقَمِّمْهَا * دِعَامَةً رُكْنِ الْمَشْرِقِ الْمُتَرَعِّعِ^(٥)
 أَتَمِشِي بِهِ شُمَّ الْأَنْوَفِ عُدَاتُهُ * وَرَبُّ الْحِمَى يَمِشِي بِأَنْفٍ مُجَدِّعٍ^(٦)
 عَزِيزٌ عَلَيْهِ يَا بَنِي الشَّرْقِ أَنْ تُرَى * كَوَاكِبُهُ فِي أَفْقِهِ غَيْرَ طُلُوعِ^(٧)
 وَأَعْلَامُهُ مِنْ فَوْقِهِ غَيْرَ خُفْيٍ * وَأَقْلَامُهُ مِنْ تَحْتِهَا غَيْرَ شُرْعٍ^(٨)
 وَكَيْفَ يُوَقِّ الشَّرَّ أَوْ يَبْلُغُ الْمُنَى * عَلَى مَا نَرَى مِنْ شَمْلِهِ الْمُتَصَدِّعِ^(٩)
 فَإِنْ كُنْتَ قَوْلًا كَرِيمًا مَقَالُهُ * فَقُلْ فِي سَبِيلِ النَّيْلِ وَالشَّرْقِ أَوْ دَعِ^(١٠)

(١) يريد بالبيض : السيف .

(٢) المدى : الغاية .

(٣) ندب التراث المضيع ، أى البكاء على ما خلفه العرب الأقدمون من مآثر ومفاتيح .

(٤) الدعامة : عماد البيت . والمتزعزع : المضطرب .

(٥) شم الأنوف : وصف يقال للسادة الأعزاء . والمجدع : المقطوع ، ويقال ذلك للدليل .

(٦) يقول : إن أعداء الشرق والطامعين فيه قد عزوا به وسادوا ، وأهله ذلوا به وأستكانوا . ويشير بذلك إلى ما جتته الامتيازات على الشرق .

(٧) الشرع : المسددة المصوبة إلى الغرض .

الى المحتفلين بتكريم حافظ

بيان فاعلموا في المأدبة التي أقامها بعض أدباء القرب في (جروبي) لتكريمه هو (وشوق) (ومطران)

[نشرت في ٣١ يناير سنة ١٩٢٨ م]

(١)
قَدْ قَرَأْنَا كُمْ فَهَشَّتْ هُنَا * فَاقْتَبَسْنَا نُورًا يُضِيءُ السَّبِيلَا
فَأَقْرَأُونَا وَمَنْ لَنَا أَنْ تُصَيُّوْا * بَيْنَ أَفْكَارِنَا شُعَاعًا ضَيِّلَا

تحية لجمعية المرأة الجديدة

[نشرت في ١٢ أبريل سنة ١٩٢٨ م]

إِلَيْكُنَّ يَهْدِي النَّيْلُ أَلْفَ تَحِيَّةٍ * مُعْطَرَةً فِي أَسْطُرٍ عَطِرَاتِ
(٢)
وَيُنْفِي عَنِّي أَعْمَالِكُنَّ مُوَكَّلِي * بِإِطْرَاءِ أَهْلِ الْبِرِّ وَالْحَسَنَاتِ
أَقْتَنِي بِالْأَمْسِ الْأَمَّاسِ مُبَارَكَا * وَجِئْتَنِ يَوْمَ الْفَتْحِ مُقْتَنِطَاتِ
صَنَعْتَنِ مَا يُعْجِي الرِّجَالَ صَنِيعُهُ * فَزِدْتَنِ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ
يَقُولُونَ: نِصْفُ النَّاسِ فِي الشَّرْقِ عَاطِلٌ * نِسَاءٌ قَضَيْنَ الْعُمَرَ فِي الْحُجُرَاتِ
وَهَذِي بَنَاتُ النَّيْلِ يَعْلَمَنَّ لِلنَّهْيِ * وَيَفْرِسْنَ غَرَسًا دَائِي الثَّمَرَاتِ

(١) قرأناكم، أي قرأنا ما أنشأتموه من نظم وثر.

(٢) موكلتي، أي أن النيل قد أتاه عه في إبلاغهن ثناءه عليهن وشكره لهن.

(١) وفي السَّنةِ السَّوداءِ كَتَنَ قُدَّوَةً * لَنَا حِينَ سَالَ الْمَوْتُ بِالْمُهْجَاتِ
 (٢) وَقَفَّتْ فِي وَجْهِهِ الْخَيْسِ مَدَجًّا * وَكُتِبَ بِالْإِيْمَانِ مُعْتَصِمَاتِ
 (٣) وَمَا هَالَكُنَّ الرُّخَّ وَالسَّيْفُ مُصَلَّتَا * وَلَا الْمِدْفَعُ الرَّشَاشُ فِي الطُّرُقَاتِ
 تَعَلَّمَ مِنْكَ الرِّجَالُ فَأَصْبَحُوا * عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أَهْلَ ثَبَاتِ
 (٤) (صَفِيَّةُ) قَادَتْكَ نَكْتَنَ لِلْجِدِّ وَالْمَلَا * كَمَا كَانَ (سَعْدُ) قَائِدَ السَّرَوَاتِ
 عَرَفْنَا لَهَا فِي تَجِدِ (سَعْدِ) نَصِيْبَهَا * مِنْ الْحَزْمِ وَالْإِقْدَامِ فِي الْأَزْمَاتِ
 تَهَوَّنَ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ هُجُومَهُ * عَلَى الْمَهْوَلِ بِالتَّشْجِيعِ وَالْبَسَامَاتِ
 (٥) وَتَدَفَّعَهُ لِمَوْتٍ وَالتَّنْفِيسُ بِاسْمٍ * وَفِي صَدْرِهَا نَوْءٌ مِنْ الزُّفَرَاتِ
 (٦) كَذَا فَلْيَكُنْ صُنْعُ الْكَرِيمِ وَصَبْرُهُ * عَلَى دَهْرِهِ وَالْدَّهْرِ غَيْرُ مُوَاقِي
 لَتَحْتِ الْغَوَائِي فِي ظِلَالِ مَلِيكَةٍ * سَمَتْ فِي مَعَالِيهَا عَلَى الْمَلِكَاتِ
 وَظَلَّ (فُؤَادُ) مَفْخَرِ الشَّرْقِ كُلِّهِ * كَكَيْفِ الْأَيْدِي صَادِقِ الْعَزَمَاتِ

(١) يريد بالسنة السوداء : سنة ١٩١٩م التي احتدمت فيها نار الثورة الوطنية ، وقد أخذ السيدات
 المصريات من الجهاد فيها بنصيب وافر . (٢) الخيس : الجيش . والمدجج : لابس السلاح .
 ويشير بهذا البيت وما بعده الى مظاهرة السيدات التي تعرض لها الجنود أيام اشتعال الثورة الوطنية ، وثبت
 السيدات لهم ولم ينفرون ؛ وقال حافظ في هذه الحادثة قصيدته المعروفة التي أولها :
 خرج الغواني يمتدحجن * ورحلت أقرب جمعته

(٣) المصلى : المجرى من غمده . (٤) سروات الناس : أشرفهم .
 (٥) نوء من الزفرات ، أى ثقل منها نوء باحتماله . (٦) المواق : المواقف .

إلى محمد حسين هيكل بك و خليل مطران بك

فالها في مناظرة كانت بين هيكل ومطران في مدرج كلية الآداب، موضوعها :
 "هل الأدب العربي قديمه وحديثه يكتفى وحده لتكوين الأديب ؟"

[نشرت في ١٨ أبريل سنة ١٩٢٨ م]

(١) سَمَا الْخَطِيئَانِ فِي أَلْمَعَالِي * وَجَازَ شَأُوهُمَا السَّمَاءَا

(٢) جَالَا فَلَمْ يَتْرُكَ جَمَالًا * وَاعْتَرَاكَ بِالنَّهْيِ عِمْرَاكَ

فَلَسْتُ أَذِيرُ عَلَى اخْتِبَارِي * مَنْ مِنْهُمَا جَلَّ أَنْ يُجَاكِي

فَوَحَى عَقْلِي يَقُولُ : هَذَا * وَوَحَى قَلْبِي يَقُولُ : ذَاكَ

(٣) وَدِدْتُ لَوْ كُلَّ ذِي غُرُورٍ * أَمْسَى لَنَعْلِمَا شِرَاكَ

تحية الشام

أنشدنا في الحفل الذي أقيم لبيع هذه القصيدة بالجامعة الأميركية بيروت

[نشرت في ٢ يونيو سنة ١٩٢٩ م]

(٤) حَيَّا بِكُورُ الْحَيَا أَرْبَاعَ بُنْيَانٍ * وَطَالَعَ الْيَمْنُ مَنْ بِالشَّامِ حَيَانِي

(٥) أَهْلَ الشَّامِ لَقَدْ طَوَّقَمُ عُنُقِي * بِمَنْيَةٍ نَحَرَجْتُ عَنْ طَوْقِ تَيْفَانِي

(١) الشَّارُ : الغاية . والهاك : أحد كوكبين يرين يقال لأحدهما : الهاك الرابع ، وللآخر :
 الهاك الأعزل . (٢) التهى : العقول ، الواحدة نية . (٣) شرارك النمل : سيره
 الذى يكون على ظهر القدم ، وهو مثل فى القلة . (٤) بكور الحيا : المطر المبكر . والأرباع : المنازل
 الواحد ربيع . وطالعه : طلع عليه . واليمن : البركة والخير . (٥) الطرق : الطاقة والجهد .

(١) قُلْ لِلكَرِيمِ الَّذِي أَسَدَى إِلَى يَدَا * أَنَّى تَزَحَّتْ فَاثَتْ النَّازِحُ الدَّانِي
(٢) مَا إِنْ تَقَاضَيْتُ نَفْسِي ذِكْرَ مَارِقَةٍ * هَلْ يَحْدُثُ الذِّكْرُ إِلَّا بَعْدَ نِسْيَانِ
(٣) وَلَا عَثَبْتُ عَلَى خِلِّ يَضْرُبُهَا * مَا دَامَ يَزْهَدُ فِي شُكْرِي وَعِزِّي فَاثِي
أَقَرَّ عَيْنِي أَنِّي قُتْتُ أَشِيدُكُمْ * فِي مَعَهْدٍ بَحَلَى الْعِرْفَانِ مُزْدَانِ
وَشَاعَ فِي سُرُورٍ لَا يُعَادِلُهُ * رَدُّ الشَّابَابِ إِلَى شَعْرِي وَجُفَانِي
لِي مَوْطِنٌ فِي رُبُوعِ اللَّيْلِ أَعْظَمَهُ * وَلِي هُنَا فِي حِمَاكُم مَوْطِنٌ ثَانِي
إِنِّي رَأَيْتُ عَلَى أَهْرَامِهَا حُلَلًا * مِنْ الْجَلَالِ آرَاهَا فَوْقَ (لُبْنَانِ)
(٤) لَمْ يَمِجْ مِنْهَا وَلَا مِنْ حُسْنِ جِدَّتِهَا * عَلَى التَّعَاقِبِ مَا يَمْحُو الْجَدِيدَانِ
حَسِبْتُ نَفْسِي تَزِيلًا بَيْنَكُمْ فَإِذَا * أَهْلِي وَصَحْبِي وَأَجْبَائِي وَجِيرَانِي
(٥) مِنْ كُلِّ أَلْبَجٍ سَامِي الطَّرَفِ مُضْطَلِعِ * بِالْخَطِيبِ مُبْتَهِجٍ بِالضَّيْفِ جَذْلَانِ
(٦) يَمْشِي إِلَى التَّجْدِيدِ مُتَخَالًا وَمُبْتَسِمًا * كَأَنَّهُ حِينَ يَسُدُّو عُسُودَ مُرَّانِ

(١) أسدى : بذل وأعطى . واليد : المعروف والجليل . ونزع : بعد ، أى أنت اذا بعدت عنا
بجسمك ، قريب بذكرنا لأيا يدك علينا .

(٢) تقاضى : طلب . والمارقة : المعروف . يريد أنه ما طلب الى قومه يوما أن تذكره جيلًا أسدى
إليها ، فهو دائما تذكره ولا تنساه ، ولا يذكر الإنسان شيئًا إلا بعد نسيانه .

(٣) يضرب بها ، أى بالمارقة . وعرفاني ، أى معرفتي .

(٤) الجلة : ضد القدم . والجديدان : الليل والنهار ، ولا يفردان ، فلا يقال الواحد منهما : الجديد .

(٥) الألبج : الطلق الوجه . وسامى الطرف : مرتفعه ، أى طموح الى المال . واضطلع بالامر :
نهض به . والجذلان : الفرج .

(٦) المران : الرماح اللينة ، الواحدة مرانة . شبه بالرمح فى استقامة القامة .

- (١) سَكَنْتُمْ جَنَّةً فَيَحْيَا لَيْسَ بِهَا * عَيْبٌ مِوَى أَتَهَا فِي الْعَالَمِ الْفَانِي
(٢) إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي صُنْعِ الْإِلَهِ بِهَا * لَمْ تَلَقَ فِي وَشْيِهِ صُنْعًا لِلْإِنْسَانِ
(٣) فِي سَهْلِهَا وَأَعَالِيهَا وَسَلْسِلِهَا * بَرَّةُ الْعَلِيلِ وَسَلَوَى الْعَاشِقِ الْعَانِي
(٤) وَفِي تَضْوَعِ أَفْئَاسِ الرِّيَاضِ بِهَا * رَوْحٌ لِكُلِّ حَزِينٍ الْقَلْبِ أَسْوَانِ
(٥) أَيْ تَحَيَّرْتَ مِنْ (لُبَّانٍ) مَتَرَلَةً * فِي كُلِّ مَتَرَلَةٍ رَوْحٌ وَعَيْنَانِ
(٦) يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ دُنْيَايَ فِي دَعَا * قَلْبِي جَمِيعٌ وَأَمْرِي طَوْعٌ وَجِدَانِي
(٧) أَقْضَى الْمَصِيفِ بُلْبَانٍ عَلَى شَرَفٍ * وَلَا أَحُولُ عَنِ الْمَشْتَى (بُحْلَوَانِ)
(٨) يَا وَفْقَةً فِي جِبَالِ الْأَرْزِ أَشْهَدُهَا * بَيْنَ الصُّنُوبِ وَالشَّرْبِينِ وَالْبَانِ
(٩) تَسْتَبِطُ الْوَحْيَ نَفْسِي مِنْ سَمَاوَتِهَا * وَيَنْثَنِي مَلَكًا فِي الشَّعْرِ شَيْطَانِي
(١٠) عَلَى أَجَاوِدُكُمْ فِي الْقَوْلِ مُقْتَدِيًا * بِشَاعِرِ الْأَرْزِ فِي صُنْعٍ وَإِنْقَانِ

- (١) الفيحاء : الواحة . (٢) الوشي : نعمة الثوب ونقشه وتحسينه ، شبه به اختلاف الألوان في الزهر والنبات . (٣) السلسل : الماء العذب السلس السهل . والعاني : المذهب . (٤) التضويع : انتشار الراحة . والروح : الراحة والرحمة . والأسوان : الحزين . (٥) « في كل » جواب « أتي » الشرطية . (٦) الدعة : السكون والراحة . وجميع ، أي غير منفرد ولا مشتمل الشؤون . (٧) الشرف : المرتفع من الأوض . (٨) جبال الأرز : مرتفعات لبنان . والأرز : شجر معروف بها ، وكذلك الصنوبر . والشربين : شجر كالسرو إلا أنه أشد حمرة وأزكى رائحة وأعرض ورقا وأغمر ثمرًا . والبان : شجر سبط القوام لين ورقه كورق الصفصاف ، الواحدة بانه ، وبه تشبه القدود . (٩) من سمواتها ، أي من أعلى هذه الجبال . (١٠) جاوده في القول ، أي باراه في جودته . ويريد « بشاعر الأرز » : خليل مطران بك .

(١) لَا يَدْعَ ابْنٌ أَخَصَبَتْ فِيهَا قَرَائِمُكُمْ * فَأَعْجَزَتْ وَأَمَادَتْ عَهْدَ (حَسَنِ)
 طِيبُ الْهَوَاءِ وَطِيبُ الرُّوْضِ قَدْ صَقَلَا * لَوْحَ الْخِيَالِ فَأَغْرَاكُمْ وَأَغْرَانِي
 مَنْ رَأَى أَنْ يَشْهَدَ الْفِرْدَوْسَ مَائِلَةً * فَلْيَغْشَ أَجَاءَكُمْ فِي شَهْرِ نَيْسَانَ (٢)
 تَاهَتْ بِقَبْرِ (صَلَاحِ الدِّينِ) تُرْبَتُهَا * وَتَاهَ أَحْيَاؤُهَا يَمِينًا (بَطْرَانِ) (٣)
 يَلْنِي وَيَهْلُمُ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَفِي الشَّعْرِ الْحَدِيثِ فَنِعَمَ الْمَسَادِمُ الْبَانِي (٤)
 إِذَا لَمَحْتُمْ بِشِعْرِي وَمَضَ بَارِقَةٌ * فَبَعْضُ إِحْسَانِهِ فِي الْقَوْلِ إِحْسَانِي
 رَعِيَا لِشَاعِرِكُمْ، رَعِيَا لِكَاتِبِكُمْ * بَرَاهِمًا اللَّهُ عَنِّي مَا يَقُولَانِ (٥)
 آرَى رِجَالًا مِنَ الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ فِي الدُّنْيَا الْقَدِيمَةِ تَبْنِي خَيْرَ بَنِيَانِ
 قَدْ شِيدُوا آيَةً بِالشَّامِ خَالِدَةً * شَتَّى الْمَنَاهِلِ تَرَى كُلَّ ظَمْآنِ (٦)
 لَيْتَنِ هَدَوْتُمْ لَقَدْ كَانَتْ أَوَائِلُكُمْ * تَهْدِي أَوَائِلَهُمْ أَرْزَانِ (٧)
 لَا غُرُوَانِ عَمَّرُوا فِي الْأَرْضِ وَأَبْتَكُرُوا * فِيهَا أَفَانِيَابُ إِصْلَاحٍ وَعُثْرَانِ

(١) يريد بحسان : حسان بن ثابت الأنصاري الشاعر المعروف .

(٢) نيسان (بالفتح) : شهر من شهور السنة المسيحية ، وهو يقابل أبريل .

(٣) يريد بصلاح الدين : الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس الدولة الأيوبية بمصر ، ورجل الحروب الصليبية المعروف ، وكانت وفاته بدمشق سنة ٥٨٩ هـ . ويريد بطران :

خليل مطران بك الشاعر المعاصر المشهور . (٤) الومض : اللعان .

(٥) يريد « بالدنيا الجديدة » : أمريكا . و« بالبنات » : الجامعة الأمريكية ببيروت التي

أنشدها فيها الشاعر قصيدة هذه . (٦) يشير إلى فضل الشرق قديما على العالم . ويريد بقوله :

« أزمان أزمان » : الإيمان في القدم . (٧) لا غرو : لا عجب . والأفانين : الضروب

الواحد أفنون (بالضم) .

- (١) فَيْلَكَ دُنْيَاهُمْ فِي الْحَوْقِ دَرَجَتٌ * أَعْنَةَ الرِّيحِ مِنْ دُنْيَا مُلَيَّانِ
(٢) أَبَتْ أُمَيَّةُ أَنْ تَفْنَى عَمَادُهَا * عَلَى الْمَدَى وَأَبَى أَبْنَاءُ غَسَّانِ
(٣) مِنْ غَطَارِقَةٍ فِي (جَلَّتِي) نُجْبٍ * وَمِنْ غَطَارِقَةٍ فِي أَرْضِ (حَوْرَانِ)
(٤) عَافُوا الْمَذَلَّةَ فِي الدُّنْيَا فَعِنْدَهُمْ * عِزُّ الْحَيَاةِ وَعِزُّ الْمَوْتِ سَيَّانِ
لَا يَصْبِرُونَ عَلَى ضَمٍّ يُحَاوِلُهُ * بَاغٍ مِنَ الْإِنْسِ أَوْ طَاغٍ مِنَ الْجَانِ
شَقَقْتُ أَسْوَاقَ (يَرُوتِ) فَمَا أَخَذَتْ * عَيْنَايَ فِي سَاحِبِهَا حَاتُوتَ يُونَانِي
فَقُلْتُ فِي غِبْطَةٍ : لِلَّهِ دَرَاهِمُ * لَيْسَ الْفَلَاحُ لِوَانٍ غَيْرِ يَقْظَانِ
(٥) تَيْمَمُوا أَرْضَ كَوْلُبٍ فَمَا شَعَرْتُ * مِنْهُمْ بَوَطُءٍ غَيْرِ بِلَادِ حَيْرَانِ
(٦) سَادُوا وَشَادُوا وَأَبْلَوْا فِي مَنَاجِيهَا * بَلَاءَ مُضْطَلَعٍ بِالْأَمْرِ مِعْوَانِ
(٧) إِنْ ضَاقَ مَيْدَانُ سَبَقِي مِنْ عِزَائِهِمْ * صَاحَتْ بِهِمْ فَارُوهَا أَلْفَ مَيْدَانِ

- (١) الأعنة : جمع عنان ، وهو سير الجلام الذي تمسك به الدابة . وسليمان ، هو سليمان بن داود عليهما السلام . ويشير بهذا الى تفوق الأمر يكتين في الطيران . (٢) النساينون : أمراء تخوم الشام قديما من العرب ، وكانت لهم فيها حضارة ، ثم كان الشام ملك بنى أمية ، وكانت دمشق دار خلافتهم نحو تسعين عاما ، وإلى هاتين الدولتين يشير الشاعر .
(٣) الغطارقة : الأشراف والسادة ، الواحد غطريف (بالكسر) . وجلقي (بكسر تين وتشديد اللام) اسم لكورة الغرطة كلها ؛ أروى دمشق قسما . وحوران (بالفتح) : كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قوى كثيرة ومزارع . (٤) عافوا : أبوا وكرهوا . (٥) تيمموا : قصدوا . وأرض كولب : أمريكا ، نسبة الى كاشفها كريستوف كولب . يشير الى هجرة الشاميين إليها واستيطانهم لها حتى أصبحوا كأنهم من أهلها . (٦) البوا في مناكبها : جدوا واجتهدوا في نواحيها : ومضطلع بالأمر : ناهض به قوى عليه والمعوان (بالكسر) : الحسن المعونة الكثيرها .
(٧) الضمير في « صاحت » يعود على عزائهم .

لَا يَسْتَشِيرُونَ إِنْ هُمَا سَوَى هِمَمٍ * تَأْتِي الْمُقَامَ عَلَى ذُلٍّ وَإِدْطَانٍ^(١)
 وَلَا يُسْأَلُونَ إِنْ كَانَتْ قُبُورُهُمْ * ذَرَا الشُّوَاخِ أَوْ أَجْوَافَ حِثْيَانٍ^(٢)
 فِي السَّكُونِ مَوْرِقُهُمْ فِي الشَّامِ مَغْرُسُهُمْ * وَالْفَرَسُ يَزْكُو نَقَالًا بَيْنَ بُلْدَانٍ^(٣)
 إِنْ لَمْ يَقْضُوا بِسُلْطَانٍ يُقْرَهُمْ * فِي الْمُهَاجِرِ قَدْ عَزَّوْا بِسُلْطَانٍ
 أَوْ ضَاقَتِ الشَّامُ عَنْ بُرْهَانٍ قُدْرَتِهِمْ * فِي الْمُهَاجِرِ قَدْ جَاءُوا بِبُرْهَانٍ
 إِنَّا رَأَيْنَا كِرَامًا مِنْ رِجَالِهِمْ * كَانُوا عَلَيْهِمْ لَدَيْنَا خَيْرَ عُتُونٍ
 أَلَى التَّقِينَا التَّقَى فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ * أَهْلُ بَاهِلٍ وَإِخْوَانُ بِلَاخْوَانٍ
 كَمْ فِي نَوَاحِي دُبُوجِ النَّيْلِ مِنْ طُرْفٍ * (لِلْبَازِجِيِّ) وَ (صَرْوَيْ) وَ (زَيْدَانِ)^(٤)
 وَكَمْ لِأَخْيَانِهِمْ فِي الصُّخْفِ مِنْ أَثَرٍ * لَهُ (الْمُقَطَّمُ) وَ (الْأَهْرَامُ) رُكْنَانِ^(٥)
 مَتَى أَرَى الشَّرْقَ أَدْنَاهُ وَأَبْعَدَهُ * عَنْ مَطْمَعِ الْغَرِيبِ فِيهِ غَيْرَ وَسْنَانٍ^(٦)
 تَجْرِي الْمَوَدَّةُ فِي أَعْرَاقِهِ طُلُقًا * يَكْحَرِيهِ الْمَاءُ فِي أَثْنَاءِ أَفْنَانٍ

- (١) ذرا الشواخ: أعالي الجبال . (٢) مودقهم، أي حيث آثارهم النضرة وأعمالهم الناجحة؛ وهو من ررق الشجريق (وزان وعد يد)، أي ظهر ورقه . يقول: إن آثارهم الباهرة وأعمالهم الموقفة في مختلف نواحي العالم، وموطنهم الذي نشأوا فيه بلاد الشام . ويزكو: ينمو . شبههم بالفرس الذي يستفيد من تغير بيئته وترابته قوة ونماء . (٣) المهاجر (بالضم وفتح الجيم): اسم المكان من هاجر . (٤) المقطم والأهرام: صهيقتان مصريتان معروفتان أحدهما من إخواننا اللبنانيين . (٥) الوسنان: النائم . (٦) طلقا: منطلقا . والأفنان: الأغصان، الواحد فن بالتحرير . والذي في نسخة الديوان أفناء أفنان؛ ولم نجد لقوله « أفناء » معنى يناسب سياق البيت . وقد أثبتناها بالباء مكان الفاء نقلا عن الشاعر نفسه .

لَا فَرْقَ مَا بَيْنَ بُؤَذَى بَيْشُ بِهِ * وَمُسْلِمٍ وَيَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ
(١)
مَا بِالْ دُنْيَاهُ لَمَّا فَاءَ وَارْفُهَا * عَلَيْهِ قَدْ أَدْبَرَتْ مِنْ غَيْرِ إِيْذَانِ
(٢)
عَهْدُ (الرَّشِيدِ) (بِقَدَادِ) عَفَا وَمَضَى * وَفِي (دِمَشْقِ) أَنْطَوَى عَهْدُ (ابْنِ مَرْوَانَ)
(٣)
وَلَا تَسَلْ بَعْدَهُ عَنْ عَهْدِ (قُرْطَبَةَ) * كَيْفَ أُنْمَحَى بَيْنَ أَسْيَافٍ وَنِيرَانِ
فَعَلَّمُوا كُلَّ حَيٍّ عِنْدَ مَوْلَاهُ : * عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْأَوْطَانِ دِيَارِ
(٤)
حَمِّمْ قَضَاؤُهُمَا، حَمِّمْ جَرَاؤُهُمَا * فَأَرَبًا بِنَفْسِكَ أَنْ يُمْنَى بِمُجْرِبَانِ
(٥)
(النَّيْلِ) وَهُوَ إِلَى (الْأُرْدُنِّ) فِي شَغَفٍ * يُهْدِي إِلَى (بَرْدَى) أَشْوَاقٍ وَلَهْجَانِ
(٦)
وَفِي (الْمِصْرَاقِ) بِهِ وَجْدٌ (بِدَجَلَتِهِ) * وَ(بِالْفُصْرَاتِ) وَتَحْتَانِ (السَّبْحَانِ)
(٧)
إِنْ دَامَ مَا تُحْنُ فِيهِ مِنْ مُدَابَرَةٍ * وَفِتْنَةٍ بَيْنَ أَجْنَابِ وَأَذْيَانِ
(٨)
رَأَيْتُ رَأَى (الْمَعْرَى) حِينَ أَرَهَقَهُ * مَا حَلَّ بِالنَّاسِ مِنْ بَقِيٍّ وَعُدْوَانِ

- (١) فاء وارفها : أقبل خيرها ونعيمها . والوارف : الظل المنتشر المتسع . والإيذان : الإعلام .
(٢) يشير إلى عهد بغداد الحافل أيام الرشيد من (سنة ١٧٠هـ) (سنة ٧٨٦م) إلى (سنة ١٩٣هـ)
(سنة ٨٠٩م) وإلى عهد دمشق الزاهر أيام بنى أمية ؛ وقد بقيت فيها الخلافة ٩٠ عاما من (سنة ٤١هـ)
(سنة ٦٦١م) إلى سنة (١٣٢هـ) (سنة ٧٥٠م) . (٣) قرطبة : بلد معروف بالأندلس .
ويريد بهذه : دولة العرب بها . (٤) يقال : إنى أربأ بك عن هذا الأمر ، أى أرفعك
عنه ولا أرضاه لك . وتحنى : تصاب . (٥) الأردن : نهر معروف بالثام ، يصب في البحر الميت .
ويرد (بالتحريك) : نهر بدمشق . (٦) دجلة والفرات : نهران معروفان في العراق يصبان
في الخليج الفارسي . ويريد «سبحان» : نهر سيحون في آسيا الوسطى الروسية الذى يصب في بحر آرال .
(٧) المدابرة : الفاطمة . (٨) أرهقه : آذاه . والمعرى ، هو أمير العلاء المعرى
الشاعر المعروف .

- (١) لَا تَطْهَرُ الْأَرْضُ مِنْ رِجْسٍ وَمِنْ دَرَنِ * حَتَّى يُعَاوِدَهَا (نُوحٌ) بِطُوفَانٍ
 (٢) وَلَى الشَّابَابُ وَجَازَتْنِي قُوَّتُهُ * وَهَدَمَ السَّقْمُ بَعْدَ السَّقْمِ أَرْكَانِي
 (٣) وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى السَّيْنِ أَسْأَلُهَا * أَسَوْفْتُ أَمْ أَمَدْتُ حُرَّ أَصْفَانِي
 (٤) شَاهَدْتُ مَصْرَعَ أَتْرَابِي فَبَشَّرَنِي * بِضُجْعَةٍ عِنْدَهَا رَوْحِي وَرَيْحَانِي
 كَمْ مِنْ قَرِيبٍ نَأَى عَنِّي فَأَوْجَعَنِي * وَكَمْ عَزِيزٍ مَضَى قَبْلِي فَأَبْكَانِي
 (٥) مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنْ قَوْمِي فَلَهُمْ * وَلَوْ سِرَامًا وَخَلَوْا ذَلِكَ الْوَانِي
 إِنِّي مَلَيْتُ وَقُوفِي كُلَّ آيَةٍ * أَبْكِي وَأَنْظِمُ أَحْزَانًا بِأَحْزَانِ
 إِذَا تَصَفَّحْتَ دِيْوَانِي لَتَقْرَأَنِي * وَجَدْتَ شِعْرَ الْمَرَاثِي نِصْفَ دِيْوَانِي
 (٦) أَتَيْتُ مُسْتَشْفِيًا وَالشُّوقُ يَدْفَعُ بِي * إِلَى رَبَائِكُمْ وَعُودِي غَيْرُ فَيْتَانِ
 (٧) فَأَنْزِلُونِي مَكَانًا أَسْتَجِمُّ بِهِ * وَيَجْعَلِي عَنْ قُوَادِي بَرْحُ أَحْزَانِي
 (٨) وَجَنِّبُونِي عَلَى شُكْرِ مَهَائِدِكُمْ * بِمَا حَوَتْ مِنْ أَفَاوِيهِ وَالْوَانِ
 حَسْبِي وَحَسْبُ النَّهْيِ مَا نَلَيْتُ مِنْ كَرِيمٍ * قَدْ كِدْتُ أَنْسَى بِهِ أَهْلِي وَخُلَانِي

(١) الرِّجْسُ : النجس . والدَرَنُ : الدنس . ونوح ، هو نوح النبي عليه السلام ، وقصة الطوفان في عهده معروفة ، ورد ذكرها في القرآن . ويشير بهذا البيت الى قول أبي الملاء :

والأرض للطوفان مشتاقة * لعلها من درن تغسل

(٢) جازتني : خلفتني وتركتني . (٣) حر كل شيء : خالسه . (٤) الروح : الراحة .

(٥) الواني : أي المتأخر منهم . (٦) غير فيتان ، يريد أن عوده ذابل ذاور . والفيتان من

النبات : ما طال منه وحسن . (٧) استجيم : استريح . والبرح : الأذى والسقم .

(٨) يريد «بالأفويده» : التوايل .

تهنئة محمد محمود باشا

بلقب دكتور الشرف في الحقوق التي منحه إياها جامعة أكفورد، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك

[نشرت في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٩م]

شَرَفُ الرَّاسَةِ يَا مُحَمَّدٌ زَانَهُ شَرَفُ النَّهْيِ
 بُرْدَانٍ مِنْ نَسِجِ الْجَلَا * لِإِلِيْهِمَا الْفَخْرُ أَتَيْتَ
 جَمَلًا مَقْرَرَكُ يَا مُحَمَّدٌ دُفُوقَ أَكْنَافِ السَّهْلِ^(١)
 زَانَتِكَ أَلْقَابُ الرَّجَا * لِ الْعَالَمِينَ وَزَيْتَهَا
 أُمْنِيَّةٌ قَدْ نَالَهَا * أَمَلُ الْخُلُودِ وَنَلَّتْهَا
 فَاسْلُكْ سَبِيلَكَ فِي إِلْهَامِهَا * دُمُوقًا وَمُتَرَّهَا
 وَأَحْفَظْ لِمَصْرَ حُقُوقَ مِصْرٍ * رَفَائَتَ فِي الْجُلَى لَهَا^(٢)

إلى الدكتور علي إبراهيم بك (باشا)

فالها وقد عمل الدكتور عملياً لصاحب الدولة محمد محمود باشا

[نشرت في ٢٥ يولييه سنة ١٩٣٠م]

أَيَا يَدَا قَدْ خَصَّاهَا رَبُّهَا * بَأَيَّةِ الْإِعْجَازِ فِي الْخَلْقِ
 وَمِشْرَطًا جَمَعَ مِنْ رَحْمَةٍ * وَصَيَّغَ مِنْ يَمِينٍ وَمِنْ رِيقِ
 نَجْمَتَيْنِ مِنْ مَرَضٍ قَاتِلٍ * مَطْلَعِ آمَالِ بَنِي الشَّرْقِ

(١) السهوى : كوكب خفى من بنات نعل الصغرى . (٢) الجلى : ما جل من الشداهد .

لَوْلَا كُنَّا لَأَتَدَنَّكَ صَرْحُ الْعُلَا * وَأَنَحَدَرَ الْبَدْرُ عَنِ الْأَفْقِ
وَبَاتَتْ الْأَخْلَاقُ فِي حَسْرَةٍ * عَلَى نَيْبِلِ النَّفْسِ وَالْخُلُقِ
صَانِكُ اللَّهِ لِبُرِّهِ الْوَرَى * وَصَانَهُ لِلْعُرْفِ وَالْحَقِّ^(١)

وقال فيه أيضا :

(ارتجلمها في حفل أقيم لتكريمه سنة ١٩٣٠م)

قُلْ لِلطَّبِيبِ الَّذِي تَعْمَوُ الْجُرُحُ لَهُ * مَاذَا أَعْتَدْتَ لِلْجُرْحِ الْعَاشِقِ الْعَانِي^(٢)
قَدْ كَانَ مَبْضَعُهُ وَأَجْرُهُ يَرْمُقُهُ * يَمْنَى الْحَبِيبِ ثَوَامِي صَدْرٍ وَلَهَانِ^(٣)

الى المستشار محمود غالب بك^(١)

والأستاذ أحمد لطفي السيد بك مدير الجامعة المصرية

[نشرت في ٣١ مارس سنة ١٩٣٢م]

قَدْ رَاعَ دَارَ الْعَدْلِ طُنْجُ * يَانُ وَرَاعَ الْجَامِعَةَ
خَمِيَّتًا حَرَمِيَّتًا * وَغَمَ الْخُطُوبِ الْفَاجِعَةَ

(١) العرف : الخبر والحدود . (٢) تعمر : تخضع وتذل . واعتدلت ، أى أهدت .
والعاني : الأسير . (٣) المبضع : المشرط . (٤) يشير الشاعر بهذه القصيدة الى حادثتين :
إحداهما ، أن محمود بك غالب (محمود باشا الآن) المستشار بحكمة الاستئناف كان رئيسا لإحدى دوائر
محكمة الجنات ، وقد عرضت على الدائرة التي يرأسها قضية القنابل المرفوعة ، اتهم فيها جماعة بالقاء
القنابل على بيوت بعض الكبراء ، واستمر غالب بك يتظر هذه القضية ثلاث جلسات ، فلما كانت الجلسة
الراية يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٣٢م تقضى عن النظر فيها ، وقال : إنه يرى من الحكمة أن يسلك عن ذكر
الأسباب التي حملت على هذا التنعى . وإنه لم يخضع في هذا إلا لسلطان ضميره . والثانية ، أن الأستاذ
أحمد لطفي السيد بك (لطفى السيد باشا الآن) مدير الجامعة كان قد استقال من منصبه في ٩ مارس سنة ١٩٣٢م
لنقل الدكتور (طله حسين) عميد كلية الآداب الى وزارة المعارف بדרن رضاء ، ودون رضا الجامعة .

(١)

وَقَهَرْتُمَا الْبَاغِيَ عَلَى * رَدِّ الْحُقُوقِ النَّاصِعَةِ

(٢)

لِلَّهِ دَرُّ الْمُسْتَشَا * وَوَدَّرُ ذَلِكَ الْبَاغِعَةَ

فَهُمَا اللَّذَانِ تَكْفَلَا * عَنَّا بِعَدِّ الْقَارِعَةِ

(٣)

نَظَرَ الْحَيَادُ بِعَيْنِهِ * فِي النَّاسِ هَوْلَ الْوَاقِعَةِ

(٤)

أَمْنِي الْمُحَايِدُ أَنْ بَرَى * مِصْرَ الْمِزِيَّةِ ضَارِعَةَ

كَذَبَ الْحَيَادُ فَلَنْ تَكُو * نَ جُهُودُ مِصْرٍ ضَائِعَةِ

(٥)

فَالْحَقُّ لَا تُلَوَّى بِهِ * تِلْكَ السُّيُوفُ اللَّامِعَةُ

أَصْبَحْتُ أَسْأَلُ خَاطِرِي * وَالنَّفْسُ مِنِّي جَارِعَةُ

أَنْعِيشُ تَحْتَ اللَّيْلِ أَمْ * تَحْتَ الشُّمُوسِ السَّاطِعَةِ

الى الدكتور طه حسين

أنشدهما في حفل أقيم للدكتور فتنق مينا هاروس من طلبة الجامعة بعد فصله من منصبه

[نشر في ٧ أبريل سنة ١٩٣٢ م]

(٦)

قَدْ أَجْدَبَتْ دَارُ الْحِجَا وَالنَّهْيَ * بَعْدَكَ مِنْ آرَائِكَ النَّافِعَةَ

وَأَخْصَبَتْ أَرْجَاءُ مِصْرٍ بَيْنَ * صَيْرٍ مِصْرًا كُلِّهَا جَامِعَةَ

(١) النامة، أى الظاهرة التى لا ينع أحدنا نكرانها . (٢) الباقية : الذكى العارف ، الذى

لا يفوته شئ ولا يدعى . (٣) كنى « بالحباد » عن الإنجليز ، لأنهم كانوا فى هذا العهد يدعون أنهم على

الحباد فى الشؤون الداخلية فى مصر ، وأن المسئولية كلها على الوزراء المصريين . (٤) ضارعة : ذليلة .

(٥) أرى بالشئ : ذهب به . (٦) يريد « بدار الحجا والنهى » : الجامعة المصرية .

تهنئة المغفور له جلالة الملك فؤاد بعيد جلوسه

أَرَأَيْتَ رَبَّ التَّاجِ فِي * عِيدِ الْجُلُوسِ وَقَدْ تَبَدَّى ^(١)
 وَشَهِدْتَ جَبْرِيلاً يَمْدُّ * عَلَيْهِ ظِلَّ اللَّهِ مَدًّا
 وَنَظَرْتَ تَطَوَّافَ الْقُلُوبِ * بِبَسَاحَةِ الْعَرْشِ الْمُقَدَّى
 وَسَمِعْتَ تَسْبِيحَ الْوُفُوفِ * دِيحَمِيهِ وَقَدْ أَوْفَدَا
 هَذَا ابْنُ إِسْمَاعِيلَ رَبُّ * النَّيْلِ مَنْ أَغْنَى وَأَسَدَى ^(٢)
 النَّيْلُ يَجْرِي تَحْتَهُ * فَيَخُذُ وَجْهَ الْأَرْضِ خَذَا ^(٣)
 يَهْبُ النَّضَارَ كَأَنَّهُ * مِنْ فَيْضِ جَدَّوَاهِ أَسْمَدَا ^(٤)
 وَكَأَنَّمَا هُوَ حَالِمٌ * بِالْكَيمِيَاءِ أَصَابَ جَدَا ^(٥)
 يَدْعُ الثَّرَى تَبْرًا فَهَلْ * شَهِدَ الْوَرَى لِلنَّيْلِ نِذَا
 النَّاسُ يَوْمَ جُلُوسِهِ * يَسْتَقْبِلُونَ الْعَيْشَ رَغْدَا
 أَنَّى سَلَكَتَ سَمِعْتَ أَدَّ * عِيَّةَ لَهُ وَسَمِعْتَ حَمْدَا
 عِشْ يَا (أَبَا الْفَارُوقِ) وَالْ * بَسْ مِنْ تَسْبِيحِ الْحَمْدِ بُرْدَا
 هَا صَوْبُ الْجَنَانِ الْمَلِكِ مِنْ * شَجَرِ الْجَنَانِ إِلَيْكَ يُهْدَى ^(٦)

(١) تبدى : بدا وظهر . (٢) أسدى : أعلى . (٣) يخذه : يشق .

(٤) النضار : الذهب . والجدوى : العطية والمعروف . (٥) الجدة : الحظ .

(٦) الصوبجان : العصا المنطقية الرأس ؛ والجمع صوابجة ؛ وهو لفظ فارسي معرب ؛ ويقال :

صوبجان الملك ، لأن الملوك قديما كانوا يتخذونه شعارا للباك .

حَدَّثَ عَلَا صَيْدِ الْمُلُو * كِ وَلَا أَرَى لِعَمَلِكَ حَتَا ^(١)
 فَأَبِنَ الرَّحَالَ بِنَايَةً * يَشْقَى الْعَدُوَّ بِهَا وَيَرْدَى ^(٢)
 وَأَضْرِبَ بِسَوْطِ الْبَاسِ أَعْدَا * طَافَ الزَّمَانُ إِذَا اسْتَبَدَّ ^(٣)
 أَيُّ الْمُلُوكِ أَجَلٌ مِنْ * لَكَ مَكَانَةٌ وَأَعَزُّ جُنْدَا ؟
 مَنْ مِنْهُمْ كَفَّاهُ يَوْمَ * مَ الْبَذْلِ مِنْ كَفِّكَ أَنْدَى ؟ ^(٤)
 مَنْ مِنْهُمْ نَامَتْ رَعَا * نُهُ وَقَامَ اللَّيْلَ مُسْهَدَا ؟
 مَنْ مِنْهُمْ سَامَاكَ أَوْ * سَامَى جَلَالُكَ أَوْ تَحَدَّى ؟ ^(٥)
 مَنْ مِنْهُمْ أَوْفَى حِجَا * وَحَصَانَةً وَأَبْرُوعَدَا ؟ ^(٦)
 فِي الشَّرْقِ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى * حَسْبَا (كَإِسْمَاعِيلَ) عُدَا ؟
 هُنْدَى (الْجَزِيرَةُ) وَالْعِرَا * قُ (وَفَارِسُ) يَهْدُنْ هَذَا ^(٧)
 وَإِلَيْكَ (مَكَّةَ) هَلْ تَرَى * أَحَدًا بِهَا وَإِلَيْكَ (تَجِدَا)
 وَإِلَيْكَ (تُونُسَ) وَالْجَزَا * رِ (قَدْ لَيْسَنَ الْعَيْشَ نَكْدَا
 لَمْ يَرْتَفِعْ فِي الشَّرْقِ نَا * جُ فَوْقَ تَاجِ (النَّبْلِ) مَجْدَا
 جَدَّدْتَ عَهْدَ (الرَّاشِدِ) * نَ (نَ) تُقِي وَإِحْسَانًا وَزُهْدَا
 وَنَرَى عَلَيْكَ تَخَالِإِل * خُلَفَاءَ إِنْصَافًا وَرُشْدَا

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو المتكبر المزهو . (٢) يردى : يهلك . (٣) الأعطاف : الجوانب ،

الواحد عطف (بالكسر) . (٤) أندى : أمتنى . (٥) ساماك ، أى غالبك فى السموة . وتحداك : تازلك

الغلبة . (٦) الحجا : العقل . والحصانة : جودة الرأى . (٧) يهتدون هذا ، أى أن أركان العمران تتداعى فيها .

- (١) جَلَّتْ صِفَاتُكَ، كَمْ حَوَّ * تَ أَسَى وَكَمْ أَوْرَيْتَ زُنْدًا
(٢) أُعْطَيْتَ لَا مُتَرَبِّحًا * أَوْ مُخْفِيًا فِي الْجُودِ قَصْدًا
(٣) رَوَيْتَ أَفْئِدَةَ الرَّعْبِ * يَدِي مِنْ هَوَاكَ فَكَيْفَ تَصْدِي
(٤) وَمَلَكْتُهُنَّ كَمَا مَلَكَ * تَ زِيَامَ (مُضَرٍّ) أَبَا وَجْدًا
فَإِذَا نَهَيْتَ فِطَاعَةً * وَإِذَا أَمَرْتَ فَلَا مَرَدًا
أَعْطَوْكَ طَاعَةَ مُخْلِصٍ * وَمَنْعَتْهُمْ عَطْفًا وَوَدًّا
(٥) أَوْضَحْتَ لِلْمُضَرِّيِّ نَهْجَ * سَبِيلِ صَلَاحِهِ فَسَعَى وَجْدًا
أَعْدَدْتَهُ وَكَفَلْتَهُ * وَرَعَيْتَهُ حَتَّى أَسْتَعْدَا
وَدَعَوْتَهُ أَنْ يَسْتَرِدَّ * نَفَارَ مُضَرٍّ فَاسْتَرَدَّا
وَرَدَّ الْحَيَاةَ عَزِيزَةً * فَنَجَا وَكَانَ الْمَوْتُ وَرْدًا
وَحَمَى الْكِفَانَةَ بَعْدَ مَا * حَفَرْتُ لَهَا الْأَطَاعُ حُدَا
(٦) فَتَّحَتْ أَعْيُنُنَا فَأَبَدَ * مَصْرَنَ الضِّيَاءِ وَكُنْ رُمْدًا
(٧) وَأَقَمْتَ جَامِعَةً بِمِصْرَ * مَرْتَشُدَّ أَزَرَ الْعِلْمِ شُدَا
(٨) كَمْ سَيِّدٍ بِالْعِلْمِ كَمَا * نَ بَرِّعِهِ لِلْجَهْلِ عَبْدًا

(١) الأسمى: الحزن. وإبراء الزند: كتابة عن لغظة الملهوف وإجابة السائل. والأصل في إيراد الزند، استخراج ناره. (٢) لا متربِّحاً، أى غير مترقب من وراء معروفك وإعطائك تفعلالك. (٣) تصدى: تظلماً. (٤) الزيام (بالكسر): ما تقاد به الدابة. (٥) النهج: الطريق. وجد: اجتد. (٦) الرمد: المصابة بالرمد، الواحدة رمداء. وكفى بذلك عن الجهل. و«بالضياء» عن العلوم والمعارف. (٧) تشد أزرد: تشد العلم، أى تقويه وتهضمه. (٨) يقول: كم من رجل سوده العلم وكان قبل ذلك على الرغم منه عبداً للجهل.

(١)
 وَرَفَعَتْ فِي ثَغْرِ الثُّغْوِ * رِيشَاتِ الْبَحْرِ بِنْدَا
 أَسَسَتْ مَدْرَسَةً تُعِيدُ * نَدُنَا بِمُلْكِ الْبَحْرِ عَهْدَا
 فَتَى أَرَى أُسْطُولَ مِصْرَ * حَرِيْشٍ فَوْقَ الْبَحْرِ رَعْدَا
 وَمَتَّى أَرَى جَيْشَ الْبِلَا * دِيْسُدَّ عَيْنَ الشَّمْسِ سَدَا
 وَنَظَرْتُ فِي الطَّيْرَانِ نَظْرَ * رَعَّةٍ مُصْلِحٍ لَمْ يَأَلْ جُهْدَا
 أَعْدَدْتَ عُدَّتَهُ وَلَمْ * تَرَمْنِهِ لِلْأَوْطَانِ بُدَا
 أَعْظَمُ بِأُسْطُولِ الْهَوَا * إِذْ أَنْبَرَى فِطَا وَشَدَا
 مَنْ رَأَاهُ يَوْمَ التَّرَا * لِي رَأَى النُّسُورَ تَصِيدُ أَسَدَا
 وَتَرَاهُ عِنْدَ السَّلِيمِ سِرَ * بَأٍ مِنْ طَوَاوِيسَ تَبْدَى
 وَطَوَائِفَ الْعَمَالِ كَمَ * أَوْلَيْتَهَا رِفْدًا فِرْفِدَا
 مَنْ ذَا يُطِيقُ لَبِيعُ مَا * أَصْلَحَتْ أَوْ أَسَدَيْتَ عَدَا
 دُمُ يَا (فُؤَادُ) مُؤَيَّدَا * بِالْمَالِ وَالْأَرْوَاحِ تُقْدَى
 وَأَعِدْنَا عَهْدَ الْمُعِزِّ * نَزَّ الْفَاطِمِيُّ فَأَنْتَ أَهْدَى

(١) يريد «بشر الثغور» الاسكندرية . والمنشآت : السفن . والبند : العلم الكبير ، فارسي . يشير إلى مدرسة البحرية التي أنشأها المغفور له الملك فؤاد الأول . (٢) لم يأل : لم يقصر . وفي عهد المغفور له الملك فؤاد الأول نظمت مصر الطيران ، وأنشأت أول أسطول جوي . (٣) راءه : رآه . والزال : الحرب . (٤) السرب : جماعة الطير . والمعنى أن هذه الطائرات في أيام السلم تشبه الطواويس في الإعجاب بجمالها والاختيال بحسبها . (٥) الرند : العطاء والعدة . يشير إلى ما ناله قبايات العمال في عهد جلالة من تأييد ومساعدات . (٦) كان «الجزء» رابع خلفاء الدولة الفاطمية ، ولحق الخلافة سنة ١٠٣٤ . وتوفي سنة ١٠٣٦ . وفي أيامه دخل الفاطميون مصر ، وكان عهده من أزهى عصورها وأزهرها .

تهنئة لصاحب السعادة نجيب الهلالي بك

قال هذين البيتين مرتجلاً عند ما تولى وكالة المعارف للتعليم الفني والفنون الجميلة سنة ١٩٢٩ م

أَصْحَى (نَجِيبٌ) وَيَكَلَّا * لَنَا وَقَمَ الْوَكِيلُ

فَلْيَنْعَمِ الشَّعْرُ بَالًا * فَالشَّعْرُ فَنٌ بَجِيلُ

التقریظات

تقریظ كتاب "فحول البلاغة" لمؤلفه السيد توفیق البكری^(١)

[نشر هذان البيتان في سنة ١٣١٢ هـ]

هَذَا كِتَابٌ مَدَّ بَدَا سِرُّهُ * لِلنَّاسِ قَالُوا : مُعْجَزٌ ثَانِي

أَتَأْبَاكَ اللَّهُ عَلَى جَمْعِهِ * ثَوَابَ (عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ)^(٢)

تقریظ "جريدة مصباح الشرق" لصاحبها إبراهيم المويلحي بك^(٣)

أَهْلَ الصَّحَافَةِ لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ * فَسَأَوْكُمُ قَدْ زَانَهَا (المصباح)

الْحَقُّ فِيهِ زَيْتُهُ، وَفَيْتِلُهُ * صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَنُورُهُ الْإِصْلَاحُ^(٤)

(١) ولد السيد توفیق البكری في سنة ١٨٧٠ م، وقد كان تقياً للأشراف ومشيعاً للطرق الصوفية، كما كان عضواً بمجلس شورى القوانين. وكان يجيد اللغتين الفرنسية والإنجليزية فوق إجادته للعربية التي عد فيها من أئمة الأدب والبيان. وقد أنعم عليه السلطان عبد الحميد، وسمي الخديوي السابق بكثير من الأوسمة. وله غير هذا الكتاب، صاريح الزلزل، وأراجيز العرب، والمستقبل للاسلام؛ وتوفي رحمه الله يوم السبت ١٢ السبب ١٩٣٢ م. (٢) خص «عثمان بن عفان» بالذكر لأنه هو الذي نال ثواب جمع القرآن. (٣) مصباح الشرق: صحيفة سياسية أدبية، وكانت تصدر في كل أسبوع في مصر، أنشئت في (سنة ١٣١٥ هـ) (سنة ١٨٩٨ م) واحتجبت في (سنة ١٣٢١ هـ)، (سنة ١٩٠٣ م). (٤) القليل: جمع قليلة، وهي ذبالة المصباح.

تقريظ ديوان الشاعر الكاتب مصطفى صادق الرافعي

(سنة ١٣٢١ هـ - سنة ١٩٠٤ م)

- (١) أَرَاكَ - وَأَنْتَ تَبْتُ الْيَوْمَ - تَمْشِي * بِشِعْرِكَ فَوْقَ هَامِ الْأَوَّلِينَ
(٢) وَأَوْتَيْتَ النُّبُوَّةَ فِي الْمَعَانِي * وَمَا دَانَيْتَ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ
(٣) فَرِنْ تَاجَ الرَّأْسَةِ بَعْدَ (سَامِي) * كَمَا زَانَتْ فَرَائِدُهُ الْجَبِينَ
(٤) وَهَذَا الصُّوْبُلَانُ فَكُنْ حَرِيصًا * عَلَى مُلْكِ الْقَرِيضِ وَكُنْ أَمِينًا
(٥) فَحَسْبُكَ أَنْ مَطْرِيكَ (أَبْنُ هَانِي) * وَأَنْتَ قَدْ غَدَوْتَ لَهُ قَرِينًا

(١) الهام : الهمس ، الواحدة هامة .

(٢) يشير بهذا الى ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله : بعثت على رأس الأربعين .

(٣) يريد « بسامي » : المرحوم محمود سامي البارودي باشا . انظر التعريف به في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٧ . وفرائد التؤلؤ : يتأمله التي لاتواثم لها .

(٤) الصوبلجان (في أصل معناه) : العصا المعوجة من طرفها ؛ وهو لفظ فارسي معرب ، ويقال : صوبلجان الملك ، لأن الملوك كانوا في القديم يتخذونه علامة على توليهم الملك .

(٥) مطريك : مادحك . ويريد « بآبن هاني » : المرحوم أحمد شوقي بك ، وكان يلقب بآبن هاني ، وسمي داره بالمطرية : كرامة ابن هاني تشبها (بالحسن بن هاني) المعروف بآبن نواس .

تهنئة المؤيد بداره وبمظهره الجديدين

[نشرت في ٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦م]

(١)
أَحْبَبْتَ مَيِّتَ رَجَائِنَا بِصَحِيفَةٍ * أَتَى عَلَيْهَا الشَّرْقُ وَالْإِسْلَامُ
(٢)
أَصْحَحْتَ مُصَلَّى اللَّبْلَاغَةِ عِنْدَمَا * تَجَدَّتْ بِرَحْبٍ فَنَائِهَا الْأَقْلَامُ
فَلَى مُؤَيِّدِكَ الْجَمْدِيدِ تَحِيَّةٌ * وَعَلَى مُؤَيِّدِكَ الْقَدِيمِ سَلَامُ

تقريظ "حديث عيسى بن هشام"

(٣)
لصاحبه محمد المويلحي بك

[نشر في أول مارس سنة ١٩٠٧م]

قَلَمٌ إِذَا رَكِبَ الْأَنَامِلَ أَوْ جَرَى * تَجَدَّتْ لَهُ الْأَقْلَامُ وَهِيَ جَوَارِي
(٤)
يَخْتَالُ مَا بَيْنَ السُّطُورِ كَضَيْغِمٍ * يَخْتَالُ بَيْنَ عَوَامِلٍ وَشِفَارِ
(٥)
تَأْوِي الطَّبَاءُ إِلَيْهِ وَهِيَ أَوَانِسُ * وَتَحِيدُ عَنْهُ الْأَسَدُ وَهِيَ ضَوَارِي

- (١) يخاطب بهذا البيت وما بعده صاحب المؤيد وهو الشيخ علي يوسف . (٢) الفناء (بكر الفاء) : الساحة أمام البيت . (٣) هو محمد بك ابن إبراهيم بك المويلحي ؛ ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٨م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم تولّى عدة مناصب في الحكومة المصرية ، واشترك في تحرير عدة صحف ، وكان هو وأبوه إبراهيم بك من أعلام الكتاب المشهورين في مصر إذ ذاك ، وهما صاحبا صحيفة مصباح الشرق . ومحمد بك المويلحي ، هو مؤلف كتاب عيسى بن هشام ؛ وتوفي يوم السبت أول مارس سنة ١٩٣٠م . (٤) الضيغ : الأسد ؛ ويريد به هنا : الشجاع . والعوامل : صدور الريح ، الواحد عامل . والشفار : جمع شفرة ، وهي حدّ السيف . (٥) الضواري : المدرّبة على الصيد والاقتراس . يريد أن هذا القلم إذا رُق ولطف أنست إليه الطباء ؛ وإذا قسا : خافته الآساد .

(١) ما حال خُلُقِ الْمَاءِ بَيْنَ سَطْوَرِهِ * إِلَّا إِلَى خُلُقِ الزَّادِ الْوَارِي
 فَإِذَا رَضِيتَ فَأَحْرَفُ مِنْ رَحْمَةٍ * وَإِذَا غَضِبْتَ فَأَحْرَفُ مِنْ نَارِ
 يَابْنَ الَّذِي غَنَى الْبِرَاعُ بِكَفِّهِ * فَصَبَّتْ إِلَيْهِ مَسَامِعُ الْأَقْدَارِ
 لَكَ فِي دَمِي حَقٌّ أَرَدْتُ وَفَاءَهُ * يَوْمَ الْوَفَاءِ فَقَصَرْتُ أَشْعَارِي
 لَمْ يُنْسِنِي مَرُّ الزَّمَانِ وَلَمْ يَزَلْ * حِفْظُ الْوِدَادِ سَجِيَّتِي وَشِعَارِي
 هَذَا كَلَامُكَ قَدْ حَكَتْ آيَاتُهُ * آيَاتِ مُوسَى التَّسْعِ فِي الْإِكْبَارِ
 تَسْعَ الْحَرِيرِ أَبُوكَ تَسْعَ نَجَارِهِ * وَتَسَجَّتْ أَنْتَ حَرَارُ الْأَفْكَارِ
 فَإِذَا نَثَرْتَ عَلَى الصَّبِيغَةِ خُثْثَهَا * غَرَسْنَا أَلْحَ عَلَيْهِ صَوْبُ قَطَارِ

(١) ما حال ، أى ما تحول . ويريد « بخلق الماء » : الزفة والمذربة . و « بخلق الزناد » : ما فيه من التوقد والالتهاب . والزناد الوارى : الذى خرجت ناره .

(٢) صبت : مالت . (٣) كان المدح كثير الإغداق على حافظ ، فهو إلى ذلك يشير بهذا البيت . (٤) آيات موسى التسع ، أى معجزاته ، وهى مذكرة كلها فى القرآن ، قال الله تعالى فى سورة الإسراء : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) الآية .

(٥) النجار : الأصل والمختد . ويشير بهذه العبارة إلى أن أبا المدح وهو إبراهيم بك المولى كان من كبار تجار الحرير بمصر ، وكان شريكا فى هذه التجارة لأخيه عبد السلام المولى باشا م المدح وقد أخطأهما التوفيق فى تجارتها ، فدالهما يد المساعدة المتفورة لإسماعيل باشا الخديوى ، واختصما بجهلها وحدهما المقدمين لجميع ما يلزم للبيت الخديوى من أنواع الحرير ، واتصدى به فى ذلك مرأة مصرو وجهاؤها ، فصلحت حالها بعد ذلك .

(٦) إلح السحاب على النبات : دام مطره عليه . والقطار : الأمطار ، الواحد قطر (فتح فسكون) . يريد تشبيه ما يكتب فى صحفه بأنواع الزهر النض المترعرع مما توالى عليه من الأمطار . وفى الديوان المطبوع : « نثار » مكان « قطار » .

(١) يا صاحِبَ المِصْبَاحِ ما ذَنْبُ التَّهْيِ * حَتَّى سَجَّتَ مَطَالِيعَ الْأَنْوَارِ
 (٢) قَدْ كُنْتَ تَهْدِيهَا السَّبِيلَ بَصُوْنِهِ * فَتَرَكْتَهَا فِي ظُلُمَةٍ وَعِشَارِ
 باتت تُرَجِّي مِنْكَ عَوْدَةَ غَائِبِ * نُورُ البَصَائِرِ فِيهِ وَالْأَبْصَارِ
 (٣) وَشِمَائِلَ الْفِكْرِ الَّتِي أَرْسَلْتَهَا * حِكْمًا فَاعْتَبَهَا عَنِ الْأَسْفَارِ
 (٤) فَاشْرَعْ يَرَامَكَ يَا (مُحَمَّدُ) إِنَّهُ * نَارُ اللَّثَامِ وَجَنَّةُ الْأَخْصَارِ
 (٥) وَأَبْعَثْ لَنَا (عِيسَى) فَهَذَا وَقْتُهُ * فَالْنَّاسُ بَيْنَ مُخَادِعِ وَمُوَارِي
 (٦) وَمُطَاوِيلِ فِي الْكَاتِبِينَ وَمُدَّعِ * فِي الْعَالَمِينَ وَمَوْلَعِ بِفَخَارِ
 (٧) أَمِنُوا يَرَامَكَ حِينَ طَالَ سُكُونُهُ * فَتَطْلَعُوا لِمَرَاتِبِ الْأَفْئَارِ
 (٨) إِنِّي لَا نَظِّمُ مَا تَنَزَّتْ وَإِنْ يَكُنْ * نَثْرُ النُّظِيمِ مَطِيَّةَ الشَّارِ

- (١) قد سبق التعريف بصحيفة «مصباح الشرق» في الحاشية رقم ١ من صفحة ١٤٩ من هذا الجزء .
 (٢) تهديها أى تهدي التهى . (٣) الأسفار: الكتب ، الواحد سفر (بكسر السين وسكون الفاء) .
 (٤) اشرع يراعك ، أى سدد قلبك وصوبه نحو الأغراض السامية . (٥) يريد كتاب عيسى ابن هشام . ويشير بذلك إلى ما ورد من أن نبي الله عيسى عليه السلام سيعود في آخر الزمان لهداية الناس .
 والموارى : الدارى الذى يطن خلاف ما يظهر . (٦) المطاول : المفاخر . والعالمين : جمع عالم (بكسر اللام) فهما . (٧) يقول : ان هؤلاء المدعين قد آمنوا بطش قلبك بهم حين احتجبت بصيفتك فطلعوا الى المراتب العالية التى لم يكونوا ليتطلوها اليها لو أنك دائب على الكتابة . (٨) يقول : إن شعرى فى الحقيقة ليس إلا نظما لما تنثر ، فهو مقتبس من وحى قلبك ، وإن تكن عادة الكتاب ثر ما ينظم الشعراء .

تقريظ كتاب مرآة العروض

المطبع سنة ١٣٣٥ هـ تأليف الشيخ أحمد عثمان المحرزي القافضى الشمرى

(١)
(عُثْمَانُ) إِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مُوقَّعًا * شَرَوَى سَمِيكَ جَامِعَ التَّزْيِيلِ
جَمَعْتَ أَشْنَاتَ الْقَرِيضِ وَزِدْتَهُ * حُسْنًا هَذَا الشَّرْحَ وَالتَّذْيِيلِ
وَجَلَوْتَ (مِرْآةَ الْعُرُوضِ) صَفِيْلَةً * لِلنَّيْلِ فَاسْتَوْجِبْتَ شُكْرَ النَّيْلِ

تقريظ صحيفة كوكب الشرق

لصاحبها محمد حافظ عوض بك

[نشر هذا البيان في أول عدد صدر منها في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م]

يَا كَوْكَبَ الشَّرْقِ أَشْرِقْ * فَالْحَادِثَاتُ تَجِدُ
لَا تَحْشَ طَالِعَ سُوءٍ * فَكَوْكَبُ الشَّرْقِ سَعْدُ

تهنئة المقتطف بعيدها الخمسيني

[نشرت في أول يونيو سنة ١٩٢٦ م]

(٢) شَيْخَانِ قَدْ خَبَرَا الْوُجُودَ وَأَدْرَكََا * مَا فِيهِ مِنْ عِلٍّ وَمِنْ أَسْبَابِ
(٣) وَأَسْتَبْطْنَا الْأَشْيَاءَ حَتَّى طَالَعَا * وَجَهَ الْحَقِيقَةِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
(٤) نَحْسُونَ عَامَا فِي الْجِهَادِ كَلَامُهَا * شَاكِيَ الْبِرَاعَةِ طَاهِرُ الْجَلْبَابِ
لَا تَعْجَبُوا أَنْ خَضَبَا قَلَمَيْهِمَا * وَبَيَاضُ شَيْبِهِمَا بَغِيرُ خَضَابِ
فَلِكُلِّ حُسْنٍ حَلِيسَةٌ يُزْهِى بِهَا * وَأَرَى الْبِرَاعَةَ حَلِيسَةَ الْكُتَابِ
إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْبِرَاعَةِ فِي يَدِي * لِحَسْبَتُهَا فِي الْقَدْرِ عُودَ ثِقَابِ
وَنَظَرْتُهَا تَنْقُضُ مِنْ كَفِّهِمَا * فَوْقَ الطُّرُوسِ نِفْثَهَا كِشَابِ
(٥) يُزْهِى مُدْبِجُنَا بَرْخٍ وَاحِدٍ * وَأَرَاهُمَا لَا يُزْهِيانِ بَغَابِ
(٦) مُتَوَاضِعَانِ وَلَا أَرَى مُتَكَبِّرَا * غَيْرَ الْجَهْلُولِ مُدَسِّسَا بِالْعَابِ

- (١) أنشئت هذه المجلة في سنة ١٨٧٦ م وكان مقرها أولا سورية ، ثم انتقلت إدارتها الى مصر في سنة ١٨٨٥ م . (٢) يريد « بالشيخين » : الدكتور فارس نمر ، والدكتور يعقوب صروف ؛ أما الأول منها فهو العالم السوري المعروف عضو مجمع اللغة العربية الملكي في مصر ، ومنشئ مجلة المقتطف وريدة المقطم مشتركا مع صاحبه السابق ذكره في كلتا الصيغتين . أما الثاني فهو الدكتور يعقوب صروف ، فولد بلبان في سنة ١٨٥٢ م وكان الدكتور مقطعا الى تحرير المقتطف ، وانقطع الدكتور نمر الى تحرير المقطم ؛ وكانت وفاة الدكتور صروف في سنة ١٩٢٧ م . (٣) استبطننا الأشياء : اختبرا بباطنها . (٤) شاكي البراعة ، أى ذو شوكة وحدة في قلبه . (٥) المدبجج : لابس السلاح . والغاب : جمع غابة ، وهى الشجر الكثير . ويطلق أيضا على القصب القارسي تتخذ من الأقلام . والشاعر يوسى الى المعنيين . (٦) الغاب والعيب ، كلاهما بمعنى واحد .

- (١) يَجْأَذِبُ الْقَطْرَانِ مِنْ قَضَلَيْهِمَا * ذَيْلَ الْفَخَّارِ وَلَيْسَ ذَا بَعْجَابِ
فَهُمَا هُنَا عَلَمَانِ مِنْ أَعْلَامِنَا * وَهُمَا هُنَا لِكَ نُجْبَةِ الْأَنْجَابِ
(٢) جَا زَا مَدَى السَّبْعِينَ لَمْ يَتَوَانِيَا * عَنْ وَصْلِ حَمْدٍ وَاجْتِنَابِ سَبَابِ
(٣) نَسَبَاهُمَا قَلْبَاهُمَا فَلَيْسَ حَبَابًا * ذَيْلًا عَلَى الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ
(٤) قَلَمَانِ مَشْرُوعَانِ، فِي شَقِيهِمَا * وَحَى يُفِيضُ عَلَى أُولَى الْأَبَابِ
(٥) مُتَسَانِدَانِ إِذَا الْخُطُوبُ تَأَلَّتْ * مُتَعَانِقَانِ تَعَانِقُ الْأَجَابِ
(٦) نَفَحَاتُ (آذَارِ) إِذَا لَمْ يُظْلَمَا * فَإِذَا هُمَا ظُلُمَا فَلَفَحَةً (آبِ)
(٧) مَا سَوْدًا بَيَضَاءً إِلَّا بَيَضًا * بِالكَاتِبَيْنِ صَحِيفَةَ الْإِنْعَابِ
(٨) لَلْقَيْصِدِ الْأَسْمَى لَدَى حَرَمِ النَّبِيِّ * رَفَعَا قِبَابًا حُورِجَتْ بِقِبَابِ
(٩) خَطَا بِمُقْتَضِ الْمُلُومِ بَدَائِعًا * وَرَوَائِعًا بَقِيَتْ عَلَى الْأَحْقَابِ
جَاءَ لَنَا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ نَافِعٌ * أَوْ كُلِّ فَنٍّ مُتَمِّعٌ بِلُبَابِ
فِي كُلِّ لَفْظٍ حِكْمَةٌ بِجَلْوَةٍ * وَبِكُلِّ سَطْرِ مَهِيظٌ لِصَوَابِ

- (١) القطران : مصر وسورية . (٢) جازا : جازا . والمدي : النهاية .
(٣) يقال : سحب الذيل على كذا ، أى أنه لم يحفل به ولم يأبه له . (٤) مشروعان ، أى
مصريان مسددان . (٥) تألّت : تجمت وتضافرت . (٦) آذار وآب : شهران من شهور
السنة المسيحية معروفان ، وتكثر الأزهاري الأول ، ويشتهل الحزفي الثاني : واللمعة من قولهم : لقمته النار
والسوم (فتح السين) : أى أحرته بحزها . (٧) بالكاتين : متعلق بقوله بد : «الإعجاب» .
أى لم يكتبها بالمداد الأسود صحيفة بيضاء إلا كتبها عند قرائتها صحيفة أخرى ملوثة بالإعجاب بها .
(٨) قبايا حورجت بقباب ، أى متصلة بعضها ببعض . (٩) الروائع من الأشياء :
ما أعجبك بحسبها . والأحقاب : الدهور .

فَالْقَطْرُ فِيهِ مُقَوِّمٌ بِصِحْفَةٍ * وَالسَّطْرُ فِيهِ مُقَوِّمٌ بِكَلْبٍ
 (١)
 دَانِي الْقُطُوفِ كَرِيمَةٍ أَفْيَاؤُهُ * عَذْبُ الْوُرُودِ مُفْتَحُ الْأَبْوَابِ
 (٢)
 ذُلُّ مَسَالِكِهِ فَأَنَّى جَنَّتِهِ * أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ فِي قَسِيحِ رِحَابِ
 (٣)
 نُسَابِقُ الْأَقْلَامِ فِيهِ وَلَا تَرَى * مِنْ عَائِرِ فِيهَا وَلَا مِنْ نَابِ
 (٤)
 كَمْ مِنْ يَرَاعَةِ كَاتِبٍ جَالَتْ بِهِ * وَلُعَابُهَا فِي الطَّرْسِ حُلُو رُضَابِ
 (٥)
 كَمْ مِنْ سُؤَالٍ فِيهِ كَانَ جَوَابُهُ * إِهْلَامَ نَائِفَةٍ وَفَضْلَ خِطَابِ
 (٦)
 كَمْ فِيهِ مِنْ نَهْرٍ جَرَى بِطَرِيقَةٍ * تَرِدُ النَّهْيَ مِنْهُ أَلَذُّ شَرَابِ
 (٧)
 وَقَفَّتْ سُقَاةُ الْفَضْلِ فِي جَنَابَتِهِ * تُرْوِي النُّفُوسَ بِمُتَرَجِّ الْأَكْوَابِ
 (٨)
 مَاذَا أَعَدُّ وَهَذِهِ آيَاتُهُ * فِي الْعَدِّ تُعْجِزُ أَمْهَرُ الْحُسَابِ
 (٩)
 قَدْ نُسِّقَتْ وَتَأَلَّقَتْ فَكَانَتْهَا * فِي الْحُسْنِ مِثْلُ تَأَلِّفِ الْأَحْزَابِ
 (١٠)
 وَتَرَى تَهَافُتَنَا عَلَيْهِ وَحِرْصَنَا * فَتَخَالُ فِيهِ مَقَاعِدُ النُّوَابِ
 (١١)
 يَأْتِرُوهَ الْقُرَاءُ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ * فَضْلٍ وَمِنْ حِكْمٍ وَمِنْ آدَابِ
 (١٢)
 الشُّرُقُ أُثْبِتَ يَوْمَ عِيدِكَ أَنَّهُ * مَا زَالَ فِي رِيٍّ وَخِصْبٍ جَنَابِ

- (١) الأنياء: الظلال، ويريد بقوله: «داني القطوف» قرب مأخذه وسهولة الاستفادة من بحوثه.
 (٢) ذلل مسالكه: سهلة مهدة. (٣) نأ ينفو: كل وأرشد عن المقصد. (٤) اللعاب: الريق.
 ويريد به هنا: المداد، والرضاب: لعاب العسل. (٥) النهر: يجري الماء المعروف، ويومئ به
 إلى العمود من الصحيفة، وهو استعمال صحفي معروف في هذا العصر. (٦) المترج: الملوغ.
 (٧) نسقت: نظمت. ويشير الشاعر بالتشبيه الذي في هذا البيت إلى ما كان في هذا العهد الذي أنشئت فيه
 هذه القصيدة من تألف الأحزاب المصرية واجتماعها بعد الانقراق، وتكوين وزارة وبرلمان أثلاثين.

عَادَتْ سَمَاءُ الْفَضْلِ فِيهِ فَأَطْلَعَتْ * زُهْرًا مِنَ الْأَعْلَامِ وَالْأَفْطَابِ ^(١)
 الْعِلْمُ شَرَفِي تَعَاوَلَ أَهْلُهُ * عَنْهُ فَعَاقَبَهُمْ بِطَوِيلِ غِيَابِ
 وَتَنَبَّهُوا لِمُصَابِيهِمْ فَتَضَرَّعُوا * فَقَعَا وَعَاوَدَهُمْ بِغَيْرِ عِتَابِ
 فَتَذَوَّقُوا طَعْمَ الْحَيَاةِ وَأَدْرَكُوا * مَا فِي الْجَهْلَالَةِ مِنْ أَدَى وَتَبَابِ ^(٢)
 الْعِلْمُ فِي الْبَاسَاءِ مُزْنُهُ رَحْمَةٌ * وَالْجَهْلُ فِي النَّعَاءِ سَوَاطِ عَذَابِ ^(٣)
 وَلَعَلَّ وَرَدَ الْعِلْمُ مَا لَمْ يَرَعَهُ * سَاقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَرَدَّ سَرَابِ ^(٤)
 إِنِّي قَرَأْتُكَ فِي الْكُھُولَةِ وَالصَّبَا * وَمَلَأْتُ مِنْ ثَمَرِ الْعُقُولِ وَطَائِي
 وَأَتَيْتُ أَقْصَى بَعْضَ مَا أَوْلَيْتَنِي * وَأَقُولُ فِيكَ الْحَقَّ غَيْرُ مُحَايِ
 لَوْ كُنْتُ فِي عَهْدِ الْفُتُوَّةِ لَمْ أَزَلْ * لَوْ هَبْتُ لِلشَّيْخَيْنِ بُرْدَ شَبَابِي
 لَكُنِّي أَبْلَيْتُهُ وَطَوَيْتُهُ * وَتَخَذْتُ مِنْ نَسِجِ الْمَشِيبِ ثِيَابِي ^(٥)
 وَأَرَى رِكَابِي حِينَ شَابَتْ لِمَتِي * يَحْتَنُهَا سَفَرٌ بِغَيْرِ إِيَابِ
 (بَعْقُوبُ) إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَلَمْ تَزَلْ * فِي الْعِلْمِ لَا تَزْدَادُ غَيْرَ تَصَابِي
 لَأَحْتِ بِرَأْسِكَ هَزْزَةً وَلَعَلَّهَا * مِنْ وَقَعِ فِكْرِكَ لَا مِنْ الْأَعْصَابِ ^(٦)
 فَكَّرَ سَرِيعٌ كَرَّهُ مُتَدَفِّعٌ * كَتَدَفَّعَ الْأَمْوَاجَ فَوْقَ عُبابِ
 لَا يَسْتَقِرُّ وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ * أَنْ يَنْتَنِي عَنْ جَيْتِهِ وَدَهَابِ

(١) الزهر : النجوم . (٢) الباب : النقص والخسران . (٣) المزة : السحابة المنقلة بالماء . (٤) الوطاب : جمع وطب ، وهو في الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد هنا : أنه ملا فكره وقسه . (٥) اللة : الشعر المجاور لشفة الأذن . ويحتنأ : يسرع بها . ويريد « بالسفر » : الموت . (٦) الباب : معظم السيل .

- (١) أو أنها طرب بنفسك كلما * وفقت في بحث وكشف قهاب
 أو أنها استنكار ما شاهدته * في الناس من هوى وسوء مآب
 (٢) لم يلهك الإثراء عن طلب العلا * بالجد لا بتصيد الألقاب
 لك في سبيل العلم أجر مجاهد * والصبر أجر ملازم الحراب
 (٣) وإليك من جهد المقل قصيدة * يغنيك مخرجها عن الإسهاب
 (٤) لولا السقام وما أكلد من أسى * لثقت في هذا المجال صحابي

تقريظ كتاب "في ظلال الدموع"

لصاحبه محمد شوكت التوني

[نشر في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩م]

- قد قرأنا ظلالكم فاشتفتنا * برك الله في (ظلال الدموع)
 علمتنا لدى الأمى كيف تشفى * مرسلات الدموع داء الضلوع
 (٥) وأرتنا من الجديد بياناً * لم يكن قبلها كثير الشيوخ
 (٦) في طراز كأنما نسقته * من مجاني الربا بنان الربيع
 فعلى كاتب الظلال سلام * من حزين وبائس وصريع

- (١) أو أنها ، أى هزة رأسه . والقاب : الثام . (٢) الإثراء : كثرة الأموال . والجد :
 الاجتهاد . (٣) المقل : الفقير . والإسهاب : الإطالة . (٤) صحابي ، أى الذين تكلوا
 في هذا الحفل وأثنوا عليه ، وأجادوا القول فيكما . (٥) الجديد ، أى الأدب الجديد .
 (٦) نسقته : نظمته ، شبه بيانه بأزهار الربا في الربيع .

الأهـلـاء الجـمـعـيـن

قال في هجاء الجراند

[نشر في أول ديسمبر سنة ١٩١٧ م]

جراندٌ ما خُطَّ حرفٌ بها * لغيرِ تقرييقٍ وتضليل^(١)
يُخلو بها الكذبُ لأربابها * كأنها أول إبريل

في عيَاب كثير العيوب

[نشر في ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ م]

يا ساكنَ البيتِ الزجا * ج هِلتَ، لا ترمِ الحصوناً^(٢)
أرأيتَ قبلكَ عارياً * يبغي نزال الدارين^(٣)

في ملكٍ ضعيف الراي

لا تعجبوا فليكنكم لَبَّتْ به * أيديَ الطائنة وهو في تضليل
لأنِّي أراه كأنه في رُقعة الـ شـ طرنج أو في قاعة التمثيل

(١) أول إبريل : يوم يتلج فيه الكذب عند بعض الأفرنج ؛ وكذبة إبريل معروفة .

(٢) كنى بيت الزجاج عن كثرة عيوب هذا المهجور ، وأنه من اليسر على الناس فضيحه والخط من شأنه ، كما كنى بالحصون عن عكس ذلك . « وهلت » بالبناء للفاعل ، كما قاله بعض النحويين . وقال نعلب : القياس « هلت » بالبناء للجهول ، أي تكلتك أمك . (٣) الدارعون : لابسو الدروع .

في رجل عظيم البطن ضخيم البدن

عَظَلَتْ فَنَ الْكَهْرَبَاءِ فَلَمْ تَجِدْ * شَيْئًا يَعُوُّ مَسِيرَهَا إِلَّا كَمَا^(١)

تَسْرَى عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ لِحَظَةً * فَتَجُوبُهَا وَتَحَارُّ فِي أَحْشَاكَ^(٢)

وقال على لسان بعض المتصوفة^(٣)

[في محبوب فافر]

أَنْعَرِقُ الدَّفَّ لَوْ رَأَيْتُ شَكِيًّا * وَأَفُضُّ الْإِذْكَارَ حَتَّى يَغِيْبَ^(٤)

هُوَ ذِكْرِي وَقَبْلَتِي وَإِمَامِي * وَطَيْبِي إِذَا دَعَا زُنْتُ الطَّيِّبِ

لَوْ تَرَانِي وَقَدْ تَعَمَّدَتْ قَتْلِي * بِالتَّنَائِي رَأَيْتَ شَيْعًا حَرِيْبًا^(٥)

كَانَ لَا يَتَحَنَّنِي لَفَيْرِكَ إِجْلًا * لَا وَلَا يَسْتَهَيِّ سِوَاكَ حَيِّبًا

لَا تَعَيِّنْ يَا شَكِيبُ دَيْبِي * (إِنَّمَا الشَّيْخُ مِنْ يَدَبٍ دَيْبِي)^(٦)

كَمْ شَرِيتَ الْمُدَامَ فِي حَضْرَةِ الشَّيْءِ * يَخُجَّ جِهَارًا وَكَمْ سُقِيتَ الْحَلِيبَا

(١) الكهرباء : مقصور؛ وقد مدّه الشاعر هنا للضرورة . (٢) تسرى ، أى الكهرباء

والبسطة : الأرض . وتجوبها : تقطعها . يقول : إن أحشاه أوسع من الأرض مسالك .

(٣) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة في باب الهجاء لما تفيد من وصف هذا الصوفي بصفة فيحة؛

وهو ما يقصد إليه حافظ وإن كانت القصيدة في الغزل . (٤) شكيب : غلام تركى زعموا أنه كان

يمشقه هذا المتصوف . والدف (بالضم) أو (بالفتح) : والأثول أفصح ، نوع من الطبل معروف ، يضربون

عليه في اللهو وبعض حلقات الذكر . (٥) تعمدت : قصدت . والتنائى : التباعد . والحريب :

المسلوب . (٦) الديب : المشى على هيئة كثرى الشيخ ؛ ويستعمل في الزحف آنسلا .

والشطر الأخير من هذا البيت عجز بيت لشاعر قديم ، وصدره :

زعمنى شيخا ولست بشيخ * إنما الشيخ ... البيت

فَسَلُّوا سُبْحَتِي فَهَلْ كَانَ تَسْبِيحٌ * حَيَّ فِيهَا إِلَّا (شَكِيًّا شَكِيًّا)
 (١) وَإِذَا أَذَقَ الشُّبُوحَ غَرَامٌ * كُنْتُ فِي حَلَّةِ الشُّبُوحِ قَيْيَا
 عُدُّ إِلَيْنَا فَقَدْ أَطَلَّتِ التَّجَانِي * وَأَرْكَبِ الْبَرْقَ إِنْ أَطَقْتَ الرُّكُوبَا
 (٢) وَإِذَا خِفْتَ مَا يُخَافُ مِنَ الْيَمِّ فَرَشْنَا لَأَحْمَصَيْنِكَ الْفُلُوبَا
 (٣) وَدَعَوْنَا بِسَاطِ صَاحِبِ بَلْقِيدٍ * سَنَ فَلَبِّي دُعَاءَنَا مُسْتَجِيَا
 (٤) وَأَمَرْنَا الرِّيَّاحَ تَجَرِي بِأَمْرِ * مِنْكَ حَتَّى زَالَ مِنَّا قَرِيَا

فِي بَائِعِ كُتُبِ صَفِيْقِ الْوَجْهِ

أَدِيمُ وَجْهِكَ يَا زَيْنِدِيْقُ لَوْ جُعِلَتْ * مِنْهُ الْوَقَايَةُ وَالْأَجْلِيدُ لِلْكَتُبِ
 لَمْ يَلْهَئَهَا عَنْكَ بَوْتُ أَيْتِمَا تُرِكَتْ * وَلَا تُخَافُ عَلَيْهَا سَطْوَةُ اللَّهِ

فِيمَنْ كَثُرَتْ مَخَازِيهُ

هَذَا يَسْتَفِيْتُ الطَّرْسُ وَالنَّقْصُ وَالَّذِي * يَخْطُ وَمَنْ يَتَلَوُ وَمَنْ يَسْمَعُ
 مَخَازِيَهُ مَا أَدْرِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا * إِلَى الْحَمْدِ أَدْعِي أَوْ إِلَى الْوَمِّ أَدْفَعُ

- (١) أدقته المرض : أقتله وأضناه . (٢) اليم : البحر . والأخصص : مالا يمس الأرض من يامن القدم ؛ ويراد به القدم كلها كما هنا . (٣) بلقيس ، هي ملكة سبأ ، وصاحبها هو بنو اقه سليمان بن داود عليهما السلام ، وقصتها مع ذلك النبي الكريم مشهورة ؛ وقد ورد ذكرها في القرآن في سورة النمل . (٤) يريد بهذا البيت والذين قبله أننا نهنئك وسائل الإسراع في العودة .
 (٥) أديم الوجه : جلده ؛ يصف في هذا البيت وما بعده جلدة وجهه بالصفاقة .
 (٦) الطرس (بالكسر) : الصحيفة يكتب فيها . والنقص بكسر النون : الخلل .

الأخوانية

ذكرى وتشوق

كتبها من السودان إلى صديقه محمد بك مريم

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

(١) أثرت بنا من الشوق القديم * وذكرك ذلك العيش الرخيم
وأيام كسوناها جمالا * وأرقصنا لها فللك النسيم
(٢) ملأناها بنا حسنا فكانت * بجيد الدهر كالعقد النظيم
(٣) وفيان مساميح عليهم * جلايب من الذوق السليم
(٤) لم شيم الله من الأمانى * وأطرب من معاواة النديم
(٥) كهملك في انطلاقة والتصابى * ولما كانوا على خلق عظيم
دعوتهم إلى أنيس فوافوا * موافاة الكريم إلى الكريم
(٦) وجاءوا كالقطا وردت تميرا * على ظمأ وهبوا كالنسيم

(١) أثرت : هيجت . والعيش الرخيم : اللين الناعم . (٢) الجيد : السق .

(٣) المساميح : جمع مسامح ، وهو الجواد الكريم .

(٤) الشيم : السجايا والأخلاق . والمعاواة : المثارلة ؛ ويريد بها منارة البحر .

(٥) كهملك ، أى كعزبك وإرادتك . أى هم كاشفت من خلاعة ولغو .

(٦) القطا : الحمام ، الواحدة قطاة ، ويضرب بها المثل في الاهتداء ، فيقال : «أدل من قطاة»

لأنها لا تخفى الطريق ليلا في القلاة . والماء النقي : الناجع في الرى .

- (١) وَكَانَ اللَّيْلُ يَمْرُحُ فِي شَبَابٍ * وَيَلْهُو (بِالْجَرَّةِ) وَالنُّجُومِ
 (٢) فَوَاصَلْنَا كُثُومَ الرَّاحِ حَتَّى * بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَنْوَارُ الصَّرِيمِ
 (٣) وَأَعْمَلْنَا بِهَا رَأْيَ (أَبْنِ هَانِي) * فَأَلْقَيْنَا بِأَصْحَابِ الرِّقَمِ
 (٤) وَظَلَمِي مِنْ بَنِي مُضِرٍّ غَيْرِي * شَيْءَ اللَّقِظِ ذِي خَدِّ مَشِيمِ
 (٥) وَلَحِظَ بِأَيْلِي ذِي أَنْكَسَارٍ * كَأَنَّ بَطْرَفَهُ سَيَا أَلْتِمِ
 (٦) سَقَانَا فِي مُنَادِمَةٍ حَدِيثًا * نَسِينَا عِنْدَهُ بَنْتَ الْكُرُومِ

(١) مرصع يرمح (وزان فرح يفرح) : تبهتر وأختال . وشباب الليل : أوله . والمجرة : مجموعة نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة يياض في السماء ، وتنبه بالنهر ، يقال : نهر المجرة .

(٢) الصريم (هنا) : الصبح . (٣) يريد أبا علي الحسن بن هاني الحكيم ، المنهور بأبي نواس من أئمة شعراء الدولة العباسية ، ولد بالبصرة سنة خمس وأربعين ومئة ، وقيل سنة ست وثلاثين ومئة . وتوفي سنة خمس وتسعين ومئة ، وقيل سنة ثمان وتسعين ومئة ، ودفن ببغداد ، وكان كثير المجون ، دائم التشبيب ، مدمنا للخمر . وأصحاب الرقيم : هم أصحاب الكهف المذكورون في القرآن الكريم في قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) الآية . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى نومهم في كهفهم ، أي مغارتهم ، مدة طويلة ، قال تعالى : (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) . والرقيم : قريتهم التي خرجوا منها ، أو جبلهم الذي كان فيه الكهف . وقيل : الرقيم لوح وصاح نقش فيه نسبهم وأسمائهم وقصصهم ودينهم ، وتم هربوا . يريد أنهم هربوا على مذهب أبي نواس في الشرب حتى ناموا نومة أهل الكهف .

(٤) الفرير : الحديث السن الغافل ، الذي لم يجرب الأمور لحدائثه . والمشم : الذي فيه شامة ، أي ظال في خده .

(٥) البابل : نسبة إلى بابل ، وهي ناحية بالعراق ، منها الكوفة والحلة ، ينسب إليها الخمر والسحر . ويريد «باللفظ البابل» أنه يعمل في القول والنقص عمل الخمر والسحر . وانكسار اللفظ : فتوره . وسيا اليتيم : ضعفه ومذله ، لأنها أظهر ما يكونان في اليتيم . والسياء والسماء : العلامة والهيئة .
 (٦) بنت الكرود : الخمر ، لأنها تعتصر منها .

سَلَامُ اللَّهِ يَا عَهْدَ التَّصَابِي * عَلَيْكَ وَفِيَّةِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ
 (١) أَحْنُ لَهُمْ وَدُونَهُمْ قَلَاةٌ * كَأَنَّ فَسِيحَهَا صَدْرُ الْحَلِيمِ
 (٢) كَأَنَّ أَدِيمَهَا أَحْشَاءُ صَبَّ * قَدْ أَلْتَهَبَتْ مِنَ الْوَجْدِ الْأَلِيمِ
 (٣) كَأَنَّ سَرَابَهَا إِذْ لَاحَ فِيهَا * خِدَاعٌ لَاحَ فِي وَجْهِ اللَّئِيمِ
 (٤) تَصِلُ بَلِيلُهَا (لُحْبٌ) فَتَحْكِي * (يُوَادِي أَلْتِيهِ) أَقْوَامَ الْكَلِيمِ
 (٥) وَتَمِشِي السَّافِيَاتُ بِهَا حَيَارَى * إِذَا ثَقُلَ الْهَجِيرُ عَنْ الْجَحِيمِ
 (٦) فَمَنْ لِي أَنْ أَرَى تِلْكَ الْمَغَانِي * وَمَا فِيهَا مِنَ الْحُسْنِ الْقَدِيمِ؟
 (٧) فَحَظُّ (أَبْنِ دَاوُدَ) كَحَظِّي * وَلَا أُوتِيْتُ مِنْ عِلْمِ الْعَلِيمِ

- (١) القلابة : الصحراء الواسعة . (٢) أديم القلابة : وجهها وظاهرها .
- (٣) السراب ، هو ما تراه نصف النهار على بعد عند اشتداد الحر (يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) . ويشبهون به من يطمعك ظاهره وتونسك حقيقته .
- (٤) لُحْب (بكسر اللام وسكون الهاء) : قبيلة من الأزد باليمن كانت على معرفة تامة بالنجوم تسرى على ضوئها وتعرف بها السبل ، كما كان يضرب بها المثل في العياقة والزجر . ووادى التيه : هو القسم المنحصر بين خليج السويس وخليج العقبة من شبه جزيرة طور سيناء ؛ وسمى بالتيه لأن بني إسرائيل قد تاهوا فيه أربعين سنة ، كما قص الله تعالى ذلك في القرآن الكريم . والكليم : نبي الله موسى عليه السلام . يقول : إن ما بيننا من فياف لو سرت فيها لُحْب لما أفادتها خبرتها ، ولضلت كما ضل قوم موسى في التيه .
- (٥) السافيات : الريح التي تسمى التراب ، أي تحملها وتندروه . والهجير : شدة الحر . أي أن الرياح تسير فيها حائرة لا تهتدي إلى وجهة من أتباع أقطارها ، وتبحث عن كنف من ذلك الحر الذي كأنه أقطع من الجحيم .
- (٦) المغاني : المنازل التي غنى بها أهلها ، أي أقاموا ، الواحد مغنى (بفتح الميم وسكون الغين) .
- (٧) ابن داود ، هو نبي الله سليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه . والمعنى أنه لم يؤت من الحظ ما أوتى سليمان بن داود من تسخير الرياح والجئن لأمره ، فيحملانه إلى تلك المغاني والمنازل التي يشوق إلى رؤيتها والإقامة فيها .

(١) وَلَا أَنَا مُطْلَقٌ كَالْفِكْرِ أَسْرَى * فَاسْتَبَقُ الضَّوَاحِكَ فِي الْغُيُومِ
(٢) وَلَكِنِّي مُقَيَّدَةٌ رِحَالِي * بِقَيْدِ الْعُذْمِ فِي وَادِي الْمُحُومِ
(٣) تَزَحْتُ عَنِ الدِّيَارِ أَرْوَمُ رِزْقِي * وَأَضْرِبُ فِي أَلْهَابِهِ وَالتُّخُومِ
(٤) وَمَا غَادَرْتُ فِي السُّودَانِ قَفْرًا * وَلَمْ أَصْبُغْ بِتُرْبَتِهِ أَدِيمِي
(٥) وَهَآنَا بَيْنَ أَنْيَابِ الْمَنَايَا * وَتَحْتَ بَرَاثِنِ الْخَطْبِ الْجَبِيسِ
(٦) وَلَوْلَا سَوْرَةُ الْمَجْدِ عِنْدِي * قَنِتُ بِعَيْشَتِي قَنَعَ الظَّلِيمِ



(٧) أَيَّابُنَ الْأَكْرَمِينَ أَبَا وَجَدًا * وَيَابْنَ غُضَادَةَ الَّذِينَ الْقَوِيمِ
(٨) أَقَامَ لِدِينِنَا أَهْلُكَ رُكْنًا * لَهُ نَسَبٌ إِلَى رُكْنِ الْخَطِيمِ

- (١) « استبق الضواحك » الخ : استبق البروق في السحب ، أى أجازرها وأخلفها ورأى .
(٢) العدم : الفقر . (٣) تزحت : بدت . وضرب في الأرض : خرج فيها ساعياً .
والهامة : جمع مهمه ومهمه ، وهى المفاضة البعيدة المتسمة . والتخوم : الحدود بين الأرضين .
(٤) الأديم : الجلد . يريد أنه لم يترك قفراً في السودان إلا خلط جلده بترابه . فقوله :
« لم أصبغ » الخ : صبغة لقوله « قفراً » ، واقتراح جملة الصفة بالواركاً هنا غير مقبوس ، وزادتها
لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، ومنه قوله تعالى : (وما أهلكنا من قرية إلا ولنا كتاب معلوم) .
(٥) المعروف المشهور « هانذا » إلا أن مثل هذا ورد في الشعر ، ومنه قوله :
فَهَآنَا تَأْتِي عَنْ حَبِّ لَيْلٍ * فَالْكَ كَلِمَا ذَكَرْتَ تَدْرِبُ
والبَرَاثِنُ : مخالب الأسد ، الواحد برثن (يضم الباء والثاء وسكون ما بينهما) .
(٦) سورة المجد : أثره وأمارته . والظلم : ذكر النعام . وقد ضرب الشاعر قناعة النعام مثلاً
في الاكتفاء بأهل القوت ولو كان مما لا يقتات به ، وذلك لأن النعام يقتات بما يجده في الفسادة من
الحصى والحجارة إذا أعوزه القوت وعن عليه الكلام . (٧) المضادة : الذى يعاضدك
أى يعاونك . (٨) الخطيم : حجر الكعبة ؛ أو هو ما بين الركن والمقام .

- (١) فإطاف العفاة به وعادوا * بغير العسجدية والطليم
(٢) آتيتك والخطوب ترف رجلي * ولى حال أرق من السديم
(٣) وقد أصبحت من سعي وكدي * على الأرزاق كالثوب الرديم
(٤) فلا تخلق - فديت - أديم وجهي * ولا تقطع مواصلة الجسيم

عتاب محمد البابلي بك

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

- (٦) أني والله قد ملئ الوطاب * وداخلي بصحبك أرتياب
(٧) رجوتك مرة وعتبت أخرى * فلا أجدي الرجاء ولا العتاب
نبئت مودتي فأهنا ببعدي * فأخر عهدنا هذا الكتاب

(١) العفاة : طلاب الأرزاق والمعروف ، مفردة العافي . والعسجدية : الإبل التي تحمل المسجد
أى الذهب . والطليم : الإبل التي تحمل الطيب واللبز ، واحده لطيمة . أى ما تصد أهلها فاصد إلا عاد
مثلا بالعطاء من ذهب وثياب . (٢) ترف رجلي ، أى تمحلى على الإسراع اليك ، يقال : أزه :
إذا حملة على الزيف ، وهو الإسراع . ويجوز أن يقرأ ترف (بفتح التاء وضم الزاي) على سبيل التشبيه
بزفاف العروس ، وهو إهداؤها . والسديم : الضباب الرقيق ، جمعه سدم (بضمين) .
(٣) الكبح : هو الدثوب في طلب الرزق وكسبه بمشقة . والرديم : الثوب المخلق البالي .
(٤) تخلق ، من أخلق الثوب إذا أبلاه . وأديم الوجه : جلده . وإخلاق أديم الوجه : تخاية عن
إذلاله وابتذال حياته بالإخلاف في المسألة . والجيم : الصديق ، جمعه أحما . (بكرس الحاء وتشديد الميم) .
(٥) هو محمد البابلي بن عبده البابلي بك الذى كان من كبار تجار الجواهر في مصر ؛ وقد أدخل ولديه
محمد وأحمد في مدرسة البوليس ، وبعد اتمامهما الدراسة بها ألحقا ببعض الأعمال في الحكومة المصرية ،
ولكنهما لم يمكنا طويلا حتى تركا الحكومة وتفرغا لأعمالهما واشتهر محمد بظرفه وفكاهته الخلو حتى إن بعض
الأدباء قد جمع كتابا ممتا في نكتة وطرائقه ؛ وكان من أصدقاء حافظ الملازمين له ؛ وكانت وفاته في سبتمبر
سنة ١٩٢٤ م . (٦) الوطاب : جمع وطب (بالفتح) ، وهو فى الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد أنه
قد أكثر من فعل ما يريب حتى امتلأت نفسه بالشك في صدق مودته . (٧) أجدي : قع .

بين حافظ وداود عمون

بست حافظ بهذه القصيدة إلى داود عمون بك الشاعر اللبناني والحامي المعروف

فأجابه عليها بقصيدة تأتي بعد

[نشرت في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٢ م]

- (١) شَجْنَا مَطَالِيعُ أَقَارِهَا * فَسَالَتْ نَفُوسٌ لَتَذْكَارِهَا
وَبُنَا نَحْنُ لِنِلْكَ الْقُصُور * وَأَهْلِ الْقُصُورِ وَزُقَارِهَا
(٢) قُصُورٌ كَانَتْ بَرْجَ السَّمَاء * خُدُورُ الْقَوَانِي بِأَدْوَارِهَا
(٣) ذَكَّرْنَا حِمَاهَا وَبَيْنَ الضُّلُوع * قُلُوبٌ تَلْظِي عَلَى نَارِهَا
فَمَرَّتْ بِأَرْوَاحِنَا هِزَّةٌ * هِيَ الْكَهْرَبَاءُ بَنِيَارِهَا
(٤) وَأَرْضٌ كَسَتْهَا كِرَامُ الشُّهُور * حَرَارٍ مِنْ نَسِجٍ (أَذَارِهَا)
(٥) إِذَا تَقَطَّطَتْ أَكْفُفُ النِّعَام * أَرَّتَكَ الدَّرَارِي بِأَزْهَارِهَا
(٦) وَإِنْ طَالَعَتْهَا ذُكَاةُ الصَّبَاح * أَرَّتَكَ الْبُحَيْنَ بِأَنْهَارِهَا

(١) شَجْنَا : أطربنا وشوقنا . وسالت نفوس ، أى ذابت من الروع والشوق . والضمير في قوله :

« أقارها » و « تذكارها » : للقصور في البيت التالي . (٢) يشبه خدور القواني ، أى حيث

يستترن ببرج السماء في الامتناع على من رامها . وأدوار القصور : طبقاتها ، وهو استعمال عامي .

(٣) تلظي : تلظى ، أى تحترق . (٤) وأرض (بالرفع) : عطف على قوله في البيت

الثالث : « قصور » . وأذار : الشهر الثالث من السنة المسيحية ، وهو شهر تكثيره الأتزار .

(٥) الدراري (بتشديد الياء) : وخففها الشاعر لضرورة الوزن : الكواكب المتوقدة المتلألئة ، الواحد

درى (بتشديد الياء) . يقول : إن هذه الأرض اذا أمطرها السحاب أنبتت من الأزهار ما يشبه الكواكب

في إشراقها ولمعانها . (٦) ذكاة : الشمس . والبحين : الفضة . يقول : إذا طلعت الشمس

على هذه الأرض بدت أنهارها تحت الشعاع كأنها الفضة في صفائها وبريقها .

(١) وَإِنْ هَبَّ فِيهَا نَسِيمُ الْأَصِيلِ * أَتَاكَ النَّسِيمُ بِأَخْبَارِهَا
 (٢) وَخِلْ أَقَامَ بَارِضُ الشَّامِ * فَبَاتَتْ تُدِلُّ عَلَى جَارِهَا
 وَأَصْحَتْ تَتَبُّهُ رَبُّ الْقَرِيضِ * كَتَبَهُ الْبَوَادِي بِأَشْعَارِهَا
 وَلَنِيْلُ أُولَىٰ بِذَلِكَ الدَّلَالِ * وَمِصْرُ أَحَقَّ (بِبَشَارِهَا)
 (٣) فَشَمَّرَ وَعَجَّلَ إِلَيْهَا الْمَلَابِ * وَخِلَ الشَّامَ لِأَقْدَارِهَا
 فَكَيْفَ لَعَمْرِي أَطَقْتَ الْمَقَامِ * بَارِضٌ تَضِيقُ بِأَحْرَارِهَا؟
 وَأَنْتَ الْمُشَمَّرُ إِنْزَرَ الْمَظَالِ * سَمِ تَسْعَىٰ إِلَىٰ غَمَوِ آثَارِهَا
 (٤) تَأَثَّرَتِ اللَّيَالِي وَأَقْعَدَتْهَا * بِمَصْقُولٍ عَزَمَكَ عَنْ نَارِهَا
 (٥) إِذَا ثُرَتْ مَا جَتِ هِضَابُ الشَّامِ * وَبَاتَتْ تَرَامِي بِشَوَارِهَا
 (٦) أَلَسْتَ قَتَاها وَمُخْتَارِها * وَشِبْلَ قَتَاها وَمُخْتَارِها؟
 وَإِنْ قُلْتَ أَصْنَفْتَ مُلُوكَ الْكَلَامِ * وَمَالَتْ إِلَيْكَ بِأَبْصَارِها
 (أَدَاوُدُ) حَسْبُكَ أَنَّ الْمَعَالِ * سَى تَحْسَبُ دَارَكَ فِي دَارِها
 وَأَنْ ضَمَّائِرَ هَذَا الْوُجُودِ * تَبُوحُ إِلَيْكَ بِأَسْرَارِها

(١) الأصيل : وقت ما يعد العصر إلى المغرب . يقول : ان النسيم اذا هب على هذه الأرض حمل من طيبها وورائهما العطرة ما يدل على ما فيها من الأزهار والرياحين . (٢) يريد بانخل : داود بك المدوح . وتدل : من الدل ، وهو معروف . ويريد « يجارها » : وادي النيل . (٣) المَلَابِ : الرجوع . (٤) المصقول من السيوف : المجتو . ومعنى البيت أنه جعل ليالي هذه نارا بانحصاره على أحداثها وفوائدها ، ثم أعجزها عن طلب نارا بمضاء مزماره . (٥) تَرَامِي : تَرَامَى . (٦) الشبل : ولد الأسد .

(١) وَأَنْتَ إِمَّا حَلَلْتَ الشَّامَ * رَأَيْتَكَ جَدْوَةً أَنْكَارِهَا
(٢) وَإِنْ كُنْتَ فِي مَضْرَبِ النَّصِيرِ * إِذَا مَا أَهَابَتْ بِأَنْصَارِهَا

أبيات داود بك التي أجاب بها حافظاً

(٣) أَمِنْ ذِكْرِ مَسْلَى وَتَذْكَارِهَا * نَثَرْتُ الدَّمُوعَ عَلَى دَارِهَا
(٤) وَعِغَتِ الْقُصُورَ لِأَجْلِ الطُّلُولِ * تُطَالِعُ طَامِسَ آثَارِهَا
(٥) وَقَفْتُ بِهَا لَيْلَى نَاشِداً * عَسَاهَا تَبُوحُ بِأَسْرَارِهَا
(٦) وَلَلدَّارُ أَتَلَقُ آيَاتُهَا * مِنْ الرَّاوِيَّاتِ وَأَخْبَارِهَا
تُعِيدُ عَلَيْكَ لَيْلَى الْحَمَى * بِأَنْجُهَا وَبِأَقْمَارِهَا
(٧) سَلَامٌ عَلَيْكَ زَمَانَ الشَّبَابِ * رَبِيعَ الْحَيَاةِ بَأَنَارِهَا
(٨) لَأَنْتَ مُخَفِّفُ أَحْزَانِهَا * وَأَنْتَ مُسَوِّغُ أَكْثَارِهَا
وَلَوْلَا الشَّبَابُ وَذِكْرَى الشَّبَابِ * لَعَاشَ الْفَتَى عُمُرَهُ كَارِهَا
(٩) قَطَفْنَا الْحَيَاةَ بِه حُلُوةً * وَقَدْ جَاءَ إِبَانُ إِمْرَارِهَا
أَطُوفُ فِي الشَّرْقِ عَلَى أَرَى * يَلَادَا تَطِيبُ لِأَحْرَارِهَا

(١) الجدوة (بتطويع الجيم) : البجرة الملتببة . (٢) أهاب به : دعاه . (٣) يلاحظ أن التذكاه نفس الذكر ؛ فالجمع بينهما تكرر ظاهر . (٤) عاف الشيء : رغب عنه وزهد فيه . وتطالع : تنظر . والطامس من آثار الديار وغيرها : ما اندثر منها وانحى . (٥) الناشد : السائل . (٦) أطلق آياتها ، أى آثارها أطلق ؛ وفي هذه العبارة يتروا اضطراب ظاهران ؛ ومعنى البيت أن آثار الديار أرواح بياناً عن آتيا من سكنوها عن يحدث عنها ويروى أخبارها . (٧) شبه زمن الشباب بالربيع ، وهو أنصر فصول السنة . (٨) مسوغ أكدارها ، أى مسهل وقع مصائبها وأحزانها . (٩) إبان الشيء : وقته .

فَلَمْ أَرَ إِلَّا أُمُورًا تَسُوءُ * وَتَصْدَعُ أَكْبَادَ نَظَائِرِهَا
 (١)
 فَظَلَمْتُ بِتِلْكَ وَذُلُّ بِهَيْذِي * وَجَهْلٌ مَغَشَّ لَأَبْصَارِهَا
 (٢)
 تَعْتَقُ مَرَا حِسْمَ رُغَيَانِهَا * وَتَرَعَى الْوَلَاءَ لِحَزَارِهَا
 (٣)
 إِذَا شَاءَ (فَاسِمٌ) رَفَعَ الْحِجَابَ * تُسَمِّيهِ هَاتِكَ أَسْتَارِهَا
 (٤)
 فَلَا قَوْلَ إِلَّا لِحُلَاهَا * وَلَا رَأْيَ إِلَّا لِأَغْرَارِهَا
 يَلِيبُ السَّخَانِي عَلَى تَرْبِهَا * وَيَجْرِي الْخَوْلُ بِأَنْهَارِهَا
 (٥)
 مَنَالُ السَّتَرِ بِأَرْغَامِهَا * وَمَرْجَى الْفَلَاحِ بِإِجْبَارِهَا
 أَهَذَا الَّذِي أَوْرَثَتْ أَهْلَهَا * بِلَادُ الْعُلُومِ وَأَنْوَارِهَا؟



عَدِمْتُ حَيَاتِي إِذَا لَمْ أَقِفْ * حَيَاتِي عَلَى تَفْهِيمِ أَنْصَارِهَا
 (أَحَافِظُ) هَذَا بِجَالِ الْعُلَا * فَشَمَّرَ لَسَبْقِ بَعْضَارِهَا
 (أَشْوِقُ) (أَحَافِظُ) طَالَ السُّكُوتُ * وَتَرَكْتُ الْأُمُورَ لِأَقْدَارِهَا
 (٦)
 فَصُورًا الْقَوَائِي مَصْقُولَةً * وَشُقًا أَبْلُودَ بَتَارِهَا

(١) مغش لأبصارها، أى يحجبها بفشاوة . (٢) الولاء : الحب . يريد أن الأمم الشرقية
 تجمد الجميل لأنصارها وأوليائها، وتسدى المردة لتصورها وأعدائها . (٣) يريد المرحوم قاسم بك
 أمين . وقد منعه من الصرف هنا لضرورة الوزن . ويشير بهذا البيت إلى رأى قاسم أمين في حرية المرأة
 وما فيه في سبيل ذلك من النقد الشديد . (٤) الأغرار : الذين لا تجربة لهم، واحده فر يكسر
 الغين وتشديد الراء . (٥) يريد أن الرقى والفلاح إنما يتألما في هذه الأمم الشرقية من أطاع المستعمرين
 في إرغامها على ما تكره وإكراهها على ما لا تحب . (٦) المصقولة : المعافية المجلوة . والبتار من
 السيوف والبار : القاطع منها .

(١)
عَسَاها تُحَرِّكُ أَوْطَانًا * وَتَنْشُرُ مِيتَ أَحْيَاهَا
أَقُولُ وَأَعْلَمُ أَنِّي سَأُرَى :: بَأَنِّي مُحَرِّكُ نُوَارِهَا
(٢)
وَأَنِّي الدَّخِيلُ وَأَنِّي الْغَرِيبُ * وَأَنِّي النَّصِيرُ لِقَهْرِهَا
أُحِبُّ بِلَادِي عَلَى رَغْمِهَا * وَإِنِّي لَمْ يَنْتَلِ سِوَى عَارِهَا
(٣)
وَلَسْتُ بِأَقُولُ ذِي هِمَّةٍ * تَصَدَّى الزَّمَانُ لِإِنْكَارِهَا

(٤)
(إلى إسماعيل صبرى باشا)
عند استقالته من وكالة الحفائية

[نشرت في ٩ فبراير سنة ١٩٠٧م]

(٥)
يَا صَارِمًا أَنْفَ الثَّوَاءِ يَغْمِدُهُ * وَأَبَى الْقَرَارَ، أَلَا تَزَالُ صَقِيلًا
(٦)
فَالْبَيْضُ تَصَدَّى فِي الْحُفُونِ إِذَا تَوَتَّ * وَالْمَاءُ يَأْسُنُ إِنْ أَقَامَ طَوِيلًا

(١) نشر الميث وأنتشره : أحياء . ويلاحظ أن هنا غلطا في حرف الراء ، إذ عدل الشاعر في هذا البيت عن الراء إلى الهاء . (٢) الدخيل في القوم : الداخل فيهم المنتسب إليهم وليس منهم . (٣) تصدى : تعرض . (٤) ولد المرحوم إسماعيل صبرى باشا في سنة ١٨٥٤م وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر وقال شهادة الحقوق سافر إلى أوروبا فأتى علومه القانونية هناك ؛ وقال الشهادة من كلية إكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وأتى منصب تولاه وكالة الحفائية ، واعتزله في سنة ١٩٠٧م وكانت وفاته في ربيع سنة ١٩٢٣م وشعره معروف بالقة ولطف الصياغة وجودة النسيب ، كما اشتهر بالاجادة في المقطعات الصغيرة . (٥) الصارم : السيف القاطع . والثواء : الإقامة . والصقيل : المجلو ؛ يقال : حقله يصقله (بضم القاف) مقلًا وصقلا ، إذا جلاه وكشف مده . شبه صبريا بالسيف القاطع المجلو ، ومنصبه الحكومى بالنعم الذي يستقر فيه السيف . (٦) البيض : وصف يكنى به عن السيوف . وجقون السيوف : أغمارها ، الواحد جقن . وتوت : أقامت . وأسن الماء (من باب ضرب ونصر وعلم) فهو آسن : تغير فلم يشرب .

- (١) أَهْلًا بِمَوْلَايَ الرَّئِيسِ وَلَيْسَ مِنْ * شَرَفِ الرَّأْسَةِ أَنْ أُرَاكَ وَيَكِلَا
فَأَطْرَحَ مَعَاذِيرَ السُّكُوتِ وَقُلْ لَنَا * هَلَّا وَجَدْتَ إِلَى الْكَلَامِ سَبِيلًا؟
(٢) وَأَضْرِبْ عَلَى الْوَرَى الَّذِي أَهْتَرْتُ لَهُ * أَعْطَانَا زَمَنًا وَغَرَّ النَّيْلَا
(٣) وَارْدُدْ عَلَى مُلْكِ الْقَرِيضِ جَمَالَهُ * تَصْنَعُ بِصَاحِبِكَ الْقَدِيمِ جَمِيلًا
(٤) مَا زَالَ يَرْجُو أَنْ يُقَالَ عِثَارُهُ * حَتَّى أَقَالَ اللَّهُ (إِسْمَاعِيلًا)

(ذكرى وتشوق)

كتب بها إلى صديقه أحمد بك بدر وهو في كلية أدنبره بإنجلترا

[نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩٠٨م]

- (٥) مِلَكْتُ عَلَى مَذَاهِبِي * وَعَصَمَانِي الطَّبِيعُ السَّلِيمُ
وَجَفَا رَأْيِي الصَّاحِبَا * يَنْ فَلَا النَّشِيرُ وَلَا النَّظِيمُ
أَشَقَى وَأَكْثَمُ شَقَوَاتِي * وَاللَّهُ بِي وَبِهَا عَلِيمُ
(٦) حَلِمَ الْأَدِيمُ وَمَا الَّذِي * أَرْجُو وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ

- (١) ويكلا، يريد وكالة مدرحه لوزارة الحفانية، وهي أشر المناصب التي تولها .
(٢) الأعطاف : الجوانب، الواحد عطف . (٣) يريد «بصاحبه القديم» : الشعر .
(٤) يقال : أظنت فلانا عثرته وأقلته منها ، أى عفوت عنه ودفعت عنه شر ما كان يتوقع بسببها .
ويريد بالإقالة الثانية : تحلى بمدوحه عن منصبه . وأصل الإقالة في البيع فسخته والتحلل بما يوجبه عقده .
(٥) ملكت عليه مذاهبه ، أى سدت عليه سبل القول .
(٦) حلم الأديم : مثل يضرب في فساد الأمر حتى لا يربحى صلاحه . والأديم : الجلد ؛ يقال :
حلم الأديم بحلم (وزان علم يعلم) ، اذا وقع فيه الحلم (بالتحريك) ، وهو دود يقع فيه حتى يفسد ويتفب .

^(١)
 لَا مِصْرُ تُصِفُنِي وَلَا * أَنَا عَنْ مَوَدَّتِهَا أَرِيمُ
 وَإِذَا تَحَوَّلَ بِأُسِّ * عَنْ رَبِّعِهَا أَنَا الْمُقِيمُ
 فِيهَا صَحْبُكَ وَأَصْطَفَيْتُ * نُكَ أَيْهَا الْحِلُّ الْحَمِيمُ
 أَنَا مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ خَبَّرَ * تَ وَمَنْ مَوَدَّتُهُ تَدُومُ
^(٢)
 لِلَّهِ ذِيَاكَ الْجَوَا * رُ وَذَلِكَ الْعَيْشُ الرَّخِيمُ
 بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ فَوُ * قَ النَّيْلِ وَالذَّنْبِ نَعِيمُ
 أَيَّامَ يَعْرِفُنَا السُّرُ * رُ بِهَا وَتُنَكِّرُنَا الْهُمُومُ
^(٣)
 أَيَّامَ نَلْهُو بِالظُّبَا * ءِ وَفِي مَسَارِحِهَا نَهِيمُ
 لَا أَنْتَ تُصْنِي لِلْعَذُو * لِ وَلَا أَبَالِي مَنْ يَلُومُ
 لِلَّهِ أَنْدِيَةُ لَنَا * قَدْ زَانَهَا أَلْخُلُقُ الْكَرِيمُ
 لَمْ يَغْشَاهَا وَغَدُ وَلَمْ * يَتَرَلَّ بِسَاحَتِهَا لَيْسِمُ
^(٤)
 تَمْشِي أَلْخَلَاةُ فِي نَوَا * حِيهَا تُرَاقِبُهَا الْحُلُومُ
^(٥)
 هُمُوكَا شَاءَ الصَّبَا * وَحِجَا كَمَا شَاءَ الْحَكِيمُ
^(٦)
 وَمُدَامَةً يَسْعَى بِهَا * مُتَادَّبٌ وَيَطُوفُ رِيمُ

(١) أريم : أنحول . (٢) العيش الرخيم : اللين الرغد .

(٣) الماسج : المراسي ، الواخذ مسرح .

(٤) الخلوم : العقول ، الواحد حلم . ويريد بقوله : «تراقبها الخلوم» : أن هذه الخلاعة لم يتجاوز

فيها الحد . (٥) الحجا : العقل . (٦) الريم : الظلي الخالص البياض ، شبهه السابق .

يَجْرِي عَلَى كَاسَاتِهَا * أَنَسُ يَحْتَفُّ لَهُ الْحَلِيمُ
 لَا تَشْتَكِي مِنَّا وَلَا * يَشْكُو عَوَاقِبَهَا النَّدِيمُ
 وَالنَّيْلُ مِرَاةٌ تَتَفَقَّسُ فِي صَحِيفَتِهَا النَّسِيمُ
 سَلَبَ السَّمَاءَ نُجُومَهَا * فَهَوَتْ بِلُجَّتِهِ تَعُومُ^(١)
 نَشَرَتْ عَلَيْهِ غِلَالَهُ * بَيَضاءُ حَاكَّتْهَا الْغُيُومُ^(٢)
 شَفَّتْ لَأَعْيُنِنَا سَوَى * مَا شَابَهُ مِنْهَا الْأَدِيمُ^(٣)
 وَكَأَنَّا فَوْقَ السَّمَاءِ * وَتَحْتَنَا ذَاكَ السَّيِّدِمْ^(٤)
 تَجْرِي الْحَوَادِثُ حَيْثُ تَجِدُ * بَرَى لَا نُضَامُ وَلَا نَضِيمُ^(٥)
 لَا الصَّبْحُ يُزِجُّنَا بَأَذْ * بَاءِ الزَّمَانِ وَلَا الصَّيْرِيمُ^(٥)
 يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَزْ * سَتَ وَكَيْفَ حَالُكَ يَا زَيْعِيمُ^(٦)
 أَمَّا أَنَا فَكَمَا أَنَا * أَبْلَى كَمَا يَبْلَى الرَّيِّمُ^(٦)
 لَا لِخَلِّ بَعْدَكَ مُؤْنِسُ * نَفْسِي وَلَا قَلْبُ رَحِيمُ

(١) يريد بهذا البيت أن نجوم السماء قد تمثلت على صفحة لصفاء مائه .

(٢) الغلالة (بالكسر) : ثوب رقيق . وحاكته : نسجته .

(٣) شفت : رقت . وشابه : خالطه ومازجه . « ويريد بالأديم » : أديم السماء ، أى ظاهرها .
 يقول : إن هذه الغلالة تمثلت على صفحة الماء كالثوب الممزق . وكانت الغيوم قطعاً في السماء ، فاصادف
 من وجه الماء انعكاس غيم كان شفافاً يبين ما تحته ، وما صادف منه أديم السماء بدا غير شفاف .

(٤) السديم : الضباب الرقيق ، شبه به البحر الذي يجري من تحته .

(٥) الصريم : الليل . (٦) الرديم : الثوب القديم .

(١) كَادَ الزَّمَانُ لَنَا وَلَا * عَجَبٌ إِذَا كَادَ الْفَرِيمُ^(١)
 (٢) أَمْسَى أَحْتَوَاكَ الزَّمْهَرِيدُ * رُؤْيُ وَظَلٍّ يَصْهَرُنِي الْحَجِيمُ^(٢)
 (٣) فَشَرَابُكَ الْمَاءُ الشُّنَا * نُوْشُرْبِي الْمَاءُ الْحَمِيمُ^(٣)
 (٤) وَمُنَاكَ لَوُطَلَّتْ ذُكَا * ءُ عَلَيْكَ فِي يَوْمٍ يَصُومُ^(٤)
 (٥) وَمُنَايَ لَوُحِقَتْ ذُكَا * ءُ وَغَالَمَا لَيْلَ بِهِمْ^(٥)
 (٦) فَبَلَيْتِي الْحَرُّ الْأَلِي * سُمُّ وَخَطْبُكَ الْقُرُّ الْأَلِيمُ^(٦)
 (٧) فَكَأَنِّي فِرْعَوْنٌ مِضْ * رَ وَأَنْتَ شَيْطَانُ رَجِيمٍ^(٧)
 (٨) فَأَبَعْتُ إِلَى بَنَفَحَةٍ * بَرْدًا بِهَا يَحْدُو الْمَزِيمُ^(٨)
 (٩) أَتَبَعْتُ إِلَيْكَ بَلْفَحَةٍ * حَرَّى بِهَا تَجْرِي السَّمُومُ^(٩)
 أَقَامَا يَحْتَمِنُنَا إِلَيْهِ * سَكَ فَسَوْفَ يَشْرَحُهَا الرِّقِيمُ

- (١) الفريم : الخضم . (٢) الزمهرير : شدة البرد . ويريد بالزمهرير : شدة البرد في اسكتلندا . (٣) الماء الشنان (بالضم) : البارد . والماء الحميم : الحار . (٤) ذكاه (بالضم) : اسم الشمس ، غير منصرف للعلية والتأنيث . ويقال : صام النهار : إذا قام قائم الظهيرة وأعتدل ، ويقال : صامت الشمس (أيضا) إذا أستوت . (٥) ليل بهم : مظلم . (٦) القر (بالضم) : البرد . (٧) شبه الشاعر نفسه بفرعون مصر ، لأنه يعذب بالنار ، ومديقه بالشیطان الرجيم ، لأن الشيطان تارى الطبع يعذب بالزمهرير . (٨) البرد : حب القيام ، وهو مفعول « يحذر » . يقول : اهد إلى قنجة من جوى بلادكم بردا يسبقه رعد . ويحذر ، من الحذاء . والمزيم : الرعد . (٩) السموم : الریح الحارة . ولقحتها : إراقها .

شكر

أُنشد هذه القصيدة في فندق الكونتنتال في الحفل الذي أقيم تكريمه

في يوم الجمعة ٣١ مايو ١٩١٢ م

مَلَكْتُمْ عَلَى عَنَانِ الْخُطْبِ * وَجُرُتُمْ بِقَدْرِ مَمَاءِ الرُّتْبِ
فَنَ أَنَا يَنْ مُلُوكِ الْكَلَامِ * وَمَنْ أَنَا يَنْ كِرَامِ الْحَسَبِ
أَتَسْعَى إِلَى حِمَاةِ الْقَرِيضِ * وَتَمْشِي إِلَى سَرَاةِ الْعَرَبِ^(١)
وَتَنْظِمُ فِي عُقُودِ الْجَمَانِ * وَتَنْثُرُ فَوْقَ نِسَارِ الذَّهَبِ^(٢)
وَأُكْرِمَ حَتَّى كَأَنِّي نَبْتُ * وَنُتُّ لِمَصْرَ بِمَا قَدْ وَجِبَ؟
فَإِذَا أَتَيْتُ مِنَ الْبَاقِيَاتِ * وَهَذَا شَبَابِي ضَيَاةً ذَهَبَ^(٣)
عَمِلْتُ لِقَوْمِي جُهْدَ الْمُقِلِّ * عَلَى أَنَّهُ عَمَلٌ مُقْتَضِبُ^(٤)
فَلَمْ يُفِنْ شَيْئًا وَلَمْ يُحْدِمْ * وَلَمْ يَتَّقِ إِلَّا بَقَاءَ الْحَبِّ^(٥)
وَهَلْ أَنَا إِلَّا أَمْرُؤُ شَاعِرٌ * كَثِيرُ الْأَمَانِي قَلِيلُ النَّشْبِ^(٦)
يَقُولُ وَيُطْرِبُ أَتْرَابَهُ * وَيَقْنَعُ مِنْهُمْ بِذَلِكَ الطَّرَبِ^(٦)
تَعَلَّقْتُ حِينَ بَذَلِ الْيَاسِ * وَأَدْخَلْتُ نَفْسِي فِيمَنْ كَتَبَ

(١) حِمَاةُ الْقَرِيضِ : رجال الشعر . والسراة : جمع مري ، وهو الرقيق القدر من الناس .

(٢) الْجَمَانُ : التلويح ، الواحدة جمانة . شبه به وينثر الذهب ما قيل من الشعر والخطب في مدحه

والثناء على أدبه . (٣) الْمُقْتَضِبُ : المقطع قبل التمام . (٤) الْحَبِيبُ : الفقاع

التي تكون على سطح الماء . ويشبه به زوال الشيء بسرعة . (٥) النَّشْبُ : المال .

(٦) أَتْرَابَهُ : أمثاله في السن ، الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء) .

فلا السُّبْقُ لِي فِي مَجَالِ النَّهْيِ * وَلَا لِي يَوْمَ الْفَخَارِ الْقَلْبُ
 وَلَا أَنَا مِنْ عِلْيَةِ الْكَاتِبِينَ * وَلَا أَنَا بِالشَّاعِرِ الْمُتَحَبِّ
 وَلَكِنْ سَمَّا بِي عَطْفُ الْأَمِيرِ * وَرَأَى الْوَزِيرُ وَقَضَى الْأَدَبُ^(١)
 وَمَا كُنْتُ أَحْلَمُ - لَوْلَا الْوَزِيرُ - * بِهَذَا الْمَنَاءِ وَهَذَا اللَّقَبُ^(٢)
 عَلَى أَبَادٍ لَهُ بِجَمَّةٍ * وَقَضَى قَدِيمٌ شَرِيفُ السَّبَبِ^(٣)
 فَأَنَا أَقَالَ بِهِ عَمْرِي * وَأُورَى زِنَادِي وَأَنَا وَهَبُ^(٤)
 تَفَيَّاتُ مِنْهُ ظِلَالُ النِّعَمِ * وَأَصْبَحْتُ أَعْرِفُ لُبْسَ الْقَصَبِ^(٥)
 وَأُمْنِي أَخْيَالًا إِلَى عَائِدِينَ * يُطَالِعُنِي بِدُرِّهَا عَنْ كَتَبِ^(٦)
 وَالنِّمُ كَفَّ كَرِيمِ الْجُدُودِ * غِيَاثِ الْغَفَاةِ مُزِيلِ الْكُرْبِ^(٧)
 وَأَحْتَتَيْنِ وَفُودِ السَّرَاةِ * مَطَايَا الرَّجَاءِ لَذَاكَ الرَّحْبِ^(٨)
 أَتَوَا خَالِصِينَ لَوَجْهِ الْأَمِيرِ * فَلَا عَنْ رِيَاءٍ وَلَا عَنْ رَهَبِ^(٩)

- (١) يريد « بالوزير » : أحد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك . ولد في كفر المصلحة من إقليم المنوفية في (سنة ١٢٧٥هـ) (سنة ١٨٥٨م) وبعد أن أتم علومه ونال شهادة الحقوق تولى عدة مناصب قضائية وإدارية في الحكومة المصرية ، وأتم المنصب التي تولاها نظارته للمعارف العمومية ، وتوفي في سنة ١٩٢٦م وكان له من الأيادي البيضاء على حافظ ما جعله يلهم بشكره في هذه القصيدة .
- (٢) يريد لقب (البكوية) الذي أنعم عليه به في السنة المشار إليها في أول هذه القصيدة .
- (٣) الأيادي : النعم . (٤) الضمير في « به » للفضل . يقال : أورى فلان زندي ، إذا أجازني إلى ما أطلب . والأصل في إراء الزند ، أن تستخرج ثاره . (٥) غياث الظل : التجأ إليه واستظل به . (٦) يريد « بالبدرة » : الخديوي عباس الثاني ، والكتب (بالبحر بك) : القرب . (٧) الغفاة : طلاب المعروف ، الواحد عاف (كقاض) . (٨) أحث مطايا الرجاء ، أي أيسرها في سرعة . والسراة من الناس : الرقيق الموزلة ، الواحد سرى (يفتح السين) . (٩) الرهب : الخوف .

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ مِنْ رَبِّهِمْ * رِضَاءُ الْأَمِيرِ وَيَنْتِلُ الْأَرْبَ
 وَالْكَاشِحِينَ نَكَالُ الزَّمَانِ * وَنَحْسُ النُّجُومِ ذَوَاتِ الذَّنَبِ^(١)
 فَعَهْدُ الْأَمِيرِ كَعَهْدِ الرَّشِيدِ * يَمُتُ إِلَيْهِ بِجَبَلِ النَّسَبِ
 إِلَيْكَ (أَبَا حَسَنِ) أَتَمَّتْ * فَازَلْ مَوْلَى إِلَيْكَ أَنْتَسَبَ^(٢)
 عَرَفْتَ مَكَانِي فَأَذْنَيْتَنِي * وَشَرَفْتَ قَدْرِي (بِدَارِ الْكُتُبِ)^(٣)
 وَعَرَفْتَ دَهْرِي مَكَانَ الْأَدِيبِ * وَقَدْ كَانَ دَهْرِي شَدِيدَ الْكَلْبِ
 فَلَوْ أَنَّ لِي مَرْقِصَاتِ (الْخَلِيلِ) * وَاعْغَازَ (شَوْقِي) إِذَا مَا رَغِبَ^(٤)
 لَقُمْتُ بِشُكْرِكَ حَقَّ الْقِيَامِ * وَلَكِنْ طَلَبْتُ فَعَزَّ الطَّلَبُ
 فَشُكْرِي لَصُنْعِكَ شُكْرُ النَّبَاتِ * بِيَطْنِ الْفَلَاةِ لِقَطْرِ السُّحُبِ
 وَشُكْرًا (لَشَوْقِي) رَسُولِ الْقَرِيضِ الـ * كَرِيمِ الْإِحْيَاءِ الْمَتِينِ السَّبَبِ
 وَشُكْرًا (لِدَاوُدَ) رَبِّ الْيَرَاعِ * وَشُكْرًا (لِسَرْكِيْسَ) رَبِّ الْعَجَبِ^(٥)
 وَشُكْرًا لِكُلِّ كَرِيمٍ سَمَى * إِلَى وَكَلِّ أَدِيبٍ خَطَبَ

- (١) الكاشحون : الأعداء الذين يطنون العداوة، الواحد كاشح، وذلك لأنه يتباعده منك ويؤليك كشحه . (٢) اتتمت : انتسب . ويريد « بأبي حسن » : المرحوم أحمد حشمت باشا . (٣) يشير إلى أن حشمت باشا هو الذي عين حافظاً في منصبه المعروف بدار الكتب . (٤) يريد « بالخليل » : خليل بك مطران الشاعر المعروف ؛ ومرقصاته : قصائده . (٥) داود ، هو داود بركات الكاتب اللبناني المعروف ، وكان رئيساً لتحرير جريدة الأهرام . ولد بقرية يحنوش من أعمال لبنان سنة ١٨٧٠ م ، وتوفي في ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٣ م . وسركيس ، هو سليم مركيس الكاتب اللبناني المعروف ، محرر جريدة المشير ومجلة مركيس ، ولد في بيروت عاصمة لبنان سنة ١٨٦٩ م ، وكانت وفاته في سنة ١٩٢٥ م .

(١) هُمُ يَجْعُونِي عَلَى أَنْفِ أَقُولُ * وما كَانَ لِي بَيْنَهُمْ مَضْطَرَبٌ
 (٢) هُمُ أَلْهَمُونِي فَصِيحَ الْكَلَامِ * هُمُ عَلَّمُونِي طَرِيقَ النَّخَبِ
 فَعَنُومُ أَخَذْتُ وَعَنْهُمْ صَدَرْتُ * وَمِنْ عِنْدِهِمْ فَضْلِي الْمُنْتَسَبِ
 فُخِّسُوا عَزِيزَ الْبِلَادِ الَّذِي * عَلَى السُّحْبِ ذَيْلَ الْمَعَالِي تَحَبُّ
 وَجِئُوا (مَسْعِدًا) وَزِيرَ الْأَمِيرِ * قَرِيبَ الصُّوَابِ بَعِيدَ الْفَضَبِ
 تَوَلَّى الرَّأْسَةَ وَالْحَادِنَاتِ * تَرَوُّعُ النَّفُوسِ يَوْجُ النَّوَبِ
 فَسَاسَ الْبِلَادَ وَأَرْضَى الْعِبَادَ * وَأَرْضَى الْأَمِيرَ وَأَرْضَى الْأَدَبِ

إلى حَفْنِي نَاصِفِ بَكْ

قالها في حفل أقامه أعضاء نادي طحطا لكرم حَفْنِي بَكْ لانتقاله من القضاء الى الضميمة بنظارة المعارف

[نشرت في ٥ أكتوبر سنة ١٩١٢ م]

(٥) يَا يَوْمَ تَكْرِيمِ (حَفْنِي) * أَرَهَفْتَ لِلْقَوْلِ ذِهْنِي
 فَيَا قَرِيبُ اجْبِنِي * وَيَا بَيَانُ أَعْنِي

(١) المضطرب: المذهب. (٢) طريق النخب، أى طريق المنتخبين الكلام المختار منه، وهو جمع نخبة (بضم النون وسكون الخاء أو بضمهما). (٣) يريد المرحوم محمد سعيد باشا وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك. (٤) حَفْنِي بَكْ ناصف هو ابن الشيخ إسماعيل ناصف؛ ولد عام ١٢٧٢ هـ في صاحبة من ضواحي القاهرة تدعى بركة الحاج، ثم دخل كتّاب القرية فالأزهر فدارالعلوم، ثم كان أستاذ اللغة العربية في مدارس الحكومة، وأخير للتدريس في مدرسة الحقوق، فرأى أن يشارك طلبتها في دروسهم، فعلم القانون وترك التدريس وانتخب كاتب سر للنايب العمومي، ثم عين قاضيا بالحاكم الأهلية سنة ١٨٩٢ م فولا لاحدى الحاكم، وانتخب لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية وهي أهلية، ثم انتخب مفتشا لثقة التربية بوزارة المعارف؛ وتوفي في سنة ١٣٢٧ هـ - سنة ١٩١٩ م وكان رحمه الله فكه الحديث، ملج النادرة، مشاركاً في كل علم وفن من علوم اللغة وفنونها. (٥) الإرهاف: الشدة والتحديد.

عَلَى أَفَى بَعْضَ دَيْنِي * إِنْ كَانَ ذَلِكَ يُغْنِي
 يَا مَنْ ضَرَبْتَ بِسَهْمٍ * فِي كُلِّ عِلْمٍ وَقْتٌ
 بَنَيْتَ لِلشَّعْرِ فِينَا * وَالنَّثْرِ أَعْظَمَ رُكْنِي
 وَمَا خُلِفْتَ لَعْمَرِي * فِي الشَّرِّ إِلَّا لَتَبْنِي
 فَكُلُّ رَبِّ يَرَاغ * فِي مِصْرٍ خَرَجْتُ (حَفْنِي)
 إِنْ قَالَ شِعْرًا فَرَاغ * تُدَارُ فِي يَوْمٍ دَجْنُ^(١)
 أَوْ قَالَ نَثْرًا فَرَوْح * يَمْتَازُنَا غِبُّ مُزِينِ^(٢)
 فَإِنْ بَدَأَتْ بِقَوْلٍ * مِنْهُ فَبِالكَأْسِ نَنْ
 وَطِرْ إِلَى اللَّهِوِ وَأَرْغَب * عَنْ حِكْمَةِ الْمُتَأَنِّي^(٣)
 فَالْعَيْشُ فِي يَنْتِ فِكْرٍ * مُجَلَّى وَفِي يَنْتِ دَنْ^(٤)
 وَإِنْ طَلَبْتَ مَزِيدًا * فَنِي مُنَاجَاةٍ خُنْدِ
 لَوْلَا الْحَيَاءُ وَلَوْلَا * دِينِي وَعَقْلِي وَسِنِّي
 لَقُمْتُ فِي يَوْمٍ (حَفْنِي) * أَدْعُو لِسَكْرَةٍ "يَنِّي"^(٤)

(١) الراح : الخمر . والدجن : ظل النسيم في اليوم المطير . وقد يما ملح الشعراء الشرب والهوفيه .

(٢) الريح : الريح . والمزن : المطر ، وأتق ما يكون النسيم غيب مطر .

(٣) بنت الفكر : نتاج القرائح والأفكار . وبنت الدن : الخمر . والدن : رماء كبير لها .

(٤) سكرة يني ، مثل مصري يضرب في كثرة الشرب والإفراط في السكر .

- (١) وَلَا أَقُولُ (لِحَفْنِي) * مَا قِيلَ قَدَمًا (لِمَعْنِي)
 (٢) لَا تَلَسَّ عَيْشًا تَوَلَّى * مَا بَيْنَ شَرِيحٍ وَمَتْنٍ
 وَلِيَّ شَبَابِكَ فِيهِ * مَا بَيْنَ مَدٍّ وَغَرَبٍ
 (٣) وَذُقْتَ مِنْ "جَاءَ زَيْدٌ" * وَمِنْ شُرُوحِ (الشُّمْنِي)
 (٤) وَمِنْ حَوَاشِي الْحَوَاشِي * عَلَى مُتُونِ (ابْنِ جَنِّي)
 (٥) مَا لَمْ تُذِقْكَ اللَّيَالِي * قَلْبَنَ ظَهَرَ الْمَجْنُنُ
 (٦) أَيَّامَ (سُلْطَانٍ) يَلْهُو * (بِمَشْهُ) وَيَغْنَى

(١) يشير بهذا البيت الى ما ورد من أن شاعرا أراد أن يجزب حلم معن بن زائدة الشيباني ويستثير حفيظته ، فتهجاه بقصيدة ، منها :

أَتَذْكُرُ إِذْ لِحَافِكَ جِلْدَ شَاةٍ * وَإِذْ لَعْلَاكَ مِنْ جِلْدِ الْبَعِيرِ

(٢) يريد بهذا البيت وما بعده من الأبيات تذكير حفني بعبده في الأزهر وما لاقاه من شظف العيش فيه أيام كان طالبا به مع زميله المرحوم سلطان محمد بك .

(٣) الشمني ، هو أبو العباس تقى الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري الحفني من علماء القرن التاسع ، ولد بالاسكندرية سنة ٨٠١ هـ وتوفي في شهر ذي الحجة سنة ٨٧٢ هـ .

(٤) ابن جني ، هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصل ، إمام من أئمة النحو معروف ، ولد قبل سنة ٢٣٠ هـ وتوفي في صفر سنة ٣٩٢ هـ .

(٥) « ما » : مفعول لقوله قبل : « وذقت » . والمجن : الرس . وقلبن له ظهر المجن ، أى تغيرن عليه وتكرن له ؛ وهو مثل يضرب لمن كان مع صاحبه على مودة ثم تحول عنها .

(٦) يريد بسلطان : المرحوم سلطان محمد بك زميل حفني بك ، وكان مجاورا معه في الأزهر ، وتخرج في دار العلوم ، ثم كان أستاذا بها وبالجامة المصرية القديمة أيضا .

يَبِيتُ بِقَصْعِ مَا لَمْ * أَسْمَهُ أَوْ أَكْنَى
 تَشْكُو إِلَيْكَ وَتَشْكُو * إِلَيْهِ عَيْشَةَ غَيْنِ
 أَيَّامُ يَدْعُوكَ (حَفِي) : * مِنْ الْحَيَاةِ أُخْرَى
 هَاتِ الْمُسَدَّسَ إِنِّي * سَمِيتُ (مَثْنَى) وَ (جُنْبِي)
 (١)
 مَنْ لِي بِدِرْهِمٍ لَحِيمٍ * عَلَيْهِ حَبَّةُ سَمِينِ
 (٢)
 قَرِئْتُ وَاللَّهِ حَقِّي * صَاحَتِ عَصَافِيرُ بَطْنِي
 أَيَّامُ عَيْدِكَ يَوْمٌ * تَفُوزُ فِيهِ بِدُهْنِ
 (٣)
 أَيَّامُ (مَهْيَا) أَشْهَى * إِلَيْكَ مِنْ (سَنَ جَوْفِي)



أَقُولُ هَذَا وَإِنِّي * لَمْ أَحْسِنُ فِيكَ ظَنِّي
 فَإِنَّ قَدَوْتَ وَزِيرًا * يَوْمًا وَجِئْنَا نَهْنَى
 فَلَا تَكُنْ ذَا حِجَابٍ * وَلَا تُطِلْ فِي التَّجَنِّي
 وَلَا تُقِلْ مِنْ غُرُورٍ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي

(١) الحبة . جز من ثمانية وأربعين جزءاً من درهم .

(٢) قرم إلى اللحم قرماً (بالتحريك) : اشتدت شهوته إليه . ومباح عصافير البطن : سحابة من شدة الجوع .

(٣) مهيا : اسم لبائع أطعمة أكثرها من الفول بجوار الأزهر . (وسان جوفى) : اسم لبائع حلوان في مدينة حلوان .

(٤) إني ، أى إني كذا وكذا مما يحدث به عن نفسه في معرض الفخر .



(١)
أَخَشَى عَلَيْكَ الْمَنَابَا * حَتَّى كَأَنَّكَ مِنِّي
إِذَا شَكَّوْتَ صُدَاعَا * أَطَلْتُ تَسِيدَ جَفْنِي
وَإِنْ عَرَاكَ هُزَالٌ * هَيَّأْتُ لِحْدِي وَقُطْنِي
وَإِنْ دَعَوْتُ لِحْيَ * يَوْمًا فَإِيَّاكَ أَعْنِي
عُمْرِي بِعُمُرِكَ رَهْنٌ * فِيمَشْ أَعِشْ أَلْفَ قَرْنٍ
نَبَقِي وَإِبْلِيسَ فِيهَا * نُبِّيَ اللَّيَالِي وَتُقْنِي
أَسْرَفْتُ فِي الْمَرْحِ فَاصْفَعْ * يَا سَيِّدِي وَأَعْفُ عَنِّي
فَالذَّنْبُ ذَنْبٌ (شُدُودِي) * فَالْعَنَ (شُدُودِي) وَدَعْنِي (٢)
قَدْ سَنَ فِينَا مُزَاحَا * عَلَى الْحَقِيقَةِ يَحْنِي
دُقْتُ الْأَمْرَيْنِ مِنْهُ * فَسَلَّ (سَلِيًّا) وَمَسَلِّي (٣)
وَأَسْمَعَ مَدِيحَ حُبِّ * يُطِيرِي بِحَقِّ وَيُثْنِي

(١) يشير بهذا البيت وما بعده من الآيات الخمسة الآتية بعده إلى حادثة مسروقة بين حفي وحافظ ، وذلك أنه لما توفى المرحوم الشيخ محمد عبده وقف على قبره يوم تأييده ستة من الخطباء ، وهم : الشيخ أبو خلوطة ، وحسن عاصم باشا ، وحسن عبد الرازق باشا ، وقاسم أمين بك ، وحفي ناصف بك وحافظ إبراهيم بك ، وقد مات الأربعة الأولون واحدا بعد واحد على حسب ترتيبهم في يوم الاثنين وجاءت التوبة على حفي بك ، وكان قد بعث إلى حافظ بآيات يذكر فيها بالموت ، ويدعوه إلى الاستعداد له إذا زلت به المنية . (٢) هو الدكتور إبراهيم شلودي الرمدى الشاعر الأديب المعروف وكان قد نظم مقطوعة في تكريم حافظ نحا فيها هذا النحو من المرح ، وذكر حافظا عبده السابق في الجيش . (٣) يريد سليم مركيس انظر التعريف به في الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٧٨

لقد جمعت خلاّلاً * تضمّنت كلّ حُسنٍ
 مُتَشّاً وُفِيّاً * وقاضياً وابنَ فنٍّ^(١)
 إنا (المعارف) فازت * بمُنيّة المُنمّنى^(٢)
 بِمُشَمّتٍ وعلّى * أبي الفُتوح) و(حفني)

اعتذار إلى أحمد شوقي بك

كتب به إليه حينما أقيم حفل زواج كريمته السيدة أمينة هانم بحامد اللاليل بك
 في كرمه ابن هاني ولم يحضره حافظ لمرض ألم به
 [نشرت في ١٥ يناير سنة ١٩١٣ م]

يا سيّدي وإمامي * وإيا أديب الزّمان
 قد عاقني سوء حظّي * عن حفلة المهرجاني^(٣)
 وكنتُ أوّل ساج * إلى رحاب (ابن هاني)
 لكنّ مريضتُ لنحسبي * في يوم ذاك القِران

(١) ابن فن : كلمة شائعة الاستعمال يوصف بها الغناء وأصحاب النكت الطريفة
 والفاكاهات الرقيقة .

(٢) يريد بمشمت : أحمد حشمت باشا ناظر المعارف إذ ذاك . وعلى أبو الفتوح باشا وكيلها .

(٣) يريد بابن هاني : أحمد شوقي بك ، وكان يكنى بهذه الكنية تشبهاً بأبي نواس الحسن بن هاني
 الحكيم الشاعر الباسي المعروف ، لما بينه الشاعرين من الشبه في الاتصال بالملوك ومخالطتهم ، والاتحاد
 في بعض أغراض شعرهما .

وقد كفاني عقاباً * ما كان من حِزباني
 حرمتُ رؤيةَ (شوق) * ولستم تلك البناي
 فاصفح فانت خَلِيقُ * بالصفح عن كل جاني
 وعش لعرش المعاني * ودُم لناج الباي
 إن فاتني أن أوفى * بالأَمْسِ حقَّ التَّهاني
 فأقبله مني قضاءً * وكن كريم الجنان^(١)
 والله يقبل منّا الصَّلَاةَ بعد الأوان

دعابة

رزق الشيخ أمين تقي الدين الأديب السوري بمولود سماه حافظاً
 وقال فيه :

لي ولدٌ سَمِيَتْهُ حَافِظًا * تَبِعْنَا بِحَافِظِ الشَّاعِرِ^(٢)
 [نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩١٣ م]

فقال حافظ :

حَافِظُ أَبِرَاهِيمَ لَكُنْه * أَجْمَلُ خَلْقًا مِنْهُ فِي الظَّاهِرِ
 فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى (حَافِظِ) * إِنْ لَمْ يَكُنْ بِالشَّاعِرِ الْمَاهِرِ^(٣)
 لَعَلَّ أَرْضَ الشَّامِ تُرْمِي بِهِ * عَلَى بِلَادِ الْأَدَبِ الزَّاهِرِ

(١) الجنان : القلب . (٢) لم يتون اسم حافظ لضرورة الوزن .

(٣) يريد « بلاد الأدب » : مصر .

(١)
 على بلاد النيل تلك التي * تاهت بأصحاب الذكا النادر
 (شوقي) و(مطران) و(صبري) ومن * سمّيته في مطلقى الباهر
 فقال الشيخ أمين :

وانجلى ان لم يحى شاعرا * ينسى أباه حكمة النائر
 شعر نظمناه ولولا الذى * رزقته ما مر بالخاطر
 فقال حافظ :

(٢)
 فإ وليدى كن غدا شاعرا * وأبدأ بهجوى الوالد الأمير
 فالذنب ذنبى وأنا المعتدى * هل يسلم الشاعر من شاعر

بين شوقي وحافظ

[نشرت في سنة ١٩١٧ م]

كان (أحمد شوقي بك) قد بعث بأبيات ثلاثة وهو فى منفاه بالأندلس
 الى حافظ، وهى :

باساكى مضر إنا لا نزال على * عهد الوفاء - وإن غبتنا - مقيمينا
 (٣)
 هلا بعثتم لنا من ماء نهركم * شيئا نبل به أحشاء صاديننا
 (٤)
 كل المناهل بعد النيل آسنة * ما أبعد النيل إلا عن أمانتنا

- (١) تاهت : انغرت . (٢) الأمر ، أى الذى يأمر بك بصنع الشعر .
 (٣) الصادى : الظلمان . (٤) المناهل : الموارد . والماء ، الآسن : المتغير .

فأجابه حافظ بهذه الأبيات

[نشرت في ٨ مايو سنة ١٩١٧ م]

عَجِبْتُ لِلنَّيْلِ يَدْرِى أَنَّ بِلْبَلَهُ * صَادٍ وَيَسْقِي رَبَّامِصِرَ وَيَسْقِينَا
 وَاللَّهِ مَا طَابَ لِلْأَحْمَابِ مَوْرِدُهُ * وَلَا أَرْتَضُوا بَعْدَكُمْ مِنْ عَيْشِهِمْ لَنَا
 لَمْ تَشَأْ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقْتَ شَاطِئَهُ * وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَ^(١)

بين حافظ والمهراوى

احتجب المرحوم حافظ ابراهيم بك حين كان بدار الكتب المصرية بعض أيام
 في بيته بالجيزة سنة ١٩١٨ م فذهب صديقه محمد المهراوى الشاعر المعروف ليزوره
 ولما رآه على غير حاله المألوفة جالت بعض المعانى في خاطره، فارتجل هذه الأبيات :

يَا رَيْئِسَ الشَّعْرِ قُلْ لِي * مَا الَّذِى يَقْضِى الرَّئِيسُ^(٢)
 أَنْتَ فِي الْحِيزَةِ خَافٍ * مِثْلَمَا تَخْفَى الشُّمُوسُ
 قَائِعٌ فِي كِسْرِ بَيْتٍ * قَدْ أَظْلَمَتِ الْفُرُوسُ
 زَاهِدٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ * مُظْهِرٌ سَاهٍ عِبُوسُ
 أَيْنَ شَعْرُ مَنْكَ نَصْرٍ * فَلَنَا فِيهِ مَسِيسُ^(٣)
 وَحَدِيثُ مَنْكَ حُلُوٌ * يَتَشَهَّاهُ الْجُلُوسُ

(١) يَأْنَى : يبعد . (٢) يَقْضَى : يصنع ويعمل . قال تعالى : (ققضاهن سبع سموات في يومين) .

(٣) مَسِيسٌ ، أى حاجة ماسة ، يقال : سمت الحاجة الى كذا ، أى أبلأت إليه .

وَفُكَاهَاتٍ عِذَابٍ * تَمَنَّاها النَّفُوسُ
 قَدْ جَفَوَتِ الشَّعْرَ حَتَّى * حَدَّثَتْ عَنْكَ الطُّرُوسُ
 وَهَجَرَتِ النَّاسَ حَتَّى * سَاءَلُوا أَيْنَ الْأَنْيَسُ؟

فأجابه حافظ على البديهة أيضا :

(١)
 أَنَا فِي الْحِيزَةِ ثَاوٍ * لَيْسَ لِي فِيهَا أَنْيَسُ
 أَنْكَرَ الْأَنْسِ مَكَانِي * وَتَأَى عَنِّي الْجَلِيسُ
 لَيْسَ يَدْرِي مَنْ رَأَى * أَطْلِقُ أَمْ حَيْسُ

دعابة كتب بها إلى السيد محمد البيلالوى نقيب الأشراف

[لما ولد نقابة الأشراف في سنة ١٩٢٠ م]

(٢)
 قُلْ لِلنَّقِيبِ لَقَدْ زُرْنَا فِضِيلَتَهُ * فَذَا دَنَا عَنْهُ حُرَّاسٌ وَجُجَابُ
 (٣)
 قَدْ كَانَ بِأَبْكَ مَفْتُوحًا لِقَاصِدِهِ * وَالْيَوْمَ أَوْصَدَ دُونَ الْقَاصِدِ الْبَابُ
 (٤)
 هَلَّا ذَكَرْتَ (بِدَارِ الْكُتُبِ) مُحِبَّتَنَا * إِذْ نَحْنُ رَغْمَ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَحْبَابُ
 (٥)
 لَوَاتِنِي جِئْتُ (لِلْبَابِ) لَا تُكْرِمَنِي * وَكَانَ يُكْرِمُنِي لَوْ جِئْتُهُ (الْبَابُ)

(١) التارى : المقيم . (٢) ذادنا : مننا . (٣) أوصد الباب : أغلقه .

(٤) صروف الدهر : نوائبه ؛ يشير إلى أن السيد محمد البيلالوى كان هو والشاعر يعملان معا

في دار الكتب المصرية . (٥) يريد « بالباب » : رأس الطائفة المعروفة بالبالية ، وهم فرقة من
 غلاة الشيعة ، رضى بابا ، لأنهم يعدونه باب المهدي ، أى نائبه .

لَا تَحْشَ جَائِزَةً قَدْ جِئْتُ أَطْلُبُهَا * إِيَّيْ شَرِيفٌ وَالْأَشْرَافُ أَحْسَابُ^(١)
فَاهْتَابًا بَمَاتِلَتٍ مِنْ فَضْلٍ وَإِنْ قُطِعَتْ * بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَسْبَابُ^(٢)

استئذان الرئيس

بيتان أرتجلهما في الاستئذان على المغفور له سعد زغلول باشا

[نشر في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ م]

قُلْ لِلرَّيْسِ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ * بَأَنَّ شَاعِرَهُ بِالْبَابِ مُتَظَرُّ
إِنْ شَاءَ حَدَّثَهُ أَوْ شَاءَ أَطْرَبَهُ * بِكُلِّ نَادِرَةٍ تُجَلَّى بِهَا الْفِكْرُ

دعابة

قالها في الدكتور محبوب ثابت سنة ١٩٢٧ م ، وكان كلاهما في ضيافة
المرحوم سعد زغلول باشا في مسجد وصيف ، وكان الدكتور — فيما قالوا —
مشغولا بأمرين إذ ذاك : وزارة يتولاها ، وفئة غنية من بيت عريق يتزوجها
والى هذا يشير الشاعر في هذه القصيدة :

يُرْغَى وَيُزِيدُ بِالْقَافَاتِ تَحْسِبُهَا * قَصَفَ الْمَدَافِعِ فِي أَفْنَى الْبَسَاتِينِ^(٣)
مِنْ كُلِّ قَافٍ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَهَا * مِنْ مَارِجِ النَّارِ تَصْوِيرَ الشَّيَاطِينِ^(٤)

(١) يشير بقوله : « إِيَّيْ شَرِيف » ، إلى الحكم الشرعي المعروف من أن الصدقة لا تجوز على
الأشراف . (٢) يريد بالأسباب : روابط المودة . (٣) يشير بهذا البيت إلى كثرة ورود
حرف القاف في حديث الدكتور محبوب ثابت وجرسه على النطق بها . ويريد بالشرط الثاني منه أن هذه
القافات الغنية الواقع على الأذن في وسط كلماته الرقيقة أشبه بأصوات المدافع المرتدة في البساتين الغناء .
(٤) المايح : النار التي لا دخان لها .

(١) قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْقَافَاتِ يَلِكُهَا * وَأَخْتَصَّ سُبْحَانَهُ بِالْكَافِ وَالنُّونِ
 (٢) يَنْفِي عَنْهُ الْجَحَا حِينَ وَيَحْضُرُهُ * حِينَ فَيَخْلُطُ مُخْتَلًا بِمُوزُونِ
 (٣) لَا يَأْمَنُ السَّامِعُ الْمُسْكِينُ وَثَبَّتَهُ * مِنْ (كَرْدَفَانِ) إِلَى أَعْلَى (فَلِسْطِينِ)
 (٤) بَيْنَا تَرَاهُ يُنَادِي النَّاسَ فِي (حَلَبِ) * إِذَا بِهِ يَتَعَدَّى الْقَوْمَ فِي (الصَّيْنِ)
 (٥) وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ طَيْشٍ وَلَا خَيْلٍ * لَكِنَهَا عَبَقَرِيَّاتُ الْأَسَاطِينِ
 (٦) يَبِيتُ يَنْسُجُ أَحْلَامًا مُدْهَبَةً * تُغْنِي تَقَاسِيرُهَا عَنْ (أَبْنِ سِيرِينِ)
 (٧) طَوْرًا وَزَيْرًا مُشَامَا فِي وَزَارَتِهِ * يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِي كُلِّ الدَّوَاوِينِ
 (٨) وَتَارَةً زَوْجَ عَطْبُولٍ خَدْبَلِيَّةٍ * حَسَنَاءَ تَمْلِكُ آلَافَ الْقَدَادِينِ
 (٩) يُغْنَى مِنَ الْمَهْرِ إِكْرَامًا لِلْحَيَّةِ * وَمَا أَظْلَمَتْ مِنْ دُنْيَا وَمِنْ دِينِ

- (١) يَلِكُهَا: يَمْغُهَا. ويريد «بالكاف والنون»: قوله تعالى لما يريد خلقه: «كُنْ فَيَكُونُ» .
 (٢) الجحا: العقل والقلطة . (٣) كَرْدَفَان: بلد بالسودان معروف. ويشير بهذا البيت وما بعده إلى كثرة تنقل الدكتور محبوب بين المجالس والأندية، وتنقله في موضوعات الحديث، وعدم استقراره في مكان واحد ولا موضوع واحد، وبعد المسافات التي يقطعها في هذا التنقل . (٤) مُخْتَلًا: بارأه ونازعه الغلبة .
 (٥) يريد «بالأساطين»: الأعلام المبرزين في مختلف العلوم والفنون، بجمع أسطوانة، وهي في الأصل العمود والسارية . (٦) أظهر الحمز في «ابن سيرين» لضرورة الوزن . وابن سيرين: عالم معروف بتفسير الأحلام، وينسب له كتاب مشهور في ذلك . (٧) يشير بهذا البيت إلى أمانة الدكتور محبوب في أن يكون وزيرا في إحدى الوزارات، هو لا يستقر في أمانة على وزارة واحدة .
 (٨) العطبول من النساء: الفتية الجميلة المنطقة، الطويلة القنق . والخدبلية: المنطقة القراعين والساقين . يشير إلى أمانة الدكتور محبوب في أن يتزوج من تلك صفتها . (٩) يشير بهذا البيت إلى طول حجة الدكتور محبوب وما يتوسمه الناس فيه بسببها من الصلاح والخير حتى إنهم يعفونه من مهود بناتهم إكراما لها إذا أراد التزوج من إحداهن .

دمع السرور

قال هذين البيتين عند زيارته لجميع العلى بدشتق

شَكَرْتُ بِجَمِيلِ صُنْعِكُمْ بَدَمْعِي * وَدَمْعُ الْعَيْنِ مِقْيَاسُ الشُّعُورِ
لَأَقُولَ مَرَّةً قَدْ ذَاقَ جَفْنِي * — عَلَى مَا ذَاقَهُ — دَمْعُ السُّرُورِ

دعابة كتب بها إلى صديق له

وكانت جواباً عن قصيدة دعابة أيضاً يثب بها إليه هذا الصديق

وَأَقَى كِتَابَكَ يَزْدَرِي * بِالدَّرِّ أَوْ بِالْجَوْهَرِ
فَقَرَأْتُ فِيهِ رِسَالَةً * مُزِجَتْ بِذَوْبِ السُّكَّرِ
أَجَرَيْتَ فِي أَثْنَائِهَا * نَهْرَ أَنْسِجَامِ الْكَوْثَرِ^(١)
وَقَرَّطْتَ بَيْنَ سَطُورِهَا * مَنَظُومَ تَاجِ الْقَيْصَرِ^(٢)
وَحَبَّأْتَ فِي أَلْفَافِهَا * مِنْ كُلِّ مَعْنَى مُسْكِرٍ^(٣)
فَتَرَى الْمَعَانِي الْفَارِسِيَّةَ * فِي مَفَانِي الْأَسْطَرِ^(٤)
كَالْفَانِيَّاتِ تَقَعَّتْ * خَوْفَ الْمُرِيبِ الْمُجْتَرِي

(١) الكوثر: نهر في الجنة . وأنسجامه : انسيابه واطراحه ؛ وفي هاتين الكلمتين قلب ظاهر دعت

إليه ضرورة الوزن ، والأصل : انسجام نهر . (٢) منظوم تاج القيصير : جواهره .

(٣) المعاني الفارسية ، أي البديعة ؛ وقد نسبها إلى فارس لأنهم كانوا أهل إبداع في الفنون .

وشبه الأسطر المحتوية على المعاني بالمعاني ، وهي المنازل المكونة .

(٤) الفانيات : جمع فانية ، وهي المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الرثة . والمجترى : المجترى .

^(١)
 مَعْنَى الَّذِي مِنَ الشَّيْءِ * تَهْ بِالْعَدْوِ الْمَذْبُورِ
^(٢)
 أَوْ مِنْ عِتَابٍ بَيْنَ مُحَمَّدٍ * بُوَيْبٌ وَحِبٌّ مُعْذِرٌ
^(٣)
 أَوْ فِتْرَةٌ أَضَاعَهَا إِلَهُ * قَامِرٌ عِنْدَ الْمَيْسِرِ
 أَوْ مَجْلِسٌ لِحُمْرٍ مَعَهُ * قُدُودٌ بِيَوْمٍ مُنْطَرِفٍ
^(٤)
 تَسْعُونَ بِحَاثِلَتِهَا * فَوْقَ سِنَانِ السَّمْهَرِيِّ
^(٥)
 وَالسَّمْهَرِيُّ قَلَمٌ * فِي كَفِّ لَيْثٍ قَسُورٍ
 أَتَى الْقَوَافِي كَيْفَ أَتَى * مَتَى؟ فَقَدْ أَطْلَقَتْ تَحْسِيرِي؟
 أَتَرَى أَرَاكَ أَمْ اللَّفَا * يُكُونُ يَوْمَ الْحَشِيرِ
^(٦)
 ... * ...
^(٧)
 مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَعِيدَ * شَيْءٌ أَيْ لَا لَيْفِيمَ الْمَكْسِرِ
 وَلَقَدْ قُدِّفَتْ إِلَى الْجَحِيدِ * سِيمٌ وَبُئْسَ عُقْبَى الْمُنْكَرِ
^(٨)
 تَأَلَّاهُ لَوْ أَصْبَحَتْ (أَفْ) * لَاطُونٌ تِلْكَ الْأَعْصِرُ

- (١) المذبر: المنزوم . (٢) الحب (بالكسر) : المحبوب . والمعذر : المصنف العادل .
 ويجوز أن يراد به معنى المقصر فيما يرضى بحبويه . (٣) يشبه لذة معانيه بلحظة اللعب
 في الميسر . والقامر : القامر . (٤) السمهري : الرمح الصلب . أو هو نسبة إلى سمهر زوج
 رديئة اللين كانا يهفان الرياح ؛ أو إلى قرية في الحبشة . ومعنى (شادها فوق سنان السمهري) أنه
 أنشأها بقله الجبار . (٥) القسور : اسم من أسماء الأسد ، سمي بذلك لظليته وقهره .
 (٦) هنا تضرب عن ذكر أبيات اقتضاها مقام المداعبة بين صديقين حبيين لا يصح نشرها .
 (٧) التميم المكسر : الذي يظهر لومه بعد الاختيار . وأصله من العود الذي يظهر ضعفه حين يكسر .
 (٨) أفلاطون : فيلسوف يوناني معروف ؛ ولد في سنة ٤٢٧ ق م ، وكانت وفاته في سنة ٣٤٧ ق م .

وَقَدَا (إِبْرَاط) يَا * بِكَ كَالْعَدِيمِ الْمُعِيرِ
 وَبَرَعَتْ (جَالِيُونَم) أَوْ * (لُقْمَان) بَيْنَ الْحُضِرِ^(١)
 مَا كُنْتَ إِلَّا نَافِهَ أَلْ * آدَابِ عِنْدَ الْمُعَشِرِ^(٢)
 غُفْرَانِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي مِنْ ظُلَامَتِهِ بَرَى
 سَوِيَّتِهِ كَالْكُرْكَدَنْ وَجَاءَنَا كَالْأَخْدَرِ^(٣)
 وَجْهٌ وَلَا وَجْهٌ الْخُطُو * بِ وَقَامَةً لَمْ تُشَبَّرِ^(٤)
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ مِثْ * لَ لِسَانِهِ لَمْ يُبْتَرِ^(٥)
 كَمْ بَاتَ يَلْتَحِمُ الْعُرُو * ضَ وَجَاءَ بِالْأَمْرِ الْفَرَى^(٦)
 فَاغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ كَالِ * مَرْوَدٍ فَهُوَ بِهَا حَرَى^(٧)
 وَأَنْزِلْ عَلَيْهِ السُّخْطَ إِنَّ * أَمْسَى وَلَمْ يَسْتَغْفِرِ^(٨)

- (١) الحضر : جمع حاضر . (٢) يرى : يرى .
 (٣) سويته : خلقته . والكركدن : حيوان في بجة القيل خلقته نكفة الثور إلا أنه أعظم منه ذوحافر ، وعلى رأسه قرن واحد ، وهو يتشديد الدال وتحثيف النون ، ويجبه كما هنا مشدد النون من لغة العامة ، وكذلك ورد في شعر المتنبي . والأخدرى : حمار الوحش .
 (٤) لم تشبر : لم تقس بالشبر لشدة قصرها .
 (٥) يستر : يقطع . (٦) يلتمح العروض ، أى ينال من أعراض الناس .
 والمعروف في هذا « لَمْ » و « أَلَمْ » ؛ يقال : لَمْ فلان فلانا من باب نصر ، إذا أخبر به وناله بمكره ؛ والمخفى عرض فلان ، إذا أمكنه منه أشتمه ، أى جعل عرضه لمة لعائب . والفرى (يتشديد الياء وخففت للشعر) : المصنوع المختلق (فتح اللام) ، أو الأمر العظيم . (٧) المروذ : جبار من القدماء كان في زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام . وجرى (يتشديد الياء وخففت للشعر) : خليق وجدير .
 (٨) وأنزل ؛ أصله « وأنزل » بآيات المنزة ، ووصلها لضرورة الوزن .

فهو الذي ابتدع الربا * وأقام ركن الفجر
وأقام دين عبادة الله * ينار بين الأظهر
ولقد عجبت لبخله * ولكفه المستحجر
لا يصرِف السخوت إلا * وهو غير مخير^(١)
لو أن في إمكانه * عيشا غير تضور^(٢)
لاختار سد الفتحة * ين وقال: يا جيب أحذر^(٣)

عتاب كتب به إلى محمد سليمان أباطة بك^(٤)

طال الحديث عليكم أيها السمر * ولاح للنوم في أجفانكم أثر^(٥)
وذلك الليل قد ضاعت راحله * فليس يربح له من بعدها سفر^(٦)
هذي مضاجعكم يا قوم فالتقطوا * طيب الكرى بعيون شابه السهر^(٧)
هل ينكر النوم جفن - لو أتيح له - * إلا أنا ونجوم الليل والقمر
أييت أسأل نفسي كيف قاطعتي * هذا الصديق ومالي عنه مضطرب

- (١) السخوت : الشيء القليل ؛ واستعمل في نوع من العملة قليل القيمة . (٢) التضور : التالم من شدة الجوع . (٣) يريد « بالفتحتين » مدخل الطعام ويخرجه . وأحذر ، أى أحذر الاتفاق .
(٤) ذكر في هامش ديوان حافظ المطبوع عند ذكر هذه القصيدة أنها كانت طويلة ففقد أكثر أبياتها ؛ وقد حاولنا العثور على بقيتها فلم نوفق . (٥) السمر : المتسامرون .
(٦) الرواحل : الركائب . يشبه الليل في طولها بمسافر فقد راحله ، فهو لذلك مقيم غير متحول .
(٧) التقطوا طيب الكرى ، أى تصيدوا لذيق النوم . وشابها : خالطها .

(١) فَمَا مُطَوَّقَةٌ قَدْ نَالَهَا شَرَكٌ * عِنْدَ الْغُرُوبِ إِلَيْهِ سَاقَهَا الْقَدَرُ
 (٢) بَاتَتْ يُجَاهِدُهُمَا وَهِيَ آيَسَةٌ * مِنَ النَّجَاةِ وَجَنَحَ اللَّيْلِ مُعْتَكِرُ
 (٣) وَبَاتَ زُعْلُومُهَا فِي وَكْرِهَا فَرِيحًا * مُرَوَّعًا لُرْجُوعِ الْأَمِّ يَنْظُرُ
 (٤) يُخْفِرُ الْخَوْفَ أَحْشَاءُهُ وَتَرْجِيحُهُ * إِذَا سَرَتْ نَسْمَةُ أَوْ مَوَسَّسَ الشَّجَرُ
 (٥) مَنِيَّ بَأْسُومًا حَالًا حِينَ قَاطَعَنِي * هَذَا الصَّدِيقُ فَهَلَّا كَانَ بِدَرَكُ
 يَابَنَ الْكِرَامِ أَتَنَسَّى أَتَنَى رَجُلٌ * لِيُظِلَّ جَاهِكَ بَعْدَ اللَّهِ مُفْتَقِرُ
 إِنْ قَسَاكَ فَلَا تَقْطَعْ مُوَاصَلَتِي * هَبْنِي جَنِّبْتُ نَقْلَ لِي كَيْفَ أَعْتَدِرُ؟

استعطاف

بعث به للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

لَقَدِيتُ مَحْسُودًا طَلَبَكَ لِأَتْنِي * فَتَاكَ، وَهَلْ غَيْرُ الْمُنْعَمِ يُحْسَدُ؟
 فَلَا تُبْلِغِ الْحَسَادَ مِنِّي شِمَاتَةً * فَيَعْمَلُكَ مَحْجُودًا وَأَنْتَ مُحَمَّدُ

(١) المطوقة : الحماة ذات الطوق؛ ومولون يخالف لون سائرهما يحيط بالعتق .

(٢) جنح الليل (بالكسر ويضم) : طائفة منه . واعتكر الظلام : اختلط .

(٣) زعلومها : فرغها الصغير .

(٤) يخفر أحشاه : يفرغها ويدفعها إلى الاضطراب . ويريد « يوسوس الشجر » : خفيه .

(٥) أسوأ : خير « ما » في قوله السابق : « فَمَا مُطَوَّقَةٌ » ... الخ . وبدكر : يتذكر .

وداع محمد المويلحي بك^(١)

حين سفره إلى معرض باريس

(٢)

يا كاتب الشرق ويا خير من * تسلوبنو الشرق مقاماته

(٣)

سافر وعد يحفظك رب الوري * وأبعث لنا عيسى بآياته

وقال يستقبله عند عودته من هذا المؤتمر :

من لم ير المعرض في أساع * وفاته ما فيه من إبداع

(٤)

فمعرض القوم بلا نزاع * في نقشة من ذلك اليراع

عتاب كتب به إلى جماعة من أصحابه

(٥)

تساءيت عنكم فقلت عرا * وضاعت عهود على ما أرى

(٦)

وأصبح جبل اتصالي بكم * نكيط الغزالة بعد ألنوى

(١) انظر التعريف بالمويلحي في الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٥٠ (٢) يريد «مقاماته» : كتاب

عيسى بن هشام الذي أنشأ محمد بك المويلحي على نسق هذا النوع القديم من النثر المعروف بالمقامات .

(٣) يريد عيسى بن هشام ، الذي اقترضه محمد المويلحي بك صاحب حديثه ؛ ويشير بذلك الى أن

مؤلف هذا الكتاب كان قد وعد بعمل بينه وبينه ثان خاص بأوروبا ، فهو يستعجزه وعده بذلك .

(٤) اليراع : القلم . ويريد بنقشته : ما يحفظه من عبر وجوده وصف ، شبه ذلك بنقش السحر .

(٥) تناءيت : بعدت . والعرا : جمع عروة ، وهي معروفة ؛ وقد كنى بها عن اليهود والمواثق .

أى أنه بعد عنهم قطعوا الصلة به . (٦) الغزالة : الشمس . وخيطها : شعاعها . وقد شبه به

جبل اتصاله بأصدقائه في الضعف والوهن .

وقد زال ما كان من ألفة * وودَّ زوالَ شهابِ الدُّجَى
 (١) كَانْ بَقَاءَ الْوَفَا يَنْتَكُمُ * وَيَبْقَى بَقَاءُ حَبَابِ الْحَبَا
 (٢) سَكَنْتُ إِلَيْكُمْ وَلَمْ تَسْكُنُوا * إِلَى وَقَدْ كُنْتُ نِسْمَ الْفَقَى
 وَتَقِي فَرِيقَانِ : هَذَا بِهِ * مَزَجْتُ الْوَفَاءَ، وَذَلِكَ النَّدَى
 (٣) أَصَبْتُ تَرَاتًا وَأَلْهَكُمُ الْإِتْرَا * كَاثُرٌ عَنَّا فُرَّ الْعِدَا
 (٤) وَمَنْ كَانَ يُنْسِيهِ إِتْرَاؤُهُ * صَدِيقَ الْخَصَامَةِ لَا يُصْطَلَى

ذِكْرِي

كتب بها من السودان إلى طائفة من إخوانه

(٥) مِنْ وَاجِدٍ مُتَّقِرٍ الْمَنَامِ *
 طَرِيدٍ دَهْمٍ جَائِرٍ الْأَحْكَامِ *
 مُشْتَتِّ الشَّمْلِ عَلَى الدَّوَامِ *
 مُلَازِمٍ لِلْهَمِّ وَالسَّقَامِ *

(١) حباب الماء . (فتح الحاء) : فقايقه التي تكون على سطحه . والحيا : المطر .

(٢) سكن إليه : اطمأن إليه ووثق به .

(٣) الترات (بالضم) : ما يصاب من المال الموروث . ويريد « بالكثرة » : التناثر في كثرة

الأموال والمفاخرة بها . (٤) الإترأ : كثرة الأموال . والخصامة : الفقر والاحتياج .

(٥) الواجد، ذو الوجد . ومتقرا المنام : مطرود عنه النوم . وقوله « من واجد » : خير مقدم،

والمبتدأ قوله : « تحية » بعد أبيات طويلة .

- * إِلَيْكُمْ يَا نُزْهَةَ الْأَنَامِ *
- * وَفَيْةَ الْإِنْسَانِ وَالْمُدَامِ *
- * مَنْ أَقْسَمُوا بِالزَّيْمِ الْأَقْسَامِ *
- * بَأَنَّ يَقْضُوا دَوْلَةَ الظَّلَامِ *
- (١)
- * مَا مَيَّنَ بَنَتِ الْحَانَ وَالْأَنْفَامِ *
- * وَمُطَرِّبٍ مِنْ خَيْرَةِ الْأَقْوَامِ *
- (٢)
- * أَرْقَ مِنْ شِعْرِ (أَبِي تَمَامٍ) *
- * وَجَلِيسٍ فِي غَفْلَةِ الْأَيَّامِ *
- (٣)
- * قَدْ مَلَّ فِيهِ كَاتِبُ الْأَنَامِ *
- (٤)
- * نَجِيَّةٌ كَالْوَرْدِ فِي الْكِحَامِ *
- * أَرْهَى مِنَ الصَّعَةِ فِي الْأَجْسَامِ *
- (٥)
- * يَسُوقُهَا شَوْقٌ إِلَيْكُمْ نَائِي *
- * تَقْصُرُ عَنْهُ هِمَةُ الْأَقْلَامِ *
- * يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ هَذَا الْعَامِ *

(١) بنت الحان : الخمر . والحان : موضع بيعها . (٢) أبو تمام ، هو حبيب بن أوس الطائي شاعر عياشي معروف . (٣) مل : تعب . وكاتب الأنام : الملك الذي يكتب سيئات المروء وذنوبه . يريد أن المجلس قنأى من المدامى ما يعيى كلب الذنوب فيمل الكتابة من كثرة ما يكتب ويحصى . (٤) الكام (بكسر الكاف) : جمع كامة ، وهي غطاء الزهر . (٥) نائي : زائد .

- * إِلَيْكُمْ تَرْبِي بِي الْمَرَامِي *
(١)
- * أَمْ يَتَّقُونِي رَائِدُ الْحِمَامِ *
(٢)
- * فَأَنْطَوِي فِي هَذِهِ الْآكَامِ *
(٣)
- * وَتُولِمُ الضَّبْعُ عَلَى عِظَامِي *
(٤)
- * وَلَأَيُّهَا لِلْوَحْشِ فِي الْإِظْلَامِ *
(٥)
- * فَلَنْ أَتَى يَوْمِي وَأَوْدَى لَائِي *
(٦)
- * وَبَاتَ زَادَ السُّدُودِ وَالرُّغَامِ *
(٧)
- * بِاللَّهِ أَدْعُوكُمْ وَبِالْإِسْلَامِ *
(٨)
- * أَنْ تَذْكُرُوا نَاطِمَ ذَا الْكَلَامِ *
(٩)
- * إِذَا جَلَسْتُمْ مَجْلِسًا لِلْحِمَامِ *
(١٠)
- * وَكَانَ سَاقِبُكُمْ مِنَ الْآرَامِ *
(١١)
- * فِي لَيْلَةٍ وَالْبَدْرُ فِي تَمَامِ *
(١٢)

(١) انواء : قصده . والحمام : الموت . ورائده : رسوله .

(٢) الآكام : جمع أكمة ، وهي الراية والحجارة تجتمع في مكان واحد ؛ يريد آكام السودان .

(٣) تولم : تقيم للولائم .

(٤) أودى : هلك . ولام الإنسان ، شتمه .

(٥) الرغام : التراب .

(٦) الجلام : الإبناء من قضة ؛ ويريد به هنا : قبح الخمر ؛ وهو لفظ فارسي معرب .

(٧) الآرام : الغزلان ، الواحد رثم .

وداع لصديقيه محمد بدر وأحمد بدر

عند سفرهما الى بلاد الإنجليز للتعلم

^(١) سِيرَا أَيَا بَدْرَى سَمَاءِ الْعَلَا * وَأَسْتَقْبِلَا السَّمَّ وَلَا تَأْفَلَا

^(٢) سِيرَا إِلَى مَهْدِ الْعُلُومِ الَّتِي * كَانَتْ لَنَا ثُمَّ أَرْدَهَا هَا أَلَيْلَى

^(٣) سِيرَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْبَتَتْ * عِزًّا وَأَخْجَحَتْ لِيَلَا مَوْتَلَا

^(٤) يَمْشِي عَلَيْهَا الدَّهْرُ مُسْتَحْذِيَا * وَتَجَزَّعُ الْأَحْدَاثُ أَنْ تَزِلَا

شِعَارُ أَهْلِهَا وَأَبْنَائِهَا * أَنْ يَعْلَمَ الْمَرْءُ وَأَنْ يَعْلَا

^(٥) فَرَيْنَا الْمَجْدَ بُشُورِ النَّهْيِ * وَبِمَعْلَا الْجَاهِ بَأَنْ تَكَلَّا

وَأَسْتَقْبِلَا الْعِلْيَاءَ وَأَسْتَمْسِكَا * بِعُرْوَةِ الصَّبْرِ وَلَا تَعْجَلَا

^(٦) وَخَبِرَا الْقُرْبَ وَأَبْنَاءَهُ * بَأَنَّا نَحْنُ الرِّجَالُ الْأَلَى

لَنْ غَدَا الدَّهْرُ بِنَا مُذِيرًا * لَا بُدَّ لِلْمُذِيرِ أَنْ يُقِيلَا

^(٧) لَا زِلْمًا قَرَيْنَ فِي دَوْحَةٍ * يُظَلُّ مَنْ رَجَى وَمَنْ أَمَلَا

نَمُتْكَ مِضْرُورًا بِأَكْمَا * أَبْ كَرِيمٍ جَدِّ حَتَّى عَلَا

(١) تم البدر : تمامه وأكملته . وأفل القمر والشمس بأفل (بكسر الفاء وضمتها) : غابا .

(٢) أزدناها هالي : تبارك بها واستخف . (٣) يريد « بالأرض » : بلاد الإنجليز .

والموتل : الملبأ . (٤) استخفى استغفاء : خضع وذل . (٥) النهي : العقول .

(٦) الألى : أى الذين كان لهم تاريخ حافل بالسبق في ميادين الحضارة والعلوم ؛ لغذف الصلة للعلم بها .

(٧) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

(١) مَضَى وَقَدْ أَوْلَا كُنَّا نِعْمَةً * لَا تَبْسُطَا فِيهَا وَلَا تَغْلَا
فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى وَالِدٍ * كَمَا كُنَّا الْإِعْزَازَ بَيْنَ أَلَمَّا

إلى أحمد شوقي بك^(٢)

يودعه حين سفره إلى مؤتمر المستشرقين

(٣) يَا شَاعِرَ الشُّرُقِ أَتَيْتُ * مَاذَا تُحَاوِلُ بَعْدَ ذَلِكَ
هَذِي النُّجُومُ نَظَّمَتَهَا * دُرَّرَ الْقَرِيضُ وَمَا كَفَاكَ
وَالْبَذْرُ قَدْ عَلِمَتْهُ * أَدَبَ الْمُثُولِ إِذَا رَأَى^(٤)
وَسَمَوَتْ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ * دِفْكِدَتْ تَعَثَّرُ بِالسَّمَاءِ^(٥)
وَحَبَاكَ عَبَّاسُ الْحَا * مِدِّ بِالْمَوَاهِبِ وَأَصْطَفَاكَ^(٦)
وَدَعَتْكَ مِصْرُ رَسُولَهَا * لِلْغَرْبِ مُدْعَرَفَتْ عُلاكَ
فَارْحَلْ وَعُدْ بَوْدِيعةِ الرَّحْمَنِ أَنْتَ وَصَاحِبَاكَ

(١) لا تبسطا فيها ، أى لاتسما فى الإقفاق . وقيل يدها يغلقها (من باب نصر) : إذا قبضها عن الإقفاق . وأصله من وضع اليد فى الثقل (بضم التين وتشديد اللام) ، وهو طوق من حديد أرجله يجعل فى العنق أرفى اليد . (٢) انظر التعريف بشوقي فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ٥ .
(٣) اتشد : تمهل . (٤) أدب المتول ، أى أدب الوفوف بين يديك .
(٥) السماء : أحد كوكبين نيرين ، يقال لأحدهما : السماء الراح ، والآخر : السماء الأعزل .
(٦) حباك : أعطاك .

إلى صديقه محمد عبده البابلي^(١) بك يعاتبه

كُتِبَ بها إليه من السودان

(٢) اِنِّ عَضِّكَ يَا اُنْحَى بِالْمَلَامِ * لَا يُؤَدِّي لِيَسْلُ هَذَا اِلْخِصَامِ
 (٣) اَنْتَ (وَالشَّمْسِ) (وَالضُّحَى) وَاللَّيَالِي الـ * عَشِير (وَالْفَجْرِ) غَيْرُ رَاغِي الدِّمَامِ
 (٤) مَا عَيْدُنَاكَ يَا كَرِيمَ السَّجَايَا * تَصْرِفُ النَّفْسَ عَنْ هَنَاتِ الْكِرَامِ
 (٥) لَيْسَ فِي كُتُبِنَا سُؤَالُ نَسْوَالٍ * مِنْكَ حَتَّى خَشِيتَ رَدَّ السَّلَامِ
 (٦) نَحْنُ تَرْضَى بِالْقُبُورِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَإِنْ بَاتَ دُونَ قُوَيْتِ النَّعَامِ
 (٧) وَإِذَا خَانَ قِسْمُنَا مَا شَكَّوْنَا * لِسِوَى اللَّهِ أَعْدِلِ الْقِسَامِ
 كَيْفَ تَنْتَبِى يَا (بَابِلِي) غَرِيبَا * بَاتَ بَيْنَ الظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ
 (٨) وَحَزِينَا إِذَا تَقَفَسَ عَادَتِ * حَقْمَةُ اللَّيْلِ بِجَمْرَةٍ مِنْ ضِرَامِ
 (٩) وَإِذَا أَنْ كَادَ يَنْصَدِعُ الْأَفْ * قُبُورُ وَتَقَعْلُ دَوْرَةُ الْأَجْرَامِ
 (١٠) بَاتَ تَحْتَ الْبَلَاءِ حَتَّى تَمْتَنَى * لَوْ يَكُونُ الْمَيِّتُ تَحْتَ الرِّغَامِ

(١) انظر تعريف محمد البابلي في الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ (٢) عضبك، أى
 غضى إليك . (٣) يقسم بما أقسم الله به في سورة (الشمس) (والضحى) (والفجر) . والدمام :
 الحق واخرية . (٤) يريد بالهنات : المقنعات اليسيرة التى يحتمل مثلها ، الواحدة هنة ، أى
 ما عهدناك تسامح لغيرك فى أقل هفوة ، فما بالك تأتى بالأخطاء الكبيرة . (٥) النوال : العطاء .
 (٦) ضرب الشاعر قوت النعام مثلا فى التفاحة والقلة ، لأن النعمة تقنات بالحمى والحجارة اذا لم تجد
 ما تقنات به . (٧) القسم (بكر القاف) : التصيب والحفظ من الخير والرزق . (٨) يريد
 « فحمة الليل » : سواده الشديد المشبه للنعم . (٩) الأجرام : الأتلاك . (١٠) الرغام
 (فتح الراء) : التراب . وكفى بالميت تحت الرغام عن الموت .

وكتب إليه أيضا يعاتبه ويداعبه :

أَدَلَّالُ ذَاكَ أَمَّ كَسَلُ * أَمَّ تَنَاسٍ مِنْكَ أَمَّ مَلَلُ
 أَمَّ غَيْرِيَّ أَنْتَ فِي جَدَلٍ * أَمَّ بَكَامَاتِ الْهَنَاءِ مَعَلُ^(١)
 أَمَّ - وَقَالَ اللَّهُ - فِي كَدَرٍ * أَمَّ عَلَى الْأَعْذَارِ مُتَكَلُّ^(٢)
 أَمَّ مَشُوقٌ مُغْرَمٌ وَلَهُ * شَفَقُهُ التَّشْيِيبُ وَالْعَزَلُ^(٣)
 أَمَّ غَنِيٌّ بَاتَ يَسْغُلُهُ * مَالُهُ وَالْكَسْبُ وَالْأَمَلُ^(٤)
 أَمَّ وَشَى وَاشِ الْيَكْ بِنَا * فَأَحْتَوَاكَ الشُّكَّ (بِإِبْطَالِ)^(٥)
 قَدْ مَضَى شَهْرٌ وَأَعْقَبَهُ * ضِعْفُهُ وَالْفِكْرُ مُشْتَبِلُ
 لَا يَكْتَابُ مِنْكَ يُطْفِئُ مَا * فِي فُؤَادِي بَاتَ يَسْتَعِلُّ^(٦)
 لَا وَلَا رَدُّ يُعَالِنِي * أَوْ عَلَى التَّسْلِيمِ يُسْتَمِلُ^(٧)
 يَا صَدِيقِي لَا مُوَاخَذَةً * أَنْتَ يَا بَنَ الْبَابِلِيِّ ...

وكتب إليه أيضا يتشوق :

نَمَى يَا بَابِلِيُّ إِلَيْكَ شَوْقِي * وَعَيْنِي لَا زَمَتْ سَكْبَ الثَّمُوعِ^(٨)
 وَلَوْ أَنَّي تَرَكْتُ مَرَاحَ قَلْبِي * لَطَارَ إِلَيْكَ مِنْ قَفْصِ الضُّلُوعِ

(١) الجدل (بالتحريك) : الفرح . والتل : التنوان . (٢) الوله : التحير من شدة
 الوجد . وشفه : هزله وأرهمه . والتشييب بالنساء : وصفهن وذكر محاسنهن . (٣) احتواء :
 ملكه وطلب عليه . (٤) علاه : شغله والماء . (٥) موضع هذه القطعة يستجاء من
 ذكرها ، ولا تخفى على القارئ . (٦) نَمَى : زاد .

شكر وزير زار حافظا في منزله

لا غرو إن أشرق في منزلي * في ليلة القدر عجا الوزير
فالبدر في أعلى مداراته * للعين يبدو وجهه في القدر^(١)

دعابة كتب بها الى الأستاذ حامد سري^(٢)

في يوم زقاة (٢ نوفمبر سنة ١٩١٧) يستدي من طعام العرس وثيا يلبسها ، وكنا إذ ذاك متجاورين بالجيزة :

أحمد كيف تنساني ويثني * ويثنيك يا أخي صلة الحوار
سأشكو للوزير فإنت توائى * شكوتك بعده للسنار^(٣)
أشبع مصطفى الخولي وأسي * أعالج جوعتي في كبرداري^(٤)
وبيتي فارغ لا شيء فيه * سوى وإني في البيت عاري
ومالي جزمة سوداء حتى * أوافيكم على قرب المزار
وعندي من صحابي الآن رهط * إذا أكلوا فأساد صواري
فإنت لم تبعثني إلى حالا * بمائدة على متن البخار
تغطيها من الحلوى صنوف * ومن حمل تبيل البهار
فلأني شاعر يحشى لساني * وسوف أريك عاقبة احتقاري

(١) يقول في هذين البيتين : إن الوزير على سمو منزله قد أشرق نوره في منزلي على ضعفه ، ولا عجب ، فاليدر في السماء تظهر صورته في غدير الماء . (٢) وردت اليتا هذه الأبيات بعد الانتهاء من طبع هذا الباب فأنبتها في آخره ؛ وكان مقتضى طريقتنا في ترتيب القصائد ترتيبا تاريخيا أن نضع قبل ذلك ، أي بعد الأبيات التي رد بها حافظ على شوقي في سنة ١٩١٧ (٣) يريد وزير الزراعة ؛ وكان حامد سري بك من رجال هذه الوزارة ولا يزال بها إلى اليوم . (٤) إنما خص الأستاذ مصطفى الخولي بك بالذكر لما بينه وبين الأستاذ حامد سري من صلة المصاهرة .

الوصف

وصف كساء له

قالها أرتجالا في مجلس من إخوانه

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

(١) لي كِسَاءٌ أَنْعَمَ بِهِ مِنْ كِسَاءٍ * أَنَا فِيهِ أَتَيْهِ مِثْلَ الْكِسَائِ
حَاكَّهُ الْعِزُّ مِنْ خُيُوطِ الْمَعَالِ * وَسَقَاهُ النَّعِيمُ مَاءَ الصَّفَاءِ
(٢) وَتَبَدَّى فِي صِبْغَةٍ مِنْ أَدِيمِ اللَّيْلِ مَضْقُولَةٌ بِجُسْنِ الطَّلَاءِ
(٣) خَاطَهُ رَبُّهُ بِإِبْرَةٍ يُنِينُ * أَوْجَرُوا سَمَهَا خُيُوطَ الْهَنَاءِ
فَكَأَنِّي - وَقَدْ أَحَاطَ بِجُسْمِي - * فِي لِبَاسٍ مِنَ الْعِلَاءِ وَالْبَهَاءِ
تُكْبِرُ الْعَيْنُ رُؤْيِي وَتَرَانِي * فِي صُفُوفِ السُّلَاطَةِ وَالْأَمْرَاءِ
أَلِفَ النَّاسِ - حَيْثُ كُنْتُ - مَكَانِي * أَلْفَةَ الْمُعْلِمِينَ شَمْسَ الشَّائِ
(٤) يَارِدَائِي وَأَنْتَ خَيْرُ رِدَائِي * أَرْجِيهِ لِرِزْنَةٍ وَأَزْدِهَاءِ

(١) الكسائي، هو علي بن حمزة، إمام الكوفيين في النحو واللغة، وكان معلما لأولاد أمير المؤمنين
هارون الرشيد؛ وتوفي حوالي سنة ١٨٩ هـ. (٢) تبدى: ظهر. والأديم: الجلد. وأديم
الليل: سواده، لأنه كالجلد يفتش الليل. وبغضه. (٣) النين: البركة. «وأجروا سمها» الخ
أي أدخلوا الخيوط في ثوبها. والإيجار في الأصل: إدخال الوجور (ومر الدواء) في فم المريض؛
أو هو الطعن بالرمح في الثم أو الصدر. (٤) الأزدهاء: الزمو والاختيال.

(١)

لَا أَحَالَتْ لَكَ الْحَوَادِثُ لَوْنًا * وَتَعَدَّتْكَ نَاسِجَاتُ الْجَوَاءِ

غَفَلَتْ عَنْكَ لِلَّيْلِ نَظَرَاتُ * وَتَحَطَّنَتْكَ إِبْرَةُ الرَّفَاءِ

(٢)

صَحِيحَتِي قَبْلَ أَصْطِحَاكِ دَهْرًا * يَذَلُّهُ فِي تَلَوْنِ الْحَرْبَاءِ

(٣)

نَسَبُوهَا لَطِيلَسَانَ (ابْنِ حَرْبٍ) * نِسْبَةً لَمْ تَكُنْ بِذَاتِ أَفْتَرَاءِ

كَنتُ فِيهَا إِذَا طَرَقْتُ أَنَاسًا * أَنْكَرُونِي كَطَارِقٍ مِنْ وَبَاءِ

كَسَفَ الدَّهْرُ لَوْنَهَا وَأَسْتَعَارَتْ * لَوْنَ وَجْهِ الْكَذُوبِ عِنْدَ اللَّقَاءِ

يَا رِدَائِي جَعَلْتَنِي عِنْدَ قَوْمِي * فَوْقَ مَا أَشْتَبِي وَفَوْقَ الرَّجَاءِ

(٤)

إِنِّي قَوْمِي تَرْوِقُهُمْ جِدَّةُ الشُّو * بِ وَلَا يَعْشُقُونَ غَيْرَ الرُّوَاءِ

قِيَمَةُ الْمَرْءِ عِنْدَهُمْ بَيْنَ تَوْبٍ * بَاهِرٍ لَوْنُهُ وَبَيْنَ حِذَاءِ

(٥)

قَسَدَ الْفَضْلِ بِي وَفُتَّ بِعِزِّي * بَيْنَ صَحْبِي ، جُزَيْتَ خَيْرَ الْجَزَاءِ

- (١) أحاله : حوله من حال إلى حال . وناسجات الجواء : الرياح التي تهب في الأجواء طولاً وعرضاً كما يفعل الناصب فيما ينسجه ، لأنه يمرض النسبجة فيلحم ما أطال من السدى . والجواء : جمع جوق بالمعنى المعروف ؛ أو بمعنى القفلة الواسعة . (٢) البذلة من الثياب : ما لا يسان منها . والحرباء : دوية نحو العظاية تستقبل الشمس برأسها وتدور معها كيف دارت ، وتلَوْنُ ألواناً بجزر الشمس ؛ ويضرب بها المثل في القلب . (٣) الطيلسان (بالفتح وتلث اللام) : كساء مدور أخضر لا أسفل له ، لحته وقيل سداه من صوف ، يلبسه الخوادم من العلماء ، وأصله من لباس العجم . وطيلسان ابن حرب : مثل يضرب لكل ثوب قديم خلق ، وسبب ذلك أن بعض الشعراء كان قد مدح ابن حرب ، فخلع عليه طيلساناً بالياً ، فقال في ذلك الطيلسان شعراً كثيراً حتى صير ذلك الطيلسان مثلاً لكل ما يلي ورث من الثياب ؛ فن ذلك قوله :
يَا بَنَ حَرْبٍ كَسَوْنِي طِيلَسَانًا * رَقَ مِنْ صَحْبَةِ الزَّمَانِ وَصَدَى
طال ترداده إلى الرفو حتى * لو بعثناه وحده لتهدى
وغير ذلك من الشعر . والافتراء : اختلاق الكذب . (٤) تروقهم : تعيهم . والرواء : حسن النظر . (٥) قعدي : عجز عن رفع شأنه ، إذ لم يقومه قومي بلجهم به .

الحاكي

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

وَجَدُوا السَّبِيلَ إِلَى التَّقَاطُعِ بَيْنَنَا * وَالسَّمْعُ يَمْلِكُهُ الْكَذُوبُ الْحَافِظُ
لَا تَجْعَلِ الْوَاشِينَ رُسُلَكَ فِي الْهَوَى * فَلَا صَدَقَ الرُّسُلُ الْجَبَادُ النَّاطِقُ^(١)

الشمس

[نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

لَا حَ مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاطِرِينَ * فَتَسُوا بِاللَّيْلِ وَضَاحَ الْجَبِينِ^(٢)
وَمَحَتْ آيَتُهَا آيَتَهُ * وَتَبَدَّتْ فِتْنَةٌ لِلْعَالَمِينَ
نَظَرَ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا نَظْرَةً * فَارَى الشَّكَّ وَمَا ضَلَّ الْيَقِينَ^(٣)
قَالَ : ذَارِبِي ، فَلَمَّا أَفَلَتْ * (قَالَ : إِنِّي لَا أَحِبُّ الْإِفْلِينَ)^(٤)
وَدَعَا الْقَوْمَ إِلَى خَالِقِهَا * وَأَتَى الْقَوْمَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ^(٥)

- (١) يصف في البيت الأول الوشاة وأنهم أصابوا السبيل لامتلاك سمع من يحيا بما يلقون إليها من أكاذيب؛ وما أقدر الكذوب على ذلك، وبينهما في البيت الثاني عن أن توسط الوشاة بينه وبينها، فان فعلت فليكن الرسول ذلك الحاكي، فهو الجباد الناطق الصادق. (٢) وضاح الجبين : القمر.
- (٣) إبراهيم : لغة في إبراهيم، وهو نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام. ويشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى في القرآن في سورة الأنعام عن إبراهيم عليه السلام؛ قال تعالى : (فلما رأى الشمس بازغة) الآية.
- وقوله : «فارَى الشك» ... الخ، أي أظهر لقومه أنه شك في الإله لكنهم إليه وهو متيقن بوجوده.
- (٤) أظلت : غابت.
- (٥) السلطان : الحجة.

رَبِّ إِنَّ النَّاسَ ضَلُّوا وَغَوَوْا * وَرَأَوْا فِي الشَّمْسِ رَأْيَ الْخَاسِرِينَ
 خَشَعَتْ أَبْصَارُهُمْ لَمَّا بَدَتْ * وَإِلَى الْأَذْقَانِ تَعَرُّوا سَاجِدِينَ
 نَظَرُوا آيَاتِهَا مُبْصِرَةً * فَعَصَوْا فِيهَا كَلَامَ الْمُتَمَلِّينَ
 نَظَرُوا بِدَرِّ الدُّجَىٰ مِرَآئَهَا * تَتَجَلَّىٰ فِيهِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ
 ثُمَّ قَالُوا : كَيْفَ لَا تُعْبِدُهَا * هَلْ لَهَا فِي تَرَى الْعَيْنِ قَرِينٌ ؟
 هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ فِي نِسْبَتِهَا * هِيَ أُمُّ الْكَوْنِ وَالْكَوْنُ جَنِينٌ ^(١)
 هِيَ أُمُّ النَّارِ وَالنُّورِ مَعَا * هِيَ أُمُّ الرِّيحِ وَالْمَاءِ الْمَعِينِ ^(٢)
 هِيَ طَلْعُ الرُّوْضِ نَوْرًا وَجَنَى * هِيَ نَشْرُ الْوَرْدِ، طِيبُ الْيَاسَمِينِ ^(٣)
 هِيَ مَوْتُ وَحَيَاةُ الْوَرَى * وَضَلَالٌ وَهُدًى لِلْفَاسِرِينَ
 صَدَقُوا لَكُمْ مَا عَلِمُوا * أَنَّهَا خَلَقَ سَبِيلَ السَّيِّئِينَ
 أَعْلَهُ لَمْ يُسْتَزَّ ذَاتَهُ * عَنْ كُسُوفٍ، بَلَسَ زَعْمُ الْجَاهِلِينَ
 لَأَمَّا الشَّمْسُ وَمَا فِي آيَاتِهَا * مِنْ مَعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينَ
 حِكْمَةٌ بِالْفَنَاءِ قَدْ مَثَلَتْ * قُدْرَةَ اللَّهِ لِقَوْمٍ عَاقِلِينَ

(١) يشير بقوله : « هي أم الأرض » ، الى ما يقال من أن الأرض كانت جزءا من الشمس .

ثم اقصمت وبرد ظاهرها بتطاول الزمن . (٢) المعين : التابع من العيون .

(٣) يريد « بالطلع » : ما يسد من الثمرة في أول ظهورها . ونور النبات : زهره . والجنى :

ما يجنى من الشجر . ونشر الورد : راحته المنتشرة منه .

دولة السيف ودولة المدفع

[نشرت في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٠٠م]

- * يَدَوْلَةُ الْقَوَاضِيِ الصَّقَالِ ^(١)
- * وَصَوْلَةُ الدَّوَابِلِ الطَّوَالِ ^(٢)
- * كَمْ شِنَتْ بَيْنَ الْأَعْصِرِ الْخَوَالِيِ ^(٣)
- * مَمَالِكًا عَزِيزَةً الْمَنَالِ ^(٤)
- * قَامَتْ بِحَدِّ الْأَبْيَضِ الْقَصَالِ ^(٥)
- * وَسِنَّ ذَاكَ الْأَسْمَرِ الْعَسَالِ ^(٦)
- * رَاحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي
- * وَخَلَقَتْهَا دَوْلَةُ الْجَلَالِ
- * مَمْلَكَةُ الْمِدْفَعِ ذَاتُ الْخَالِ ^(٧)
- * قَامَتْ بِحَوْلِ النَّارِ وَالزَّلْزَالِ ^(٨)
- * فَأَرْهَبَتْ أَنْفِدَةَ الْأَبْطَالِ
- * أَرْهَبَهَا مُزْعِزُ الْجِبَالِ ^(٩)

- (١) القواضب: السيوف القواطع، الواحد قاضب. والصقال: السيوف المجلوة، الواحد صقيل.
 (٢) الصولة: السطوة والقهر. والدوابل: الرماح الرقيقة اللاصقة باليط، وهو القشر؛ وهي أجود الرماح، الواحد ذابل. (٣) الخوالى: الماضية. (٤) عزيزة المثال: بمنعة على من يريدها.
 (٥) يريد «بالأبيض»: السيف. والقصال (بالقاف): القطاع. (٦) الأسمر: صفة الرمح. والعسال: الشديد الاهتزاز والاضطراب للبه، وهو من صفات الرماح الجيدة. (٧) الخال: الكبر والخيلاء. (٨) الحول: القوة. (٩) يريد «بمززع الجبال»: المدفع.

- * وَمُقْرِعُ اللَّيْثِ فِي الدَّحَالِ ^(١) *
- * وَقَاطِعُ الْأَجَالِ وَالْأَمَالِ *
- * وَخَاطِفُ الْأَرْوَاحِ مِنْ أَمِيَالِ *
- * يَشُورُ كَالْبَرْكَانِ فِي التَّزَالِ ^(٢) *
- * فَيُبَيِّعُ الْأَهْوََالَ بِالْأَهْوََالَ *
- * وَيُرْسِلُ النَّارَ عَلَى الْتَوَالِيِ *
- * فَيَحِطِّمُ الْهَامَ وَلَا يُبَالِي ^(٣) *
- * مَا كَوَّكَبُ الرَّجِيمِ هَوَى مِنْ عَلِيِ *
- * فَارْكَالِ فِكْرِ سَرَى بِالْبَالِ *
- * عَلَى عَيْنَيْهِ مَا يَرِدُ مُحْتَالِ ^(٤) *
- * مُسْتَرْقٍ لِلْسَّمْعِ فِي ضَلَالِ ^(٥) *
- * مِنْ عَالَمِ التَّنْسِيْجِ وَالْإِهْلَالِ ^(٦) *
- * أَمْضَى وَأَنْكَى مِنْهُ فِي الْقِتَالِ ^(٧) *

(١) الدحال : جمع دحل (يفتح الدال وسكون الحاء) وهو قصب ضيق فيه ، ثم يتسع أسفله حتى رشي فيه ، وربما أُنيت الصدر ، وتشتد فيه السباع . (٢) التزال : القتال . (٣) يحطم : يكسر . والهام : الروس ، الواحدة هامة . (٤) العنيد : المخالف للحق الذي يرده وهو يعرفه ، والجمع عند (ضمتين) . ويريد «العنيد المارد» : الشيطان . (٥) استرق السمع : استمع مستخفيا . ويشير الشاعر إلى ما ورد من أن الجن كانت تسترق السمع من السماء قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث عليه الصلاة والسلام أرادت الجن استراق السمع كما كانوا يفعلون قبل البعثة ، فريجوا بالنهب ؛ وقد ذكر الله ذلك في القرآن في سورة الجن (٦) الإهلال : رفع الصوت بذكر الله . ويريد «عالم التنسيج والإهلال» : عالم الملائكة . (٧) قوله : «أَمْضَى... الخ خير «لما» في قوله قبل : «ما كوكب الرجيم» . وأنكى : أبلغ نكابة ، أى قتلا وجرحا .

- * إِذَا سَرَتْ قُنْبَلَةُ الْوَبَالِ ^(١) *
- * مِنْ فِيمَ الْمُخْشَوِ النَّكَالِ ^(٢) *
- * يُنْذِرُهُمْ فِي مَسَاحَةِ الْمَجَالِ *
- * بِالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ وَالْآجَالِ *
- * وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ الْخِتَالِ ^(٣) *
- * يَحْزُزُ فِي أَلْهَامٍ وَفِي الْأَوْصَالِ ^(٤) *
- * صَامِتَ قَوْلٍ نَاطِقَ الْفِعَالِ *
- * رَأَيْتُهُ كَالْقَوْمِ فِي الْمِثَالِ ^(٥) *
- * مَالُوا عَنِ الْقَوْلِ إِلَى الْأَعْمَالِ *
- * فَامْتَلَكُوا نَاصِيَةَ الْمَعَالِ ^(٦) *

ليلة عيد جلوس الخديوى

يصف فيها الزينة الكبرى التي أقيمت بمحديقة الأزبكية في مساء ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

يَا لَيْلَةَ الْهَمَّتْنِي مَا أَمِيَهُ بِهِ * عَلَى حُمَاةِ الْقَوَائِي أَيْمًا تَاهُوا ^(٧)

إِنِّي أَرَى عَجَبًا يَدْعُو إِلَى عَجَبٍ * الدَّهْرُ أَضْمَرَهِ وَالْعِيدُ أَفْشَاهُ

- (١) استعمال «القنبلة» بمعنى ما يخرج من فم المدفع عند انطلاقه استعمال شائع في كلام عصرنا، ولم ترد به لغة العرب؛ وإنما ورد ذكر القنبلة بمكان آخرى. والوبال : الهلاك. (٢) النكال : العذاب.
- (٣) الختال : الخداع، ويريد به السيف، والمعنى أن المدفع لا يأخذ الناس على غرة، بل ينذرهم بشره المشبه بالبرق، ثم بصوته المشبه للعد؛ ولم يكن كالسيف الذي يقتل بهم على غفلة فلا يشعرون به إلا وهو يحزهم ومهم ويقطع في أوصالهم. (٤) يحز : يقطع. وهي من الأفعال التي تتعدى بنفسها، وعدت هنا بالحرف على تضمينها معنى (يقرض) أو نحوها مما يتعدى بالحرف. والأوصال : الفواصل، الواحد وصل (بالكسر وبالضم). (٥) يريد «بالقوم» : أأم القرب. (٦) الناصية : مقدم الرأس. وامتلكوا ناصية المعالي، أى بلغوا ذروتها وأعلاها. (٧) حماة القوائى : لحول الشعراء.

- (١) هل ذاك ما وعد الرحمن صفوته * روض وحر وولدان وأموه
 (٢) أم الحديقة ذات الوشي قد حليت * في منظر يستعيد الطرف مرآه
 (٣) أرى المصابيح فيها وهي مشرقة * كأنها النور والوشي حياه
 (٤) أو إنما هي ألفاظ مدبجة * وكل لفظ تجل في معناه
 (٥) أرى عليها قلوب القوم حائمة * كالطير لاح له ورد قوافه
 (٦) أرى بني مصر تحت الليل قد نسلوا * إلى سعود به ضاحيحاه
 (٧) أرى على الأرض حلياً قد نسيبت به * حلى السماء وحسناً لست أنساه
 (٨) أرى أريكة (عباس) تحف بها * وقاية الله والإقبال وألجاء
 أرى سمو خديونا وقد بسطت * بالعدل والبذل يمناه ويسراه
 قل للآلئ جعلوا للشعر جارة * فيم الخلاف! ألم يرشدكم الله!
 (٩) إني فتحت لها صدرًا تليق به * إن لم تحلوه فالرحمن حلاه

(١) صفوته: من اصطلاحهم. والأمواه: جمع ماء. (٢) يريد «بالوشي» هنا: ما اختلف من ألوان النبات والزهر، تشبها بالوشي في الثوب، وهو التمش. «يستعيد الطرف مرآه» أي أن جمال المظهر يفرى بتكرار النظر. (٣) النور: زهر النبات. والوشي: المطر أول الربيع. (٤) مدبجة: مزينة. وتجلي: تكشف. (٥) حام الطائر على الماء: دار حوله. والورد (بكسر الواو): الماء المورود. (٦) نسلوا: أسرعوا. وضاحى الحيا: مشرق الوجه. (٧) الحلى: ما يزين به. (٨) الأريكة: سرير الملك. (٩) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى جماعة من كبار الأدباء والعلماء، منهم أحمد زكي باشا، وإسماعيل صبري باشا، وحفي ناصف بك، اجتمعوا على أن يجعلوا للشعر جوائز من أنواط مختلفة تمنح للشعراء بحسب درجاتهم في الشعر، لحافظ يقول: «لا تمنحلقوا في تفضيل بعض الشعراء على بعض، فالأمر في تفضيل بين لا جدال فيه، وإنكم إن لم تحلوا صدرى بأغلى هذه الأنواط وأفضلها، فإن الله قد حلاه بما وهبني من شاعرية مبدعة، وملكة فياضة».

(١) لَمْ أَخَشَ مِنْ أَحَدٍ فِي الشَّعْرِ تَسْبِقُنِي * إِلَّا قَتَى مَا لَهُ فِي السَّبْقِ إِلَاهُ
(٢) ذَلِكَ الَّذِي حَكَّتْ فِينَا رَاعَتَهُ * وَأَكْرَمَ اللَّهُ (وَالْعَبَّاسُ) مَثْوَاهُ

البورصة

[نشرت في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٤]

يَا بَيْكَ النَّحْسُ وَالسُّعُودُ * وَمَوْقِفُ الْيَأْسِ وَالرَّجَاءِ
(٣) وَفَيْكَ قَدْ حَارَتِ الْيَهُودُ * يَا مَطْلَعِ السَّعْدِ وَالشَّقَاءِ

+ +

(٤) وَوَجْهُكَ الضَّاحِكُ الْعَبُوسُ * قَدْ ضَاقَ عَنْ وَصْفِهِ الْبَيَانُ
(٥) كَمْ سَطَرْتُ عِنْدَهُ طُرُوسُ * بِقِسْمَةِ الْعِزِّ وَالْمَوَانِ
(٦) وَطُوِطِطْتُ دُونَهُ رُءُوسُ * يَهْتَرُّ مِنْ خَوْفِهَا الزَّمَانُ

+ +

وَكَمْ أَطَافَتْ بِهِ وَفُودُ * وَاكْتَرَوْا حَوْلَهُ الدُّعَاءُ
(٧) فَرَابِحٌ نَجْمُهُ سَعِيدُ * وَطَامِعٌ بِالْخَسَارِ بَاءُ

- (١) يريد « بالقي » : أحد شوقي بك شاعر الأمير . (٢) البراعة : القلم . والمثوى : المنزل .
(٣) إنما خص اليهود ، لأنهم أعلم من غيرهم بمساقل المال وطرق اكتسابه واستثماره ، كما هو معروف .
(٤) سكنت هذه القافية دفعا لما يترتب على تحريكها من وجود إقواء في البيت الثاني ، وهو اختلاف في حركة الروي . ويلاحظ أن في هذه القصيدة أياتا أخرى سكن رويها دفعا لهذا العيب المتقدم .
(٥) الطروس : الصحائف يكتب فيها ، الواحد طرس (بكسر فسكون) . (٦) طوططت ، أى انحفضت وتطامنت . (٧) باء بالخسار ، أى رجع به .

+

لَمَّا عَلَتْ صَبِيحَةُ الْمُنَادَى * وَأَصْبَحَ الْقَوْمُ فِي عَنَاءٍ
 (١)
 وَشَمَرَتْ ثَرْوَةُ الْبِلَادِ * وَخَجَّتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ
 (٢)
 فَتَعَتْ بِالْقُطْنِ فِي الْوَسَادِ * وَفِي الْحِشْيَاتِ وَالْغِطَاءِ
 وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الرَّشِيدُ * مَنْ سَارَ فِي مَنَهِجِ النِّجَاءِ
 (٣)
 بِاللَّهِ يَا قَوْمُ لَا تَزِيدُوا * فَإِنَّ آمَالَكُمْ هَبَاءُ

+

(٤)
 مُضَارِبَاتُ هِيَ الْمَنَايَا * وَرُسُلُهَا أَحْرَفُ الْبُرُوقِ
 (٥)
 صَبُوحُ أَفْهَامِهَا الرِّزَايَا * وَمَا لَمْ دُونَهَا غُبُوقُ
 قَدْ أَتَلَقَتْ أَنْفُسَ الْبَرَايَا * بِأَمِيمِ الْغَدْرِ وَالْمُغُوقِ

+

هُبُوطُهَا الْمَوْتُ، وَالصُّعُودُ * ضَرْبٌ مِنَ الْبُؤْسِ وَالْبَلَاءِ
 وَمَا لَهَا عِنْدَهُمْ عُهُودُ * إِلَّا كَمَا تَعَاهَدُ النِّسَاءُ

(١) شمرت ثروة البلاد، أى استمدت للإسراع فى الذهاب والضياع .

(٢) الحشيات : الفرش المحشوة ، الواحدة حشية (فتح الحاء وتشديد الياء) ، وهى المعروفة بالمرتبة .

(٣) الهباء : الغبار ، أو هو الشيء المنبث فى ضوء الشمس يشبه الدخان .

(٤) يريد « بأحرف البروق » : الرسائل الطرافية .

(٥) الصبوح : ما يثرب فى الصباح . والفوق : ما يثرب فى العشي .

+ +

(١) كم "بالة" سَبَّتَ وَبَالَآ * وَأَشْبَهَتْ لَامِعَ السَّرَابِ

(٢) وَبَذَرَةٍ أَنْبَتَتْ خَبَالًا * وَأَثْمَرَتْ عَاجِلَ الْخَرَابِ

وَكَمْ غَنَى أَضَاعَ مَالًا * وَشَابَ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ

+ +

(٣) فَلْيَعِظْ مِنْكُمْ الْبَعِيدُ * وَلْيَتَّقِ اللَّهَ ذُو السَّرَّاءِ

(٤) فَذَلِكَ التَّاجِرُ الشَّهِيدُ * قَدْ عَافَ مِنْ أَجْلِهَا الْبَقَاءَ

(٥) زَلْزَالِ مَسِينَا

سنة ١٩٠٨ م

(٦) نَبِّئَانِي إِنِّ كُنْتُ تَعْلَمَانِ * مَا دَهَى الْكَوْنِ أَيُّهَا الْفَرَقْدَانِ

(٧) غَضِبَ اللَّهُ أَمْ تَمَرَّدَتِ الْأَرْضُ * ضُفَّ فَاثْمَحْتُ عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ ؟

لَيْسَ هَذَا سُبْحَانَ رَبِّي وَلَا ذَا * لَكُ وَلَكِنْ طَبِيعَةُ الْأَكْوَانِ

(١) البالة : مقدار وزن معروف . (٢) الخيال : ذهاب العقل .

(٣) الزاء : الغنى . (٤) يشير بقوله : «التاجر الشهيد» الى أن بعض التجار كان قد انخرجن

ذهبت ثروته كلها في تلك المضاربات . وعاف الشيء : يعافه ويعيقه : كرهه وزهد فيه . (٥) مسينا :

بلد بجنوب إيطاليا معروف وقع فيه هذا الزلزال . (٦) الفرقدان : نبحان معروفان .

(٧) اثمحت على بني الإنسان ، أى أثقلت عليهم بالعذاب . ويرويه بعض الأدباء : « فاثمحت » ،

أى أهلكتهم وأثنت عليهم .

غَيَّانُ فِي الْأَرْضِ نَفَسَ عَنْهُ * ثَوْرَانُ فِي الْبَحْرِ وَالْبُرْكَانِ
 رَبِّ، أَيْنَ الْمَفَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْبَاءُ * عَلَى الْكَفِّدِ لِلْوَرَى عَامِلَانِ؟
 كُنْتُ أَخْشَى الْبَحَارَ وَالْمَوْتَ فِيهَا * رَاصِدٌ غَفْلَةً مِنَ الرِّيَّانِ^(٢)
 مَاسِجٌ تَحْتَنَا، مُطْلِعٌ عَلَيْنَا * حَائِمٌ حَوْلَنَا، مُنْأَى مُدَانِي^(٣)
 فَإِذَا الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ سَوَاءٌ * فِي خَلْقٍ كِلَاهُمَا غَادِرَانِ
 مَا (لِلسَّيْنِ) عُوجِلَتْ فِي صِبَاهَا * وَدَعَاهَا مِنَ الرَّدَى دَاعِيَانِ^(٤)
 وَنَحْتُ تِلْكَ الْمُحَاسِنَ مِنْهَا * حِينَ تَمَّتْ آيَاتُهَا آيَاتِ
 خُسِفَتْ، ثُمَّ أَغْرِقَتْ، ثُمَّ بَادَتْ * قُضِيَ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي ثَوَانِي
 وَأَتَى أَمْرُهَا فَأَصْحَتْ كَأَنَّ لَمْ * تَكُ بِالْأَمْسِ زِينَةَ الْبُلْدَانِ^(٥)
 لَيْتَهَا أُمِيتَتْ فَتَقْضَى حُقُوقًا * مِنْ وَدَاعِ اللَّدَاتِ وَالْجِيرَانِ
 لَمَحَّةٌ يَسْمَعُ الصَّدِيقَانِ فِيهَا * بِاجْتِمَاعٍ وَيَتَقَى الْعَاشِقَانِ^(٦)
 بَقِيَ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ عَلَيْهَا * وَطَنِي الْبَحْرُ أَيْمًا طُغْيَانِ^(٧)
 تِلْكَ تَغْلِي حَقْدًا عَلَيْهَا فَتَنْشَقُّ * أَنْشِقَاقًا مِنْ كَثَرَةِ الْغَلِيَانِ

- (١) نفس عنه : خفف . (٢) الريان : رئيس القبة . (٣) الخلاق : الحظ والنصيب من الخير والصلاح . يقول في هذه الأبيات الثلاثة : إنه كان لا ينجى إلا غائلة البحر ، ويأمن جانب البر فإذا بهما في التدرسواء . (٤) يريد « بالآيتين » : زوال الأرض ؛ وفيضان البحر . (٥) اللدات : الأتراب ، الواحدة لدة (بكسر اللام وتخفيف الدال) . والمراد نظائرهما من البلاد . (٦) بنى عليه : ظله . (٧) تلك ، أى الأرض .

- (١) فُجِيبُ الْجِبَالِ رَجْمًا وَقَدْ قَا * بُسْوَاطٍ مِنْ مَارِجٍ وَدُخَانٍ
(٢) وَتَسْوِقُ الْبِطَارُ رَدًّا عَلَيْهَا * جَيْشَ مَوْجٍ نَائِي الْجَنَاحِينَ دَانِي
(٣) فَهَذَا الْمَوْتُ أَسْوَدُ اللَّوْنِ جَوْنٌ * وَهَذَا الْمَوْتُ أَحْمَرُ اللَّوْنِ قَانِي
(٤) جَنَدَ الْمَاءِ وَالْتَرَى لِهَلَاكِهِ * خَلَقَ ثُمَّ أَسْتَعَانَ بِالنَّيِّرَانِ
(٥) وَدَعَا السُّحْبَ عَاتِيًا فَا مَدَّتْ * لَهُ يُجَيِّشُ مِنَ الصَّوَاعِقِ نَائِي
(٦) فَاسْتَحَالَ النَّجَاءُ وَاسْتَحْكَمَ الْيَأْ * سٌ وَخَارَتْ عِزَاتُهُمُ الشُّجْعَانِ
(٧) وَشَفَى الْمَوْتُ غِلَّهُ مِنْ نُفُوسٍ * لَا تُبَالِيهِ فِي بَجَالِ الطَّعْنَانِ
(٨) أَيْنَ (رِدْجُو) وَأَيْنَ مَا كَانَ فِيهَا * مِنْ مَغَانٍ مَأْهُولَةٍ وَغَوَانِي
(٩) عُوِجِلَتْ مِثْلَ أُخْتِهَا وَدَهَاهَا * مَا دَهَاهَا مِنْ ذَلِكَ الثَّوْرَانِ
(١٠) رَبُّ طِفْلٍ قَدْ سَاخَ فِي بَاطِنِ الْأَر * ضٍ يُنَادِي : أُمِّي ، أَيْ ، أَذِيرْكَانِي

- (١) الشواط : لهب لادخان فيه . والمارج : الشعلة الساطعة ذات اللمع الشديد .
(٢) نائي الجناحين ، أى بعيد ما بين الجناتين . والداني : القريب . يريد أن الموج يتسع مرة
ويضيئ أخرى . (٣) اللون : الشديد السواد . والقاني والقائي : الشديد الحمر . والعرب تطلق
الموت الأسود على الموت خفا ، والموت الأحمر على الموت قتلا لما يحذثه القتل من سيلان الدم .
(٤) الضمير في «جند» و«استعان» : الموت . (٥) عاتيا : معتديا ظالما .
(٦) خارت : ضعفت . (٧) القل : الحقد والموجدة .
(٨) رديجو كالبريا : ولاية في إيطاليا ، وهى القصوى من جهة الجنوب ، متاخمة للبحر الأيوني ويوظف
مسينا ، وقد هدمها ما اتانها من الزلازل . وإلى هذا يشير الشاعر . والمنافى : المنازل التى غنى بها أهلها
أى سكنوا وأقاموا ، الواحد معنى (فتح الميم والنون وسكون الغين) . والنواني : النساء غنين بجمالهن
وحسنهن عن الزينة . (٩) أختها ، أى مسينا . (١٠) ساخ : غاص .

(١) وَقَاةٌ هَيْفَاءُ تَسْوَى عَلَى الْجَنَّةِ * يَرْتَعَانِي مِنْ حَرِّهِ مَا تُعَانِي
وَأَيْ ذَاهِلٍ، إِلَى النَّارِ يَمْشِي * مُسْتَعِينًا تَمْتَدُّ مِنْهُ أَيْدَانُ
(٢) بَاحِثًا عَنْ بَنَاتِهِ وَبَنِيهِ * مُسْرِعَ الْخَطْوِ مُسْتَطِيرَ الْجَنَانِ
(٣) تَأْكُلُ النَّارُ مِنْهُ لَا هُوَ نَاجٍ * مِنْ لَظَاهَا وَلَا اللَّظَى عَنْهُ وَأِنِّي
(٤) غَضَبَتِ الْأَرْضُ أَنْتَحِمَ الْبَحْرُ مِمَّا * طَوَّيَاهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْدَانِ
وَشَكَا الْحَوْتَ لِلنُّسُورِ شَكَاةً * رَدَدَتْهَا النَّسُورُ لِلْحَيَاتِ
(٥) أَسْرَفًا فِي الْجُسُومِ نَقْرًا وَنَهْشًا * ثُمَّ بَاتَا مِنْ كِطْطَةِ يَشْكُوَانِ
(٦) لَا رَعَى اللَّهُ سَاكِنَ الْقِمَمِ الشُّم * وَلَا حَاطَ سَاكِنَ الْقِيَعَانِ
(٧) قَدْ أَغَارَا عَلَى أَكُفِّ بَرَاهَا * بَارِئُ الْكَائِنَاتِ لِلْإِتْقَانِ
(٨) كَيْفَ لَمْ يَرَحْمَا أَنَا مِلْهَا الْغَدْرُ * وَلَمْ يَرْفُقَا بِتِلْكَ أَلْبَانِ
(٩) لَهْفٌ نَفْسِي وَأَلْفٌ لَهْفٍ عَلَيْهَا * مِنْ أَكُفِّ كَانَتْ صَنَاعَ الزَّمَانِ

- (١) الهيفاء : الضامرة البطن ، الرقيقة الخصر . (٢) مستطير الجنان ، أى ذاهب القلب
بجزاء وإشفاقا . (٣) اللظى : حر النار واشتعالها .
(٤) غضت ، أى امتلأت . وانتخم : امتلا جوفه ، من التخم ، وهى الامتلاء من الطعام .
(٥) الكطة : البطء وما يعترى الإنسان من الامتلاء من الطعام . (٦) ساكن القمم : يريد
النسر ، لأنه يسكن أعلى الجبال . والشم : العالية المرتفعة ، الواحدة شماء . وحاط : حفظ ووقى .
ويريد «ساكن القيعان» : ما يسكن قيعان البحر من الحيتان ، كما يدل على ذلك ما سبق . (٧) براهها :
خلقها . ويريد أكف أصحاب القنون . (٨) البنان : الأصابع ، الواحدة بناة . (٩) الصناعات :
الحلقة الماهرة فى العمل .

(١) مَوَلَعَاتٍ بَصِيدٍ كُلِّ جَمِيلٍ * نَاصِبَاتٍ حَبَائِلَ الْأَلْوَانِ
 حَافِرَاتٍ فِي الصَّخْرِ أَوْ نَاقِشَاتٍ * شَائِدَاتٍ رَوَائِعَ الْبُنْيَانِ
 (٢) مُنْطَقَاتٍ لِسَانٍ كُلِّ جَمَادٍ * مُفْجِحَاتٍ سَوَاجِعَ الْأَفْنَانِ
 مُلْهَمَاتٍ مِنْ دِقَّةِ الصَّنْعِ مَالَا * يُلْهِمُ الشَّعْرُ مِنْ دَقِيقِ الْمَعَانِي
 (٣) مِنْ تَمَائِيلَ كَالنُّجُومِ الدَّرَارِي * يَهْرُمُ الدَّهْرُ وَهِيَ فِي عُنُقِ الْوَانِ
 (٤) عَجَبٌ صُنْعُهَا وَأَعْجَبُ مِنْهُ * صُنْعُهُ تِلْكَ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ
 (٥) إِيَّاهُ «مَسِينٌ» آتَيْتِ الْيَوْمَ «بُيُيَّةٌ» * «حَى» فَقَدْ أَوْحَشَتْ بِذَلِكَ أَلْمَكَانِ
 آتَيْتِ الدَّرَّةَ الَّتِي كَانَتْ الْحِلَّةَ * بَيَّةً فِي تَاجِ دَوْلَةِ (الرُّومَانِ)
 (٦) ظَالِمًا قَبْلَكَ الزَّمَانُ أَغْتِيَالًا * وَهِيَ تَلْهُو فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ

(١) الحبائل : الأشرار . ويريد بقوله : « ناصبات حبال الألوان » أن هذه الصور تمصيد القلوب والأفكار بما فيها من دقة وإتقان . ويحكى أن رقائيل المصور المعروف صور مرة عقودا من العنب على حائط فخلع بها بعض الطيور ، قال إليه ينقر حبه .

(٢) سواجع الأفنان : الجرائم التي تسجع ، أى تفترق . والأفنان : الأغصان ، الواحد فن (بالتحريك) . ويشير بالشطر الأول الى ما تصنعه هذه الأيدي من التماثيل التي تقرب من الحقيقة حتى تكاد تنطق ؛ وبالشطر الثانى الى أيدي الموسيقين البارعين .

(٣) الدرارى (بتشديد الاء ، وخفف للشعر) : جمع درى ، وهو الكوكب المتوقد المتلألئ الصافى الشعاع . وعقروان الشاب : أوله وورعانه . (٤) صنعه ، أى صنع الله تعالى . يقول : إن هذه التماثيل مهما بولغ في إتقانها ودقتها فهى لا تبلغ صنع الله الذى أتقن كل شئ .

(٥) بيمى : مدينة قديمة من إيطاليا الجنوبية تبعد اثني عشر ميلا عن نابلى الى الجنوب الشرقى وموقعها بجوار جبل فيزوف ؛ وقد حدث فيها زلزلتان تروبتا قسما منها فى سنة ٦٣ م وكان بين هاتين الزلزلتين فترة أشهر ، ثم خربت بالمواد المتفجرة فى ٢٤ آب سنة ٧٩ ، وبقيت هذه المدينة مدة سبعة عشر قرنا بعد ذلك مطمورة ، طامة الذكر ، حتى استكشفت أخيرا . (٦) ظالما : أهلكها .

(١)

جاءها الأمرُ والسَّراةُ عكُوفٌ * في المَلاهي على غِناءِ القِيانِ

(٢)

يَرى صَبَّ مُدَلِّهِ وطُروبٍ * وخَلِيعٍ في اللُّهُوِ مُرَتِّحِ العِنانِ

فانظروا كَانِطِواءِ أَهْلِكَ بالأَمِّ * يسَ وزالَتْ بَشاشَةُ العُمَرانِ

(٣)

أنتِ (مَسِين) لَنْ تَزُولِي كما زَا * لَتَ وَلَكِنْ أَمْسَيْتِ رَهَنَ الأَوانِ

إِنَّ إِيطالِيا بَنُوها بُنْءًا * فاطمِنِّي ما دامَ في الحَيِّ بايِ

فَسَلامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَوَلَّيْ * تِ بِما فَيْكَ مِنْ مَعانٍ حِسانِ

وَسَلامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تُعَوِّدِ * نَ كما كُنْتَ جَنَّةَ الطُّليانِ

وَسَلامٌ مِنْ كُلِّ حَيٍّ على الأَر * ضِ على كُلِّ هالِكٍ فَيْكَ فاني

(٤)

وَسَلامٌ على الأُلَى أَكَلِ الذُّدِّ * بُ وَناشَتْ جَوارِحُ العِقبانِ

(٥)

وَسَلامٌ على أَمْرِي جادَ بالذَّمِّ * عِج وَثَيَّ بِالأَصْفَرِ الرِّنانِ

ذاكَ حَقُّ الإنسانِ عِنْدَ بَنِي الإِنْدِ * سانٍ لَمْ أَدْعُكُمْ إلى إِحسانِ

فاكُتُبُوا في سِماءِ (رُدْجُو) و(مَسِي) * و(كَالْبَرِيّا) بِكُلِّ لِسانِ

(٦)

ها هُنَا مَصْرَعُ الصَّناعَةِ والتَّصَصِّ * يَرِ والحِذْقِ وَالْحِجَا والأَغاني

(١) يريد «بالأمر»: الحلاك والقضاء . والسراة : جمع سرى (فتح السين وتشديد الياء)، وهو الرفيع القدر من الناس . والقِيان : المنفيات، الواحدة قِيَة . (٢) المدلّ : الزاهب العقل من عشق ونحوه . والخليع : المتهتك . ومرتّح العنان : المندود له في حبل الشبوات . (٣) يريد بقوله : «أسميت رهن الأوان» : أنه ساق الوقت الذي يجدد الشعب فيه عمارتك ، ويعيد ما هدته الزلازل من مغانيك فصبحين كما كنت ، كما يدل عليه البيت الذي بعده . (٤) ناشت : نهشت . (٥) الأصفر الرنان : الذهب ؛ يريد ما يتبرع به المتبرعون في عمارة هذا البلد . (٦) الحجا : العقل .

براعةُ غناء

قالها في جاك رومانو المغنى الإسرائيلي المعروف

[نشرت في ١٥ نوفمبر ١٩٠٨ م]

إَرْحَمُونَا بَنِي الْيَهُودِ كَفَاكُمُ * مَا جَمَعْتُمْ بِحُذُوكُمْ مِنْ قُودٍ^(١)
وَأَصْفَحُوا عَنْ عُقُولِنَا وَدَعُوا الْخُلْدَ * حَتَّى بَسِرَ التَّوْرَةَ وَالتَّائِبُودِ^(٢)
لَا تَزِيدُوا عَلَى الصُّكُوكِ فِطَاخًا * مِنْ غِنَاءٍ مَا يَنْبَغُ دَفَّ وَعُودِ^(٣)
وَيَحْكُمُ إِنَّ (جَاكَ) أَسْرَفَ حَتَّى * زَادَ فِي قَوْمِهِ عَلَى (دَاوُدَ)^(٤)
أَسْكَنُوهُ لَا أَسْكَنَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا صَوْتُ صَوْتِ الْمُتَيْمِّمِ الْغَرِيدِ^(٥)
أَوْ دَعُوهُ، فِدَاؤُهُ إِنِّي تَغْنَى * كُلُّ نَفْسٍ وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ

وقال فيه أيضا :

[نشرت في ١٥ نوفمبر ١٩٠٨ م]

يَا (جَاكَ) إِنَّكَ فِي زَمَانِكَ وَاحِدٌ * وَلِكُلِّ عَصْرِ وَاحِدٌ لَا يُلْحَقُ
إِنَّ الْأَلَى قَدْ طَاصَرُوكَ وَفَاتَهُمْ * أَنْ يَسْمَعُوكَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا

- (١) جاك رومانو : يهودى من أهال الاسكندرية ، كان من رجال المال ، يعمل عملا رئيسيا في أحد المصارف ، وكان حسن المأدبة والثناء ، ظريف الثبائل ، وكان مدققا حيا لروح عبده الحامولى .
(٢) التلود : سفر دينى لليهود نما في القرون الأربعة أو الستة من العهد المسيحى ، ومارع التوراة كتاب اليهود المقدس .
(٣) الصكوك : وثائق الديون التى اشتهر بها اليهود .
(٤) خص داود عليه السلام لما اشتهر به من حسن الصوت ، ولما اشتهرت به مزاميره من الترميمها وتريلها .
(٥) الغريد : المتزدد .

- (١) قد جاء (موسى) بالعصا وآتيننا * بالعود يشدو في يديك وينطق
 فاذا أرتجلت لنا الغناء فكلنا * منهج تسيل وأنفس تتحرق
 فطالب بإعادة ومطالب * بزيادة ومهل ومصفق
 تتسابق الأسماع صوبك كلما * غيتها شوقا إليك وتغنى
 وتود أفئدة هتكت شغافها * لو أنها بذيلها تتعلق
 خلق كما شاء المجلس وشيمه * يذكوها صدر الندى ويعبق
 ومروءة لو أنها قد قسمت * بين اليهود لأحسنوا وتصدقوا

نادى الألعاب الرياضية

انشدها في ليلة أحياء نادى الألعاب الرياضية بالأوبرا السلطانية

[ليلة السبت ٨ أبريل سنة ١٩١٦ م]

- ينادي الجزيرة قف ساعة * وشاهد برك ما قد حوى
 ترى جنة من جنان الربيع * تبدت مع الخلد في مستوى
 جمال الطبيعة في أفقها * تجلى على عرشه وأستوى

- (١) موسى، هو نبي الله موسى بن عمران عليه السلام؛ ومعجزة في عصاه مشهورة ورد ذكرها في القرآن . (٢) صوبك : جهتك . وتغنى : تسرع .
 (٣) بذيلها، أى الأسماع . وشغاف القلب : غلافه . (٤) الندى : مجلس القوم .
 ويذكرو يعنى، أى يطيب ويتعطر . (٥) تبدت : ظهرت .
 (٦) تجلى : ظهر . وأستوى ، أى استقر .

قُلْ لِلْخَزِينِ وَقُلْ لِلْعَلِيلِ * وَقُلْ لِلْمَلُولِ : هُنَاكَ الدَّوَا
 (١)
 وَقُلْ لِلْأَدِيبِ : ابْتَدِرْ سَاحَهَا * نَا مَا الْيَسَادُ عَلَيْكَ أَتَوَى
 (٢)
 وَقُلْ لِلْمِكْبِّ عَلَى دَرِسِهِ * إِذَا نَهَكَ الدَّرْسُ مِنْهُ الْقُوَى :
 (٣)
 تَسَمَّ صَبَاهَا يُجَدِّدُ قَوْلَاكَ * فَأَرْضُ الْجَزِيرَةِ لَا تُجْتَوَى
 (٤)
 ففِيهَا شِفَاءٌ لِمَرْضَى الْهُمُومِ * وَمَلَهَى كَرِيمٌ لِمَرْضَى الْهَوَى
 (٥)
 وَفِيهَا وَفِي نَيْلِهَا سُلُوءٌ * لِكُلِّ غَرِيبٍ رَمَتْهُ النَّوَى
 (٦)
 وَفِيهَا غِذَاءٌ لَأَهْلِ الْعُقُولِ * إِذَا الرَّأْسُ إِثْرَ كَلَالٍ خَوَى
 (٧)
 وَيَا رَبَّ يَوْمٍ شَدِيدِ اللَّظَى * رَوَى عَنْ جَهَنَّمَ مَا قَدْ رَوَى
 (٨)
 بِهِ الرِّيحُ لِفَاحَةً لِلْوُجُوهِ * بِهِ الشَّمْسُ نَزَاعَةً لِلشَّوَى
 (٩)
 قَصَدْتُ الْجَزِيرَةَ أَبْغَى النِّجَاةِ * وَجِسْمِي شَوَاهِدُ اللَّظَى فَاشْتَوَى
 (١٠)
 فَأَلْقَيْتُ نَادِيَهَا زَاهِرَا * وَأَلْقَيْتُ ثُمَّ نَعِيماً نَوَى
 (١١)
 فَأَنْزَلَنِي مُتَرَلًّا طَيِّبًا * وَرَوَى فَوَادِيَّ حَتَّى أَرْتَوَى
 (١٢)
 وَأَطْفَاءً وَارِفٌ تِلْكَ الظَّلَالِ * سَعِيرَ الْهَجِيرِ وَحَرَّ الْجَوَى

(١) السَّاح : جمع سَاحَة . والنوى : صعب وأصعبى . (٢) المكب على درسه : المقبل عليه
 المجتهد فيه . (٣) لا تجتوى ، أى لا تتركه الإقامة بها . (٤) النوى : البدن . (٥) الكلال :
 الإعياء والتعب . ونحوى : خلا . (٦) الظلى : شدة الحر . (٧) لفاحة للوجوه : محوطة لها مغيرة
 لألوانها . والشوى : البدن والجلان وقحف الرأس . وكنى بقوله : « نزاعة للشوى » : عن شدة الحر . يشير
 إلى قوله تعالى في وصف جهنم : (كلا إنها لظلى نزاعة للشوى) . (٨) نوى : المكان : أقام به .
 (٩) الوارف من الظلال : ما اتسع وامتد منها . والهجير : شدة الحر . والحرى : الحزن والحرة : شدة الوجع .

- (١) وَحَلَّ الْأَصِيلُ عِقَالَ الشِّمَالِ * فَهَبْتَ بَشِيرَ إِلَيْهَا أَنْضَوَى
(٢) فَأَحْيَتْ بَنَفْسِي ذِكْرَى الشَّبَابِ * وَمَا كَانَ مِنْهَا وَمِنْهُ أَنْطَوَى
(٣) وَعَاوَدَ قَلْبِي ذَاكَ الْخُفُوقِ * وَقَدْ كَانَ بَعْدَ الْمَشِيبِ أَرْعَوَى
(٤) فَمَا بِالْ قَوْمِي لَا يَأْخُذُونَ * لَتِلْكَ الْجِنَانِ طَرِيقًا سَوَا
(٥) وَمَا بِالْ قَوْمِي لَا يَنْزِلُونَ * بَغَيْرِ (جُرْبِي) وَ (بَارِ اللَّوَا)
(٦) تَرَاهُمْ عَلَى نَزْدِهِمْ عُكْفًا * يُبَادِرُ كُلُّ إِلَى مَا غَوَى
(٧) وَلَوْ أَنْصَفُوا الْجِسْمَ لَأَسْتَظْهَرُوا * لَهُ بِالْمِرَانِ وَطِيبِ أَلْهَوَا



- فِيَا نَادِيًا ضَمَّ أَنْسَ النَّدِيمِ * وَلَهُوَ الْكَرِيمُ وَقِيَتَ أَلِيلِي
(٨) لِيَا إِلَيْكَ أَنْسُ جَلَاها الصِّفَا * فَأَسْرَتَ إِلَيْكَ وَفُودُ الْمَلَا
(٩) فَكَمْ لَيْلَةً طَابَ فِيكَ الْحَدِيثُ * فَكَانَ الْكُثُورَ وَكَانَ الطَّلَا

- (١) الأصيل : وقت العشي . يقول : إن ربح الشمال انطلقت في هذا الوقت . والنشر : الراحة الطيبة . وأنضوى : انضم إليها وامتزج بها . (٢) الضمير في « منها » للذكرى ؛ وفي « منه » للشباب . (٣) ارعوى عن الأمر : رجع عنه وكف . (٤) طريقا سوا (فتح السين والقصر) ، أى سواه (بالمد) بمعنى المستوى الذى لا صوج فيه . (٥) جربى ، وبارالوا : مقهيان معروفان في القاهرة يقصد إليهما خاصة الناس . (٦) الدد ، هو اللعبة المعروفة بالطاولة . (٧) استظهروا ، أى استعانوا . و « له » أى لأجله . والذى وجدناه في كتب النسخة مرن الجسم مررنا ومرارة لا مرانا كما استعمله الشاعر متابعة لما شاع في كلام أهل العصر . (٨) الإسراء والسرى : السير بالليل . (٩) الطلاء (بالمد) وقصر للضرورة) : الخمر ؛ شبه به طيب الحديث .

(١) فَمِنْ مُشْجِيَاتٍ إِلَى مُطْرِبَاتٍ * إِلَى مُضْجِكَاتٍ تُسَلَّى ، إِلَى ...
 وَقَدْ زَانَ لَهْوَكَ ثَوْبُ الْوَقَارِ * فَلَهْوُكَ فِي كُلِّ ذَوْقٍ حَلَا
 تَتَخَفُ إِلَيْهِ رِزَانُ الْجَحَا * وَتَمْشِي إِلَيْهِ السَّرَاةُ الْأَلَى (٢)
 فَقُلْ لِلَّذِي بَاتَ تَحْتَ الْعُقُودِ * بِحَرْبٍ عَلَى نَفْسِهِ مُبْتَلَى (٣)
 أَتِلْكَ الْأَمَاكِينَ لَا تُسْتَرَادُ * أَتِلْكَ الْمَنَاطِرُ لَا تُجْتَلَى (٤)
 أَتَحْتَ السَّمَاءِ وَبَدْرِ السَّمَاءِ * وَبَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْخَلَا
 يَمَلُّ الْجُلُوسُ وَيَفْنَى الْحَدِيثُ * فَهَذَا النِّعِيمُ وَإِلَّا فَلَا؟
 سَأَلْتُ الْأَلَى يَقْدِرُونَ الْحَيَاةَ * أَلَمْ تَفْتَنْتَنِي؟ فَقَالُوا : بَلَى
 مَكَانٌ لَعَمْرُكَ مَا حَلَّ فِي * نَوَاحِيهِ دُؤُ الْخُزْنِ إِلَّا سَلَا
 فَمَا أَنْتَ فِي مِصْرَ إِنْ لَمْ تَطُرْ * إِلَيْهِ فَتَشْهَدَ تِلْكَ الْحُلَى
 لَهُ مَلْعَبٌ فِيهِ مَا يَسْتَهْيَى * مُحِبُّ الرِّيَاضَةِ مَهْمَا غَلَا
 لِكُلِّ فَرِيقٍ بِهِ لُغْبَةٌ * تُلَايِمُ مِنْ سِنِّهِ مَا خَلَا (٥)
 وَلِغَبٍّ هُوَ الْجَدُّ لَوْ أَنَّكَ * نَظَرْنَا إِلَيْهِ بَعَيْنِ النَّهَى

- (١) إلى ، أى إلى غير ذلك من أنواع الهوى . (٢) الرزان : جمع رزين ، يريد
 القول الراجحة . وتخف له ، أى إلى ما فى هذا النادى من لهو وشتاع . وسراة القوم : ذرو الأقدار
 الرفيعة ، الواحد مرى (يفتح السين وتشديد الباء) . والألى ، أى الذين بلغوا من الرفعة وعلو المنزلة مبلغا
 ضلها ؛ فحذف الشاعر الصلة للعلم بها . (٣) العقود : نوع من الأبنية معروف فى مصر ؛
 ومنه ما يسمى بالبواكى ؛ وكان بعض أصحاب المقاهى يجثون تحتها مقاعد للناس .
 (٤) تستراد : تبغى وتطلب . (٥) ما خلا ، أى ماضى من عمره .

لَدَى غَيْرِ (مَضْرٍ) لَهُ حُظْوَةٌ * فَمَنْ رَاحَ يَلْهُو بِهِ مَنْ لَهَا
 وَفِي أَرْضِ (يُونَانَ) شَاهِدَتُهُ * فَأَيُّ جَمَالٍ إِلَيْهِ أَتَتْهُ
 وَشَاهَدَتْ مُوسِمَهُ قَدْ حَوَتْ * نَوَاحِيهِ غَايَةً مَا يُشْتَمَى
 (١) وَمَا جَ بَزْوَارِهِ الْمُؤَلِّعِينَ * وَأَضْحَى بَعْرَشَ الْمُلُوكِ أَزْدَهَى
 وَقَدْ زَادَ أَلْعَابَهُ بَهْجَةً * مَكَانٌ فَسِجٌّ مَعْدٌ لَهَا
 (٢) صِرَاعٌ وَعَدُوٌّ يَبْعِدُ الْمَدَى * وَوَثْبٌ يَكَادُ يَنَالُ الشُّهَا
 (٣) وَشَاهَدَتْ عَدَاءَهُمْ قَدْ عَدَا * ثَلَاثِينَ مِيلًا وَمَا لَنْ وَهَى
 (٤) وَقَامَتْ مُلَاكِمَةُ اللَّاعِينَ * فَأَنْتَسَتْ تَطَاحَ وَحِشَ الْمَهَا
 (٥) بِأَوْحَى مِنَ اللَّعْجِ كَانَ التَّرَال * فَيَاوِيلَ مَنْ مِنْهُمَا قَدْ سَهَا
 (٦) وَلَوْرُحْتُ أَنْتِ تِلْكَ الضُّرُوبِ * لَضَاقَ الْقَرِيضُ وَأَعْيَا يَهَا
 عَلَى أَنْتِ فِي أَفْقِنَا نَهْضَةً * سَتَبْلُغُ رَغَمَ الْقُعُودِ الْمَدَى
 (٧) وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بَلَّغْتَ أَوْجَهَا * كَذَا كُلُّ شَيْءٍ إِذَا مَا أَبْتَدَا
 (٨) وَنَادَى الرِّيَاضَةَ أَوَّلَى بَأَنْتِ * يَكُونُ عَلَيْهَا مَنَارَ الْهُدَى

(١) ازدهى : افتخروا خيال .

(٢) العدو : الجرى . والسبا : كوكب خفى لشدة بعده . (٣) عدا : جرى . وهى : ضعف .

(٤) المها : بقرة الوحش ، الواحدة مهاة . (٥) أوحى من اللع ، أى أسرع منه . والوحى :

(بالألف المقصورة ، والواحد بالمد) : السرعة . أى من المتلاكين .

(٦) الضروب : أنواع اللعب . (٧) أوجها ، أى غاية ما تسمو إليه .

(٨) عليها ، أى على تلك النهضة السابق ذكرها .

(١) أَظَلَّتْ جَلَالَ أَعْمَالِهِ * ظِلَالُ (حُسَيْن) حَلِيفِ النَّدَى
(٢) مَلِيكَ رَعَاهُ بِإِقْبَالِهِ * وَحُسْنِ عِنَايَتِهِ وَالْجَدَا
فَنِي عَهْدِهِ فَلْيُجِدَّ الْمُحَدَّ * فَإِنَّ السُّعُودَ بِهِ قَدْ بَدَا

رحلته إلى إيطاليا

[نشرت في نوفمبر سنة ١٩٢٣ م]

(٣) عَاصِفُ يَرْتَمِي وَبَحْرٌ يُغِيرُ * أَنَا بِاللَّهِ مِنْهُمَا مُسْتَجِيرُ
(٤) وَكَأَنَّ الْأَمْوَاجَ، وَهِيَ تَوَالِي * مُحْتَقَاتٍ، أَشْجَانُ نَفْسٍ تُشَوِّرُ
(٥) أَزِيدَتْ، ثُمَّ جَرَحَتْ، ثُمَّ نَارَتْ * ثُمَّ فَارَتْ كَمَا تَقُورُ الْقُدُورُ
(٦) ثُمَّ أَوَفَتْ مِثْلَ الْجِبَالِ عَلَى الْفُلِّ * لِي وَلِلْفُلِّكَ عَزْمَةٌ لَا تُخَوِّرُ
(٧) تَرَامِي بِجُجُجٍ لَا يُبَالِي * أَمِيَاءٌ تَحَوُّطُهُ أَمْ صُخُورٌ؟
أَزْجَعُ الْبَحْرُ جَانِبَيْهَا مِنَ الشَّدِّ * فَتَنْبُ يَعْلُو وَجَنْبُ يَغُورُ
(٨) وَهُوَ أَنَا يَتَحَطُّ مِنْ عُلُوِّ كَالسَّيِّ * لِي وَأَنَا يَحُوطُهَا مِنْهُ سُورُ

- (١) يريد المغفور له السلطان حسين كامل . والندى : الجلود . (٢) الجدا : العطاء .
(٣) يرتى : يشد في هوبه . (٤) توالى، أى توالى . ومحقات : غاضبات . وتشور :
تتمجج . (٥) أزيدت : قذفت بالزبد (بالتحريك) ، وهو الزغوة التى تعلو الماء عند فورانه .
وجرحت : صوت . (٦) أوفى عليه : أشرف . وتخور : تضعف . (٧) ترامى ، أى
القلك ؛ وهوى كروىوث . ويجزؤ السفينة : صدرها . (٨) ضمير وهو ، والماء ، فى قوله :
« منه » للبحر . ومن علو (مثل الواى) ، أى من أعلى .

(١) وَهِيَ تَزُورُ كَالْجَوَادِ إِذَا مَا * سَاقَهُ لِلطَّعَانِ نَذْبُ جَسُورِ
(٢) وَعَلَيْهَا نُفُوسُنَا خَائِرَاتٌ * جَارِزَاتٌ كَادَتْ شَعَاعًا تَطِيرُ
(٣) فِي شَايَا الْأَمْوَاجِ وَالزَّيْدِ الْمَنْدِ * دُوفٍ لَاحَتْ أَكْفَانُنَا وَالْقُبُورِ
مَرَّ يَوْمٌ وَبَعْضُ يَوْمٍ عَلَيْنَا * وَالْمَنَايَا إِلَى النُّفُوسِ تُشِيرُ
(٤) ثُمَّ طَافَتْ عِنَايَةُ اللَّهِ بِالْقُدِّ * لِكَ فَرَاثَتْ عَمَّنْ تُقْلُ الشُّرُورِ
مَلَكَتْ دَقَّةَ النَّجَاةِ يَدُ اللَّهِ * بِهِ فُسْجَانٌ مَنْ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ
(٥) أَمَرَ الْبَحْرَ فَاسْتَكَانَ وَأَمْسَى * مِنْهُ ذَاكَ الْعُبَابُ وَهُوَ حَصِيرُ
(٦) أَيْهَا الْبَحْرُ لَا يَغُرَّنْكَ حَوْلٌ * وَأَتَّسَاعُ وَأَنْتَ خَلَقْتُ كَبِيرُ
(٧) إِنَّمَا أَنْتَ ذَرَّةٌ قَدْ حَوَّيْتَهَا * ذَرَّةٌ فِي فَضَاءٍ رَبِّي تَدُورُ
(٨) إِنَّمَا أَنْتَ قَطْرَةٌ فِي إِنَاءٍ * لَيْسَ يَدْرِي مَدَاهُ إِلَّا الْقَدِيرُ
(٩) إِيهِ (أَسِيرِيَا) فَدَنِّكَ الْجَوَارِي * مَنَشَاتٍ كَأَنَّهُنَّ الْقُصُورُ
(١٠) يَا عَرُوسَ الْبَحَارِ إِنَّكَ أَهْلٌ * أَنْ تُحْلِيكَ بِالْجُمَانِ الْبُحُورُ
فَالْيَسَى الْيَوْمَ مِنْ ثَنَائِي عَقْدًا * تَشْتَبِيهِ مِنَ الْإِحْسَانِ النُّحُورُ

- (١) تزور: تحرف وتميل. والنذب: الماضى الخفيف في الحاجة. (٢) طارت نفسه شعاعا، أى ذهبت متفرقة من خوف أو نحوه. (٣) يقال: نذف القطن يندفه، وذلك إذا ضربه بالمتدفع ليرق. وشبه الشاعر زبد البحر بالقطن المتدوف. (٤) تقل: تحمل. (٥) استكان: سكن وخضع. والعباب: الموج. وهو حصير، أى مستوى السطح كالحصير. (٦) الحول: القوة. (٧) أى إن البحر ذرة من الكرة الأرضية التى هى ذرة فى الفضاء. (٨) مداه، أى مدى الإباء. ويريد «بالإباء» الكون. (٩) أسيريا: اسم الباهرة التى أقلت الشاعر الى إيطاليا. والجوارى: السفن، الواحدة جارية. (١٠) الجمان: اللؤلؤ، الواحدة جمانة. وخص الجمان لأنه مما تحويه البحار فى أجوافها.



(١) إِيَّاهُ إِيطَالِيَا مَدَنُكَ الْعَوَادِي * وَتَحْيَى عَنْ سَاكِينِكَ الثُّبُورُ
فِيكَ يَا مَهِيْطَ الْجَمَالِ قُنُونٌ * لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْكَمَالِ قُصُورُ
(٢) وَدُمِّي جَمَعَ الْحَمَاسِينَ فِيهَا * صَنَعَ الْكَفِّ عَبْقَرِيَّ شَهِيْرُ
قَدْ أُقِيِمَتْ مِنَ الْجَمَادِ وَلَكِنْ * مِنْ مَعَانِي الْحَيَاةِ فِيهَا سُطُورُ
(٣) فَهِيَ تَبْدُو مِنَ الْمَلَائِكِ يَكْسُو * هَا جَمَالٌ عَلَى حِفَافِهِ نُورُ
أَمِرَتْ بِالسُّكُوتِ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ * بَدُنِيَا فِيهَا الْأَحَادِيثُ زُورُ
أَرْضُهُمْ جَنَّةٌ وَحُورٌ وَوِلْدَانٌ * نَكَا تَشْتَهَى وَمُلْكٌ كَثِيْرُ
(٤) تَحْتَهَا - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ - نَارٌ * وَعَذَابٌ وَمُنْكَرٌ وَنَكِيْرُ
(٥) إِنَّ يَوْمًا كَيَوْمِ (رَدْجُو) وَ(مَسِيْدٍ * نَا) وَ(كَالْبَرِيَا) لَيَّوْمٍ عَسِيْرُ
(٦) سَاعَةً مِنْهُ تُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْ * لَ وَتَمْحُو مَا سَطَّرَتْهُ الدُّهُورُ
(٧) ذَاكَ (فِيْزُوفٍ) قَائِمًا يَتَلَطَّى * قَدْ تَعَالَى شَيْقُهُ وَالزَّفِيْرُ

(١) مدتك العوادي : جاوزتك النوايب ومخطئك . والثبور : الهلاك .

(٢) يريد « بالدمي » : التماثيل ، الواحدة دمية . وصنع الكف (بالتحريك) : حاذق بصنعه . ويشير بهذا البيت وما بعده الى ما اشتهر به الإيطاليون من صنع التماثيل التي تنطق بمهارة صناعها وحذقهم .

(٣) على حفافيه : على جانبيه . (٤) منكر ونكير : ملكان قيل لهما يفتنان الميت

في قبره ؛ وهما مثلان في الفزع والرب . ويشير بهذا البيت الى ما خصت به طبيعة بلادهم من وجود البراكين وكثرة الزلازل بها . (٥) يريد يوم رَدجو ومسينا : يوم الزلزال الذي وقع في هذين

البلدين انظر القصيدة السابقة في زلزال مسينا . (٦) الحرث : الزرع . (٧) فيزوف :

بركان بإيطاليا معروف .

(١) نَذِيرُ الْقَوْمَ بِالرَّحِيلِ وَلَكِنْ * لَيْسَ يُغْنِي مَعَ الْقَضَاءِ النَّذِيرُ
 وَكَذَلِكَ الْأَوْطَانُ مَهْمَا تَجَنَّتْ * لَيْسَ لِلْحُرِّ عَنْ حِمَاهَا مَسِيرُ
 (٢) تَشْمُسُهُمْ غَادَةً عَلَيْهَا حِجَابٌ * فِيهِ شَرْقِيَّةٌ حَوَّتْهَا الْخُدُورُ
 (٣) تَشْمُسُنَا غَادَةً أَبَتْ أَنْ تَوَارَى * فِيهِ غَرْبِيَّةٌ جَلَاهَا السُّفُورُ
 جَوْهَرُ فِي ثَقَلٍ وَاخْتِلَافٍ * غَيْرَ أَنَّ الثَّبَاتَ فِيهِمْ وَفِيرُ
 (٤) جَوْنًا أَثَبْتُ الْجَوَاءَ وَلَكِنْ * لَيْسَ فِينَا عَلَى الثَّبَاتِ صَبُورُ
 وَلَدَيْهِمْ مِنَ الْفُنُونِ لُبَابٌ * وَلَدَيْنَا مِنَ الْفُنُونِ قُشُورُ
 (٥) أَنْكَرَ الْوَقْفَ شَرَعُهُمْ فَلِهَذَا * كُلُّ رَجُلٍ بِأَرْضِهِمْ مَعْمُورُ
 (٦) لَيْسَ فِيهَا مُسْتَنْقَعٌ أَوْ حِدَارٌ * قَدْ تَدَاعَى أَوْ مَسْكَنٌ مَهْجُورُ
 (٧) كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا عَلَيْهِ بِنَاءٌ * مُشْمِخٌ أَوْ رَوْضَةٌ أَوْ غَدِيرُ
 قَسَمُوا الْوَقْتَ بَيْنَ لَهْوٍ وَجَدٍّ * فِي مَدَى الْيَوْمِ قِسْمَةٌ لَا تَجُورُ
 (٨) كُلُّهُمْ كَادِحٌ بِكُورٍ إِلَى الرِّزِّ * قِيْلَ إِذَا دَعَاهُ السُّرُورُ

- (١) أى إن فيزوف بما يتصمد منه من دخان دائم كأنه نذير القوم بالرحيل عن جواره واختيار مكان آخر يقيمون به، ولكن إذا حم القضاء فلا تغنى الثروة. (٢) الغادة: المرأة الناعمة اللينة. وشرقية، أى امرأة شرقية؛ ويشير إلى ما يحجب الشمس في بلادهم من الضباب والغيم. (٣) غربية، أى امرأة غربية. ويشير إلى صحو الجحوظ صفائه من الغيم في بلاد الشرق. (٤) الجواء: جمع جوار. (٥) يشير إلى ما يلحق منازل الأوقاف في مصر من التخريب والدمار لقلة العناية بها. وكان للشاعر كلمة مأثورة في هذا، وهى: «بيوت الوقف كالجدري في وجه المدينة». (٦) تداعى: تهدم. (٧) مشمخ: مرتفع. (٨) الكادح: الساعى المحبذ في طلب الرزق. والبكور (فتح الباء): المبكر.

لا تَرَى فِي الصَّبَاحِ لَا عِبَ نَزْدِ * حَوْلَهُ لِلرَّهَائِ جَمٌ غَفِيرٌ
 لَا وَلَا بَاهِلًا سَلِيمَ النَّوَاحِي * ^(١) لِلْقَهَارِ رَوَاحِهِ وَالْبُكُورُ
 لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَلَاهِي * ^(٢) أَوْشُورِينَ الْحَيَاةِ جَوْ مَطِيرٌ
 لَا يُبَالُونَ بِالطَّيْعَةِ حَنْتٌ * ^(٣) أَمْ تَجَنَّتْ أَمْ أَحْوَاهَا النُّعُورُ
 عَصَفَتْ فَوْقَهُمْ رِيَّاحُ عَوَاتٍ * ^(٤) أَمْ أَجَازَتْ بِهِمْ صَبَا أَمْ دُبُورُ
 قَدْ أَعَدُّوا لِحَادِثَاتِ اللَّيَالِي * عُدَّةً لَا يَحْزُوزُهَا التَّقْدِيرُ
 نَضَرُوا الصَّخْرَ فِي رُؤُوسِ الرُّوَاسِي * ^(٥) وَلَدَيْنَا فِي مَوْطِنِ الْخُصْبِ بُورُ
 قَدْ وَقَفْنَا عِنْدَ الْقَدِيمِ وَسَارُوا * حَيْثُ تَسِيرُ إِلَى الْكَمَالِ الْبُدُورُ
 وَالْجَوَارِي فِي النَّيْلِ مِنْ عَهْدِ (نُوحٍ) * لَمْ يُقَدَّرْ لُصْنُهَا تَغْيِيرُ
 وَلَعَ الْقَوْمُ بِالنَّظَافَةِ حَتَّى * جُنَّ فِيهَا غَنِيمٌ وَالْفَقِيرُ

(١) الباهل : المتردد بلا عمل . وسليم النواحي ، أى صحيح الجسم ليس به عاهة تمنعه العمل .
 وإطلاق «الفقوة» على المكان الذى تشرب فيه : مجاز ، كإطلاق النار على جهنم .

(٢) يريد بهذا البيت أن الأمطار فى تلك البلاد مهما غزرت فلن تعوق السائرين عن مقاصدهم
 لما لديهم من الوسائل التى تجعل ذلك من الأمور المألوفة . ويشير الشاعر إلى المقارنة بين ما لديهم من تلك
 الوسائل وما لدينا . (٣) النعور : الريح التى تفاجئك بحروا أنت فى برد ، أو يبرد وأنت فى حر .
 (٤) العواتى من الرياح : الشديدة العصف ، التى جاوزت حد هبوبها . وأجازت بهم ، أى مرّت
 بهم . وفى كتب اللغة أن أجاز وجاز ، كلاهما بمعنى جاوز . ومنه حديث المسعى : «لا تجيزوا البطحاء
 إلا شدا» أى لا تجوزوا . والصبأ : ريح الشمال ، وتقال لها الدبور ، وهى ريح الجنوب .

(٥) يشير بهذا البيت الى ما امتازت به أم القرب من دثوب على العمل وعلم جم حتى إنهم جعلوا
 الصخر فى رموس الجبال التى لاتنت شيئا نضرة بما غرسوا فيها من ألوان النبات ، عكس ما لدينا من كسل
 وتواكل جعلنا أرضنا الخصبه مقفرة من الزرع .

فَإِذَا سِرْتُ فِي الطَّرِيقِ نَهَارًا * خِلْتُ أَنِّي عَلَى الْمَرَامِ أَسِيرُ
 أَفْرَطَ الْقَوْمُ فِي النَّظَامِ وَعِنْدِي * أَنْتَ فَرَطَ النَّظَامِ أَمْرٌ وَنِيرٌ^(١)
 وَلَدَيْدُ الْحَيَاةِ مَا كَانَ فَوْضَى * لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطَرٌ أَوْ أَمِيرُ
 فَإِذَا مَا سَأَلْتَنِي قُلْتُ عَنْهُمْ * أُمَةٌ حُرَّةٌ وَفَرْدٌ أَسِيرُ^(٢)
 ذَلِكَ رَأَيْي وَهَلْ أَشَارَكَ فِيهِ * إِنَّهُ قَوْلُ شَاعِرٍ لَا يَصِيرُ
 فِي جِبَالِ التِّيْرُولِ إِنْ أَقْبَلَ الصَّبِي * فُ نَعِيمٌ وَإِنْ مَضَى زَمْهَرِيرُ^(٣)
 أَذْكَرْتَنِي مَا قَالَهُ عَرَبِيٌّ * طَارِقِي أَمْسَى أَحْتَوَاهُ (شَلِيرٌ)^(٤)
 حَلَّ تَرَكُ الصَّلَاةِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ * ضِ وَحَلَّتْ لَنَا عَلَيْهَا الْخُمُورُ

- (١) النير : الخشبة المعترضة في عنق الثورين بأداتها . (٢) يشير بقوله : وفرد أسير، إلى كثرة ما سئوا من قوانين ونظم تقيد الأفراد في فواحي الحياة ولا تجعلهم مطلق الحرية .
 (٣) التيرول : إقليم جبل من جبال الألب يقع في الشمال الشرق من إيطاليا .
 (٤) طارق : نسبة إلى طارق بن زياد فاتح الأندلس . وشليز (بلفظ التصغير) : جبل بالأندلس من أعمال البيرة ، لا يفارقه الثلج شتاء ولا صيفا . وفي هذا البيت ستاد حذو، وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الرفع، والردف : حرف مة قبل الروى . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى قول بعض المغاربة وقد مر بشليز فوجد ألم البرد :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضكم • وشرب الحما وهوشى • محببم
 فرارا إلى نار الجحيم فانها • أخف علينا من شليز وأرحم
 اذا هبت الريح الشمال بأرضكم • فطوبى لعبد في لظى ينتعم
 أقول ولا أنحى على ما أقوله • كما قال قبلى شاعر متقدم
 فان كان يوما في جهنم مدخل • ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

وقد ضمن حافظ معنى هذه الأبيات في البيتين الآتيين .

إِنْ صَدَرَ السَّعِيرُ أَخْنَى عَلَيْنَا * مِنْ (شُلَّيرٍ) وَأَيْنَ مِنَّا السَّعِيرُ
 قَدْ بَلَوْتُ الْحَيَاةَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْ * بِ غَمٍّ فِي الْحَيَاةِ أَمْرٌ يَسِيرُ
 مِنْ ثَوَاءٍ فِيهِ الْمَلَالُ لِزَامٍ * أَوْ رَحِيلٍ فِيهِ الْعَنَاءُ كَثِيرُ^(١)

حريق

قال هذه الأبيات في حريق رأى بمنزل عبد الله أباطه بك

عَجِبَ النَّاسُ مِنْكَ يَا بَنَ سُلَيْمًا * نَ وَقَدْ أَبْصَرُوا لَدَيْكَ عَجِيْبًا
 أَبْصَرُوا فِي حِمَاكَ غَيْثًا وَنَارًا * ذَاكَ يَهْمِي وَتِلْكَ تَذْكُو لِهَيْبَا^(٢)
 وَتَسُوا أَنْ جُودَ كَفَّكَ غَيْثٌ * ظَلَّ لِلْمُعْتَمِدِ الْوُرُودَ قَرِيبًا^(٣)
 وَهِيَ ضَيْفٌ أَصَابَهُ عَنَتُ الدَّهْرِ * بِرٍ وَأَلْفَى هَذَا الْفَنَاءَ رَحِيْبًا
 فَأَتَى يُبْرِدُ الْغَلِيلَ بِقَطْرِ * مِنْ نَدَى سَيِّدِ يُوَامِي الْغَرِيْبَا^(٤)

(١) الثواء : الإقامة .

(٢) يهيم : ينصب . ويريد « بالفيث » : كرم المدوح . وتذكو : تظفرم وتشتعل .

(٣) هي ، أى النار . والعنت : الشدة والمشقة . والفناء (بكسر الفاء) : ساحة البيت .

(٤) الغليل : شدة العطش .

خنجر مكبث

قصيدة مترجمة عن الشاعر الإنجليزي شكسبير، قالها على لسان مكبث مخاطب خنجرًا تخيله حينما
 هم بأغبال ابن عمه دانكان الملك ليخلفه في ملكه ؛ ويصف تردده أولاً ثم تصميمه بعد ذلك على
 تنفيذ ما أراد :

- (١) كَأَنِّي أَرَى فِي اللَّيْلِ نَصْلًا مَجْرَدًا * يَطِيرُ بِكِنَاةٍ صَفْحَتَيْهِ شَرَارُ
 (٢) تَقْلِبُهُ لِلْعَيْنِ كَفُّ خَفِيَّةٌ * فَفِيهِ خُفُوقُ تَارَةٍ وَقَرَارُ
 (٣) يُمَائِلُ نَصْلِي فِي صَفَاءِ فِرْنِدِهِ * وَيَحْكِيهِ مِنْهُ رَوْنَقٌ وَغَرَارُ
 (٤) أَرَاهُ قُذِّبْنِي إِلَيْهِ شَرَّاسَتِي * فَيَنَآيَ فِي نَفْسِي إِلَيْهِ أَوَارُ
 (٥) وَأَهْوَى بِزَنْدِي طَامِعًا فِي الْبِقَاطِلَةِ * فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ الدُّنُوفِ نَارُ
 (٦) تَجَبُّطُنِي مَسٌّ مِنَ الْحَنِّ أَمْ سَرَتْ * بِأَجْزَاءِ نَفْسِي نَشْوَةٌ وَنَحَارُ
 أَرَانِي فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمٍ * فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَلِكُهُ نَهَارُ؟
 مَا قَتَلْتُ ضَيْغِي وَابْنَ عَمِّي وَمَالِكِي * وَلَوْ أَنَّ عُقْبَى الْقَاتِلِينَ خَسَارُ

(١) نصل السيف : حده . والمجترد من السيوف : الملول من غمده .

(٢) الخفوق : الاضطراب . والقوار : الاستقرار . (٣) فيرد السيف : جوهره وماؤه
 الذي يترقق في صفحته ؛ وهو قارصى معرب . وغرار السيف (بالكسر) : حده . والمعنى أن هذا
 الخنجر يشبه خنجرى في لماعه وبريقه ومضاء حده . (٤) الشراسة : الحدة وسوء الخلق .
 وينأى : يبعد . والأوار : شدة العطش . (٥) الزند من الترواح : ما فوق المرق . والغار
 (بكسر النون) والغور (بضمها) كلاهما بمعنى واحد . (٦) يقال : تخبطه الشيطان ، أى مسه
 بأذى أوجزن . والنشوة : السكر . ونحار النحر : ما خالطك من سكرها .

وَأَرْضِي هَوَى نَفْسِي وَإِنْ صَحَّ قَوْلُهُمْ * هَوَى النَّفْسِ ذُلٌّ، وَالْحَيَانَةُ عَارُ
 فَيَأْبَاهَا النَّصْلُ الَّذِي لَاحَ فِي الدُّبْحَى * وَفِي طَى نَفْسٍ لِلشُّرُورِ مَشَارُ^(١)
 تَرَى خَدَعَتْنِي الْعَيْنُ أَمْ كُنْتُ مُبْصِرًا * وَهَذَا دَمٌ، أَمْ فِي شَبَابِكَ نَارُ؟^(٢)
 وَهَلْ أَنْتَ تَمْنَأُ لِكَيْدِ نَوَيْتِهِ * وَذَلِكَ الدَّمُ الْجَارِي عَلَيْكَ شِعَارُ؟^(٣)
 فَإِنْ لَمْ تَكُنْ وَهَمًا فَكُنْ خَيْرَ مُسْعِدٍ * فَإِنِّي وَحِيدٌ وَالْخُطُوبُ كُتَارُ^(٤)
 وَكُنْ لِي دَلِيلًا فِي الظُّلَامِ وَهَادِيًا * فَلَيْلِي بِهِمُ وَالطَّرِيقُ عِنَارُ^(٥)
 عَلَى الْفَتَنِ يَا (دُنْكَانُ) صَحَّتْ عَزِيمَتِي * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَنْبِي وَبَيْنَكَ نَارُ
 فَإِنْ يَكُ حُبُّ النَّاسِ أَعْمَى بَصِيرَتِي * فَمَا لِي عَلَى هَذَا الْقَضَاءِ خِيَارُ
 أَعْرَنِي قُوَادًا مِنْكَ يَا دَهْمُ قَاسِيًا * لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَاتِ تُعَارُ
 وَيَا حِلْمُ قَاطِنِي وَيَا رُشْدُ لَا تُتَبِّ * وَيَا شَرُّ مَا لِي مِنْ يَدَيْكَ فِرَارُ^(٦)
 وَيَا لَيْلُ أَتَزِيلُنِي يَحْوِفُكَ مَتَرَلًا * يَصْلُ بِهِ سِرْبُ الْقَطَا وَيَحَارُ^(٧)

(١) مَثَارٌ، أَيْ مَكَانٌ لِنُورَانِ الشَّرِّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الْمَصْدَرُ، أَيْ ثَوْرَةُ الشَّرِّ وَاجْتِنَابُهُ.

(٢) شَبَابَةُ السِّيفِ : حَذَهُ.

(٣) الشَّعَارُ : الْعَلَامَةُ.

(٤) الْكُتَارُ (بِضْمِ الْكَافِ) : الْكَثِيرُ. يَقُولُ : إِنْ كُنْتُ أَيْهَا الْمُنْجَرِّ نَجْرًا حَقِيقِيًّا فَمَا عَنِ عَلَى

مَا هَمَمْتُ بِهِ مِنْ قَتْلِ أَبِي عَمِي، فَإِنِّي وَحِيدٌ لَا أَقْوَى عَلَى أَحْتِمَالِ هَذِهِ الْمَصَائِبِ الْحَقِيقَةِ بِي.

(٥) النَّتَارُ : الشَّرُّ.

(٦) لَا تُتَبِّ : أَيْ لَا تَرْتَبِعْ.

(٧) سِرْبُ الْقَطَا : جَعَاةُ الْحَمَامِ. وَخَصَّ الْقَطَا بِالتَّذَكُّرِ لِأَنَّهَا يَقْرَبُ بِهَا الْمُنْثَلُ فِي الْهَدَايَةِ. يَصْلُبُ

إِلَى الْإِثْلِ أَنْ يَسْتَرْهَ بِلَاحِهِ حَتَّى لَا يَهْتَدِيَ أَحَدٌ إِلَى خِيَانَتِهِ وَغَدْرِهِ.

وإن كنت ليلَ (المانوية) فليكن * على سرائل الشر منك ستار^(١)
 وبأقدبي سيرى حذاراً وخافتي * من المشي لو يُنجي الأثم حذار^(٢)
 وقفتُ يحوف الليل وقفةً ساحر * له الحنُّ أهلُ والمكائد دار^(٣)
 إذا أشتمل الليلُ البهيمُ على الورى * تجرد للإبذاء حيثُ يُثار^(٤)
 فإلى كأتى فاتك ذو عشيّة * خيارهم تحت الظلام شرار^(٥)
 أنا ما عوى ذئبُ القلاهب جمعهم * إلى الشر وأستلت ظباً وشفار^(٥)

طول الليل

ياساهد التّجيم هل للصّبح من خير * إني أراك على شيء من الضّجر^(٦)
 أظنّ ليّك مُد طال المقام به * كالقوم في مصر، لا ينوي على سفر^(٧)

(١) أضاف الليل الى المانوية، وهى الطائفة المنسوبة الى ماني، لأنهم كانوا يعتقدون أن الليل
 إله الشر، والنهار إله الخير، قال أبو الطيب المتنبي :

ولم لظلام الليل عندك من يد * تخبرأت المانوية تكذب

يقول : إن كنت أيها الليل إلهاً للشر كما تزعم المانوية، فاستر على أهل الشر شرورهم ولا تدل أحداعليهم .

(٢) خافتي من المشي، أى خففيه ونخضى من صوته حتى لا يسمعه أحد . (٣) البهيم : الشديد

الظلمة . وتجرد للإبذاء : انبعت إليه وأسرع نحوه . وثار : بهاج، أى أسرع الى الإبذاء حيث يكون
 الإبذاء . (٤) يريد بهذه العشيّة : جماعة اللصوص وقطاع الطرق وسفاكي الدماء .

(٥) عوى : صوّت . والقلا : الصحارى، الواحدة قلاة . وأستلت : أخرجت من أغمارها .

والظبا : جمع ظبة (بضم قفتح) ، وهى حد السيف . والشفار : السكاكين، الواحدة شفرة . .

(٦) الساهد : الساهر . (٧) يريد «بالقوم» : الإنجليز . ولا ينوي، أى الليل . شبه

الليل بجيش الاحتلال فى مصر فى طول الإقامة، وعدم ظهور أمارات تدل على الجلاء .

(١) وقال في هذا المعنى أيضا :

(٢) أَقْضِيهِ فِي الْأَشْوَاقِ إِلَّا أَقْلَهُ * بَطْنِي سُرَى أَبَدَى إِلَى اللَّبَثِ مِيلَهُ
(٣) وَلَيْسَ أَشْتِيَاقِي عَنْ غَرَامٍ بِشَايِنٍ * وَلَكِنَّهُ شَوْقُ أَمْرِي فَاتَ أَهْلَهُ
(٤) فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ أَعْرَتْ نُجُومَهُ * تَوَقَّدَ أَتْقَامِي وَعَانَيْتُ مِثْلَهُ
وَمَلَّ كِلَانَا مِنْ أَخِيهِ وَهَكَذَا * إِذَا طَالَ عَهْدُ الْمَرْءِ بِالشَّيْءِ مَلَّهُ

الشعر

(٥) ضَعُفَ بَيْنَ النَّهْيِ وَبَيْنَ الْخِيَالِ * يَا حَكِيمَ النَّفُوسِ يَا بَنَ الْمَعَالِي
(٦) ضَعُفَ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمٍ مُجُودٍ * لَمْ يُفَيِّقُوا وَأَمِيَّةً مِثْكَالِ
(٧) قَدْ أَذَالُوكَ بَيْنَ أَنْسٍ وَكَأْسٍ * وَغَرَامٍ بِظُلْيَةِ أَوْ غَزَالِ
(٨) وَتَسْيِيبٍ وَمِذْحَةٍ وَهَجَاءٍ * وَرِنَاءٍ وَفَنَاءٍ وَضَلَالِ
(٩) وَحَمَاسٍ أَرَاهُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ * وَصَفَارٍ يُحَرِّذُ ذَيْلَ اخْتِيَالِ
(١٠) عِشْتَ مَا يَبْنِيهِمْ مُذَالًا مُضَاعًا * وَكَذَا كُنْتَ فِي الْعُصُورِ الْخَوَالِي

- (١) أشير في الديوان المطبوع إلى أنها قصيدة طويلة، ولم يشر منها إلا على هذه الأبيات، ولم تقف نحن أيضا على بقيتها . (٢) أقضيه أي أقضى الليل . والبث : المكث . (٣) الشادن : ولد الظبية . وللمراد هنا : الملحج . (٤) يريد أن النجوم اشتعلت من توقد ألقاسه ، وفي قلبه من اللوعة والشوق مثل هذا التوقد . (٥) النهى المقول ، الواحدة : نهي . (٦) المجود : النيام . (٧) أذالوك : أهانوك وأصغروا شأنك . (٨) التسبيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر . (٩) الصفار : الذل . ومعنى قوله : «وصفار» الخ أي أنهم يهانون وهم أذلاء . (١٠) المذال : المهان .

(١)
حَمْلُوكَ الْعَنَاءَ مِنْ حُبِّ (لَيْلَى) * وَ (سُلَيْمَى) وَوَقْفَةَ الْأَطْلَالِ
(٢)
وَبُكَاءٍ عَلَى عَزِيزٍ تَوَلَّى * وَرُسُومٍ رَاحَتْ بَيْنَ اللَّيَالِي
(٣)
وَإِذَا مَا سَمَّوْا بِقَدْرِكَ يَوْمًا * أَسْكَنُوكَ الرَّحَالَ فَوْقَ الْجَمَالِ
آنَ يَا شِعْرُ أَنْ تُفَكَّ قُبُودًا * قَيْدَتْنَا بِهَا دُعَاةُ الْمُحَالِ
فَارْفَعُوا هَذِهِ الْكَلَامَ عَنَّا * وَدَعُونَا نَشْمُ رِيحَ الشَّمَالِ

خزان أسوان

قال هذين البيتين في العام الذي أسس فيه خزان أسوان وقص فيه الفيضان
(٤)
أَنْكَرَ النَّيْلُ مَوْقِفَ الْخَزَانِ * فَأَنْثَى قَافِلًا إِلَى السُّودَانِ
(٥)
رَاعَهُ أَنْ يَرَى عَلَى جَانِبَيْهِ * رَصَدًا مِنْ مَكَائِدِ الْإِنْسَانِ

مَعُونَةُ الدَّمْعِ

يَا مَنْ خَلَقْتَ الدَّمْعَ لَطْفًا * نَفَا مِنْكَ بِالْبَاكِي الْخَزِينِ
بَارِكْ لِعَبِيدِكَ فِي الدُّمُوعِ * عَجْ فَلَئِنْهَا نِعَمَ الْمَعِينِ

- (١) ليلى وسليمى : من الأسماء التى رددتها الشعراء قديما وأكثرها فيها القول نسبيا وتشبها .
والأطلال : ما بقى من آثار الديار، الواحد طلل (بالحرىك) . وللشراء فى الأطلال وقفات ذكروا فيها غرامهم
وحبهم وحسرتهم على أيام خلعت . (٢) الرسوم : آثار الديار . (٣) «أسكنوك الرحال» الخ ،
أى وصفوا الرحال والجمال وما يتعلق بذلك فى أشعارهم . ويعرض الشاعر بما نحن فيه من اتباع طريق العرب
فى الشعر من ذكر العيس ، ومناذاة الأطلال ؛ وإن صح هذا للعرب فلا يصح لنا ، فلقد كانوا يصدرون
فى ذلك عما يحيط بهم ؛ وأما نحن فلانحس من ذلك شيئا . (٤) القافل : الراجع .
(٥) الرصد : الحافظ والحارس .

الخمسة

قال :

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

- (١) هَذَا الظُّلَامُ أَثَارَ كَايْنٍ دَائِي * يَا سَاقِيَّ عَلَى الصَّهْبَاءِ
(٢) بِالكَاسِ أَوْ بِالطَّاسِ أَوْ بِأَتْنِهْمَا * أَوْ بِالْذَنَانِ فَإِنَّ فِيهِ شِفَائِي
(٣) مَشْمُولَةٌ لَوْلَا التَّقَى لَعَجِبْتُ مِنْ * تَحْرِيمِهَا وَالذَّنْبُ لِلْقُدَمَاءِ
(٤) قَرَّبُوا الصَّلَاةَ وَهُمْ سُكَارَى بَعْدَمَا * نَزَلَ الْكِتَابُ بِحِكْمَةٍ وَجَلَاءِ
(٥) يَا زَوْجَةَ ابْنِ الْمُزْنِ يَا أُخْتَ الْهَنَا * يَا ضَرَّةَ الْأَحْزَانِ فِي الْأَحْشَاءِ
يَا طِيبُ (جَالِيُتُوسَ) فِي أَنْوَاعِهِ * مَالِي أَرَاكِ كَثِيرَةَ الْأَعْدَاءِ

(١) الصهبا : الخمر، سميت بذلك لصهبتها ، أى حرمتها . (٢) الطاس : إناء معروف وذكر (أتنيهما) على اعتبار أنهما إناءان ، ولوراعى اللفظ لأنه ، لأن الكأس والطاس مؤنثان . والذنان (بالكسر) : جمع دن (بالفتح) ، وهو الجرة العظيمة . وفيه ، أى فى الشراب .

(٣) المشمولة : الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحتها ، أو لأن لما عصفت كعصفة وريح الشمال . وفى جعله الذنب على القدماء إشارة إلى سبب التحريم ، وذلك أن الله تعالى كان قد نهى المسلمين عن أن يقرؤوا الصلاة وهم سُكَارَى ، فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) ، فلما لم ينته بعضهم عن ذلك حرّمها الله بقوله : (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ) . وقد بسط الشاعر هذا المعنى فى البيت التالى .

(٤) المزن (بالضم) : السحاب . وابن المزن : الماء الذى ينزل منه ، وجعل الخمر زوجة ابن المزن ، لأنها تخرج به . والضرة : الزوج الثانية . وجعلها ضرة الأحزان ، لأنها لا يجتمع معها فى قلب .

(٥) كلوديوس جالينوس : طبيب وفيلسوف يونانى مشهور ، ولد نحو سنة ١٣٠ م ، وتوفى نحو سنة ٢٠٠ م . وقد عنى العرب بكتبه عناية شديدة بعد أن ترجحت إلى العربية ، فأكثر مؤلفوه فى الطب من الأخذ عنه .

- (١) عَصْرُوكَ مِنْ حَدَى سُبَيْلِ خُلْسَةٍ * ثُمَّ اخْتَبَأَتْ بِمُهْجَةِ الظُّلَمَاءِ
 (٢) فَلَيْثَ فِيهَا قَبْلَ نُوحٍ حِقْبَةٌ * وَتَدَاوَلَتْكَ أَنْامِلُ الْأَنْاءِ
 (٣) حَتَّى أَتَاكَ اللَّهُ أَنْ تَتَجَمَّلِي * يَسَدُ الْكَرِيمِ وَرَاحِيَةُ الْأُدْبَاءِ
 (٤) بِاصْحَابِي كَيْفَ التَّرْوُعُ عَنِ الطَّلَا * وَلَقَدْ لَيْثُ مِنَ الْهُمُومِ يَدَا
 (٥) وَاللَّيْلُ أَرَشَدَهُ أَبُوهُ لِيَشْقُو قِي * وَكَذَا الْبُنُونَ عَلَى هَوَى الْأَبَاءِ
 (٦) أَلْقَتْ بَيْنَ ابْنِ السَّحَابِ وَبَيْنَهَا * فَرَأَيْتُ صِحَّةَ مَا حَكَاهُ (الطَّائِي) :
 (٧) صَعِبَتْ وَرَاضَ الْمَرْجُ سَيِّءَ خُلُقِهَا * فَتَعَلَّمْتُ مِنْ حُسْنِ خُلُقِ الْمَاءِ

(١) سبيل ، هو أجل نجم في السماء بعد الشعرى اليمانية ، وهو كثير الاضطراب ، ولونه يضرب إلى الحمرة ؛ قال المعزى :

وسبيل كوجنة الحب في اللو * ن وقلب الحب في الخفقان

يريد تشبيه لون الخمر بون هذا النجم . ويريد بقوله : « ثم اختبأت » الخ : حفظها في الدنان .

(٢) الحقبنة (بالكسر) : الدهر . والآاء : جمع آن ، وهو الحين والوقت ، أى تعاقبت عليك الأزمان حيناً بعد حين . يصفها في هذا البيت بقدم العهد .

(٣) يريد أنها لا يشربها إلا كريم أو أديب ، فهي ترداد في يديها بجالا .

(٤) النزوع : الكف والانتها . والطلاء : يكسر الطاء والمدة ، وقصر للشعر : الخمر .

(٥) أبو الليل : الدهر . يريد أن الدهر أوصى أباه الليل بمحاربتى ، بغرت الأبناء على سنن الآباء .

(٦) ابن السحاب : المطر ، أى أنه من جها بالماء . والطائي هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المعروف .

(٧) راضه يروضه : ذلله وجعله ليئاً سهلاً . يريد أن الماء قد كسر من حدتها وسورتها ، فكانها اكتسبت ليئاً ولطفه . وهذا البيت من قصيدة لأبي تمام مدح بها يحيى بن ثابت ، ومطلعها :

فدك أنتد أريت في الضلواء * كم تعذلون وأتم سبرائ

وقال وقد بعث بها إلى محمد المويلحي بك الكاتب المعروف

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

(٢) أَوْشَكَ أَلَدَّيْكَ أَنْ يَصْبَحَ وَتَقْسِي * بَيْنَ هَمٍّ وَبَيْنَ ظَرْفٍ وَحَدْسٍ

(٣) يَا غَلَامُ، أَلْمَدَامَ وَالْكَاسَ، وَالطَّا * مَسَ، وَهَيَّ لَنَا مَكَانًا كَأَمْسٍ

(٤) أَطْلِقِ الشَّمْسَ مِنْ غَيَاطٍ هَذَا * دَنٍّ وَأَمَلًا مِنْ ذَلِكَ النُّورِ كَأَمْسٍ

(٥) وَأُذِنِ الصُّبْحَ أَنْ يَلُوحَ لَعْنِي * مِنْ سَنَاها فَذَلِكَ وَقْتُ التَّحْسِي

(٦) وَأَدْعُ نَدْمَانَ خَلَوْنِي وَأَتَتْنَانِي * وَتَعَجَّلْ وَأَسْبِلْ سُتُورَ الدَّمَقْسِ

وَأَسْقِنَا يَا غُلَامُ حَتَّى تَرَانَا * لَا نُطِيقُ الْكَلَامَ إِلَّا بِهَمْسٍ

(٧) تَعْمَرَةٌ قِيلَ لَهُمْ عَصْرُهَا * مِنْ خُدُودِ آلِ الْمَلَجِ فِي يَوْمِ عُرْسٍ

(٨) مُدْرَأَهَا فَتَى الْعَزِيزِ مَنَامًا * وَهُوَ فِي السَّجَنِ بَيْنَ هَمٍّ وَيَأْسٍ

(١) انظر التعريف بمحمد بك المويلحي في الحاشية رقم ٣ من ص ١٥٠ (٢) صياح الديك :

كناية عن طلوع الفجر . والحدس : التخمين والتوهم . والمعنى أن قسه بين هم متيقن وهم مظنون .

(٣) المدام (بالنصب) ، أى هات المدام . (٤) يريد « بالشمس » : انظر ، شبهها بها

في اللون . والغياض : جمع غيب ، وهى الظللة . (٥) يريد في هذا البيت تشبيه لونها بضوء

الصبح . والسنا : النور . وتحسى الشراب : شربه شيئاً بعد شيء ، في مهلة .

(٦) التدمان : جمع نديم . والدقمس : الحرير أو الديباج ، ووصل الهزة في قوله : « واسبل »

لضرورة الوزن . (٧) شبه التمر في حررتها بحمرة خدود الحسنان في يوم العرس ، لأن خدودهن

تكون في ذلك الحين أشد احمراراً بما عليهما من أصباغ . (٨) العزيز : ملك مصر . وفاته

هو أحد القتين اللذين كانا مع يوسف عليه السلام في السجن ، وقد كان رأى في منامه أنه يصمر نجراً ،

وفسره يوسف عليه السلام هذه الرؤيا بأنه سوف يسقى ربه عزيز مصر نجراً ، فابته أن يخرج من

السجن ، وجعله العزيز صاحب شرابه . ويريد بهذا البيت والذي بعده أن رؤيا الخمر في المنام أسعدت

فتى العزيز بالنجاة ويخمدته لذلك بعد ما كان فيه من يأس ونحس ، فكيف لو كان شرابها .

أَعَقِبْتَهُ الْخَلَاصَ مِنْ بَعْدِ ضَيْقٍ * وَحَبَّتْهُ السُّعُودَ مِنْ بَعْدِ نَحْسٍ
 (١)
 يَا نَدِيَّ بِاللَّهِ قُلْ لِي لِمَ إِذَا * هَذِهِ الْخَنْدَرِيسُ تُدْعَى بِرَجْسٍ؟
 (٢)
 هِيَ نَفْسٌ زَكِيَّةٌ وَأَبْهَوَا * غَرَسُهُ فِي الْحِنَانِ أَكْرَمُ غَرَسٍ
 هِيَ نَفْسٌ تَعَلَّمَتْ حُسْنَ أَخْلَا * قِي (الْمَوْلِيَّ) فِي صَفَاءٍ وَأُنْسٍ
 خَصَّهُ اللَّهُ حَيْثُ يُصْبِحُ بِالْإِفْ * بِبَالٍ، وَالْعِزِّ، وَالْعُلَا، حَيْثُ يُمَسِّي

مجلس شراب

وَفِيَّانِ أَنْسٍ أَقْسَمُوا أَنْ يَدُدُوا * جُيُوشَ الدُّجَى مَا بَيْنَ أَنْسٍ وَأَفْرَاجٍ
 (٣)
 فَهَبُّوا إِلَى نَخَارَةٍ قِيلَ إِنَّهَا * قَعِيدَةُ تَحْمِيرِ تَمْزُجِ الرُّوحِ بِالرَّاحِ
 (٤)
 وَقَالُوا لَهَا : إِنَّا أَتَيْنَا عَلَى ظُلْمَا * نُحَاوِلُ وَرْدَ الرَّاحِ رَغْمًا عَنِ اللَّاحِي
 (٥)
 فَقَامَتْ فِي أَجْفَانِهَا كَسَلُ الْكَرَى * وَفِي رِدْفِهَا وَاسْتَعْرَضَتْ جَيْشَ أَفْدَاحِ
 وَقَالَ أَيْضًا :

مَرَّتْ كُثْمِيرُ الْوَرْدِ بَيْنَنَا أَجْتَلِي * إِصْبَاحَهَا إِذْ آذَنْتُ بِرَوَاجٍ
 (٦)
 لَمْ أَقْضِ مِنْ حَقِّ الْمُدَامِ وَلَمْ أَقْمُ * فِي الشَّارِبِينَ بِوَاجِبِ الْأَفْدَاحِ

(١) الخندريس : النمر القديمة . والرجس : النجس . (٢) زكية : طاهرة . وأبو النمر :
 الكرم . يريد أن أصلها أكرم الأشجار في الحدائق . (٣) النخارة : بائنة النحر . ويريد بكونها
 «قعيدة نحر» : أنها ملازمة لها لا تفارقها . والراح : النحر . (٤) الظما : الظلم (بالهز) .
 واللاحي : اللأم . (٥) الكرى : النعاس . والردف : العجز . (٦) اجتلى الشيء :
 نظر إليه . وآذنت : أعلمت . شبه جلسة الأنس وساعات اللهو بعمر الورد في القصر .

(١) وَالزَّهْرُ يَحْتَبُ الْكُتُوسَ بِحِظِهِ * وَيَسُوُّهَا بِأَرْيَحِهِ الْفَيَّاحِ
(٢) أَخْشَى عَوَاقِبَهَا وَأَغْيَطُ شَرِبَهَا * وَأَجِيدُ مِدْحَتَهَا مَعَ الْمُدَّاحِ
وَأَمِيلُ مِنْ طَرَبٍ إِذَا مَالَتْ بِهِمْ * فَاعْجَبْ لِنَشْوَانِ الْجَوَانِحِ صَاحِي
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ فَإِنِّي * أَفْسَدْتُ فِي ذَلِكَ النَّهَارِ صَلَاحِي

وقال :

(٣) نَمْرَةٌ فِي (بَابِلَ) قَدْ صُهِرِجَتْ * هَكَذَا أَخْبَرَ حَاخَامُ الْيَهُودَ
أَوْدَعُوهَا جَوْفَ دَنٍّ مُظْلِمٍ * وَلَدَيْهِ بَسْرُوهَا بِالْخُلُودِ
سَأَلُوا الْكُهَّانَ عَنْ شَارِبِهَا * وَعَنِ السَّاقِي فِي أَيِّ الْعُهُودِ؟
(٤) فَأَجَابُوهُمْ : فَتَى ذَوِ مِرَّةٍ * مِنْ بَنِي مُصِيرٍ لَهُ فَضْلٌ وَجُودٌ
(٥) مَغْرَمٌ بِالْعُودِ وَالنَّايِ مَعًا * مُوَلِّعٌ بِالشَّرِبِ وَالنَّاسُ هُجُودُ
(٦) هُمُ فَصْدُ دِنَانٍ وَنَدَى * وَأَبُوهُ هُمُ جَمْعُ التَّقُودِ

(١) يبحث : يبحث . يقول : كان الزهر بالحال يوحى إلى الشاربين والسقاء بالإسراع في إدارة الكتوس . وشاب الشيء يشوبه : خلطه . وأريج الزهر : قنعة ريحه .

(٢) عواقبها ، أى عواقب المدام ؛ ويريد أنه لا يشربها . والشرب : الشاربون .

(٣) بابل : ناحية بالعراق تبعد الكوفة والحلة ، ينسب إليها الخمر والسحر . وصهرجت ، يريد أنها حفظت في الصهاريج ؛ ولم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والقى وجدناه أن « الصهرجة » هى أن يطل الخوض بالصاويج ، وهى النورة ؛ وليس هذا مرادها هنا . ويريد « بإخبار حاخام اليهود » أنها قد ورد ذكرها في الكتب القديمة ؛ وفي هذا دليل على قدمها .

(٤) المرة (بكسر الميم وفتح الراء مشددة) : القوة والعزيمة . (٥) المهجود : النيام .

(٦) فصد الدن : قبه وإهراق ما به من نحر ، تشبهاً له بفصد العرق .

ذِكْرِي مَجْلِسِ شَرَابٍ

بعث بها من السودات إلى بعض أصدقائه بمصر

فَتَيْسَةَ الصَّبَاءِ خَيْرَ الشَّارِبِينَ * جَدُّوْا بِاللَّهِ عَهْدَ الْغَائِبِينَ
 (١)
 وَأَذْكُرُونِي عِنْدَ كَاسَاتِ الطَّلَا * إِنِّي كُنْتُ إِمَامَ الْمُذْمِينِ
 (٢)
 وَإِذَا بَا آسْتَهَضَّتْكُمْ لَيْلَةٌ * دَعْوَةُ الْخَمْرِ فَتُورُوا أَجْمَعِينَ
 رَبُّ لَيْلٍ قَدْ تَعَاهَدَنَا عَلَى * مَا تَعَاهَدْنَا وَكُنَّا فَاعِلِينَ
 (٣)
 فَقَضَيْنَاهُ وَلَمْ نَخْفَلْ بِمَا * سَطَرَتْ أَيْدِي الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ
 (٤)
 بَيْنَ أَفْدَاجٍ وَرَاجٍ عُتِقَتْ * وَرِيَّاحِينَ وَوِلْدَانٍ وَعَيْنِ
 (٥)
 وَسُقَاةٍ صَفَّقَتْ أَكْثَابَهَا * بَعْضُهَا الْبَلُورُ وَبَعْضُ الْجَيْنِ
 (٦)
 آتَسْتُ مِنَّا عِطَاشًا كَالْقَطَا * صَادَقْتُ وَرْدًا بِهِ مَاءٌ مَعِينِ
 فَمَشَتْ بِالْكَاسِ وَالطَّائِسِ لَنَا * مِشْيَةَ الْأَفْرَاجِ لِلْقَلْبِ الْحَزِينِ
 (٧)
 وَتَوَاتَبْنَا إِلَى مَشْمُولَةٍ * ذَاتِ أُلْوَانٍ تَسُرُّ النَّاطِلِينَ

- (١) الطلَا: بالكسر والمدة، وفصر الشعر: الخمر. (٢) ثوروا: هبوا، أسرعوا.
 (٣) الكرام الكاتبون: الملائكة الذين يكتبون حسنات المرء وسيئاته. (٤) العين: جمع عينا، وهي القادة الواسعة العين. (٥) الجين: القضة. ويلاحظ أن في هذا البيت عينا من حيوب القافية يسمى (سناد الحذف)، وهو اختلاف حركة ما قبل الرفع. والردف هو حرف اللام الذي قبل الروى. (٦) القطا: جمع قطة، وهي الحمامة. والورد: المورد. والمعين: الجارى.
 (٧) المشمولة: الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها، فهو فيل بمعنى فاعل، أولأن بها مصفة كصفة ربح الشمال.

- (١) عَمَدَ السَّاقِ لِأَنْ يَقْتُلَهَا * وَهِيَ بِكَرٍّ أَحْصَنَتْ مِنْدُسَيْنِ
 (٢) ثُمَّ لَمَّا أَنْ رَأَى عِقَّتَهَا * خَافَ فِيهَا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ
 (٣) وَأَجَلْنَا الْكَاسَ فِيمَا بَيْنَنَا * وَعَلَى الصَّبَاءِ بَنَاتَا عَاكِفِينَ
 (٤) وَشَفِينَا النَّفْسَ مِنْ كُلِّ رَشَا * نَطَقَتْ عَيْنَاهُ بِالسَّحْرِ الْمُبِينِ
 (٥) وَطَوَى بِمَجْلِسِنَا بَعْدَ الْهَنَا * وَأَنْشِرَاجَ الصَّدْرِ تَكْبِيرُ الْأَذِينِ
 هَكَذَا كُنَّا بِأَيَّامِ الصَّفَا * تَهَبُ اللَّذَاتُ فِي الْوَقْتِ الثَّمِينِ
 (٦) لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَنَا بَعْدَ النَّوَى * مِنْ سَبِيلٍ لِلَّآ أَمْ لَا تَحِينُ

(١) عمد له (من باب ضرب) : قصد . ويقتلها ، أى يمزجها بالماء ؛ وأصله من قول حسان بن ثابت :

إِن لِّى نَاولَتْنِي فَرَدَدْتُهَا * قَتَلْتُ قَتَلْتُ فَهَاتَهَا لَمْ تَقْتُلْ

وأحصنت البكر : حافظت على عفتها ؛ وإحصان الخمر هنا : بقاؤها في الدنان . (٢) كنى بعفة

الخمر في هذا البيت عن إبانها المزج . يقول : إن الساق لما رأى أن الخمر لا تقبل المزج بالماء ، خاف فيها

الله رب العالمين ، أى لم يقتلها بالمزج وسقانا إياها صرفا . (٣) أجلنا الكأس : أدرناها .

(٤) الرشا (بالهمز وسهل للشعر) : ولد الظلية الذى قد تحرك ومشى ؛ يريد الملبح الحسن الجليل .

(٥) الأذنين : المؤذن . (٦) لات حين : أى ذهب وقت اللقاء وليس الحين حيه .

و يلاحظ أن قواعد اللمة تقتضى ذكر (أو) مكان (أم) في هذه العبارة ، فإن (أم) المتصلة لا تذكر بعد

(هل) إلا شذوذا ، نحو : هل زيد عندك أم عمرو ؛ وإنما تذكر مع همزة الاستفهام في الأكثر .

الغزل

قال ترجمة عن جان جاك روسو :

[نشر في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

يأيها الحب أمدِّجْ بالحشى * فإنَّ في الحبِّ حياةَ الشُّوشِ
(١) وأسللَ حياةَ من يمين الردى * أوْشَكَ يدعوها ظلامُ الرموشِ

وقال ترجمة عنه أيضا :

[نشر في سنة ١٩٠٠ م]

(٢) تمثِّلْ إنَّ شئتَ في منظرٍ * (باجُولِيَا) أنكرُ فيه القرامِ
(٣) أو فأبني قلباً الى أضلعٍ * راحَ به الوجْدُ وأودى السقامِ

وقال ترجمة عنه أيضا :

[نشرت في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

غضِّي جفونَ السَّحْرِ أو فأرجي * مُتَبِّحاً يَحْشَى نِزَالَ الجُفُونِ
(٤) ولا تُصوِّلي بالقوامِ الذي * تَمِيسُ فيه يا مُنَايَ المَنُونِ
إِنِّي لَأَدْرِي مِنْكَ مَعْنَى الهوى * (باجُولِيَا) والناسُ لا يَعْرِفُونُ

- (١) الرموش : القبور، الواحد رمس . يقول : اتقذ الحياة بممارسة الحب قبل أن يقطعها الموت .
(٢) يرغب في هذا البيت إلى محبوبته أن تخلع تلك الصورة التي يحبا ، وتمثل في صورة أخرى ينكر فيها حبه إياها وغرامه بها ، ليستريح مما يقاسيه من تباريح الهوى .
(٣) أودى به : ذهب . (٤) تَمِيسُ : تتأيل وتبخر . والمنون : الموت .

في جندي ملىح

[نثرا في سنة ١٩٠٦م]

(١١) وَمِنْ عَجَبٍ قَدْ قَلْدُوكَ مُهَنَّدًا * وَفِي كُلِّ لَحْظٍ مِنْكَ سَيْفٌ مُهَنَّدٌ

(٢) إِذَا أَنْتَ قَدْ جَرَدْتَهُ أَوْ غَمَدْتَهُ * قَتَلْتَ بِهِ وَاللَّحْظُ لَا يَتَعَمَّدُ

وقال :

(٣) أَنَا الْعَاشِقُ الْعَانِي وَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي * أَعِيدُكَ مِنْ وَجْدٍ تَغْلُقُ فِي صَدْرِي

(٤) خَلِيلَ هَذَا اللَّيْلِ فِي زِيهِ أَنَّى * فَقُمْ نَلْتَمِسْ لِلشَّهِدِ دِرْعًا مِنَ الصَّبْرِ

(٥) وَهَذَا السَّرَى نَحْوَ الْجَمِيِّ يَسْتَفْزِنَا * فَهَيَّا وَإِنْ كُنَّا عَلَى مَرْكَبٍ وَغَيْرِ

خَلِيلَ هَذَا اللَّيْلِ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ * وَلَيْسَ لَهُ غَيْرُ الْأَحَادِيثِ وَالذِّكْرِ

(٦) فَهَاتِ لَنَا أَذْكَى حَدِيثٍ وَعَيْتَهُ * أَلَدُّ بِهِ إِنَّ الْأَحَادِيثَ كَالنَّخْرِ

وقال :

(٧) قَالَتْ الْجَوْزَاءُ حِينَ رَأَتْ * جَفَنَهُ قَدْ وَاصَلَ السَّهْرَا

(٨) مَا لِهَذَا الصَّبِّ فِي وَلَّهِ * أَتَرَاهُ يَعْشَقُ الْقَمَرَا

(١) المهند : السيف . (٢) جردته : سلته من غمده . ولا يتعمد : لا يقصد القتل .

ويريد بهذا أنه لا يحاسب على ما جنى لعدم قصدته . (٣) العاني : الأسير . وتغلل : دخل

وأغل . (٤) في زيه ، أى سواده . (٥) السرى : السير بالليل . ويستفزنا : يستخفنا .

والوعر : الصعب . (٦) وعيته : حفظته .

(٧) الجوزاء : برج في السماء معروف . (٨) الوله : التحير من شدة الوجد .

وقال يتغزل في ملبح ويعرض بأحتلال الإنجليز :
 ظَنَنْتَنِي أَلْحَمَى بِاللَّهِ مَا ضَرَكَا * إِذَا رَأَيْنَا فِي الْكَرَى طَيْفَكَ^(١)
 وما الَّذِي تَحْشَاهُ لَوْ أَنَّهُمْ * قَالُوا فَلَانَّ قَدْ غَدَا عَبْدَاكَ؟
 قَدْ حَرَمُوا الرِّقَّ وَلَكِنَّهُمْ * مَا حَرَمُوا رِقَّ الْهَوَى عِنْدَكَ^(٢)
 وَأَصْبَحَتْ مِصْرٌ مَرَّاحًا لَهُمْ * وَأَنْتَ فِي الْأَحْشَاءِ مُرَّاحٌ لَكَ^(٣)
 مَا كَانَ سَهْلًا أَنْ يَرَوْا نِيلَهَا * لَوْ أَنَّ فِي أَسْيَانَا لَحْظَكَ^(٤)

يقين الحب

أَذْنَتِكَ تَرْتَايِنَ فِي الشَّمْسِ وَالضُّحَى * وَفِي النُّورِ وَالظُّلُمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ^(٥)
 وَلَا تَسْمَعِي لِلشَّكِّ يَحْطِرُ خَطَرَهُ * بِنَفْسِكَ يَوْمًا أَتَى لَسْتُ مُغْرَمًا

الحال

فالهما في ملبح رأى خلا على غُرته

سَأَلْتُهُ مَا لِهَذَا الْحَالِ مُتَقَرِّدًا * وَأَخْتَارَ غُرَّتَكَ الْفَرًّا لَهُ مَسَكًا^(٦)
 أَجَابَنِي: خَافَ مِنْ سَهْمِ الْجُفُونِ وَمِنْ * نَارِ الْخُدُودِ، لِهَذَا هَاجَرَ الْوَطَنَ^(٧)

(١) الكرى: العاس . والطف: الخيال الطائف في المنام . (٢) الضمير في «حرموا» للإنجليز .
 (٣) المراح (بضم الميم) : المأوى والمزل . ويجوز أن يقرأ بفتحها ، بمعنى الموضع يروح القوم
 منه وإليه . ولهم ، أى الإنجليز . (٤) أى لم يكن من اليسر على الإنجليز أن يحتلوا مصر لو أن سيف
 لحظك الفتاك من سيوفنا . (٥) أذنتك ، أى أذنت لك . وترتاين ، أى تشكين . (٦) الغراء
 بالمد وقصر للشعر : البيضاء . (٧) يريد بالوطن (ها) : غده ، لأن الحال أكثر ما يكون فيه .

رسائل الشوق

سَوْءٌ عِنْدِي لَهُ مَكْتُوبَةٌ * وَدَلَّوْا يَسْرِى بِهَا الرُّوحُ الْأَمِينُ^(١)
 إِنِّي لَا أَمْنُ الرُّسْلَ وَلَا * أَمْنُ الْكُتُبِ عَلَى مَا تَحْتَوِيْنَ
 مُسْتَهِينٌ بِالَّذِي كَابَدْتُهُ * وَهَوَ لَا يَدْرِى بِمَاذَا يَسْتَهِينُ
 أَنَا فِي هَمٍّ وَيَأْسٍ وَأَسَى * حَاضِرُ اللَّوْعَةِ مَوْضُولُ الْإِنِّينِ

(١) الروح الأمين : جبريل عليه السلام .

(٢) يريد بقوله : «وهو لا يدري» الخ أن محبوبه لم يكابد ألم الهوى حتى يعرف قدر ما يستهين به .

الاجتالحتنا

(١)
حريق ميت غمر

[نشرت في ٧ مايو سنة ١٩٠٢ م]

سائلوا اللَّيْلَ عَنْهُمْ وَالنَّهَارَ * كَيْفَ بَاتَتْ نِسَاؤُهُمْ وَالْعَذَارَى
كَيْفَ أَمْسَى رَضِيعُهُمْ فَقَدْ الْأُمُّ * وَكَيْفَ أَصْطَلَى مَعَ الْقَوْمِ نَارًا
كَيْفَ طَاحَ الْعَجُوزُ تَحْتَ جِدَارٍ * يَتَدَاعَى وَأَسْقُفٍ تَتَجَارَى^(٢)
رَبِّ إِنَّ الْقَضَاءَ أَتَمَّ عَلَيْهِمْ * فَأَكْشَفَ الْكَرْبَ وَأَعْجَبَ الْأَقْدَارَ
وَمُرِيَ النَّارَ أَنْ تَكُفَّ أَذَاهَا * وَمُرِيَ الْقَيْثَ أَنْ يَسِيلَ أَنْهَامَارَا^(٣)
أَيْنَ طُوفَانُ صَاحِبِ الْفُلْكِ يَرَوِي * هَذِهِ النَّارَ؟ فَهِيَ تَسْكُو الْأَوَارَا^(٤)
أَشْعَلَتْ قَحْمَةَ الدِّيَاجِي فَبَاتَتْ * تَمَلُّ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ شَرَارَا
عَشِيتُهُمْ وَالنَّحْسُ يَجْرِي يَمِينًا * وَرَمَتْهُمْ وَالْبُؤْسُ يَجْرِي يَسَارَا^(٥)
فَأَغَارَتْ وَأَوْجَهُ الْقَوْمِ يَبْضُ * ثُمَّ غَارَتْ وَقَدْ كَسَمْتَن قَارَا

- (١) ثبت النار في مدينة ميت غمر من أعمال الدقهلية في (يوم الخميس أول مايو سنة ١٩٠٢ م) (٢٢) .
محرم سنة ١٣٢٠ هـ) وبقيت فأكل كل ما تآق عليه في هذه المدينة حتى يوم ٨ مايو؛ وهلك بسبب هذا
الحريق كثيرون، ودمرت كثير من الدور والمحال، ولعظمت الكلفة تألفت جماعة من الأعيان لتخفيف ويلات
هذا المصائب، وتسابق أهل الخير بغادوا بالمال الكثير، وحضت الصحف الناس على جمع المال لذلك؛
وفيها يقول الشاعر هذه القصيدة . (٢) طاح : هلك . وتداعى الجدار : انقض وتهدم .
وتجارى : تسابق في السقوط . (٣) الفلك : السفينة . وصاحبها : نوح عليه السلام . والأوار
شدة الحرارة والعطش . (٤) قحمة الدياجي : ظلة الليل، تشبها لها بالقهم . (٥) القار : الوقت .

- (١) أَكَلْتُ دُورَهُمْ فَلَمَّا اسْتَقَلْتُ * لَمْ تُغَادِرْ صِغَارَهُمْ وَالْكِبَارَا
 أَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الدِّيَارِ عُرَاءَ * حَذَرَ الْمَوْتِ يَطْلُبُونَ الْفِرَارَا
 يَلْبَسُونَ الظَّلَامَ حَتَّى إِذَا مَا * أَقْبَلَ الصُّبْحُ يَلْبَسُونَ النَّهَارَا
 حُلَّةٌ لَا تَقِيمُ الْبَرْدَ وَالْحَرَّ * وَلَا عَنْهُمْ تَرُدُّ الْقُبَارَا
 (٢) أَيُّهَا الرَّافِقُونَ فِي حُلِّ الْوَشَى * يِيَّ يَحْرُونَ لِلذُّبُولِ أَفْخَارَا
 (٣) إِنْ فَوقَ الْعَرَاءِ قَوْمًا جِيَاعًا * يَتَوَارَوْنَ ذِلَّةً وَأَنْكِسَارَا
 (٤) أَيُّهَا السَّجِينُ لَا يَمْنَعُ السَّجْ * مِنْ كَرِيمًا مِنْ أَنْ يُقِيلَ الْعِشَارَا
 (٥) مُرٌّ بِأَلْفٍ لَمْ وَإِنْ شِئْتَ زِدْهَا * وَأَحْرِمُ كَمَا أَجَرْتَ النَّصَارَى
 (٦) قَدْ شَهِدْنَا بِالْأَمْسِ فِي مِصْرَ عُرْسًا * مَلَأَ الْعَيْنَ وَالْفُؤَادَ ابْتِهَارَا
 (٧) سَأَلَ فِيهِ النَّضَارُ حَتَّى حَسِبْنَا * أَنَّ ذَلِكَ الْفِئَاءَ يَحْرَى نُضَارَا
 بَاتَ فِيهِ الْمُتَعَمُّونَ بِلَيْلٍ * أَجْمَلَ الصُّبْحِ حُسْنُهُ فَتَوَارَى

- (١) استقلت، أى عدت ما أحرقته من الدور قليلا . (٢) دفل فى نوبه : اختال فيه وتجتر .
 وحلل الوشى : الثياب المنقوشة . (٣) العراء : الفضاء . ويتوارون : يسترون . (٤) يريد
 بالسجين : المنشاوى باشا الثرى المعروف ، وكان إذ ذاك مسجوناً لارتكابه جريمة تمزيب الصوص الذين
 اتهموا بسرقة بعض المراثى من مزرعة سمو الخديوى عباس حلى الثانى ، حتى اضطروهم إلى الإقرار بما سرقوا
 بتأثير العذاب ؛ وكان ذلك فى سنة ١٩٠٢ م . والثائر : الشر والمكره . وإثاله : دفعه عن زل به .
 (٥) يشير إلى أن المنشاوى كان قد أجاز كثيراً من الأوربيين وحمام من أذى المصريين فى الثورة
 العرابية ، وأزلمهم به . (٦) ابتها : يريد عجا . ولم نجد فيما راجعنا من كتب اللغة هذا اللفظ
 بهذا المعنى . وهذا العرس الذى يشير إليه الشاعر هو عرس زواج الأمير حيدر رشدى فاضل بك من كريمة
 حل فهى باشا وقد أقيم مهرجان عظيم يدار على فهى باشا مكث ثلاث ليال من ليلة الأربعاء ٣٠ إبريل
 سنة ١٩٠٢ م إلى ليلة الجمعة ٢ مايو من السنة نفسها . (٧) الفتاء : ساحة الدار .

يَكْتَسُونَ السُّرُورَ طَوْرًا وَطَوْرًا * فِي يَدِ الْكَأْسِ يَخْلَعُونَ الْوَقَارًا
وَيَتَمَنَّانِ فِي (مَيْتِ غَمْرٍ) صِيَاحًا * مَلَأَ الْبَرْجُجَةَ وَالْبَحَارَا
جَلَّ مَنْ قَبَّمَ الْحُطُوطَ فَهَذَا * يَتَفَنَّى وَذَاكَ يَبْكِي الدِّيَارَا
رُبَّ لَيْلٍ فِي الدَّهْرِ قَدْ ضَمَّ نَحْسًا * وَسُعُودًا وَعُسْرَةً وَيَسَارَا

(١) الى الأرض

[بركان مارتنيك سنة ١٩٠٢ م]

(٢) أَلْبَسُوكِ الدَّمَاءَ فَوْقَ الدَّمَاءِ * وَأَرْوِكِ الْعِدَاءَ بَعْدَ الْعِدَاءِ
(٣) فَلَيْسَتْ النَّجِيعَ مِنْ عَهْدٍ قَائِمٍ * لَمْ وَشَاهَدْتِ مَصْرَعَ الْأَبْرِيَاءِ
فَلَكَ الْعُدْرُ إِنَّ قَسَوْتَ وَإِنْ خُنْتُ * وَإِنْ كُنْتِ مَصْدَرًا لِلشَّقَاءِ
(٤) خَلِطَ النَّاسُ، مَا طَغَى جَبَلُ النَّاسِ * رِإْسَالِ نَفْسَةٍ فِي الْهَوَاءِ
(٥) أَخْرَجُوا صَدْرَ أُمِّهِ فَأَرَاهُمْ * بَعْضَ مَا أَضْمَرَتْ مِنَ الْبُرْهَاءِ

- (١) المارتنيك، هي إحدى جزر الهند الغربية الفرنسية، وبها كثير من الفوهات البركانية. ويشير الشاعر الى الثوران البركاني الذي حدث فيها، والذي لم يشهد العالم مثله في شدته وكثرة ضخامه، وذلك في ٨ مايو سنة ١٩٠٢ م. (٢) ألبسوك: يخاطب الأرض. ويشير بهذا البيت والذي بعده الى مدوان الناس بعضهم على بعض بالقتل من عهد آدم الى اليوم. (٣) النجيع: الدم. وقابيل: هو ابن آدم عليه السلام، وهو الذي قتل أخاه هابيل؛ وقصتهما مشهورة ورد ذكرها في القرآن. (٤) قمة جبل النار: ما يقذف به البركان من فيران. (٥) أمه، أي الأرض. ويريد بالبرحاء: نار الضغن والحقد.

- (١) اسْتَخْطَوْهَا فَصَابَرَتْهُمْ زَمَانًا * ثُمَّ انْخَسَتْ عَلَيْهِمْ بِالْجَزَاءِ
 أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ يَكُنْ ذَاكَ سُخْطُ آلِ * بَارِئِ ، مَاذَا يَكُونُ سُخْطُ السَّمَاءِ ؟
 (٢) إِنْ فِي عُلُوِّ مَسَرَحًا لِلْقَادِيدِ * يَرَوْنَ فِي الْأَرْضِ مَكْنًا لِلْقَضَاءِ
 فَاتَّقُوا الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ مَسَوَاءً * وَاتَّقُوا النَّارَ فِي الثَّرَى وَالْفَضَاءِ

اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها

[نشرت في سنة ٢٠١٩م]

- (٣) رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَتَمَمْتُ حَصْبَاتِي * وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَأَحْسَبْتُ حَيَاتِي
 (٤) رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي * عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَائِي
 (٥) وَلَدْتُ وَلَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي * رِجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي
 (٦) وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ تَفْظًا وَغَايَةً * وَمَا ضِيقْتُ عَنْ آتِي بِهِ وَعِظَاتِي
 فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ * وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءِ الْمُخْتَرَاتِ

- (١) صابرتهم ، أى طاولتهم فى الصبر . وانخست عليهم بالجزاء : أقبلت عليهم به .
 (٢) فى علو ، أى فى أعلى ، وهو يسكون اللام وضم الواو وكسرهما ونحها ، يريد السماء .
 (٣) رجعت لنفسى ، أى تأملت . والحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتى : عددتها عند
 الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية : إننى عدت الى تقصى وفكرت فيما آله امرى ، فأسات الظن
 بمقدرى ، وكنت أصدق ما رمونى به من القصور ، وناديت الناطقين بى أن ينصرونى فلم أجدهم سميما ،
 فادخرت حياتى عند الله . (٤) العداة : الأعداء . يقول : اتهمونى بأنى لا ألدلى حين أنى فى ريمان
 شبابى . وليتنى كنت كما قالوا فلا يحزننى قولهم . وكنتى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجودها . (٥) يريد
 «بالعراس» : الألفاظ المجولة الحسنة . وادالبت : دلتها حية . (٦) الآى : جمع آية .

أنا البَحْرُ في أَحْشَاءِهِ الدُّرُ كَامِنٌ * فهل سَأَلُوا القَوَاصَ عن صَدَفَاتِي ^(١)
 فَيَا وَيْحَكُمْ أَلَيْ وَتَلَى حَمَاسِي * وَمَنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي ^(٢)
 فَلَا تَكُلُونِي للزَّمَانِ فَإِنِّي * أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَقَاتِي ^(٣)
 أَرَى لِرِجَالِ الغَرْبِ عِزًّا وَمَنَّةً * وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ ^(٤)
 أَتَوْا أَهْلَهُم بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنَّنَا * فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ ^(٥)
 أَبْطِرُّكُمْ مِنْ جَانِبِ الغَرْبِ نَاعِبٌ * يُنَادِي بِوَادِي فِي رَيْعِ حَيَاتِي ^(٦)
 وَلَوْ تَزَجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمْ * بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثَرَةٍ وَشَتَاتِ ^(٧)
 سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا * يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي ^(٨)
 حَفِظَنَ وِدَادِي فِي الْبَلَى وَحَفِظْتُهُ * لَهْنٌ بِقَلْبِي دَائِمِ الحَسَرَاتِ ^(٩)
 وَقَاخَرْتُ أَهْلَ الغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطْرِقٌ * حَيَاءً بِتِلْكَ الْأَعْظَمِ النِّخْرَاتِ ^(١٠)
 أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزَلَقًا * مِنْ القَبْرِ يُدْنِينِي بَغِيرِ آثَانَةِ ^(١١)

- (١) الأساة : جمع الآسى، وهو الطيب . (٢) تكلوني : تتركوني . ويحين : تمحل .
 (٣) يقال : هو في منعة ، أى في قوم يمتنونه ويمحونه . (٤) الناعب : المصوت بما
 هو مستكده . وربيح الحياة : أيام الشباب والقوة .
 (٥) زجر الطير ، هو أن ترى الطائر بمحصة أو تصيح به ، فإن ولاك في طيرانه مباحته فهاهنا
 به خيرا ، وإن ولاك مياسره تطيرت منه . والعثرة : السقوط . والشات : الضرق . يقول : لو استنبأتم
 الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم ما يجردقني طليكم من السقوط والاحتلال .
 (٦) القنات : الرع . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد « بالأعظم » : من دفن في الجزيرة من
 العرب الأولين . (٧) النخرات : البالية المفتحة . (٨) المزلق : مكان الالتلاق ، أى
 السقوط والزلل . والآنة : التأني والإبطاء . ويريد وصف لفة الجرائد اذ ذاك بالضعف .

- (١) وَاسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرَ صَجَّةً * فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي
 (٢) أَبْهَجَرْنِي قَوِي - عفا الله عنهم - * إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُوَاةِ
 (٣) سَرَتْ لُوثَةُ الْإِفْرِجِ فِيهَا كَمَا مَرَى ■ لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ قُرَاتِ
 بِفَاعَتْ كُتُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً * مُشْكَلَةٌ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ
 (٤) إِلَى مَعَشِيرِ الْكِتَابِ وَالْجَمْعِ حَافِلٌ * بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شِكَايِي
 (٥) فَإِذَا حَيَاةٌ تَبَعْتُ الْمَيِّتَ فِي اللَّيْلِ * وَتَنَبَّأْتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي
 وَإِذَا مَاتَ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ * مَاتَ لَعَمْرِي لَمْ يَقْسَ بِمَمَاتِ

(١) النعاة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت .

(٢) لم تتصل برواة ، أى لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التى تحفظها من التغير
 كما هو الشأن فى العربية . ويشير الى تلك اللغة المرقمة التى كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة .

(٣) اللوثة (بالضم) : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعى : ممها . والقرات : الماء العذب .

(٤) الشكاة : الشكوى .

(٥) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والزفات : كل ما تكسر ربيلى ؟

يريد مابقى من الجسد بعد الموت .

زواج الشيخ على يوسف صاحب (المؤيد)^(١)

فالها ينسئ فيها على المصريين بعض العيوب الاجتماعية ، وما يراه من فوضى الرأى وقلة الثبات عليه

[نشرت فى سبتمبر سنة ١٩٠٤ م]

^(٢)
حَطَمْتُ الْيَرَاعَ فَلَا تَعْجَبْ * وَعِفْتُ أَلْيَانَ فَلَا تَعْتَبْ

فَأَنْتِ يَامَصْرُ دَارَ الْأَدِيبِ * وَلَا أَنْتِ بِالْبَلَدِ الطَّيِّبِ

^(٣)
وَكَمْ فِيكَ يَامَصْرُ مِنْ كَاتِبٍ * أَقَالَ الْيَرَاعَ وَلَمْ يَكْتَبِ

فَلَا تَعْذِلْنِي لِهَذَا السُّكُوتِ * فَقَدْ ضَاقَ بِي مِنْكَ الشَّهَادُ

^(٤)
أَيْعِجُّنِي مِنْكَ يَوْمَ الْوَفَاقِ * سَكُوتُ الْجَمَادِ وَلَعِبُ الصَّيِّ؟

وَكَمْ غَضَبَ النَّاسُ مِنْ قَبْلِنَا * لَسَلَبِ الْحَقُوقِ وَلَمْ تَغْضَبِ

- (١) كان بين المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وبين السيد أحمد عبد الخالق السادات شيخ السادة الوفائية صلة مودة وصداقة ، فخطب الشيخ على ابنته السيدة صفية ، ورضيت الفتاة وسكت الأب ، فعقد العقد فى بيت البكرى من غير علم الأب ، فرفع الوالد الأمر إلى المحكمة الشرعية طالباً بفسخ العقد لعدم الكفاءة فى النسب ، ودافع الشيخ على عن نفسه ، وأثبت شرف نسبه بتسجيل اسمه فى دفتر الأشراف ، وقضت المحكمة بالحيلولة الموقفة بين الزوجين ، ثم قضت بعد ذلك بفسخ عقد الزواج فى أغسطس سنة ١٩٠٤ م فاستأنف الزوج الحكم أمام المجلس الابتدائى الشرعى فى محكمة مصر الشرعية الكبرى ، فقضت بتأييد الحكم بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٩٠٤ م ، وكان لهذه القضية ثورة فى الرأى العام فاضت بها الصحف وأكثر فيها الشعراء .
- (٢) حطمت : كسرت . واليراع : القلم . وعافت النوى : عافته : كرهه .
- والخطاب لمصر فى هذا البيت وما يأتى بعده .
- (٣) أقال اليراع : أعفاه من أن يكتب به .
- (٤) يشير الشاعر « يوم الوفاق » إلى الاتفاق الذى تم بين إنجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ م ، والذى أباح لفرنسا بعض امتيازات فى مراکش فى مقابل إطلاق يد الإنجليز فى مصر .

(١)
 أَنَابَتَ الْعَصِيرَاتُ الْغَرِيبَ * مُجِدِّ عَمَصَرَ فَلَا تَلْعَبِي
 يقولون: في النَّشْرِ خَيْرٌ لَنَا * وَلِلنَّشْرِ شَرٌّ مِنَ الْأَجْنَبِي
 (٢)
 أُنْفِ (الْأُزْبِكِيَّةَ) مَثْوَى الْبَيْنِ * وَبَيْنَ الْمَسَاجِدِ مَثْوَى الْآبِ ؟
 (٣)
 وَكَمْ ذَا عَمَصَرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ * كَمَا قَالَ فِيهَا (أَبُو الطَّيِّبِ)
 (٤)
 أُمُورٌ تَمُرُّ وَعَيْشٌ يُمَرُّ * وَنَحْنُ مِنَ اللَّهِوِ فِي مَلْعَبِ
 وَشَعْبٌ يَقْرَأُ مِنَ الصَّالِحَاتِ * فِرَارَ السَّلِيمِ مِنَ الْأَجْرَبِ
 (٥)
 وَصُحُفٌ تَطْنُ طَيْنَ الذُّبَابِ * وَأُخْرَى تَنْشُرُ عَلَى الْأَقْرَبِ
 (٦)
 وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ الْأَمِيرِ * وَيَدْعُو إِلَى ظِلِّهِ الْأَرْحَبِ
 وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ السَّفِيرِ * وَيُطْنِبُ فِي وَرْدِهِ الْأَعْدَبِ
 وَهَذَا يَصْبِحُ مَعَ الصَّائِحِينَ * عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا مَأْرَبِ
 (٧)
 وَقَالُوا : دَخِيلٌ عَلَيْهِ الْعَفَاءُ * وَنِعَمَ الدَّخِيلُ عَلَى مَدْهَبِي
 رَأَا نِيَامًا وَلَمَّا نَفَقَ * فَشَمَرَ لِلسَّغَى وَالْمَكْسَبِ

- (١) النابتة : الناشئون . (٢) المثوى : موضع الثواء، وهو الإقامة . يريد أن الشاب في الملاحى، والآباء في المساجد . (٣) يشير إلى قول أبي الطيب المتنبي من قصيدة له في هجاء كافور :
 وَكَمْ ذَا عَمَصَرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ * وَلَكِنَّهُ ضَحِكَ كَالْبِكَ
 (٤) عيش يمر، أى يصير مرأ . (٥) طين الذباب : صوته . وتشن على الأقرب :
 تنصب عليه غارتها من كل جهة . ويريد «بالأقرب» : أبناء الوطن . (٦) الأرحب : المتسع .
 ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى انقسام الرأى السياسى فى مصر، فقريق مع الخديوى ، وآخر
 يناصر دار العميد الإنجليزى ، وثالث لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . (٧) يريد «الدخيل» :
 الأجانب الذين أصابوا فى مصر حظا من الثروة لم يصبه أهلها . والعفاء : البلى والاندثار .

(١)
وماذا عليه إذا فاتنا * ونحن على العيش لم ندأب
ألفنا الخمول وبألفتنا * ألفنا الخمول ولم نكذب

✱ ✱

(٢)
وقالوا : (المؤيد) في غمرة * رماه بها الطمع الأشعي
(٣)
دعاه الغرام بسن الكهول * بخن جنونا بينت النبي
(٤)
فضج لها العرش والحاملوه * وصح لها القبر في يثرب
(٥)
ونادى رجال بإسقاطه * وقالوا : تلون في المشرب
(٦)
وعدوا عليه من السيئات * ألوا تدور مع الأحقب
(٧)
وقالوا لصيق بيت الرسول * أغار على النسب الأحمج
(٨)
وزكى (أبو خطوة) قولهم * بحكم أحد من المضرب
(٩)
فا للتهاني على داره * تساقط كالمطر الصيب ؟

(١) دأب في عمله يدأب : جد فيه واستمر عليه . (٢) يريد «بالمؤيد» : صاحبه الشيخ على يوسف . والغمرة : ما يغمر الإنسان ويشمله من الشدائد ؛ ويريد بها هنا ما وقع فيه من شدة بما أثير حوله في قضية الزوجية . والأشعي : نسبة إلى أشعب ، وهو رجل من الموالى بالمدينة كان شديد الطمع فغضب به المثل ، قيل : «أطعم من أشعب» . (٣) بسن الكهول ، أى فى سن الكهول ؛ ويريد «بينت النبي» : البيدة صفة ، وهى من أمرة السادة الوقائية . (٤) لها ، أى لهذه الحادثة . ويثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . (٥) يريد «بالمشرب» : المذهب والطريقة ؛ وهو معنى مولد . (٦) الأحقب : السنون ، الواحد حقب (بضم الحاء وسكون القاف أو بضمهما) . وتدور مع الأحقب ، أى تبتغى على الدهر . (٧) اللصيق بالقوم : الداخل فيهم وليس منهم . (٨) أبو خطوة ، هو الشيخ أحمد أبو خطوة قاضى المحكمة الذى حكم حكماً ابتدائياً بفسخ عقد الزواج . والمضرب (بكسر الراء) : فتحها) : السيف ، والجمع مضارب . (٩) داره ، أى دار الشيخ على يوسف . والصيب : المنهر المتدفق .

وما للوفود على بابيه * ترف البشار في موكب ؟
 (١)
 وما لخليفة أسدى إليه * وساماً يليق بصدر الأبي ؟
 (٢)
 فيا أمة ضاق عن وصفها * جنان المفوه والأخطب
 (٣)
 تضيع الحقيقة ما بيننا * ويصلي البرىء مع المذنب
 ويهضم فينا الإمام الحكيم * ويكرم فينا الجهول الغبي
 على الشرق منى سلام الودود * وإن طأطأ الشرق للغرب
 (٤)
 لقد كان خصباً يجذب الزمان * فأجذب في الزمن الخصب

إلى رجال الدنيا الجديدة

أنشدتها في الحفل الذى أقامته كلية البات الأمريكية بمصر لتوزيع الشهادات على خريجاتها .

في ٢٦ مايو سنة ١٩٥٦ م

أى رجال الدنيا الجديدة مدوا * لرجال الدنيا القديمة باعاً
 وأفيضوا عليهم من أيادي * نكم علوماً وحكمةً وأحتراما

- (١) يشير إلى ما قاله الشيخ على يوسف من الرتب والأوسمة من الدولة العثمانية . والأبي (بتشديد الباء ، وخففت للشعر) : الذى لا يرضى الدنيا أهنة وكبرا .
 (٢) الجنان : القلب . والمفوه : المنطق . ويعنى الشاعر على الأمة أخلاقها ، فبينما هى تعد على الشيخ على يوسف السيئات ، وترميه بالقلب فى رأى ، وشكر عليه زواجه ، إذا بها توافقه على داره وتزف إليه التهانى . (٣) يصلى : يعذب . (٤) يقول : لقد كان الشرق غنيا بالحضارة والعمران فى عهد خلو العالم منهما ، فأصبح مجدداً من ذلك ، إذ الزمان خصب بهما .

كُلُّ يَوْمٍ لَكُمْ رَوَائِعُ أَنَا * رِثْوَالُونَ يَنْهَنُّ تَبَاعَا
 كَمْ خَلَبْتُمْ عُقُولَنَا بِعَجِيبٍ * وَأَمَرْتُمْ زَمَانَكُمْ فَاطَاعَا
 وَبَذَرْتُمْ فِي أَرْضِنَا وَزَرَعْتُمْ * فَسَرَّانَا مَا يُعْجِبُ الزَّرَاعَا
 وَلَمَحْنَا مِنْ نُورِكُمْ فِي نَوَاصِي * حَفَلَةَ الْيَوْمِ لَمْعَةً وَشُعَاعَا
 وَشَهِدْنَا مِنْ فَضْلِكُمْ أَثَرًا فِيدَ * هِيَ يَرُوقُ الْعُيُونُ وَالْأَسْمَاعَا
 لَيْتَا نَقْتَدِي بِكُمْ أَوْ نُجَارِدِ * كَمْ عَسَى نَسْتَرِدُّ مَا كَانَ ضَاعَا
 إِنِّ فِينَا لَوْلَا التَّخَاذُلُ أَبْطَا * لَا إِذَا مَا هُمْ أَسْتَقْلُوا الْبِرَاعَا^(١)
 وَعُقُولًا لَوْلَا التَّجْمُولُ قَوَّلَا * هِيَ لِفَاضَتْ غَرَابَةً وَأَيْهَدَا
 وَدُعَاةً لِلتَّخِيرِ لَوْ أَنْصَفُوهُمْ * مَلَأُوا الشَّرْقَ عِزَّةً وَامْتِنَاعَا
 كَاشَفَ الْكَهْرِبَاءُ لَيْتَكَ تُعْنَى * بَاخْتِرَاجِ يَرُوضٍ مِنْهَا الطَّبَاعَا^(٢)
 آلَةٌ تَسْحَقُ التَّوَاكُلَ فِي الشَّرِّ * قِي وَتُلْقِي عَيْنَ الرِّبَاءِ الْقِنَاعَا
 قَدْ مَلَلْنَا وَقُوفْنَا فِيهِ نَبِيكِي * حَسَبًا زَائِلًا وَبَعْدًا مُضَاعَا
 وَسَمِينَا مَقَالَهُمْ كَانَ زَيْدٌ * عَبَقْرِيًّا وَكَانَ عَمْرُو شُجَاعَا
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تُتَارَعُ مِصْرٌ * غَيْرَهَا الْمَجْدُ فِي الْحَيَاةِ نِزَاعَا
 وَزَارَهَا تُفَاخِرُ النَّاسَ بِالْأَحْ * بِيَاءٍ تُخْفِرُ فِي الْخَلَائِقِينَ مُدَاعَا^(٣)

(١) استقلوا البراع، أى حلوا الأقدام . (٢) يروض الطباع ، أى يسومها ويذلها بعد

جاسها . (٣) الخلائق : المشرق والمغرب .

- (١) (أَرْضُ كَوْلَبَ) أَي نَبْتِكَ أَغْلَى * قِيَمَةٌ فِي الْمَلَا وَأَبْقَى مَتَاعَا
 (٢) أَرْجَالُ بِهِمْ مَلَكَتِ الْمَعَالِي * أَمْ تُضَارُّ بِهِ مَلَكَتِ الْبِقَاعَا
 لَا عِدَاكَ السَّمَاءُ وَالْخُصْبُ وَالْأَمْرُ * نُوْ لَا زِلْتَ لِلْسَّلَامِ رِبَاعَا
 (٣) طَالِبِي الْكَوْنَ وَأَنْظُرِي مَا دَهَاها * إِنْ رُكِّنَ السَّلَامُ فِيهِ تَدَاعَى

مدرسة مصطفى كامل

انشدها في الحفل الذي أقامته المدرسة لتوزيع الجوائز على المتقدمين

من تلاميذها في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٦ م

- (٤) سَمِعْنَا حَدِيثًا كَقَطْرِ النَّدى * فَحَدَّدَ فِي النَّفْسِ مَا جَدَّدَا
 فَأَضْحَى لَأَمَانًا مُنْعَشَا * وَأَمْسَى لَأَلَمًا مُرْقِدَا
 قَدِينَاكَ يَا شَرْقُ لَا تَجْزَعَنَّ * إِذَا الْيَوْمُ وَلَّى فِرَاقُ غَدَا
 فَكَمْ مِحْنَةٍ أَعْقَبَتْ مِحْنَةً * وَوَلَّتْ سِرَاعًا كَرَجِجَ الصُّدى
 (٥) فَلَا يُنْسِنَا قِيلُ الْعُدَاةِ * وَإِنْ كَانَ قِيْلًا كَحَزَّ الْمُدَى
 (٦) أَتَوَدَّعُ فِيكَ كُنُوزُ الْعُلُومِ * وَيَمِشِي لَكَ الْفَرْبُ مُسْتَرْفِدَا؟

- (١) أرض كولب : يريد أمريكا ، أضيفت إلى مكتشفها كريستوف كولب . (٢) التضار :
 الذهب . يشير إلى كثرة الذهب في أمريكا . (٣) طالعي الكون : انظري إليه . وتداعي : تقدم .
 (٤) يريد « بالحديث » : ما قيل في الحفل من خطب وأشعار . (٥) قيل العداة : قو لهم .
 والمضى (بالضم) : جمع مضية ، وهي السكين . (٦) المسترفد : طالب الرشد (بكره الراء)
 وهو العطاء .

وَتُبْعَتْ فِي أَرْضِكَ الْإِنِّيَاءُ * وَيَأْتِي لَكَ الْغَرْبُ مُسْتَرِشِدًا؟
 وَتَقْضَى عَلَيْكَ قُضَاةُ الضَّلَالِ * طَوَالَ اللَّيَالِي بَأَن تَرُقْدَا؟
 أَتَشْقَى بِعَهْدٍ سَمَّا بِالْعُلُومِ * فَاصْحَى الضَّعِيفُ بِهَا أَيَّدَا؟^(١)
 إِذَا شَاءَ بَزَّ السَّهَائِرَ * وَأَدْرَكَ مِنْ جَرِيهِ الْمَقْصِدَا^(٢)
 وَإِنْ شَاءَ أَذْنَى إِلَيْهِ النَّجُومِ * فَنَاجَى الْحَجَرَةَ وَالْفَرْقَدَا^(٣)
 وَإِنْ شَاءَ زَعَزَعَ شُمَّ الْجِبَالِ * نَحَرَتْ لِأَقْدَامِهِ سُبُجْدَا^(٤)
 وَإِنْ شَاءَ شَاهَدَ فِي ذَرَّةٍ * عَوَالِمَ لَمْ تَحْيَ فِيهَا سُدى^(٥)
 زَمَانٌ تُسَخَّرُ فِيهِ الرِّيحُ * وَيَغْدُو الْجَمَادُ بِهِ مُنْشِدَا^(٦)
 وَتَعْنُو الطَّيِّعَةُ لِلْعَارِفِينَ * بِمَعْنَى الْوُجُودِ وَمِثْرَ الْهُدَى^(٧)

- (١) الأيد (يتشد يد الياء) : القوى ؛ من الأيد (يفتح الهزمة وسكون الياء) بمعنى القوة .
 يقول : أتشقى أيما الشرق بحرمانك من العلوم والمعارف في زمن قاض فيه العلم ، وأخذت كل أمة منه بحظ حتى أصبح الضعيف ذا قوة بسببه ، بما اكتسب من علم . (٢) بز : غلب . والسها : كوكب صغير خفى الضوء في نباتات نعش ، والناس يمتحنون به أبصارهم خلفاء ضوئه . يقول : إذا شاء ذو العلم سلب من هذا النجم سره المكتوم ، وجعله ظاهرا للناس يعرفون من أمره ما يعرفون من الكائنات التي يدركونها بحواسهم . ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى علماء الفلك وما وصلوا إليه من اكتشافات في هذا العلم .
 (٣) الحجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بعجز البصر ، وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء ؛ ولهذا يشبهها الأدباء بالنهر ، فيقولون : نهر الحجرة . والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يمتدى به ، جمعه فراقد .
 (٤) شُمَّ الجبال : ما علامتها وشمخ ، الواحد أشم . ويشير بهذا البيت إلى المخترعات الحربية التي تصف الجبال . (٥) الذرة : واحدة الذر (فتح الذال) ، وهو الهباء المتبث في الهواء . ويشير بهذا البيت إلى المنظار المكبر للأشياء ، المعروف بالمكسكوب ونحوه . ويريد « بالعوالم » : عوالم الميكروبات .
 (٦) يشير بالشر الأزل من هذا البيت إلى الطائرات ؛ وبالشر الثانى إلى الحاكى .
 (٧) تعنو : تخضع وتذل .

- (١) إذا ما أَهَابُوا أَجَابَ الْحَدِيدُ * وَقَامَ الْبُخَارُ لَهُ مُسْعِدًا
(٢) وَطَارَتْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْكَهْرَبَا * بَرُوقٌ عَلَى السَّلَكِ تَطْوِي الْمَدَى
(٣) أَيْجَلُ مِنْ بَعْدِ هَذَا وَذَاكَ * بَأْنُ نَسْتَكِينَ وَأَنْ تَجْعَدَا
(٤) وَهَاتُمَةُ (الْصُفْرِ) قَدْ مَهَّدَتْ * لَنَا النَّهْجَ فَاسْتَبَقُوا الْمَوْرِدَا
(٥) فَيَأْتِيهَا النَّاشِئُونَ أَعْمَلُوا * عَلَى خَيْرِ مَضْمِيرٍ وَكُونُوا بَدَا
(٦) سَتُظْهِرُ فِيكُمْ ذَوَاتُ الْغُيُوبِ * رَجَالًا تَكُونُ لِمَصْرِ الْقِدَا
فِيَالَيْتَ شِعْرِي مَنْ مِنْكُمْ * إِذَا هِيَ نَادَتْ يُلَبِّي النَّدَا
لَكَ اللَّهُ يَا (مُصْطَفَى) مِنْ قَتَى * كَثِيرِ الْأَيَادِي، كَثِيرِ الْعِدَا
إِذَا مَا حَدَّثْتُكَ بَيْنَ الرَّجَالِ * فَأَمْتَ الْخَلِيقُ بِأَنْ مُحَمَّدَا
سَيُحْصِي عَلَيْكَ سِجِلَ الزَّمَانِ * ثَمَاءٌ يُحْلِلُ مَا خُلِدَا
وَيَهْتَفُ بِأَسْمِكَ أَبْنَاؤُنَا * إِذَا آتَى لِلزَّرْعِ أَنْ يُحْصَدَا

(١) أَهَابَ بِهِ : دعاه . ومسعدا : ميسرا .

(٢) المدي : المسافة على نوعها من زمنية أو مكانية . ويشير بهذا البيت إلى الآيتين المعروفتين باللفظ واللفظون .

(٣) نستكين : نذل ونخضع .

(٤) يريد « بأمة الصفر » : اليابانيين ؛ وسما بذلك للونهم . والنهج : الطريق . واستبقوا المورد أي سبقوا غيرهم من أمم الشرق إلى الارتشاف من مآهل العلوم والمعارف .

(٥) كونوا بدنا : عبارة يراد بها اتحاد الكلمة واجتماع الرأي حتى كأنهم فرد واحد .

(٦) ذوات الغيوب ، أي الأقدار المهيمنة في عالم الغيب .

إلى ناظر المعارف سعد زغلول باشا

[نشرت في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٦ م]

- (١)
مالي أرى ببحر السَّيا * سَية لا يني جَزْراً ومدّاً
(٢)
وأرى الصَّحائفَ أَيْبَسَتْ * ما بَيْنَنَا أَخْذاً وَردّاً
(٣)
هَذَا يَرى رَأى الْعَمِيءِ * يدِ وَذا يَعدُّ عَلَيْهِ عَدّاً
(٤)
وأرى الْوِزَارَةَ تَجْتَنِي * مِنْ مَرِّ هَذَا الْعَيْشِ شُهْداً
(٥)
نَامَتْ بِمِصْرَ وَأَيَّقَظَتْ * لِحَوَاثِثِ الْأَيَّامِ (سَعْدَا)
فَطَرَحَتْهَا وَمَسَّاتُ عَد * لَهُ لِقِيلٌ لِي : لَمْ يَأَلْ جُهِدَا
(٦)
يَا (سَعْدُ) أَنْتَ (مَسِيحُهَا) * فَأَجْعَلْ لِهَذَا الْمَوْتِ حَداً
يَا (سَعْدُ) إِنَّ (بِمِصْرَ) آيَةً * تَأَمَّا تُوْمَلُ فَيْكَ سَعْدَا
قَدْ قَامَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ * نِ الْعِلْمِ ضَيْقُ الْحَالِ سَدّاً

(١) يني : يبطئ .

(٢) أَيْبَسَتْ ما بَيْنَنَا ، أى قُطِعَتْ ما بَيْنَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ ؛ وَاسْتَمَارَ الْيَسُّ لِلتَّقَاطُعِ ؛ يُقَالُ : قَدْ يَسُّ مَا بَيْنَهُمَا : إِذَا تَقَاطَعَا ، كَمَا اسْتَمَارَ اللَّيْلُ لِلتَّوَاصُلِ .

(٣) يريد أن ساسة مصر فريقيان : فريق يوافق عميد الدولة الانجليزية على ما يرى ، وفريق آخر يعد مساوية في مصر .

(٤) يريد أن الوزراء كانوا يستغلون بؤس الناس لإسماد أنفسهم .

(٥) نامت ، أى الوزارة .

(٦) شبهه بالمسيح في أنب معجزته لإحياء الموتى . قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : (وَأَبْرَأُ الْأَكْهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتِ يَا ذَا الْقَهْ) .

ما زِلْتُ أَرْجُو أَنَّ أَرَا * لَكَ أَبَا وَأَنَّ أَلْفَاكَ جَدًّا
 حَتَّى غَدَوْتَ أَبَا لَهُ * أَصَحَّتْ عِيَالُ الْقُطْرِ وَلَدًا
 فَارْدُدْنَا عَهْدَ (الإِمْ) * وَكُنْ بِنَا الرَّجُلَ الْمُقْدَى^(١)
 أَنَا لَا أَلُومُ الْمُسْتَشَا * رَ إِذَا تَعَلَّلَ أَوْ تَصَدَّى^(٢)
 فَسَبِيلُهُ أَنَّنْ يَسْتَبِي * دُ شَأْنُنَا أَنْ نَسْتَعِدَّا
 هِيَ سُنَّةُ الْمُحْتَلِّ فِي * كُلِّ الْمُصَوِّرِ وَمَا تَعْدَى

الحث على تعضيد مشروع الجامعة

أنشدها في الحفل الذي أقامه محفل الصدق الماسوني في دار التبيل العربي،

وخصص لإبراده لمشروع الجامعة المصرية

[نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٧ م]

إِنْ كُنْتُمْ تَبْذُلُونَ الْمَالَ عَنْ رَهْبٍ * فَتَحْنُ نَدْعُوكُمْ لِلْبَذْلِ عَنْ رَغْبٍ
 ذَرِ الْكَاتِبَ مُنْشِئَهَا بِلَا عَدَدٍ * ذَرِ الرَّمَادَ بِعَيْنِ الْحَازِقِ الْأَرَبِ^(٣)

(١) يريد « بالإمام » : الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده .

(٢) يريد بالمستشار : المستر (داتلوب) الإنجليزي ، مستشار المعارف إذ ذاك . وتعلل :

تصنع العلل والمعاذير المأتمنة من نشر العلم في البلاد المصرية . وقصدى : تعرض للصالحين بالمنع .

(٣) الأرب : البصير الماهر . ويشير بهذا البيت إلى ما كان يقصد إليه المستشار الإنجليزي

لنظارة المعارف والعميد الإنجليزي إذ ذاك من إلقاء المصريين وتسكينهم بأكار الكاتيب الصغيرة في القرى

والمدن عن أن يطلبوا إلى الحكومة إنشاء جامعة على نفس الجامعات الأوروبية .

فَأَنْشَأُوا الْآلَفَ كُتَابٍ وَقَدْ عَلِمُوا * أَنْ الْمَصَائِيحَ لَا تُغْنِي عَنِ الشُّهُبِ
 هَبُّوا الْأَجِيرَ أَوِ الْحَزَاتِ قَدْ بَلَّغَا * حَدَّ الْقِرَاءَةِ فِي صُحُفٍ وَفِي كُتُبِ
 (١)
 مَنِ الْمَدَاوِي إِذَا مَا عِلَّةٌ عَرَضَتْ * مَنِ الْمُدَافِعُ عَنْ عِرْضٍ وَعَنْ نَسَبِ
 (٢)
 وَمَنْ يَرُوضُ مِيَاهَ النَّيْلِ إِنْ جَمَحَتْ * وَأَنْذَرْتُ مِصْرَ بِالْوَيْلَاتِ وَالْحَرْبِ
 (٣)
 وَمَنْ يُوَكِّلُ بِالْقِسْطِ لِسَانَ بَنَتِكُمْ * حَتَّى يَرَى الْحَقُّ ذَا حَوْلٍ وَذَا غَلَبِ
 (٤)
 وَمَنْ يُطِلُّ عَلَى الْإِفْلَاقِ يَرُصُّهَا * بَيْنَ الْمَنَاطِقِ عَنْ بُعْدٍ وَعَنْ كَثَبِ
 يَبْتَئُ يُبَيِّنُنَا عَمَّا تَكُنُّ بِهِ * سَرَائِرُ الْغَيْبِ عَنْ شَفَافَةِ الْجُحُبِ
 (٥)
 وَمَنْ يَبْزُ أَدِيمَ الْأَرْضِ مَا رَكَوَتْ * فِيهَا الطَّيِّبَةُ مِنْ يَدْعٍ وَمِنْ عَجَبِ
 (٦)
 يَطْلُ يَنْشُدُ مِنْ ذَرَاتِهَا نَبَأً * ضَمَّتْ بِهِ الْأَرْضُ فِي مَاضٍ مِنَ الْحَقْبِ
 (٧)
 وَمَنْ يُعِيطُ سِتَارَ الْجَهْلِ إِنْ طُمِسَتْ * مَعَالِمُ الْقَصْدِ بَيْنَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

- (١) النشأ (بالتحريك) : المال . ويشير بهذا البيت والآيات السبعة بعده إلى طوائف المتخرجين من الجامعة على اختلافهم : من أطباء ، وعلماء ، ومهندسين ، وقضاة ، وفلكيين ، وعلماء طبقات الأرض ، ومعلمين . (٢) يروض مياه النيل : يقوم على تصريفها وتدير أمرها ، ولا يدعها تفرق البلاد بظليانها . وأصله من رياضة الدواب ، وهو تذليلها بعد صعوبتها وتفورها . (٣) القسطاس (بكسر القاف وضمة) : ميزان العدل ؛ قيل هو روميّ معرب . والحول : القوة . (٤) يرصدها : يرقبها . والكثب (بالتحريك) : القرب . (٥) يبز : يسلب . وأديم الأرض : وجهها . وركوت ، أى طوت وخبات . والبعد : الذى لا مثيل له . (٦) ينشد : يطلب . (٧) يعيط : يكشف . وطمست : انمحت وأندثرت . ومعالم القصد : العلامات التى تبين طريقه وتدل عليه . يقول : إن هذا العالم الذى يعيث فى طبقات الأرض وما حوت من معادن يظل يطلب فى كل ذرة من ذراتها سرا كنتمه ولم تبح به فى غابر الأزمان لجهل الماضين بما فى باطن الأرض من عجائب .

(١) فَا لَكُمْ أَيُّهَا الْأَقْوَامُ جَامِعَةٌ * إِلَّا بِجَامِعَةٍ مَوْصُولَةٍ السَّبَبِ
 (٢) قَدْ قَامَ (سَعْدٌ) بِهَا حِينًا وَأَسْلَمَهَا * إِلَى (أَمِينٍ) فَلَمْ يُخَيِّمْ وَلَمْ يَهَيِّ
 فَعَاوَنُوهُ يَعَاوِنُكُمْ عَلَى عَمَلٍ * فِيهِ الْفَخَارُ وَمَا تَرْجُونَ مِنْ أَرْبٍ
 وَيَتَنَبَّأُوا لِرِجَالِ الْغَرْبِ أَنْتُمْ * إِذَا طَلَبْتُمْ بَلَّغْتُمْ غَايَةَ الطَّلَبِ
 لَا تَلْجَأُوا فِي الْعِلَا إِلَّا إِلَى هِمٍ * وَتَابَةِ لَا تُبَالِي هِمَةَ التُّوْبِ
 (٣) فَإِنَّ تَأْمِيلَكُمْ فِي غَيْرِكُمْ وَهَنٌ * فِي النَّفْسِ يُرْجَى عِنَانَ السَّعْيِ وَالْدَّابِ
 (٤) إِنَّ قَامَ مِنَّا مُنَادٍ فَالْ قَاتِلُهُمْ * لَا تَصْخَبُوا فَهَلَاكُ الشَّعْبِ فِي الصَّخَبِ
 (٥) أَوْ نَابَنَا حَدِيثٌ نَرْجُو إِزَالَتَهُ * قَالَ اسْتَكْبَرُوا وَخَلُّوا سُورَةَ الْغَضَبِ
 (٦) فَمَا سَمَوْنَا إِلَى تَجْدٍ مُحَاوَلَةٍ * إِلَّا هَبَطْنَا إِلَى غَوْرٍ مِنَ الْعَطَبِ
 (٧) يَا مِصْرُ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْيَاسِ مُتَسَعٌ * يَحْجِرِي الرَّجَاءُ بِهِ فِي كُلِّ مُضْطَرَبٍ
 لَا تَنْحُنْ مَوْتِي وَلَا الْأَحْيَاءُ تُشْبِهُنَا * كَأَنَّا فِيكَ لَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَفِ

- (١) يريد بالجامعة (الأولى) : الرابطة التي تربط الأمة وتجمع طوائفها . وبالجامعة (الثانية) : ذلك المعهد المعروف . (٢) يريد المرحوم سعد زغلول باشا ، وكان من أقوى أنصار فكرة إنشاء الجامعة المصرية والساعين في تحقيقها ، فلما أسست إليه نظارة المعارف أسلم أعمال الجامعة الى المرحوم قاسم بك أمين . (٣) الوهن : الضعف . والدأب : الاجتهاد في الأمر والاستمرار عليه . (٤) الصخب (بالتحريك) : شدة الأصوات واختلاطها . (٥) استكبروا : استدلوا . وسورة الغضب : حذته . (٦) التجبد : ما ارتفع من الأرض . والغور : ما اطمأن منها وانخفض . والعطب : الهلاك . (٧) المضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون ويحيون في أمور حياتهم . يقول : هل بعد هذا اليأس من فسحة تنبع فيها آمال مصر في جميع مناحي الحياة ومذاهبها .

(١) نَبِيَّ عَلَى بَلَدٍ سَالَ النَّضَارُ بِهِ * لِلوَافِدِينَ وَأَهْلُوهُ عَلَى سَفَبٍ
مَتَى زَاهٍ وَقَدْ بَاتَتْ خَزَائِنُهُ * كَثَرًا مِنَ الْعِلْمِ لَا كَثَرًا مِنَ الذَّهَبِ
(٢) هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْمَبْرُورُ فَأَكْتَتِبُوا * بِالْمَالِ إِنَّا أَكْتَتَبْنَا فِيهِ بِالْأَدَبِ

سورية ومصر

أشدها في الحفل الذي أقامه لتركه جماعة من السوريين بفتدى شبرد

[نشرت في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٨ م]

(٣) لِمَصْرَامٍ لِرُبُوعِ الشَّامِ تَنْسَبُ * هُنَا الْعَمَلُ وَهُنَاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسَبُ
(٤) رُكَّانِ الشَّرْقِ لَا زَالَتْ رُبُوعُهُمَا * قَلْبُ الْهَيْلَالِ عَلَيْهَا خَافِقٌ يَجِبُ
(٥) خَذِرَانِ لِلضَّادِ لَمْ تُهْتِكْ سُبُورُهُمَا * وَلَا تَحُولَ عَنْ مَغْنَمَاهُمَا الْأَدَبُ
(٦) أُمُّ اللُّغَاتِ غَدَاةُ الْفَخْرِ أُمُّهُمَا * وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْآبَاءِ فَالْعَرَبُ

(١) النضار : الذهب . والسفب : الجوع . (٢) استعمال «الاكتتاب» بمعنى جمع المال من القوم لمصلحة عامة أو خاصة ، استعمال شائع في كلام أهل مصر ، وهو استعمال تجاوزى ؛ وأصله من قولهم : اكتب فلان ، إذا كتب اسمه في ديوان السلطان . ولما كان المتبرعون بالأموال تقيد أسماءهم في سجل مخصوص لذلك ، صح أن يتجاوز في ذلك ويعبر عن جمع الأموال بالاكتتاب .

(٣) أى انتسب إلى أى الأمتين شئت ، فكلاهما في العملا والحسب سواء . (٤) ويجب عليها وجبا وجبيا ؛ اضطرب ؛ وهو هنا تخاية عن الإشفاق على كلتا الأمتين والرعاية لهما والحرص عليهما . والهيلال : شعار الدولة العثمانية . (٥) الضاد : تخاية عن اللغة العربية . والمغنى : المنزل الذي غنى به أهله ، أى أقاموا . (٦) يريد أن الأمتين نجس بينهما أمومة واحدة وهي اللغة ، وأبوة واحدة ، وهم العرب .

أَرْغَبَانِ عَنِ الْحُسْنَى وَيَتَّهِمَا * فِي رَائِعَاتِ الْمَعَالِي ذَلِكَ النَّبُّ^(١)
 وَلَا يَمْتَنَانِ بِالْقُرْبَى وَيَتَّهِمَا * تِلْكَ الْقَرَابَةُ لَمْ يَقْطَعْ لَهَا سَبَبُ^(٢)
 إِذَا أَلَمْتُ بِوَادِي النَّيْلِ نَارِلَةً * بَاتَتْ لَهَا رَاسِيَاتُ الشَّامِ تَقْطُرُ^(٣)
 وَإِنْ دَعَا فِي تَرَى الْأَهْرَامِ دُوَّ أَلَمٍ * أَجَابَهُ فِي ذُرَا لُبْنَانَ مَتَّحِبُ^(٤)
 لَوْ أَخْلَصَ النَّيْلُ وَالْأَرْدُنُّ وَدَّهْمَا * تَصَاحَّتْ مِنْهُمَا الْأَمْوَاءُ وَالْعُشْبُ^(٥)
 بِالْوَادِيَيْنِ تَمَسَّى الْفَخْرُ مِشْبَتَهُ * يَحُفُّ نَاجِيَتِهِ الْجُودُ وَالْأَدَبُ^(٦)
 فَسَالَ هَذَا سَخَاءً دُونَهُ دِيمٌ * وَسَالَ هَذَا مَضَاءً دُونَهُ الْقُضْبُ^(٧)
 نَسِيمَ لُبْنَانَ كَمْ جَادَتْكَ عَاطِرَةٌ * مِنَ الرِّيَاضِ وَكَمْ حَبَاكَ مُنْسِكِبُ^(٨)
 فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَشْفَاسٌ مُسْعِرَةٌ * تَهْفُو إِلَيْكَ وَأَكْبَادُهَا لَهَبُ^(٩)
 لَوْلَا طِلَابُ الْعُلَا لَمْ يَتَغَوَّا بَدَلًا * مِنْ طَيْبِ رِيَاكَ لَكِنَّ الْعُلَا تَعَبُ^(١٠)
 كَمْ غَادَةً بِرُبُوعِ الشَّامِ بَاكِئَةً * عَلَى أَلْفِهَا يَرْمِي بِهِ الطَّلَبُ^(١١)

- (١) يرغبان عن الحسنَى : ينصرفان عن حسن الجوار . ورائعات المعالي : ما ظهر منها ووضح .
 (٢) مت إليه بكنا : توسل إليه به . (٣) أَلَمْتُ : نزلت . وراسيات الشام : جبالها .
 (٤) ذرا لبنان : مرتفعاته وأغاليه ، الواحدة ذروة . (٥) الأردن : نهر فلسطين معروف .
 والأمواء : جمع ماء . (٦) الدآب (بالتحريك) : الجحد والاجتهاد . (٧) الديم :
 من السحب : جمع ديمة ، وهي الدائمة المطر . والقضب : السيوف القواطع ، الواحد قضيب ، فعيل
 بمعنى فاعل . يشير بالنظر الأول إلى وادي النيل ، وبالنظر الثاني إلى وادي الأردن . (٨) مسعرة :
 ملتهبة من الشوق . وتهفو : تميل . ويشير إلى حنين رجال لبنان الثاين عن وطنهم في أنحاء الأرض طلبا
 للرزق . (٩) الريا : الرائحة الطيبة . (١٠) الغادة : الفتاة الخثينة لينا ونعومة .
 « ويرى » الخ ، أى يقذف به طلب الرزق في أنحاء البلاد .

- (١) يَمْضِي وَلَا حِيلَةَ إِلَّا عَزِمْتَهُ * وَيَنْتَنِي وَحُلَاهُ أَلْجَدُ وَالذَّهَبُ
(٢) يَكُرُّ صَرْفُ اللَّيَالِي عَنْهُ مُتَقَلِّبًا * وَعَزَمَهُ لَيْسَ يَدْرِي كَيْفَ يَنْتَقِلُ
(٣) بِأَرْضِ (كُولُوب) أَبْطَالُ غَطَارِفَةٍ * أَسَدٌ جِيَاعٌ إِذَا مَا وَوُثِبُوا وَثَبُوا
(٤) لَمْ يَتَحَيَّهِمْ عِلْمٌ فِيهَا وَلَا عُدَدٌ * سِوَى مَضَاءٍ تَحَايَ وَرَدَهُ النَّوْبُ
(٥) أَسْطُولُهُمْ أَمَلٌ فِي الْبَحْرِ مَرْتَحِلٌ * وَجَيْشُهُمْ عَمَلٌ فِي الْبَرِّ مُغْتَرِبٌ
(٦) لَهُمْ بِكُلِّ خِصْمٍ مَسْرَبٌ نَهَجٌ * وَفِي ذُرَاكُلٍ طَوْدٌ مَسْلُوكٌ عَجَبٌ
(٧) لَمْ تَبْدُ بَارِقَةً فِي أَفْقٍ مُتَجَجِّعٍ * إِلَّا وَكَانَ لَهَا بِالشَّامِ مُرْتَقِبٌ
مَا عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ قَدْ تُرُوا * فَالشَّهْبُ مَشْتَوْرَةٌ مَذْكَانَتِ الشَّهْبُ

(١) يقول : إن هذا الطالب يذهب على وجهه غير مزود إلا بزيمة صادقة ، ويعود متحلياً بجلى المجد ، موفور الثراء والغنى . (٢) « يكر صرف الليالي عنه » الخ ، يقول : إن نواب الأيام ترتد عنه منقلة وعزمه ثابت ماض في سبيله لا يتغير ولا يتبدل . (٣) أرض كولوب : أمريكا أضيفت إلى مكتشفها . والغطارقة : السادة الشرفاء والبراة من الناس ، الواحد غطريف وغطراف . ويريد رجال لبنان المهاجرين إلى أمريكا . وإذا ما ووثبوا وثبوا ، أى إذا ما اعتدى عليهم انتصفوا لأنفسهم . والمواثبة بين الخصمين : أن يثب كل منهما على صاحبه . (٤) تحاي : تحاى ، فحذف إحدى التاءين للتخفيف . ويريد بقوله : « لم يحهم علم » : أنهم ليسوا أصحاب سفارة يحتمون بها وإنما يحتمون بمضائهم وعزمهم اللذين ترتد عنهما نواب الأيام كليلة مهزومة . (٥) يقول : إنهم لا أسطول لهم ولا جيش غير الأسل البعيد والعمل للرزق في كل مكان . (٦) الخضم : البحر . والمسرِب : الطريق . والتهج من الطرق (يتسكن الهاء) : الواضح المسلك منها ؛ وحرك الهاء بالفتح لضرورة الوزن . « وذراكل طود » ، أى أعلى كل جبل . (٧) المتجعج : مكان الانبعاث ، أى طلب الرزق . يقول : إنه قد بلغ من سعمهم على الرزق أنه لا تظهر علامة تنبئ بوجوده في مكان إلا وجدت من رجال الشام من يرقبها ويسبق الناس إليها .

- (١) وَلَمْ يَضْرَهُمْ سُرَاءٌ فِي مَنَاجِبِهَا * فَكُلُّ حَيٍّ لَهُ فِي الْكَوْنِ مُضْطَرَبٌ
(٢) رَادُّوا الْمَنَاهِلَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ وَجَدُوا * إِلَى الْحَجَرَةِ رَكْبًا صَاعِدًا رَكِبُوا
(٣) أَوْ قِيلَ فِي الشَّمْسِ لِلزَّاجِينَ مُتَجَعٌ * مَدُّوا لَهَا سَبَبًا فِي الْجَوِّ وَاتَّجَدُّوا
(٤) سَعَوْا إِلَى الْكَسْبِ مُحْمُودًا وَمَا فَتَنَتْ * أَمْ اللُّغَاتِ بِذَلِكَ السَّعْيِ تَكْتَسِبُ
فَإِنْ كَانَ الشَّامِيُّونَ كَانَ لَهَا * عَيْشٌ جَدِيدٌ وَفَضْلٌ لَيْسَ يَحْتَاجُ
هَذِي يَدِي عَنْ بَنِي مُضِرٍّ تُصَاحِفُكُمْ * فَصَاحِفُوهَا تُصَافِحُ نَفْسَهَا الْعَرَبُ
فَمَا الْيَكَاثَةُ إِلَّا الشَّامُ عَاجَ عَلَى * رُبُوعِهَا مِنْ بَيْنِهَا سَادَةٌ مُجَبُّ
(٥) لَوْلَا رِجَالٌ تَغَالَوْا فِي سِيَاسَتِهِمْ * مِنْهَا وَمِنْهُمْ لَمَّا لُمْنَا وَلَا عَتَبُوا
(٦) إِنْ يَكْتُبُوا لِي ذَنْبًا فِي مَوَدَّتِهِمْ * فَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الذَّنْبِ الَّذِي كَتَبُوا
(٧)

- (١) السرى (مقصودا ومد للشعر) : السير بالليل . ومناكب الأرض : نواحيها . والمضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون ويبحثون .
(٢) رادوا : طلبوا . والمناهل : الموارد .
(٣) انتدب فلان للأمر : خف إليه .
(٤) يريد بقوله : « وما فتنت » الخ : أنهم يشنون اللغة العربية حينما حلوا ؛ وفى ذلك كسب لها .
(٥) عاج على المكان : مال إليه .
(٦) يقول : لولا جماعة المفرقين بين القطرين وتغاليم فى ذلك ، لما وقع بيننا ما يوجب اللوم منا ولا العتاب منهم .
(٧) الضمير فى « مودتهم » السورىين .

في الحث على تعزيد مشروع الجامعة

أنشدهما في الحفل الذى أقيم في « تياترو برنتانيا » في ٨ مايو سنة ١٩٠٨ م

- (١) حَيَّاكُمْ اللَّهُ أَحْيُوا الْعِلْمَ وَالْأَدَبَا * إِنَّ تَنْشُرُوا الْعِلْمَ يَنْشُرْ فِيكُمْ الْعَرَبَا
وَلَا حَيَاةَ لَكُمْ إِلَّا بِجَامِعِيَةِ * تَكُونُ أُمَّا لَطُلَّابِ الْعِلْمِ وَأَبَا
تَبْنِي الرِّجَالَ رَبَّنِي كُلَّ شَاهِقَةٍ * مِنْ الْمَعَالِي وَتَبْنِي الْعِزَّ وَالْعَلْبَا
ضَعُوا الْقُلُوبَ أَسَاسًا لَا أَقُولُ لَكُمْ * ضَعُوا النُّصَارَ فَإِنِّي أَصْغِرُ الذَّهَبَا
(٢) وَأَبْنُوا بَأْجَادَكُمْ سُورًا لَهَا وَدَعُوا * قِيلَ الْعَدُوِّ فَإِنِّي أَعْرِفُ السَّبِيَا
(٣) لَا تَقْنَطُوا إِنِّ قَرَأْتُمْ مَا يُزَوِّقُهُ * ذَاكَ الْعَمِيدُ وَيَرْيِيكُمْ بِهِ غَضَبَا
(٤) وَرَاقِبُوا يَوْمَ لَا تُغْنِي حَصَائِدُهُ * فَكُلُّ حَيٍّ سَيُجْزَى بِالَّذِي اكْتَسَبَا
(٥) بَنَى عَلَى الْإِنْفِكَ أَبْرَاجًا مُشِيدَةً * فَابْنُوا عَلَى الْحَقِّ رَجَا يَنْطَحُ الشَّهْبَا
(٦) وَجَاوِبُوهُ بِفَعْلٍ لَا يَقْوُضُهُ * قَوْلُ الْمُفْنِدِ أَنِّي قَالَ أَوْ خَطْبَا
(٧) لَا تَهْجَعُوا إِنْهُمْ لَنْ يَهْجَعُوا أَبَدًا * وَطَالِيَهُمْ وَلَكِنْ أَجْلُوا الطَّلَبَا

(١) « ينشر » الخ، أى يبعث فيكم مجد العرب كما كان أولا .

(٢) قيل العدو، أى قوله .

(٣) يشير إلى ما كان يقيم عيد الدولة الإنجليزية من المقبات في سبيل إنشاء الجامعة ، وما كان يتم به المصريين وريهم به من أنهم ليسوا أهلا للتعليم العالي - (٤) حصائده ، أى حصائد المبيد ، أى ما يقوله من الكلام الذى لا قيمة له ليقبى به الزائغ عن إنشاء الجامعة .

(٥) الإنك : المكذب . (٦) يقوضه : يهدمه . والمقند : المكذب .

(٧) الضمير في " إِنْهُمْ " للإنجليز . وأجل في الطلب : ترقى .

- (١) هل جاءكم نبأ القوم الآلى درجوا * وخلفوا للورى من ذكرهم عجباً
(٢) عزت (قرطاجة) الأمراس فأرتهنت * فيها السفين وأمسى حبلاً أضطرباً
(٣) والحرب فى لهب، والقوم فى حرب * قد مدّ نفع المنايا فوقهم طنباً
(٤) ودوا بها وجواريرهم معطلة * لو أن أهديهم كانت لها سبياً
(٥) هنالك العيد جادت بالذى بخلت * به دلاً فقامت بالذى وجبا
(٦) جرّت غداً ترشع سرحت سُفناً * واستنقذت وطناً واسترجعت نَسْبا
(٧) رأت حلاها على الأوطان فابتهجت * ولم تحسر على الحلى الذى ذهباً
(٨) وزادها ذاك حسناً وهى عاطلة * تُهَى على من مشى للحرب أوريا
(٩) و (برثران) الذى حاك الإباء له * ثوباً من الفخر أبلى الدهر والحقب

- (١) درجوا : مضوا وذهبوا . ويريد «بالقوم» : أهل قرطاجة الآلى ذكرهم .
(٢) قرطاجة ، يريد قرطاجة ، وهى مدينة على شاطئ أفريقية الشمال بالقرب من موقع مدينة تونس الحالية ، أُنشئت فى القرن التاسع قبل الميلاد . والأمراس : الحبال . وعزت : قلت . وبشير هذا البيت إلى الحرب البونية الثالثة التى وقعت بين الرومان والقرطاجيين من سنة ١٤٩ ق م . إلى سنة ١٤٦ ق م . والى قلت فيها حبال السفن عند القرطاجيين ، فذكر بعض المؤرخين أن نساءهم جدن بشعورهن لتخذ منها تلك الحبال .
(٣) الحرب (بالتحريك) : الهلاك والويل . والنفع : النبار . ويريد «بالطنب» : الخيام ، شبه بها غبار الحرب . والطنب (فى الأصل) : حبال الخيام . (٤) الجوارى : السفن . (٥) العيد : جمع غداة ، وهى الفتاة المنتهية لينا . (٦) الغداثر : جمع غديرة ، وهى القذابة من الشعر . والنشب : المال والمغار . (٧) «رأت حلاها على الأوطان» أى رأت غداثها تبذل فى الدفاع عن الوطن . وتحسر : تحسر . (٨) الضمير فى قوله : «زادها» العيد . «وتزهى» : تختال وتفتخر . (٩) حاك : نسج . وبرثران : قائد قرشى ولد سنة ١٧٧٣ م ، ودخل الخدمة العسكرية سنة ١٧٩٢ ضابطاً ، وجاء مع نابليون إلى مصر حيث جعله قائداً للدفع . وقد صحب نابليون إلى (جزيرة الباء) ثم إلى (جزيرة حنت هيلانة) حيث لبث معه إلى سنة ١٨٢١ ، وكانت وفاته سنة ١٨٤٤ وقد ذكر الشاعر قصته مفصلة فى الأبيات الآتية .

أَقَامَ فِي الْأَسْرِ حِينًا ثُمَّ قِيلَ لَهُ : * أَلَمْ يَنْ أَنْ تُقَدِّ الْمَجْدَ وَالْحَسَبَا
 قُلْ وَأَحْتِكُمْ أَنْتَ مُخْتَارٌ، فَقَالَ لَهُمْ : * إِنَّا رَجَالٌ نُهِنُ الْمَالَ وَالنَّشْبَا
 خُذُوا الْقَنَاطِيرَ مِنْ تَبَرٍ مُقَنْطَرَةً * يُخَوِّرُ خَاوِزُنْكُمْ فِي عَدِّهَا تَعْبَا^(١)
 قَالُوا : حَكَمْتَ بِمَا لَا تَسْتَطِيعُ لَهُ * سَمَلًا نَكَادُ نَرَى مَا قُلْتَهُ لَعِبَا
 فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا فِي الْحَيِّ غَاوِلَةٌ * مِنَ الْحَسَنِ تَرَى فِي فِدَتِي نَصَبَا^(٢)
 لَوْ أَنَّهُمْ كَلَّفُوهَا بَيْعَ مِغْرَلَهَا * لَا تَرْتِنِي وَصَحَّتْ قُوَّتُهَا رَغْبَا
 هَذَا هُوَ الْأَثَرُ الْبَاقِي فَلَا تَقْفُوا * عِنْدَ الْكَلَامِ إِذَا حَاوَلْتُمْ أَرْبَا
 وَدُونَكُمْ مَثَلًا أَوْشَكْتُ أَضْرِبُهُ * فَيْكُمْ وَفِي مِصْرَ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبَا
 سَمِعْتُ أَنْ أَمْرًا قَدْ كَانَ يَأْلُفُهُ * كَلْبٌ فَعَاثَا عَلَى الْإِخْلَاصِ وَأَصْطَحَبَا
 فَرَّيَوْمًا بِهِ وَالْجُوعُ يَنْهَبُهُ * تَبَا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجِلْدُ وَالْعَصَبَا
 فَظَلَّ يَبْكِي عَلَيْهِ حِينَ أَبْصَرَهُ * يَزُولُ ضَعْفًا وَيَقْضِي تَجَبُّهُ سَغْبَا^(٣)
 يَبْكِي عَلَيْهِ وَفِي يَمْنَاهُ أَرْغَفَةٌ * لَوْ شَامَهَا جَائِعٌ مِنْ فَرَسِيخٍ وَثَبَا^(٤)
 فَقَالَ قَوْمٌ وَقَدْ رَقُوا لِذِي أَلَمٍ * وَذِي أَلَمٍ يَسْتَقِيلُ الْعَطْبَا^(٥)
 مَا خَطَبُ ذَا الْكَلْبِ؟ قَالَ : الْجُوعُ يَحْطِفُهُ * مَنِيٌّ وَيُنْشَبُ فِيهِ النَّابُ مُغْتَصِبَا
 قَالُوا وَقَدْ أَبْصَرُوا الرُّغْفَانَ زَاهِيَةً * هَذَا الدَّوَاءُ فَهَلْ عَالَجَتْهُ فَأَبَى؟

(١) التبر : الذهب . ويخوِّر : يضعف ويفتر . (٢) النصب : التعب .

(٣) سغبًا : جوعًا . (٤) شامها : نظر إليها . (٥) يريد بذى الألم الأثرل :

صاحب الكلب . وبذى الألم الثاني : الكلب . والعطب : الملاك .

(١) أَجَابَهُمْ وَدَوَاعِيَ الشُّحِّ قَدْ ضَرَبَتْ * بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ مِنْ قَرِطِ الْقَلَى حُجْبًا
لَذَلِكَ الْحَدَّ لَمْ تَبْلُغْ مَوَدَّتَنَا * أَمَا كَفَى أَنْ يَرَانِي الْيَوْمَ مُتَجَبِّيًا
هَذِي دُمُوعِي عَلَى الْخَدَيْنِ جَارِيَةً * حُزْنًا وَهَذَا فُؤَادِي يَرْتَعِي لَمْبًا
(٢) أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ إِنْ كَانَتْ مَوَدَّتُنَا * كَصَاحِبِ الْكَلْبِ سَاءَ الْأَمْرِ مُتَقَلِّبًا
أَعِيدُكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَهُ فَتَرَى * مِنْكُمْ بُكَاءٌ وَلَا تُنْفِي لَكُمْ دَابًّا
(٣) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ فِي أَوْطَانِكُمْ فَلَكُمْ * أَجْرُ الْمُجَاهِدِ، طُوبَى لِلَّذِي أَكْتَبَ

رعاية الأطفال

أنشدما في الحفل الذي أقامته هذه الجمعية في الأوبرا في ٨ أبريل سنة ١٩١٠ م

(٤) شَبَحًا أَرَى أَمَ ذَاكَ طَيْفَ خَيَالٍ * لَا، بَلْ قَتَاءٌ بِالْعَرَاءِ حِيَالِي
(٥) أَمَسْتُ بِمَدْرَجَةِ الْخُطُوبِ فَمَا لَهَا * رَاجِعٌ هُنَاكَ وَمَا لَهَا مِنْ وَائِلِي
(٦) حَسْرَى، تَكَادُ تُعِيدُ فُحْمَةَ لَيْلِهَا * نَارًا بَانَاتٍ ذَكَيْنَ طِوَالِ
(٧) مَا خَطَبُهَا، عَجَبًا، وَمَا خَطَبِي بِهَا ؟ * مَا لِي أَشَاطِرُهَا الْوَجِيعَةَ مَا لِي ؟
(٨) دَانَيْتُهَا وَلَمَّوْتُهَا فِي مِسْمَعِي * وَقَعُ الثَّبَالِ عَطْفَنَ إِثْرِ نِبَالِ

- (١) القتل : البغض والكرامية . (٢) المقلب : المرح والمصير :
(٣) الدأب : الجد والاجتهاد . (٤) العراء (فتح العين) : القضاة الذي لا يستتر فيه بشي .
(٥) مدرجة الخطوب ، أى طريق التوائب . (٦) ذكين ، أى توفدن واشتغلن .
(٧) ما خطبها ، أى ما شأنها . (٨) عطفن : رجعن .

(١) وسألتها : مَنْ أَنْتِ ؟ وهى كأنها * رَسَمٌ عَلَى طَلَلٍ مِنَ الْأَطْلَالِ
 فَعَمَلْتُ جَزْماً وَقَالَتْ : حَامِلٌ * لَمْ تَذَرِ طَعْمَ الْغَمِضِ مُنْذُ لَبَايِ
 (٢) قَدِ مَاتَ وَالِدُهَا ، وَمَاتَتْ أُمُّهَا * وَمَضَى الْجَمَامُ بِعَمِّهَا وَالْخَالِ
 وَإِلَى هُنَا حَبَسَ الْحَيَاءُ لِسَانَهَا * وَجَرَى الْبُكَاءُ بِدَمْعِهَا الْمَطَالِ
 فَعَلِمْتُ مَا تُخْفِي الْقَتَاةُ وَإِنَّمَا * يَحْنُو عَلَى أَثْنَالِهَا أُنْثَالِي
 (٣) وَوَقَفْتُ أَنْظُرُهَا كَأَنِّي عَائِدٌ * فِي هَيْكَلٍ يَرْتَوِي إِلَى تِمْنَالِ
 (٤) وَرَأَيْتُ آيَاتِ الْجَمَالِ تَكْفَلْتُ * بِزَوَالِهَا فَوَادِحُ الْأَنْقَالِ
 لَا شَيْءَ أَفْعَلُ فِي الثُّقُوسِ كَقَامَةِ * هَيْفَاءَ رَوَعَهَا الْأَمْسَى بِهُزَالِ
 (٥) أَوْ غَادَةٍ كَانَتْ تُرِيكَ إِذَا بَدَتْ * شَمْسَ النَّهَارِ فَأَصْبَحَتْ كَالْآلِ
 (٦) قُلْتُ : أَنْهَضِي ، قَالَتْ : أَيْنَهُضُ مَيِّتٌ * مِنْ قَبْرِهِ وَيَسِيرُ شَرْبٌ بِأَلِي
 فَحَمَلْتُ هَيْكَلَ عَظَمِهَا وَكَأَنِّي * حَمَلْتُ حِينَ حَمَلْتُ عُودَ خِلَالِ
 (٧) وَطَفِيفْتُ أَنْتَهَبُ الْخَطَا مُتِمِّمًا * بِاللَّيْلِ (دَارَ رِعَايَةِ الْأَطْفَالِ)
 (٨) أَمْشِي وَأَحْمِلُ بِأَيْسَرٍ : فَطَارِقٌ * بَابَ الْحَيَاةِ وَمُؤَذِّنٌ بِزَوَالِ

(١) الرسم : أثر الدار بعد بلاها . شبه هذه القتاة برسوم الأطلال في التحول والفضالة .

(٢) الحمام : الموت . (٣) يرنو : ينظر .

(٤) يريد « فوادح الأتقال » : نواب الدهر التي لا تختمل لتقلها . (٥) الآل : السراب .

(٦) الشن : القرعة الخلق البالية . (٧) انتهب الخطا ، أى أسرع في السهر . ومتيما : قاصدا .

(٨) طارق باب الحياة : الجنين . ويريد « بالمؤذن بالزوال » : أمه .

(١) أَتَيْكُمَا وَكَأَنَّمَا أَنَا ثَالِثٌ * لَهَا مِنْ الْإِشْفَاقِ وَالْإِعْوَالِ
 وَطَرَقَتْ بَابَ الدَّارِ لَا مُتَبَيِّئًا * أَحَدًا وَلَا مُتَرَقِّبًا لِسُؤَالِ
 طَرَقَ الْمُسَافِرِ آتٍ مِنْ أَسْفَارِهِ * أَوْ طَرَقَ رَبَّ الدَّارِ غَيْرَ مُبَالِي
 وَإِذَا بِأَصْوَاتٍ تَصْبِيحُ: أَلَا أَفْتَحُوا * دَقَاتُ مَرَضَى مُدْلِجِينَ عِمَالِ (٢)
 وَإِذَا بِأَيْدٍ طَاهِرَاتٍ عُدَّتْ * صُنْعَ الْجَمِيلِ تَطَوَّعَتْ فِي الْحَالِ
 جَاءَتْ تُسَاقِ فِي الْمَبَرَّةِ بَعْضُهَا * بَعْضًا لَوَجْهِ اللَّهِ لَا لِلْأَلِ
 فَتَنَّاوَلَتْ بِالرُّفْقَى مَا أَنَا حَامِلٌ * كَالْأَمِّ تَكَلَّأَ طِفْلُهَا وَتُوَالِي (٣)
 وَإِذَا الطَّيِّبُ مُشَمَّرٌ وَإِذَا بِهَا * فَوْقَ الْوَسَائِدِ فِي مَكَانٍ عَالِي
 جَاءُوا بِأَنْوَاعِ الدَّوَاءِ وَطَوَّفُوا * بِسَرِيرِ ضَيْقِهِمْ كَبَعْضِ الْآلِ
 وَجَنَّا الطَّيِّبُ يَحْسُ نَبْضًا خَافًا * وَيُرُودُ مَكْنَنَ دَائِهَا الْقَتَالِ (٤)
 لَمْ يَذِرْ حِينَ دَنَا لِيَلُوقَهَا * دَقَاتِ قَلْبٍ أَمْ دَيْبَ نَيْمَالِ (٥)
 وَدَهَمَهَا وَتَرَصَّكْتُهَا فِي أَهْلِهَا * وَخَرَجْتُ مُنْشَرَّمًا رَضَى الْبَالِ (٦)
 وَخَجَزْتُ عَنْ شُكْرِ الَّذِينَ تَجَرَّدُوا * لِلْبَاقِيَاتِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
 لَمْ يُجِئْ لُوحَهَا بِالسُّؤَالِ عَنْ أَسْمِهَا * تِلْكَ الْمُرُوءَةُ وَالشُّعُورُ الْعَالِي

(١) الإعرال : البكاء . (٢) المبلجون : السارون بالليل . والبعال : المبرعون .

(٣) تكلأ : تحفظ وتحرس . وتواله : تهنئه وتحنوله . (٤) جئنا يجنو : جلس على

ركبته . وانخافت : الضعيف . ويرود : يطلب ويتعرف . ومكنن دائها : حيث يخفى الداء من جسمها .

(٥) يلور : يخبر . (٦) تجزذلا مر : أدخل نفسه له . والباقيات : الآثار التي تبقى بعد صاحبها .

(١)
 خَيْرُ الصَّنَائِعِ فِي الْأَنَامِ صَنِيعَةٌ * تَبَوَّ بِحَامِلِهَا عَنِ الْإِذْلَالِ
 وَإِذَا النَّوَالُ أَتَى وَلَمْ يَهْرَقْ لَهُ * مَاءُ الْوُجُوهِ فَذَلِكَ خَيْرُ نَوَالٍ
 مَنْ جَادَ مِنْ بَعْدِ السُّؤَالِ فَإِنَّهُ * - وَهُوَ الْجَوَادُ - يُعَدُّ فِي الْبُخَالِ
 لِلَّهِ دَرَهُمْ فَكَمْ مِنْ بَائِسٍ * جَمَّ الْوَجِيعَةُ سَيِّئِ الْأَحْوَالِ
 تَرْمِي بِهِ الدُّنْيَا، فَمِنْ جُوعٍ، إِلَى * عُزْيٍ، إِلَى سُقْمٍ، إِلَى إِفْلَاقٍ
 عَيْنٌ مَسْهَدَةٌ وَقَلْبٌ وَاجِفٌ * نَفْسٌ مَرْوَعَةٌ وَجِيبٌ خَالِي (٢)
 لَمْ يَدِرْ نَاطِرُهُ أَغْرِيَانَا يَرَى * أَمْ كَاسِيًا فِي تَلَكُّكُمْ الْأَسْمَالِ (٣)
 فَكَأَنَّ نَاحِلَ جِسْمِهِ فِي ثَوْبِهِ * خَلَفَ الْخُرُوقُ يُطْلُ مِنْ غُرْبَالٍ
 يَا بَرْدُ، فَاحِلٌ، قَدْ ظَفِرْتَ بِأَعْزَلٍ * يَا حَرُّ، تِلْكَ فَرِيْسَةُ الْمُغْتَالِ (٤)
 يَا عَيْنُ نَحْيٍ، يَا قُلُوبُ تَقْطِرِي * يَا نَفْسُ رِقِّي يَا مُرْوَعَةُ وَإِلِي
 لَوْلَاهُمْ لَقَضَى عَلَيْهِ شَقَاؤُهُ * وَخَلَا الْمَجَالُ لِحَاطِيفِ الْأَجَالِ (٥)
 لَوْلَاهُمْ كَانَ الرَّدَى وَقَفًا عَلَى * نَفْسِ الْفَقِيرِ قَيْلَةَ الْأَحْمَالِ
 لِلَّهِ دَرُ السَّاهِرِينَ عَلَى الْإِلَى * سَهَرُوا مِنَ الْأَوْجَاعِ وَالْأَوْجَالِ (٦)
 الْقَائِمِينَ بِخَيْرٍ مَا جَاءَتْ بِهِ * مَدْنِيَّةُ الْأَدْيَانِ وَالْأَجَالِ

(١) الصنعة: الإحسان. «وتبوء بحاملها» الخ، أي بعد من تقلدها عن الذل. (٢) مسهدة:

ساهرة. والواجف: الخائف. والمروعة: المقزعة. (٣) الأسمال: الخرق البالية.

(٤) الأعزل: الذي لا سلاح معه. ويريد به العاري من الثياب. يقول: أيها البرد احمل على هذا

العاري وهاجحه قلبي لديه ما يبتليك به. (٥) خاطف الأجال: الموت. (٦) الأرجال: المخاوف.

(١)
 أَهْلَ الْيَتِيمِ وَكَفِّهِ وَحِمَاتِهِ * وَرَيْحَ أَهْلِ الْبُؤْسِ وَالْإِحْمَالِ
 لَا تُهْمَلُوا فِي الصَّالِحَاتِ فَإِنَّكُمْ * لَا تَجْهَلُونَ عَوَاقِبَ الْإِهْمَالِ
 إِنِّي أَرَى فَقَرَاءَكُمْ فِي حَاجَةٍ * — لَوْ تَعْلَمُونَ — لِقَائِلِ فَعَالِ
 (٢)
 فَسَابَقُوا الْخَيْرَاتِ فَهِيَ أَمَامَكُمْ * مِثْلَانِ سَبَقَ لِلْجَوَادِ النَّالِ
 (٣)
 وَالْمُحْسِنُونَ لَهُمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ * يَوْمَ الْإِنَابَةِ عَشْرَةُ الْأَمْثَالِ
 وَجَزَاءُ رَبِّ الْمُحْسِنِينَ يَجِلُّ عَنْ * عَدِّ وَعَنْ وَزْنٍ وَعَنْ مِكْيَالِ

مدرسة البنات ببور سعيد

أُنشدها في حفل أقيم ببور سعيد في ٢٩ مايو سنة ١٩١٠ م لإغاثة تلك المدرسة

كَمْ ذَا يُكَادُ عَاشِقٌ وَيُلَاقِي * فِي حُبِّ مِصْرَ كَثِيرَةَ الْعَشَاقِ
 (٤)
 إِنِّي لَأَجْمِلُ فِي هَوَاكِ صَبَابَةً * يَا مِصْرُ قَدْ تَخَرَّجَتْ عَنِ الْأَطْوَاقِ
 لَهْفِي عَلَيْكَ مَتَى أَرَاكِ طَلِيقَةً * يَحْمِي كَرِيمَ حِمَاكِ شَعْبٌ رَاقِي
 (٥)
 كَلَّفَ بِمَحْمُودِ الْخِلَالِ مَتِّيمٌ * بِالْبَذْلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْإِنْفَاقِ
 إِنِّي لَتُطْرِئُنِي الْخِلَالُ كَرِيمَةً * طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأَوْيَةٍ وَتَلَاقِي

- (١) الكهف : اللجأ والمختبئ . ويريد بقوله : ربيع أهل البؤس : أنهم للبائسين بمنزلة الربيع
 أى خصب وخير . والإحمال : الجلب . (٢) الجواد : الكريم . والثالث : الكثير النائل
 وهو العطاء . (٣) الإنابة : الجزاء . ويشير إلى قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) .
 (٤) الأطواق : جمع طوق ، وهو الجهد والطاقة . (٥) الكلف (فتح) الكاف وكسر
 اللام : الشدّد الحب للشئ .

وَتَهْزُنِي ذِكْرَى الْمُرُوءَةِ وَالنَّدَى * يَنْبِ الشَّائِلِ هِزَةَ الْمُشْتَاقِ
 (١)
 مَا الْبَابِلِيَّةُ فِي صَفَاءِ مَزَاجِهَا * وَالشَّرْبُ بَيْنَ تَنَافُسٍ وَسِبَاقِ
 وَالشَّمْسُ تَبْدُو فِي الْكُثُوسِ وَتَحْتَفِي * وَالْبَدْرُ يُشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِ
 (٢)
 بِاللَّذِّ مِنْ خُلُقِي كَرِيمٍ طَاهِرٍ * قَدْ مَا زَجَّتْهُ سَلَامَةُ الْأَذْوَاقِ
 (٣)
 فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مُجُودَةً * فَقَدْ أَصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الْأَرْزَاقِ
 فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ ، وَذَا * عِلْمٌ ، وَذَاكَ مَكْرِمُ الْأَخْلَاقِ
 (٤)
 وَالْمَالُ إِنْ لَمْ تَدْخِرْهُ عَصَمًا * بِالْعِلْمِ كَانَ نِهَايَةَ الْإِمْلَاقِ
 (٥)
 وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَفِهِ شِمَائِلُ * تَعْلِيهِ كَانَ مِطِيطَةَ الْإِخْفَاقِ
 (٦)
 لَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ * مَا لَمْ يَتَوَّجْ رَبُّهُ بِخَلْقِ
 (٧)
 حُكْمِ عَالِمٍ مَدَّ الْعُلُومَ حَبَائِلًا * لَوْ قِيعَةٍ وَقَطِيعَةٍ وَفِرَاقِ
 (٨)
 وَفِيهِ قَوْمٌ ظَلَّ يَرْصُدُ فِقْهَهُ * لِمَكِيدَةٍ أَوْ مُسْتَحَلِّ طَلَاقِ
 يَمْشِي وَقَدْ نُصِبَتْ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ * كَالْبُرْجِ لَكِنْ فَوْقَ تَلِّ نِفَاقِ

- (١) البابلية : النجر ، نسبة إلى بابل ، وهي ناحية بالعراق كان ينسب إليها النجر الجيد . والشرب :
 الشاربون . ويريد « بالسباق » : المسابقة في شرب النجر . (٢) أَلَذَّ : خبر « ما » في قوله السابق :
 « ما البابلية » . (٣) الخليفة : السجية والطبيعة . (٤) الإملاق : الفقر .
 (٥) تكتفه ، أى تحوطه وتحفظه . والشائيل : الأخلاق . والإخفاق : خيبة المسعى .
 (٦) الخلاق : النصب من الصلاح والخير . (٧) حبايل الصيد : الأشرار التي يمدّها الصائد
 للاصطياد ، الواحدة حباله . والوقيعة : غيبة الناس . والقطيعة ، هى قطع الصلات بين الناس بما تلقى
 بينهم من التمام (٨) يرصد فقهه ، أى يعدّه ويهيئه .

- (١) يَدْعُوهُ عِنْدَ الشَّقَايِ وَمَادَرَوْا * أَنْتَ الَّذِي يَدْعُونَ خِذْنِ شِقَايِ
وَطَيِّبِ قَوْمٍ قَدْ أَحَلَّ لَطِبُهُ * مَا لَا تُحِلُّ شَرِيعَةُ الْخَلْقِ
(٢) قَتَلَ الْأَجْنَةَ فِي الْبُطُونِ وَتَارَةً * جَمَعَ الدَّوَائِقَ مِنْ دَمٍ مُهْرَاقِ
أَعْلَى وَائْتَمَّنَ مِنْ تَجَارِبِ عَلَيْهِ * يَوْمَ الْفَخَارِ تَجَارِبِ الْخَلْقِ
(٣) وَمُهَنْدِسٍ لِلنَّيْلِ بَاتَ بِكُفِّهِ * مِفْتَاحُ رِزْقِ الْعَامِلِ الْمَطْرَاقِ
(٤) تَسَدَّى وَيَتَبَسُّ لِلْخَلَائِقِ كَفُّهُ * بِالْمَاءِ طَوَّعَ الْأَصْفَرَ الْبَرَّاقِ
(٥) لَا شَيْءَ يَلْوِي مِنْ هَوَاهُ فَخْدَهُ * فِي السَّلْبِ حَدُّ الْخَائِنِ السَّرَّاقِ
وَأَدِيبِ قَوْمٍ تَسْتَحِقُّ يَمِينُهُ * قَطَعَ الْأَنَامِلَ أَوْ لَقَى الْإِحْرَاقِ
يَلْهُو وَيَلْعَبُ بِالْمَقُولِ بَيَانُهُ * فَكَأَنَّهُ فِي السَّحْرِ رُقِيَّةٌ رَاقِ
(٦) فِي كَفِّهِ قَلَمٌ يَمْجُجُ لَعَابُهُ * سَمًّا وَيَنْفِثُهُ عَلَى الْأَوْرَاقِ
(٧) يَرِدُّ الْحَقَائِقَ وَهِيَ بِضِئْ نُصَعٍ * قُدْسِيَّةٌ عُلْوِيَّةٌ الْإِشْرَاقِ
(٨) فَيَرُدُّهَا سُودًا عَلَى جَنَابِهَا * مِنْ ظُلُمَةِ التَّمْوِيدِ أَلْفَ نِطَاقِ

- (١) الخلدن : صاحب الصديق . والشقاق : الخلاف . ويريد هنا الخلاف بين الزوجين .
(٢) المهرق : المنصب . المطراق : الذي يكثر طرق أبواب الرزق . (٤) تسدى : تجل .
والمراد فيضان يده بالماء . والأصفر البراق : الذهب ، ويريد الرشوة . (٥) يلوى من هواه
أى يشبه ويصرفه عما يريد . وحده في اللب ، أى جزأه على الرشوة . وحده السارق : قطع اليد .
(٦) مج العباب من فقه : دى به . والعباب : الرقيق ، شبه المداد به . وينفثه : يخرجها .
(٧) النصح : الشديدة البياض . ويريد بقوله : «علوية الإشراق» : أن نورها من السماء .
(٨) يريد بهذا البيت والذى قبله أن هذا الكتاب يرى الحقائق ظاهرة جليلة فيزورها بقلبه على القراء
ويحوطها بالكاذيب وأخيلة الشر حتى يردّها مظلمة سوداء لا يظهر فيها الحق .

عَرَيْتَ عَنِ الْحَقِّ الْمُطَهَّرِ نَفْسَهُ * فَيَا تُهْ نَقِلْ عَلَى الْأَعْنَاقِ
 لو كَانَ ذَا خُلُقٍ لَأَسْعَدَ قَوْمَهُ * بَيَانِهِ وَيَرَاعِيهِ السَّبَاقِ
 (١)
 مَنْ لِي بِتَرْيِيَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا * فِي الشَّرْقِ عِلَّةٌ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ
 (٢)
 الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَّتْهَا * أَعَدَّتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ
 (٣)
 الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَمَّدَهُ الْحَيَا * بِالرِّىِّ أَوْرَقَ أَيْمًا إِيرَاقِ
 (٤)
 الْأُمُّ أَسْنَادُ الْأَمَانَةِ الْأَلَى * شَغَلَتْ مَأْتِرُهُمْ مَدَى الْآفَاقِ
 (٥)
 أَنَا لَا أَقُولُ دَعْوَا النِّسَاءِ سَوَافِرًا * بَيْنَ الرِّجَالِ يُجَلْنَ فِي الْأَسْوَاقِ
 (٦)
 يَلْرَجْنَ حَيْثُ أَرَدْنَ لَا مِنْ وَازِعٍ * يَمْحَذْنَ رِقَبَتَهُ وَلَا مِنْ وَاقِي
 (٧)
 يَقَعْلَنَ أَفْعَالُ الرِّجَالِ لَوَاهِيَا * عَنْ وَاجِبَاتِ نَوَاعِيسِ الْأَحْدَاقِ
 (٨)
 فِي دُورِهِنَّ شُؤُونُهُنَّ كَثِيرَةٌ * كَشُؤُونِ رَبِّ السَّيْفِ وَالْمِزْرَاقِ
 (٩)
 كَلَّا وَلَا أَدْعُوكُمْ أَنْ تُسْرِفُوا * فِي الْحَجَبِ وَالتَّضْيِيقِ وَالْإِرْهَاقِ
 لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ حُلَى وَجَوَاهِرًا * خَوْفَ الضِّيَاعِ تُصَانُ فِي الْأَحْقَاقِ

- (١) الإخفاق : عدم الظفر بالمطلوب . (٢) الأعراق : الأصول، الواحد عرق .
 (٣) الحيا : المطر . (٤) «شغلت» اطلع، أى ملأت أعمالهم الباقية انحاء الدنيا .
 (٥) السوافر : المكشفات الوجوه .
 (٦) يدرجن : يمشين . والوازع : الزاجر . والرقبة المراقبة .
 (٧) نواعيس الأحداق : فائزات الأجفان؛ يريد انصرافهن عن الواجبات التى خص بها جنسهن .
 (٨) المزراق : الرمح؛ يريد أن شأن المرأة فى بيتها لا يقل عن شأن الفارس فى الحرب .
 (٩) الإرهاق : الظلم .

- (١) لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ أُنثًا يُقْتَنَى * فِي الدَّوْرِ بَيْنَ نَخَادِعٍ وَطِبَاقٍ
 (٢) تَشْكُلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا * دَوْلًا وَهَنَ عَلَى الْجُمُودِ بَوَاقٍ
 (٣) فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا * فَالْشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ
 (٤) رَبُّوا النَّبَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّمَا * فِي الْمَوْقِفَيْنِ لَهْنٌ خَيْرٌ وَثَاقٍ
 وَطَيْكُمُ أَنْ تَسْتَبِينَ بَنَاتُكُمْ * نُورَ الْمُهْدَى وَعَلَى الْحَيَاءِ الْبَاقِ

ملجأ رعاية الأطفال

أنشدنا في حفل أقامه جماعة رعاية الأطفال بالأوبرا ، وقد أسرتها بوصف القطار

[نشرت في أول فبراير سنة ١٩١١ م]

- (٥) صَفْحَةُ الْبَرْقِ أَوْمَضَتْ فِي النَّعَامِ * أُمُّ شِهَابٍ يَشْقَى جَوْفَ الظَّلَامِ
 (٦) أُمُّ سَلِيلِ الْبُخَارِ طَارَ إِلَى الْقَصْدِ * يَدِ فَاعِيَا مَسَاقِي الْأَوْهَامِ
 (٧) مَرَّ كَاللَّحْجِ لَمْ تَكْذَبْ قَهْفَ الْعَيْدِ * بِنُ عَلَى ظِلِّ جَرِيمِهِ الْمُتَرَايِ
 (٨) أَوْ كَشَرِخِ الشَّبَابِ لَمْ يَدْرِ كَامِيدِ * يَهْ تَوَلَّى فِي يَفْظَةٍ أَوْ مَنَامِ
- (١) المخادع : الغرف ، الواحد مخدع (يكسر الميم وضمتها ، مع فتح الدال وسكون ما بينهما) .
 (٢) يريد أن الزمن يتغير بأهله وهن باقيات على حال واحدة . (٣) يريد « بالحالتين » :
 التضييق على النساء والتوسيع عليهن . (٤) يريد « بالموقفين » : تقيد النساء في خدورهن وإطلاق
 السراح لهن . والوثاق : القيد الذي يوثق به من حبل أو نحوه . (٥) صفحة كل شيء :
 وجهه وجانبه . وأومض البرق : لمع خفيفا . (٦) يريد « بسليل البخار » : القطار .
 (٧) المتراي : المتبد . (٨) شرخ الشباب : أوله وريانه ، شبه به القطار في سرعة زواله .
 وكاسيه ، أي لابسها والمتنع به .

(١) لا يُبَالِي السَّرَى إِذَا اعْتَكَرَ اللَّيْلُ * لَمْ وَخَّاتْ مَوَاقِعُ الْأَقْدَامِ
 (٢) يَقْطَعُ الْيَدَ وَالْقِيَا فِي وَجِيدَا * لَمْ تُضَعِّضْهُ وَخْشَةُ الْإِظْلَامِ
 (٣) لَيْسَ يَنْتَبِهُ مَا يُذِيبُ دِمَاعَ الْخُبِّ يَوْمَ الْحَجِيرَيْنِ الْمَوَايِ
 (٤) لَا وَلَا يَقْتَرِبُهُ مَا يُخْرِسُ النَّاسَ * يَجَّ فِي الزَّمْهَرِيرِ بَيْنَ أَنْطَامِ
 (٥) هَائِمٌ كَالظَّلِيمِ أَرْجَعَهُ الصَّبَا * دُورَاتِهِ طَائِشَاتُ السَّهَامِ
 (٦) فَهَوَّيْتُ فِي النَّجَاءِ وَيَهْوَى * حَيْثُ تُرْمَى بِجَانِبَيْهِ أَلْمَرَايِ
 (٧) يَاحْدِيدًا يَنْسَابُ فَوْقَ حَدِيدٍ * كَأَنِّيَابِ الرُّقَطَاءِ فَوْقَ الرِّغَامِ
 (٨) قَدْ مَسَحَتْ الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا * بِذِرَاعِي مُشْمِرٍ مِقْدَامِ
 (٩) بَيْنَ جَنْبَيْكَ مَا يَحْنَبِي لَكِنْ * مَا يَحْنَبِي مُسْتَدِيمُ الضُّرَامِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الضُّرَامَ وَإِنْ كَذَبْتُ * تَرَيْنَا زَيْفَ أَهْلِ الضُّرَامِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْحَيْنَ إِلَى الْإِلَهِ * يَفِ فَمَا هَذِهِ الدُّمُوعُ الْمَوَايِ

- (١) السرى : السير بالليل . واعتكر الليل : اخطط ظلامه . (٢) اليد : القلوات ، الواحدة يدها . والقيا في : المغازات لا ماء فيها . (٣) ما يذيب دماغ الضب : كناية عن شدة القبط . والحجير : شدة الحر . والمواي : المغازات لا ماء فيها ولا أنيس ، الواحدة موماة . (٤) الناجح : الكلب . يقول : إنه لا يصيبه ولا يذرفه طول السير ولا شدة البرد اللذان يخربسان الكلب الناجح ويسكنانه . (٥) الظليم : ذكر النعام ، وهو معروف بسرعة العدو . وراعه : أفرعه . (٦) النجاء : الإسراع . ويهوى ، أى يشتد في سرعته كأنه يندحر . وقوله : « حيث ترمى بجانبه المرامي » : كناية عن السرعة في اختراق القلوات والمضى في قطع القيا في البعيدة . (٧) الرقطاء : الحية المظقة . والزمام : الراب . (٨) يشير بهذا البيت إلى نار القاطرة ونار رشوة . والضرام : الاشتعال . (٩) همى الدمع يهيم (من باب ضرب) : سال .

(١) أَنْتَ قَاسِيُ الْفَوَادِ جَلْدٌ عَلَى الْآيَةِ * بَيْنَ شَدِيدِ الْقَوَى شَدِيدُ الْعُرَامِ
 (٢) لَا تُبَالِي أَرْعَتَ بِالْيَيْنِ أَحْبَا * بَا وَأَسْرَفْتَ فِي آذَى الْمُسْتَهَامِ
 (٣) أَمْ جَمَعْتَ الْأَعْدَاءَ فَوْقَ صَعِيدٍ * وَخَلَطْتَ الْأَسُودَ بِالْأَرَامِ
 إِنِّي قَدْ شَهِدْتُ فَبِكَ عَجِيْبًا * ضَاقَ عَنْ وَصْفِهِ نِطَاقُ الْكَلَامِ
 بُرِزَتْ يَوْمَانَا وَتَمَحَّنْ عَلَى الْجَسَدِ * بِرِقِيَامٍ وَاللَّيْلُ لَيْلُ التَّمَامِ
 (٤) وَإِذَا رَاكَ إِلَى الْجَسْرِ يَسْوَى * بَيْنَ صَفْقَيْنِ مِنْ تَمَاتِ زُؤَامِ
 (٥) مَرَّ كَالسُّهْمِ بَيْنَ تِلْكَ الْحَنَائِيَا * قَدْ رَمَاهُ مِنَ الْمَقَادِيرِ رَايِ
 (٦) فَتَرَدَّى فِي الْمَاءِ وَالْمَاءُ غَمْرٌ * يَتَّقِيهِ الْقَضَاءُ وَالنَّهْرُ طَايِ
 (٧) وَإِذَا سَابَحَ قَدْ انْقَضَ فِي الْمَا * إِاتِقِضَاصَ الْعُقَابِ فَوْقَ الْحَمَامِ
 (٨) غَاصَ فِي بِلْحَةِ الْحُتُوفِ بَعْزِمٍ * لَمْ يُعْصِدْ مَوَاقِفَ الْإِنْجَامِ
 (٩) غَابَ فِيهَا وَطَدَ يَتَحَلُّ جَمْعًا * سَلَّهُ مِنْ يَدِ الْهَلَاكِ الزَّامِ
 (١٠) كَافَحَ الْمَوْجَ، صَارَعَ الْهَوَلَ، أَبْلَى * كِبَلَاءِ الْمُهْنَدِ الصَّنْصَامِ

(١) الجلد: الصبور. والأين: التعب. والعرام: الشراسة والقسوة. (٢) راعه يروعه: أفرعه.

(٣) الآرام: القباء، الواحد رَم؛ وأمله للظلي الجالض الياس. (٤) الزؤام من الموت:

الكريه. ويريد «بالصفين»: الموت على الجسر بالقطار، والموت بالفرق في النهر. (٥) الحنايا:

القصي، واحدها حنية. ولما شبه الهوى بالمهم، شبه قضبان الجسر في انحناها بالقصي.

(٦) الماء الغمر: الكثير. وطا الماء: ارتفع وملا النهر. (٧) العقاب: طائر من الجوارح

معروف. (٨) الحتوف: المهالك. وبلتها، أي حيث تشد. (٩) سلّه: أفرعه.

والزّام: الملازم. (١٠) المهند: السيف. والصنصام: الذي لا يثني.

(١) وَأَنْتَنِي رَاجِعًا إِلَى شَاطِئِ النَّهْدِ * بِرُجُوعِ الْكَيِّ غِبَّ أَغْتَنَامِ
 وَقَفَّ النَّاسُ ذَاهِلِينَ وَصَاحُوا * تِلْكَ إِحْدَى عَجَائِبِ الْأَيَّامِ
 أَنْجَاءَ مِنَ الْقِطَارِ، مِنَ الْحَسَدِ * بِرِ، مِنَ النَّهْرِ، جَلَّ رَبُّ الْأَنَامِ
 وَإِذَا صَبِيحَةٌ عَلَتْ مِنْ فِتَاةٍ * بَرَزَتْ مِنْ صُفُوفِ ذَاكَ الرَّحَامِ
 وَقَفَّتْ مَوْقِفَ الْخَطِيبِ وَنَادَتْ * تِلْكَ عُقْبَى رِعَايَةِ الْأَيَّامِ
 (٢) بَسَطَتْ تَحْتَهُ أَكْفًا تَلَقَّتْ * هُ حَاطَتُهُ رَغَمَ أَنْفِ الْحِمَامِ
 (٣) دَعْوَةُ الْبَائِسِ الْمَعْدِبِ سُورٌ * يَدْفَعُ الشَّرَّ عَنْ حِيَاضِ الْكِرَامِ
 وَهِيَ حَرْبٌ عَلَى الْبَخِيلِ وَذِي الْبَدَا * بِسَيْفٍ عَلَى رِقَابِ اللَّثَامِ
 إِنَّ هَذَا الْكَرِيمَ قَدْ صَانَ عِرْضِي * وَحَمَانِي مِنْ عَادِيَاتِ السَّقَامِ
 (٤) عَالَ طِفْلِي وَعَالَنِي وَحَبَانِي * بِكِسَاءٍ وَبَذَرَةٍ وَطَعَامِ
 وَهُوَ مِنْ مَعَشِيرِ أَغَاثِ ذَوِي الْبُؤْسِ * مِمَّنْ وَقَامُوا فِي اللَّهِ خَيْرَ الْقِيَامِ
 (٥) وَأَقَامُوا لِلْبِرِّ دَارًا فَكَانَتْ * خَيْرَ وَرْدٍ يَوْمُهُ كُلُّ ظَامِي
 مُلِئْتُ رَحْمَةً وَفَاضَتْ حَنَانًا * فِيهِ لِلْبَائِسَاتِ دَارُ السَّلَامِ
 زُرْتُهَا وَالشَّقَاءُ يُجِيرِي وَرَأَى * وَشُعَاعُ الرَّجَاءِ يَسْرِى أَمَامِي
 لَمْ يَقُولُوا : مِنَ الْفِتَاةِ ؟ وَلَكِنْ * سَأَلُونِي هُنَاكَ عَنِ الْآلَمِي

(١) الكي : الشجاع . وغب : عقب .

(٢) الحمام : الموت .

(٣) يريد «بحياض الكرام» : حمام .

(٤) عاله : كفاه معيشته . وجباه بكذا :

أعطاه . ويريد «بالبدرة» هنا : جملة من المال .

(٥) ظامي : ظامى .

ثُمَّ أَهَوَتْ إِلَى الْغَرِيقِ تُوَاسِي * هِ بِأَحْلَى مِنْ مُنْعِشَاتِ الْمُدَامِ
 قَبْلَتْ رَاحَتَهُ شُكْرًا وَصَاحَتْ * قَدْ نَجَا صَاحِبُ الْأَيْدِي الْعِظَامِ^(١)
 قَدْ نَجَا الْمُتَنِيمُ الْجَوَادُ مِنَ الْمَوْتِ * تِ بِقَضَلِ الزُّكَاةِ وَالْإِنْعَامِ
 فَأَطَقْنَا بِهَا وَقَدْ مَلَأَ الْأَذْ * نَفْسَ مِنَّا جَلَالُ ذَاكَ الْمَقَامِ
 وَشَهِدْنَا تَغَرَّ الْوَفَاءِ تَجَلَّى * إِذْ تَجَلَّى فِي تَغْرِهَا الْبَسَامِ
 وَرَأَيْنَا شَخْصَ الْمُرُوءَةِ وَالْبِرِّ * تَبَدَّى فِي شَخْصِ ذَاكَ الْأَهَامِ
 وَعَلِمْنَا أَنَّ الزُّكَاةَ سَبِيلُ * لَدِّ هِ قَبْلَ الصَّلَاةِ قَبْلَ الصَّيَامِ
 خَصَّهَا اللَّهُ فِي الْكِتَابِ بِذِكْرِ * فَهِيَ رُكْنُ الْأَرْكَانِ فِي الْإِسْلَامِ^(٢)
 بَدَأَتْ مَبْدَأَ الْيَقِينِ وَظَلَّتْ * لِحَايَةِ الشُّعُوبِ خَيْرِ قِوَامِ^(٣)
 لَوْ وَفَى بِالزُّكَاةِ مَنْ جَمَعَ الدُّنَى * يَا وَأَهْوَى عَلَى اقْتِنَاءِ الْحُطَامِ
 مَا شَكَ الْجُوعُ مُعْدِمٌ أَوْ تَصَدَّى * لِرُكُوبِ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ^(٤)
 رَاكِبًا رَأْسَهُ طَرِيدًا يَتَرِيدًا * لَا يُبَالِي بِشُرْعَةٍ أَوْ ذِمَامِ^(٥)
 سَائِلًا عَنْ وَصِيَّةِ اللَّهِ فِيهِ * آخِذًا قُوَّتَهُ بِحَدِّ الْحُسَامِ
 لَمْ أَقِفْ مَوْفِقِي لِأُثِّدَ شِعْرًا * صُبَّ فِي قَالِبٍ يَدِيْعِ النَّظَامِ

(١) الأيادي : النعم . (٢) القوام (بالكسر) : نظام الأمر وعماده التي يقوم عليه .

(٣) حطام الدنيا : المال قل أركثر . (٤) ركب رأسه : مضى الى ما يريد من الشر

لم يفته شيء . . والشرعة : الشريعة . والذمام : الحق والحرمه ، لأن حقن ذلك يوجب الدم .

(٥) وصية الله : ما أمر الله به للباس الفقير من بر ورحمة .

(١) إِنَّمَا قُتُّ فِيهِ وَالنَّفْسُ تُشَوِّى * مِنْ كُؤُوسِ الْهُمُومِ وَالْقَلْبُ دَائِي
(٢) ذُقْتُ طَعْمَ الْأَسَى وَكَابَدْتُ عَيْشًا * دُونَ شُرْبِي قَذَاهُ شَرِبُ الْجَمَامِ
(٣) فَتَقَلَّبْتُ فِي الشَّقَاءِ زَمَانًا * وَتَنَقَّلْتُ فِي الْخُطُوبِ الْجَسَامِ
(٤) وَمَشَى الْمَهْمُ نَاقِبًا فِي فُؤَادِي * وَمَشَى الْحُزْنُ نَاحِرًا فِي عِظَامِي
فَلِهَذَا وَقَفْتُ أَسْتَعِظُ النَّاسَ * عَلَى الْبَائِسِينَ فِي كُلِّ عَامٍ

الى الخديوى عباس^(٥)

قالها عند عودة سموه من دار الخلافة وقد عرض فيها لما كان
في مصر من الخلاف بين المسلمين والأقباط في سنة ١٩١١ م

كَمْ تَحْتَ أَذْيَالِ الظُّلَامِ مُتِّمٌ * دَائِي الْفُؤَادِ وَلَيْلُهُ لَا يَعْلَمُ
مَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ أَوَّلُ عَاشِقٍ * رَامِيهِ لَا يَحْنُو وَلَا يَتَرَحَّمُ
أَهْرَمَتْنِي يَا لَيْلُ فِي شَرِّحِ الصَّبَا * كَمْ فِيكَ سَاعَاتٍ تُشِيبُ وَتُهْرِمُ
لَا أَنْتَ تَقْصُرُنِي وَلَا أَنَا مُقْصِرٌ * أَتَعَبَتْنِي وَتَعَبْتَ، هَلْ مِنْ يَحْكُمُ
لِلَّهِ مَوْقِفُنَا وَقَدْ نَاجَيْتُهَا * بِعَظِيمِ مَا يُخْجِي الْقُبُورُادُ وَيَكْنُحُ

- (١) نشوى : سكرى . (٢) القذى : ما يقع في الشراب من ريج . والحام بالكسر : الموت . ويريد بقوله : « دون شربي » أى أن الموت أهون تجزعا على من يخرج هذا العيش المر .
(٣) الجسام : العظام ، الواحد جسيم . (٤) يقال : نخر العظم ، إذا بلى وتفتت .
(٥) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة في الاجتماعيات مع ما تضمنته من مدح الخديوى عباس ، لأن غرضها الأول مسألة اجتماعية ، وهي الفتنة بين مسلمي مصر وأقباطها إذ ذاك . (٦) شرح الصبا : أزله وريمانه . (٧) أقصر : كف وأمسك .

(١) قالت : مَنْ الشَّاكِي؟ تُسَائِلُ سَرِيهَا * عَنِّي، وَمَنْ هَذَا الَّذِي يَتَّظِلُّ؟
 فَأَجَبْتَهَا وَعَجِبْنِ كَيْفَ تَجَاهَلْتِ : * هُوَ ذَلِكَ الْمُتَوَجِّعُ الْمُتَأَلِّمُ
 (٢) أَنَا مَنْ عَرَفْتِ وَمَنْ جَهِلْتِ وَمَنْ لَهُ * لَوْلَا عُيُونُكَ - حُجَّةٌ لَا تُفْجَمُ
 (٣) أَسَلَمْتُ نَفْسِي لِلْهَوَى وَأَظَنُّهَا * يَمَّا يَجْشُمُهَا الْهَوَى لَا تَسْلَمُ
 (٤) وَأَتَيْتُ يَحْدُو بِي الرَّجَاءُ وَمَنْ أَتَى * مُتَحَرِّمًا بِفَنَائِكُمْ لَا يُحْرَمُ
 (٥) أَشْكُو لَذَاتِ الْخِلَالِ مَا صَنَعْتَ بِنَا : تِلْكَ الْعُيُونُ وَمَا جَنَاهُ الْمَعْصَمُ
 لَا السَّهْمُ يَرْفُقُ بِالْجَرِيحِ وَلَا الْهَوَى : يَبْقَى عَلَيْهِ وَلَا الصَّبَابَةُ تَرْحَمُ
 (٦) لَوْ تَنْظُرِينَ إِلَيْهِ فِي جَوْفِ الدُّجَى * مُتَمَلِّلاً مِنْ هَوْلٍ مَا يَجْشُمُ
 (٧) يَمِشِي إِلَى كَنَفِ الْفِرَاشِ مُحَاذِرًا * وَجِلًّا يُؤَخِّرُ رِجْلَهُ وَيُقَدِّمُ
 يَرْمِي الْفِرَاشَ بِنَاطِرِهِ وَيَتَنَبَّى * جَزْعًا وَيُقَدِّمُ بَعْدَ ذَلِكَ وَيُجِجُ
 (٨) فَكَأَنَّهُ - وَالْيَأْسُ يُنْشِفُ نَفْسَهُ - : لِلْقَتْلِ فَوْقَ فِرَاشِهِ يَتَقَدَّمُ
 (٩) رُشِقَتْ بِهِ فِي كُلِّ جَنْبٍ مُدِيَّةٌ . وَأَنَسَابَ فِيهِ بِكُلِّ رُكْنٍ أَرْقَمُ

- (١) السرب (بالكسر) : الجماعة ، أى صواحبا . (٢) لا تفجم : لا تغلب .
 (٣) جشمه : كلفه . (٤) يحدو بى : يدفعنى ويسوقنى . ومتحرماً : محتباً مستأناً .
 (٥) الخلال : الشامة فى البدن ، وهو غالب على شامة الخلد ، واجمع خيلان .
 (٦) ما يجشم : ما يقاسى . (٧) الكنف (محركة) : الجانب وأناحية .
 (٨) ينشف نفسه ، أى يهلكها . و(القتل) : متعلق بقوله : « يتقدم » . (٩) الصم
 فى « به » و « فيه » يعود على الفراش . وفى الشطر الأول من هذا البيت قلب ، إذ المسوع أن الباء تدخل
 على المرشوق به ، وهو المادية ونحوها ، لا على المرشوق ؛ يقال : رشقته بالسهم ، لا رشقت به السهم .
 وانساب ، أى جرت وتدافعت فى مشيا . والأرقم : أخبث الحيات وأطلبها لا ذى .

فكَانَهُ فِي مَوَلِهِ وَسَعِيرِهِ * وَإِدْقَدَ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ جَهَنَّمَ^(١)
 هَذَا وَجَبَّكَ بَعْضُ مَا كَابَدْتُهُ * مِنْ نَاطِرَيْكَ، وَمَا كَتَمْتُكَ أَعْظَمُ
 قَالُوا: أَهَذَا أَنْتَ! وَيَحْكُ فَاتْنِدُ * حَتَامٌ تُخَيِّدُ فِي الْغَرَامِ وَتُثَبِّمُ^(٢)
 كَمْ نَفْسَةٍ لَكَ تَسْتَثِيرُ بِهَا الْهَوَى * (هَارُوتُ) فِي أَثْنَائِهَا يَتَكَلَّمُ^(٣)
 إِنَّا تَمِيعْنَا عَنْكَ مَا قَدْ رَأَيْنَا * وَأَطَالَ فِيكَ وَفِي هَوَاكَ اللُّؤْمُ
 فَأَذْهَبَ بِسِحْرِكَ قَدَ عَمَرُكَ وَأَقْتَصِدْ * فِيمَا تُزَيِّنُ لِلْحِسَانِ وَتُوهِمُ
 أَصْنَعْتَ إِلَى قَوْلِ الْوَشَاةِ فَاسْرَفْتَ * فِي هَجْرِهَا وَجَنَّتْ عَلَى وَاجِرْمُوا
 حَتَّى إِذَا يَلَسَ الطَّيِّبُ وَجَاءَهَا * أَتَى تَلَفْتُ تَتَدَمَّتْ وَتَتَدَمُّوا
 وَأَنْتَ تَعُودُ مَرِيضَهَا لَا بَلْ أَنْتَ * مِثْنَى تُسَيِّعُ رَاحِلًا لَوْ تَعْلَمُ
 أَقْسَمْتُ (بِالْعَبَاسِ)، إِنِّي صَادِقٌ * فُرِيهِمْ يُجَلِّلُهُ أَنْ يُقْسَمُوا^(٤)
 مَلِكٌ عَدَوْتُ عَلَى الزَّمَانِ بِمَوَلِهِ * وَغَدَوْتُ فِي آلَانِهِ أَتَنَمُّ^(٥)
 النَّجْمُ مِنْ حُرَايِهِ، وَالْدَّهْرُ مِنْ * خُدَامِيهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمُنْعِمُ
 هَلَلْتُ حِينَ رَأَيْتُ رَبَّكَ سَالِمًا * وَرَأَيْتُ (عَبَّاسًا) بِهِ يَتَبَسَّمُ

(١) اطلعت : طلعت وظهرت . انتد : تمهل . وانجد : أتى نجداً ، وهو المرتفع
 من الأرض . وأثيم : أتى تهنه ، وهي المنخفض منها . والإنجاد والإثام في الغرام : تكلية عن الذهاب
 فيه كل مذهب . (٢) حَتَامٌ تَفْتُ السَّاحِرِ ، هُوَ أَنْ يَمْقَدَ عَقْدَةً ثُمَّ يَفْتَحُ فِيهَا . وَهَارُوتُ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ
 فِي السَّحَرِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ . (٤) مَرِيهِمْ ، أَيْ مَرَى الْوَشَاةَ بِالْقَسَمِ عَلَى صِدْقِهِمْ
 فَيَا وَشَوَا بِهِ . (٥) الْحَوْلُ : الْقُوَّةُ . وَالْآلَاءُ : النِّعَمُ .

(١) وَحَدَّثُ رَبِّي حِينَ حَلَّ عَرِيَّتَهُ * مُتَجَدِّدَ الْعَزَمَاتِ ذَاكَ الْقَبِيحُ
 خَفَقَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ وَأَشْفَقَتْ * دَارُ الْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ الْأَعْظَمُ
 (٢) وَدَعَا لَكَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ فَأَمَنْتَ * بَطْلَاءُ مَكَّةَ وَالْحِطِيمُ وَزَمَزَمُ
 (٣) وَدَوَى بِمَصْرٍ لَكَ الدُّعَاءُ فَنِيلُهَا * وَسُهُولُهَا وَفَيْصِيحُهَا وَالْأَنْعَامُ
 (٤) وَمَشَى الصَّغِيرُ إِلَى الْكَبِيرِ مُسَائِلًا * يَنْسَقُطُ الْأَخْبَارُ أَوْ يَنْتَسِمُ
 (٥) حَتَّى اطْمَأَنَّتْ بِالشِّفَاءِ نُفُوسُهُمْ * وَطَلَعَتْ بِالسَّعْدِ الْعِمِيمِ عَلَيَّيْهُمُ
 (٦) مَوْلَايَ أُمْتُكَ الْوَدِيعَةُ أَصْبَحَتْ * وَعُرَا الْمَوَدَّةِ بَيْنَهَا تَتَفَعَّمُ
 (٧) نَادَى بِهَا الْقَبِيلُ مِلَّةَ لَهَاةٍ * أَنْ لَا مَلَامَ وَضَاقَ فِيهَا الْمُسْلِمُ
 وَهَمُّ أَظَارَ عَلَى النَّهْيِ وَأَضَلَّهَا * بَحْرَى الْقَبْرِ وَأَقْصَرَ الْمُتَمَلِّمُ
 فَهَمُّوا مِنَ الْأَذْيَانِ مَا لَا يَرْتَضِي * دِينَ وَلَا يَرْضَى بِهِ مَنْ يَفْهَمُ
 مَاذَا دَعَا قَبِيلُ مِصْرَ فَعَصَدَهُ * عَنْ وَدِّ مُسْلِمِيهَا وَمَاذَا يَنْقِمُ؟
 وَعَلَامَ يَحْتَشَى الْمُسْلِمِينَ وَكَيْدَهُمْ * وَالْمُسْلِمُونَ عَنِ الْمَكَايِدِ نُورُ

- (١) الضيف : الأسد . وعريته : ماراه . (٢) بطلاء مكة : سيل واديها .
 والحطيم ، هو ما بين الزنك وزمزم والمقام . (٣) المعروف (دوى) بالتشديد . يقول :
 إن نيل مصر وسهولها الخ تدعوك ؛ فغير قوله : « فَنِيلُهَا » الخ ، مخلوف العلم به .
 (٤) تلم الخبر : تطف في التماسه .
 (٥) عرا المودة : رواجلها . وتتفعم : تنقطع . (٦) مله لهاة ، أى مله حنجرته .
 والآلهة : الهمة المشرقة على الخلق في أقصى الفهم . (٧) « بحرئى النبى » الخ ، أى سعى الأغنياء وقصار
 النظر فى إشمال الفتنة بين المسلمين والأقباط ، وكف المتعلمون وأقصرورا عن إخمادها وتلافى أسبابها .

قَدْ صَمَّمْنَا أَلَمَ الْحَيَاةِ وَكُنَّا * يَسْكُو، فَتَحْنُ عَلَى السَّوَاءِ وَأَنْتُمْ
 إِنِّي ضَمِينُ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعُهُمْ * أَنْ يُخْلَصُوا لَكُمْ إِذَا أَخْلَصْتُمْ^(١)
 رَبُّ الْأَرْبَكَةِ، إِنَّا فِي حَاجَةٍ * لِمَجِيلِ رَأْيِكَ وَالْحَوَادِثِ حُومِ^(٢)
 فَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ سَمَائِكَ حِكْمَةً * تَأْسُو الْقُلُوبَ فَإِنَّ رَأْيَكَ أَحْكَمُ^(٣)
 وَاجْمَعْ شَتَاتَ الْعُنُصَرِينَ بِعَزْمَةٍ * تَأْتِي عَلَى هَذَا الْخِلَافِ وَتَحْسِمُ
 فِكْلَاهُمَا لِعَزِيزِ عَرْشِكَ مُخْلِصٌ * وَكِلَاهُمَا بِرِضَاكَ صَبٌّ مُغْرَمٌ

محاورة بين حافظ و خليل مطران

في حفل أقامته جمعية رعاية الطفل بالأوبرا

[نشرت في ٣١ مارس سنة ١٩١٣م]

حافظ :

هَذَا صَبِيٌّ هَائِمٌ * تَحْتَ الظَّلَامِ هُبَامَ حَائِرٍ
 آيَلُ الشَّقَاءِ جَدِيدِهِ * وَتَقَلَّمْتُ مِنْهُ الْأَطَافِرُ^(٤)
 فَأَنْظُرُ إِلَى أَسْمَالِهِ * لَمْ يَتَّقَ مِنْهَا مَا يُظَاهَرُ^(٥)

- (١) الضنين : الكفيل . (٢) الأربكة : سرير الملك . والحوادث حقوم ، أى تطوف بنا وتحقق حوالبنا ، وأصله من تحويم الطائر حول الماء ، أى دورانه به . (٣) تأسو : تشى وتدأى . (٤) تقلم الأظافر : تناية عن أنه أعزل من أسلحة الجهاد فى الحياة . (٥) الأسمال : النياب البالية الخلقه ؟ ويقال : « ظاهر الرجل بين عورين » ، إذا طابق بينهما ولا دم . يريد أن التوب الذى يلبسه هذا البائس قد صار طبقة واحدة وبقية لا تدفع عنه ما يؤذيه من ألم الحر والبرد .

- (١) مُوَلَا يُرِيدُ فِرَاقَهَا * خَوْفَ الْقَوَارِينِ وَالْمَوَاجِرِ
 (٢) لَكِنَّمَا قَدْ فَارَقَتْ * لَهُ فِرَاقٌ مَعْدُورٌ وَعَازِرٌ
 (٣) إِنِّي أَعُدُّ ضُلُوعَهُ * مِنْ تَحْنِهَا وَاللَّيْلُ عَاكِرٌ
 أَبْصَرْتُ هَيْكَلَ عَظِيمِهِ * فَذَكَرْتُ سُكَّانَ الْمَقَابِرِ
 (٤) فَكَاثِمًا هُوَ مَيِّتٌ * أَحْيَاهُ (عِيسَى) بَعْدَ طَارِزٍ
 (٥) قَدْ كَانَ يَهْدِيهِ النَّسِيرُ * سَمٌ وَكَادَ تَذُرُّهُ الْأَعَاصِرُ
 وَتَرَاهُ مِنْ فَرْطِ الْمُرَا * لِ تَكَادُ تَنْقُبُهُ الْمَوَاطِرُ
 (٦) عَجَبًا أَتَقَرُّسُهُ الطَّوَى * فِي قَلْبٍ حَاضِرَةِ الْحَوَاضِرِ
 (٧) وَتَقُولُهُ الْبُؤْسَى وَطَرُ * فُ (رِعَايَةِ الْأَطْفَالِ) سَاهِرٌ!
 (٨) كَمْ مِثْلِهِ تَحْتَ الدُّجَى * أَسْوَانٌ بَادِي الضَّرِّ طَائِرٌ
 (٩) نَحْرِيانَ، يَخْرُجُ فِي الظَّلَا * مَخْرُوجَ خُفَافِشِ الْمَفَاوِرِ

(١) القواريس : شذائد البرد . والمواجير : شذائد الحر .

- (٢) يريد بقوله : « فراق معذور » الخ ، أنها قد تمزقت من القدم وطول المهلة ، فهي معذورة لفرافها إياه ، وهو ذابل عذرها . (٣) عاكر : مختلط الظلام . (٤) عازر : اسم رجل أحياه عيسى عليه السلام بعد الموت . شبه البائس بميت ظهرت فيه معجزة عيسى عليه السلام من إحياء الموتى بعد ما ظهرت في عازر . (٥) تذرؤه : تفرق أجزائه ، وتطير أشلاءه . والأعاصير : رياح ترتفع يتراب بين السماء والأرض وتستدير كأنها عمود ، الواحد إعصار . (٦) يقرسه : يقتله . والطوى : الجوع . ويريد « بمحاضرة الحواضر » : مصر . (٧) تنوله : تهلكه . (٨) الأسوان : الحزين . ويريد بقوله : « طائر » أنه شديد القزع والجزع مما يلاقى وما يرتفع من مصائب الزمن . (٩) شبه البائس في أنه لا يظهر إلا مستترا بظلمة الليل بالتلفاش الذي لا يصر بالتهار ، وإنما يصر ليلا .

مَتَلِّعًا جِلْبَابَهُ * مُتَرَقِّبًا مَعْرُوفَ عَائِشَ
(١)
يَقْدَى بِرُؤُوسِهِ فَلَا * تَلَوَّى عَلَيْهِ عَيْنُ نَاطِلٍ

ومنها :

قَمَدَتْ شُعُوبُ الشَّرْقِ عَنْ * كَسْبِ الْمَهِمِّدِ وَالْمَفَاحِرِ
(٢)
فَوَتَتْ فِي شَرْعِ النَّسَا * حُرِّمَنْ وَتَى لَا شَكَّ خَائِسِ
(٣)
تَمْتَحِي الشُّعُوبُ لَقَيْصِيدِهَا * قُدُمًا وَشَعْبُ النَّبْلِ آخِرِ
(٤)
كَمْ فِي الْيَكَاةِ مِنْ قَتَى * نَذِبٍ وَكَمْ فِي الشَّامِ قَادِرِ
(٥)
لَكُنْتُمْ لَمْ يُرْزَقُوا * رَأْيًا وَلَمْ يَرُدُّوا الْخَاطِرِ
(٦)
هَذَا يَطِيرُ مَعَ الْحَيَا * لِ وَذَاكَ يَرْجُلُ النَّوَادِرِ
(٧)
جَهَلُوا الْحَيَاةَ وَمَا الْحَيَا * هُ لَغَيْرِ مَكْدَاحِ مُغَامِرِ
(٨)
يَجْتَابُ أَجْوَازَ الْقَفَا * رِ وَيَمْتَلِئُ مَتْنُ الزَّوَاخِرِ
(٩)
لَا يَسْتَشِيرُ سِوَى الْعَزِيدِ * سَحَاةً فِي الْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرِ
(١٠)
يَسْرِي وَرَاءَ الْبَاقِيَا * تِ بِنَفْسِهِ رَمَى الْمُقَامِرِ

(١) يقول : إن هذا البار إذا مر بهذا المكين ساء ما يراه بأدبا عليه من يؤس وفاقه ، فيفض بصره عنه كأنما قد وقع في عيه القذى ، وهو ما يقع فيها من غمص أو رمص .

(٢) يريد « بالتأخر » : شدة التالاب في الحياة إلى أن يغير الناس بعضهم بعضا .

(٣) متى قدما ، أى متقدما . (٤) التذب من الرجال : الماضى الخفيف في طلب الحاجة والسريع إلى الفضائل . (٥) ارتجل التاددة ونحوها : قالها من غير ترتب . ويريد « بالنوادر » : تلك النكت التي ينظر بها الناس في المجالس . (٦) يجتاب : يقطع . وأجواز القفار : أوساطها الواحد جواز (فتح الجيم) . والزواجر : البحار . (٧) في الموارد والمصادر ، أى في الحل والترحال .

مَا هَدَّ عَزَمَ الْقَادِرِ * نَ بِمَصْرَآلَا قَوْلُ: (بَاكِزْ)
 كَمْ ذَا يُحِيلُ عَلَى عَدِ * وَغَدَّ مَصِيرَ الْيَوْمِ صَائِرُ
 خَوَاتِ الدِّيَارُ فَلَا أَخِيرَا * عَ وَلَا اقْتِصَادَ وَلَا ذَخَائِرُ^(١)
 دَعَ مَا يُحْشَمُهَا أَلْجُو * دُ وَمَا يَحْرِمُنَ الْجَرَائِرُ^(٢)
 فِي الْاِقْتِصَادِ حَيَاتُنَا * وَبَقَاؤُنَا رَغَمَ الْمُكَابِرِ^(٣)
 تَرْبُو بِهِ فِينَا الْمَصَا * نِعُ وَالْمَزَارِغُ وَالْمَتَاجِرُ^(٤)
 سَلْ (حِشْمَتَا) عَنْهُ فَهُ * لَذَا (حِشْمَتُ) فِي الْجَمْعِ حَاضِرُ^(٥)
 أَحْيَا الصَّنَاعَةَ وَالتَّجَا * رَةً مِثْلَنَا أَحْيَا الْقُصَايِرُ

مطران :

عَجَبًا تُعْرِقُنِي بِهِ * وَأَنَا بِهَيْمَتِهِ أَفْخِرُ!^(٦)
 لِي فِيهِ مَا لَكَ فِيهِ مِنْ * أَسِيلٍ عَلَى الْأَيَّامِ صَكَابِرُ^(٧)
 أَنَسَيْتَ (مُوجَزَ الْاِقْتِصَا * دِ) وَفَضْلَهُ أَمْ أَنْتَ ذَا كِرُ
 أَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْوَزِيدِ * رُبُّ ذَلِكَ التَّعْصِيرِ بِأَمْرِ^(٨)
 أَنَسَيْتَ مَا عَانَيْتَهُ * وَاللَّفْظُ مُسْتَعْيَنٌ وَنَافِرُ

(١) خوات الديار : غلت . (٢) يحشمها : يكلفها . والجرائر : الجنائيات ، الواحدة جريرة .

(٣) المكابر : الغالب والمائد . (٤) تربو : تزيد وتحمو . (٥) يريد المرحوم أحمد

حشمت باشا ناظر المعارف إذ ذاك . (٦) الكابر : الكبير . (٧) (موجز الاقتصاد) :

كتاب في الاقتصاد نقله عن الفرنسية الى العربية حافظ ومطران بأمر حشمت باشا وزير المعارف .

(٨) يريد ما عاناه في ترجمة هذا الكتاب السابق ذكره .

حافظ :

لَسْمُ أَنَسٍ مَا سَأَلَتْ بِهِ * مِنْ خَاطِرِي تِلْكَ الْمَقَاطِرِ

مطران :

لَمْ أَنَسْ إِذْ لَالَ الصَّكْلَا * مِ وَذِلَّتِي بَيْنَ الْحَايِرِ^(١)

حافظ :

لَمْ أَنَسْ تَحْتِي لِإِضْطِلَا * حِ دُونَهُ نَحْتُ الْحَايِرِ

مطران :

لَمْ أَنَسْ تَشْدِيبَ الْفُضُو * لِ مَقْرِضُ التَّقْصِيفِ دَائِرِ^(٢)دعوة إلى الإحسان^(٣)

[نشرت في سنة ١٩١٥ م]

أَجَادَ (مَطْرَانَ) كَعَادَاتِهِ * وَهَكَذَا يُؤَثَّرُ عَنْ (قُسِ)^(٤)فَإِنْ أَقْفَ مِنْ بَعْدِهِ مُنْشِدًا * فَلَتَمَّا مِنْ طَرْسِهِ طِطْرِي^(٥)

(١) يريد «بإدلال الكلام» : تكثيره واستعماله وقلة موارثه .

(٢) تشبيب الفضول ، أى تقطيع الزوائد من الكلام وتختيها ؛ وأمله من تشبيب الشجر ، وهو إلقاء ما عليه من الأغصان الزائدة . والتقصيف : التقويم والإصلاح .

(٣) دعا سليم أفندي مركيس صاحب (مجلة مركيس) إلى إقامة حفل يخصص ما يجمع منه لموتة أحمد أفندي أبي العدل وأسرة محمود حبيب ، وكان من أشهر المثليين المصريين ؛ ففقدت بالأزول الشيخوخة واعتلت الميتة الثاني . وفى سنة ١٢ أكتوبر سنة ١٩١٥ م أنشيت حفلة تمثيلية فى تياترو برناتيا لهذا الغرض ، كان للشعراء فيها مجال ؛ وقد أعد خليل بك مطران قصيدة فى هذا الغرض ، إلا أن المرض حال به وبين إنشادها ، فنزل ذلك عنه حافظ ، ومطلعها :

الضاحك اللاعب بالأمس * بات صريحا فاقد الأوس

(٤) يريد قس بن ساعدة الإيادى خطيب العرب فى الجاهلية ، ويضرب به المثل فى القصاحة واللمز .

(٥) من طرسه طرسى ، أى أن شعره مستمد منه . والطرس : الصجفة .

وإِن رَأَيْتُمْ فِي يَدَي زَهْرَةٍ * فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْقَرَسِ
 رَقَى (حَبِيبًا) وَرَقَى بَعْدَهُ * لِذَلِكَ الْمَوْفَى عَلَى الرَّسِ^(١)
 كَانَا إِذَا مَا ظَهَرَا مِنْبَرًا * حَلَا مِنْ السَّامِعِ فِي النَّفْسِ^(٢)
 فَأَصْبَحَا هَذَا طَوَاهُ الرَّدَى * وَذَلِكَ نَهَبٌ فِي يَدِ الْبُؤْسِ^(٣)
 لَوْلَا (سَلِيمٌ) لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ * وَلَمْ يَحْذَمَنْ جَادَ بِالْأَمْسِ^(٤)
 إِلَيْهِ مَا أَشْجَعَهُ إِنَّهُ * نُو مِرَّةٍ فِينَا وَذُو بَأْسِ^(٥)
 يَقُومُ فِي مَشْرُوعِهِ نَافِذًا * كَأَنَّهُ (عَنْتَرَةُ الْعَبْسِيِّ)
 تَلْقَاهُ فِي الْحَدِّ كَمَا تَبْتَنِي * وَتَارَةً تَلْقَاهُ فِي (الْهَلْسِ)
 (مَرْكَبُ) إِنْ رَاقَكَ مَا قُلْتَهُ * فِي مَعْرِضِ الْهَزْلِ فَقُلْ «مِرْمِي»
 أَقْسِمُ بِاللَّهِ وَالْآلِئِهِ * بِعَرِشِهِ بِاللُّوَجِ بِالْكَرْمِيِّ^(٦)
 بِالْخُلَيْسِ الْكُنْزِ فِي سَبِيحِهَا * بِالْبَذْرِ فِي مَرَأَةِ الشَّمْسِ^(٧)
 بَانَ هَذَا عَمَلٌ صَالِحٌ * قَامَ بِهِ هَذَا الْفَقِي الْقُدِيمِ
 ذَكَرْنَا وَالْمَرْءُ مِنْ نَفْسِهِ * وَعَيْشِهِ فِي شَاغِلٍ يُنْسِي

- (١) يريد « بحبيب » : المرحوم محمود حبيب ، والموقف على الرمس : المشرف على القصر ،
 يريد به أحد أفندي أبي العدل . (٢) ظهر المنبر وبحوه : علاه . (٣) يريد « بسليم » :
 سليم مركب . ويشير بهذا البيت إلى دعوته إلى إمامة هذا الخلف . (٤) المرة : القوة والعزيمة .
 (٥) استعمال « المروع » بمعنى الفرض الذي يبدأ في تحقيقه استعمال شائع في كلام أهل العصر .
 (٦) الخنفس والكنس : الكواكب . (٧) القدسي : نسبة إلى بيت المقدس . يشير
 إلى مولده .

(١) يَا وَاجِبِ الْأَقْدَاسِ فِي حَقِّ مَنْ * بَاعَتْهُ مَضْرِبَةُ الْوَكَيْسِ
 هَذَا (أَبُو الْعَدْلِ) فَمَنْ خَالَه * حَيًّا فَمَا خَالَ مِوَى الْعَكْسِ
 (٢) كَانَتْ لَهُ فِي حَلْقِهِ ثَرَوَةٌ * مِنْ نَبْرَةٍ تُشْجِي وَمِنْ جَرَسِ
 (٣) فَعَالِمَا الدَّهْرِ كَمَا غَالَهُ * حَتَّى غَدَا كَالطَّلِيلِ الدَّرَسِ
 فَاسْتَبُوا الْأَجْرَ وَلَا تَبْتَغُوا * شِرَاءَهُ بِالْثَمَنِ الْبَعِيسِ
 (٤) إِنِّي أَرَى التَّمَثِيلَ فِي غَمْرَةٍ * غَامِرَةٍ تَدْعُو إِلَى الْيَأْسِ
 (٥) لَمْ يَرِهِ فِي شَرْخِهِ مَا رَى * لَوْ كَانَ مَبِيلًا عَلَى أَسْ
 أَكُلْنَا حَقَّتْ بِهِ صَحْوَةٌ * مِنْ دَانِهِ عُوِجَلٌ بِالنَّكَيْسِ
 إِن تَنْفِلُوا دَارِسَ آثَارِهِ * عَنِّي عَلَيْهَا الدَّهْرُ بِالطُّمَيْسِ
 أَتَعْجَزُهَا التَّنَطُّقُ بِمَا تَبَنَّا * تَتُوبُ عَنْ أَلْسِنَاهَا الْخُرَيْسِ

العدو والصديق

ترجمة عن قولنير

[شر هذا البيت في ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م]

لَا أَبَالِي أَدَى الْعَدُوِّ خُطْفِي * أَمَّا يَا رَبِّ مِنْ وَلَاءِ الصَّدِيقِ

- (١) الوكس : القصاص والخسارة . (٢) الجرس : الصوت الخفى .
 (٣) الطلل : ما بقى من آثار الديار . والدرس ، أى الدارس البال . (٤) غمرة غامرة
 أى شدة عامة شاملة . (٥) فى شرخه ، أى فى ريمانه وأول نهوضه .

جمعية الاتحاد السورى

أُنشدها في حفل خيري أقامته هذه الجماعة في الأوبرا السلطانية لإعانة الطلبة النامين بالأزهر

ليلة الثلاثاء ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م

(١) أَيُّهَا الْوَسْمِيُّ زُرْنَتِ الرَّبَا * وَأَسْبَقِ الْفَجْرَ إِلَى رَوْضِ الزَّهْرِ
(٢) حَيْثُ وَأَثَرُ عَلَى أَكْجَامِهِ * مِنْ نِطَافِ الْمَاءِ أَشْبَاهَ الدُّرَرِ
(٣) أَيُّهَا الزَّهْرُ أَفِقْ مِنْ سِنَةِ * وَأَصْطَبِخْ مِنْ تَمْرَةٍ لَمْ تُتَصَرَّرْ
(٤) مِنْ رَجِيْقِ أُمِّهِ غَادِيَةٍ * سَاقَهَا تَحْتَ الدُّجَى رَوْحُ السَّحَرِ
(٥) وَأَنْفَجِ الرُّوْضَ بِنَشْرِ طَيْبٍ * عَلَيْهِ يُوقِظُ سُكَّانَ الشَّجَرِ
(٦) إِنْ بَى شَرْقًا إِلَى ذِي غُنَّةٍ * يُؤْنِسُ النَّفْسَ وَقَدْ نَامَ السَّمَرِ
(٧) إِلَيْهِ يَا طَيْرَ الْأَمْنِ مُسْعِدٍ؟ * إِنِّي قَدْ شَفَّنِي طَوْلُ السَّهَرِ
(٨) قُمْ وَصَفِّقْ وَأَسْتَحِرْ وَأَجْمَعْ وَنُحْ * وَأَرْوِعْ عَنْ إِحْمَاقِ مَأْتُورِ الْخَبَرِ
ظَهَرَ الْفَجْرُ وَقَدْ عَوَّدْتَنِي * أَنْ تُغْنِيَنِي إِذَا الْفَجْرُ ظَهَرَ

- (١) الوسمي : المطراؤل الربيع . (٢) الأكام : أغصنة الزهر . والنطاف : القطرات الصافية من الماء . (٣) السنة : النوم . والاصطباح : الشرب في الصباح .
(٤) الرجيق : الثمر . والغادية : السحابة تنثأ غدوة . والروح : الريح . جعل ماء المطر للزهر كأنه ثمر . (٥) النثر : الرائحة العلية . وسكان الشجر : الطير . (٦) السمر : السمار . (٧) المسعد : المعين . وشفه السهر : هزله وأضناه . (٨) تصفيق الطير : خفقه بأجنحته . واستحرق، أى غرق سمرا . وجميع الطير : تفرده . ويريد «إحماق» : إحماق بن إبراهيم الموصلى الخنفي الباسي المعروف . يرغب إلى الطيور أن تغنيه غناه .

(١) غَنِيَّ كَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ يَدٍ * سَرَّتِ الْأَشْجَانُ عَنِّي وَالْفِكَرُ
 (٢) انْحَرِقِ السَّمْعَ سِوَى مِنْ نَبَاٍ * خَرَقَ السَّمْعَ فَأَذَى فَوْقَهُ
 كُلُّ يَوْمٍ نَبَأَةٌ تَطْرُقُنَا * بَعِجِبٍ مِنْ أَعَايِبِ الْعَبْرِ
 (٣) أَمْ تَفْنَى وَأَرْكَانُ نَهْيٍ * وَعُرُوشُ تَهَادَى وَسُرُورُ
 (٤) وَجُيُوشُ يَجُوشُ تَلْتَقِي * كَسِيلٍ دَقَقَتْ فِي مُتَحَدِّزٍ
 (٥) وَرَجَالُ تَبَارَى لِلرَّدَى * لَا تُبَالِي غَابَ عَنْهَا أَمْ حَضَرَ
 (٦) مَنْ رَأَاهَا فِي وَغَاهَا خَلَاهَا * صَبِيَّةٌ خَفَّتْ إِلَى لُبِّ الْأَكْرِ
 وَحُرُوبٌ طَاحِنَاتٌ كُلَّمَا * أَطْفَفَتْ شَبَّ لَهَا وَاسْتَعَرَّ
 صَبَّحَتِ الْأَفْلَاحُ مِنْ أَهْوَاهَا * وَأَسْتَعَاذَ الشَّمْسُ مِنْهَا وَالْقَمَرُ
 (٧) فِي الثَّرَى، فِي الْجَوِّ، فِي شَمِّ الدَّرَا * فِي عُجَابِ الْبَحْرِ، فِي مَجْرَى النَّهْرِ
 (٨) أَسْرَفَتْ فِي الْخَلْقِ حَتَّى أَوْشَكُوا * أَنْ يَيْسِدُوا قَبْلَ مِيعَادِ الْبَشَرِ
 (٩) فَأَضْمِدُوا ثُمَّ أَحْمِلُوا اللَّهَ عَلَى * نِعْمَةِ الْأَمْنِ وَطِيبِ الْمُسْتَقَرِّ

- (١) مرت الأشجان : كفتها ونخفت آلامها . (٢) يريد « بالنبا » : نبا الحرب العظمى . يقول . اسمعني أيها الطائر من أنباءك ، (أي غنائك) ما يلذ به سمعي ، ولا تسمعني أنباء الحرب التي تصم الأذان وتدق القلوب . (٣) نهى : تتخل وتسقط . وتهادى : يسقط بعضها إثر بعض . (٤) دققت : انصبت بشدة . (٥) الردي : الهلاك . (٦) الوغى : الحرب ، لبا فيها من الصوت والجلبة . والأكر : جمع أكرة ، وهي لغة في الكرة . (٧) في شم الدرا ، أى في أطلال المرتفعات . (٨) ييسدوا : يهلكوا . وميعاد البشر : يوم يقضى الناس جميعا . (٩) الصمد : القصد . ويسعمل في عصرنا بمعنى الصبر .

(١) نِعْمَةُ الْأَمْنِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا * نِعْمَةُ الْأَمْنِ إِذَا الْخَطْبُ أَكْفَهَرَ
(٢) وَاشْكُرُوا سُلْطَانَ مِصْرٍ وَاشْكُرُوا * صَاحِبَ الدَّوْلَةِ بِمَجْدِ الْأَثَرِ
نَحْنُ فِي عَيْشٍ تَمَنَّى دُونَهُ * أُمٌّ فِي الْغَرْبِ أَشَقَّاهَا الْقَدَرُ
(٣) تَتَمَنَّى هَجْعَةً فِي غِبْطَةٍ * لَمْ تُسَاوِرْهَا اللَّيَالِي بِالْكَدْرِ
إِنَّ فِي الْأَزْهَرِ قَوْمًا نَالَهُمْ * مِنْ لَطْفِ نِيرَانِهَا بَعْضُ الشَّرِّ
أَصْبَحُوا - لَا قَدَرَ اللَّهُ لَنَا - * فِي عَنَاءٍ وَشَقَاءٍ وَجَبَرُ
(٤) نَزْلًا بَيْنَنَا إِنْ يَرْهَقُوا * أَوْ يُضَامُوا إِنَّهَا إِحْدَى الْكُبَرِ
(٥) فَأَعَيْنُوهُمْ فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ * مَسَّهُمْ ضَرْ وَنَابَتْهُمْ غَيْرُ
(٦) أَقْرِضُوا اللَّهَ يُضَاعِفْ أَجْرَكُمْ * إِنَّ خَيْرَ الْأَجْرِ أَجْرُ مُدَحَّرِ

(١) اكفهر : تبهم وعبس .

(٢) صاحب الدولة : رئيس الوزراء ، وكان إذ ذاك حسين رشدي باشا .

(٣) الهجعة : النومة .

(٤) يرحقوا ، أى يمانوا من شطف العيش مالا يطيقون .

(٥) غير الزمان : أحداثه وتقلباته

(٦) يستعمل إقراض الله بمعنى الإحسان وبذلك المعروف ، لأن الله هو المتولى رده

والجزاء عليه .

الجمعية الخيرية الإسلامية

أنشد هذه القصيدة بين يدي المغفور له السلطان حسين كامل في ليلة أحيائها الجمعية الخيرية بالأوبرا السلطانية .
وقد قالها على لسان منيعة من صناع الجمعية كان يتيا بأسا فكفلة الجمعية حتى اكتمل عقلا وعلمها

[نشرت في ٢٨ مارس سنة ١٩١٦ م]

قَصَّيْتُ عَنْهُ حَدَاتِي * مَا بَيْنَ ذَلِكَ وَأَغْتَرَابُ^(١)
لَمْ يُغْنِ عَنِّي بَيْنَ مَشَى * بَرِّقَهَا وَمَغْرِهَا أَضْطَرَابُ^(٢)
صَفَرْتُ يَدِي نَحْوَهَا * رَأْسِي وَجَوْفِي وَالْوِطَابُ^(٣)
وَأَنَا أَبْنُ عَشِيرَ لَيْسَ فِي * طَوْفِي مُكَافَأَةُ الصَّعَابُ^(٤)
لَمْ يَتَّقَ مِنْ أَهْلِي سِوَى * ذِكْرِ تَسَاهُ الصَّحَابُ^(٥)
أَمْشِي يَرْغَبُنِي الْأَسَى * وَالْبُؤْسُ تَرْيِجُ الشَّرَابُ^(٦)
فَلَكُمْ ظَلَلْتُ عَلَى طَوَى * يَوْمِي وَبُتُّ عَلَى تَبَابُ^(٧)
وَالْجُوعُ قَرَأْتُ لَهُ * طُفْرُ يَصُولُ بِهِ وَنَابُ^(٨)
فَكَانَهُ فِي مُهَجَّتِي * نَصْلٌ تَغْلُغَلُ لِلنَّصَابُ^(٩)

- (١) الاضطراب في الأرض : التردد فيها جيفة وذهابا . (٢) صفرت يدي : فرغت .
ونحوى : خلا . ويريد « بالوطاب » وعاء الزاد ، والأصل فيه : سقاء اللبن .
(٣) الطوق : الجهد . (٤) يرغبنني ، أى يملئني بجنة وبصرة . والأسى : الحزن .
(٥) الطوى : الجوع . والباب : الخصران . (٦) قرأ : شديد الاقتراس .
(٧) تغلغل النصل في الشيء : دخل فيه وقذف الى جوفه . ونصاب السيف والسكين ونحوهما :
المقبض .

- (١) وَلَكُمْ صَحِيحَةُ الْاَبْيَضِ * بِنِ قَابِلِيَا بُرْدَ الشَّبَابِ
 (٢) فَاِذَا ظَلِمْتُ بِكُسْبَرَةٍ * فَاِذَا مَهِيَا مَنِي لُمَابِ
 (٣) وَعَلَى طَمْرُ لَوْ هَفْتُ * رِيحُ الشَّمَالِ بِهِ لَذَابِ
 نَحْسُ رُوفُهُ وَمَصَائِي * فِي الْعَدِّ يُحِطُّهَا الْحِسَابِ
 (٤) مَا زِلْتُ اَوْسَعُ مَحْنَتِي * صَبْرًا وَاحْتِمِلُ الْعَذَابِ
 (٥) حَتَّى تَنْفَسَ صُبْحُ اِق * بِأَلِي وَتَجْمُ النَّحْسُ غَابِ
 (٦) وَلِكُلِّ سَيْفٍ مُصَلَّتِ * لِحَوَاثِ الدُّنْيَا قِرَابِ
 (٧) وَالْعَيْشُ فِي اِقْبَالِهِ * شُهْدٌ وَفِي الْاِدْبَارِ صَابِ
 (٨) فَتَلَقَّيْنِي فِتْنَةً * رُحْبُ الشَّمَالِ وَالْجَنَابِ
 (٩) مَهْدُوا لَأَنْفُسِهِمْ بِمَا * صَنَعُوهُ زُلْفَى وَاحْتِسَابِ

(١) الأبيضان : الماء والخبز؛ قال الشاعر :

الأبيضان بردا عظامي * الماء والخبز بلا إدام

(٢) الإدام : ما يؤتى به في الطعام .

(٣) الطمر : الثوب البالي من غير الصوف . وهفت الريح بالثوب ونحوه : حركته وذهبت به .

(٤) المحنة : ما يمتحن به صبر الإنسان من النوائب . (٥) تنفس الصبح : أضاء وأشرق ؛

وهو استعمال مجازي . (٦) المصلت من السيوف : المجزء من غمده . وقرباب السيف : جرابه .

يريد أن كل شدة الى انتهاء ، وكل عمر الى يسر . (٧) الشهد : عمل النحل . والصاب :

عصارة شجر شديد المرارة ؛ يريد أن العيش حلو في إقباله ، شديد المرارة في إدباره .

(٨) يريد : « بالفتنة » : رجال الجمعية الخيرية الإسلامية . (٩) مهدوا لأنفسهم ، أى كسبوا لها

خيرا . والزلفى : القريب . والاحتساب ، هو أن تقدم عملا صالحا تحتسبه عند الله ، أى تدخره ولا تبغى طيه

جزاء من الناس . ويلاحظ أن الوقف هنا يسكون الباء . في آخر البيت على غير الأنصح ، وقد دعت اليه الضرورة .

(١) وَعَدُوا إِلَى الْحُسْنَى كَمَا * تَعْدُو الْمُطَهَّمَةُ الْعِرَابُ
 كَمْ أُسْرَى ضَاقَ الرِّجَا * بِهَا وَأَعْيَاهَا الطَّلَابُ
 (٢) دَقُّوا عَلَيْهَا بِأَبِهَا * وَاللَّيْلُ مَسْدُولُ النَّقَابِ
 (٣) وَتَعَاهَدُوهَا بِثَلَا * يَتَعَاهَدُ الثَّبَتُ السَّحَابُ
 وَبِحَالِ صُنْعِ الْبِرِّ أَلَّا * يُسْتَشْفَى لَهُ حِجَابُ
 (٤) فَتَعَوُّوا الْمَدَارِسَ حِسْبَةً * وَتَنْظُرُوا حُسْنَ الْمَابِ
 فِيهَا تَبَيَّنَتْ الْمُهْدَى * وَقَرَأْتُ (فَاتِحَةَ الْكِتَابِ)
 (٥) وَبِهَا صَدَفْتُ عَنِ الضَّلَا * لَهُ وَاهْتَدَيْتُ إِلَى الصَّوَابِ
 وَعَدَوْتُ إِنْسَانًا تُجَنِّلُهُ الْفَضَائِلُ لَا الثِّيَابُ
 مُبَصَّرًا ذَا فِطْنَةٍ * تَتَّبِعِي الْقُشُورَ عَنِ الثُّلَابِ
 (بَجِيعَةٍ خَيْرِيَّةٍ) * قَامَتْ لِتَخْفِيفِ الْمَصَابِ
 (٦) قَدْ كَانَ فِيهَا (عَبْدُهُ) * غَوْنًا يُلَبِّي مَنْ أَهَابُ

- (١) عدوا : أصرعوا . والمطهَّم من الخيل : الذي تم حسه وبرع في الجمل . والليل العراب :
 الكرائم السالبة من الهجة . (٢) يريد بقوله : «مسدول النقاب» : وصف الليل بشدة الظلام .
 ويصف رجال الجمعية بأنهم يذلون المعروف في خفية وتكتم ، وذلك أفضل الإحسان .
 (٣) تعاهدوها : تفقدوها بالذل والمعونة . (٤) تنظروا : انتظروا وأرتقبوا .
 (٥) صدف عن الضلالة : أعرض عنها . (٦) يريد الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده .
 انظر التعريف به في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من هذا الجزء . وكان أقوى مؤسسي الجمعية الخيرية وأعظم
 الداعين إلى إنسانتها . وأهاب : دعا .

(١) لَمْ يَدْعُ مَسْمَحًا إِلَى * لِنَعِيشِهَا إِلَّا أَجَابُ
 مَا غَابَ عَنْهَا مَرَّةً * حَتَّى تَغِيبَ فِي التُّرَابِ
 (٢) وَ (لِعَاصِمٍ) أَثَرُهَا * بَاقٍ وَذِكْرُ مُسْتَطَابِ
 (٣) قَدْ كَانَ يَجِيها كَمَا * تَجِي مَجَامِيها الْمُقَابِ
 ثَبَّتَ وَكَانَ ثَبَاتُهَا * يَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ الْعُجَابِ
 (٤) وَالشَّرْقُ أَوْرَثَ أَهْلَهُ * حُبَّ التَّقَلُّبِ وَالْخِلَابِ
 فِينَا عَلَى كَرَمِ الطُّبَا * عِ وَنُبْلِهَا طَبَعٌ يُعَابِ
 دَاءُ التَّوَكُّلِ وَهُوَ فِي الِ * عُمُرَانِ دَاعِيَةُ الْخَرَابِ
 (٥) ثَبَّتَ لِأَنْفِهَا لِي * أَعْتَابِ مَوْلَانَا أَتْسَابِ
 (٦) لِسُلَا (حُسَيْنٍ) لَمْ تَدُمُ * إِلَّا كَمَا دَامَ الْحَبَابِ
 اللَّهُ أَذْرَكَهَا بِهِ * بَحْرًا مَوَارِدُهُ عِيَابِ
 يَا وَهَبَ الْأَلَافِ كَمْ * طَوَّقَتْ بِالْمِنَنِ الرَّقَابِ
 (٧) لَكَ سَاحَةُ عَلَوِيَّةٍ * مَا أَمَّهَا أَمَلٌ وَخَابِ

(١) المسموح: الكثير المباح. (٢) يريد «بعاصم»: المرحوم حسن عاصم باشا. (٣) مجاميم المقاب: بواضعها التي تنزل بها، الواحد مجيم؛ يقال: بجم الطائر، إذا نزل مكانه فلم يرحمه؛ أو تلبد بالأرض. والمقاب: طائر من الجوارح، والعرب تسميه الكاسر. (٤) الخلاب: الخلداع. (٥) يريد بقوله: «مولانا» السلطان حسين كامل؛ وكان رئيسا لها أيام كان أميراً. والوقوف على قوله: «أعتاب» يسكون الباء لضرورة القافية جريا على غير القصيح، وهي لغة ربيعة، فأنهم يقفون على المنون يحذف تنوينه وسكون آخره مطلقا، أي سواء أكان منصوبا كما في هذا اللفظ، أم مرفوعا أم مجرورا. (٦) الحباب: فقايع الماء التي تملوه. (٧) علوية: نسبة إلى المغفور له ساكن الجبلان محمد علي باشا جد الأسرة المالكة.

مَهَّدَتِ لِلْأَخْيَارِ مَيَّةَ * سَدَانِ السَّابِقِ إِلَى الثَّوَابِ
(١)
لَا زِلْتَ فِي الْفُطْرَيْنِ نَحْ * رُوسِ الْأَرِيكََةِ وَالرَّكَابِ

جمعية إعانة العميان

قألها في حفل أقامته الجمعية لبناء مدرسة للعميان الأحداث بالأزهر

في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٦ م ونشرت في اليوم التالي

(٢) إِنْ يَوْمَ احْتِفَالِكُمْ زَادَ حُسْنًا * وَجَلَّالًا يَوْمَ عِيدِ الْجُلُوسِ
(٣) فَاقْتَرَبُ الْيَوْمَيْنِ رَمَزًا إِلَى أَيْمٍ * بِنِ وَبُشْرَى تَسْرُرُهُنَّ الْحُبُوسِ
(٤) فَكَأَنِّي أَشِيمُ عَاطِفَةَ السَّيْرِ عِيَانًا تُجُولُ بَيْنَ الْجُلُوسِ
(٥) وَأَرَى فِي الْوُجُوهِ سِيمَا آرْتِيَا ح * وَأَبْهَاجَ لَسَعَى تِلْكَ الْعُرُوسِ
إِنْ حَقَّ الضَّرِيرُ عِنْدَ ذَوِي الْأَبْ * صَارِ حَقٌّ مُسْتَوْجِبُ التَّقْدِيرِ
لَمْ يَضُرَّهُ فَقْدَانُهُ نُورَ عَيْنَيْهِ * إِذَا اعْتَاضَ عَنْهُمَا بِأَنْبَسِ
أَنْسُوا نَفْسَهُ إِذَا أَظْلَمَ الْعَيْدُ * شُ بَعِلِمَ فَالْعِلْمُ أَنْسُ النُّفُوسِ
وَجَهَّوْهُ إِلَى الْفَلَاحِ يُفِدُّكُمْ * فَوْقَ مَا يَسْتَفِيدُهُ مِنْ دُرُوسِ
(٦) أَكْمَلُوا نَقْصَهُ يَكُنْ عَبْقَرِيًّا * مِثْلَ (طَه) مُبْرَزًا فِي الطُّرُوسِ

- (١) الفطران : مصر والسودان . والأريكة : سرير الملك . (٢) يريد عيد جلوس
المنفور له السلطان حسين كامل . (٣) يريد « برهن الحبوس » : أن هذا المكفوف رهين حبس
بصره ، وحبس بصره ، وكان أبو العلاء المعري يلقب « برهن الحبسين » . (٤) أشيم : أرى وأنظر .
(٥) يريد « بالعروس » : عاطفة البر السابق ذكرها . (٦) يريد « بطله » : الدكتور طه
حسين (بك) عميد كلية الآداب الآن . والطروس : جمع طرس ، وهو الصحيفة يكتب فيها .

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَكْمِهْ لَا يُجَارَى * وَضَرِيرٍ يُرْجَى لَيْسَ عَبُوسٍ
لَمْ تَقِفْ آفَةُ الْعُيُونِ حِجَارًا * يَبْنَ وَتَبَاهُ وَبَيْنَ الشُّمُوسِ
عَدِمَ الْحَسَّ قَائِدًا فَخَدَاهُ * هَدَى وَجْدَانِهِ إِلَى الْمُحْسُوسِ
مِثْلُ هَذَا إِذَا تَعَلَّمَ أَغْنَى * عَنْ كَثِيرٍ وَجَاءَنَا بِالنَّفِيسِ
ذَاكَ أَتَ الذِّكَاءَ وَالْحِفْظَ حَلًّا * فِي جَوَارِ النَّهْيِ بَتْلَكَ الرَّؤُوسِ
فَعَلَى كُلِّ أَكْمِهْ وَبَصِيرٍ * شُكْرُ أَعْضَائِكُمْ وَشُكْرُ الرَّئِيسِ

ملجأ الحرية

[نشرت في ١٩ مايو سنة ١٩١٩ م]

(١)
أَيُّهَا الطِّفْلُ لَكَ الْبُشْرَى فَقَدْ * قَدَّرَ اللَّهُ لَنَا أَنْ نُنْشَرَا
قَدَّرَ اللَّهُ حَيَاةَ حُرَّة * وَأَبَى مُسَبَّحَانَهُ أَنْ تُقْبَرَا
(٢)
لَا تَحْتَفِ جُوعًا وَلَا غُرْيًا وَلَا * تَبْكِي عَيْنَاكَ إِذَا خَطَبَ عَرَا
(٣)
لَكَ عِنْدَ الْبِرِّ فِي مَلْجَأِهِ * حَيْثُ تَأْوِي خَاطِرُنَّ يُكْسَرَا
(٤)
حَيْثُ تَلْقَى فِيهِ حَذْبًا وَتَرَى * بَيْنَ أَتْرَابِكَ عَيْشًا أَنْصَرَا

- (١) ننشر : نحب ونبعث . جعل . ما كان فيه المصريون قبل من إهمال الدين وإغفال شأنه كالولت ؛
وما صاروا إليه بعد من رعايته والعناية به حياة وبها . (٢) عرا : ألم ونزل . (٣) يستعمل
« كسر الخاطر » في إنجمال السائل ورده بغير ما كانت يقول ، وهو استعمال شائع في كلام عصرنا .
(٤) الخدب (بالتحريك وسكن للشعر) : العطف . ويجوز أن يقرأ بالضم بمعنى جماعة العاطفين .
وأترابك : لدائك ونظرائك ، الواحد ترب (بالكسر) .

لَا تُسَيِّ ظَنًّا بِمُثِينَا قَدْ * تَابَ مِنْ آثَامِهِ وَاسْتَغْفَرَ

(١)

كَانَ بِالْأَمْسِ وَأَقْصَى هَمِّهِ * إِنَّ أُنَى عَارِفَةً أَنْ يَظْهَرَ

فَقَدْ الْيَوْمَ يَوْمِي شَعْبَهُ * وَهُوَ لَا يَرْغَبُ فِي أَنْ يُشْكَرَ

(٢)

نَهَتْ عَاطِفَةَ الْبِرِّ بِهِ * مِحْنَةً عَمَّتْ وَمِقْدَارُ جَرَى

(٣)

جَمَعْتَنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ * وَأَرَادَتْهَا عَلَى أَنْ تُقْهَرَ

فَعَاهَدْنَا عَلَى دَفْعِ الْأَذَى * بِرُكُوبِ الْحَزْمِ حَتَّى نَظْفَرَ

(٤)

وَتَوَاصَيْنَا بِصَبْرِ بَيْنَنَا * فَغَدَوْنَا قُوَّةً لَا تُزْدَرَى

(٥)

أَنْشَرْتُ فِي مِصْرَ شَعْبًا صَالِحًا * كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مُتَفَكِّ الْعُرَا

(٦)

كَمْ عُجِبَ هَائِمٌ فِي حُبِّهَا * ذَادَ عَنْ أَجْفَانِهِ سَرَحَ الْكَرَى

(٧)

وَشَبَابٍ وَكُھُولٍ أَقْسَمُوا * أَنْ يَسِيدُوا بِجَدِّهَا فَوْقَ الذُّرَا

يَا رِجَالَ الْخِدِّ هَذَا وَقْتُهِ * أَنْ أَنْتَ يَفْعَلُ كُلُّ مَا يَرَى

مَلَجًا أَوْ مَضْرِفًا أَوْ مَضْنَعًا * أَوْ تِقَابَاتٍ لِرُزَاعِ الْقُرَى

(٨)

أَنَا لَا أَغْدِرُ مِنْكُمْ مَنْ وَفَى * وَهُوَ ذُو مَقْدَرَةٍ أَوْ قَصْرَا

(١) العارفة : العلية والمعروف . (٢) المحنة : ما يمنحن به الإنسان من بلية . والمقدار :

القدر (فتح القاف والذال) . ويريد ما شمل الناس من فقر وضيق إذ ذاك . (٣) الضمير في «جمعنا»

«للجنة» . ويقال : أرادته على الأمر ، وذلك إذا حمله عليه . (٤) لا تزدرى : لا تحقر .

(٥) أنشرت : أحييت . ويريد «بالعرا» : صلاة المودة ، الواحدة عروة .

(٦) الضمير في «حما» لمصر . وذاد : منع ودفع . والكرى : النرم .

(٧) الذرا : جمع ذروة ، وهي المكان المرتفع . (٨) وفى : أبطأ .

فابْدُءُوا بِالْمَلْعَاِ الْحَرِّ الَّذِي * جِئْتُ لِلْأَيْدِي لَهُ مُسْتَمِطِرَا
 (١) واكْفُلُوا الْإِيْتَامَ فِيهِ وَاعْلَمُوا * أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْقَرَا
 أَيُّهَا الْمُتَرَيُّ لَا تَكْفُلْ مَنْ * بَاتَ مَحْرُومًا يَتِيًّا مُعْسِرَا
 أَنْتَ مَا يُدْرِيكَ لَوْ أَنْبَتْهُ * رَبِّمَا أَطْلَعْتَ بِدَرَا نَبْرَا
 (٢) رَبِّمَا أَطْلَعْتَ (سَعْدًا) آخَرَا * يُحْكِمُ الْقَوْلَ وَيَرْقِي الْمُنْجَبَا
 (٣) رَبِّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ (عَبْدَهُ) * مَنْ حَمَى الدِّينَ وَزَانَ (الْأَزْهَرَا)
 رَبِّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ شَاعِرَا * مِثْلَ (شَوْقِي) نَابِهَا بَيْنَ الْوَرَى
 (٤) رَبِّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ فَارِيسَا * يَدْخُلُ الْغَيْلَ عَلَى أَسَدِ الشَّرَى
 كَمْ طَوَى الْبُؤْسُ نَفُوسًا لَوَرَعَتْ * مَتْنَبَا خَضْبًا لَكَانَتْ جَوْهَرَا
 (٥) كَمْ قَضَى الْعُدْمُ عَلَى مَوْهَبَةٍ * فَتَوَارَتْ تَحْتَ أَطْبَاقِ الْوَرَى

(١) كَفَلَهُ يَكْفِلُهُ (من باب نصر) : قام بأمره . والقرا : الحمار الوحشي « وكل الصيد في جوف القرا » : مثل ؛ وأصله أن ثلاثة خرجوا متصيدين ، فاصطاد أحدهم أرنبًا ، والآخر غنًا ، والثالث حمارًا فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الغنّي بما نالا ، وتطاولا على صاحب الحمار . فقال لهما : « كل الصيد في جوف القرا » ، أي أن هذا الذي ررقت به وظفرت يشتمل على ما عندكما ، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار . ومعنى المثل هنا أن معونة القيم تحمل في ثناياها جميع الأعمال الصالحة .

(٢) يريد المغفور له (سعد زغلول باشا) وكان رئيسًا للوفد المصري إذ ذاك .

(٣) يريد « عبده » : الأستاذ الإمام محمد عبده (انظر التعريف به في الحاشية رقم ٣ من صفحة

٤ من هذا الجزء . (٤) الغيل (بالكسر وفتح) : الشجر الكثير المتف ، وتأوى إليه الأسود .

والشرى : مأسدة جانب القرات يضرب بأسادها المثل .

(٥) الدم - الققر .

كُلُّ مَنْ أَحْيَا يَتِيماً ضَائِعاً * حَسْبُهُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُؤَجِّرَا
إِنَّمَا تُحْمَدُ عَفْوِي أَمْرِهِ * مَنْ لَانْتَرَاهُ بِدُنْيَاهُ اشْتَرَى

جمعيّة الطفل

أُنشدها في الحفل الذي أقامته هذه الجمعية في يوم الثلاثاء أول مايو سنة ١٩٢٨ م

(١)
أَيُّهَا الطِّفْلُ لَا تَحْتَفِ عَنَّتِ الدُّهُ * وَلَا تَحْشَ عَادِيَاتِ اللَّيَالِي
(٢)
قَيْضَ اللَّهِ لِلضَّعِيفِ نُفُوسًا * تَعَشُّقُ الْبِرِّ مِنْ ذَوَاتِ الْجِبَالِ
أَيُّ ذَوَاتِ الْجِبَالِ عِشْتُنَّ لِلْبِرِّ * وَدُمْنُ قُدُوءَ لِلرِّجَالِ
لَمْ يَكُونُوا يُبْذَرُوكَوا الْمَجْدَ لَوْلَا * كُنْ أَوْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْمَعَالِي
(٣)
بَسْمَةً تَجْعَلُ الْجَبَانَ تُجَاعًا * وَتُعِيدُ الْبَخِيلَ أَكْرَمَ نَالِ
وَيُظَامُ الرِّجَالِ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ * فِي رِضَاكُنْ أَرْخَصُوا كُلَّ غَالِي
(٤)
رَاعِنِي مِنْ نُفُوسِكُنْ جَمَالُ * يَقْبَلُ فِي هَالَةٍ مِنْ جَلَالِ
(٥)
وَجَمَالِ النُّفُوسِ وَالشَّعْرِ وَالْأَخْ * لِقَاقِ عِنْدِي أَنْتَمِي بِمَجَالِي الْجَمَالِ
قُمْنَ عَلَمَتِنَا الْمُرُوءَةِ وَالْعَطْ * فَعَلَى الْبَائِسِينَ وَالسُّؤَالَ

(١) العنت : المشقة . (٢) قَيْضُ : أتاح . وذوات الجبال : النساء . والجبال : جمع جملة ، وهي موضع يزين للعروس . ويشير إلى أن تلك الجمعية من السيدات : (٣) النال : الجواد الكريم . (٤) الهالة : دائرة القمر . (٥) مجالى الجمال ، أى مظهره وما يبدو منه .

فَمَنْ عَلَّمَنَا الْحَنَانَ عَلَى الطَّفِّ * لِي شَرِيدًا فَرِيَسَةَ الْمُتَقَالِ
 قَدْ أَجَبْنَا نِدَاءَ كُنْ وَجِئْنَا * نَسْأَلُ الْقَادِرِينَ بَعْضَ النَّوَالِ
 لَوْ مَلَكْنَا غَيْرَ الْمَقَالِ لَجُدْنَا * إِنْ جُهِدَ الْمُقِلُّ حُسْنُ الْمَقَالِ^(١)
 انْقَدُوا الطِّفْلَ إِنْ فِي شِقْوَةِ الطَّفِّ * لِي شَقَاءٌ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالِ^(٢)
 إِنْ يَعْشِ بِأَيْسَا وَلَمْ يَطْوِهِ الْبُؤْسُ * مَنِ يَعْشِ نَكَبَةً عَلَى الْأَجْبَالِ
 رَبُّ بُؤْسٍ يُجَبِّتُ النَّفْسَ حَتَّى * يَطْرَحُ الْمَرْءَ فِي مَهَاوِي الضَّلَالِ^(٣)
 أَتَقِدُّوهُ فَرُبَّمَا كَانَ فِيهِ * مُصْلَحٌ أَوْ مُغَامِرٌ لَا يُبَالِي^(٤)
 رَبَّمَا كَانَ تَحْتَ طِمْرِيهِ عَزَمٌ * ذُو مَضَاءٍ يَدُكُ شَمَّ الْجِبَالِ^(٥)
 رَبٌّ سِرٌّ قَدْ حَلَّ جِسْمَ صَغِيرٍ * وَتَأَبَّى عَلَى شَدِيدِ الْحَالِ^(٦)
 يَخْفَافُ الْأَقْبَالِ أَرْفَقُ وَقَعًا * لَوْ تَبَيَّنَتْ مِنْ دَيْبِ النَّمَالِ^(٧)
 شَاعَ بُؤْسُ الْأَطْفَالِ وَالْبُؤْسُ دَاءٌ * — لَوْ أُبَيِّحَ الطَّيِّبُ — غَيْرُ عَضَالِ
 أَيُّدُوا كُلَّ تَجَمُّعٍ قَامَ لِلْبَرِّ * بِجَاهٍ يُظْلَهُ أَوْ بِمَالِ
 كَمْ يَتِمُّ كَادَتْ بِهِ الْبَاءُ * سَاءُ لَوْلَا (رَعَايَةُ الْأَطْفَالِ)

(١) القتل : الفقير القليل المال . (٢) يطويه : ينيه ويذهب به .

(٣) المغامر : المقاتل الذي لا يبالي بالموت .

(٤) الطمر : التوب الخلق . وشم الجبال : المرتفعة منها ، الواحد أشم .

(٥) سر ، أى موهبة خفية ونيغ كامن . وتأبى : امتنع . والحال : القدرة والقوة .

(٦) يريد بهذا البيت أن التلمة على ضالتها فيها من السر ما ليس للفقير على ضلالتة .

(٧) داء عضال : شديد غالب معي .

(١) ورجال الإسعاف أنبل - لولا * شهوة الحرب - من رجال القتال
 (٢) يسهرون الدجى لتخفيف ويل * أو بلاء مصوب أو نكال
 (٣) كم صريع من صدمة أو صريع * من شمويم تخدر الأوصال
 (٤) كم حريق قد أجم الناس فيه * عن محايا تبث تحت التلال
 (٥) يترامون في اللهب سراعاً * كترامى القطا ليورد الزلال
 لا شيء يسوى المروءة يملؤ * طعمها في قيم المرىء الموالى
 فاصنموا البرمئيين وجودوا * أيها القادرون قبل السؤال
 لا تشار العلوم أو لا تطواء الذ * بجؤس والشر أو لترفيه حال

كلمة النبات الأمريكية

قالها في الحفل الذي أقامته الكلية لجمع الشهادات والمواهب على الفانزات

[نشرت في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٨ م]

(١) أي رجال الدنيا الجديدة مهلاً * قد شأوتم بالمعجزات الرجال
 (٢) ونهيمت معنى الحياة فأرصد * ثم عليها لكل نقص كمالاً

- (١) يقول : لولا حاجتنا إل الهند في الحرب التي لا تمحى لأحبت : لأن سال الإسعاف أنبل منهم وأفضل . (٢) الكال : العذاب . (٣) يريد « المصوم » : المندرات . والأوصال : الأعضاء ، الواحد وصل (بالكسر وبالضم) . (٤) القطا : جمع قطة ، وهي طائر في هم الحماة . (٥) المرى : ذر المروءة . والموال : المنصر المدين . (٦) الدنيا الجديدة : أمريكا . وشأوتم : غلتم . (٧) أرصدتم ، أي أعددتم .

- (١١) وَحَرَّضْتُمْ عَلَى الْعُقُولِ فُحْرًا * ثُمَّ عَصِيًّا يَرَاهُ قَوْمٌ حَلَالًا
وَقَدَرْتُمْ دَقِيقَةَ الْعُمُرِ حِرْصًا * وَسِوَاكُمْ لَا يَقْدِرُ الْأَجْبَالَا
كُمْ أَحَالُوا عَلَى غَدِ كُلِّ أَمْرٍ * وَيُحِيلُ الْأُمُورَ بَيْنَ الْمُحَالَا
(١٢) قَدْ تَحَدَّيْتُمُ الْمَنِيَّةَ حَتَّى * هُمْ أَنَّ يَغْلِبَ الْبَقَاءُ الزَّوَالَا
وَطَوَّيْتُمْ فَرَاسِخَ الْأَرْضِ طَبَا * وَمَشَيْتُمْ عَلَى الْهَوَاءِ آخِثَالَا
ثُمَّ تَنَقَّرْتُمُ الرِّيَّاحَ فُسْطَمًا * حَيْثُ شِئْتُمْ جَنُوبَهَا وَالشِّمَالَا
(١٣) تُسْرِجُونَ الْهَوَاءَ إِنْ رُمْتُمْ السَّيْ * رَوْفَى الْأَرْضِ مَنْ يَشُدُّ الرِّحَالَا
(١٤) وَتَتَخَذْتُمْ مَوْجَ الْإِثِيرِ بَرِيدًا * حِينَ خَلْتُمْ أَنَّ الْبُرُوقَ كَسَالَا
ثُمَّ حَاوَلْتُمْ الْكَلَامَ مَعَ النَّجْمِ * سِمْ حَمَلْتُمْ الشُّعَاعَ مَقَالَا
(١٥) وَمَعَا (فُورْدُ) آيَةُ الْمَشْيِ حَتَّى * شَرَعَ النَّاسُ يَنْبُذُونَ النَّعَالَا
وَأَتَرَعْتُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَظْهَرِ الْ * أَرْضِ أَوْ بَطْنِهَا الْمُحْجَبِ مَالَا
(١٦) وَأَقْسَمْتُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ صُرُوحًا * تَتَطَّحُّ السُّحُبُ شَائِحَاتٍ طَوَالَا

- (١) يشير بهذا البيت الى قانون تحريم الخمر الذي كانت جمهورية الولايات المتحدة قد أصدرته .
(٢) تحدّيتُ المنيّة ، أى نازعتموها الغلبة وعارضتموها . ويشير الى ما فى هذه البلاد من العناية
الشؤون الصحية والمستشفيات الطيبة ، والاهتمام الى مداواة بعض الأمراض التي كانت قبل مستعصية
العلاج . (٣) تسرجون الهواء ، أى تعدونه وتهيئونه للركوب كما يسرج الفرس ، أى يشد عليه سرجه
ليركب . ويشير بذلك الى الطائرات . ويريد بقوله « وفى الأرض » الخ : أنه لا تزال فى الأرض أم
متأخرة لم تقول عن وجودها فى الحياة ، وتشد الرجال على ظهور الجبال كهدها فى الصور الأولى .
(٤) يشير بهذا البيت الى الآلات اللاسلكية . (٥) فورد : صاحب معامل كبيرة للسيارات
فى أمريكا . ويريد الشاعر أنه قد أكثر منها فى أنحاء العالم حتى يكاد الناس لكثرتها وثقل أمانتها ليستغنون
ركوبها عن المشى ولبس النعال . (٦) الصروح : الأبنية العالية .

وَعَرَسْتُمْ لِلْعِلْمِ رَوْضًا أَيْقًا * فَوْقَ دُنْيَا الْوَرَى يَمُدُّ الظَّلَالَ
وَحَلَلْتُمْ بَارِضَنَا فَعَرَفْنَا * كَيْفَ تُنْمُونُ بَيْنَنَا الْأَطْفَالَ
وَرَأَيْتِ الْبَنَاتِ كَيْفَ يُتَّقَفُ * مَنْ بَعِلِمَ يَزِيدُهُنَّ جَمَالَ
لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى أَرْضَ مِصْرٍ * فِي حِمَى اللَّهِ تُثْبِتُ الْإِبْطَالَ
وَأَرَى أَهْلَهَا يُبَارُونَكُمْ عِدْ * سَمَا وَوُثْبًا إِلَى الْعَلَا وَنِضَالًا
(١) قَدْ تَقَضَّضْنَا عَنَّا الْكَرَى وَابْتَدَرْنَا * فُرْصَ الْعَيْشِ وَأَنْتَقَلْنَا أَنْتَقَالًا
(٢) وَعَلِمْنَا بَأَنَّ غَفْلَةَ يَوْمٍ * تَحْرِمُ الْمَرْءَ سَعِيَهُ أَحْوَالًا
فَشَقَقْنَا إِلَى الْحَيَاةِ طَرِيقًا * وَأَصْبَحْنَا عَلَى الزَّحَامِ جَمَالَ
وَنَهَضْنَا فِي ظِلِّ عَرْشِ (قَوَادٍ) * وَرَفَعْنَا لِعَهْدِهِ تِمْنَالًا
(٣) قَدْ أَبَى اللَّهُ أَنْ تَعِيشَ عَلَى النَّاسِ * سِوَا أَنْ ضَاقَتِ الْوُجُوهُ عِيَالًا

الأزبكية

(٤) كَمْ وَارِثٍ غَضَّ الشَّبَابَ رَمِيته * بَغْرَامٍ رَاقِصَةٍ وَحِبِّ هَلُوكِ
(٥) أَلْبَسْتِهِ الثَّوْبَيْنِ فِي حَالَيْهِمَا * تَبِيَّةَ الْغَنِيِّ وَذِلَّةَ الْمَقْلُوكِ

(١) ابتدروا فرص العيش : عاجلناها وأمرعنا إليها . والكرى : النوم .

(٢) الأحوال : السنون ، الواحد حول . (٣) الوجوه : المذاهب .

(٤) الهلوك : الفاجرة المتساقطة على الرجال . (٥) المقلوك : الفقير البائس ؛ وهي تسمية

فارسية . قال صاحب كتاب (الفلاكة والمقلوكون) : هذه اللفظة تلقيناها من أفاضل السجم ، ويريدون بها شهادة مواقع الاستعمال : الرجل غير المحظوظ ، المهمل في الناس لإملائه وقرره .

نشيد الشبان المسلمين

(١) أَعِيدُوا مَجْدَنَا دُنْيَا وَدِينَا * وَذُرُّوْا عَن تَرَاثِ الْمُسْلِمِيْنَ

(٢) قَمَرٌ يَمْنُو لَغَيْرِ اللَّهِ فِينَا * وَنَحْنُ بَنُو الْعُرَاةِ الْفَاتِحِيْنَ

مَلَكًا الْأَمْرَ فَوْقَ الْأَرْضِ دَهْرًا * وَخَلَّدَنَا عَلَى الْأَيَّامِ ذِكْرِي

أَتَى (عُمَرُ) فَأَنْسَى عَدْلَ (كَسْرِي) * كَذَلِكَ كَانَ عَهْدُ الرَّاشِدِيْنَ

(٣) جَيْتَنَا الشُّجْبَ فِي عَهْدِ الرَّشِيدِ * وَبَاتَ النَّاسُ فِي عَيْشِ رَغِيدِ

(٤) وَطَوَّقَتِ الْعَوَارِفُ كُلَّ جَبِيدِ * وَكَانَ شِعَارُنَا رِفْقًا وَلِينًا

سَلُّوْا (بَغْدَادَ) وَالْإِسْلَامَ دِينَ * أَكَانَ لَهَا عَلَى الدُّنْيَا قَرِينُ

رِجَالٌ لِلْعَوَادِثِ لَا تَلِينُ * وَعِلْمٌ أَيْدِ الْفَتْحِ الْمُيْنِ

(٥) فَلَسْنَا مِنْهُمْ وَالشَّرْقُ عَاتِي * إِذَا لَمْ نَكْفِهِ عَنَّتِ الزَّمَانُ

وَزَفَقَهُ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ * كَمَا رَفَعُوهُ أَوْ نَلَقَى الْمُنُونَا

(١) ذودوا : ادفوا .

(٢) يمنو : يذل ويخضع .

(٣) جيتنا الشجبة ، يريد بطة الملك وسعة السلطان . ويشير بذلك الى ما روى عن أحد خلفاء

الإسلام حين رأى صحابة سارية فقال ما معناه : امطري حيث شئت فإن ما تنبتني سيجي خراجها اليك .

(٤) العوارف : العطايا واليمن : الواحدة عارقة . والجيد : العنق .

(٥) العاني : الأسير المقيد . وعنت الزمان : مثقت .

غلاء الأسعار

أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ ضَاقَ نَبَا الْعَيْدِ * شُسْ وَلَمْ تُحْسِنُوا عَلَيْهِ الْقِيَامَا
 عَزَّتِ السَّلْعَةُ الدَّلِيلَةُ حَتَّى * بَاتَ مَسْحُ الْحِذَاءِ خَطْبًا جُسَامَا ^(١)
 وَفَدَا الْقُوْتُ فِي يَدِ النَّاسِ كَالْيَا * قُوْتُ حَتَّى نَوَى الْفَقِيرُ الصِّيَامَا
 يَقْطَعُ الْيَوْمَ طَاوِيًا وَلَدَيْهِ * دُونَ رِيحِ الثَّنَائِرِ رِيحُ الْخَزَائِي ^(٢)
 وَيَحَالُ الرِّغِفُ فِي الْبُعْدِ بَدْرًا * وَيُظَنُّ الْخُمُومَ صَيْدًا حَرَامَا
 إِنْ أَصَابَ الرِّغِفَ مِنْ بَعْدِكَدَّ * صَاحَ : مَنْ لِي بَأَنِّ أُصِيبَ الْإِدَامَا؟ ^(٣)
 أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ أَصْلَحْتُمُ الْأَرْضَ * ضَ وَرَيْثُكُمْ عَنِ النَّفْسُوسِ نِيَامَا
 أَصْلَحُوا أَنْفُسًا أَضْرَبَهَا الْفَقْدُ * رُ وَأَحْيَا بِمَوْتِهَا الْإِنَامَا
 لَيْسَ فِي طَوْقِهَا الرِّجْلُ وَلَا أَلَدٌ * وَلَا أَنْفٌ تُوَاصِلُ الْإِفْدَامَا ^(٤)
 تُؤْثِرُ الْمَوْتَ فِي رُبَا النَّيْلِ جُومًا * وَتَرَى الْعَارَ أَنْ تَعَاَفَ الْمُقَامَا ^(٥)
 وَرِجَالُ الشَّامِ فِي صُكْرَةِ الْأَرْضِ * ضِ يُبَارُونَ فِي الْمَسِيرِ الْقَامَا
 رَكِبُوا الْبَحْرَ، جَاوَزُوا الْقُطْبَ، فَأَتَوْا * مَوْقِعَ النَّيِّرَيْنِ خَاضُوا الظَّلَامَا

- (١) السَّلْعَةُ : المتاع المتجرفه . والخطب الجسم : العظيم . (٢) طاويا : جائعا .
 والقتار (بالضم) : ريح الشواء . والخزاي : نوع من الرياحين ، وزهره من أطيب الأزهار نفعه .
 يقول : إن ريح ذاك الزهر أقل شأنا عنه من ريح الشواء لحاجته الى الثاني دون الأول .
 (٣) الإددام : ما يؤكدم به . (٤) الربا : مرتفعات الأرض ، الواحدة ربوة .
 وتعاف : تكره . (٥) باراه : جاره . وفعل مثل فعله .

يَمْتَطُونَ الْخُطُوبَ فِي طَلَبِ الْعَيْدِ * يَشِ وَيَبْرُونَ لِلنِّصَالِ السَّهَامَا
 وَبُنُومِضَرَ فِي حِمَى النَّيْلِ صَرَغَى * يَرْقُبُونَ الْقَضَاءَ عَامًا فَعَامَا
 أَيُّهَا النَّيْلُ كَيْفَ تُنْمِي عِطَاشًا * فِي بِلَادٍ رَوَّيَتْ فِيهَا الْأَنَامَا^(١)
 يَرِدُ الْوَاعِلُ الْغَرِيبُ فَيَرَوَى * وَبُنُوكَ الْكَرَامُ تَشْكُو الْأَوَامَا^(٢)
 إِنَّ لَيْنَ الطَّبَاعِ أَوْزَنَّا الذُّلَّ * وَأَغْرَى بِنَا الْجُنَاةَ الطُّغَامَا
 إِنَّ طِيبَ الْمَنَاجِ جَرَّ عَلَيْنَا * فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ ذَاكَ الرَّحَامَا
 أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ رَفَقَا بِقَوْمٍ * قَيَّدَ الْعَجْزُ شَيْخَهُمُ وَالْعُلَامَا^(٣)
 وَأَغْيَثُوا مِنَ الْغَلَاءِ نَفُوسًا * قَدْ تَمَّتْ مَعَ الْغَلَاءِ الْجَمَامَا^(٤)
 أَوْشَكْتَ تَأْكُلُ الْهَيْدَ مِنَ الْفَقْدِ * بِرٍ وَكَادَتْ تَذُودُ عَنْهُ النَّعَامَا^(٥)
 فَاعْبُدُوا لَنَا الْمُكُوسَ فَإِنَّا * قَدْ رَأَيْنَا الْمُكُوسَ أَرْخَى زِمَامَا^(٦)
 ضَاقَ فِي مِضَرٍ قِسْمُنَا فَاعِزُّوْنَا * إِنَّ حَسَدَنَا عَلَى الْجَلَاءِ الشَّامَا
 قَدْ شَقِينَا — وَتَحْنُ كَرَمْنَا الذُّلَّ * هُ — بَعْضُ يَكْرُمُ الْأَنْعَامَا

(١) الواغل : الذى يدخل على القوم فى طعامهم وشرايهم دون أن يدعى . والأوام :
 شدة العطش . (٢) الطغام (بالفتح) : أرغاد الناس وأراذلهم .

(٣) الجمام (بكسر الجاء) : الموت . (٤) الهيد : حب الخنظل . وتذود : تدفع
 وتمنع . وخص النعام لأنها تأكل هذا الهيد . (٥) المكوس : ضرائب كانت تؤخذ على السلع
 الواردة لتبايع فى المدن ، وكان يتألى فى فرضها . والزمام : ما تزم به الدابة ، أى تقاد . ويريد بقوله :
 «أرخص زماما» : أن عهد المكوس كان أيسر على الناس وأهون . (٦) القسم (بالكسر) :
 التصيب من الرزق . ويريد «بالجلاء» : انتقال القوم من أوطانهم إلى أوطان أخرى طلبا للرزق .

أضرحه الأولياء

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرْزَقُونَ بِدِرْهِمٍ * وَبِأَلْفِ أَلْفِ تُرْزَقُ الْأَمْوَاتُ
 مَنْ لِي بِمَحْظِّ النَّائِمِينَ بِخُفْرَةٍ * قَامَتْ عَلَى أَحْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
 يَسْعَى الْأَنَامُ هَا، وَيَجْرَى حَوْلَهَا * بَحْرُ النُّدُورِ، وَتُقْرَأُ الْآيَاتُ
 وَيُقَالُ: هَذَا الْقُطْبُ بِأَبِ الْمُصْطَفَى * وَوَسِيلَةُ تُقْضَى بِهَا الْحَاجَاتُ

وقال على لسان طفلة :

أَخْشَى مُرَيَّتِي إِذَا * طَلَعَ النَّهَارُ وَأَفْزَعُ
 وَأَظْلَلَ بَيْنَ صَوَاحِي * لِعِقَابِهَا أَتَوَقَّعُ
 لَا الدَّمْعُ يَشْفَعُ لِي وَلَا * طُولُ النَّضْرِ يَنْفَعُ
 وَأَخَافُ وَإِلَدِي إِذَا * جَنَّ الظَّلَامُ وَأَجَزَّعُ
 وَأَيْبْتُ أَرْقُبُ الْجَزَا * ءَ وَأَعْيُنِي لَا تَهْجَعُ
 مَا ضَرَّنِي لَوْ كُنْتُ أَسَدَ * تَمِيعُ الْكَلَامِ وَأَخْضَعُ
 مَا ضَرَّنِي لَوْ صُنْتُ أَثَدَ * بَوَابِي فَلَا تَنْقَطَعُ
 وَحَفِظْتُ أَوْرَاقِي بِحَجٍّ * فَظَنَنْتِي فَلَا تَتَوَزَّعُ
 فَأَعِيشُ آمِنَةً وَأَمَّ * رَعُ فِي الْهَنَاءِ وَأَرْتَعُ

السِّيَاسِيَّاتُ

العلبان المصري والانجليزى فى مدينة الخرطوم

(١)

رَوَيْدَكَ حَتَّى يَحْفِقَ الْعَلَمَانِ * وَتَنْظُرَ مَا يَجْرِى بِهِ الْفَتَيَانِ

(٢)

فَمَا مِصْرُكَالسُّودَانِ لُقْمَةٌ جَائِعٍ * وَلَكِنَّهَا مَرْهُونَةٌ لِأَوَانِ

(٣)

دَعَانِ وَمَا أَرَجَفْتُمَا بِاحْتِمَالِهِ * فَإِنِّى بِمَكْرِ الْقَوْمِ "شَقُّ" زِمَانِى

(٤)

أَرَى مِصْرَ وَالسُّودَانَ وَالْهِنْدَ وَاحِدًا * بِهَا اللَّزْدُ وَالْفَيْكُنْتُ يَسْتَبِقَانِ

(٥)

وَأَكْبَرُ ظَنِّى أَنَّ يَوْمَ جَلَائِهِمْ * وَيَوْمَ تُشَوِّرُ الْخَلْقُ مُقْتَرِنَانِ

(٥)

إِذَا غَاضَتِ الْأَمْوَاهُ مِنْ كُلِّ مُزِيدٍ * وَخَرَّتْ بُرُوجُ الرَّجْمِ لِلْحَدَثَانِ

(١) الفتیان : اللیل والنهار . مخاطب ماحبه یقول : تمهل حتى یحقق علی السودان العلبان ، ویکل للإنجلیز تملکة ، فإنهم بعد سیملکون مصر کا ملکوا السودان .

(٢) یشیر بهذا البیت الی توقع أخذ مصر کا أخذ السودان ، وأن الاستیلاء علیها لیس فی مہولۃ الاستیلاء علیہ ، ولكن ذلك مرهون بالوقت الملائم .

(٣) ما أریفتما ، أى ما خضبتا فیہ من القول الذى لم یصح . و باحتماله ، أى باحتمال وقوعه وتحققہ ؛ وهو جلاء الإنجلیز عن مصر . ورید «بالقوم» : الانجلیز . وشق (یکسر الشین) : کاهن عربی قديم اشتر بمعرفة الغیب ، وكان فی زمن کسرى أنوشروان . (٤) يوم التشور : يوم القیامة .

(٥) غاض الماء : قل فنضب . والأمواء : جمع ماء . والمزید : البحر یقذف بالزید . والحدثان (محركة) : اسم بمعنی حوادث الدهر وفوائیه .

(١) وَعَادَ زَمَانُ السَّمْهَرِيِّ وَرَبِّهِ * وَحُكْمَ فِي الْهَيْبَاءِ كُلِّ يَمَانِي
(٢) هُنَاكَ أَذْكُرَا يَوْمَ الْجَلَاءِ وَنَبَّهَا * نِيَامًا عَلَيْهِمْ يَنْدُبُ الْهَرَمَانِ

إلى مولاي عبد العزيز سلطان مراکش

فأله وقد اقترح المؤيد مل الشعراء أن ينظموا في عتاب مولاي عبد العزيز سلطان مراکش

[نشرت في ٤ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

(٣) (عبد العزيز) لقد ذكّرنا أمّا * كانت جوارك في لميوفي طرب
ذكّرنا يوم ضاعت أرض أندلس * الحرب في الباب والسلطان في اللعيب
(٤) فاحذر على التفت أن تبسرى الخراب له * فتتخ (سلطنة) أعدى من الحرب

(١) السمهرى : الرمح الصلب . أو هو المنسوب الى رجل من العرب اسمه سمهر ، كان مشهورا بصنع الرماح . والهيباء : الحرب . واليماني : السيف ، نسبة الى اليمن ، لأن أجود السيوف كان يصنع بها .
(٢) هناك اذكرا : جواب «لإذا» في البيت السابق . يقول : اذا ظهرت أمارات الساعة من غيض مياه البحار ... الخ ، أو وقع المستحيل ، فساد الزمن الى سيرة الأولى أيام كان القتال بالسيوف والرماح فانتظروا اذ ذاك خروج الإنجليز من مصر .

(٣) عبد العزيز سلطان مراکش ، هو ابن السلطان مولاي الحسين ، وكان مولده سنة ١٢٩٦ هـ . تولى الملك بعد وفاة أبيه في ٤ ذى الحجة سنة ١٣١١ هـ ، ثم خلع في سنة ١٣٢٦ هـ وسنة ١٩٠٨ م . وكان معروفا بالإخلاص الى المحزون واللاهون ، حتى إنه بعث الى مصر في طلب جماعة من المطربين والمطربات ، فساووا اليه جماعة منهم ، فأفكر عليه المسلون فضله ، لاسميا مصر ، وكتب الصنف مستهجة هذا الصنيع من سلطان مسلم ، وأكثر الشعراء في ذلك من المقطعات الطريفة .

(٤) يريد « بالتفت » الأول في هذا البيت : سرير السلطان ، وهو معزب . وباللاني : تحت الغناء ، تسمية عامية . وسلطنة : منية كانت من المغنيات المشهورات في مصر في ذلك العصر ، وكانت بين مينة الغناء التي سافرت الى سلطان مراکش .

غادة اليابان

نمعتها غرامه بغادة يابانية ، وأثاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينا وبين روسيا

[نشرت في ٦ أبريل سنة ١٩٠٤ م]

- (١) لا تَلَمْ كَفِّي إِذَا السَّيْفُ نَبَا * صَحَّ مَنِّي الْعَزْمُ وَالْدَّهْرُ أَبِي
رُبَّ سَاجٍ بُصِيرٍ فِي سَعِيهِ * أَخْطَا التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَا
(٢) مَرَحِبًا بِالْحَطْبِ يَلُونِي إِذَا * كَانَتِ الْعِلْيَاءُ فِيهِ السَّيْبَا
(٣) عَقْنِي الدَّهْرُ وَلَوْلَا أَنِّي * أَوْزُرُ الْحُسْنَى عَقَقْتُ الْأَدْبَا
(٤) إِلَيْهِ يَا دُنْيَا أَجْبِسِي أَوْ فَا بَسِمِي * لَا أَرَى بَرَقَكَ إِلَّا حُلْبَا
أَنَا لَوْلَا أَنْتَ لِي مِنْ أُمْتِي * خَاذِلًا مَا يَثُ أَشْكُو النَّوْبَا
(٥) أُمَّةٌ قَدَقَتْ فِي سَاعِدِهَا * بَغَضُهَا الْأَهْلَ وَحُبُّ الْغُرْبَا
تَعَشَّقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعُلَا * وَتُفَدِّي بِالنُّفُوسِ الرُّتْبَا
(٦) وَهِيَ وَالْأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا * تَعَشَّقُ اللَّهُو وَتَهْوَى الطَّرْبَا
(٧) لَا تُبَالِي لَعِبِ الْقَوْمِ بِهَا * أَمْ بِهَا صَرُفُ اللَّيَالِي لَبَا

- (١) نبا السيف : كل وأرتد . (٢) ييلول : يختبرني . (٣) عقه : ترك الاحسان اليه ولم يبره . يقول : إن الدهر لم يصفني ، والجاني على هو أدبي ؛ ولولا أنني أرتد الاحسان لمجبرت الأدب الذي كان سببا في شقائي . (٤) البرق الخلب : الذي يلطم الناس في مطره ويخلفهم . (٥) فت في ساعدها : عبارة يكتفى بها عن الإضعاف وإيهان القوى . (٦) والأحداث تستهدفها ، أي أن حوادث الدهر تجملها هدفا لما ترميه . (٧) يريد « بالقوم » : الانجليز . ومروء البالي : غيرها ونوااتها . أي أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .

- (١) لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةَ * ذَاتِ شَجْوٍ وَحْدِيئًا عَجَبًا
 (٢) كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي غَادَةً * وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مَا وَهَبَا
 ذَاتَ وَجْهِ مَرْجَ الحُسْنِ بِهِ * صُفْرَةً تُنْسِي اليَهُودَ الذَّهَبَا
 حَمَلْتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَأًا * لَا رَعَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَا
 (٣) وَأَتَتْ تَخْطُرُ وَاللَّيْلُ فَتِي * وَهِلَالُ الْأَفْقِ فِي الْأَفْقِ حَبَا
 (٤) ثُمَّ قَالَتْ لِي بِشْفَرٍ بِاسْمِ * نَظَّمَ الدَّرْبُ بِهِ وَالْحَبِيَا
 (٥) تَبْكُونِي بِرَحِيلٍ عَاجِلِ * لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا
 (٦) وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أُغْتَدِي * عَلَّيْ أَقْضَى لَهُ مَا وَجَبَا
 (٧) نَذِجْتُ الدُّبَّ وَنَفَرِي جِلْدَهُ * أَيُّظُنُّ الدُّبَّ إِلَّا يُغْلَبَا
 (٨) قُلْتُ وَالْآلَامُ تَقْرِي مُهَجَّتِي: * وَيَكُ! مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الطُّبَا؟
 مَا عَيْدُنَا هَا لَطْفِي مَسْرَحًا * يَتَنِي مَلَهَى بِهِ أَوْ مَلَعَا
 (٩) لَيْسَتْ الْحَرْبُ نُفُوسًا تُشْتَرَى * بِالْمَتْنَى أَوْ عُقُولًا تُسْتَيَّ

- (١) يقال : شجاء شجوا، اذا هيج أجزائه وشقوه . (٢) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .
 (٣) والليل فتى ، أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبو فى مهده .
 (٤) الحب : الفقايع التى تملأ سطح الماء ، شبه بها الأسنان فى بياضها . (٥) المنقلب :
 العودة والرجوع . (٦) أغتدى ، أى أبادر بمكة للدفاع عنه . (٧) الدب : رمز تعرف
 به روسيا ، كما تعرف إنجلترا بالأسد ، واليابان بالتمين ، وألمانيا بالنسر . ونفى : ويشير بهذا البيت
 الى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر
 سنة ١٩٠٥ م . (٨) الطبا : الأطباء ، وقصر الشعر . (٩) تستنى : تؤسر بالحب .

- (١) أَحْسَبْتُ الْقَدَّ مِنْ عُدَّتِهَا * أَمْ ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشَّيْءِ؟
 (٢) فَسَلِّينِي ، إِنِّي مَارَسْتُهَا * وَرَكِبْتُ الْهَوَلَ فِيهَا مَرْكَبًا
 (٣) وَتَقَحَّمتُ الرَّدَى فِي غَارَةٍ * أَسْدَلَ النَّعْصُ عَلَيْهَا هَيْدَبًا
 (٤) قَطَبْتُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْمَا لَنَا * فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطْبًا
 (٥) جَالَ عِزْرَائِيلُ فِي أُنْحَاهَا * تَحْتَ ذَاكَ النَّعْصِ يَمْشِي الْهَيْدَبِي
 (٦) فَدَعَيْهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا * وَالزَّمَى يَاطِيَّةَ الْبَانِ الْجَبَا
 (٧) فَأَجَابَنِي بِصَبُوتٍ رَاعِنِي * وَأَرْتَنِي الظُّبَى لَيْثًا أَغْلَبَا
 إِنَّ قَوْمِي اسْتَعَذَّبُوا وَرَدَّ الرَّدَى * كَيْفَ تَدْعُونِي إِلَّا أَشْرَبَا؟
 (٨) أَنَا يَا بَانِيَّةُ لَا أَنْتَنِي * عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذُوقَ الْعَطْبَا
 (٩) أَنَا إِنَّمَا لَمْ أَحْسِنِ الزَّمَى وَلَمْ * تَسْتَطِعْ كَفَايَ تَغْلِيْبَ الظُّلْبَا

- (١) القد : القامة . والشبا : جمع شباة ، وهي حد السنان . (٢) مارسها : عاينها .
 (٣) تقحمت الردى : رمت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدل من أسافله . وإثارة الغبار وكثرة ارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكرو والفر فيها .
 (٤) التقطبت : العبوس . والضمير فى «قطبت» للغارة . (٥) الهيدبي (بالهمزة) : نوع من المشى فيه جد . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل من الأرواح فى هذه الحرب .
 (٦) البان : شهر سبط القوام لين ، ووجه كورق الصفصاف ، تألقه الغلبا . والجبأ (بالقصر) : الخباء (بالمد) ، وقصر للشعر . ووجه فى الأصل : البيت من وبرأوصوف ، ويريد به البيت عامة .
 (٧) راعنى : أفرغنى . والأظب من السباع : الغليظ الرقبه ، وهى علامة للقوة . يقول : إنها غضبت من تقصه لها ، وأنها لا تصلح للحرب ، فأجابته بصوت أفرغه لشدة وقوته ، واستعالت من ظمى وادع إلى أسد قوى . (٨) العطب : الهلاك . (٩) الغلبا : جمع غلبة (بضم الأول) وهى حد السيف أو السنان .

(١) أَخَذُمُ الْجَرْحَى وَأَقْضَى حَقَّهُمْ * وَأَوَّيَسَى فِي الْوَعَى مَنْ نُكِبَا
(٢) هُكَذَا (الْمِيكَادُ) قَدْ عَلِمْنَا * أَنْ تَرَى الْأَوْطَانَ أَمَا وَأَنَا
مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ * أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا
(٣) وَإِذَا مَارَسْتَهُ أَلْفَيْتَهُ * حَوْلًا فِي كُلِّ أَمْرِ قُلُوبَا
كَانَ وَالتَّاجِ ضَغِيرَيْنِ مَعَا * وَجَلَّالُ الْمُلْكِ فِي مَهْدِ الصَّبَا
فَقَدَا هَذَا سَمَاءَ لِلْعُلَا * وَغَدَا ذَلِكَ فِيهَا كَوْكَبَا
(٤) بَمَثَ الْأُمَّةِ مِنْ مَرْقِدِهَا * وَدَعَاهَا لِلْعُلَا أَنْ تَدَابَا
(٥) فَسَمَتْ لِلْجَدِّ تَبْنِي شَأُوهُ * وَقَضَّتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَارَبَا

(٦) الحرب اليابانية الروسية

[نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٤ م]

(٧) أَمَّا حَاحَةُ الْحَرْبِ أَمْ تَحْشَرُ * وَمَوْرِدُ الْمَوْتِ أَمْ الصَّكُورُ؟
(٨) وَهَذِهِ جُنْدٌ أَطَاعُوا هَوَى * أَرَبَابِهِمْ ، أَمْ نَعَمْ تَحْشَرُ؟

- (١) الوعى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة . (٢) الميكادو : لقب ملك اليابان .
(٣) الحول : الشديداً الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا قتل في أخرى . والقلب : البصير بقلب الأمور .
(٤) تداب : تجدد في طلبها . (٥) الشاؤ : الغاية . (٦) هي تلك الحرب التي نشبت بين اليابان والروس بسبب احتلال الروس منشوريا ، وبدأت بنصف اليابانيين جزءاً من الأسطول الروسى في ميناء بورت آرثر في ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م ، وانتهت في سبتمبر سنة ١٩٠٥ م بصلح اعترف فيه بنفوذ اليابان في كوريا ، وبجلاء الروس من منشوريا ، وبشروط أخرى في صالح اليابانيين . (٧) الكور : التهر ، وسمى به نهر في الجنة . شبه (في الشطر الأول) كثرة المتحاربين وأزدحامهم على القتال بازدهام الناس يوم المحشر ؛ وشبه في الشطر الثاني استعذاب الناس للموت باستعذابهم للكور . (٨) النعم : الإيل والشاء واليقر . يريد أن الأرواح قد رخصت في هذه الحرب وكثر القتل في الجنود حتى لم تبق إن كان هؤلاء بشرا يجب حقن دماهم أو أوصافهم تحر .

لِلَّهِ مَا أَقْسَى قُلُوبَ الْآلِي * قَامُوا بِأَعْمَارِ الْمُلُوكِ وَاسْتَأْتَرُوا !
 (١)
 وَغَرَّهُمْ فِي الدَّعْرِ سُلْطَانُهُمْ * فَامْنَعُوا فِي الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرُوا
 (٢)
 قَدْ أَقْسَمَ الْبَيْضُ بِضُلْبَانِهِمْ * لَا يَهْجُرُونَ الْمَوْتَ أَوْ يَنْصُرُوا
 (٣)
 وَأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأَوْتَانِهِمْ * لَا يَغْمِدُونَ السَّيْفَ أَوْ يَنْظُرُوا
 (٤)
 فَادَّت الْأَرْضُ بِأَوْتَادِهَا * حِينَ اتَّقَى الْأَبْيَضُ وَالْأَصْفَرُ
 وَأَتَمَّتْهَا تَحْمَرَةً مِنْ دَمٍ * يَلْهُو بِهَا (الْمِيكَادُ) وَالْقَيْصَرُ
 (٥)
 وَأَشْبَهَتْ يَوْمَ الْوَعَى أُخْتَهَا * إِذْ لَاحَ فِيهَا الشَّقِيُّ الْأَحْمَرُ
 (٦)
 وَأَصْبَحَتْ تَشْتَاقُ طُوفَانَهَا * لَعَلَّهَا مِنْ رَجِيمِهَا تَطْهَرُ
 (٧)
 أَشْبَعَتْ يَأْخَرُ بِذَنَابِ الْقَلَا * وَغَضَبَتِ الْعِقَابُ وَالْأَنْسَرُ
 (٨)
 وَمِيرَاتِ الْحَيْتَانُ فِي بَحْرِهَا * وَمَطْمَعُ الْإِنْسَانِ لَا يُقْدَرُ
 (٩)
 إِنْ كَانَ هَذَا الدُّبُّ لَا يَنْتَقِي * وَذَلِكَ التَّنِينُ لَا يَقْهَرُ

- (١) آمن : بالغ وأبد . (٢) يريد «بالبيض» : الروس .
 (٣) يريد «بالصفر» : اليابانيين . (٤) مادت : تحركت واضطربت . وأوتاد الأرض :
 جبالها . (٥) الضمير في «أشبت» للأرض . ويريد «بأختها» : السماء .
 (٦) الرجس : النجس . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول الممرى :
 والأرض للطوفان مشتاقة * لعلها من دون تغسل
 (٧) غصت : امتلأت ونمت . والعقاب : جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح . والأنسر : جمع
 نسر . يشير إلى كثرة ما تأكل هذه الجوارح والوحوش من جثث القتلى . (٨) ميرت ، أتى لها
 بالمية ، أى بالطعام من جثث القتلى . ولا يقدر ، أى لا يحمد ولا يقبى . (٩) التنين : الحية
 العظيمة . ويشير (بالدب) إلى روسيا ، و(بالتنين) إلى اليابان .

والبيضُ لا تَرْضَى بِخِذْلَانِهَا * والصُّقْرُ بعدَ اليومِ لا تُكْسَرُ
 فَمَا لِيْلِكَ الْحَرْبِ قَدْ شَمَرَتْ * ^(١) عَنْ سَاقِهَا حَتَّى قَضَى الْعَسْكَرُ
 سَأَلَتْ نَفُوسُ الْقَوْمِ فَوْقَ الظُّبَا * ^(٢) فَسَأَلَتْ الْبَطْحَاءُ وَالْأَنْهَارُ
 وَأَصْبَحَتْ (مَكْدُنُ) يَأْقُوتَةُ * ^(٣) يَفَارُ مِنْهَا الدَّرُّ وَالْجَوْهَرُ
 يَأْقُوتَةُ قَدْ قُومَتْ بَيْنَهُمْ * ^(٤) بِأَنْفُسٍ كَالْقَطْرِ لَا تُخْصَرُ
 أَهْمَى رَسُولُ الْمَوْتِ مَا بَيْنَهَا * حَيْرَانَ لَا يَدْرِى بِمَا يُؤْمَرُ
 عِزْرِيْلُ نَهْلٌ أَبْصَرَتْ فِيمَا مَضَى * وَأَنْتَ ذَاكَ الْكَئِيسُ الْأَمْهَرُ
 كَذَلِكَ الْمِدْفَعُ فِي بَطْشِهِ * ^(٥) إِذَا تَعَالَى صَوْتُهُ الْنُسْكُ
 تَرَاهُ إِنْ أَوْقَى عَلَى مُهْجَةٍ * ^(٦) لَا الدَّرْعُ يَنْقِيهِ وَلَا الْمِغْفَرُ
 أَمْسَى (كُرُوبَتَكَيْنِ) فِي غَمْرَةٍ * ^(٧) وَبَاتَ (أَوِيَامَا) لَهُ يَنْظُرُ

- (١) قضى : هلك . ويريد الشاعر بهذا البيت والبيتين اللذين قبله أن الدولتين إذا كانتا قد تكافأتا في الشجاعة والقوة ، وصممتا كئاثما على ألا تخذل ، فقيم الحرب وإراقة الدماء ، والحرب لا تقوم إلا حيث يكون متعصرا ومنهزم . (٢) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو السنان . والبطحاء : مسيل الماء فيه دفاق الحصى ، ويريد به هنا : الفضاء المنسع . (٣) مكدن : مدينة مشهورة في منشوريا ، وكانت بها الموقعة الفاصلة التى بدأت بيوم ٦ مارس سنة ١٩٠٥ م . واستمرت خمسة أيام ، وبلغ مجموع ما خسره الفريقان فيها عشرين ومائة ألف مقاتل ، بين قتيل وجريح ، وأمروها من الروس أربعون ألفا . يقول : إن هذا البلد قد غلقت أرضه بالدماء حتى أصبحت كأنها ياقوتة حمراء ترى بالدر والجوهر . (٤) يريد « بالأفس » فى هذا البيت : من قتل فى هذه المدينة من الفريقين . (٥) كذلك ، متعلق « بأبصرت » . (٦) أوقى : أشرف . والمغفر : زود بلبس تحت الفلسوة . (٧) كروبأتكين : قائد الروس فى تلك الحرب . وأوياما : قائد اليابان . والغمرة : الشدة التى تغمر الناس ، أى تعهم وتشلهم .

وطلَّت (الرؤس) على جَمْرَةٍ * والمجدُّ يدعُوهم ألا قاصِرُوا
 وَذَلِكَ الْأَسْطُولُ مَا خَطْبُهُ * حَتَّى عَرَهُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ^(١)
 أَكَلْنَا لَاحَ لَهُ سَائِحُ * تَحْتَ الدُّبَى أَوْ قَارِبٌ يَخْرُ^(٢)
 ظَنُّ بِهِ (طُوجُو) فَأَهْدَى لَهُ * نَحِيَّةً (طُوجُو) بِهَا أَخْبَرُ^(٣)
 نَحِيَّةً مِنْ وَاحِدٍ شَيْقٍ * أَنْفَاسُهُ مِنْ حَرِّهَا تَزْفِرُ^(٤)
 فَهَلْ دَرَى الْقَيْصَرُ فِي قَصْرِهِ * مَا تُعْلِنُ الْحَرْبُ وَمَا تُضْمِرُ^(٥)
 فَكَمْ قَتِيلَ بَاتَ فَوْقَ الثَّرَى * يَنْتَابُهُ الْأُظْفُورُ وَالْمِنْسَرُ^(٦)
 وَكَمْ جَرِيحٍ بَاسِطٍ كَفَّهُ * يَدْعُو أَخَاهُ وَهُوَ لَا يُبْصِرُ
 وَكَمْ غَيْرِي رَاحَ فِي لُجَّةٍ * يَهْوِي بِهَا الطُّودُ فَلَا يَظْهَرُ^(٧)
 وَكَمْ أَسِيرَ بَاتَ فِي أَسْرِهِ * وَنَفْسُهُ مِنْ حَسْرَةٍ تَقْطُرُ
 إِنْ لَمْ تَرَوْا فِي الصَّلَاحِ خَيْرًا لَكُمْ * فَالْدَهْرُ مِنْ أَطْعَامِكُمْ أَقْصَرُ

- (١) يريد «الأسطول» : أسطول روسيا . (٢) يخمر : يشق عباب الماء .
 (٣) طوجو : أمير من أمراء البحر اليابانيين المعروفين بالقوة، وهو الذي نسف أسطول بحر البلطيق
 الروسي في موقعة تسوشيا في ٢٧ مايو سنة ١٩٠٥م، وقضى بذلك على كل أمل لروسيا في هذه الحرب .
 (٤) يريد «بالواجد الشيق» : المدفع . ويريد «بالنحية» : ما يصبه المدفع على السفينة من مقذوفاته ؛
 ولا يخفى ما في هذا من الاتهام . (٥) يقول : هل علم القيصر وهو نائم مطمئن في قصره
 بويلات الحرب، ما ظهر منها وما بطن، فينبه ذلك عن إثارته والاستمرار فيها . (٦) الأظفود :
 الظفر . والمنسر (كجلس ومنبر) : متقار الطائر . يقول : إن القتلى أصبحوا فوق الثرى نهباً للباح القهترمة
 والطيور الكاسرة . (٧) اللجة : منغم البحر . والطود : الجبل العظيم . يصف اللجة بالصق بحيث
 لو هوى فيها الجبل لم يظهر .

تَسُوهُنَا الْحَرْبُ وَإِنْ أَصْبَحَتْ * تَدْعُو رِجَالَ الشَّرْقِ أَنْ يَفْخَرُوا
أَتَى عَلَى الشَّرْقِ حِينٌ إِذَا * مَا ذُكِرَ الْأَحْيَاءُ لَا يُذَكَّرُ
وَمَرَّ بِالشَّرْقِ زَمَانٌ وَمَا * يَمُرُّ بِالْبَالِ وَلَا يَخْطُرُ
حَتَّى أَعَادَ (الصُّفْرُ) أَيَّامَهُ * فَانْتَصَفَ الْأَسْوَدُ وَالْأَسْمَرُ
فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى أُمَّةٍ * يَرَوِي لَهَا التَّارِيخُ مَا يُؤَثِّرُ^(١)

الى الامبراطورة أوجيني^(٢)

نظم هذه القصيدة إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشراء أن ينظموا في هذه الامبراطورة، ويوازنوا بين مجيئها إلى مصر متكرة تنزل في فندق سافواى بيورسيد، ومجيئها قبل ذلك في سنة ١٨٦٩ في افتتاح قناة السويس، واستقبال الخديوى اسماعيل إياها استقبالا نفعا .

[نشرت في ٢٦ يناير سنة ١٩٠٥ م]

أَيْنَ يَوْمُ (القَسَالِ) يَا رَبَّةَ النَّا * سَجَّ وَيَا شَمْسَ ذَلِكَ الْمِهْرَجَانِ؟^(٣)
أَيْنَ مَجْرَى الْقَسَالِ أَيْنَ مُيْتُ ال * حَالِ أَيْنَ الْعَزِيزُ ذُو السُّلْطَانِ؟^(٤)

(١) يريد «الأمة» هنا : مصر - ينحصر عليها ويندب ما ضحا .

(٢) ولدت أوجيني في غرماطة في ٥ مايو سنة ١٨٢٦ م - وفي ٣ يناير سنة ١٨٥٣ تزوجها نابليون الثالث ، وكانت حين حضر ال مصر لافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ؛ وقد اتفق الخديوى اسماعيل باشا في استقبالها الكثير من المال ؛ وبعد وفاة زوجها هجرت فرنسا إلى إنجلترا ، ثم تركت إنجلترا إلى مدييد ، وبها ماتت في ١١ يولييه سنة ١٩٢٠ م .

(٣) المهرجان : عيد الفرس ، ويطلق الآن على كل عيد .

(٤) مجرى القنال ، يريد اسماعيل باشا الخديوى . وإمالة المال : تكلمة عن الإراف والانتساع في البذل .

- (١) ابن هارون مضر؟ ابن أبو الأشد * بيا لرب القصور رب القيان؟
- (٢) ابن ليث الجزيرة (ابن علي) * وإهب الألف مكرم الضيفان؟
- أين ذا القصر بالجزيرة تجرى * فيه أرزاقنا وتعبو الأماني؟
- (٣) فيه للنخس كوكب مسرع السد * يرول السعد كوكب متواني
- (٤) قد جرى النيل تحته بمشروع * وأنكسار وهابته الفتيان
- كنت بالأمس جنة الحور يا قصص * رفا أصبحت جنة الحيوان
- (٥) خطر الليث في فنائك يا قصص * روقد كنت مسرحة للسان
- (٦) وعوى الذئب في نواحيك يا قصص * روقد كنت معقلا للسان
- (٧) وحباك الزوار بالمال يا قصص * روقد كنت مصدر الإحسان
- كنت تعطى ، فالألم اليوم تعطى * أين بانيك؟ أين رب المكان؟
- إن أطافت بك الخطوب فهدي * سنة الكون من قديم الزمان

(١) هارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف ، وشبه به إسماعيل في ترفه وبجاهه ، دعة سلطانه ، وما حفلت به أيامه من مجالس اللهو والفناء ، وما عرف به من كرم وسخاء . والأشبال : أولاد إسماعيل . والقيان : الإماء المغنيات .

(٢) يشير بقوله : «ليث الجزيرة» الى أن إقامة إسماعيل كانت بقصر الجزيرة الذي صار حديقة الحيوان ، كما يشير الشاعر الى ذلك بعد . وابن علي ، لأنه حفيد محمد علي .

(٣) يريد أن صاحب هذا القصر اذا غضب فسرطان مايزول غضبه ، وإذا أقبل طال إقباله ، فكانه في غضبه كوكب نحس ما طلع حتى غاب ، وفي رضاء كوكب سعد طويل الإقامة ، على السير .

(٤) الفتيان : الليل والنهار ؛ يريد الدهر .

(٥) الفناء : الساحة . (٦) معقل للننان ، أى حابس له عن الكلام هيئة لمصاحب القصر

(٧) حباه : أعطاه . يشير الى مايدفعه كل داخل الى حديقة الحيوان .

- (١)
رُبَّ بَابٍ نَأَى، وَرُبَّ بِنَاءٍ * أَسَلَّمْتَهُ النَّوَى إِلَى غَيْرِ بَانِي
(٢)
تلك حَالُ الْإِيوَانِ يَا رَبَّةَ السَّاءِ * جَ مَا حَالُ صَاحِبِ الْإِيوَانِ؟
(٣)
قَدْ طَوَاهُ الرَّدَى وَلَوْ كَانَ حَيًّا * لَمَشَى فِي رِكَائِكَ الثَّقْلَانِ
(٤)
وَتَوَلَّتْ حِرَاسَةَ الْمَوْكِيبِ الْأَمْسَ * نَحَى نَجْمُ السَّمَاءِ وَالنَّيِّرَانِ
إِنْ يَكُنْ غَابَ عَنِّ جَبِينِكَ تَاجُ * كَانَ بِالْفَرْبِ أَشْرَفَ التَّجَانِ
فَلَقَدْ زَانِكَ الْمَشِيبُ بَتَاجُ * لَا يُدَانِيهِ فِي الْجَلَالِ مُدَانِي
ذَلِكَ مِنْ صَنَعَةِ الْأَنَامِ وَهَذَا * مِنْ صِلَعِ الْمُهِيمِنِ الدِّيَانِ
(٥)
كُنْتُ بِالْأَمْسِ ضَيْفَةً عِنْدَ مَلِكٍ * فَأَنْزَلَنِي الْيَوْمَ ضَيْفَةً فِي حَانَ
(٦)
وَأَعِذُّرِينَا عَلَى الْقُصُورِ، كِلَانَا * غَيْرَتَهُ طَوَارِيءُ الْحِدَنَانِ

- (١) نأى : بعد وذهب . والنوى : البعد . يقول : قد يذهب باني الدار ويخلفه عليها من لم يبقها .
(٢) يريد « بالإيوان » : القصر، وهو في الأصل الصفة العظيمة ؛ أجمعى معرب .
(٣) الردى : الهلاك والموت . والثقلان : الإنس والجن . ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى ما كان أعده لما إسماعيل باشا حين حضرت إلى مصر سنة ١٨٦٩ م ، في مهرجان فتح قناة السويس من ضروب الحفاوة والإكرام .
(٤) الأسنى ، من الساء ، وهو الرضة . والنيران : الشمس والقمر .
(٥) الخنان : الحانوت . ويريد به هنا : الفتى . يريد أنها بعد أن كانت تنزل في قصر ملك أصبحت تنزل في الفنادق حيث ينزل عامة الناس .
(٦) القصور : التعمير . والحِدَنَان (بكسر الحاء وسكون الدال) : النوايب ..

عيد تأسيس الدولة العلية

أُنشدها في الحفل الذي أقيم في فندق (الكوتنتال) في مساء الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩٠٦ م

أَيُّحِي مَعَانِيكَ الْقَرِيضُ الْمُهْتَبُ * عَلَى أَكْ صَدْرِ الشَّعْرِ لِلْمَدْحِ أَرْحَبُ
 لَقَدْ مَكَنَ الرَّحْمَنُ فِي الْأَرْضِ دَوْلَةً * لَعْنَانَ لَا تَعْفُو وَلَا تَنْشَعِبُ^(١)
 بَنَاهَا فَظَنَّتْهَا الدَّرَارِي مَنَازِلًا * لِيَذِرَ الدُّجَى بُنَى وَلِلسَّعْدِ تَنْصِبُ^(٢)
 وَقَامَ رِجَالٌ بِالْإِمَامَةِ بَعْدَهُ * فَزَادُوا عَلَى ذَاكَ الْبِنَاءِ وَطَبُّوا^(٣)
 وَرَدُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ عَهْدَ شَبَابِهِ * وَمَدُّوا لَهُ جَاغًا يُرْجَى وَيُرْهَبُ^(٤)
 أَسْوَدَ عَلَى الْبُسْفُورِ تَحْيَى عَرِينَهَا * وَتَرَعَى نِيَامَ الشَّرْقِ وَالْقَرْبِ يَرْقُبُ^(٥)
 مَا وَثَبَتْ تَحْتَ ظِلِّ هِلَالِهَا * كَمَا مَرَّ سَهْمٌ أَوْ كَمَا أَنْقَضَ كَوْكَبُ^(٦)
 إِذَا رَاعَهَا مَسٌّ مِنَ الضَّمِيمِ خَلَّتْهَا * كَنْ رَاغَهُ بِالْمَسِّ سِلَكٌ مُكْهَرَبُ^(٧)
 وَإِنْ هَزَّهَا ذَاكَ الْهِلَالُ لِحَادِثٍ * رَأَيْتَ قَضَاءَ اللَّهِ يَمْشِي وَيَرْكَبُ^(٨)
 إِذَا ضَاعَتِ الْأَحْسَابُ يَوْمًا لِمُعْرِقٍ * فَعُثْنَانُ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ لَهُمْ أَبُ

- (١) عثان ، هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية ، وإليه نسب ؛ ولد سنة ٦٥٦ هـ ،
 ونزل السلطنة سنة ٦٩٩ هـ ، وتوفي سنة ٧٢٦ هـ . وتغلو : تشدرو ونحو . وتنشعب : تنفوخ .
 (٢) الدراري (يتشد يد الباء وخففت للشر) : الكواكب المضيئة العالقة بالياض ، الواحد دري .
 (٣) طنبوا البناء : مكنوه وزادوه منه وقوة . وأصل التطنيب : شدة الخيبة بالأططاب ، وهي الجبال .
 (٤) العرين : مأوى الأسد . (٥) يريد « بهلالها » : رأيها المرسوم فيها الهلال ، وهو
 شعار الدولة العثمانية . (٦) راعها : أقرعها . (٧) يشير بقوله « يمشي ويركب » :
 إلى مشاة الجيش وفرسانه . (٨) المعرق : الذي له عرق وأصل في الكرم .

(١) وإن تاه بالآبَاءِ وَالْبَاسِ وَالِدٌ * فَأَوَّلَى الْوَرَى بِأَتَمِّهِ ذَلِكَ الْمُعَصَّبُ
(٢) فِهَذَا سُلَيْمَانٌ وَقَانُونٌ عِنْدِهِ * عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ بِالتَّبَرِّ يُكْتَبُ
(٣) وَذَلِكَ الَّذِي أَجْرَى السَّفِينِ عَلَى الثَّرَى * وَسَارَ لَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَرَكَبُ
(٤) عَلَى بَابِهِ الْعَالِي هُنَاكَ تَأَلَّقَتْ * سُطُورٌ لِأَقْلَامِ الْجَلَالَةِ تُنَسَّبُ
(٥) هُنَا - فَأَخْفِضُوا الْأَبْصَارَ - عَرْشُ مُحَمَّدٍ * هُنَا الْفَاتِحُ الْغَازِي الْيَكْبِي الْمُدْرِبُ
(٦) وَمَا كَانَ مِنْ (عَبْدِ الْمُجِيدِ) إِذْ أَحْتَمَى * بِأَكْثَافِهِ (كُوشُوطُ) وَالْخَطْبُ غِيْبُ

(١) المعصب : المتج . (٢) سليمان ، هو سليمان القانوني ، السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان ، وهو ابن السلطان سليم . ولد سنة ٨٩٠٠ هـ . وتولى الملك سنة ٨٩٢٦ هـ . ومات سنة ٩٧٤ هـ . وقد لقب بالقانوني لأنه وضع قانونا للدولة تسير على مقتضاه .
(٣) يشير بهذا البيت الى الطريقة التي اتبعها محمد الفاتح في مهاجمة القسطنطينية ، وتسييره سفنه على البر حتى وصل بها الى القرن الذهبي . (٤) تألقت : أضاءت ولمت . (٥) الكبي : الشجاع .
ومحمد ، هو محمد الملقب بالفاتح ، وهو السلطان السابع من سلاطين آل عثمان . ولد سنة ٨٨٣٣ هـ . وتولى الملك سنة ٨٥٥ هـ . وهو في الحادية والعشرين من عمره ، فبادر بالثأب لفتح القسطنطينية . وفي سنة ٨٥٧ هـ - ١٤٥٣ م تم له فتحها ، وتوفي بغاة سنة ٨٨٦ هـ . ومدة ملكه إحدى وثلاثون سنة .
(٦) الغيب : الشديد السواد . وعبد المجيد ، هو السلطان الحادي والثلاثون من سلاطين آل عثمان ، ولد سنة ١٢٣٧ هـ ، وتولى السلطة سنة ١٢٥٥ هـ بعد وفاة أبيه السلطان محمود ، وتوفي سنة ١٢٧٧ هـ ، ومدة جلوسه اثنان وعشرون عاما . ويشير الشاعر بهذا البيت والذي بعده الى ما حدث سنة ١٨٤١ م ، وذلك أن جماعة من الفارين ، مابين بولونيين وبحريين ، التجأوا الى البلاد النمانية ليتمتعوا فيها بالسكون والهدوء ، بعد أن نالهم الشيء الكثير من الظلم والاضطهاد والمذاب على أيدي النمساويين والروس الذين قعموا الثورات الناشئة في بولونيا والمجر ، وكان بين هؤلاء الفارين زعماء مشهورون ، منهم (كوشوط) المجرى المذكور في هذا البيت ، وكان زعيم ثورة يقصد بها تحرير المجر ، فطلبت النمسا والروس من الدولة النمانية تسليمهم ، فرفض ذلك السلطان عبد المجيد بحجة أن هذا التسليم لا تقره شريعة ولا خلق ، وعرضه في ذلك سفير بريطانيا لاذ ذلك ، فكان ذلك سببا لقطع العلاقات بين الدولة النمالية وبين النمسا وروسيا ، ولولا ظهور الأسطولين الإنجليزي والفرنسي في مياه الدردنيل لتفاقم الخطب وقعت الحرب .

(١) يُنَادِيهِمْ : أَمَا تَزِيلِي فِدْوَنَهُ * جَيَاتِي ، وَأَمَا صَارِي فُشْطَبُ
 فَإِنْ كَانَتْ الْحُسْنَى فَإِنِّي سَمَأُهَا * وَإِنْ كَانَتْ الْآخَرَى فُشِدُوا وَجَرُّوا
 (٢) كَذَلِكَ كَانُوا يَسْتَقِرُّونَ فِي الدَّرَا * وَأَعْدَاؤُهُمْ فِي الْغَرْبِ نَشَقُ وَتُنَكَّبُ
 (٣) فَكَمْ طَلَبُوا مِنْهُمْ أَمَانًا فَأَمَّنُوا * وَأَمْسَى لَهُمْ فِي الشَّرْقِ مَسْرَى وَمَسْرَبُ
 (٤) فَكَانَ أَمَانَ الْقَوْمِ وَالشَّرْقُ مَشْرِقُ * فَأَجْحَى أَمْتِيَّازَ الْقَوْمِ وَالشَّرْقُ مَغْرِبُ
 يقولون : فِي هَذِي الرُّبُوعِ تَعْصَبُ * وَآيُ مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ تَعْصَبُ ؟
 (٥) يَا شَرْقُ إِنَّ الْغَرْبَ إِنْ لَانَ أَوْ قَسَا * فِيهِ مِنَ الصَّبَاءِ طَبْعٌ مُدَوَّبُ
 - نَخَفَ بِأَسْهَى فِي الرَّأْسِ وَالرَّأْسُ يَصْطَلِي * وَخَفَ ضَعْفَهَا فِي الْكَأْسِ وَالْكَأْسُ تُطْرِبُ
 (٦) وَيَا غَرْبُ إِنَّ النَّهْرَ يَطْفُو بِأَهْلِهِ * وَيَطْوِيهِ تَيَّارُ الْقَضَاءِ فَيَرْسِبُ
 (٧) أَرَاكَ مَقَرَّ الطَّامِعِينَ كَأَنَّمَا * عَلَى كُلِّ عَرْشٍ مِنْ عُرُوشِكَ (أَشْعَبُ)

(١) الصارم : السيف القاطع . والمنشطب : الذي فيه شطب ، وهي الخطوط والطرائق التي في نعله .

(٢) الدرا : جمع ذروة (بالكسر والضم) ، وهي المكان المرتفع .

(٣) الضمير في « طلبوا » يعود على قوله « أعداؤهم » في البيت السابق . ومنهم ، أي من آل عثمان .

والمسرب : المذهب والطريق .

(٤) يريد « بالقوم » : الأفرنج . ويشير بهذا البيت والذي قبله إلى ما نالوه من بعض سلاطين آل عثمان من منح أعطيت لهم لتيسير سبل التجارة ، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم في بلاد الشرق ، أيام قوة الدولة العثمانية ، ثم صارت هذه المنح بعد ضعفها امتيازات تمسك بها الغربيون وأوذيت بها تركيا ورعاياها .

(٥) الصبهاء : الخمر . (٦) يطفو : يعلو . ويرسب : يهبط ويسفل .

(٧) أشعب : رجل من المدينة كان مولى لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ؛ ويضرب به المثل

في الطمع ، فيقال : « أطلع من أشعب » .

(١) حادثة دنشواي

[نشرت في ٢ يولي سنة ١٩٠٦ م]

(٢) أَيُّهَا الْقَائِمُونَ بِالْأَمْرِ فِينَا * هَلْ نَسِيتُمْ وَلَاءَنَا وَالْوِدَادَا
(٣) خَفَضُوا جَيْشَكُمْ وَنَامُوا هَنِيئًا * وَابْتَغَوْا صَيْدَكُمْ وَجُوبُوا الْبِلَادَا
(٤) وَإِذَا أَعَزَّزْتُمْ ذَاتَ طَوْقٍ * بَيْنَ تِلْكَ الرِّبَا فَيَصِيدُوا الْعِبَادَا
(٥) إِنَّمَا نَحْنُ وَالْحَمَامُ سَوَاءٌ * لَمْ تُفَايِزْ أَطْوَأْنَا الْأَجْيَادَا
(٦) لَا تَنْظُنُّوا بِنَا الْعُقُوقَ وَلَكِنْ * أَرِشْتُونَا إِذَا ضَبَلْنَا الرُّشَادَا
(٧) لَا تُقِيدُوا مِنْ أُمَّةٍ بِقَتِيلٍ * صَادَتْ الشَّمْسُ نَفْسَهُ حِينَ صَادَا
جَاءَ جَهَانُنَا بِأَمْرِ وَجْهْتُمْ * ضِعْفَ ضِعْفَيْهِ قَسْوَةً وَأَشْتِدَادَا

(١) في يوم الأربعاء ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ م ، قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم ، وفصلوا إلى بلدة دنشواي بإقليم الموفية من أعمال مركز تلا ، لصيد الحمام ، وهناك أصيب بعض الأهليين فأصلطوا بالإنجليز ؛ فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت ، فارتت نائرة اللورد كرومر عميد المبرة البريطانية إذ ذاك ، وعقدت المحكمة المختصة لمحاكمتهم ، وكان المدعى العمومي فيها ابراهيم الملباوي بك الهامى المعروف ؛ وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهليين ، وجلد وحبس ثمانية منهم . وقضت الإعدام والجلد في نفس البلد على مرأى ومسمع من أهله ، وكان في ذلك الحكم وفي تنفيذه من القسوة ما أثار الأقس وأطلق ألسنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش في النفوس من أمى وحسرة . (٢) الخطاب في هذا البيت وما يمهده للإنجليز . (٣) جاب البلاد : قطعها . (٤) ذات الطوق : الحمامة المطوقة ، لأن لها طوقا حول عنقها ، وهو لون يخالف سائر لونها . (٥) يريد « بالأطواق » في هذا البيت : أغلال الأمر والاستعداد . والأجباد : الأحقاق ؛ الواحد جيد . (٦) يقال : أقاد الأمير القاتل بالقتيل ، إذا قتله به . ويشير بهذا البيت إلى ما نمرده الأطباء من أن وفاة الضابط الإنجليزي كانت بضربة الشمس ، لا بإصابة أحد .

أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِن صَنِتُمْ بِعَفْوٍ * أَقْصَا أَرَدْتُمْ أَمْ كِيَادَا؟
 أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِن صَنِتُمْ بِعَفْوٍ * أَنْفُوسًا أَصَبْتُمْ أَمْ جَعَادَا؟
 لَيْتَ شِعْرِي أُنْزِلَكَ (مَحْكَمَةُ النَّفْسِ) عَادَتْ أَمْ عَهْدُ (نِيرُون) عَادَا؟^(١)
 كَيْفَ يَحْلُو مِنَ الْقَوِيِّ التَّشْفَى * مِنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إِلَيْهِ الْفِيَادَا؟
 إِنَّهَا مَثَلَةٌ تَشْفُ عَنْ الْغِيَا * وَلسْنَا لِنُظِّقْكُمْ أَنْدَادَا^(٢)
 أَكْرِمُونَا بِأَرْضِنَا حَيْثُ كُنْتُمْ * إِنَّمَا يُكْرِمُ الْجَوَادُ الْجَوَادَا^(٣)
 إِنْ عَشْرِينَ حِجَّةً بَعْدَ نَمِيسٍ * عَلِمْتَنَا السُّكُونُ مَهْمَا تَمَادَى^(٤)
 أُمَّةُ النَّيْلِ أَكْبَرَتْ أَنْ تُعَادَى * مَنْ رَمَاهَا وَاشْفَقَتْ أَنْ تُعَادَى^(٥)
 لَيْسَ فِيهَا إِلَّا كَلَامٌ وَإِلَّا * حَسْرَةٌ بَعْدَ حَسْرَةٍ تَهَادَى

++

أَيُّهَا الْمُدَّعِي الْعُمُومِيُّ مَهْلًا * بَعْضُ هَذَا فَقَدْ بَلَغَتْ الْمُرَادَا^(٦)
 قَدْ صَمِنَا لَكَ الْقَضَاءَ بِمَضِيرٍ * وَصَمِنَا لِنَجْلِكَ الْإِسْعَادَا

(١) تعرف محاكم التنقيش بالقسوة والظلم واضطهاد الناس ومصادرة أملاكهم، ثم إحقاقهم من غير أن تترك لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم؛ وقد استغلت تلك المحاكم في اضطهاد العرب في إسبانيا في آخر أيامهم بها حتى تم جلاؤهم عنها في سنة ١٦٠٩ م. ونيرون، هو الملك الروماني المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد، وما ينسب إليه أنه أحرق مدينة روما، وكان يوم إحراقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها، فيسر هذا المنظر كأنما ينظر إلى رواية تمثل في ملهى من الملاحى. (٢) المثلة (بالضم) : التمثيل . وتشف : تكشف وتبين . والأنداد : النظراء ؛ الواحد ند (بكر النون) . (٣) الحجّة : السنة . (٤) أشفقت : خشيت . (٥) المدعى العمومي : إبراهيم الحلباوى بك . (٦) يشير إلى ما كان يقال من أن الحلباوى بك كان قد وعد بأن يكون بعد من رجال القضاء لدفاعه عن الإنجليز في هذه الحادثة .

فَإِذَا مَا جَلَسْتَ لِلْحُكْمِ فَادْكُرْ * عَهْدَ (مِصْرِ) فَقَدْ شَفَيْتَ الْفُؤَادَا
 (١)
 لَا بَحْرَى النَّيْلُ فِي نَوَاحِيكَ يَا (مِصْرُ) * وَلَا جَادِكَ الْحَبَا حَيْثُ جَادَا
 (٢)
 أَنْتِ أَنْبَتَ ذَلِكَ النَّبْتَ يَا (مِصْرُ) * فَأَصْحَى عَلَيْكَ شَوْكًَا قَدَادَا
 (٣)
 أَنْتِ أَنْبَتَ نَاعِقًا قَامَ بِالْأَمِّ * سِيسَ فَأَدْمَى الْقُلُوبَ وَالْأَكْبَادَا
 (٤)
 إِيَّاهِ يَا مِدرَهَ الْقَضَاءِ وَيَا مَنْ * سَادَ فِي عَقْلَةِ الزَّمَانِ وَشَادَا
 أَنْتِ جَلَادُنَا فَلَا تَنْسَ أَنَا * قَدْ لَيْسْنَا عَلَى يَدَيْكَ الْحِدَادَا

استقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه

بعد حادثة دنشواي^(٥)

[نشرت في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م]

(٦) (قَصْرَ الدَّيَّارَةِ) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُنَا * فَالْشُّرْقُ رِيعَ لَهُ وَضَجَّ الْمَغْرِبُ
 (٧) أَهْلًا بِسَاكِنِكَ الْكَرِيمِ وَمَرْحَبًا * بَعْدَ التَّجِيَةِ إِنِّي أَتَعَتَّبُ
 نَقَلْتُ لَنَا الْأَسْلَاكَ عَنْكَ رِسَالَةً * بَأْنْتُ لَهَا أَحْشَاؤُنَا نَتَلَهَّبُ

(١) الحيا : المطر . (٢) التفتاد : شجر صلب له شوك كالإبر . يخاطب مصر بأنها أحسنت
 إلى بعض أبنائها وبرت بهم ، فأساءوا إليها ووجدوا نعمتها . (٣) يريد « بالناعق » : المدعى
 العموى في هذه القضية . والتعيق (بالعين المهملة ، وفي كتب اللغة أنه بالعين المعجمة أفصح) : صياح
 الغراب . (٤) المدره : خطيب القوم والمتكلم عنهم . (٥) انظر الكلام على الحادثة التي
 وقعت في هذا البلد (في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) . (٦) ريع (بالياء للجهول) :
 من الروع ، وهو الفزع . يخاطب في هذا البيت القصر مریدا صاحبه . (٧) التمتع ، هو تواصف
 المودة ، ومخاطبة المدلين أخلاء هم طالين حسن مراجعتهم ، ولما أكرههم ما كره بعضهم من بعض .

- (١) ماذا أقول وأنت أصدق ناقل * عنا ولكن السياسة تكذب
- (٢) علمتنا معنى الحياة فما لنا * لا نشرب لها وما لك تغضب
- (٣) أقيمت منا أن محس ؟ وإنما * هذا الذي تدعو إليه وتندب
- (٤) أنت الذي يعزى إليه صلاحنا * فيما تقرره لديك وتكتب
- (٥) إن ضاق صدر النيل عما هاله * يوم الحمام فإن صدرك أرحب
- (٦) أوكلما باح الحزين بأنة * أمست إلى معنى التعصب تنسب !
- (٧) رفقا عيّد الدولتين بأمة * ضاق الرجاء بها وضاق المذهب
- رفقا عيّد الدولتين بأمة * ليست بغير ولاها تتعذب
- (٨) إن أرهقوا صيادكم فلعلهم * للقوت لا للمسلمين تعصبوا
- (٩) ولربما ضن الفقير بقوته * ومنا بمهجه على من يغضب

(١) يشير هذا البيت والذي قبله إلى مقتطفات من تقرير اللورد كرومر عن مصر قلها البرق إلى الصحف المصرية ، وفيها يطن على المصريين ويصفهم بأنهم لا يراعون جيلا . (٢) نشرب لها : نتطلع إليها . والأشرباب (في الأصل) : مد المتى للنظر . (٣) ندبه إلى الأمر : دعاه إليه . (٤) يعزى : ينسب . يشير إلى ما كان يكتبه اللورد كرومر في تقاريراته من أنه هو الذي جلب الخير والرفاهية لمصر . (٥) يوم الحمام ، أى يوم صيد الحمام الذى سبب حادثة دنشواى المعروفة . (٦) الأنة : من الأنين ، وهو التآوه . ويشير بهذا إلى ما وجه إلى المسلمين في مصر من التعصب الدينى ، وأن ذلك التعصب كان السبب في قتل الإنجليز في دنشواى . (٧) عيّد الدولتين ، أى عيّد الدولة الإنجليزية والمصرية . (٨) أرهقوا صيادكم : اعتدوا عليه وآذوه . ويريد « بالصياد » : أحد ضباط الإنجليز الذين كانوا يصيدون الحمام في دنشواى ولاق حقه هناك . (٩) ضن : بخل . ومنا بمهجه ... الخ ، أى بذل نفسه في دفع من يغصبه طعامه . ويشير بهذا إلى ما حدث من بعض هؤلاء الصيادين ، حين أطلقوا النار على الحمام فأحرقت بعض أجزان القمح هناك .

فِي (دُشَوَى) وَأَنْتَ عَنَّا غَائِبٌ * لَعَبَ الْقَضَاءِ بِنَا وَعَزَّ الْمَهْرَبُ
 حَسِبُوا النُّفُوسَ مِنَ الْحَمَامِ يَدِيلَةً * فَتَسَايَقُوا فِي صَبِيدِهِنَّ وَصَوَّبُوا^(١)
 نَكَبُوا وَأَقْفَرَتِ الْمَنَازِلُ بَعْدَهُمْ * لَوْ كُنْتَ حَاضِرًا أَمْرَهُمْ لَمْ يَنْكَبُوا
 خَلَيْتُهُمْ وَالْقَاسِطُونَ بِمَرْصِدٍ * وَسَيَّاطُهُمْ وَجَاهُهُمْ تَنَاهَبُ^(٢)
 جُلِدُوا وَلَوْ مَنِيَّتُهُمْ تَلَعَّقُوا * بِجِبَالٍ مِّنْ شُقُوقٍ وَلَمْ يَتَهَيَّبُوا^(٣)
 شُقِقُوا وَلَوْ مُنَحُوا الْخِيَارَ لَأَهْلُوا * بَلَطَى سَيَاطِ الْجَالِدِينَ وَرَحَبُوا^(٤)
 يَتَحَاسَدُونَ عَلَى الْمَمَاتِ، وَكَأُسُهُ * يَبِينُ الشَّفَاءِ وَطَعْمُهُ لَا يَعْذُبُ
 مَوَاتٍ : هَذَا طَائِفٌ مِّنْهُمْ * يَرْنُو، وَهَذَا آجِلٌ يَتَرَقَّبُ^(٥)
 وَالْمُسْتَشَارُ مُكَائِرٌ بِرِجَالِهِ * وَمُعَاجِزٌ وَمُنَاجِزٌ وَمُعْزَبُ^(٦)
 يَخْتَالُ فِي أَتْحَانِهَا مُتَبَسِّمًا * وَالْدَّمْعُ حَوْلَ رِكَابِهِ يَتَصَيَّبُ

(١) يقال : صَوَّبَ النهم نحو الرمية (بتشديد الاء)، إِذَا سَدَّه .

(٢) القاسطون : الظالمون الجائرون عن الحق، قال الله تعالى : (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) . والمرصد : المرقب .

(٣) مَنِيَّتُهُمْ ، أى خیرتهم فَيَا يَمْنُونَهُ مِنْ أَخْفِ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ .

(٤) أَهْلُوا وَرَحَبُوا ، أى قالوا : أَهْلًا وَمَرْحَبًا . ومعنى اليقين : أَنْ كَلَامًا مِنْ جِلْدٍ وَشَقٍّ رَأَى فِي عَذَابِهِ مِنْ الشَّكِّ مَاتَمَنَّى مَعَهُ أَنْ يَسْتَبْدِلَ بِهِ عَذَابَ أَخِيهِ . وَالْقَلْبُ : النَّارُ ؛ وَقِيلَ : لَهَا . (٥) التمنر : التناهب ، تشبهاً به بالنمر ، لأن من عادته ألا يهاك دائماً إلا متنكراً غضبان ، ويرنو : ينظر .

(٦) يريد «المستشار» هنا : المستر بوند الإنجليزي ، وهو من قضاة المحكمة التي حكمت على متهمي دنشواي . والمعاجز : من عاجزت الرجل ، إِذَا آتَيْتَ بِمَا يَعْجَلُهُ عَاجِزًا . والمناجز : المقاتل المبارز . ومعزب ، أى مفرق أعوانه ، فبعضهم يتولى أمر الجلد ، والبعض يتولى أمر الشق ... الخ .

- (١)
 طَاحُوا بِأَرْبَعَةٍ فَأَرَدُوا خَامِسًا * هُوَ خَيْرٌ مَا يَرْجُو الْعَمِيدُ وَيَطْلُبُ
 حُبٌّ يُحَاوِلُ غَرَسَهُ فِي أَنْفُسِ * يُحْنِي بِمَغْرِسِهَا الثَّنَاءَ الطَّيِّبُ
 كُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَلَا تَكِلْ أَرْوَاحَنَا * لِمُسْتَشَارٍ فَإِنَّ عَدْلَكَ أَخْصَبُ
 وَأَفْضُ عَلَى (بُنْدٍ) إِذَا وَلَّى الْقَضَا * رِقْقًا يَهْشُ لَهُ الْقَضَاءُ وَيَطْرَبُ
 قَدْ كَانَ حَوْلَكَ مِنْ رِجَالِكَ نُجْبَةٌ * سَاسُوا الْأُمُورَ فَدَرَبُوا وَتَدَرَبُوا
 (٢)
 أَقْصَيْتَهُمْ عَنَّا وَجِئْتَ بِفِتْيَةٍ * طَاشَ الشَّبَابُ بِهِمْ وَطَارَ الْمَنْصِبُ
 فَاجْعَلْ شِعَارَكَ رَحْمَةً وَمَوَدَّةً * إِنَّ الْقُلُوبَ مَعَ الْمَوَدَّةِ تُكْتَسَبُ
 وَإِذَا سُئِلَتْ عَنِ الْكِبَانَةِ قُلْ لَهُمْ * هِيَ أُمَةٌ تَلْهُو وَشَعْبٌ يَلْعَبُ
 (٣)
 وَأَسْتَبِقْ عَقْلَهَا وَنَمَّ عَنْهَا تَنَمَّ * فَالْنَّاسُ أَمْثَالُ الْحَوَادِثِ قَلْبُ

شكوى مصر من الاحتلال

[نشرت في أول يناير سنة ١٩٠٧م]

- (٤)
 لَقَدْ كَانَ فِينَا الظُّلْمُ قُوْضَى فَهُدِّبْتُ * حَوَاشِيهِ حَتَّى بَاتَ ظُلْمًا مُنْظَمًا
 (٥)
 تَمَنَّ عَلَيْنَا الْيَوْمَ أَنْ أَخْصَبَ الثَّرَى * وَأَنْ أَصْبَحَ الْمِصْرِيُّ حُرًّا مِنْهَا

(١) طاحوا بأربعة، أى ذهبوا بنفوسهم، وأردوا: أهلكوا. ويريد «بالخاس»: الحب المذكور في البيت الآتي. (٢) أقصيتهم: أبعدتهم. وطار المنصب، أى خفت أحلامهم من التورر بمناصهم. (٣) قلب، أى متقلبون لا يثبتون على حال واحدة. والذى وجدناه في كتب اللغة أن القلب: صفة للفرد أى المتقلب كيف شاء، وقد أخبر الشاعر به عن الناس مراعاة لفظ، ومنه قول الشاعر: ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف ليبد؟

(٤) الحواشي: النواحي. وتهذيبها: إصلاحها. (٥) تمنى: يخاطب عميد الدولة الإنجليزية. ويشير إلى ما كان يكتبه ذلك العميد في تقاريراته من صلاح حال مصر ورفاهتها بفضل الإنجليز.

- (١) أَعَدَّ عَهْدَ إِسْمَاعِيلَ جَلْدًا وَشُغْرَةً * فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَنَ أَنْكَى وَالْمَا
عَمِلْتُمْ عَلَى عِزِّ الْجَمَادِ وَذُلُّنَا * فَأَغْلَيْتُمْ طِينًا وَأَرْخَضْتُمْ دَمًا
(٢) إِذَا أَخْصَبَتْ أَرْضٌ وَأَجْدَبَ أَهْلُهَا * فَلَا أَطْلَعَتْ نَبَاتًا وَلَا جَادَهَا السَّمَاءُ
(٣) نَهَشَ إِلَى الدِّينَارِ حَتَّى إِذَا مَشَى * بِهِ رَبُّهُ لِلْسُّوقِ أَلْفَاهُ دِرْهَمًا
فَلَا تَحْسَبُوا فِي وَفْرَةِ الْمَالِ - لَمْ تُفَيْدْ * مَتَاعًا وَلَمْ تَعْصِمِ مِنَ الْفَقْرِ - مَغْنَمًا
(٤) فَإِنَّ كَثِيرَ الْمَالِ وَالْخَفْضُ وَارِفٌ - * قَلِيلٌ إِذَا حَلَّ الْغَلَاءُ وَخِيَا

وداع اللورد كرومر

قالها عند استقالة اللورد وضمنها آراء الناس في سياسته

[نشرت في ٢٧ إبريل سنة ١٩٠٧ م]

- (٥) قَتَى الشَّعْرَ هَذَا مَوْطِنُ الصَّدِيقِ وَالْهُدَى * فَلَا تَكْذِبِ التَّارِيخَ إِنْ كُنْتَ مُشِيدًا
(٦) لَقَدْ حَانَ تَوْدِيعُ الْعَمِيدِ وَإِنَّهُ * حَقِيقٌ بِتَشْيِيعِ الْمُحِبِّينَ وَالْعُودَا

(١) يشير بهذا البيت الى ما كان يردده عميد الدولة الإنجليزية وغيره من ساسة الإنجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من اليهود، ولا سيما عهد إسماعيل، عنتين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحيق بهم من المظالم قبل احتلالهم، من تسخير الناس وجلد ظهورهم. (٢) جادها السماء أى نزل عليها المطر. (٣) هش اليه : ارتاح وبش. ويشير بهذا الى غلاء الحاجات وارتفاع أثمانها، حتى إن الدينار ينزل الى قدر الدرهم في الشراء. (٤) الخفض : سمة العيش ورغده. والوارف : التسع. يقول : إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وغلاء الحاجات لا تغنى شيئاً.

(٥) قَتَى الشعر، يريد نفسه. (٦) العميد، هو عميد الدولة الإنجليزية في مصر، وهو اللورد كرومر، وقد بقى بها ما يزيد على أربعة وعشرين عاماً، فقد حضر اليها في سبتمبر سنة ١٨٨٣ م وتركها في سنة ١٩٠٧ م - وحقيق : جدير.

(١) فَوَدَّعَ لَنَا الطُّودَ الَّذِي كَانَ شَاخًا ، وَشَجَّ لَنَا الْبَحْرَ الَّذِي كَانَ مُزِيدًا
 وَزَوَّدَهُ عَنَّا بِالْكَرَامَةِ كُلِّهَا * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِالْبَاقِيَاتِ مُزَوَّدًا
 (٢) فَلِمَ لَا تَرَى الْأَهْرَامَ يَا نِيلُ مُبْدَا * وَفِرْعَوْنَ عَنْ وَايِكَ مُرْتَحِلٌ غَدًا؟
 (٣) كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَيْهِ وَلَمْ تُكُنْ * تَرَى فِي حِمَى فِرْعَوْنَ أَمْنًا وَلَا جَدًّا
 سَلَامٌ وَلَوْ أَنَا نُسِيءُ إِلَى الْأَلَى * أَسَاءُوا إِلَيْنَا مَا مَدَدْنَا لَهُمْ يَدًا
 (٤) سَنُطْرِي أَيَادِيكَ الَّتِي قَدْ أَفْضَتْهَا * عَلَيْنَا فَلَسْنَا أُمَّةً تُجْحَدُ الْيَدَا
 أَمِنَّا فَلَمْ يَسْلُكْ بِنَا الْخَوْفُ مَسْلَكًا * وَنَمْنًا فَلَمْ يَطْرُقْ لَنَا الدُّعْرُ مَرَقَدًا
 وَكَنتَ رَحِيمَ الْقَلْبِ تَنْجِي ضَعِيفَنَا * وَتَدْفَعُ عَنَّا حَادِثَ الدَّهْرِ إِنْ عَدَا
 وَلَوْلَا أَسَى فِي (دِنْشَوَايَ) وَلَوْعَةٌ * وَفَاجِعَةٌ أَدَمَتْ قُلُوبًا وَأَكْبَدًا
 (٥) وَرَمِيمُكَ شَعْبًا بِالتَّعَصُّبِ غَافِلًا * وَتَصْوِيرُكَ الشَّرْقِ غَرًّا مُجَرَّدًا
 (٦)

- (١) الطود : الجبل العظيم . والشاخ : المرتفع . والمزيد : الذي يقذف بالزيد (بالتحريك) ، وهو ما يعلو الماء من الرغوة ، ولا يكون ذلك إلا عند هيجان البحر وثورانه . شبه الشاعر اللورد بالجبل العظيم في رسوخه في السياسة وطوشانه ، كما شبهه بالبحر المزيد في ثورته وغضبه .
- (٢) ميدا : مائلة مضطربة ، الواحد مائد . وشبه كرومر بفِرْعَوْنَ ، لما كانت يعرف به من الجبروت . (٣) الجدا (بفتح الجيم وتخفيف الدال) : العطاء . (٤) فطرى : تمدح . والأيدى : النعم . وأفضتها : أجزيتها . ويشير في هذا البيت والبيتين اللذين بعده الى مآثر اللورد في مصر ، من نشر الأمن في ربوع البلاد ، والأخذ بناصر الضعفاء ، وإصنافهم من ظلم الأقوياء .
- (٥) الأسمى : الحزن . وانظر التعريف بمحادثة دنشواي (في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢ من هذا الجزء) .
- (٦) رميمك ، أى أمتامك . والنز : الذي لا تجرية له بالأمور لقصر نظره . ومجزدا ، أى غير مزود بأسباب النهوض والجد .

لَذُنْبَا أَسَى يَوْمَ الْوَدَاعِ لَأَنْتَا * نَرَى فِيكَ ذَاكَ الْمُصْلِحَ الْمُتَوَدِّدَا
تَسَعَّبْتَ الْآرَاءُ فِيكَ فَقَائِلٌ * أَفَادَ الْغِنَى أَهْلَ الْبِلَادِ وَأَسْعَدَا
(١)
وَكَانَتْ لَهُ فِي الْمُصْلِحِينَ سِيَاسَةٌ * تَرْخِصُ فِيهَا تَارَةً وَتَشَدَّدَا
(٢)
رَأَى الْعِزَّ كُلَّ الْعِزِّ فِي بَسْطَةِ الْغِنَى * فَخَارَبَ جَيْشَ الْفَقِيرِ حَتَّى تَبَدَّدَا
(٣)
وَأَمْتَعَكُمْ بِالنَّيْلِ فَهُوَ مُبَارَكٌ * عَلَى أَهْلِهِ ، خَصْبًا وَرِيًّا وَمَوْرِدَا
(٤)
وَسَنَّ لَكُمْ حُرِّيَّةَ الْقَوْلِ عِنْدَ مَا * رَأَى الْقَوْلَ فِي أَسْرِ السُّكُوتِ مُقِيدَا
(٥)
وَأَحْرَمَ يَقْصِرُ عَلَى الْمَالِ هَمُّهُ * يَرَى أَنَّ ذَاكَ الْمَالَ لَا يَكْفُلُ الْهَلْدَى
(٦)
فَلَا يَتِمَّدُ الْإِثْرَاءُ حَتَّى يَزِينَهُ * بَعْلِمَ ، وَخَيْرُ الْعِلْمِ مَا كَانَ مُرْشِدَا
(٧)
يُنَادِيكَ قَدْ أَزْرَيْتَ بِالْعِلْمِ وَالْحِجَا * وَلَمْ تُبْقِ لِلتَّعْلِيمِ يَا (رُدُّ) مَعْهَدَا
وَأَنَّكَ أَخْصَبْتَ الْبِلَادَ تَعْمَدَا * وَأَجْدَبْتَ فِي مِصْرَ الْعُقُولَ تَعْمَدَا
(٨)
قَضَيْتَ عَلَى أُمِّ اللُّغَاتِ وَإِنَّهُ * قَضَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ سَبِيلٌ إِلَى الرَّدَى

(١) ترخص : لان وسهل . (٢) بسطة الغنى : سمته .

(٣) يشير بهذا البيت إلى الإصلاحات المتعلقة بالرى وتحسين النظم فى صرف مياه النيل التى أجزيت

فى عهد اللورد كرومر . (٤) سن : شرع . يشير بهذا البيت إلى حرية الصحافة فى عهد اللورد .

(٥) وآثر : معطوف على قوله السابق : « فقائل » . ويقصر ، أى يجهل . وهمه ،

أى همه وعزيمه . (٦) الإثراء : كثرة الأموال .

(٧) أزرى به : تهاون به ووضع من شأنه . (٨) يريد « بأم اللغات » : اللغة العربية .

ويشير إلى ما كان فى عهد اللورد كرومر من جعل دراسة أكثر العلوم فى المدارس باللغة الإنجليزية .
والردى : الهلاك .

- (١) وواقيت والقطران في ظل راية * فما زلت (بالسودان) حتى تمردا
(٢) فطاح كما طاحت (مصوغ) بعده * وضاعت مساعينا بأطاعكم سدى
(٣) حجبت ضياء الصحف عن ظلماته * ولم تستقل حتى حجبت (المؤيدا)
(٤) وأودعت تقرير الوداع مفامرا * رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا
غمزت بها دين النبي وإننا * لتغضب إن أغضبت في القبر (أحمدا)
(٥) يناديك أين النايغون بعهدكم * وأى بناء شاخ قد تجسدا
(٦) فما عهد (إسماعيل) والعيش ضيق * بأجذب من عهدكم سال عسجدا
(٧) يناديك ولت الوزارة هيئة * من الصم لم تسمع لأصواتنا صدى
فليس بها عند التشاور من قى * أئني إذا ما أصدر الأمر أوردنا

(١) واقيت ، أى حضرت إلى مصر . والقطران : مصر والسودان . ويريد « بالراية » :
الراية المصرية . وتمرد : عصى ونزح عن الطاعة . يشير بهذا البيت إلى رأى السياسة البريطانية التى
أشارت به على مصر من إخلاء السودان فى سنة ١٨٨٤م عند ما ثار المهدي ، حتى استفحل أمره وانتشرت
دعوته ، وتآلبت معظم القبائل على الحكومة ؛ وقد أعيد فتحه بعد ذلك بالجنود المصريين والإنجليزى
فى سنة ١٨٩٧م . (٢) طاح ، أى ذهب وضاع . ومصوغ : نغم معروف على البحر الأحمر ، وقد كان
فى يد مصر ، ثم اضطرت إلى إخلائه أيام الحروب السودانية ، فضمت لـ إيطاليا إلى أملاكها بموافقة إنجلترا .
(٣) ظلماته ، أى ظلمات السودان ؛ ويريد ظلمات الجهل التى فيه . ويشير الشاعر إلى ما حدث
فى عهد اللورد كرومر من منع بعض الصحف المصرية ، ومنها صحيفة المؤيد ، من دخول السودان خوفا من
تشر الدعاية ضد الإنجليز . (٤) المفامر : المطاعن . ويشير الشاعر إلى ما ذكره اللورد كرومر
فى تقريره عن مصر ، حين تركها ، من طعن على المصريين . (٥) يناديك ، أى هذا الأثر الذى
سبق ذكره فى قوله : « وآخر لم يقصر ... الخ » . (٦) المسجد : الذهب الخالص .
(٧) الصدى : ما يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يجبه ؛ ولذلك يقال له : رجع الصدى .

- (١) رَبِّكَ مَاذَا صَدَدْنَا وَلَوْ يَنَّا * عَنِ الْقَصْدِ إِنْ كَانَ السَّيْلُ مُمَهَّدًا؟
 (٢) أَشَرْتَ بِرَأْيٍ فِي كِتَابِكَ لَمْ يَكُنْ * سَيِّدًا وَلَكِنْ كَانَ مَهْمَا مُسَدَّدًا
 (٣) وَحَاطَلَتْ إِعْطَاءَ الْغَرِيبِ مَكَانَهُ * تَجَرُّ عَلَيْنَا الْوَيْلَ وَالذِّلَّ مَرَمَدًا
 (٤) فَيَاوَيْلَ مِصْرِ يَوْمَ تَسْقَى بِنْدُوَّةٍ * يَبِيتُ بِهَا ذَاكَ الْغَرِيبُ مُسَوَّدًا
 (٥) أَلَمْ يَكْفِنَا أَنَّا سُلَيْنَا ضِيَاعَنَا * عَلَى حِينٍ لَمْ نَبْلُغْ مِنَ الْفِطْنَةِ الْمَدَى
 (٦) وَزَاوَمْنَا فِي الْعَيْشِ كُلِّ مُمَارِسٍ * خَيْرٍ وَكُنَّا جَاهِلِينَ وَرُقَدًا
 وَمَا الشَّرَكَاتُ السُّودُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * مِوَى شَرِّكَ يُلْقَى بِهِ مَنْ تَصَيَّدَا
 (٧) فَهَذَا حَلِيتُ النَّاسِ وَالنَّاسُ أَسْنَى * إِذَا قَالَ هَذَا، صَاحَ ذَاكَ مَقْنَدًا
 وَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ السِّيَاسَةِ بَيْنَهُمْ * لَسَجَلْتُ لِي رَأْيًا وَبُلَغْتُ مَقْصِدَا
 وَلَكِنِّي فِي مَعْرِضِ الْقَوْلِ شَاعِرٌ * أَضَافَ إِلَى النَّارِخِ قَوْلًا مُخَلَّدَا
 (٨) فَيَايَا الشَّيْخَ الْجَلِيلُ نَحِيَّةً * وَيَايَا الْقَصْرَ الْمُتَيْفُ تَجَلَّدَا
 لَنْ ظَبَّ هَذَا اللَّيْتُ عَنْكَ لِعَلَّةٍ * لَقَدْ لَبِثْتُ أَنَا رُهُ فَيْكَ شُهُدَا

(١) لوى به عن القصد، أى صرفه عنه . يقول : إن صح ما يقال من أنك أحسنت السياسة في مصر ووليت أمورها أكفأها، فإلنا نخوف عن القصد ونفسر في غير النهج .

(٢) المسدّد : المصوب نحو الهدف . (٣) السرمد : الدائم . (٤) الندوة : المكان يجتمع فيه القوم للتشاور . ويشير إلى ما كان يراد من إنشاء مجلس للشورى يختلط من المصريين والأجانب . (٥) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت إلى ما استولى عليه الأجانب من أراضينا الزراعية بما نصبوه من أشرار الديون ذوات القوائد المرحقة . (٦) مارس الأمر : عاينه وزاوله . يشير في هذا البيت إلى أرباب الاقتصاد الخبيرين باكتساب المال واستناره من الأجانب، وسجّل المصريين بهذا الفن . (٧) مفتدا : مكذبا بجهلا . (٨) يريد قصر الدوابرة الذى كان يسكنه العميد .

(١)
استقبال السير غورست

قالها في استقباله عند مجيئه إلى مصر معتمدا للدولة الإنجليزية خلفا للورد كرومر

يلت فيها آلام المصريين وآمالهم

[نشرت في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م]

(٢)

بَنَاتِ الشَّعْرِ بِالنَّصْحَاتِ جُودِي * فَهَذَا يَوْمٌ شَاعِرِكَ الْمُحِيدِ

(٣)

أَطْلَى وَأَسْفِرِي وَدَعِينِهِ يُحْيِي * بِمَا تُوحِينِ أَيَّامَ الرَّشِيدِ

إِذَا مَا جَلَّ قَدْرُكَ عَنِ هُبُوطِ * مُرِيهِ إِلَى سَمَائِكَ بِالصُّعُودِ

وَأُولَى ذَلِكَ الْفَانِي يَبَانَا * يَتَبُهُ بِهِ عَلَى أَهْلِ الْخُلُودِ

(٤)

وَحُلِّ عُقْدَةٌ مِنْ أَصْغَرِيَةِ * يَلْنُ هُنَافِهِ قَاسِيِ الْحَدِيدِ

(٥)

فَمَا أَنَا وَاقِفٌ بِرُسُومِ دَارِ * أَسَائِلُهَا وَلَا كَلْفٌ يَرُودِ

وَلَا مُسْتَنْزِلٌ هِبَةً بِمَنْجِ * وَلَا مُسْتَنْجِزٌ حُرَّ الْوَعُودِ

وَلَيْكُنِّي وَقَفْتُ أَنْوَحُ نَوْحًا * عَلَى قَوِيٍّ وَأَهْتِفُ بِالنَّشِيدِ

(٦)

وَأَذْفَعُ عَنْهُمْ بِسَبَا يَرَاعِ * يَصُولُ بِكُلِّ قَافِيَةٍ شُرُودِ

(١) ولد غورست سنة ١٨٦١ م، وتوفي في يولييه سنة ١٩١١ م. وكان مستشارا لوزارة المالية من

سنة ١٨٩٨ م إلى سنة ١٩٠٤ م. وفي سنة ١٩٠٧ م عين عميدا للدولة الإنجليزية مكان اللورد كرومر.

(٢) بنات الشعر : معانيه وشواطره. ويريد «بالشاعر المحيد» : نفسه. (٣) سمرت المرأة

تسفر (من باب ضرب) : كشفت عن وجهها. ويريد «بالرشيد» : هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف ؛

ونخصه بالذكر لكثرة من كان في زمرته من الشعراء المجيدين. (٤) الأصفران : القلب واللسان.

(٥) رسوم الدار : آثارها. والكلف : المولع بالنشئ، الشديد الحب له. والرؤد (بالهمز ومهملت) :-

الشابة الحسنة. (٦) شبا اليراع : من القلم. وقافية شرود، أى سائرة ذاتمة.

- (١) بَنَاتُ الشَّعْرِ إِنَّمَا أَسْعَدَتْنِي * شَكَوْتُ مِنَ الْعَمِيدِ إِلَى الْعَمِيدِ
(٢) وَلَمْ أَجِدْ عَوَارِفَهُ وَلَكِنْ * رَأَيْتُ الْمَنَّ دَاعِيَةً إِلَى الْجُودِ
(٣) أَذِيقُونَا الرِّجَاءَ فَقَدْ ظَلَمْنَا * بِعَهْدِ الْمُصْلِحِينَ إِلَى الْوُرُودِ
(٤) وَمُنُوا بِالْجُودِ فَقَدْ جَهِلْنَا * بِفَضْلِ وَجُودِكُمْ مَعْنَى الْوُجُودِ
(٥) إِذَا أَعْلَوَى الصَّيَاحُ فَلَا تَلْمُنَا * فَإِنَّ النَّاسَ فِي جُهْدِ جَهْدِ
(٦) عَلَى قَدْرِ الْأَذَى وَالظُّلْمِ يَعْلَمُوا * صِيَاحُ الْمُشْفِقِينَ مِنَ الْمَزِيدِ
(٧) يَجْرَحُ فِي النَّفْسِ نَغْرَنَ نَغْرًا * وَكُنَّ قَدْ انْدَمَلْنَ عَلَى صَدِيدِ
(٨) إِذَا مَا هَاجَهُنَّ أَسَى جَدِيدٌ * هَتَكْنَ سَرَائِرَ الْقَلْبِ الْجَلِيدِ
(٩) إِلَى مَنْ نَشْتَكِي عَنَتَ اللَّيَالِي * إِلَى (الْعَبَّاسِ) أُمِّ (عَبْدِ الْجَمِيدِ)؟
وَدُونَ حَاهُمَا قَامَتْ رِجَالٌ * تَرَوُّعُنَا بِأَصْنَافِ الْوَيْعِيدِ

- (١) أسعدتني : أعانتني . وفي كتب اللغة : أن «شكا» يتعدى بنفسه لا بالحرف .
(٢) العوارف : النعم ؛ الواحدة عارفة . وفي البيت تعريض بما كان يمين به اللورد كرومر على المصريين من أنه أنهضهم وأصلح من أحوالهم .
(٣) الخطاب في «أذيقونا» للخطين . وفي قوله : «بعهد المصلحين» تهكم ظاهر .
(٤) اعلوى : ملا .
(٥) المشفقون : الخائفون .
(٦) نغرا لجرح : سال دمه . واندمل : التام .
(٧) السرائر : جمع سريرة ، وهي ما يستره الإنسان من أمره . والجليلد : الصبور .
(٨) العنت : الأذى والمشقة .
(٩) روعه : أخافه وأزعجه .

(١) فَا جِئْنَا نَطَاوِلُكُمْ بِجَاهٍ * يُطَوِّلُكُمْ وَلَا نُحِثُّ شَدِيدِ
(٢) وَلَا بَنَيْنَا نَعَايِزَكُمْ بِعِلْمٍ * يَبِينُ بِهِ الْقَوِيُّ مِنَ الرَّشِيدِ
(٣) وَلَكِنَّا نَطَالِبُكُمْ بِحَقِّ * أَضَرَّ بِأَهْلِهِ تَقْصُصُ الْيَهُودِ
(٤) رَمَانَا صَاحِبُ التَّقْرِيرِ ظُلُمًا * بِكُفْرَانِ الْعَوَارِفِ وَالْكُنُودِ
وَأَقْسَمَ لَا يُجِيبُ لَنَا نِدَاءً * وَلَوْ جِئْنَا بِقُرَآنٍ مُجِيدِ
(٥) وَبَشَّرَ أَهْلَ مِصْرَ بِأَحْتِلَالٍ * يَدُومُ عَلَيْهِمْ أَبَدَ الْأَيِّدِ
(٦) وَأَنْبَتَ فِي النَفُوسِ لَكُمْ جَفَاءً * تَهْدِيهِ بِمَنْهَلِ الصُّدُودِ
(٧) فَأَمَرَّ وَحْشَةً بَلَّغَتْ مَدَاهَا * وَزَكَّاهَا بِأَرْبَعَةِ شُهُودِ
(٨) قَتِيلُ الشَّمْسِ أَوْرَثَنَا حَيَاةً * وَأَيَقِظُ هَاجِعَ الْقَوْمِ الرُّقُودِ
فَلَيْتَ (كُرُومَرَا) قَدْ دَامَ فِينَا * يُطَوِّقُ بِالسَّلَاسِلِ كُلَّ جِيدِ

(١) طاوله بجأه : فآخره به . وطاله يطوله : علاه وارفع عليه . ويريد « بالركن الشديد » :
العزة والمنعة . وانطاب في هذا البيت وما بعده للإنجيز .

(٢) نعايزكم : نأتي بما يعجزكم . (٣) يريد « باليهود » : وعود ساسة الإنجيز بالجلأ، عن مصر .

(٤) صاحب التقرير، هو اللورد كرومر، وكان قد آتهم المصريين في أحد تقاريراته التي كان يرفعها
لدولته بعدم الاعتراف بحيل الدولة البريطانية عليهم . والكفرد : الكفر بالنعمة .

(٥) أبد الأبيد، أي أبد الدهر . (٦) المنهل : المطر يشد أنصبابه .

(٧) يريد « بالشهود الأربعة » : من أعدموا في دنشواي، فهم بما لقوا شهود عدول على ظلم العميد .

(٨) قتييل الشمس : الضابط الإنجيزي الذي مات في حادث دنشواي بضربة الشمس، وآتهم
الأهلون بقتله . والهاجج : النائم . يريد أن ما أصاب الناس من العذاب بسبب هذا القتل جعلهم

يهبون ويستيقظون الى المطالبة بالحرية .

وَيُخَيِّفُ (مُضَرَّ) أَنَا بَعْدَ آيٍ * يَحْمِلُودٍ وَمَقْتُولٍ شَهِيدٍ
لِنَتَرَعَ هَذِهِ الْأَكْفَانَ عَنَّا * وَتُبَعَّتْ فِي الْعَوَالِمِ مِنْ جَدِيدٍ^(١)
رَمَى (دَارَ الْمَعَارِفِ) بِالرَّزَايَا * وَجَاءَ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَيْنِيدٍ^(٢)
يُلْدُ بِحَوْلِهِ وَيَبْنِيهِ تَيْيَا * وَيَعْبِثُ بِالنَّهْيِ عَثَّ الْوَلِيدِ^(٣)
فَبَدَّدَ شَمْلَهَا وَأَدَالَ مِنْهَا * وَصَاحَ بِهَا : سَيِّدُكَ أَنْ تَبِيدِي^(٤)
هَبُوا (دَنُلُوبَ) أَرْجَبَكُمْ جَنَانًا * وَأَقْدَرْتُكُمْ عَلَى تَرْجِعِ الْحُقُودِ^(٥)
وَأَطَى مِنْ (غِلَادَسْتُونَ) رَأْيَا * وَأَحْكَمَ مِنْ فَلَاسِفَةِ (الْمُنُودِ)
فَإِنَّا لَا نُنْطِيقُ لَهُ جِوَارًا * وَقَدْ أَوْدَى بِنَا أَوْكَادَ يُوْدِي^(٦)
مَلَيْنَا طُولَ صُحْبَتِهِ وَمَلَّتْ * سَوَائِقُنَا مِنَ الْمَشْيِ الْوَلِيدِ
بِحَمْدِ اللَّهِ مُلْكُكُمْ كَبِيرٌ * وَأَنْتُمْ أَهْلُ مَرَحِمَةٍ وَجُودِ
خُدُوهُ فَأَمْتِعُوا شَعْبًا سَوَانَا * بِهَذَا الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ الْمُنْفِيدِ

(١) كل جبار عنيد : يريد مستشار المعارف إذ ذلك، وهو المستر دانلوب وأعوانه .

(٢) الحول : القوة .

(٣) أدال منها : أذلها وأذهب عزها ودولتها . وتبید : تهلك .

(٤) الجنان : القلب .

(٥) غلادستون ، هو وليم غلادستون . ولد بليفربول في التاسع والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٨٠٩ م ، وكان من ساسة الانجليز المشهورين ، وتولى وزارة المالية مرتين ، ثم كان رئيسا لمجلس النواب ، ثم رأس الوزارة الانجليزية أربع مرات . وتوفي في ١٩ مايو سنة ١٨٩٨ م .

(٦) السوايق : الخيل التي تحيى ، سابقة في الحلبة ؛ ويريد بهم أعلام الأمة ونوابها . والوليد من

المشي : البطى . منه .

- (١) إذا استوزرت فاستوزر علينا * قتي (كالفصل) او (كابن العميد)
 (٢) ولا تثقل مطاه بمسشار * يجذب به عن القصيد الحميد
 (٣) وفي الشورى بنا داء عهيد * قد استعصى على الطب العهيد
 شيوخ كلما همت بأمر * زارتم دونه زار الأسود
 (٤) لي بيضاء يوم الرأي هانت * على حمر الملايس والحدود
 (٥) أترضى أن يقال - وأنت حر - * بأنك قين هاتيك القيود؟
 (٦) وهل في دار ندوتكم أناس * بهذا الموت أو هذا الجود؟
 فنع غضاصة التاميز عنا * كفانا سائغ النيل السعيد
 (٧) أرى أحداثكم ملوكوا علينا * (بمصر) موارد العيش الرغيد

(١) الفضل، هو أبو العباس الفضل بن سهل أخو الحسن بن سهل، أسلم على يد المأمون في سنة ١٩٠ هـ. وكان وزيراً للرشد؛ وكان يلقب بذي الراستين لأنه كان رب القلم والسيوف. ومات مقتولاً يوم الخميس ثاني شعبان سنة ٢٠٢ هـ. وابن العميد، هو الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد الفارسي الأصل، وزر لركن الدولة أبي علي بن بويه، والد عضد الدولة المشهور في سنة ٣٢٨ هـ، فساس دولته ووطد أركانها، وما زال في وزارته محط رجال الشعراء والأدباء والعلماء حتى توفي سنة ٣٦٠ هـ. وخص الفضل وابن العميد لتشجيعهما العلم والأدب. (٢) المطا : الظاهر. يرغب إلى العميد البريطاني أن يجعل على وزارة المعارف أمثال الفضل وابن العميد، على ألا يشل أيديهم بمسشار (ككتلوب).
 (٣) العهد : القديم الذي أتى عليه عهد طويل. يقول إن مجلس الشورى في مصر عيوباً قديمة استعصى شفاؤها من قديم على المصلحين. (٤) يريد «بالحي البيضاء» : أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية. و«بحمر الملايس والحدود» : الانجليز. وكان مما تميز به جنودهم إذ ذاك الأكسية الحمراء.
 (٥) القين : الحداد. (٦) دارندوتكم، يريد بها مجلس العموم البريطاني. ويشير بهذا البيت والأبيات الأربعة التي قبله إلى ضعف رأى مجلس الشورى والجمعية العمومية، لأن الحكومة كانت حرة في قبول رأيها أو ردّه. (٧) الرغيد : الواسع الطيب.

وقد ضيقنا بهم وأيسك ذرعاً * وضائق بجهلهم ذرع البريد
أكل مؤلف منكم قدير * على التشريع في ظل العميد؟
فضع حداهم وأنظر إلينا * إذا أنصفتنا نظر الودود^(١)
وخبيرهم وأنت بنا خير * بأن الدل شئنة العيد
وأنت نفوس هذا الخلق تآبي * لنير إليها ذل السجود^(٢)
وول أمورنا الأخير منا * نلب بهم إلى الشاؤ البعيد^(٣)
وأشركنا مع الأخير منكم * إذا جلسوا لإيقام الحدود^(٤)
وأبعدنا بجامعة وشيد * لنا من مجد دولتك المشيد^(٥)
وإن أنعمت بالإصلاح فابدأ * بتلك فانها بنت القصيد
وفرّج أزمة الأموال عنا * بما أوتيت من رأي سيد
وسل عنها (اليهود) ولا تسلنا * فقد ضاقت بها حيل (اليهود)
إذا ما نأح في (أسوان) بالك * سمعت آنين شاك في (رشيد)
جميع الناس في البلوى سواء * بأذنى الثغر أو أعلى الصعيد^(٥)
تدارك أمة بالشرق أمست * على الأيام عائرة الحدود

(١) الشئنة : العادة والطبيعة . (٢) الشار : الغاية . (٣) يلاحظ أنه لم يرد

في كتب القصة « إيقام » بيا بعد الهذوة كما في هذا البيت . والذي ورد « إقام » بدون ياء

مصدر إقام . (٤) بتلك ، أى بالجامعة المصرية ، ولم تكن قد أنشئت إذ ذاك .

(٥) عائرة الحدود : أى تاعسة المخطوط .

وَأَيْدٍ مِصْرَ وَالسُّودَانَ وَأَغَمَّ * ثَنَاءَ الْقَوْمِ مِنْ بَيْضِ وَسُودِ^(١)
 وَمَا أَذْرَى وَقَدْ زَوَّدَتْ شِعْرَى * وَظَنَى فَيْكَ بِالْأَمَلِ الْوَيْطِيدِ^(٢)
 أَجِثْتُ تَحْطُوطُنَا وَتَرَدُّ عَنَّا * وَتَرْفَعُنَا إِلَى أَوْجِ السُّعُودِ؟^(٣)
 أَمْ اللُّرْدُ الَّذِي أَنْحَى عَلَيْنَا * أَلَيْ فِي ثَوْبٍ مُعْتَمِدٍ جَبِيدِ؟^(٤)

تحيّة العام الهجرى

[سنة ٨١٣٢٧ - يناير سنة ١٩٠٩ م]

أَطَّلَ عَلَى الْأَكْرَانِ وَالْخَلْقِ تَنْظُرُ * هِلَالُ رَأَى الْمُسْلِمُونَ فَكَبَرُوا^(٥)
 تَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ زَادَ حُسْنُهَا * عَلَى الدَّهْرِ حُسْنًا أَنَّهُا تَتَكَرَّرُ^(٦)
 وَبَشَّرَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وَجَبِينِهِ * وَغُرَّتِهِ وَالنَّاطِرِينَ مُبَشِّرُ^(٧)
 وَأَذْكَرَهُمْ يَوْمًا أَغْرَى مُحَجَّلًا * بِهِ تَوَجَّ النَّارِيجُ وَالسَّعْدُ مُسْفِرُ^(٨)
 وَهَاجَرَ فِيهِ خَيْرُ دَائِجٍ إِلَى الْهَدَى * يَحْفُفُ بِهِ مِنْ قُوَّةِ اللَّهِ عَسْكَرُ^(٩)
 يُمَاشِيهِ جَبْرِيلُ وَتَسْعَى وَرَاءَهُ * مَلَائِكَةُ تَرْعَى خُطَاهُ وَتُخْفِرُ^(١٠)

(١) الوطيد : الثابت القوى . و « بالأمل » متعلق بـ « زودت » . (٢) حاطه يحوطه :

حفظه وتعهده . (٣) أنحى علينا ، أى أقبل علينا بالشدّة والقسوة والمف .

(٤) تجلّى : ظهر وتكشف . (٥) يقال : يوم أغر محجل ، إذا كان مشهورا . وأصل

هاتين الصفتين من النعت المحمودة في الليل ؛ الأغر منها : ما كان في وجهه بياض . والمحجل : ما كان

البياض في فوائمه . والمسفر : المضيء المشرق . ويريد بهذا اليوم : يوم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

من مكة إلى المدينة . (٦) يماشيه : يمشى معه . وتخفر : تحرس .

يُسرَّاهُ بِرُهَانٍ مِنَ اللَّهِ سَاطِعٌ * هُدًى، وَيُؤْنَاهُ الْكَتَابُ الْمُطَهَّرُ
 فَكَانَ عَلَى أَبْوَابِ (مَكَّةَ) رَكْبُهُ * وَفِي (يَثْرِبِ) أَنْوَارُهُ تَتَفَجَّرُ^(١)
 مَضَى الْعَامُ مَيِّمُونَ الشُّهُورَ مُبَارِكًا * تَعَدَّدُ آثَارُ لَهُ وَتُسَطَّرُ
 مَضَى غَيْرَ مَذْمُومٍ فَإِنْ يَذْكُرُوا لَهُ * هَنَاتٍ فَطَبَعُ الدَّهْرِ يَصْفُو وَيَكْدُرُ^(٢)
 وَإِنْ قِيلَ أَوْدَى بِالْأَلُوفِ أَجَابَهُمْ * يُجِيبُ : لَقَدْ أَحْيَا الْمَلَائِينَ فَانْظُرُوا^(٣)
 إِذَا قَيْسٌ إِحْسَانُ أَمْرِيَّ بِإِسَاءَةٍ * فَأَرْبَى عَلَيْهَا فَالْإِسَاءَةُ تَغْفَرُ^(٤)
 فِيهِهِ أَفَاقَ النَّائِمُونَ وَقَدْ أَتَتْ * عَلَيْهِمْ كَاهِلُ الْكَهْفِ فِي النَّوْمِ أَعَصُرُ^(٥)
 وَفِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ * لَهُ أَثَرٌ بَاقٍ وَذِكْرٌ مُعْطَرُ
 سَلُّوا (الْتُرْك) عَمَّا أَتَدْرَكُوا فِيهِ مِنْ مُنَى * وَمَا بَدَلُوا فِي الْمَشْرِقَيْنِ وَغَيْرُهُمَا
 وَإِنْ لَمْ يَقُمْ إِلَّا (نِيَازِي) وَ(أَنُورُ) * فَقَدْ مَلَأَ الدُّنْيَا (نِيَازِي) وَ(أَنُورُ)^(٦)
 تَوَاصَوْا بِصَبْرِ ثُمَّ سَلُّوا مِنَ الْجَمَا * سُبُوقًا وَجَدُوا جِدَّهُمْ وَتَدَبَّرُوا^(٧)

(١) يثرب : الاسم القديم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشبه انبثاق الأنوار بتفجير الماء .

(٢) الهنات : المفوقات اليسيرة التي تحمل أمثالها (٣) أودى بهم : أهلكهم .

(٤) أربى : زاد . (٥) يشير بقوله « أفاق النائمون » : إلى بعض الشعوب

التي هبت في العام المتحدث عنه طالب يحرر ديارها بعد أن سكنت على الذل والاستعباد مدة

طويلة ، ومن هذه الشعوب : الشعب الترك والفارسي والمصري ، كما يشير الشاعر إلى ذلك بعد .

فشيبه سكوتهم فيما مضى بنوم أهل الكهف . (٦) نيازي وأنور : بطلان معروفان من

أبطال جمعية الاتحاد التركية ، وقد ألبيا بلاه حسنا في إعادة الدستور إلى أمتهما .

(٧) تواسوا ، أي الترك . والتواسى : أن يوصى بعضهم بعضا . والجم : العقل . وجدوا

جدهم ، أي اجتهدوا وناهروا .

(١) فسادوا وشادوا للهِلالِ مَنَازِلًا * على هامِها سَعْدُ الكواكِبِ يُنْثَرُ
 (٢) تَجَلَّى بها (عَبْدُ الحَمِيدِ) بِوَجْهِهِ * على شَعْبِهِ والشَّاهُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ
 سَلَامٌ على (عَبْدِ الحَمِيدِ) وَجَيْشِهِ * وأَمْتِهِ ما قَامَ في الشَّرْقِ مِنْبَرُ
 (٣) سَلُوا (الْفُرسَ) عَن ذِكْرِ أَيْادِيهِ مِنْدُمٌ * فَقَدْ كَانَ فِيهِ (الْفُرسُ) عُيَا فَاَبْصُرُوا
 (٤) جَلَامُهُمْ وَجْهَ الحَيَاةِ فَشَاقَهُمْ * فَبَاتُوا على أَبْوَابِها وَتَجَهَّروا
 (٥) يُنَادُونَ أَنِّ مُنَى عَلِينَا بِنَظَرَةٍ * وَأَحْيِ قُلُوبِنا أَوْشَكْتَ تَنْفَطِرُ
 (٦) كِلَانَا مَشُوقٌ وَالسَّيْلُ مُمَهَّدٌ * إلى الوَصِيلِ لولا ذَلِكَ المُنْغَشِمُ
 (٧) أَطْلَى عَلِينَا لا تَخَافِي فَإِنَّا * بِسِرِّكَ أَوْفَى مِنْهُ حَوْلًا وَأَقْدَرُ
 (٨) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أُمَّةَ (الْفُرسِ) إِنَّاكُمْ * خَلِيقُونَ أَنْ تَحْيُوا كِرَامًا وَتَفْخَرُوا
 (٩) ولا أَقْرَبُ (الشَّاهَ) السَّلَامَ فَإِنَّهُ * يُرِيقُ دِمَاءَ المُصْلِحِينَ وَيَهْدِرُ
 (١٠) وفيهِ هَوَى (عَبْدُ العَزِيزِ) وَعَرْشُهُ * وَأَخْنَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ والأَمْرُ مُدِيرُ

(١) الهام : الزموس ، الواحدة هامة . (٢) الشاه : ملك العجم . ووصفه بالخزى لأنه لم يطمع
 أمته الدستور أسوة بالترك . (٣) أي أيادي العام ونعمه عليهم . (٤) استعمال
 « التجمهر » بمعنى التجمع ، كما في هذا البيت استعمال شائع في كلام عصرنا ، ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى
 فيما راجعناه من كتب اللغة التي بين أيدينا والصواب : « وتجهروا » بإسقاط الهاء وتشديد الميم ، أي
 مجمعوا . (٥) منى ، خطاب للحياة . وتنفطر : تنشقق . (٦) المنغشمر : المنتمر الظالم ،
 يريد شاه العجم . (٧) الحول : القوة . يقول : إننا بسبب إدراكنا سر الحياة حين نلها أقوى وأقدر من
 ذلك الظالم الجبار الذي يحول بيننا وبينها . (٨) خليقون : جديرون . (٩) يشير بهذا البيت إلى ما كان
 يصبه الشاه على زعماء النهضة وطلاب الحرية في فارس من أنواع المذاب والمقتل . (١٠) وفيه ، أي
 في هذا العام المنصرم (سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م) . وهوى : سقط . وعبد العزيز ، هو سلطان مراکش .
 (انظر التعريف به في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه .

(١) وَلَا تَجِبْ أَنْ تُلَّ عَرْشُ مُمْلِكٍ * قَوَائِمُهُ عُودٌ وَدُفٌّ وَمِزْهَرٌ
 فَأَلْتَقَى إِلَى (عَبْدِ الْحَفِيطِ) بِتَاجِهِ * وَمَرَّ عَلَى أَذْرَاجِهِ يَتَعَثَّرُ^(٢)
 وَقَامَ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مُوَفَّقٌ * عَلَى عَهْدِهِ (مُرَاحِشٌ) تَحْضُرُ^(٣)
 وَفِي دَوْلَةِ (الْأَفْغَانِ) كَانَتْ تُشْهَرُهُ * وَأَيَّامُهُ بِالسَّعِيدِ وَالْيَمْنِ تَزْهَرُ^(٤)
 أَقَامَ بِهَا وَالْعُودُ رَيَّانٌ أَخْضَرُ * وَفَارَقَهَا وَالْعُودُ قَيْنَانُ مُثْمَرُ^(٥)
 وَعَوَّدَهَا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ طَائِعٍ * إِذَا مَارَى (إِدْوَرْدُ) أَوْرَاشَ (قَبْصَرُ)^(٦)
 وَفِيهِ نَمَتْ فِي (الْمُنْدِ) لِلْعِلْمِ نَهْضَةٌ * أَرَى تَحْتَهَا سِرًّا خَفِيًّا سَيَطْهَرُ^(٧)
 فَتَجْرِي إِلَى الْعِلْيَاءِ وَالتَّجْدِ شَوْطَهَا * وَيُنْخَبِصُ فِيهَا كُلُّ جَذْبٍ وَيَنْضَرُ^(٨)
 وَفِيهِ يَدَّتْ فِي أَفْقٍ (جَاوَةٌ) لَمَعَةٌ * أَضَاءَتْ لِأَهْلِهَا السَّبِيلَ فَبَكَّرُوا^(٩)
 فَيَأْتِيَهُ أَوَّلُ (الْجَزَائِرِ) مِنَّةً * تُفَكُّ لَهَا تِلْكَ الْقَيْودُ وَتُكْسَرُ

- (١) نل : هدم . ويشير بهذا البيت إلى طلب عبد العزيز لجماعة من المنفين والمغنيات من مصر .
 (٢) انظر الكلام على هذا في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . (٣) تولى عبد الحفيظ سلطة
 مراکش بعد خلع أخيه عبد العزيز سنة ١٩٠٨ م . وفي عهده جعلت فرنسا مدينة قاس عاصمة البلاد
 في ٢١ مايو سنة ١٩١١ م . وقد تنازل عبد الحفيظ لأخيه مولاي يوسف عن السلطة في سنة ١٩١٢ م .
 (٤) تزهرو : تشرق وتضوء . (٥) القينان من النبات : الحسن الطويل . ويريد خصب البلاد
 وكثرة الخير فيها . (٦) عوَّدها : حصنها وحفظها . وإدوارد ، هو إدوارد السابع ملك الإنجليز .
 ورأش السهم يريشه : ألحق عليه الريش ، وذلك ليكون أسرع في ذهابه نحو الغرض . وقبصر : لقب
 ملك روسيا . وإنما خص إدوارد وقبصر لمجاورة الهند وروسيا لبلاد الأفغان . والمعنى أن هذا العام
 حفظ بلاد الأفغان من طمع جيرانها الأقوياء . (٧) نمت : زادت . (٨) ينضرو :
 من النضرة ، وهي الحسن والبهجة . (٩) لمعة : نى شعة من شعاع الأمل . وبكر فلان إلى الأمر :
 أتاه في أول وقته وبأدرا إليه . (٩) يريد « بالقيود » في هذا البيت : قيود الاستعباد والأمر
 التي قيدت بها فرنسا هذا الإقليم من المغرب .

وفي (تونس) الخضراء ياليتني بنى * له أثرًا في لوحه الدهر يذكر
 وفيه سرّ في (مصر) روح جديدة * مباركة من غيرة تسحر
 خبت زمنًا حتى توهمت أنها * تحافت عن الإبراء لولا (كرومر)^(١)
 تصدى فأوراها وهيات أن يرى * سبيلًا إلى إنقاذها وهي تفر^(٢)
 مضى زمن التّوهم يانيل وأهضى * ففي (مصر) أيقاظ على (مصر) تسهر
 وقد كان "مرفين" الدهاء مخدرا * فأصبح في أعصابنا يتحدّر^(٣)
 شعرنا بجارات الحياة فإن وثت * عزائمنا عن نيلها كيف نعدّ؟
 شعرنا وأحسنا وباتت نفوسنا * من العيش إلا في ذرا العزّ تسخر^(٤)
 إذا الله أحيا أمة لن يردّها * إلى الموت قهّار ولا متجبر
 رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى قادة تبني وشعب يعمر
 رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى عالم يدعّو وداع يذكر
 رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى عالم يدرى وعلم يقرر
 رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى حكمة تملئ وكفّ تحرر

(١) خبت : سكنت ونجست . وتحافت : تباعدت . وإبراء النار : إشعالها .

(٢) تصدى : تعرض . وتزفر : أى يسمع صوت توقدها . يقول : إن اللورد كرومر عميد الدولة

الإنجليزية تصدى لنار الوطنية في قلوب المصريين فأشعلها بدخولها بما صبه عليهم من الظلم والحقن .

(٣) المرفين : مخدوم معروف ؛ والمراد به هنا خداع السياسة . (٤) ذرا العز (فتح الذال) :

كفّه وظلّه .

رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِجَاحِيَةِ * إِلَيْكُمْ فُسِّدُوا النِّقَصَ فِينَا وَشَمِّرُوا ^(١)
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ لَا تَتْرَكُوا غَدًا * يَمْرُورَ الْأَمْسِ وَالْعَيْشِ أَغْبَرُ
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنِّي بِلَادِكُمْ * تُنَاشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تُتَذَكَّرُوا
 عَلَيْكُمْ حُقُوقُ لِبِلَادٍ أَجَلُهَا * تَعْهَدُ رَوْضَ الْعِلْمِ فَالرَّوْضُ مُقْفَرُ
 قُصَارَى مَنَى أَوْطَانِكُمْ أَنْ تَرَى لَكُمْ * يَدَا تَبْتَنِي بَجَدٍّ وَرَأْسًا يُفَكَّرُ ^(٢)
 فَكُونُوا رِجَالًا حَامِلِينَ أَعِزَّةَ * وَصُونُوا حَيَّ أَوْطَانَكُمْ وَتَحَرَّرُوا
 وَيَا طَالِبِي الدُّشُورِ لَا تَسْكُنُوا وَلَا * تَبَيْسُوا عَلَى بَأْسٍ وَلَا تَتَضَجَّرُوا
 أَعِدُّوا لَهُ صَدْرَ الْمَكَانِ فَلَإِنِّي * أَرَاهُ عَلَى أَبْوَابِكُمْ يَتَخَطَّرُ
 فَلَا تَتَطَفَّؤُوا إِلَّا صَوَابًا فَإِنِّي * أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ يُقَالَ تَهَوَّرُوا ^(٣)
 فَمَا ضَاعَ حَقٌّ لَمْ يَنْمَ عَنْهُ أَهْلُهُ * وَلَا نَالَهُ فِي الْعَالَمِينَ مُقْصَرُ
 لَقَدْ ظَفِيرَ الْأَتْرَاكِ عَدَلًا بِسُؤْلِهِمْ * وَنَحْنُ عَلَى الْأَثَارِ لَا شَكَّ نَنْظَرُ
 هُمْ لِهَمِّ الْعَامِ الْقَدِيمِ مُقَدَّرٌ * وَنَحْنُ لِنَا الْعَامِ الْخَلِيدِ مُقَدَّرُ
 تَقُوا بِالْأَمِيرِ الْقَائِمِ الْيَوْمَ إِنَّهُ * بِكُمْ وَبِمَا تَرْجُونَ أَدْرَى وَأَخْبَرُ ^(٤)
 فَلَا زَالَ تَحْرُوسَ الْأَرِيكَةِ جَالِسًا * عَلَى عَرْشِ (وَادِي النَّبِيلِ) يَنْهَى وَيَأْمُرُ

(١) شمر لا أمر : استند له . (٢) قسارى منى أوطانكم ، أى غاية مناهما ؛ يقال :
 قساراك أن تفعل كذا ، أى جهدك وغيبتك وآثر أمرك .
 (٣) تهوورا : وقعوا فى المكره بقله مبالاة ؛ والمراد هنا التكلم فى شئون السياسة بما تؤاخذهم
 به القوانين . (٤) الأمير ، هو عباس حلى الثانى خديوى مصر السابق .

الانقلاب العثماني

قالها في ثورة الأتراك التي انتهت بحلج السلطان عبد الحميد وتولية السلطان محمد الخامس^(١)

[نشرت في ١٢ مايو سنة ١٩٠٩ م]

(٢)
لَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَهَا مِنْ جُدُودٍ * كَيْفَ أَمْسَيْتَ يَا بَنَ (عَبْدَ الْحَمِيدِ)
(٣)
مُشِيعَ الْحُوتِ مِنْ حُومِ الْبَرَايَا * وَجَمِيعَ الْجُنُودِ تَحْتَ الْبُنُودِ
كَنتُ أَبْيَكِي بِالْأَمْسِ مِنْكَ فَيَالِي * يَتُّ أَبْيَكِي عَلَيْكَ (عَبْدَ الْحَمِيدِ)؟
فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ النَّصَارَى * فَيْكَ قَبْلَ الدُّرُوزِ قَبْلَ الْيَهُودِ
شَمِتُوا كُلُّهُمْ وَلَيْسَ مِنَ الْهِمَّةِ أَنْ يَشْمَتَ الْوَرَى فِي طَرِيدِ
أَنْتَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) وَالتَّاجُ مَعْقُودٌ * دُو (عَبْدُ الْحَمِيدِ) رَهْنَ الْقِيُودِ
خَالِدٌ أَنْتَ رَغَمَ أَنْفِ اللَّيَالِي * فِي كِبَارِ الرِّجَالِ أَهْلِ الْخُلُودِ
لَكَ فِي الدَّهْرِ - وَالْكَأَلُ مُحَالٌ - * صَفَحَاتُ مَا بَيْنَ بَيْضٍ وَسُودِ
(٤)
حَاوَلُوا طَمَسَ مَا صَنَعْتَ وَوَدُّوا * لَوْ يُطِيقُونَ طَمَسَ خَطِّ الْحَدِيدِ

(١) ولد السلطان عبد الحميد في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م، وولى الملك في أغسطس سنة ١٨٧٦ م، وخلع في ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م، وتوفي في ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م. (٢) الجرد : المخطوط؛ الواحد جت (بفتح الجيم وتشديد الدال). (٣) يشير بقوله « مشيع الحوت » : الى من كان يأمر السلطان عبد الحميد بإغراقهم في مضيق البسفور . والبند : الأعلام الكبيرة؛ الواحد بند، وهو فارسي معرب . ويشير بقوله « وجميع الجنود » : الى ما كان يقاسيه الجيش التركى من شغل العيش وضيق ذات اليد . (٤) يريد المخط الحديدي الجازي بين دمشق والمدينة الذي أنشاه السلطان عبد الحميد، وبدئ العمل فيه سنة ١٩٠٠ م، وأحفل بافتتاحه في سنة ١٩٠٨ م.

ذَاكَ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) ذُنُوكَ عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ إِنِّ ضَاعَ عِنْدَ الْعَبِيدِ
 (١)
 أَكْرِمُوهُ وَرَاقِبُوا اللَّهَ فِي الشَّيْءِ * بَخْ وَلَا تُرْهِقُوهُ بِالْتَّهْدِيدِ
 لَا تَخَافُوا أَذَاهُ فَالْشَّيْخُ هَآؤُ * لَيْسَ فِيهِ بَقِيَّةٌ لِلصُّعُودِ
 وَلِيَ الْأَمْرِ ثَلَاثَ قَرْنٍ يُنَادِي * بِأَسْمِهِ كُلُّ مُسْلِمٍ فِي الْوُجُودِ
 (٢)
 كُلَّمَا قَامَتِ الصَّلَاةُ دَعَى الدَّاءَ * عَى (لَعْبَدِ الْحَمِيدِ) بِالتَّأْيِيدِ
 فَاسْمُ هَذَا الْأَسِيرِ قَدْ كَانَ مَقْرُوءَ * نَا يَذْكُرُ الرُّسُولَ وَالتَّوَجِيدِ
 (٣)
 بَيْتٌ أَخَشَى عَلَيْكُمْ أَنَّ يَقُولُوا * إِنَّ أَثَرْتُمْ مِنْ كَامِنَاتِ الْحُقُودِ
 (٤)
 كَانَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) بِالْأَمْسِ قَرْدًا * فَقَدَا الْيَوْمَ أَلْفَ (عَبْدِ الْحَمِيدِ)
 (٥)
 يَا أَسِيرًا فِي (سَنَةِ هِيلَيْنَ) رَحَّبْ * بِأَسِيرٍ فِي (سَالِيكَ) جَدِيدِ
 (٦)
 قُلْ لَهُ كَيْفَ زَالَ مُلْكُكَ لَمْ يَعْ * صِمْمَكَ إِعْدَادُ عُدَّةٍ أَوْ عَدِيدِ
 لَمْ تَصْنَعْ الْجُنُودَ تَفْدِيكَ بِالْأَرْ * وَاجِ وَالْمَالِ يَا غَرَامَ الْجُنُودِ
 قُلْ لَهُ كَيْفَ كُنْتَ؟ كَيْفَ امْتَلَكْتَ الـ * بَارِضَ؟ كَيْفَ أَنْقَرَدْتَ بِالْمُعْجِيدِ؟

- (١) أَرَهَنَهُ : أَثْقَلَ عَلَيْهِ وَظَلَمَهُ . (٢) يَرِيدُ «بِالصَّلَاةِ» : حَلَاةُ الْجُمُعَةِ . وَيَرِيدُ «بِالدَّاعِي» :
 الْخَطِيبُ . (٣) أَنَاوَهُ إِثَارَةٌ : هَيْجُهُ . وَكَامِنَاتُ الْحُقُودِ : مَا خُفِيَ مِنْهَا . (٤) يَقُولُ لِمَنْ
 وَلِيَ الْأَمْرَ مِنْ رِجَالِ تَرْكِهَا : إِنَّ أَثَرْتُمْ دِفَاقِي الصُّدُورِ ، وَأَسَاتِمُ التَّصَرُّفِ فِي الْأُمُورِ ، تَغْنَعُفُ الظُّلْمَ ، فَبَدَلِ
 أَنْ كَانَ يَسْتَبِدُّ بِالْأَمْرِ وَيُظَلِمُ الرِّعْيَةَ فَرْدًا وَاحِدًا هُوَ عَبْدُ الْحَمِيدِ ، يَصْبِحُ مُسْتَبَدًّا بِأَمْرِكُمْ أَلْفَ عَبْدِ الْحَمِيدِ .
 (٥) يَرِيدُ «بِالْأَسِيرِ فِي سَنَةِ هِيلَيْنَ» : نَابِلْيُونُ بُونَابَرْتِ امْبِرَاطُورُ فَرَنْسَا وَقَاتَلَهَا الْمَعْرُوفَ ، وَقَدْ أَسَرَ
 فِي بَزِيرَةِ سَانْتِ هِيلَانَةِ ، وَظَلَّ بِهَا أَسِيرًا حَتَّى مَاتَ ، وَتَقَلَّتْ رِفَاتُهُ بَعْدَ مَدَّةٍ إِلَى فَرَنْسَا - وَسَالُونِيكَ : مَدِينَةُ
 مَعْرُوقَةٍ بِمَقْدُونِيَا ، وَكَانَتْ مِنْ أَمْلَاقِ الدَّوْلَةِ الْعِمَانِيَّةِ ، وَهِيَ الْآنَ مِنْ أَمْلَاقِ الْيُونَانِ ؛ وَقَدْ اعْتَقَلَ فِيهَا
 السُّلْطَانُ عَبْدُ الْحَمِيدِ بَعْدَ خَلْعِهِ . (٦) لَمْ يَصْمُكْ : لَمْ يَحْفَظْكَ . وَالْمَدَّةُ : السَّلَاحُ . وَالْمَدِيدُ : الْكَثْرَةُ .

- (١) فَثَلَّتِ الْعُرُوشَ عَرْشًا فَعَرْشًا * وَصَبَّتِ الصَّعِيدَ بَعْدَ الصَّعِيدِ
كَلَمًا نِلْتَ غَايَةَ لَمْ تَتْلَهَا * هِمَّةُ الدَّهْرِ قَلَتْ : هَلْ مِنْ مَرْيَدٍ؟
(٢) ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْ مَدَاكَ فَأَرْسَلَتْ * تَ بَطْرِيفٍ إِلَى السَّمَاءِ عَتِيدِ
قُلْ لَهُ : جَلَّ مَنْ لَهُ الْمُلْكُ لَا مَدَى * لَكَ لَغَيْرِ الْمُتَّهَمِينَ الْقَبُودِ
(٣) أَنْتَ مَهْمَا شَقِيتَ أَرْفَهُ حَالًا * مِنْ أَسِيرِ الْجَزِيرَةِ الْمَكْنُودِ
(٤) وَأَسِيرُ الْأَقْفَاصِ قَدْ كَانَ أَشَقَى * لَوْ سَأَلْتَ الْأَسْفَارَ عَنْ (بَايَزِيدِ)
كَانَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) فِي الْقَصْرِ أَشَقَى * مِنْهُ فِي الْأَمْرِ وَالْبَلَاءِ الشَّدِيدِ
(٥) كَانَ لَا يَعْرِفُ الْقَرَارَ يَلِيلِ * لَا وَلَا يَسْتَلِدُّ طَعْمَ الْمُجُودِ
حَذِرًا يَرْهَبُ الْفَلَامَ وَيَخْشَى * خَطَرَةَ الرَّيْحِ أَوْ بُكَاءِ الْوَلِيدِ
(٦) نَفَقٌ تَحْتَ طَائِقِ الْأَرْضِ أَخْفَى * فِي تَدَجِيهِ مِنْ ضَمِيرِ الْكُودِ

- (١) ثلث العروش، أى هدمت ملكها . والصعيد : التراب . يريد أنه صبغه بدماء أعدائه .
(٢) المدى : الغاية . والعتيد : المعد المهيأ . (٣) أرفه حالا : أحسنها . وأسير الجزيرة :
نابليون بونابرت . والجزيرة : سانت هيلانة السابق ذكرها . والمكود : المحزون . (٤) الأسفار :
الكتب ؛ الواحد : سفر (بكسر فكون) . وبايزيد ، هو بايزيد الأول ابن السلطان مراد الأول ،
وهو السلطان الرابع من سلاطين آل عثمان ، ولد عام ١٤٦١ هـ . وجلس على كرسى الملك بعد وفاة أبيه
عام ١٤٩١ هـ . وتوفي في سنة ١٥٠٥ هـ . ويشير الشاعر بهذا البيت الى وقوع بايزيد في أسر تيمورلنك
ملك التتر في موقعة أنقرة سنة ١٤٠٥ هـ ؛ وسبجه إياه في قصص حتى مات كذا بعد سبجه بغاية أشهر .
(٥) المجود : النوم . (٦) النفق (بالتحريك) : سرب في الأرض له مخرج إلى مكان .
ويشير إلى الموضع الخفية التي كانت يختبئ فيها السلطان عبد الحميد حذرا من أعدائه . وتدجيه :
إغلامه . والكود : الكفور . شبه ظلام المسارب التي كان يختبئ فيها عبد الحميد بظلام قلب الكفور
لعدم تقوُّذ ضوء الحق إليه .

(١)
يَعِجْزُ الْوَهْمَ عَنْ تَمَيُّسِ ذَاكَ الْ * بَابِ بَابِ الْخَلِيفَةِ الْمَنْكُودِ
أَصْحِيحٌ مَا قِيلَ عَنْكَ وَحَقُّ * مَا سَمِعْنَا مِنَ الرُّوَاةِ الشُّهُودِ
(٢)
أَنَّ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) قَدْ هَدَمَ الشَّرَّ * عَ وَأَرْبَى عَلَى فِعَالٍ (الْوَلِيدِ)؟
إِنْ بَرِيئًا وَإِنْ أَثِيمًا سَتُجْزَى * يَوْمَ تُجْزَى أَمَامَ رَبِّ شَهِيدِ
(٣)
أَصْحِيحٌ بَكَتَ لَمَّا أَتَى الْوَفْدَ * دُ وَنَابَتْكَ رِعْشَةُ الرَّعْدِ؟
(٤)
وَنَسِيتَ الْآبَاءَ وَالْمَجْدَ وَالشُّؤْ * دُدَّ وَالْعِزَّ يَا كَرِيمَ الْجُدُودِ؟
(٥)
مَا عَيْدَنَا الْمُلُوكَ تَبْكِي وَلَكِنْ * عَلَّهَا تَزُودُ الْفُسُودِ الْجَلِيدِ
عَلَّهَا دَمْعَةُ الْوَدَاعِ لِذَاكَ أَلْ * مُلْكٍ أَوْ ذِكْرُكَ لِيْلِكَ الْعُهُودِ
(٦)
غَسَلَ الدَّمْعُ عَنْكَ حَوْبَةَ مَاضِي * لَكَ وَوَقَاكَ شَرُّ يَوْمِ الْوَعِيدِ
شَفَعَ الدَّمْعُ فِيكَ عِنْدَ الْبَرَايَا * لَيْسَ ذَاكَ الشَّفِيعُ بِالْمَرْدُودِ
(٧)
دَمْعَكَ الْيَوْمَ مِثْلُ أَمْرِكَ بِالْأَمِّ * سِيسَ مُطَاعٌ فِي سَيِّدٍ وَمُسُودِ
(٨)
كَانَ (عَبْدُ الْعَزِيزِ) أَجْمَلَ أَمْرًا * مِنْكَ فِي يَوْمِ خَلْعِهِ الْمَشْهُودِ

(١) يقول : ان هذا التفخيم وضلت سبيله على طالبه ، حتى انه يعجز الوهم عن تعرف الطريق الى بابه .
(٢) أربى : زاد . والوليد ، هو ابن يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموي المرواني المشهور بالقسق وشرب الخمر وتهاونه بالدين . (٣) يريد الوفد المبعوث بخلعه . والرعيد : الجبان . (٤) السؤدد : السيادة والرفعة . (٥) الجليلد : المتجلد الصابر . (٦) الحوبة (فتح الحاء) : الخطيئة .
(٧) يقول : إن دمعتك يوم الخلع قد بلغت من الأثر في رعيتك ما ردهم عن الانتقام منك ، فكانه أمر من أوامرك المطاعة يوم كنت على العرش . (٨) عبد العزيز ، هو أحد سلاطين آل عثمان ، وهو الثاني والثلاثون منهم ، وهو ابن السلطان محمود الثاني . ولد عام ١٢٤٥ هـ وتولى الخلافة في سنة ١٢٧٧ هـ . وخلع في سنة ١٢٩٣ هـ ، وتوفي في السنة نفسها . وهو الذي زار مصر في عهد المغفور له اسماعيل باشا الخديوي ، وسمي باسمه شارع عبد العزيز بالقاهرة .

- (١) خَافَ مَأْثُورَ قَوْلِهِ فَتَعَالَى * عَنْ صَغَارِ وَمَاتَ مَوْتَ الْأَسُودِ
(٢) ضَمَّ مِقْرَاضَهُ إِلَيْهِ وَنَادَى * دُونَ ذَلِكَ الْحَيَاةِ قَطْعُ الْوَرِيدِ
(٣) حَتَّى عَهْدِ الرَّشَادِ يَأْشُرُقُ وَابْلُغْ * مَا تَمَنَّيْتَ مِنْ زَمَانٍ بَعِيدِ
قَدْ تَوَلَّى (مُحَمَّدُ الْخَامِسُ) الْمُلْكَ * لَكَ فَأَعْظِمَ بِتَاجِهِ الْمَعْقُودِ
(٤) وَتَجَلَّى فِي مِهْرَجَانٍ تَجَلَّى * سَيْفُ (عُثْمَانَ) فِيهِ بِالتَّقْلِيدِ
(٥) وَقَفَ الدَّهْرُ خَاشِعًا إِذْ رَأَى السَّيِّدَ * فَمِنْ فِي قَبْضَةِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ
(٦) طَاطِيٌّ لِبَلَالٍ يَا أُمَمَ الْأَرَّ * مِنْ مُجُودًا، هَذَا مَقَامُ الشُّجُودِ
(٧) عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّ عَهْدَ (رَشَادٍ) * خَيْرُ قَالٍ يَرِدُّ عَهْدِ (الرَّشِيدِ)

- (١) الصغار: الذل . يقول: إن هذا السلطان قد خاف في يوم خلع أنه يأخذ الناس عليه كلمة فيها ضعف ومذلة .
- (٢) المقرض: المقص .
- (٣) يريد «بالرشاد»: السلطان محمد رشاد الخامس، وقد تولى الملك في سنة ١٣٢٧ هـ — سنة ١٩٠٩ م — بعد خلع السلطان عبد الحميد .
- (٤) المهرجان: عيد للفرس، ويطلق على كل عيد . وعثمان، هو ابن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية التي تنسب إليه . (انظر التعريف به في الحاشية رقم ١ من صفحة ١٧ من هذا الجزء) .
- (٥) يريد «بالسيفين»: سيف عثمان مؤسس الدولة، وسيف الخليفة الجالس على العرش .
- (٦) طاطأ رأسه: خفضه .
- (٧) يريد «بالرشيد»: الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي بلغت الأمة الإسلامية في أيامه من الرقي أقصاه .

عيد الدستور العثماني

أشدها في الحفل الذي أقيم في حديقة الأركية في مساء الجمعة ٢٣ يولييه سنة ١٩٠٩ م
 أَجَلٌ هَذِهِ أَعْلَامُهُ وَمَوَاصِيُهُ * هَيْنِئًا لَهُمْ فَلْيَسْحَبِ الذِّئِلَ سَاحِبُهُ^(١)
 هَيْنِئًا لَهُمْ فَالْكُونُ فِي يَوْمٍ عِيْلِهِمْ * مَشَارِقُهُ وَضَاءَةٌ وَمَغَارِبُهُ^(٢)
 رَعَى اللَّهُ شَعْبًا جَمَعَ الْعَذْلَ شَمْلَهُ * وَتَمَّتْ عَلَى عَهْدِ الرَّشَادِ رَغَائِبُهُ^(٣)
 تَحَالَفَ فِي ظِلِّ الْهِلَالِ إِمَامُهُ * وَحَاحَا مُهْ - بَعْدَ الْخِلَافِ - وَرَاهِبُهُ^(٤)
 خُذُوا بِيَدِ الْإِصْلَاحِ وَالْأَمْرُ مُقْبِلٌ * فَلَأَيُّ أَرَى الْإِصْلَاحَ قَدْ طَرَّ شَارِبُهُ^(٥)
 وَرُدُّوا عَلَى الْمُلْكِ الشَّبَابَ الَّذِي ذَوَى * فَلَأَيُّ رَأَيْتُ الْمُلْكَ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ^(٦)
 فَمَنْ يَطْلُبُ الدُّسُورَ بِالسُّوءِ بَعْدَ مَا * حَمَتَهُ يَدُ (الْفَارُوقِ) فَاللَّهُ طَالِبُهُ^(٧)
 إِذَا (شَوَكَتُ الْفَارُوقُ) قَامَ مُنَادِيًا * إِلَى الْحَقِّ لَبَّاهُ (نِيَازِي) وَصَاحِبُهُ^(٧)

- (١) أجل : نعم . وأعلامه ، أى أعلام العيد . ولهم : للأتراك . وصحب الذيل : كناية عن التيه والفخر .
 (٢) وضاءة (بضم الواو وتشديد الضاد) ، أى ذات حسن وبهجة ، من الوضاعة (بفتح الواو وتخفيف الضاد)
 (٣) الرغائب : جمع رغبة ، وهى ما يرغب فيه .
 (٤) الهلال : شعار الدولة العثمانية . ويريد « بالإمام والحاخام والراهب » : اجتماع المسلمين واليهود والمسيحيين تحت تلك الراية .
 (٥) طر شاربه : نبت وطلع ، وذلك فى أول عهد الشباب . ويريد بهذه العبارة : أن وقت الإصلاح قد حان .
 (٦) ذوى : ذبل . والذوائب : الضفائر؛ الواحدة ذؤابة . وشيب الذوائب ، كناية عن الضعف والانحلال .
 (٧) شوكت نيازى : بطران من أبطال جمعية الاتحاد والترقى التركية . ويريد « بالصاحب » : أنور باشا القائد التركى المعروف . وكان لهؤلاء الثلاثة بلاء حسن فى الانقلاب العثمانى المعروف ، وخلع السلطان عبد الحميد ، وإعادة الدستور إلى الأمة التركية .

ثَلَاثَةُ آسَادٍ يُجَانِبُهَا السَّرْدَى * وَإِنْ هِيَ لَا قَاهَا الرَّدَى لَا تُجَانِبُهُ^(١)
يُصَارِعُهَا صَرْفُ الْمُنُونِ فَتَلْتَقِي * مَخَالِبُهَا فِيهِ وَتَبْشُرُ مَخَالِبُهُ^(٢)
رَوَتْ قَوْلَ (بَشَارٍ) فَتَارَتْ وَأَقْسَمَتْ * وَقَامَتْ إِلَى (عَبْدِ الْحَمِيدِ) مُحَاسِبُهُ
(إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَوْخَدُهُ * مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ مُعَاتِبُهُ^(٣))
وَسَارَ عَلَى أَغْقَابِهَا كُلُّ سَالِحٍ * عَلَى مَتْنِهِ بُرْجٌ مَشِيدٌ يُدَاعِبُهُ^(٤)
يَصِيحُ بِهِ : لَارِيَّ أَوْ نَبْلُغُ الْمُنَى * وَلَا شَيْعٌ أَوْ يَرْجِعَ الْحَقُّ غَاصِبُهُ
هُنَالِكَ فَانْهَلْ وَأَتَّخِذْ ثُمَّ مَرْبَطًا * (يَبْلُذُ) وَأَحْذِ فِي الْوَعْيِ مَنْ تُصَاحِبُهُ^(٥)
رِجَالٌ مِنَ الْإِيمَانِ مَلَأَى قُفُوسَهُمْ * وَجَيْشٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ ظَمَأَى قَوَاضِيَهُ^(٦)
صَوَالِجُهُ سُمُرُ الْقَنَا، وَكُرَاتُهُ * رُءُوسُ الْأَعَادِي، وَالْحُصُونُ مَلَاعِبُهُ^(٧)

(١) الردى : الهلاك . (٢) المنون : الموت . وتبشرو : تكل وتربتد .

(٣) صعرخده : أماله عند النظر إلى الناس تهاونا بهم فكبروا . ويريد قوله « تعاتبه » : نهذهه
بالسيوف وتذره بالقتل . وفي استعمال الغتاب بهذا المعنى تهكم ظاهر . وهذا البيت من قصيدة لبشار بن برد
يلدح بها عمر بن هيرة . (٤) يريد « بالسالنج » : القوس الشديدة الجري . والمثنى : الظهر .
ويريد « بالبرج » : القارس الذى يشبه البرج فى ضخامته . (٥) انهل : اشرب ، من التهل
(بالتحريك) ، وهو السقى الأولى . ويبلذ : قصر الخلقة بالقمطنطينية . والوعى : الحرب . يعد
القارس فرسه بأنه سيلبغ ما يريد من النصر والفقر ، وأنه سيستبيح من حى القصر ما كان متمنا ، وهناك يحمده
راكبه على صدق وعده . (٦) القواضب : السيوف القواطع . ومعنى قوله « ظمأى قواضيه » :
أن سيوفه عطشى إلى دماء الأعداء . (٧) الصوالج : العصي المرحجة الأطراف التى يلعبون بها
الكرة ؛ الواحد صوبلجان ، فارسي معرب . والقنا : الرماح ؛ الواحدة قناتة . وقد شبه هذا الجيش فى حربه
بمن يلعبون الكرة لشوقه إلى الحرب ، وقلة مبالاته بالمرت فيها ، فجعل الرماح صوالجه ، ورؤوس الأعداء
كراته ، والحصون مواضع اللعب .

- (١) إِذَا نَارُ دُكَّتْ أَجْبَلُ وَتَحَشَّتْ * بِحَارٍ وَأَمْضَى اللَّهُ مَا هُوَ كَاتِبُهُ
(٢) وَثَلَّثَ عُرُوشَ وَاسْتَقَرَّتْ مَمَالِكُ * وَلَوْ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ فِيهَا يُنَاصِبُهُ
(٣) فَمَنْ لَمْ يُشَاهِدْ (يَلْدِزَا) بَعْدَ رَبِّهَا * وَقَدْ زَالَ عَنْهُ الْمُلْكُ وَأَنْدَكَ جَانِبُهُ
(٤) وَأَسْأَلُهُ أَحْبَابُهُ لِقُضَاتِهِ * وَفَرَّ - وَلَمْ يَحْشَ الْمَعْرَةَ - كَاتِبُهُ
(٥) وَقَلَمَتِ الْأَقْدَارُ أَظْفَارَ بَطِيشِهِ * وَدَلَّ عَلَى مَا تَجْهَلُ الْجَنُّ حَاجِبُهُ
(٦) فَمَا شَهِدَ الدُّنْيَا تَرْوُلُ وَلَا رَأَى * بَلَاءَ قَضَاءِ اللَّهِ فِيمَنْ يُجَارِبُهُ
(٧) أَيْبَحَ حِمَاها وَأَنْطَوَى بِجَدِّ رَبِّهَا * وَقَامَتْ عَلَى الْبَيْتِ (الْحَمِيدِي) نَوَابِهُ
(٨) وَلَمْ يُغْنِ عَنْ (عَبْدِ الْحَمِيدِ) دَهَاؤُهُ * وَلَا عَصَمَتْ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) تَجَارِبُهُ
(٩) وَلَمْ يَجْعَلْ حِصْنٌ وَلَمْ تَرَمْ دُونَهُ * دَنَانِيرُهُ وَالْأَمْرُ بِالْأَمْرِ حَازِبُهُ
(١٠) وَلَمْ يُخْفِهِ عَنْ أَعْيُنِ الْحَقِّ مُخَدَعٌ * وَلَا تَفَقَّ فِي الْأَرْضِ جَمٌّ مَسَارِبُهُ

- (١) دكت : تهدمت . وما هو كاتبه ، أى ما هو مقدره من النصر والظفر لهذا الجيش .
(٢) ثلث : هذبت . وذو القرنين : ملك معروف باتساع الملك وكثرة الفتوحات . ويناصبه : يباديه .
(٣) ربها : صاحبها ، وهو عبد الحميد .
(٤) يريد « بكتابه » : عزت العابد باشا . (٥) يقال : هو قلم الأظفار ، إذا كان أحرل
بغير سلاح . ويريد « بما تجهل الجن » : السرايب والأفلاك التي كان يخفي فيها السلطان عبد الحميد
من أعدائه . (٦) فما : جواب « من » في قوله السابق : « فمن لم يشاهد ... الخ » .
(٧) أيبح حماها ، أى صارت يلدز مفتحة النواحي لكل داخل مهما قل شأنه .
(٨) عصمت : حفظت . (٩) لم ترم دونه دنانيره ، أى أن أمواله لم تدفع عنه أعدائه .
فنبه المال يحفظ صاحبه من أعدائه بمن يرى السهام دفاعا عن من يخفى به . وحزبه الأمر : تابه وأشدته
عليه وضغفه . (١٠) يشير في هذا البيت إلى الخائب والأفلاك التي كان قد أعدّها عبد الحميد
تحت الأرض ليخفي فيها من أعدائه .

(١) أَقَامَ عَلَيْهِ مَهْلَكًا عِنْدَ مَهْلَكٍ * يَمْرُبه رَوْحُ الصَّبَا فَيُؤَابِئُهُ
تَحَامَاهُ حَتَّى الْوَهْمُ خَوْفَ اغْتِيَالِهِ * فَلَوْ مَسَّهُ طَيْفٌ لِدَارَتْ لَوَالِيَهُ
وَأَسْرَفَ فِي حُبِّ الْحَيَاةِ لِحَاطِهَا * بِسُورٍ مِنَ الْأَهْوَالِ لَمْ يَنْجُ رَاكِبُهُ
(٢) فَفِي كُلِّ قُفْلٍ لِلنِّيَّةِ مَكْنٌ * وَفِي كُلِّ مِفْتَاحٍ قَضَاءٌ بِرَاقِبِهِ
وَفِي كُلِّ رُكْنٍ صُورَةٌ لَوْ تَكَلَّمْتَ * لِمَا شَكَّ فِي (عَبْدِ الْحَمِيدِ) مُخَاطِبُهُ
(٣) تَمَائِيلُ إِيَّاهُمْ أُنِيمَتْ وَأُقِعِدَتْ * تَرَأَى بِهَا أَعْطَافُهُ وَمَنَاكِبُهُ
تُمَثِّلُهُ فِي نَوْمِهِ وَجُلُوسِهِ * وَتَتَخَدَّعُ فِيهِ الْمَوْتُ حِينَ يُقَارِبُهُ
أَقَامَ عَلَيْهِ أَلْفَ مَوْتٍ مُحَجِّبٍ * لِيَغْلِبَ مَوْتًا وَاحِدًا عَزَّ ظَالِيَهُ
(٤) سَلَوُهُ أَعَاغَتْ عَنْهُ فِي يَوْمٍ خَلَعَهُ * عَجَائِبُهُ ؟ أَوْ أَحْرَزَتْهُ غَرَائِبُهُ ؟
(٥) وَقَدْ نَزَلَ الْمِقْدَارُ بِالْأَمْرِ صَادِقًا * فَضَاقَتْ عَلَى شَيْخِ الْمُلُوكِ مَذَاهِبُهُ
وَأَنْخَرِيهِ مِنْ (يَلْدِزِ) رَبِّ (يَلْدِزِ) * وَجَرَّدَهُ مِنْ سَيْفِ (عُثْمَانَ) وَإِهْبُهُ
(٦) وَأَصْبَحَ فِي مَنَفَاهُ وَالْجَيْشِ دُونَهُ * يُغَالِبُ ذِكْرِي مُلْكِهِ وَتُغَالِبُهُ

- (١) الروح : الريح . يقول : إن عبد الحميد قد بالغ في المحافظة على نفسه حتى أقام حوله من أسباب الهلاك لطالبه ما لو مرت به ريح الصبا لوثب عليها غنا منه أنها من أعداء السلطان .
(٢) يشير بهذا البيت إلى ما كان يروى من العجائب التي كان يتخذها السلطان عبد الحميد في الحذر على نفسه من أعدائه ، حتى إنه قد صنعت للحاجته خزائن أمواله أقال إذا حاول غيره فتحها أصابه منها ما يقتله .
(٣) تراءى ، أى تراءى . والأعطاف : الجوانب . (٤) أحزته : حفظته .
(٥) المقدار : القدر . وصدق بالأمر : جاهر به مصرحا . (٦) والجيش دونه ، أى واقف دونه يمنعه من القرار .

(١) يُنَادِيهِ صَوْتُ الْحَقِّ : ذُقْ مَا أَذَقْتَهُمْ * فَكُلْ أَمْرِي رَهْنٌ بِمَا هُوَ كَاسِبُهُ
(٢) هُم مَتَحَوِّكَ الْيَوْمَ مَا أَنْتَ مُشْتَرِي * فَرَدَّ لَهُم بِالْأَمْسِ مَا أَنْتَ سَالِيهِ
(٣) وَدَعَّ عَنْكَ مَا أَمَلْتَ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا * فَلَمْ يَبْقَ لِلْأَمَالِ فَضْلٌ يُجَادِيهِ
(٤) مَضَى عَهْدُ الْأَسْتِبْدَادِ وَأَنْدَكَ صَرْحُهُ * وَوَلَّتْ أَفَاعِيهِ وَمَاتَتْ عَقَارِيهِ
(٥) لَكَ اللَّهُ يَا (تَمُوزُ) إِنْكَ بَلَسَمٌ * بِالْجَرَحِ الْأَمْسَى وَالْذَهْرُ تَعْدُو نَوَائِيهِ
(٦) فَكَمْ رُعْتَ جَبَّارًا وَأَرْهَقْتَ ظَالِمًا * وَأَنْصَفْتَ مَظْلُومًا تَوَلَّتْ مَصَائِبُهُ
(٧) فَدَيْنَاكَ مِنْ شَهْرِ أَغْرَ مُحَجَّلٍ * أَوَائِلُهُ مَبْهُوتَةٌ وَعَوَاقِبُهُ
(٨) تُقَابِلُهُ الْأَعْيَادُ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا * تَجَلَّى هِلَالُ الشَّهْرِ أَوْ لَاحَ حَاجِبُهُ
(٩) فِي الْغَرْبِ عِيدٌ يَنْظِمُ الْغَرْبُ حُسْنَهُ * فَتَهْتَرُ مِنْ وَقْعِ السُّرُورِ جَوَائِبُهُ
(١٠) وَفِي الشَّرْقِ عِيدٌ لَمْ يَرِ الشَّرْقُ مِثْلَهُ * تَدْفُقُ فِي دَارِ السَّلَامِ مَوَاقِبُهُ

- (١) رهن بما هو كاسبه ، أى مجزى بما اقترفه هو ، لا بما اقترفه غيره ، يقال : هو رهن بكذا ، أى مقصور عليه لا يشده . (٢) ما أنت مشتة ، أى الحياة . وما أنت ساليه ، أى حقوق الأمة وحريتها . (٣) شبه «الأمال» بالرداء الذى له فضول ، أى زيادات يجلب منها . يقول : إن آمالك فى الملك قد قصرت فليس فيها موضع تمسكه بهذا وتجلدها منه . (٤) الصرح : ما علا من البنيان . ويريد «بالأفاعى والمقارب» : جواسيس عبد الحميد ورسل الشرق في عهده . (٥) تموز : شهر معروف من السنة المسيحية ، وهو فى شهر يولي ، وهو الذى قال فيه الأمة التركية دستورها . والهمس : دواء تضمد به الجراح . (٦) رعت : ألزعت . وأرهقت ظالما : حملته ما لا يطاق من العذاب . (٧) يقال : يوم أو شهر أغر محجل ، إذا كان مشهورا ، وأصلها من الصفات اغدوسة فى الخيل ، الأغر منها ما كان فى جبهته بياض ، والمحجل ما كان البياض فى قوائمه . (٨) تجلى : ظهر . (٩) يريد «بالعيد الذى فى الغرب» : عيد الحرية فى فرنسا ، وهو فى شهر تموز (١٤ يولي) . (١٠) يريد «بالعيد الذى فى الشرق» : عيد الدستور التركى ، وقد نسب إلى الشرق ، لأن الأمم الشرقية النابتة لتركيا كانت تتخذ هذا اليوم عيداً مثلها . ودار السلام : القسطنطينية .

(١) يُطِيقُونَ بِالْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَرَبِّهِ * تُطِيفُ بِهِمُ الْآؤُهُ وَمَتَابُهُ
 لَيْثِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا * خِلَافَتُهُ فَالْعَرْشُ سَعْدٌ كَوَاكِبُهُ
 (٢) سَمَّتْكَ أَمْوَاجُ الْبَحَارِ سَفِينُهُ * كَمَا مَلَكَتْ شُمُ الْجِبَالِ كِتَابَتُهُ
 تَمَالِكُهُ مَحْرُوسَةٌ وَتُغَوَّرُهُ * رَكَابَتُهُ مَنصُورَةٌ وَمَرَاكِبُهُ

(٣) إلى البرنس حسين كامل باشا

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، عبر فيها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

[نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩ م]

(٤) لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فَمَتَى تَنَامُ * أَهْمُ ذَاكَ نَوْمَكَ أَمْ هِيَامُ
 (٥) غَفَا الْحَزُونُ وَالشَّارِكِي وَأَغْنَى * أَخُو الْبَلْوَى وَنَامَ أَلْمَسْتَهَامُ
 (٦) وَأَنْتَ تَقْلُبُ الْكَفَّينِ أَنَا * وَأَوْنَةُ يُقْبَلُكَ السَّقَامُ
 (٧) تَحَدَّرَتِ الْمَدَامِعُ مِنْكَ حَتَّى * تَعْلَمُ مِنْ عَجَائِرِكَ الْقَهَامُ

- (١) الآلاء : النعم . والمناسبات : الاتصال الحميدة ؛ الواحدة متعبة .
- (٢) شُمُ الجبال : أعاليها ، الواحد أشم . والكاتب : فرق الجيش ؛ الواحدة كتيبة .
- (٣) ولد السلطان حسين كامل في يوم ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ - ٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م .
- وفي يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر . وتوفي رحمه الله في ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .
- (٤) فصل الدجى : خرج من سواده وأبيض بطلوع الصباح . وذاد : منع . والهيام : الشوق .
- (٥) غفا وأغنى : نام . والمستهام : العاشق . (٦) تقليب الكف : كناية عن الحيرة .
- (٧) المحاجر : جمع محجر (يفتح الميم وكسر الجيم وسكون ما بينهما) ، وهو : دار حول العين . والقهام : السحاب . يقول : إن السحاب تعلم انهجال مطرد من انهجال مدامعت .

- (١) وَصَّيْتُ مِنْ تَقْلِيكِ الْحَشَايَا * وَأَشْفَقَ مِنْ تَلَهْفِكَ الظَّلَامُ
(٢) تَبَيَّتُ تُسَاجِلُ الْأَفْلَاكَ سَهْدًا * وَعَيْنُ الْكَوْنِ رَقَّعَهَا الْمَنَامُ
وَتَكْتُمُنَا حَدِيثَ هَوَاكَ حَتَّى * أَذَاعَ الصَّمْتُ مَا أَخْفَى الْكَلَامُ
(٣) بَرَبِّكَ هَلْ رَجَعْتَ إِلَى رَسِيصٍ * مِنْ الذِّكْرِى وَهَلْ رَجَعَ الْغَرَامُ؟
(٤) وَقَدْ لَمَعَ الْمَشِيبُ وَذَلِكَ سَيْفٌ * عَلَى قَوْدَيْكَ عُلَّقَهُ الْجَامُ
(٥) أَيْجَلُ بِالْأَدِيبِ أَدِيبٌ مُضِرٌ * بُكَاءُ الطِّفْلِ أَرْهَقَهُ الْفِطَامُ
(٦) وَيَضْرِفُهُ الْهَوَى عَنْ ذِكْرِ مُضِرٍ * وَمِضْرٌ فِي يَدِ الْبَاغِي، تُضَامُ؟
(٧) عَدِمْتُ يَرَاعَتِي إِنْ كَانَ مَا بِي * هَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ لَهُ ضِرَامُ
(٨) وَمَا أَنَا وَالْغَرَامَ وَشَابَ رَأْيِي * وَفَالَ شَبَابِي الْخَطْبُ الْجَسَامُ
(٩) وَرَبَّانِي الَّذِي رَبِّي (لَيْدًا) * فَعَلَّمَنِي الَّذِي جَهَلَ الْإِنَامُ

(١) الحشايَا : الفرش المحشوة ؛ الواحدة حشية (بتشديد الياء) . (٢) تساجل الأفلاك : مهذا ، أى تشاركها في السهر وتناوبها فيه . ورقعها : خالطها . (٣) الرسيس : البقية والأثر .
(٤) القودان : ناحيتا الرأس . والجمام (بكسر الحاء) : الموت . ويريد « بالسيف المعلق على ناحيتي الرأس » : الشيب ، لأن كليهما قاتل .
(٥) أرهقه : آذاه وآله . (٦) الباغي : الظالم . (٧) اليراعة : القلم . ويريد بلاغته وأدبه ، لأنهما يكتبان به . وضرام النار : اشتعلها . (٨) غاله : أفناه وأهلكه .
والجسام والجسيم : العظيم . (٩) يريد لبيد بن ربيعة العامري الشاعر المعروف ، صاحب المعلقة المشهورة ، التي أولها : « عفت الديار محلها فرسومها » . وكان من المعمرين ، أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم . ويريد « بالذي ربي لبيدا » : الزمان وتطاوله . ونخصه بالذكر لأنه من المعمرين ، ومن جربوا الحياة حتى ستموها ، قال :

ولقد ستمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟

(١) لَعَمْرُكَ مَا أَرَقْتُ لَنَفِيرٍ مُضِيرٍ * وَمَالِي دُونَهَا أَمَلٌ يُرَامُ
 ذَكَرْتُ جَلَالَهَا أَيَّامَ كَانَتْ * تَصُولُ بِهَا الْفَرَاغَةُ الْعِظَامُ
 وَأَيَّامَ الرِّجَالِ بِهَا رِجَالٌ * وَأَيَّامَ الزَّمَانِ لَهَا غُلَامُ
 فَأَقْلَقَ مَضْجَعِي مَا بَاتَ فِيهَا * وَبَاتَتْ مُضِرُّهُ فَيْهَ ، فَهَلْ أَلَامُ؟
 (٢) أَرَى شَعْبًا بِمَدْرَجَةِ الْعَوَادِي * تَمَخَّخَ عَظْمُهُ دَاءَ عُقَامُ
 إِذَا مَا مَرَّ بِالْبَاسِ عَامٌ * أَطْلَّ عَلَيْهِ بِالْبَاسِ عَامُ
 (٣) مَرَى دَاءَ التَّوَاكُلِ فِيهِ حَتَّى * تَخَطَّفَ رِزْقَهُ ذَاكَ الرَّحَامُ
 (٤) قَدْ اسْتَعَصَى عَلَى الْحُكَمَاءِ مِنَّا * كَمَا اسْتَعَصَى عَلَى الطُّبِّ الْجُدَامُ
 هَلَكَ الْفَرْدُ مَنَشْؤُهُ تَوَانٍ * وَمَوْتُ الشَّعْبِ مَنَشْؤُهُ انْقِسَامُ
 وَإِنَّا قَدْ وَدَيْنَا وَأَنْقَسَمْنَا * فَلَا مَسْعَى هُنَاكَ وَلَا وِثَامُ
 فَسَاءَ مُقَامُنَا فِي أَرْضِ (مِصْرِ) * وَطَابَ لَنَفِيرِنَا فِيهَا الْمُنْقَامُ
 (٥) فَلَا عَجَبٌ إِذَا مُلِكَتْ عَلَيْنَا * مَذَاهِبُنَا وَأَكْثَرُنَا نِيَامُ
 (حُسَيْنٌ حُسَيْنٌ) أَنْتَ لَهَا قَنْبُهُ * رِجَالًا عَنْ طَلَابِ الْحَقِّ نَامُوا
 (٦) وَكُنْ بِأَيْمِكَ لِابْنِ أَخِيكَ عَوْنًا * فَأَنْتَ بِكَفِّهِ نِعَمَ الْحُسَامُ

- (١) أرق أرقا (وزان فرح فرحا) : سهر . (٢) المدرجة : الطريق . والعوادي : النواثب .
 وتمخخ العظم ، إذا أخرج نخه . والداء العقام : الذي لا يرجى البرء منه . (٣) يريد « بالزحام » :
 مزاحمة الأجانب للصيرين . (٤) الضمير في « استعصى » : يعود على « التواكل » السابق .
 (٥) المذاهب : الطرق . (٦) يريد « ابن أخيه » : عباس الثاني خديوي مصر السابق .

أَفِضْ فِي قَاعَةِ الشُّورَى وَثَامًا * فَقَدْ أَوْدَى بِنَا وَبِهَا الْخِصَامُ
 وَعَلَهُمْ مُصَادِمَةُ الْعَوَادَى * فَثَلُوكَ لَا يُرَوِّعُهُ الصَّدَامُ^(١)
 فَنِي حَزْبِ الْيَمِينِ لَدَيْكَ قَوْمٌ * وَإِنْ قَالُوا فَإِنَّهُمْ كِرَامُ
 وَفِي حَزْبِ الشَّمَالِ لَدَيْكَ أَسَدٌ * كُجَاهٌ لَا يَطِيبُ لَهَا أَنْهَزَامُ^(٢)
 فَكُونُوا لِلْبِلَادِ وَلَا يَفْتَكُكُمْ * مِنَ التَّهْزَاتِ وَالْفَرَصِ آغْنِيَا^(٣)
 فَا سَادُوا بِمُعْجَزَةٍ عَلَيْنَا * وَلَكِنْ فِي صُفُوفِهِمْ آيْضَامُ^(٤)
 فَلَا تَتَّقُوا بَوْعِدَ الْقَوْمِ يَوْمًا * فَإِنَّ سَحَابَ سَائِسِهِمْ جَهَامُ^(٥)
 وَخَافُوهُمْ إِذَا لَانُوا فَإِنِّي * أَرَى السُّوَّاسَ لَيْسَ لَهُمْ ذِمَامُ^(٦)
 فَكَمْ صَحَّكَ الْعَمِيدُ عَلَى لِحَانَا * وَغَرَّ سَرَاتِنَا مِنْهُ آتْسَامُ^(٧)
 أَبَا الْفَلَاحِ إِنَّ الْأَمْرَ فَوْضَى * وَجَهْلُ الشَّعْبِ وَالْفَوْضَى لِرَازِمُ^(٨)
 فَأَسْبِعِدْنَا بِنَشْرِ الْعِلْمِ وَأَعْلَمَ * بِأَنَّ النُّقْصَ يَعْقُبُهُ التَّمَامُ

- (١) العوادي : النوايب . ويروقه : يفرقه . (٢) الكجاة : الشجعان ؛ الواحد كجى (يفتح الكاف وتشديد الياء) . (٣) التهزات : ما يتهمز من الفرص ، الواحدة نهزة (بضم فسكون) . (٤) سادوا : يريد شعوب الغرب . (٥) يريد « بالقوم » : الإنجليز . و « بوعدهم » : ما وعدوا به مصر من الجلاء عنها . والجهام من السحب (يفتح الجيم) : الذي لا ماء فيه . (٦) الزمام : الذمة والعهد . (٧) يريد عميد الدولة الإنجليزية (السير غورست) . والسرارة من الناس : أهل الرقة والمنزلة ؛ الواحد سرى (يفتح السين وتشديد الياء) . (٨) أبو الفلاح : كنية كان يكنى بها المفقور له السلطان حسين كامل ، وذلك لما كان يظهره من العناية بالفلاحين والظرفيا يصلحهم ويعود عليهم بالرفاهية والخصب . ورازم ، أى ان الجهل والفوضى متلازمان ، إذا وجد أحدهما وجد الآخر .

وليس العلمُ بِمُسْكًا وَجيدًا * اذا لم يتَّصِرِ العلمُ اَعْتَرَامُ
 (١) وإن لم يُدْرِكْ الدُّسْتُورُ (مُضْرًا) * فما لِحْيَاتِهَا أَبَدًا فِوَامُ
 (٢) حَمُونًا وَرَدَ ماءِ (النَّيْلِ) عَذْبًا * وقالوا : إِنَّهُ مَوْتُ زُؤَامُ
 وما المَوْتُ الزُّؤَامُ إِذَا عَقَلْنَا * سِوَى الشَّرِكَاةِ حَلَّ لَهَا الْحَرَامُ
 لقد سَعِدَتْ بِغَفْلَتِنَا فِرَاحَتُ * بِثَرَوَتِنَا وَأَوَّلُهَا (الْأَتْرَامُ)
 (٣) فَيَاوَيْلَ الْقَنَافَةِ إِذَا أَحْتَوَاهَا * (بُنُو التَّامِيزِ) وَأَنْحَسَرَ الثَّامُ
 (٤) لقد بَقِيَتْ مِنَ الدُّنْيَا حُطَامًا * بِأَيْدِينَا وَقَدْ عَزَّ الْحُطَامُ
 (٥) وقد كُنَّا جَعَلْنَاهَا زِمَامًا * فَوَالْهَمِي إِذَا قُطِعَ الزُّؤَامُ
 (فِيَا قَصْرَ الدُّبَارَةِ) لَسْتُ أَدْرِي * أَحَرَبُ فِي حِرَابِكَ أَمْ سَلَامُ
 (٦) أَجِبْنَا ، هَلْ يُرَادُّ بِنَا وَرَاءُ * فَتَقْضَى أَمْ يُرَادُّ بِنَا أَمَامُ
 وَيَا حِزْبَ الْيَمِينِ إِلَيْكَ عَنَّا * لقد طَاشَتْ نِيَالُكَ وَالسَّهَامُ
 وَيَا حِزْبَ الشَّمَالِ عَلَيْكَ مِنَّا * وَمِنْ أُنْبَاءِ تَجَدُّدِكَ السَّلَامُ

- (١) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه الذى يقوم به . (٢) يشير بهذا البيت الى شركة المياه .
 ويريد بقوله : « موت زؤام » : ما يجمله ماء النيل الكدر من الجراثيم . (٣) القنافة ، أى قنافة السويس .
 وبنو التاميز : الإنجليز . والتاميز : نهر عندهم معروف . ويريد « بانحسار الثام » : انكشاف الحجاب
 عما يضمرونه نحو مصر . (٤) بقيت ، أى القنافة . (٥) يريد بهذا البيت والذى قبله أن
 قنافة السويس قد بقيت في يدنا ترانا عن السلف على قلة تراثنا ، وقد كنا نأمل منها أن تكون صلة بيننا وبين العالم
 وأخوف ما نخافه أن تنقطع هذه الصلة . (٦) تقضى : تموت . (٧) حزب اليمين : الأعضاء
 الذين كانوا يؤيدون الحكومة في مجلس شورى القوانين . وحزب الشمال : المعارضون الذين كانوا يؤيدون
 رأى الأمة . وأبناء تجددك ، أى الذين يناصرونك ويرون رأيك . والتجدة : الشجاعة والنصرة .

تحية العام الهجرى

[سنة ٨١٣٢٨هـ - يناير سنة ١٩١٠م]

- (١) لى فِيكَ حِينَ بَدَأَ سَنَاكَ وَأَشْرَقَا * أَمَلْتُ سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَتَحَقَّقَا
 (٢) أَشْرِقَ عَلَيْنَا بِالسُّعُودِ وَلَا تَكُنْ * كَأَخِيكَ مَشْغُومَ الْمَنَازِلِ أَهْرَقَا
 قد كَانَ جَرَّاحَ النَّفُوسِ فَدَاوَاهَا * مِمَّا يَهَا وَكُنَ الطَّيِّبَ مُوقِّعَا
 (٣) هَلَلْتُ حِينَ لَمَحْتُ نُورَ جَبِينِهِ * وَرَجَوْتُ فِيهِ الْخَيْرَ حِينَ تَأَلَّقَا
 (٤) وَهَزَزْتُهَ بِقَصِيدَةٍ لَوْ أَنَّهَا * ثَلَيْتُ عَلَى الصَّخْرِ الْأَصَمَّ لِأَغْدَقَا
 (٥) فَتَأَى بِجَانِبِهِ وَخَصَّ بِنَحْسِهِ * مِصْرًا وَأَسْرَفَ فِي النُّحُوسِ وَأَغْرَقَا
 لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَا يُجِبُّهُ لَنَا * لَسَأَلْتُ رَبِّي ضَارِعًا أَنْ يُحَقِّقَا
 (٦) أَوَّلَى الْأَعَاجِمِ مِنْهُ مَذْكُورَةٌ * وَأَعَادَ لِلْأَرَاكِ ذَاكَ الرَّوْنَقَا
 (٧) وَتَغَيَّرَتْ فِيهِ الْخُطُوبُ بِفَارِسٍ * حَتَّى رَأَيْتُ الشَّاهَ يَخْتَشَى الْيَسَدَا

(١) السا: الضوء. مخاطب هلال المحرم. (٢) يريد بقوله «أخيك»: هلال العام الذى قبله. والمنازل: البروج التى ينتقل فيها القمر. والأشروق: من الخروق (بضم الخاء) والخروق (بفتح الخاء والراء)، وهو القسوة والحق. (٣) تألى: أضاء وأشرق. (٤) يقال: هزه إلى المعروف: إذا حركه إليه وشوقه إلى عمله. وأغدق: تفجر بالماء الكثير. ويريد «بالقصيدة»: القصيدة السابقة التى أولها: أطل على الأكوان والخلق تنظر * هلال رآه المسلمون فكبروا

(٥) نأى: بعد. يريد أنه أعرض عن رجائنا فيه. وأغرق فى النحوس: بالغ فيها وأفرط. (٦) أولى: أعطى. ويريد أن الأعاجم، وهم الفرس، فالوا فيه الدستور، وكذلك الترك. (٧) الخطوب: الشئون؛ الواحد: خطب (بفتح الخاء). والشاه: ملك العجم. واليبدق: الجندى. ويشير إلى الشاه واليبدق من قطع الشطرنج. والمعنى أن الحكم فى فارس قد أصبح بيد الأمة حتى أصبح الملك يخشى رعيته بعد أن كانت تخشاه.

- (١) وَأَدَالَ مِنْ (عِيدِ الْحَيْدِ) لَشَعْبِهِ * فَهَوَى وَحَاوَلَ أَنْ يَعُودَ فَأَخْفَقَا
 (٢) أَمْسَى يُبَالِي حَارِسًا مِنْ جُنَيْهِ * وَلَقَدْ يَكُونُ وَمَا يُبَالِي الْفَيْلَقَا
 (٣) وَرَمَى عَلَى أَرْضِ الْكِتَانَةِ حَرَبَهُ * بِالنَّازِلَاتِ السُّودِ حَتَّى أَرْهَقَا
 (٤) حَصَدَتْ مَنَاجِلُهُ غِرَاسَ رَجَائِنَا * وَلَوْ أَنَّهَا أَقْبَتْ عَلَيْهِ لَأَوْرَقَا
 (٥) فَتَقَيَّدَتْ فِيهِ الصَّحَافَةُ عُنُودًا * وَمَشَى أَلْهَوَى بَيْنَ الرَّعِيَةِ مُطْلَقَا
 وَأَتَى يُسَاوِمُ فِي (الْقَنَازَةِ) خَدِيدَةً * وَلَوْ أَنَّهَا تَمَّتْ لَتَمَّ بِهَا الشَّقَا
 (٦) إِنْ الْبَلِيَّةُ أَنْ تُبَاعَ وَتُشْتَرَى * (مِصْرُ) وَمَا فِيهَا وَلَا تَنْطِقَا
 (٧) كَانَتْ تُوَاسِينَا عَلَى الْإِمْنَا * صُحُفٌ إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ وَأَطْبَقَا
 فَإِذَا دَعَوْتُ الدَّمَعَ فَاسْتَعَصَى بَكَتْ * عَنَّا أَمْسَى حَتَّى تَقْصُ وَتُشْرِقَا
 (٨) كَانَتْ لَنَا يَوْمَ الشَّدَائِدِ أَمُهَا * نَزَمِي بِهَا وَسَوَاقًا يَوْمَ اللَّقَا

- (١) يقال : أدال الله لك من فلان : إذا جعل الكرة والنصر لك عليه . وأخفق في السعي : لم ينجح فيه . (٢) الضمير في «أمسى» : لعبد الحيد . والفيلق : الجيش العظيم . (٣) رمى : الضمير فيها يعود على الملل . وأرض الكتانة : مصر . وأرهق : أزل على أهلها العمر والظلم والظلم . (٤) المناجل : جمع منجل ، وهو آلة يحصد بها الزرع ، معروفة . (٥) يشير إلى تنفيذ قانون المطبوعات الذي عمل به في عهد وزارة بطرس غالي باشا ، فقيده حرية الرأي والكتابة في الصحف . والعنود : القهر . ويريد «ألهوى» : الحكم بما يشتهي الحاكم ، لا بما يقتضيه العدل . ومطلقا ، أى لا قيد عليه . (٦) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى ما حدث في عهد نظارة بطرس غالي باشا من أن شركة قناة السويس كانت قد عرضت على الحكومة المصرية مد أجل امتيازها أربعين سنة أخرى تبتدئ من سنة ١٩٦٩ م إلى نهاية سنة ٢٠٠٨ م وأبت ذلك الجمعية العمومية بإجماع أعضائها محتجة بأن في ذلك ضياعا فاحشا قدر بمبلغ ١٣٠٥٩٨٠٠٠ جنبا ، وكان ذلك في ٧ أبريل سنة ١٩١٠ م ، وكان رأى الجمعية العمومية في هذه المسألة قطعيا لا استشاريا . (٧) أطلق عليهم البلاه : غشيم وظلام . (٨) السوابق : من صفات الخليل ، أى إن الصحف كانت علة لنا في الجهاد .

كانت صمًا للنفوس إذا غلت * فيها الحُموم وأوشكت أن ترهقا-
 كم نَقَسَتْ عَنْ صَدْرِ حُرٍّ وَاجِدٍ * لولا الصَّامُ مِنَ الْأَسَى لَتَمَزَقَا^(١)
 مالى أَنُوحُ عَلَى الصَّحَافَةِ جَازِمًا * ما ذا أَلَمُّ بِهَا وما ذا أَحَدَقَا^(٢)
 قَصُّوا حَوَاشِيَهَا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ * أَمِنُوا صَوَاعِقَهَا فَكَانَتْ أَصْعَقَا^(٣)
 وَأَتَوْا بِجَاذِقِهِمْ يَكِيدُ لَهَا يَمًا * يَثْنِي عَزَائِمَهَا فَكَانَتْ أَحَدَقَا^(٤)
 أَهْلًا بِنَايَةِ الْبِلَادِ وَمَرْحَبًا * جَدَّدْتُمُ الْعَهْدَ الَّذِي قَدْ أَخْلَقَا^(٥)
 لَا تَيَاسُوا أَنْ تَسْتَرِدُّوا بِمَجْدِكُمْ * فَلَرَبِّ مَغْلُوبٍ هَوَى ثِمَّ أَرْتَقِ^(٦)
 مَدَّتْ لَهُ الْأَمَالُ مِنْ أَفْلَاكِهَا * خِطَّ الرَّجَاءُ إِلَى الْعُلَا فَتَسَلَّقَا^(٧)
 فَتَجَشَّمُوا لِلْجِدِّ كُلِّ عَظِيمَةٍ * إِنِّي رَأَيْتُ الْمَجْدَ صَعَبَ الْمُرْتَقِ^(٨)
 مَنْ رَامَ وَضَلَ الشَّمْسَ حَاكَ خُيُوطَهَا * سَبَّأَ إِلَى آمَالِهِ وَتَعَلَّقَا^(٩)
 عَارٌّ عَلَى آبِنِ النَّيْلِ سَبَّاقِ الْوَرَى * - مَهْمَا تَقَلَّبَ دَهْرُهُ - أَنْ يُسْبَقَا^(١٠)
 أَوْ كَلَّمَا قَالُوا تَجَمَّعَ شَمْلُهُمْ * لَعَبَ الشَّقَاقُ يَجْمَعُنَا فَتَفَرَّقَا^(١١)

- (١) نقست : خففت . والواجد : الحزين . والأسى (فتح الهزة) : الحزن . و«من الأسى» متعلق بقوله «لتمزقا» .
 (٢) ألم : نزل . وأحداق : أحاط .
 (٣) يريد «بجاذقهم» : بطرس غالى باشا رئيس النظار إذ ذاك . ويريد بقوله «فكانت أصعقا» : أنها كانت تؤدي عملها في نقد الحكومة بمهارة ومداورة حتى لا تواخذ . (٤) نايبة البلاد : نقوها وشبانها . وأحلق : بلى ورت . (٥) تسلق : صعد . (٦) تجشموا : تكلفوا .
 (٧) حاك : نسج . والسبب : الحبل . يقول : إن من يريد أن يبلغ معالي الأمور تلجس الوسائل لها مهما بدا من ضعفها أو استحالتها . (٨) الشقاق : الخلاف والعداوة .

- (١) فَتَدَقُّوا مُجِبًا وَحُوطُوا نَيْلَكُمْ * فَلَكُمْ أَفَاضَ عَلَيْكُمْ وَتَدَقُّوا
(٢) حَمَلُوا عَلَيْنَا بِالْزَمَانِ وَصَرَفَهُ * فَتَانَقُّوا فِي سَلِينَا وَتَانَقَّا
(٣) هَزُّوا مَقَارِبَهَا فَهَابَتْ بِأَسْهُمٍ * يَا وَيْلَكُمْ إِنْ لَمْ تَهْزُوا الْمَشْرِقَا
فَتَعَلَّمُوا فَالْعِلْمُ مِفْتَاحُ الْعِلَا * لَمْ يَبْقِ بَابًا لِلْسَّعَادَةِ مُنْقَلَا
ثُمَّ أَسْتَيْدُوا مِنْهُ كُلَّ قُوَاكُمْ * إِنْ الْقَرَى بِكُلِّ أَرْضٍ يُتَقَى
(٤) وَأَبْنَوْا حَوَالَى حَوْضِكُمْ مِنْ يَقْظَةٍ * سُورًا وَخُطُوًا مِنْ حِذَارٍ خَنْدَقَا
(٥) وَزِنُوا الْكَلَامَ وَسَدِّدُوهُ لِمَنْتَهُمْ * خَبَأُوا لَكُمْ فِي كُلِّ حَرْفٍ مَزَلَقَا
(٦) وَأَمْشُوا عَلَى حَذَرٍ فَإِنَّ طَرِيقَكُمْ * وَعَرُّ أَطَافَ بِهِ الْهَلَاكُ وَحَلَقَا
(٧) نَصَبُوا لَكُمْ فِيهِ الْفِخَاخَ وَأَرْصَلُوا * لِلْسَّالِكِينَ بِكُلِّ بَجٍّ مَوْيَقَا
(٨) الْمَوْتُ فِي غِشْيَانِهِ وَطُرُوقِهِ * وَالْمَوْتُ كُلُّ الْمَوْتِ إِلَّا يُطْرَقَا
(٩) فَتَحِينُوا فُرْصَ الْحَيَاةِ كَثِيرَةً * وَتَعَجَّلُوا بِالْعَزَائِمِ وَالرُّقَى

- (١) حاطه : صانه وحفظه . (٢) حملوا علينا بالزمان ، أى حاربنا المحتلون بمحوادث الزمان وفوائبه وتأتى فى الأمر : بالغ فيه . (٣) يقول : إن للإنجليز من الحول والقوة ما أدهبوا به دول الغرب ، فليكن لكم أيها المصريون بين أم الشرق ما للإنجليز بين أم الغرب . (٤) المراد (بالخوض) هنا : الحى . (٥) المزلق : مكان الانزلاق ، أى الزلل والسقوط .
(٦) الورع : الصعب . وطلق : ارتفع . يريد أن الهلاك قد غشى طريقكم من كل مكان .
(٧) الفجج : الطريق . والمويق : المهلك . (٨) يريد أن طريق الأمة الى المجد والحرية مملوء بأسباب الهلاك ، على أن ما نحن فيه من استنامة ودعة ورضى بالاستعباد والذل موت أكبر ، ففى الإقدام موت ، وفى الإجماع موت أعظم ، فتحينوا الفرص ، وهو ما يقوله فى البيت الآتى .
(٩) تسجل الأمر : طلبه عاجلا . والرقى : جمع رقية ، وهى معروفة . ويريد « بالعزائم والرقى » هنا : قوة الدعاء والتلطف فى الحياة ، وحسن التأق إلى المقاصد .

أَوْ فَاحِطُوهَا قَادِرِينَ فَإِنَّمَا * فُرْصُ الْحَيَاةِ خَلِيقَةٌ أَنْ تُخْلَقَ
 (١)
 وَتَقِيَّتُهَا ظِلُّ الْأَرِيكََةِ وَأَقْصِدُوا * مَلِكًا بِأَمَّتِهِ أَبْرَّ وَأَرْفَقَا
 (٢)
 لَا زَالَ تَأْجُجِ الْمُلُوكِ فَوْقَ جَبِينِهِ * تَحْتَ الْهَلَالِ يَزِينُ ذَاكَ الْمَفْرِقَا

تحية الأسطول العثماني

أنشدها في حفل أقيم ببناتروعباس في ٩ مارس سنة ١٩١٠ م برئاسة روف باشا المعتمد العثماني

(٣)
 بِالَّذِي أَجْرَاكِ يَا رِيحَ الْخُزَامَى * بَلَّغِي الْبُسْفُورَ عَنْ مِصْرَ السَّلَامَا
 (٤)
 وَأَقْطِطِي مِنْ كُلِّ رَوْضِ زَهْرَةٍ * وَأَجْعَلِيهَا لَتَحَايَانَا كَمَا
 (٥)
 وَأَنْشُرِي رِيَّاكِ فِي ذَاكَ الْحِمَى * وَالشَّمْسِ الْأَرْضَ إِذَا جِئْتَ الْإِمَامَا
 مَلِكٌ لِلشَّرْقِ فِي أَيَّامِهِ * هِمَّةُ الْغَرْبِ نُهَضًّا وَأَعْتَرَامَا
 أَيُّهَا الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ لَقَدْ * قُمْتَ فِي النَّاسِ فَأَحْسَنْتَ الْقِيَامَا
 (٦)
 جَرَّدَ الرَّأْيَ فَكَمْ رَأَيْ إِذَا * سَلَّ مِنْ غِمْدِ النَّهْيِ فَلَّ الْحُسَامَا

(١) تفتتوا ظل الأريكة، يطلب إليهم أن يلتجئوا إليها ويستظلوا بها. والأريكة: سرير الملك.

(٢) مفروق الرأس: وسطه، وهو حيث يفرق فيه الشعر.

(٣) الخزامى: نبات عطري زهره من أطيب الأزهار نقعة؛ وهذا النبات يقارب البفسج، وزهره

إلى الزرق والالوردية. (٤) الكمام: أغصية الزهر؛ الواحد كم (تكسر الكاف وتشديد الميم).

يقول: حوطي بحايانا بأزهار الرياض. ويشير بذلك إلى أن التحايا التي يبعث بها إلى البسفور أذكي من

الأزهار وريحاً، لأن الأزهار أذكي من أكمامها وأطيب نقعة. (٥) الريا: الراححة الطيبة. ويريد

«بالإمام»: خليفة المسلمين. (٦) النهى: العقول؛ الواحد نهيّة. وفلّ الحسام: ثلثه وكسره.

وَأَبْعَثِ الْأَسْطُولَ تَرِي دُونَهُ * قُوَّةُ اللَّهِ وَرَاءَ وَأَمَامَا^(١)
يَكْلَأُ الشَّرْقَ وَيَرَعَى بُقْعَةً * رَفَعَ اللَّهُ بِهَا (الْبَيْتَ الْحَرَامَا)^(٢)
وَتُغُورَا هِيَ أَهْبَى مَنَظَرَا * مِنْ تُغُورِ الْغَيْدِيَيْنِ آيَتَسَامَا^(٣)
نَخَصَهَا اللَّهُ بِأَفْسَقِ مُشْرِيقِ * ضَمَّ فِي الْأَلَاءِ (مَضْرَا) وَ(الشَّامَا)^(٤)
حَيَّ يَا مُشْرِقُ أَسْطُولَ الْأَلَى * ضَرَبُوا الدَّهْرَ بِسَوْطٍ فَاسْتَقَامَا^(٥)
مَلَكُوا الْبَرْقَلَا لَمْ يَسْغِ * مَجْلَهُمْ نَالُوا مِنْ الْبَحْرِ الْمَرَامَا^(٦)
يَجْوَارِ مُنْشَاتٍ كَالْدُمَى * أَيَّمَا سَارَتْ صَبَا الْبَحْرِ وَهَامَا^(٧)
كَلَّمَا أَوْقَتْ عَلَى أَمْوَاجِهِ * مَجَدَّ الْمَرْجُ خُشُوعًا وَاحْتِشَامَا^(٨)
كَانَ بِالْبَحْرِ إِلَيْهَا ظَمًا * وَغَيْبٌ يَشْتَكِي الْبَحْرُ الْأَوَامَا^(٩)
فَهِيَ فِي السَّلْمِ جَوَارٍ تُجْتَلَى * تَبْهَرُ الْعَيْنُ رُوءَاءَ وَنِظَامَا^(١٠)
وَهِيَ فِي الْحَرْبِ قَضَاءٌ سَابِحٌ * يَدْعُ الْحِصْنَ تِلَالًا وَرِجَامَا^(١١)

(١) يكلأ الشروق : يحفظه ويصونه . ويريد «بالقعة» : الحجاز . (٢) النيد : جمع غادة ، وهي المرأة اللينة الناعمة . (٣) اللآلء : الضياء .

(٤) «ضربوا الدهر... الخ» : يريد أنهم أنضغوه لسلطوتهم وعزهم فاستقام لهم .

(٥) الجوارى المنشآت : السفن . والدمى : جمع دمية ، وهي الصورة المنقشة المزينة . شبه السفن بها في جمالها .

(٦) أرفت : أشرفت . والاحتشام : الحياء .

(٧) الأوام : شدة العطش .

(٨) تجلَى : ينظر إليها الناس معجبين بحسنها وروقتها . والرواء (بضم الراء) : حسن المنظر .

(٩) الرجام : الحجارة ، الواحد رجمة (بضم الراء وسكون الجيم) .

- (١) ما يُجُومُ الرَّجِيمُ مِنْ أَجْرَاجِهَا * لِأَرْعَفِيَّتِ مِنَ الْبَحْرِ تَرَأَى
(٢) مِنْ مَرَامِيهَا بِأَنْكِ مَوْقِعًا * لَا وَلَا أَقْوَى مِرَاسًا وَعُرَامًا
وَهِيَ بَرْكَانٌ إِذَا مَا هَاجَهَا * هَائِجُ الشَّرِّ عِدَاءٌ وَخِصَامًا
(٣) جَبَلُ النَّارِ لَقَدْ رُعَتِ الْوَرَى * أَنْتَ فِي حَالَيْكَ لَا تَرَعَى ذِمَامًا
(٤) أَنْتَ فِي السَّبْرِ بَلَاءٌ فَإِذَا * رَكِبَ الْبَحْرَ غَدًا مَوْتًا زُؤَامًا
(٥) فَاتَّقُوا الطُّودَ مَكِينًا رَاسِيًا * وَاتَّقُوا الطُّودَ إِذَا مَا الطُّودُ عَامًا
(٦) حَمَلَتْ حَرًّا فَكَانَتْ حِقْبَةً * نُذْرًا لِلَوْتِ تَجْنَحُ الْأَنَامُ
(٧) خَافَهَا الْعَالَمُ حَتَّى أَصَبَحَتْ * رُسُلًا تَحْمِلُ أَمْنًا وَسَلَامًا
يُبْتَ الْمَشْرِقُ مِنْ مَرَقِيدِهِ * بَعْدَ حِينٍ ، جَلَّ مَنْ يُنْجِي الْعِظَامَ
أَيُّهَا الشَّرْقُ شَمَّرْ لَا تَمَّ * وَأَنْقِضِ السَّجَرَ فَإِنَّ الْخَدَّ قَامَا

(١) ترى ، أى ترى وتتساقط ، ويشير إلى أن الجن كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم يسترقون السمع من السماء ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم صار يريهم بالشهب كل من يريد منهم الدنو من السماء واستراق السمع ؛ وقد حكى الله تعالى ذلك فى القرآن فى سورة الجن . (٢) أنكى : شبر «لما» فى قوله السابق : «ما نجوم» . والعرام : الشراسة والأذى والحدة . يريد أن الشهب التى يريهم بها الجن المسترقون السمع من السماء ليست أشد وقعا ولا أنكى عذابا من قذائف هذه السفن فى الحرب . (٣) رعت : أفزعت . والذمام : الحرمه والمهد . (٤) يشير بقوله «أنت فى البر» : إلى البراكين المعروفة . وبقوله «فاذا ركب البحر» : إلى الأسطول ، تشبيها له بالبراكين . جعل للبركان مظهرين : مظهره الحقيقى فى البر ، ومظهره المجازى فى الأسطول . (٥) الطود : الجبل العظيم . (٦) الحقة من الدهر : مدة لاحد لها . وتجنح الأنام : تهلكهم . (٧) يريد بهذا البيت والذى قبله : أن هذه السفن خدمت الحرب والسلام معا ، فكانت فى الحرب رسل موت تحصد الأرواح ، وهى تقوتها وكال استعدادها أخافت الأعداء فتجنحوا حربها ، فكانت تبعث سلم أيضا .

(١) وَاَمِطِ الْعَزْمَ جَوَادًا لِلْعَمَلَا * وَاجْعَلِ الْحِكْمَةَ لِلْعَزِيمِ زِمَامًا
 (٢) وَإِذَا حَاوَلْتَ فِي الْأَفْقِ مُنَى * فَارْكَبِ الْبَرْقَ وَلَا تَرْضَ الْغَنَامَا
 لَا تَضِقْ ذَرْعًا بِمَا قَالَ الْعِدَا * رَبِّ ذِي لُبٍّ عَنْ الْحَقِّ تَعَامَى
 سَابِقِ الْغَرْبَى وَأَسْبِقْ وَاعْتَصِمْ * بِالْمَرْوَاتِ وَبِالْبَاسِ اعْتَصِمَا
 جَانِبِ الْأَطْمَاعِ وَانْهَجْ نَهْجَهُ * وَاجْعَلِ الرَّحْمَةَ وَالْقُوَى لِرَامَا
 (٣) طَلَبُوا مِنْ عَلَيْهِمُ أَنْ يُعْجِزُوا * قَادِرَ الْمَوْتِ وَأَنْ يَنْتُوا الْحِمَامَا
 (٤) وَأَرَادُوا مِنْهُ أَنْ يَرْفَعَهُمْ * فَوْقَ هَامِ الشَّهْبِ فِي الْغَيْبِ مَقَامَا
 (٥) (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) * طَاوَلَ الْخَالِقَ فِي الْكَوْنِ وَسَامَى
 (٦) أَخْرَجَ الْغَيْبَ إِلَى أَنْ بَزَهُ * سِرَّهُ بَزًا وَلَمْ يَخْشَ آتِنَقَامَا
 قُسْوَةَ الرَّحْمَنِ زَيْدِينَ قُوَى * وَأَفِضَى فِي بَنِي الشَّرْقِ الْوِثَامَا
 أَفْرِغِي مِنْ كُلِّ صَدْرِ حَقْدَهُ * أَمَلًا تَارِيخَ وَالذُّنْبِ كَلَامَا
 أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَلْهَمَنَا * خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ شَيْخًا وَغُلَامَا
 (٧) أَنْ أَرَى فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ لَنَا * فِي الْوَعَى أَنْدَادَ (طُوجُو) وَ(أَيَامَا)

- (١) الزمام : ما تقاد به الدابة . (٢) يريد « يركوب البرق » : شدة السرعة ، لأن بطء الغنم لا يصلح مطية للجنة . (٣) قادر الموت : مقدره ، وهو الله تعالى . (٤) الهام : الروس . الواحدة هامة . والشهب : النجوم . (٥) طاول : غالب . وساماه مسامة : باراه في السمق . (٦) بزه : سلبه . (٧) الوعى : الحرب . والأنداد : الأشباه . وطوجوأياما : قائدان يابانيان معروفان .

حرب طرابلس

[في سنة ١٩١٢م]

طَمَعُ أَلْقَى عَنِ الْغَرْبِ اللَّثَامَا * فَاسْتَفِقْ يَا شَرْقُ وَاحْذَرُ أَنْ تَنَامَا ^(٢)
وَأَحْمِلِي أَيُّهَا الشَّمْسُ إِلَى * كُلِّ مَنْ يَسْكُنُ فِي الشَّرْقِ السَّلَامَا
وَأَشْهَدِي يَوْمَ التَّنَادِي أَنَّنَا * فِي سَبِيلِ الْحَقِّ قَدْ مِتْنَا كِرَامَا ^(٣)
مَادَتِ الْأَرْضُ بِنَا حِينَ انْتَشَت * مِنْ دَمِ الْقَتْلِ حَلَالًا وَحَرَامَا ^(٤)
عَجَزَ الظُّلُمَانُ عَنْ أَبْطَالِنَا * فَأَعْلَوْا مِنْ ذَرَارِينَا الْحُسَامَا ^(٥)
كَبَلُوهُمْ، قَتَلُوهُمْ، مَثَّلُوا * بِذَوَاتِ الْخَدْرِ، طَاحُوا بِالْيَتَامَى ^(٦)
ذَبَحُوا الْأَشْيَاخَ وَالزَّمَنِي وَلَمْ * يَرْحَمُوا طِفْلًا وَلَمْ يُبْقُوا غُلَامَا ^(٧)
أَحْرِقُوا الدُّورَ، اسْتَطَلُّوا كُلَّ مَا * حَرَمَتِ (لَاهَاي) فِي الْعَهْدِ أَحْقَامَا ^(٨)
بَارَكَ الْمَطْرَانُ فِي أَعْمَالِهِمْ * فَسَلُّوهُ بَارَكَ الْقَوْمَ عَلَامَا؟ ^(٩)

- (١) ترجع أطماع إيطاليا في طرابلس منذ بدأت أوربا تنشط في اقتسام إفريقيا . ولما رأت إيطاليا أن إنجلترا وفرنسا صارتا صاحبتى النفوذ في مصر وتونس ، قويت أطماعها في طرابلس . ولم تأت سنة ١٩١٢م حتى أغارت إيطاليا على طرابلس تريد انتزاعها من تركيا ، وفي هذه الحرب يقول الشاعر قصيدته .
- (٢) اللثام (بالكسر) : النقاب . أى إن أمم الغرب قد كشفوا عما يضمرون للشرق من اقتسامه بينهم .
- (٣) يوم التنادي : يوم القيامة .
- (٤) مادت الأرض : اضطربت . وانتشت : سكرت .
- (٥) أعلوا ، أى سقوا . وأصل الإعلال : السق بعد السقي .
- (٦) طاح به : ذهب به وأهلكه .
- (٧) الزمنى : ذور العاهات ؛ الواحد : زمن (بفتح الأتول وكسر الشافى) .
- (٨) يشير إلى مؤتمر لاهى الذى عقد في سنة ١٨٩٩م بدعوة من نقولا الثانى قيصر روسيا للقضاء على أسباب الحرب ، بتقليل السلاح ، وتفويض المشا كل التى تقع بين الدول إلى هيئة تحكم يختار أعضاؤها من بين الدول .
- (٩) المطران (بالفتح ويكسر) : رئيس الكهنة ، وهو دون البطرك وفوق الأسقف .

أَهَذَا جَاءَهُمْ أَنْجِيْلُهُمْ * أَمْرًا يُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ سَلَامًا؟
 كَشَفُوا عَنْ نِيَّةِ الْغَرِبِ لَنَا * وَجَلَّوْا عَنْ أَفْقِ الشَّرْقِ الظَّلَامَا
 فَقَرَأْنَاهَا سُطُورًا مِنْ دَمٍ * أَقْسَمْتُ تَلْتَهُمُ الشَّرْقُ أَتْنَاهَا
 أَطْلَقُوا الْأَسْطُولَ فِي الْبَحْرِ كَمَا * يُطْلِقُ الزَّاجِلُ فِي الْجَوْ الْحَمَامَا ^(١)
 فَضَى غَيْرَ بَعِيدٍ وَأَنْتَنَى * يَجْمَلُ الْأَنْبَاءُ شَوْمًا وَأَنْهَزَامَا ^(٢)
 قَدْ مَلَأْنَا الْبَرَّ مِنْ أَشْلَائِهِمْ * فَدَعُوهُمْ يَمْلُثُوا الدُّنْيَا كَلَامَا ^(٣)
 أَعْلَنُوا الْحَرْبَ وَاضْمُرْنَا لَهُمْ * أَيْمًا حَلَّوْا هَلَاكًا وَآخِرَامَا ^(٤)
 خَبَرُوا (فَكْتُورَ) عَنَّا أَنَّهُ * أَدْهَشَ الْعَالَمَ حَرْبًا وَنِظَامَا
 أَدْهَشَ الْعَالَمَ لَمَّا أَنْتَ رَأَوَا * جَيْشَهُ يَسْبِقُ فِي الْجَرَى النَّعَامَا
 لَمْ يَقِفْ فِي الْبَرِّ إِلَّا رَنْيَمَا * يُسَلِّمُ الْأَرْوَاحَ أَوْ يُلْقَى الزَّيْمَا ^(٥)
 حَاتِمَ الطُّلِيَانِ قَدْ قَلَّدْتَنَا * مِنْةً نَذْكُرُهَا عَامًا فَعَامَا
 أَنْتَ أَهْدَيْتَ إِلَيْنَا عُدَّةً * وَلِبَاسًا وَشَرَابًا وَطَعَامَا ^(٦)
 وَسِلَاحًا كَانَ فِي أَيْدِيكُمْ * ذَا كَلَالٍ فَعَدَا يَفْصِرِي الْعِظَامَا

(١) الزاجل : الذي يرسل الحمام .

(٢) الأشلاء : الأعضاء وبقايا الأجساد ؛ الواحد شلوة .

(٣) اخترم القوم : استأصلهم . (٤) فكتور عمانوئيل ، هو ملك إيطاليا .

(٥) شبه ملك الطليان فيما تمخلى عنه جيشه للأتراك في هذه الحرب من الأشياء المذكورة بعد بحاتم

الطائي الذي يضرب به الخلل في الكرم ، ولا يخفى ما في هذا من التهكم .

(٦) كل السيف كلالا : لم يقطع ، ويفرى : يشق .

أَكْثَرُوا الزَّهْمَةَ فِي أَحْيَانِنَا * وَرُبَانَا إِنَّمَا تَشْفِي السَّقَامَا
 وَأَقِيمُوا كُلَّ عَامٍ مَوْسِمًا * يُشْبِعُ الْإِيْتَامَ مِنَّا وَالْأَيَامِي^(١)
 لَسْتُ أَذْرِي بِتَّ تَرَعَى أُمَّةً * مِنْ بَنِي (الْقَلْبَانِ) أَمْ تَرَعَى سَوَامَا^(٢)
 مَا لَهُمْ - وَالنَّصْرُ مِنْ عَادَاتِهِمْ - * لَزِمُوا السَّاحِلَ خَوْفًا وَاعْتِصَامَا
 أَقْلُنَا مِنْ نَارٍ (فِي زُؤُفٍ) إِلَى * نَارِ حَرْبٍ لَمْ تَكُنْ أَدْنَى ضِرَامَا^(٣)
 لَمْ يَكُنْ (فِي زُؤُفٍ) أَذْهَى حُمَا * مِنْ كُرَاتٍ تَنْفُثُ الْمَوْتَ الزُّؤَامَا^(٤)
 لَيْهٍ يَا (فِي زُؤُفٍ) نَمَّ عَنْهُمْ فَقَدْ * نَفَضْتَ إِفْرِيْقِيَا عَنْهَا الْمَنَامَا
 فَهِيَ بُرْكَانٌ لَهُمْ سَخَّرَهُ * مَالِكُ الْمُلْكِ جَزَاءً وَأَنْتِقَامَا
 لَوْ دَرَوْا مَا حَبَأَ الشَّرْقُ لَهُمْ * آثَرُوا (فِي زُؤُفٍ) وَأَخْتَارُوا الْمَقَامَا
 تِلْكَ عُقْبَى أُمَّةٍ غَادِرَةٍ * تَنْكُثُ الْعَهْدَ وَلَا تَرَعَى الذَّمَامَا^(٥)
 تِلْكَ عُقْبَى كُلِّ جَبَّارٍ طَغَى * أَوْ تَعَالَى أَوْ عَنِ الْحَقِّ تَعَامَى
 لَوْ دَرَّتْ (رُومَةُ) مَا قَدْ نَابَهَا * فِي (طَرَابُلُسَ) أَبَتْ إِلَّا أَنْفِقَسَامَا
 وَأَبَى كُلُّ أَشْتَرَاكِئٍ بِهَا * أَنْ يَرَى التَّاجَ عَلَى رَأْسِ أَقَامَا
 أَعْلَنُوا ضَمَّ مَغَانِيْنَا إِلَى * مُلْكٍ (فَكْتُورٍ) وَلَمْ يَخْشَوْا مَلَامَا^(٦)

(١) الأيامى : جمع أيام (بتشديد الياء)، وهى من لازوج لها . (٢) السوام : الإبل الراعية .
 (٣) فيزوف : بركان فى جنوب إيطاليا معروف . (٤) الحم : جمع حمة ، وهى كل ما احترق
 من النار . يريد ما يقدنه بركان فيزوف . ويريد « بالكرات » : قذائف المدافع . والزمام : الكريه .
 (٥) الذمام : الحق والحمة . (٦) المغانى : المنازل ؛ الواحد معنى (بفتح فسكون) .

(١) أَعْلَنُوا الضَّمَّ وَلَمَّا يَفْتَحُوا * قَيْدَ أَظْفُورٍ وَرَاءَ أَوَامَا
(٢) فَأَعْجَبُوا مِنْ فَاتِحِ ذِي مِرَّةٍ * يَحْسَبُ الثُّمَّةَ فِي الْبَحْرِ صِدَامَا
وَيَرَى الْفَتْحَ أَدْمَاءَ بَاطِلًا * وَأَفْتِرَاءَ وَاحْتِجَابًا وَاحْتِكَامَا
أَيُّهَا الْحَائِرُ فِي الْبَحْرِ أَقْتَرَبَ * مِنْ حَيِّ (الْبُسْفُورِ) إِنْ كُنْتَ هُمَامَا
كَمْ سَمِعْنَا عَنْ لِسَانِ الْبَرْقِ مَا * يُزَعِجُ الدُّنْيَا إِذَا الْأَسْطُولُ عَامَا
(٣) عَامَ شَهْرَيْنِ وَلَمْ يَفْتَحْ سِوَى * هُوَّةٍ فِيهَا الْمَلَايِينُ تَرَامِي
دَفَنُوا تَارِيخَهُمْ فِي قَاعِهَا * وَرَمَوْا فِي إِثَرِهِ الْمَجْدَ غَلَامَا
(٤) فَاطْمِئِنِّي أُمِّ الشَّرْقِ وَلَا * تَقْنَطِي الْيَوْمَ فَإِنَّ الْجَدَّ قَامَا
(٥) إِنْ فِي أَضْلَاعِنَا أَنْدَدَةٌ * تَعَشَّقُ الْمَجْدَ وَتَأْبَى أَنْ تُضَامَا

منظومة تمثيلية

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت انتقاماً من الأتراك؛ وذلك في عهد نشوب الحرب العالمية التي وقعت بين الإيطاليين والترك في سنة ١٩١٢ م. وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليلي)، وطبيب، ورجل عربي

الجريح:

(لَيْلَى) مَا أَنَا حَيٌّ * يُرَجَى وَلَا أَنَا مَيِّتٌ

(٦) لَمْ أَقْضِ حَقَّ بِلَادِي * وَهَانَا قَدْ قَضَيْتُ

(١) قيد أظفُور (فتح القاف وكسرها)، أى مقدار ظفر. (٢) المرة (بالكسر): القوة والشدة.

(٣) تَرَامِي: تَرَامَى. (٤) الجَدَّ (بالفتح): الحظ. والمراد «بقِيَامِهِ»: انتعاشه.

(٥) تضام: تظلم. (٦) قضيت: مت.

شَفَيْتُ نَفْسِي لَوْ أَنِّي * لَمَّا رُمِيتُ رَمِيتُ
 (بِירוْتُ) لَوْ أَنَّ خَصَمًا * مَشَى إِلَى مَشَيْتُ
 أَوْ دَاسَ أَرْضِكَ بَاغٍ * لَدُسْتُهٖ وَبَغَيْتُ
 أَوْ حَلَّ فِيكَ عَدُوٌّ * مُنَازِلٌ مَا أَتَقَيْتُ
 (١) لَكِنْ رَمَاكَ جَبَانٌ * لَوْ بَانَ لِي لَأَشْفَيْتُ
 (لَيْلَى) لَا تُحْسِنِي * عَلَى الْحَيَاةِ بَكَتُ
 (٢) وَلَا تَطْنِي شَكَائِي * مِنْ مَضَرَعِي إِنْ شَكَوْتُ
 (٣) وَلَا يُخَيِّفَنَّكَ ذِكْرِي * (بِירוْتُ) أَنِّي سَلَوْتُ
 (٤) (بِירוْتُ) مَهْدُ غَرَامِي * فِيهَا وَفِيكَ صَبَوْتُ
 جَرَوْتُ ذَيْلَ شَبَابِي * هُمُومًا فِيهَا جَرَيْتُ
 (٥) فِيهَا عَرَفْتُكَ طِفْلًا * وَمِنْ هَوَاكِ أَنْتَشَيْتُ
 (٦) وَمِنْ عُيُونِ رَبَاهَا * وَعَذَبُ فِيكَ أَرْقَوَيْتُ
 (٧) فِيهَا (لَيْلَى) كَنَاسٌ * وَلِي مِنْ الْعِزِّ بَيْتُ

(١) اشتنى : أخذ بآثره فشنى بذلك نفسه . (٢) الشكاة : الشكوى .

(٣) أى لا تخشى بالى من خلوق إياك حيناً أذكر بيروت ، فكلاً كما فى الحب عندى سواء ، كما يتبين

ذلك من الأبيات الآتية . (٤) صبا : مال . أى إن شوقى وغرامى وميل فىك وفيها .

(٥) انتشى : سكر . (٦) الربا : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة ربوة . وعذب

فىك ، أى ريقك العذب . (٧) الكناس : بيت الظبي الذى يأوى إليه .

فِيهَا بَنَى لِي مَجْدًا * أَوَائِلِي وَبَسَيْتُ
 (١) لَيْلِي) مِرَاجُ حَيَاتِي * خَبَا فَا فِيهِ زَيْتُ
 (٢) قَدْ أَطْفَأَتْهُ كُرَاتٌ * مَا مِنْ لَظَاهُنْ قَوْتُ
 (٣) رَمَى بِهِنَ بِنَاءُ * أَصَبْتَنِي فَتَوَيْتُ

لَيْلِي :

لَوْ تَفْتَدِي بِحَيَاتِي * مِنْ الرَّدَى لَقَدَيْتُ
 وَلَوْ وَقَاكَ وَقِي * بِمُهْجَةٍ لَوَقَيْتُ
 (٤) إِنْ عَشْتَ أَوَيْتَ لِي * كَمَا نَوَيْتَ نَوَيْتُ

الجريح :

(لَيْلَى) عَيْشِي وَقَرِّي * إِذَا الْجَمَامُ دَعَانِي
 (لَيْلَى) سَاعَاتُ عُمُرِي * مَعْدُودَةٌ بِالنَّوَانِي
 (٥) فَكَفَيْتَنِي مِنْ دُمُوعٍ * تَقْرِى حُشَاةَ فَا نِي
 وَمَهْدِي لِي قَبْرًا * عَلَى ذُرَا (لُبْنَانِ)
 ثُمَّ أَكْتُبِي فَوْقَ لَوْجٍ * لِكُلِّ قَاصٍ وَدَانِي :

(١) خبا : نحد رطقي . (٢) يريد « بالكرات » : نذائف المدافع المعروفة بالقنابل .
 والظلي : النار ، أوليها ، والقوت : الاقلاق . (٣) تويت ، أى هلكت . (٤) كما نويت
 نويت ، أى أنى جعلت حياتي وموتى تبها لحياتك وموتك . (٥) تقري : تقطع . والحشاشة :
 بقية الروح في المريض .

هنا الذي مات غدراً * هنا فتى الفتيان
(١) رَمَتْهُ أَيْدِي جُنَاةٍ * مِنْ جِيَرَةِ النَّيرَانِ
(٢) قُرْصَانٍ بِحَيْرٍ تَوَلَّوْا * مِنْ حَوْمَةِ الْمِيدَانِ
لَمْ يَخْرُجُوا قَبْدَ شَيْءٍ * عَنْ مَسْبِجِ الْحِيتَانِ
وَلَمْ يُطِيقُوا ثَبَاتًا * فِي آوْجِهِ الْقُرْسَانِ
فَشَمُّوْا لَانْتِقَامٍ * مِنْ غَافِلٍ فِي أَمَانِ
وَسَوَّدُوا وَجْهَ (رُومًا) * بِالْكَيْدِ لِلْجِيرَانِ
(٣) تَبًّا لَكُمْ مِنْ بُغَاثٍ * فَرُّوا مِنَ الْعِقْبَانِ
لَوْ أَنَّهُمْ نَازَلُونَا * فِي الشَّامِ يَوْمَ طَعَانِ
رَأَوْا طَرَابُلُسَ تَبَدُّوْا * لَهُمْ بِكُلِّ مَكَانِ
يَا لَيْتَنِي لَمْ أُعَاجِلْ * بِالْمَوْتِ قَبْلَ الْآوَانِ
حَتَّى أَرَى الشَّرْقَ يَسْمُوْا * رَغَمَ اعْتِدَاءِ الزَّمَانِ
وَيَسْتَرِدُّ جَلَالًا * لَهُ وَرِقَّةَ شَانِ
وَلْيَعْلَمْ الْغَرْبُ أَنَا * كَأَمَةِ (الْيَابَانِ)

(١) يريد « بحيرة النيران » : الإيطاليين ، لوجود البراكين في بلادهم .

(٢) قرصان البحر : لصونه . وحومة الميدان : موضع القتال . يريد ميدان طرابلس .

(٣) البغاث : طيور يضرب بها المثل في الضعف . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من الطيور

الجوارح ، والعرب تسميه (الكاسر) .

لَا تَرْضَى الْعَيْشَ يَجْرَى * فِي ذِلَّةٍ وَهَوَانٍ
 أَرَاهِمُ أَنْزَلُونَا * مَنَازِلَ الْحَيَوَانِ
 وَأَخْرِجُونَا جَمِيعًا * عَن رُتْبَةِ الْإِنْسَانِ^(١)
 وَسَوْفَ تَقْضِي عَلَيْهِم * طَبَائِعُ الْعُمَرَانِ^(٢)
 فَيُصْبِحُ الشَّرْقُ غَرْبًا * وَيَسْتَوِي الْخَافِقَانِ^(٣)
 لَاهِمٌ جَدَّدُ قُؤُونَا * نِلْدَمَةِ الْأَوْطَانِ^(٤)
 فَتَحْنُ فِي كُلِّ صُفْعٍ * تَشْكُو بِكُلِّ لِسَانٍ
 يَا قَوْمَ إِنْجِيلٍ (عِيسَى) * وَأَمَّةَ الْقُرْآنِ
 لَا تَقْتُلُوا الدَّهْرَ حَقْدًا * فَالْمُلْكُ لِلدِّيَانِ

يلي :

إِنِّي أَرَى مِنْ يَعِيدُ * جَمَاعَةً مُقْبِلِينَ
 لَعَلَّ فِيهِمْ نَصِيرًا * لَعَلَّ فِيهِمْ مُبِينَا

العربي :

هَوْنٌ عَلَيْكَ، تَمَاسِكَ * إِنِّي سَمِعْتُ أُيْلِنَا^(٥)
 أَظُنُّ هَذَا جَرِيحًا * يَشْكُو الْأَسَى أَوْطِينَا
 بِاللَّهِ مَاذَا دَهَاهُ * يَا هَذِهِ خَبْرِينَا؟

(١) يريد « طَبَائِعُ الْعُمَرَانِ » : سننه في الترقى من حسن إلى أحسن ، كما يدل عليه البيت الآتي .

(٢) انخلاقان : المشرق والمغرب . (٣) لاهم ، أى اللهم .

(٤) الصقع (بالضم) : الناحية ، والجمع أصقاع . (٥) تمالك : تملك .

ليلى :

لقد دَهَتْهُ المَنَايا * مِنْ غَارَةِ الخَائِنِينَ
صَبُّوا طِينَا الرِّزَايا * لَمْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِينَا
نَخَفُّوا مِنْ أَذَاهُ * إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ

العربي :

لا تَيْأَسِي، وَتَجَلَّدْ * أُرَاكَ شَهْمًا رَكِينًا^(١)
أَبْشُرْ فَلِمَاكَ نَاجٍ * وَأَصْبِرْ مَعَ الصَّابِرِينَ

الطبيب :

أَوَاهِ إِنِّي أَرَاهُ * بِالمَوْتِ أَمْسَى رَهِينًا
جِرَاحُهُ بِالْفَاتِ * تُعْنِي الطَّيِّبَ الْفَطِينِ
وَعَنْ قَرِيبٍ سَيَقْضَى * غَضُّ الشَّبَابِ حَزِينًا^(٢)

العربي :

أَفْ لَقَوْمٍ جِياعٍ * قَدْ أَرْجَبُوا الْعَالَمِينَ
قِرَاهُمْ أَيْنَ حَلُّوا * ضَرْبٌ يَقْدُ الْمُتُونَا^(٣)
عَقُّوا الْمُرُوءَةَ هَبُّوا * مَفَاخِرَ الْأَوَّلِينَ
عَاثُوا فَسَادًا وَفَرُّوا * يَسْتَعْجِلُونَ السَّفِينَا^(٤)

(١) الركين : الرزين . (٢) يقضى يموت . (٣) القسرى : ما يقدم للضيف . ويقصد : يقطع . والمتون : الظهور ؛ الواحد : متن . (٤) السفين : السفن ؛ الواحدة سفينة .

وَأَلْبَسُوا الْغَرْبَ خِزْيًا * فِي قَرْنِهِ الْعِشْرِينَ
وَأَجْمَعُوا كُلَّ دَائِعٍ * وَأَخْرَجُوا الْمُصْلِحِينَ
قَبَا (أَرْبَعَةٌ) مَهْلًا * أَيْنَ الَّذِي تَدْعِينَا
مَاذَا تُرِيدِينَ مِنَّا * وَالِدَاءُ أَمْسَى دَفِينَا
أَيْنَ الْحَضَارَةُ إِنَّا * بَعِثْنَا قَدْ رَضِينَا^(١)
لَمْ نُؤْذِ فِي الدَّهْرِ جَارًا * وَلَمْ نُخَاتِلْ خَدِينَا^(٢)
(مَسْرَّة) الشَّامِ إِنَّا * إِخْوَانُكُمْ مَا حِينَا^(٣)
نُفُوسًا فَإِنَّا وَثِقْنَا * بِكُمْ وَجِئْنَا قَطِينًا^(٤)
إِنَّا نَرَى فِيكَ (عَيْسَى) * يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ فِينَا^(٥)
قُرْبَتَ بَيْنِ قُلُوبٍ * قَدْ أَوْشَكَتْ أَنْ تَبِينَا
فَأَنْتَ نَقَرُ النَّصَارَى * وَصَاحِبُ الْمُسْلِمِينَ

الجرج :

رَأَيْتُ يَأْمَسَ طَيْبِي * وَهَمَّسَهُ فِي فُؤَادِي
لَا تَتَذَيَّبْنِي فَلَانِي * أَقْضَى وَتَحْيَا بِلَادِي

(١) لم نخاتل : لم نخادع . والخدين : الصاحب .

(٢) مسرة الشام : مطران كيرلطاقة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المعروفة ببيروت ، وكان

يمنى بالجرج في هذه الحادثة . (٣) القطين : أهل الدار المقيمون بها . يريد أن المسلمين

والنصارى أهل وطن واحد في تلك البلاد . (٤) تبين : تفصل .

العربي :

أَسْتَوِدِعُ اللَّهَ شَهْمًا * تَدْبًا طَوِيلَ النَّجَادِ^(١)
 أَسْتَوِدِعُ اللَّهَ رُوحًا * كَانَتْ رَجَاءَ الْإِلَادِ
 فَيَا شَيْدًا رَمْتُهُ * غَنَرًا كُرَاتِ الْأَعَادِ
 تَمَّ هَاتِبًا مُطْمَئِنًّا * فَلَمْ تَمَّ أَحْقَادِي
 فَسَوْفَ يُضِيكَ نَارٌ * يُذِيبُ قَلْبَ الْجَادِ

استقبال الطيار العثماني فتحى بك

نشرت في سنة ١٩١٤ م ويلاحظ أن هذه القصيدة كانت قد أعدت لاستقبال
 الطيار المذكور، فسقطت به طائرته، ومات قبل إتمام رحلته الى مصر، فرأى حافظ
 من الوفاء نشر هذه القصيدة بحد موته لتكون له سببا ومينا

أَهْلًا بِأَوَّلِ مُسْلِمٍ * فِي الْمَشْرِقَيْنِ عَلَا وَطَارُ
 النَّيْلُ وَالْبُسْفُورُ فَيَدُ * كَ تَجَاذَبَا ذَيْلَ الْفَخَّارِ^(٢)
 يَوْمَ أَمْطَيْتَ بُرَاقَكَ أَلْ * حَيْمُونَ وَاجْتَرَّتَ الْقَفَارُ^(٣)
 تَلَهُوْا وَتَعَبْتُ بِالرَّيَا * جَ عَلَى الْمَفَاوِزِ وَالْيَحَارِ^(٤)

- (١) التدب : الذى اذا تدب الى الحاجة خف لقضائها . والنجاد : حائل السيف . وطول النجاد :
 كناية عن طول القامة . (٢) كنى « بالنيل والبسفور » عن مصر وتركيا . (٣) البراق : الدابة
 التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج . شبه الشاعر طائرة فتحى بك بها فى مرصتها ويمتها .
 (٤) المفاوز : جمع مفازة ، وهى القفلة الواسعة التى لا ماء فيها .

(١) لو سَابَقَتْكَ سَوَابِقُ آلٍ * أُنْفَكَارٍ أَدْرَكَهَا الْعِشَارُ
 (٢) حَسَدَتْكَ فِي الْأُفُقِ الْبُرُوءُ * قُبُورٍ وَغَارٍ فِي الْأَرْضِ الْبُخَارُ
 (٣) تَجْرِي بِسَائِحَةٍ تُشَقُّ سَيْلَهَا شَقُّ الْإِزَارِ
 وَتَكَادُ تَقْدَحُ فِي الْأَيْدِ ■ مِرْفَيْسَتِحِيلُ إِلَى شَرَارِ
 (٤) مِثْلُ الشَّهَابِ أَتَقَصُّ فِي * أَنْبَارِ عِفْرِيتٍ وَنَارِ
 (٥) فَإِذَا عُلْتُ فَكِدَعُوهِ الْ * مُضْطَرَّ تَحْتَرِقُ السَّتَارُ
 (٦) وَإِذَا هَوَتْ فَكَمَا هَوَتْ * أَنْتَى الْمُقَابِ عَلَى الْمَزَارِ
 (٧) وَتُسِفُ آوَنَةٌ وَأَ * وَنَةٌ يَجِدُهَا أَزْوَارُ
 فَيَخْلُمُ الرُّءُوفَ قَدْ * قَرَّتْ وَلَيْسَ بِهَا قَرَارُ
 (٨) لَعِبَ الْجَوَادُ أَقْلًا لَيْ * شَامِنُ قُضَاعَةٍ أَوْ زَرَارِ

(١) يصفه في هذا البيت بالسرعة حتى إنه يسبق الفكر فيأخطئه من خواطر .

(٢) كنى «بالبحار» عن القواطر البخارية .

(٣) يريد بالسابحة : الطائرة ، شبهها بالسفينة السابحة فوق الماء ، وشبه اختراقها للقضاء بشق الثياب .

(٤) شبه الطائرة في سرعتها بالشهاب الذي كان يرسل على كل من يحاول استراق السمع من الجن .

(٥) شبهها بدعوة المضطر ، لما روى في الآثار من أنها ليس بينها وبين الله حجاب ، فهي تحترق الآفاق

من غير أن يحول بينها وبين الصعود حائل . ويريد «بالستار» : حجاب السماء . (٦) هوت :

هبطت . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب الكاسر . والمزار (بالفتح) : عصفور صغير متقوع

الصوت ؛ ويقال له : العنديل . (٧) تسف : تدنوس الأرض ؛ يقال : أسف الطائر

إذا دنا من الأرض حتى كادت رجلاه تضيئانها . والأزوار : الانحراف .

(٨) أقل : حمل . وكنى بقوله : «ليثا» من قضاة أو زرار عن كونا الفارس مريا . يقول : إن هذه

الطائرة تلعب في سيرها فرحا ونشاطا كما يلعب الجواد بفارسه العربي . وقضاة وزرار : قبيطان معروفان .

أو كاللَّعُوبِ مِنَ الْحَمَا * عِمْ فَوْقَ مَلْعِيهِ أَسْتَطَارُ
 (١) وكَأَنَّهَا فِي الْأَفْصَى حِيد * نَ يَمِيلُ مِيزَانُ النَّهَارِ
 وَالشَّمْسُ تُلْقَى فَوْقَهَا * حُلَّ أَحْمَرٍ وَأَصْفَرٍ
 مَلِكٌ يُثَمِّلُهُ لَنَا (الشَّيْخُ) فَيَاخُذُنَا أَنِهَا
 (قَتَحِي) بِرَبِّكَ مَا رَأَيْتُ * تَ بِذَلِكَ الْفَلَكَ الْمُدَارِ
 (٢) أَبْلَغْتَ تَسْبِيحَ الْمَلَا * نِيكَ أَوْ دَنَوْتَ مِنَ السَّرَارِ
 (٣) أَمْ خِفْتَ تِلْكَ الرَّاصِدَا * تِ هُنَاكَ مِنْ شُهْبٍ وَنَارِ
 أَرَأَيْتَ مُكَانَ النُّجُومِ * مَ وَأَنْتَ فِي ذَاكَ الْحَوَارِ
 (٤) أَهْنَاكَ فِي (الْمَرِيخِ) مَا * فِي الْأَرْضِ مِنْ عِلَالِ الشَّجَارِ
 (٥) أَهْنَاكَ يَسْتَعْدِي الضَّيْعِ * فُفْ عَلَى الْقَوِيِّ فَلَا يُجَارِ
 (٦) مَا لِأَبْنِ آدَمَ زَادَ فِي * عُقْلَوَاتِهِ فَطَنِي وَجَارِ
 (٧) يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَهُ * فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ نَارُ

- (١) ميلان ميزان النهار : كناية عن زوال الشمس عن وسط السماء وميلها الى جهة المغرب .
 (٢) السرار (بالكسر) : مصدر سار (بتشديد الراء) . ويريد به هنا : مناجاة سكان السماء . يقال : سار فلان فلانا يساره : اذا ناجاه وأعلمه بصره . يسأل الطيار هل بلغ بطائرته من العلو الى حيث يسمع مناجاة الملائكة في السماء .
 (٣) الراصدات : الشهب التي أعدها الله للجن حين كانت تسرق السمع من السماء ؛ قال تعالى حكاية عن الجن : (وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) .
 (٤) الشجار : النزاع والخصام . يقال : استعدت الأمير على فلان فأعداني ، أى استعدت به عليه فأعداني وأصغى منه .
 (٥) يقال : استعدت الأمير على فلان فأعداني ، أى استعدت به عليه فأعداني وأصغى منه .
 (٦) العقلاوات (وتسكن اللام) : الثعالب . والمراد هنا :
 (٧) النار : النار ، ومهلت الهمزة للشعر .

أَمْ لَإِذٍ مُّعْتَصِمًا بُكْرًا * مِىَّ الْمُهْمِّينَ وَأَسْتَجَارُ
 فَاسْتَلَّ مِنْ قَلْبِ الْجَمَا * دِ الصُّلْبِ أَجْحَمَةً وَطَارُ^(١)
 وَتَسَلَّقَ الْأَجْوَاءَ مُنْمًا * تَطْيًا عَوَاصِفَهَا وَسَارُ
 يَرْجُو النَّجَاءَ مِنَ الْمَظَا * لِمِ الْمَغَارِمِ وَالْدَّمَارُ^(٢)
 يَأْتِيهَا الطَّيَّارُ طَرُ * فَإِذَا بَلَغْتَ مَدَى الْمَطَارُ^(٣)
 فُزِرَ السُّهَى وَالْفَرْقَدِي * بِنِ إِذَا أُتِيحَ لَكَ الْمَزَارُ^(٤)
 وَسَلَّ النُّجُومَ عَنِ الْحَيَا * ةِ فِي السَّوَالِ لَكَ أَعْيَارُ^(٥)
 هُمْ يُنَبِّئُونَكَ أَنَّ كُلَّ الْكَائِنَاتِ إِلَى بَوَارُ^(٦)
 وَالظُّلُمُ مِنَ طَبِيعِ النَّظَا * مِ فَإِنْ ظَلِمْتَ فَلَا تُمَارُ^(٧)
 إِنَّ الَّذِي بَرَأَ السَّيِّدِ * مِ هُوَ الَّذِي بَرَأَ النُّبَارُ^(٨)
 فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّ * فُلِّي أَحْكَامُ تُدَارُ
 خُلِقَ الضَّعِيفُ لِحُدُودِ الْ * أَقْوَى وَلَيْسَ لَهُ خِيَارُ
 فَتَقَوَّ يَرْهَبُكَ الْقَوَى * وَهْنُ يُلَازِمُكَ الصَّغَارُ^(٩)

(١) استل : اتزعج . (٢) الدمار : الهلاك . (٣) مدى المطار : غاية .

(٤) السما : كوكب خفي بعده ، وهو في بنات نغمس الصغرى : والفرقدان : نجمان يهتدى بهما .

(٥) البوار : الهلاك والدمار . (٦) ماراء يماريه ماراة : جادله وتنازع . يقول لا تنازع

في ظلم وقع عليك ولا تتبرم به ، فان تدبير العالم ونظامه يقتضيان وجود ظالم ومظلوم وقوى وضعيف .

(٧) برأ : خلق . والسديم : الضباب الرقيق .

(٨) هان يهون : ذل . والصغار : الذل .

فِي الْأَرْضِ مَا يَبْغُونَ مِنْ * عِزٍّ وَأَمَالٍ كِبَارُ
 فِيهَا الْحَدِيدُ وَفِيهِ بَأُ * ^(١) سَ يَوْمَ يَمْتَحِنُ الدَّمَارُ
 فِيهَا الْكُنُوزُ الْخَافِلَا * ثَلَمُنَ تَبَصَّرَ وَأَسْتَنَارُ
 مِنْهَا أَسْتَمَدَّ قُوَاهُ مَنْ * قَهَرَ الْمَالِكَ وَأَسْتَعَارُ
 وَبِمَا أَحْتَوَتْ رَدَّ الْحَصِي * ^(٢) فُ الرُّيِّ غَارَةٌ مِنْ أَعَارُ
 فِي ذِمَّةِ الْآفَاقِ سِرُ * ^(٣) وَأَرْجِعْ إِلَى تِلْكَ الدِّيَارُ
 وَأَجْعَلْ تَحِيَّتَنَا إِلَى * ^(٤) بَلَدَ بِهِ لُكْلُكَ دَارُ
 دَارُ مَلِيهَا لِلْخِلَا * ^(٥) فَةِ وَالْهُدَى رُفِعَ الْمَنَارُ
 دَارُ الْغَزَاةِ الْفَاتِيحِ * مِنَ الصُّفُوفِ الْغُرِّ الْخِيَارُ
 فِي كُلِّ حَاضِرَةٍ لَهُمْ * ^(٦) غَزَوْ فَفَتَحَ فَأَنْتَصَارُ
 ضَرَبُوا الزَّمَانَ بِسَوْطِ عِزَّتِهِمْ فَلَانَ لَهُمْ قَدَارُ
 يَمُشُونَ فِي ظَايِ الْقَنَا * ^(٧) مَشَى الْمُرَيَّحُ بِالْمُعَارُ

- (١) الدمار (بالكسر) : ما يلزمك حفظه وحمايته . يقول : إن في الأرض من الحديد ما تغذ منه أسلحة تغزى بها وتدفع كل من يحاول أن يعتدى علينا ويقتك من حرماننا . (٢) « استعار » : مطوف على « استمد » أي استعار منها قوة وبأسه . (٣) « حصيد الرأى » : بجده وبحكمه وسديده . (٤) « يريد » بالدَّار : بلاد تركيا موطن الطيار . (٥) « يريد » بالبلد : الآسنة مقر الخلافة . (٦) دار : أي دار الزمان لم بما يشتهون . يقول : إنهم بما لديهم من عزة ومنعة قهروا الزمان على أن يواتهم بما شاوروا . (٧) القنا : الرماح ؛ الواحدة قناة . شبهها بالقاب في كثرتها واشتباك بعضها ببعض . والعقار (بالضم) : الخمر . والمرحج بها : القى يتأبل في مشيته سكرًا ، شبه الجنود وقد ملأوا بنشوة الفرح بالقتال ، بنارب الخمر المترج سكرًا .

- (١) مِنْ كُلِّ أَرْوَغٍ فَاتِكِ * لَا يَسْتَشِيرُ سِوَى الْفِرَارِ
(٢) ذِي مِرَّةٍ تُسْجِيهِ ذَا * تُ النَّقْعِ لَا ذَاتُ الْخِمَارِ
(٣) يَنْشَى الْمَاعِيعَ ضَارِبًا * بِحَيَاتِهِ ضَرَبَ الْقِمَارِ
(٤) لَا يَتَنَبَّيْ أَوْ تَخْرُجَ الـ * لِأَجْرَامٍ عَنْ فَلَكَ الْمَدَارِ
(٥) عَبَسَتْ لَهُمْ أَيَّامُهُمْ * وَالْعَبَسُ يَعْقُبُهُ أَفْتَرَارُ
مَا عَابَهُمْ أَنْ الصُّعُورُ * دَلِيلُهُ فِي الدَّهْرِ أَنْجِدَارُ
(٦) فَلِكُلِّ غَايٍ رَوْحَةٌ * وَلِكُلِّ وُضَاءٍ مِرَارُ
(٧) وَلَسَوْفَ يَبْلُغُنَّجُهُمْ * وَيَسْوَدُ ذِيَاكَ الشَّمَارُ

- (١) الأروع : هو الذي يمجك بشجاعته ومنظره . والفرار (بالكسر) : حد السهم والرمح والسيوف .
(٢) المرة : قوة الخلق (بفتح الخاء) وشدة واستحكامه . وذات النقع : الحرب لما تشبه من النقع ، وهو القبار . والخمار (بالكسر) : ما تغطى به المرأة وجهها . يقول : إن الحرب تطرب هذا الفارس وتشتوه أكثر مما تشوله النساء بجمالهن .
(٣) الماعيع : الحروب ؛ الواحدة : معمة . يقول : إن هذا الفارس يدخل الحرب مقامرا بحياته وسواء لديه أخسرها أم كسبها .
(٤) يصنفه بالثبات والإقدام وأنه لا يرجع عن غايته حتى تخرج الكواكب عن أفلاكها في الدوران .

- (٥) العبس : العيوس . والافترار : التيسم والضحك الحسن .
(٦) الوضاء (بضم الواو وتشديد الضاد) : البهيج الحسن ؛ يريد البدر . والمرار (بضم السين) : اليلة التي يستمر فيها القمر ، أى يخبئ ، وذلك لا يكون إلا في آخر الشهر ، وربما كان ليلة ، وربما كان ليلتين . وكفى بذلك عما يقبى إليه كل نظرة وجمال من بل رذعاب .
(٧) يريد « بالشعار » : الحلال ، وكان شعار الدولة العثمانية .

إلى معتمد بريطانيا في مصر

قالها عند تعيين معتمد جديد لبريطانيا، وهو السير مكماهون

[نشرت في يناير سنة ١٩١٥ م]

أَيُّ (مَكْمُوهُنْ) قَدِمْتَ بَالُ * قَصَصِدِ الْجِيَدِ وَبِالرَّعَايَةِ
(١)
مَاذَا حَمَلَتْ لَنَا عَنْ آلِ * حَمَلِكِ الْكَبِيرِ وَعَنْ (غَرَايَةِ)؟
أَوْضَحْ (لِمِصْرَ) الْفَرْقَ مَا * بَيْنَ السِّيَادَةِ وَالْحَيَاةِ
وَأَزِلْ شُكُوكًا بِالنُّفُو * مِنْ تَعَلَّقَتْ مِنْذُ الْبِدَايَةِ
وَدَعِ الْوَعُودَ فَلَيْتَهَا * فِيهَا مَضَى كَانَتْ رِوَايَةِ
أَصَحَّتْ رُبُوعُ النَّيْلِ سَدَ * طَنَّةً وَقَدْ كَانَتْ وِلَايَةِ
فَتَمَهَّدُوهَا بِالصَّلَا * حِ وَأَحْسِنُوا فِيهَا الْوَصَايَةِ
(٢)
إِنَّا لَلشُّكُو وَائْتَقِدِ * مِنْ بَعْدِلِ مَنْ يُشْكِي الشَّكَايَةِ
تَرْجُو حَيَاةَ حُرَّةَ * مَضْمُونَةً فِي ظِلِّ رَايَةِ
وَتَرْوُمُ تَعْلِيمًا يَكُو * نُ لَهُ مِنْ الْقَوَضَى وَقَايَةِ
وَنَوْدُ أَلَّا تَسْمَعُوا * فِيهَا السَّعَايَةِ وَالْوِشَايَةِ
أَنْتُمْ أَطِبَّاءُ الشُّعُو * بِ وَأَنْبَلُ الْأَقْوَامِ غَايَةِ

(١) غرايه، يريد السير إدوارد غراي، وزير خارجية إنجلترا إذ ذاك .

(٢) يقال: أُنْكِيت فلاناً، إذا قبلت شكواه وأرضيته وأزلت شكايته .

أَتَى حَلَّتُمْ فِي الْبِلَا * دِلْكُم مِّنَ الْإِصْلَاحِ آيَةٌ
 رَّسَخَتْ بِنَايَهُ مَجْدُكُمْ * قَبُوقُ الرُّوْيَةِ وَالْهِدَايَةِ^(١)
 وَعَدَلْتُمْ فَلَكُمْ الدُّنْيَا وَفِي الْعَدْلِ الْكِفَايَةُ
 إِنْ تَنْصُرُوا الْمُسْتَضْعِفِينَ * مَن فَتَحْنُ أَضْعَفَهُمْ نِكَايَةً
 أَوْ تَعْمَلُوا لَصَلَابِحِنَا * فَتَدَارِكُوهُ إِلَى النَّبَايَةِ
 إِنَّا بَلَقْنَا رُشْدَنَا * وَالرُّشْدُ نَسِيقُهُ النَّبَايَةِ
 لَا تَأْخُذُونَا بِالْكَلَا * مَ فَلَيْسَ فِي الشُّكْوَى جِنَايَةُ
 هَذَا (حُسَيْنٌ) قَوْقَ عَمْرٍ * مِشِ (النَّيْلِ) تَحْرُسُهُ الْعِنَايَةُ
 هُوَ خَيْرٌ مِّنْ يَّبْنِي لَنَا * فَدَعُوهُ يَنْهَضْ بِالْبِنَايَةِ

إلى غليوم الثاني امبراطور ألمانيا

فالها ينكر عليه إثارته الحرب العظمى وما ارتكبه فيها من الفظائع

[نشرت في يناير سنة ١٩١٥ م]

لِلَّهِ آثَارُ هُنَاكَ كَرِيمَةٌ * حَسَدَتْ رَوَائِعَ حُسْنِهَا (زِيلِين)^(٢)
 طَاحَتْ بِهَا تِلْكَ الْمَدَافِعُ تَارَةً * لَمَّا أَمَرَتْ وَتَارَةً (زِيلِين)^(٣)

(١) يصف في هذا البيت الانجليز بأنهم أسسوا مجدهم على التآني في الأمور، واتباع سوا، السبيل .

(٢) يريد آثار الحضارة في فرنسا وغيرها من الممالك التي خربها الألمان في الحرب العظمى .

(٣) طاحت بها، أى محتها . وزيلين : يريد نوعاً من الطائرات مسمى باسم مخترعه ، وهو الكونت

زِيلِين الألماني .

(١) ما ذا رَأَيْتَ مِنَ النَّبَالَةِ وَالْعَلَا * فِي عُدْمِهِنَّ وَكُلْهِنَّ عِيُونُ
 لو أَن في (بِرْلَيْنَ) عِنْدَكَ مِثْلَهَا * لَعَرَفْتَ كَيْفَ تُجْلَهَا وَتَصُونُ
 (٢) إِن كُنْتَ أَنْتَ هَدَمْتَ (رِمْسَ) فَلِإِنَّهُ * أَوْدَى بِجَحْدِكَ رُكْنُهَا الْمُوهُونُ
 لَمْ يُغْنِ عَنْهَا مَعْبَدُ خَرَبَتِهِ * ظُلُمًا وَلَمْ يُمَسِّكْ عِثَانَكَ دِينُ
 لَا تَحْسَبَنَّ الْقَخْرَ مَا أَحْرَزْتَهُ * الْفَخْرُ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ رَهِينُ
 هَلْ شَدَّتْ فِي (بِرْلَيْنَ) غَيْرَ مُعَسِّكِي * قَامَتْ عَلَيْهِ مَعَاقِلُ وَحُصُونُ
 وَجَمَعْتَ شَعْبَكَ كُلَّهُ فِي قَبْضَةٍ * إِنْ لَمْ تَكُنْ لَأَنْتَ فَسَوْفَ تَلِينُ
 (٣) نَظَّمْتَ تِجَارَتَكَ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى * (فَالنَّيْلُ) نَاءَ بِهَا وَنَاءَ (السَّيْنُ)
 فَبِكُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجَالِكَ عُصْبَةٌ * وَبِكُلِّ بَحْرٍ مِنْ لَدُنْكَ سَفِينُ
 (٤) تَسِيرُ وَتَسْرُكُ أَيْنَ لَحْنٌ يُظْلِمُهَا * لَا اللَّيْثُ يُرْجِعُهَا وَلَا النَّيْنُ
 (٥) فَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْمُهَنْدُ مَغْمَدُ * وَالنَّهْيُ نَهْيُكَ وَالسَّرَى مَامُونُ

(١) عُدْمُهُنَّ ، أى فقدانَهُنَّ وذُهايَهُنَّ . (٢) رِمْسَ : مدينة فرنسية مشهورة بكينيتها التاريخية ، وقد خربها الألمان بمداغهم في الحرب الأخيرة ، ثم جددت بمداغاتها . والموهون . الذى أدركه الوهن ، وهو الضعف والانحلال . يقول : إن اعتدائك على هذا البلد أظهرتك بمظهر المخزب فانهدم بذلك ما بنيت من مجد ونفر .

(٣) يقال : ناء بالحل ، إذا أُنْقِلِعَ ولم يقدر على حمله . والسَيْنُ : نهر بفرنسا معروف .

(٤) يريد « بالنسر » : الزاية الألمانية . والليث : إشارة إلى بريطانيا . والنين : إشارة إلى اليابان . والمعنى أن سفن التجارة الألمانية تسير مظلة براية دولتها ، فلا تقدر براية دولة مهما عظمت أن تعوقها عن سبيلها .

(٥) المهتد : السيف . والمعنى أن الأمر والنهى كلاهما لك فى أيام السلم .

(١) قد كان في (يزيلين) شعبك وإدعاً * يستعمر الأموات وهي سكوت
 فُتِحَتْ له أبوابها فسبيلها * وقف عليه ورزقه مضمون
 (٢) فعلام أرهقت الوري وأثرتها * شعواء فيها للهلاك فتون؟
 تالله لو نصرت جيوشك لأنطوى * أجل السلام وأقفر المسكون
 سبعون مليوناً إذا وزعتها * بين الحواضر نالنا مليون
 (٣) ويل لمن يستعمرون بلاده * القحط أيسر خطيه والهون
 أكثرت من ذكر الإله تورطاً * وزعمت أنك مرسل وأمين
 عجباً أتذكره وتملاً كونه * ويلاً لينعم شعبك المغبون
 وكذلك القصاب يذكر ربه * والنصل في عنق الذبيح دفين

(١) الوداع : الساكن المطنن . ويستعمر، يريد : يعمر . والذي وجدناه في كتب اللغة أنه
 يقال : أعمره المكان واستعمره فيه ، أى جعله يعمره . وفي التزويل العزيز : (هو أنشأكم من الأرض
 واستعمركم فيها) ، أى أذن لكم في عمارتها . ولم نجد في كتب اللغة ما شاع استعماله بين كتاب العصر من
 قولهم : استعمرت المكان (بالبناء للفاعل) بمعنى عمرته .
 (٢) أرهقت الوري : ظلمتهم وحملتهم ما لا يطيقون . وشعواء، يريد غارة شعواء
 أى عامة شاملة .

(٣) الهون (بضم الهاء) : القتل .

الحرب العظمى

[نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩١٥ م]

- (١) لَاهُمْ إِنْ الْغَرْبَ أَصْبَحَ شُعْلَةً * مِنْ هَوْلِهَا أَمْ الصَّوَاعِقُ تَفْرُقُ
(٢) الْعِلْمُ يُدْكِ نَارَهَا وَتُشِيرُهَا * مَدَنِيَّةٌ خَرَقَاءُ لَا تَفْرُقُ
(٣) وَلَقَدْ حَسِبْتُ الْعِلْمَ فِينَا نِعْمَةً * تَأْسُو الضَّعِيفَ وَرَحْمَةً تَنْدَفِقُ
(٤) فَإِذَا يَنْعَمْتِهِ بَلَاءٌ مُرْهِقٌ * وَإِذَا بَرَحْتِهِ قَضَاءٌ مُطْبِقُ
(٥) عَجَزَ الرَّمَاةُ عَنِ الرَّمَاةِ فَارْسَلُوا * كِسْفًا يَمْوجُ بِهَا دُخَانٌ يَخْنُقُ
(٦) تَتَعَوَّذُ الْآفَاقُ مِنْهُ وَتَنْتَلِي * عَنْهُ الرِّيَّاحُ وَيَتَّقِيهِ الْفَيْلِقُ
(٧) وَتَبَلَّوْا بِالْكَيمِيَاءِ فَاسْرَفُوا * وَتَسَاجَلَوْا بِالْكَهْرِبَاءِ فَاغْرَقُوا
(٨) وَتَنَازَلُوا فِي الْجَوِّ حِينَ بَدَأَ لَهُمْ * أَنَّ الْبَسِيطَةَ عَنْ مَدَاهِمُ أَضْيِقُ
(٩) نَفْسُوا عَلَى الْحِيتَانِ وَاسِعَ مُلْكِهَا * فَتَقَنَّوْا فِي سَلْبِهِ وَتَأَنَّقُوا
(١٠) مَلَكُوا مَسَاجِدَهَا عَلَيْهَا بَعْدَ مَا * غَلَبُوا النَّسُورَ عَلَى الْجَوِّاءِ وَحَلَقُوا
(١١) إِنْ كَانَ عَهْدُ الْعِلْمِ هَذَا شَأْنُهُ * فِينَا فَعَهْدُ الْجَاهِلِيَّةِ أَرْفَقُ

(١) لاهم، أى الهم . وتفرق : تخاف وتفرع . (٢) يدكي نارها : يشعلها . والخرقاء : الحفقاء . ويشير إلى أثر العلم فيما أوجد من مخترعات مهلكة في الحرب . (٣) تأسو الضعيف، أى تعمل على تقويته وتعالج ضعفه . (٤) مطبق : عام شامل . (٥) يريد « بالكسف » : قطع الدخان من الغازات السامة التي استعملت في الحرب أخيرا، شبهها بكسف السحاب، أى قطعه؛ الواحدة كسفة . (٦) الفيلق : الجيش العظيم . (٧) التنايل : الترامى بالنبل . يشير إلى استعمال المواد الكيميائية وتسخير الكهرباء في الإهلاك والتدمير . (٨) نفس عليه الشيء : حسده عليه ولم يره أهلا له . (٩) الجواء : جمع جو . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى استخدام الغواصات والطائرات في الحروب .

مظاهرة السيدات

فالها في مظاهرة قامت بها السيدات في الثورة الوطنية في سنة ١٩١٩ م
ونشرت إذ ذاك في منشورات وطنية ، وتأنثرها في الصحف إلى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩ م

خَرَجَ الْغَوَايِ يَحْتَجُّ * بِنَ وَرَحَتِ أَرْقُبَ جَمْعَهُنَّ
فَإِذَا بَيْنَ تَمَحُّذَنَ مِنْ * سُودِ الثَّيَابِ شِعَارَهُنَّ
فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَوَاكِبَ * يَسْطَعْنَ فِي وَسْطِ الدُّجْنَةِ^(١)
وَأَخَذْنَ يَحْتَرِزْنَ الطَّرِيقَ * سَبَقَ وَدَارُ (سَعْدٍ) قَصْدَهُنَّ
يَمْسِيْنَ فِي كَفِّ الْوَقَا * رِ وَقَدَّارْنَ شَعُورَهُنَّ
وَإِذَا يَجِيْشُ مُقْبِلَ * وَالْحَيْلُ مُطْلَقَةُ الْأَعْنَةِ
وَإِذَا الْخُنُودُ سُبُوْهُهَا * قَدْ صُوِّبَتْ لِحُجُورِهِنَّ
وَإِذَا الْمَدَافِعُ وَالْبَنَى * دَقُّ وَالصَّوَارِمُ وَالْأَسْنَةُ^(٢)
وَالْحَيْلُ وَالْفُرْسَانُ قَدْ * ضَرَبَتْ نِطَاقًا حَوْهْنَهُ
وَالْوَرْدُ وَالرَّيْحَانُ فِي * ذَاكَ النَّهَارِ سِلَاحَهُنَّ
فَتَطَاخَرْنَ الْجَيْشَانِ سَا * عَاتٍ تَشِيْبُ لَهَا الْأَجْنَةُ
فَتَضَعْنَ النَّسْوَانَ وَالنَّسْوَانُ لَيْسَ لهنَّ مُنْسَةُ^(٣)
ثُمَّ أَنهَزَمْنَ مُشْتَتَا * تِ السَّمْلِ نَحْوَ قُصُورِهِنَّ

(١) الدجنة : الظلمة . (٢) الصوارم : السيوف القواطع . (٣) المنة : الفتوة .

فَلَيْتَنَا الْجَيْشُ الْفَخُورُ * رُبَّنْصَرِهِ وَبَكْسِرِهِنَّ
فَكَأْتَنَا الْأَلْمَانُ قَدْ * لَيْسُوا الْبَرَّاقِعَ بَيْنَهُنَّ
وَأَتَوْا (هِنْدِ بُرْج) نُحْ * تَفِيًّا بِمَصْرٍ يَقُودُهُنَّ^(١)
فَلِذَاكَ خَافُوا بِأَسْمِهِنَّ * وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّ

أياصوفيا^(٢)

قالها حين خيف على الآستانة أن تملكها دول الخلفاء وتزعها من يد الأتراك
وذلك عقب الحرب العظمى، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة

[وتأخر نشر هذه القصيدة إلى سنة ١٩٣٢ م.]

(أَيَا صُوفِيَا) حَانَ التَّفَرُّقُ فَادْكُرِي * عُهُودَ كِرَامٍ فِيكَ صَلُّوا وَسَلُّوا^(٣)
إِذَا عُدَّتْ يَوْمًا لِلصَّلِيبِ وَأَهْلِهِ * وَحَلَّى نَوَاحِيكَ الْمَسِيحُ وَمَرِيَمُ^(٤)
وَدُقَّتْ نَوَاقِيسُ وَقَامَ مُزْمَرٌ * مِنَ الرُّومِ فِي مَحْرَابِهِ يَتَرَنَّمُ
فَلَا تُنْكِرِي عَهْدَ الْمَآذِنِ إِنَّهُ * عَلَى اللَّهِ مِنْ عَهْدِ النُّوَاقِيسِ أَكْرَمُ

(١) هندنبرج، هو القائد الألماني المعروف في الحرب العظمى.

(٢) يلاحظ أننا راعينا في وضع هذه القصيدة تاريخ قولها لا تاريخ نشرها، لأن مراعاة ذلك
أجلى على مؤرخ الأدب.

(٣) أياصوفيا: أعظم مسجد في القسطنطينية، وكان قبل الفتح العثماني الكنيسة الأولى في الشرق
للقولما المانيون مسجداً.

(٤) يريد صورتي عيسى ومريم اللتين توضعان في الكنائس عادة.

(١) تَبَارَكْتَ، (بَيْتُ الْقُدْسِ) جَدْلَانُ آمِينَ * وَلَا يَأْمُنُ (الْبَيْتُ الْعَتِيقُ) الْمُحَرَّمُ
 (٢) أَيْرِضِيكَ أَنْ تَغْشَى سَنَابِكَ خَلِيلَهُمْ * حِمَاكَ وَأَنْ يُعْنَى (الْحَطِيمُ) وَ(زَمْرَمُ)؟
 وكيف يَذُلُّ الْمُسْلِمُونَ وَيَنْهَمُ * كِتَابُكَ يُتْلَى كُلَّ يَوْمٍ وَيُكْرَمُ؟
 نَبِيُّكَ مَحْزُونٌ وَبَيْتُكَ مُطْرِقٌ * جَاءَ وَأَنْصَارُ الْحَقِيقَةِ نُومٌ
 عَصَيْنَا وَخَالَفْنَا فَعَاقِبَتَ عَادِلًا * وَحَكَمْتَ فِينَا الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ

مصر

أنشدوا في الحفل الذي أقيم بفندق الكونتنتال لتكريم المرحوم عدلى يكنى باشا بعد عودته من أوروبا
 قاطعا المقاومة مع الانجليز ومستقبلا من الوزارة - نشرت في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١ م
 وهذه القصيدة على لسان مصر تتحدث عن نفسها

وَقَفَّ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعًا * كَيْفَ أَتَيْتِ قَوَاعِدَ الْمَجْدِ وَحْدِي
 وَبُنَاةَ الْأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ * يَرِ كَفَوْنِي الْكَلَامَ عِنْدَ التَّحْدِي
 أَنَا تَاجُ الْمَلَاءِ فِي مَقْرِيقِ الشَّرِّ * قِي وَدِرَانُهُ فَرَانْدُ عِقْدِي
 أَيْ شَيْءٍ فِي الْغَرْبِ قَدْ بَهَرَ النَّاسَ * سَ جَمَالًا وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدِي؟

(١) كنى «بيت القدس والبيت العتيق» : عن معابد النصارى ومعابد المسلمين - يقول : إن معابد النصارى
 في فرج وأمن ، ومعابد المسلمين في خوف وفرع - (٢) سنانك الخليل : أطراف حوافرها ؛ الواحد
 سنبك - ويعنى : يتلى ويصاب - والحطيم : ما بين الركن وزمزم والمقام - جعل سقوط الآسنة في يد الإفرنج
 خطرا يخشى أن يمتد إلى البيت الحرام ، لأن في سقوط الدولة الثمانية سقوطا لولاياتها - (٣) الغلاء
 (بالفتح والملة) : الرضة والشرف - والمقرق (كقعد ومجلس) : وسط الرأس - والقرايد : الجواهر
 التي لا توائم لها لغاسها ؛ الواحدة فريدة - ويريد «دِرَانُهُ» : ممالك الشرق التي كان لمصر الزعامة عليها -

(١) فُتْرَانِي تَبْرُوْنَهْرِي فُتْرَاتُ * وَسَمَائِي مَصْفُوْلَةٌ كَالْفِرْنَدِ
 (٢) أَيْمًا سِرَتَ جَدُوْلٍ عِنْدَ كَرِيْم * عِنْدَ زَهْرٍ مُدْنَرٍ عِنْدَ رَنْدِ
 (٣) وَرِجَالِي لَوْ أَنْصَفُوْهُمْ لَسَادُوا * مِنْ كُھُولٍ مِلَّةِ الْعِيُوْنِ وَمُرْدِ
 لَوْ أَصَابُوا لَمْ يَجَالَا لَا بَدَا * مُعْجَزَاتِ الذِّكَاةِ فِي كُلِّ قَصْدِ
 (٤) لَمْ يَنْهَمُ كَالظُّبَا أَلْحَ طَيْبَا * صَدَا النَّهْرِ مِنْ ثَوَاءٍ وَغَمْدِ
 (٥) فَإِذَا صَيَّقَلُ الْقَضَاءِ جَلَاهَا * كُنَّ كَالْتَوِيَةِ مَالَهُ مِنْ مَرْدِ
 أَنَا إِنِّ قَنْدَرُ الْإِلَهِ مَمَاتِي * لَا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ بَعْدِي
 مَا رَمَانِي رَايِمَ وَرَاحَ سَلِيْمًا * مِنْ قَدِيْمٍ عِنَايَةُ اللَّهِ جُنْدِي
 كَمْ بَغَتْ دَوْلَةٌ عَلَى وَجَارَتْ * ثُمَّ زَالَتْ وَتَلَكَّ عُقْبَى التَّعْدِي
 (٦) أَنَسْنِي حُرَّةٌ كَسَرْتُ قُبُوْدِي * رَغَمَ رُقْبَى الْعِدَا وَقَطَعْتُ قُدِي
 (٧) وَتَمَائِلْتُ لِلشَّفَاءِ وَقَدْ دَا * تَبْتُ حَيْنِي وَهِيَ الْقَوْمُ لَحْدِي
 قُلْ لِمَنْ أَنْكَرُوا مَفَايِرَ قُوِي * مِثْلَ مَا أَنْكَرُوا مَا ثَرُوْدِي
 (٨) هَلْ وَقَفْتُمْ بِقِمَّةِ الْمَرْمِ الْأَكْثِ * بَرَّ يَوْمًا فَرَيْتُمْ بَعْضَ جُهْدِي؟

(١) الفرات : الذهب . والفرند : السيف . (٢) مدنر، أى مختلف الألوان، أو مشرق متلألئ . والرند : شجر طيب الرائحة، وله حب يقال له : الغار . (٣) ملء العين، أى تعجبك مناظرهم . والمرد : جمع أمرد، وهو الشاب ثبت شاربه ولم تثبت لحيته . (٤) الظبا : جمع ظبية، وهى حذ السيف والسنان ونحوهما . والثواء : طول المكث . (٥) الصيقل : شاحذ السيوف وجالها، والجمع صياقل وصياقلة . (٦) رقبى العدا، أى مراتبهم لى . والقصد : القيد يخذ من جلد . (٧) الحين (بالفتح) : الملاك . (٨) فرأيتهم، أى فرأيتهم .

- (١) هَلْ رَأَيْتُمْ تِلْكَ الْقُوَّشَ اللَّوَاتِي * أُعْجِزَتْ طُفُوقَ صَنْعَةِ الْمُتَحَدِي؟
 (٢) حَالُ لَوْنُ النَّهَارِ مِنْ قِدَمِ الْعَهْدِ * يَدُ وَمَا مَسَّ لَوْنُهَا طُولُ عَهْدِ
 (٣) هَلْ قِيَهُتُمْ أَسْرَارَ مَا كَانَ عِنْدِي * مِنْ عُلُومٍ تَحْبُوءَ عَلَى بَرْدِي؟
 ذَاكَ فَنُ التَّحْنِيطِ قَدْ غَلَبَ الدَّهْدُ * رَوَّابِلَى الْبَسَلَى وَأَعْجَزَ نَيْدِي
 (٤) قَدْ عَقَدْتُ الْعُهُودَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْنَ * نَ فَي (مِصْرَ) كَانَ أَوَّلُ عَقْدِ
 (٥) إِنْ تَجِدِي فِي الْأَوَّلِيَّاتِ عَرِيْقُ * مَنْ لَهُ مِثْلُ أُولِيَّاتِي وَمَجْدِي؟
 (٦) أَنَا أُمُّ التَّشْرِيعِ قَدْ أَخَذَ الرُّوْ * مَا نُنِ عَنِ الْأَصُولِ فِي كُلِّ حَدِّ
 (٧) وَرَصَدْتُ النُّجُومَ مِنْذُ أَضَاءَتْ * فِي سَمَاءِ الدُّجَى فَأَحْكَمْتُ رَصْدِي
 (٨) وَشَدَا (بَنْتُشُور) فَوْقَ رُبُوعِي * قَبْلَ عَهْدِ الْيُونَانِ أَوْ عَهْدِ (تَمُجِدِ)

- (١) الطوق : الطائفة والجهد . والمتحدى : المعارض الذى ينازعه الغلبة والفخر .
 (٢) حال : تغير وتحول . (٣) البردى (بالتشديد وخفف للشعر) : نبات تعمل منه الحصر وكان يصنع منه الورق قديما . (٤) يشير إلى المخالفة التى عقدت بين رمسيس الثانى وملك الحثيين سنة ١٢٥٠ ق م على أن يسكنا عن الحروب ، وأن يكونا حديقين الى الأبد . وقد حدثا في تلك المخالفة حدود أملا كهما ، وهى أقدم مخالفة عرفت في التاريخ .
 (٥) الأوليات ، أى السنين الأولى . (٦) يشير الى ما هو معروف من أن المصريين قديما كانوا مصدر القوانين الإدارية ، ونظم أخذت الأمم المجاورة لهم ، وقد وفد اليهم من واضعى القوانين لكرخ وصولون اليونانيان ، وعن اليونان أخذ الرومان .
 (٧) كان المصريون من أقدم الأمم الى اشتغلت بعلم الفلك ؛ وقد ذكر مؤرخو اليونان أن أسهم أخذت هذا العلم عن المصريين ؛ وقد عثر في بعض المقابر على آلات للرصد ومصغرات لشكل السماء ومواقع نجومها . (٨) بنتشور : أقدم شاعر عرفه التاريخ ، وهو مصرى . « قبل عهد اليونان » ... الخ ، أى قبل شعراء اليونان وشعراء العرب .

(١)
وقديما بنى الأساطيل قنوي * ففرقن البحار يحلن بندي
(٢)
قبل أسطول (نلسن) كان أسطو * لي سرياً وطالبي غير نكدي
(٣)
فسلوا البحر عن بلاء سفيني * وسلوا البر عن مواقع جردى
أتراني وقد طويت حياتي * في مراسم لم أبلغ اليوم رشدي ؟
(٤)
أى شعب أحق منى بعيش * وارف الظل أخضر اللون رغدي ؟
أمن العدل أنهم يردون الـ * جاء صفوا وأن يكدر وريدي ؟
أمن الحق أنهم يطلقون الـ * أسد منهم وأن تقيد أسدي ؟
نصف قرن إلا قليلا أعاني * ما يعاني هوانه كل عبدي
نظر الله لي فأرشد أبنا * في فشدوا إلى الملا أى شد
(٥)
أما الحق قوة من قوى الله * إن أمضى من كل أبيض هندي
قد وعدت العلا بكل آبي * من رجالى فأنجزوا اليوم وعدى
(٦)
أمهروها بالروح فهى عروس * تشتا المهر من عروس وتقدي

- (١) فرقن البحار : شققها . والبند : العلم الكبير . وقد ذكر المؤرخون أن نحاو من ملوك مصر القدماء، كان قد أرسل عددا من الملاحين للطواف بسفنهم حول إفريقيا ، فأتهموا سياحتهم في ثلاث سنين .
(٢) نلسن ، هو أمير البحر الإنجليزي الذى أرق أسطول نابليون بوناپرت في موقعة أبي قير المعروفة . والنكد : الشوم .
(٣) الجرد : الخليل . ويريد الجيوش البرية .
(٤) الوارف من الغلال : الواسع المنتد . (٥) الأبيض الهندى : السيف .
(٦) تشتا : تزكو . والعروض : جمع عرض (بالتحريك) ، وهو كل شئ سوى الدرهم والدناهر .

- (١) وَرِدُّوْا بِي مَنَاهِلِ الْعِزِّ حَتَّى * يَخْطُبُ النِّجْمُ فِي الْمَجَرَّةِ وَدَى
(٢) وَأَرْفَعُوا دَوْلَتِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْأَخْ * لَلِاقِ فَالْعِلْمُ وَحْدَهُ لَيْسَ يُجْدِي
(٣) وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ فَالصَّبْرُ إِنْ فَا * رَقَ قَوْمًا فَمَا لَهُ مِنْ مَسَدٍ
(٤) خُلِقَ الصَّبْرُ وَحْدَهُ نَصْرَ الْقَوِي * مَ وَأَنْتَحَى عَنْ أَخْتِرَاجِ وَعَدٍ
(٥) شَهِدُوا حَوَمَةَ الْوَعَى بِنُفُوسِ * صَابِرَاتٍ وَأَوْجِهٍ غَيْرِ رِيْدٍ
(٦) فَحَا الصَّبْرُ آيَةَ الْعِلْمِ فِي الْحَرْ * بِ وَأَنْتَحَى عَلَى الْقَسْوَى الْأَشَدِّ
(٧) إِنْ فِي الْغَرِيبِ أَعْيُنًا رَاصِدَاتٍ * كَلَّمَهَا الْأَطْمَاعُ فَيَكْمُ بَسْهَدٍ
(٨) فَوْقَهَا يَجْهَرُ رِيْرُهَا خَفَايَا * كُمْ وَيَطْوِي شُعَاعَهُ كُلَّ بَعْدٍ
(٩) فَاتَّقُواهَا يَجْنِيهِ مِنْ وِثَامٍ * غَيْرِ رَثِّ الْعُرَا وَسَفِي وَكَدٍ
(١٠) وَأَصْفَحُوا عَنْ هَنَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ * رَبِّ هَافٍ هَفَا عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ

- (١) « يخطب النجم ... الخ » : تناية عن المثل والرفعة . (٢) يجدي : ينفع .
(٣) من مسد، أى من شئ يقوم مقامه . (٤) يريد « بالقوم » : الإنجليز، وذلك لما
اشتهروا به من الصبر والأناة . (٥) الوعى : الحرب، لما فيها من الجلبة والصوت . وحومتها :
ساحتها . وربد : عابسة متجهمة ؛ الواحد أريد . (٦) يريد « بآية العلم » : ما اخترعه العلم
من أسلحة . وأنحى عليه : أقبل عليه بالإضعاف والإهلاك . ويريد « بالقوى الأشد » : الألمان .
(٧) « كَلَّمَهَا الْأَطْمَاعُ ... الخ » ، أى إن طمع الغريبن فيكم جعل أعينهم بقطة لاتذوق النوم ، تخين
بكم القرمص . (٨) المجهر : المنظار . (٩) الجئة (بالضم) : ما وقاك في الحرب .
والرث : المال . ويريد « بالرها » : الصلات والروابط ؛ الواحدة عروة . (١٠) الهنات :
جمع هنة ، وهى اليسير المحتمل من الزلات . ويشير بهذا البيت إلى اختلاف الزعماء الذى بدأت بوادره
في ذاك الحين على رأسه المفاوضات الرسمية .

- (١) نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِعًا تَعَثَّرُ الْآ * رَأُ فِيهِ وَعَثْرَةُ الرَّأْيِ تُرْدِي
(٢) وَنُعِيرُ الْأَهْوَاءَ حَرْبًا عَوَانًا * مِنْ خِلَافِ وَالْخُلْفِ كَالسَّلِّ يُعْدِي
(٣) وَنُفِيرُ الْقَبُوضَى عَلَى جَانِبَيْهِ * فَيُعِيدُ الْجَهْلُولُ فِيهَا وَيُيْدِي
وَيُظَنُّ الْقَيُوءُ أَنْ لَا نِظَامُ * وَيَقُولُ الْقَيُوءُ قَدْ جَدَّ جَدِّي
فَقِفُوا فِيهِ وَقَفَّةَ الْحَزْمِ وَأَرْمُوا * جَانِبَيْهِ بِعَزْمَةِ الْمُسْتَعِدِّ
إِنَّا عِنْدَ بَغْرِائِيلَ طَوِيلِ * قَدْ قَطَعْنَاهُ بَيْنَ سُهَيْدٍ وَوَجِدِ
عَمَرَتَا سُودِ الْأَهَاوِيلِ فِيهِ * وَالْأَمَانِيُّ بَيْنَ جَزِيرٍ وَمَدِّ
(٤) وَتَجَلَّى ضِيَاؤُهُ بَعْدَ لَآئِي * وَهُوَ رَمَزٌ لِمَهْدَى الْمُسْتَرْدِّ
(٥) فَاسْتَبَيْنَا قَصْدَ السَّبِيلِ وَجَدْنَا * فَالْمَعَالَى تَخْطُوبُهُ لِلْجَدِّ
(٦)

تصريح ٢٨ فبراير

[نشرت في أول إبريل سنة ١٩٢٢ م]

- (٧) مَالِي أَرَى الْأَنْهَامَ لَا تُفْتَحُ * وَالرُّوضَ لَا يَدْكُو وَلَا يَنْفَحُ
(٨) وَالطَّيْرَ لَا تَلْهُو بِتَذْوِيمِهَا * فِي مُلْكِهَا الْوَاسِعِ أَوْ تَصْدَحُ

(١) تردى: تهللك . (٢) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد أخرى، كأنهم جعلوا الأول بكراً، وهي أشد الحروب . (٣) الضمير في قوله « جانبيه » يعود على قوله « موقعا » المتقدم ذكره . (٤) الأهوايل: جمع أهوال . (٥) بعد لآئ، أى بعد إبطاء واحتباس ومشقة . (٦) قصد السبيل: الطريق المستقيم . (٧) الأكام: جمع كم (يكسر الكاف)، وهو ضفاء الزهر . ويدكو: تسطع رائحته . وينفح: يفوح طيبه . ويلاحظ أننا لم نجد في كتب اللغة « نفح » بتشديد الفاء؛ فحمل حافظ رأى هذه الصيغة في كلام بعض المولدين . (٨) تدويم الطائر: تحليفه في الهواء . وتصدح: ترفع صوتها بالفناء .

(١) وَالنَّيْلَ لَا تَرْفُصُ أَمْوَاهُ * فَرَحِي وَلَا يَحْرِي بِهَا الْأَبْطَحُ
 (٢) وَالشَّمْسَ لَا تُشْرِقُ وَضَاءَةً * تَجْلُوهُمُومَ الصَّدْرِ أَوْ تَنْزَحُ
 (٣) وَالنَّجْمَ لَا يَزْهَرُ فِي أَفْقِهِ * كَانَهُ فِي غَمْرَةٍ يَسْبَحُ
 (٤) أَلَمْ يَجْنُهَا نَبَأُ جَاءَنَا * بَأَن مِضْرًا حُرَّةً تَمْرَحُ؟
 أَصَبَحْتُ لَا أَدْرِي عَلَى خَبْرَةٍ * أَجَدَّتِ الْأَيَّامُ أَمْ تَمْرَحُ؟
 أَمُوقِفٌ لِيَدِّ تَجْتَازُهُ * أَمْ ذَاكَ لِلَّهِ يَنَابَسْرَحُ؟
 (٥) أَلَمْحُ لَأَسْتَقِلَّ إِنَّا لَمَعَةٌ * فِي حَالِكِ الشُّكِّ فَاسْتَرْوِحُ
 وَتَطْيِسُ الظُّلُمَةَ أَنَارَهَا * فَأَنْتَنِي أَنْكِرُ مَا أَلْمَحُ
 (٦) قَدْ حَارَتِ الْأَنْفَهَامُ فِي أَمْرِهِمْ * إِنْ لَحَوْا بِالْقَصْدِ أَوْ صَرَحُوا
 (٧) وَقَائِلُ لَا تَعْبَلُوا إِنَّا لَكُمْ * مَكِينٌ بِالْأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا
 وَقَائِلُ أَوْسَعُ بِهَا خُطْوَةٌ * وَرَاءَهَا الْغَايَةُ وَالْمَطْمَحُ
 وَقَائِلُ أَسْرَفَ فِي قَوْلِهِ : * هَذَا هُوَ اسْتِقْلَالُكُمْ فَأَفْرَحُوا

(١) الأمواه : جمع ماء . والأبطح : المسيل الواسع لاء . (٢) وضاء : ذات حسن وبهجة . وتزح (من بابي منع وضرب) ، أى تزح الحم وتنهيه وتذهب ، وأصله من تزح البئر ، وهو الاستقاء من ماؤها حتى ينفذ أو يقل . (٣) يزهر : يضيء ، ويتلألأ . ويريد «بالغمرة» : الماء الكثير . (٤) تمزح : من المرح (بالتحريك) ، وهو شدة الفرح . (٥) الحالك : الشديد السواد . واستروح إلى الشيء : سكن إليه واطمأن . (٦) الضمير في «أمرهم» للإيجاز . (٧) لا تمسجوا ، أى لا تعجلوا بالفرح وتهتئ بعضكم بعضاً بهذا الاستقلال المزعوم ، فإن حالتكم لم يغيرها هذا التصريح .

إِنْ تَسْأَلُوا الْعَقْلَ يَقُلْ عَاهِدُوا * وَاسْتَوْثِقُوا فِي عَهْدِكُمْ تَرْجِعُوا
 وَأَسْأَلُوا دَارًا لِنُؤَايِكُمْ * لِلرَّأْيِ فِيهَا وَالْجَمَاعِ أَفْسَحُوا^(١)
 وَلِتَذْكُرِ الْأُمَّةُ مِيثَاقَهَا * أَلَّا تَرَى عِزَّهَا تُجْرَحُ
 وَتَتَخَبَّ صَفْوَةَ آبَائِهَا * فَمِنْهُمْ الْمُخْلِصُ وَالْمُصْلِحُ
 وَلِيَتَّقِ اللَّهَ أُولُو أَمْرِهَا * أَنْ يُسَكِّنُوا لِأَصْوَاتِ أَوْرَعِهِمْ^(٢)

+ +

أَوْ تَسْأَلُوا الْقَلْبَ يَقُلْ حَازِرُوا * وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ تُفْلِحُوا^(٣)
 إِنِّي أَرَى قَيْدًا فَلَا تُسَلِّمُوا * أَيْدِيَكُمْ فَالْقَيْدُ لَا يُسَجِّحُ^(٤)
 إِنْ هِيَ أَوْهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ * فَهَوِ عَلَى لَيْنٍ بِهِ أَفْذَحُ
 حَتَّامٌ - وَالصَّبْرُ لَهُ غَايَةٌ - * لَنَغِيرَنَا مِنْ يَثْرِنَا نَمْتَحُ^(٥)
 حَتَّامٌ - وَالْأَمْوَالُ شَفُوهَةٌ - * نَمْتَحُ إِلَّا (مِصْرَ) مَا نَمْتَحُ^(٦)
 حَتَّامٌ يُمِضِي أَمْرَنَا غَيْرِنَا * وَذَلِكَ بِالْأَحْرَارِ لَا يَمْلَحُ

(١) لاحظ أننا لم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة أنه يقال : أفسحت له في المكان (بالمنز في أثره) ، والذي وجدناه أنه يقال : فسحت له فيه . قال تعالى : (فافسحوا بفسح الله لكم) .
 (٢) يريد بقوله « يرلخوا » : أنهم ينفون من خالفهم في سياستهم إلى ربح (بالتحريك) ، وهي مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط معروفة ، كما كانوا يفعلون قبل هذا التصريح .

(٣) صابروا أعداءكم ، أي غالبوهم في الصبر .

(٤) لا يسجح ، أي لا يفرج عن تقيده به ولا يفلته .

(٥) متح الماء من البر يمتحه متحا : استخرجه منها .

(٦) المشفوهة : الذي كثرت عليه الأيدي حتى استفقد .

(١) أَسَاءَ بَعْضُ النَّاسِ فِي بَعْضِهِمْ * ظَنَّا وَقَدْ أَمْسَوْا وَقَدْ أَصْبَحُوا
 (٢) فَاتَّهَزَّتْ أَعْدَاؤُنَا نُهْزَةً * فِينَا وَمَا كَانَتْ لَهُمْ تَسْنُحُ
 فَالرَّأْيُ كُلُّ الرَّأْيِ أَنْ يُجْمَعُوا * فَإِنَّمَا إِجْمَاعُكُمْ أَرْجَحُ
 (٣) وَكُلُّ مَنْ يَطْمَعُ فِي صَدْعِكُمْ * فَإِنَّهُ فِي صَخْرَةٍ يَنْطَحُ
 أَخْشَى إِذَا اسْتَكْثَرْتُمْ بَيْنَكُمْ * مِنْ قَادَةِ الْآرَاءِ أَنْ تُفَضِّحُوا
 فَلْتَقْصِدُوا مَا أَسْطَعْتُمْ فِيهِمْ * فَإِنَّمَا فِي الْقِلَّةِ الْمَنْجَحُ

عيد الاستقلال

[نشرت في ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ م تحت عنوان : (بين القلعة والماء)]

(٤) أَشْرِقَ فَدَتَكَ مَشَارِقُ الْإِصْبَاحِ * وَأَمِطَ لِنَامِكَ عَنْ نَهَارٍ ضَاحِي
 بُوْرِكَتَ يَا يَوْمَ الْخَلَاصِ وَلَا وَنَتْ * عَنْكَ السُّعُودُ بِغُلُوبَةٍ وَرَوَاجِ
 (٥) بِاللَّهِ كُنْ يُمْنًا وَكُنْ بُشْرَى لَنَا * فِي رَدِّ مُغْتَرِبٍ وَفَكَ سَرَاجِ

(١) يشير بهذا البيت إلى اختلاف الأحزاب السياسية - وغير « أمسوا » « وأصبحوا » مخدوف للعلم به، أي أمسوا وأصبحوا يتبادلون سوء الظن واتهام بعضهم بعضا بالحياة .
 (٢) النهضة : الفرصة - وتسنع : تلوح - (٣) يقال : طلع في صخرة، إذا صعب عليه ما يريد من صدع وأنشاق - وأصله من قول الأعشى :

كناطح صخرة يوما ليومها * فلم يضرها وأوى قرنه الوعل

(٤) أطمع لنامك، أي أكشف قناعك؛ يخاطب عيد الاستقلال - والهار الضاحي : المشرق .
 (٥) يشير بقوله « في رد مغترب... الخ » : إلى المنقولة سعد زغلول باشا وكان مغتربا إذ ذاك في جبل طارق بعد أن كان مع صحبه في جزيرة سيشل .

- (١) أَقْبَلْتَ وَالْأَيَّامُ حَوْلَكَ مَثَلٌ * صَفَيْنِ تَحْطُرُ خَطَرَةَ الْمَيَّاحِ
 (٢) وَتَحَرَّجَتْ مِنْ مُجِبِ الْغُيُوبِ مُجَلًّا * فِي كُلِّ لَحِظٍ مِنْكَ أَلْفُ صَبَاحٍ
 (٣) لَوْ صَحَّ فِي هَذَا الْوُجُودِ تَتَاخُعٌ * لَرَأَيْتُ فِيكَ تَتَاخُعَ الْأَرْوَاحِ
 (٤) وَلَكُنْتُ يَوْمَ (الْأَلْبَرَنْتِ) بَعِينُهُ * فِي عِزَّةٍ وَجَلَالَةٍ وَسَمَاحٍ
 (٥) يَوْمَ يُرِيكَ جَلَالُهُ وَرُؤُؤُهُ * فِي الْحُسْنِ قُدْرَةَ فَالِقِ الْإِصْبَاحِ
 (٦) خَلَعْتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ سُلَّةَ عَسْجِدٍ * وَجَبَّاهُ (آذَارُ) أَرْقَى وَشَاحٍ
 (٧) اللَّهُ أَثْبَتَهُ لَنَا فِي لَوْحِهِ * أَبَدَ الْأَيْسِدِ فَمَا لَهُ مِنْ مَابِي
 (٨) حَيَّهِ عَنَّا يَا أَزَاهِرُ وَأَمْلَى * أَرْجَاهُ بِأَرْيَحِكَ الْفَوَاحِ
 (٩) وَأَنْفَعَهُ عَنَّا يَا رَبِّعُ بِكُلِّ مَا * أَطْلَعْتَ مِنْ رَيْدٍ وَتَوَّرَ أَفَاحٍ
 (١٠) نَيْهَ يَا (فُؤَادُ) فُحُولَ عَرِشِكَ أَثَقُ * عَقَدْتَ خَنَاصِرَهَا عَلَى الْإِصْبَاحِ
 صَبَرُوا عَلَى مَرِّ الْخُطُوبِ فَادْرَكُوا * حُلُوَ الْمُنَى مَعْسُولَةَ الْأَقْدَاحِ

- (١) الميَّاح : المتبخر في مشيته ، وهو ضرب حسن من المشي . (٢) مجلًا : مضينا .
 وأصله من التحجيل في الخيل ، وهو يياض في قوائمها . (٣) الابرنت : قصر أمتحتب الثاني الذي
 اشتهر في قديم الزمان بعظمته ، وكان مقرا للحكومة . ويريد « بيومه » : أيام أمتحتب التي كانت كلها
 خيرا وبركة على مصر . (٤) فالق الإصباح ، هو الله تعالى . (٥) المسجد : الذهب . وآذار :
 شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، تكثر فيه الأزهار . (٦) أبد الأيسد : نكابة من الدوام .
 (٧) أريج الزهر : رائحته . (٨) الريد : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . والأفاحى : جمع
 أخوان ، وهن نبات له زهر أبيض ، وأوراق زهره صغيرة مفلجة ؛ وتشبه به الثور . (٩) عقد
 الخناصر على الأمر : نكابة عن الإجماع على القيام به . (١٠) الندى : الجلود . وشماخ : بخلاء .

- (١) شاكي سلاح الصبر ليس بأعزَل * يَفْزُوهُ رَبُّ عَوَائِلٍ وَصِفَاحِ
 الصبر - إنْ فَكَّرَتْ - أعظمُ عُدَّةٍ * والحق - لو يَدْرُونَ - خيرُ سلاح
 (٢) قد أنكَرُوا حقَّ الضَّعِيفِ فهلْ أتَى * إنكارُ ذاكِ الحقِّ في إصْخَاجِ ؟
 (٣) كم حَذَرْتُ أعصابَ مِصرَ نَوَافِحِ * لَوْعُودِهِمْ كَنَوَافِحِ النَّفَاحِ
 (٤) فَتَعَلَّلَ المِصْرِيُّ مُعْتَبِطًا بِهَا * أَرَأَيْتَ طِفْلًا عَلَّوهُ بِدَاجِ ؟
 (٥) وَتَأْتَقُوأَفِي أَلْخَلِيفِ حَتَّى أَصْبَحَتْ * أَقْوَاهُمْ تُذَرَى بِغَيْرِ رِيَّاحِ
 (٦) لَمَّا تَبَّهَ بِالِكِنَانَةِ نَائِمٌ * وَأَصَاتَ بِالشُّكُوى الأَلِيمَةِ صَاحِي
 (٧) وَتَكشَّفَتْ تِلْكَ النِّيَاهِبُ وَأَنْطَوَتْ * وَبَدَتْ شُمُوسُ الْحَقِّ وَهِيَ ضَوَائِحِي
 (٨) عَلِمُوا بِتَعَدِّ اللَّهِ أَنْ قَرَارَنَا * فِي ظِلِّ غَيْرِ اللَّهِ غَيْرُ مُنَاجِ
 فَالْيَوْمَ قَرَى بِإِكْنَانَةٍ وَأَهْدَى * حَرَمُ الْكِكْنَانَةِ لَمْ يَكُنْ بِبُجَاجِ
 مَنْ ذَا يُغَيِّرُ عَلَى الْأُسُودِ بَغَائِبَهَا * أَوْ مَنْ يَعُومُ بِمَسِيجِ التَّمَسَّاجِ ؟

(١) شاكي سلاح الصبر، أى المتسلح به . والعوامل : هى صدور الراح عما على أستنهاى الواحد
 حامل وعاملة . والصفاح : السيوف . يقول : إن الصبور متسلح ليس بأعزل يطلع فيه ذوالرخ والسيوف .
 (٢) الإصْخَاج : من الأقسام التى تنقسم اليها أسفار التوراة والانجيل . يقول : هل أحل لكم إنكار
 حق الضعيف فى كتاب سماوى ؟
 (٣) نوافخ النفاح : روائحه . وكان الشاعر يعتقد أن قفحة النفاح منومة ، فكان لهذا يكثر من شبه
 وأكله ، قل ذلك عنه أحد من أتصلوا به .

- (٤) الداح : قش يلوح به للصبيان يملون به .
 (٥) تأقروا فى الخلف ، أى اتفقوه . وبدى : تطير وتشتت . (٦) أصات : صوت وصاح .
 (٧) النياهب : الغلليات ، الواحد غيب . والضواحي : المشتة . (٨) غير متاح : غير ممكن .

- (١) للثَّيْلِ بَحْدُ فِي الزَّمَانِ مُؤْتَلٌ * مِنْ عَهْدِ (أَمُونِ) وَعَهْدِ (فَتَاحِ)
 فَسَلِ الْعُصُورَ بِهِ وَسَلِ آثَارَهُ * فِي (مِصْرَ) كَمْ شَهِدَتْ مِنَ السَّيَاحِ
 (٢) يَا صَاحِبَ الْقُطْرَيْنِ غَيْرِ مُدَافِعٍ * مَا مِثْلُ مَاحِكٍ فِي الْعَلَا مِنْ مَاحِجِ
 (٣) لَمْ يَبْدُ نُورٌ فَوْقَ نُورٍ يُجْتَلَى * كَالسَّاحِجِ فَوْقَ جَبِينِكَ الْوَضَاحِ
 (٤) ذَكَرْتَ بَعْرِيكَ (مِصْرُ) يَوْمَ وَلِيَّتِهِ * عَرْشِ (الْمُعِزِّ) بِهَا وَعَرْشِ (صَلَاحِ)
 (٥) فِي كُلِّ قُطَيْرٍ مِنْ جَلَالِكَ رَوْعَةٌ * وَلِكُلِّ قُطَيْرٍ مِنْكَ ظِلٌّ جَنَاحِ
 لَكَ (مِصْرُ) وَ (السُّودَانُ) وَالنَّهْرُ الَّذِي * يَتَخَالُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ بَطَاحِ
 (٦) وَبَوَاسِقُ (السُّودَانِ) تَشْهَدُ أَنَّهَا * غُرِسَتْ بِعَهْدِ جُدُودِكَ الْفَتَاحِ
 (٧) لَا غُرُوزَ لِمَنْ غَضَى بِمَدْحِكَ صَاحِجٌ * أَوْ مُسَجِّجٌ فِي حَلَبَةِ الْمُدَاحِ
 (٨) حُسْنُ الْغِنَاءِ مَعَ الصَّبَاحِ كَحُسْنِهِ * عِنْدَ الْخَيْرِ بِهِ مَعَ الْإِسْبَاحِ

- (١) المؤتل : المؤصل الثابت . وأمون : كان أجل مبيود لقدماء المصريين حتى عهد اخناتون ، وكان اسمه يدج في أسماء الملوك ، فيقال : أمينحتب . وفتاح : يريد به مفتاح بن رمسيس الثاني .
 (٢) صاحب القطرين : ملك مصر والسودان . (٣) يجتلى : يرى .
 (٤) يريد « بالمعز » : المعز لدين الله الخليفة الفاطمي المعروف . و « بصلاح » : السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .
 (٥) يشير بهذا البيت الى عطف المغفور له (الملك فؤاد) على أقطار الشرق .
 (٦) البواسق : الأشجار المرتفعة ؛ الواحدة : باسقة .
 (٧) مسجج ، الصواب فيها : صاحب ، أى صاحب في غنائيه كما تسجع الحمامة ، اذ المستعمل في هذا المعنى « مسجج » لا « أمسجج » . يقول : سيان من رفع صوته بمدحك ، أو من أرسله في هدوه ولين .
 (٨) يريد بالإسباح : السجع بالغناء ، وقد تقدم التنبيه على خطأ هذا الاستعمال في الحاشية التي قبل هذه .

(١) أولم يكن لك مُلكٌ مِصرَ ونيلُها * يَنسَابُ بين مُروِجِها الأَفْيَاحِ ؟
 (٢) مَنصُورَةٌ الجَنَاحَاتِ حَالِيَةَ الرِّبَا * مَطْلُوعَةٌ السَّرَاحَاتِ والأَرَوَاحِ
 (٣) قد قال (عمرو) في رَآهَا آيَةً * مَأْثُورَةٌ تُقَشَّتْ عَلَى الأَلْوَاحِ :
 بَيْنَا تَرَاهُ لَآلِيًا وَكَأَنَّمَا * ثَرَّتْ بِرُتَبِهِ عُقُودُ مِلَاحِ
 وإذا به لِلنَّاطِطِينَ زُمُودٌ * يَسْفِيكَ أَخْضَرُهُ مِنَ الأَتْرَاحِ
 (٤) وإذا به مِسْكٌ تُشَقُّ سَوَادُهُ * شَقُّ الأَدِيمِ عَمَارِثُ الفَلَاحِ
 البَرَلَانِ تَهَيَّأتْ أَسْبَابُهُ * لَمْ يَبْقَ مِنْ سَبَبِ سِوَى أَلْفَلَجِ
 هُوَ فِي يَدَيْكَ وَدِيعةٌ لَرَعِيَةٍ * تُثْنِي بِأَلْسِنَةٍ عَلَيْكَ فِصَاحِ
 (٥) رَدُّ الودِيعَةِ يَا (فُؤَادُ) فَإِنَّمَا * رَدُّ الودِيعَةِ شِمَّةُ المِلَاحِ
 (٦) وَأَنهَضْ بِشَعْبِكَ يَا (فُؤَادُ) إِلَى العَلَا * وَإِلَى مَكَانٍ فِي الوُجُودِ بَرَاحِ

(١) المروج : الأراضي الواسعة فيها نبت كثير . والأفياح ، أى الواسعة .

(٢) منصورة : حسنة هيبية ، وجمالية الربا ، أى مكسوة المرتفعات بأنواع الزهر والنبات .
 ومطلوعة ، أى أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف . والسرحات : جمع سرحة ، وهى الشجرة
 العظيمة . والأرواح : الرياح . (٣) يريد "عمرو" : عمرو بن العاص فاتح مصر . ويشير
 "بالآية" : الى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأُمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا ممتعا معروفا
 جاء منه هذه المعاني التى يضمها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد . (٤) يشير بهذا البيت والبيتين
 اللذين قبله الى أحوال ثلاث : حال ثرية مصر أيام الفيضان والماء يغمرها ، ثم حالها وقد تكشفت
 عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء ، فشيها
 فى الحالة الأولى بالثُلُوفِ فى بياضه ، وفى الثانية بالزمرّد فى خضرته ، وفى الثالثة بالمسك فى سواده . وقد
 وردت هذه المعاني فى وصف عمرو لمصر . (٥) المِلَاح : الكثير المِلَاح . (٦) البراح :
 المكان الذى لا سَرةَ فيه من شجر وغيه ؛ يريد مكانا ظاهرا للعالم .

- (١) فَاللهُ يَشْهَدُ وَالْحَالِيقُ أَنَّنَا * طَلَّابُ حَقٍّ فِي الْحَيَاةِ صِرَاحِ
 (٢) هَذَا مَنَارُ الْبَرَكَاتِ أَمَامَكُمْ * هُدَى السَّبِيلِ كِبَايَرَةُ الْمَلَاحِ
 (٣) فَيَمِّمُوهُ مُخْلِصِينَ فَا لَكُمْ * مِنْ دُونِهِ مِنْ غِبْطَةٍ وَقَلَاحِ
 (٤) الْفَضْلُ لِلشُّورَى وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي * تَزَعُ الْهَوَى وَتَرُدُّ كُلَّ رِمَاحِ
 هِيَ لَا تَضِلُّ سَبِيلَهَا فَكَأَنَّمَا * خُلِقَ السَّبِيلُ لَهَا بِغَيْرِ نَوَاحِ
 (٥) هِيَ - لَا بَرَّاحَ - تُرَدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ * وَتُقَلُّ غَرْبَ الْغَاصِبِ الْمُجْتَاحِ
 (٦) فَتَكْنُفُوا الشُّورَى عَلَى اسْتِقْلَالِكُمْ * فِي الرَّأْيِ لَا تُوجِهُ بِهِ نَزْعُهُ وَاحِ
 وَيُدِّ الْإِلَهَ مَعَ الْجَمَاعَةِ فَأَضِرُّوا * بَعْضَا الْجَمَاعَةِ تَنْظَفِرُوا بِجَبَاحِ
 (٧) كُونُوا رِجَالًا عَامِلِينَ وَكَذَّبُوا * وَالصَّبْحُ أَبْلَجُ ، حَامِلَ الْمَصْبَاحِ
 وَدَعُوا التَّخَاذُلَ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّمَا * شَبَّحُ التَّخَاذُلِ أَنْتَكُمُ الْأَشْبَاحِ

(١) الصراح (بالكسر) وهو أنصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذي لا شائبة فيه .

(٢) إبرة الملاح : هي التي يثبني بها الجهات ويهتدي بها في السير .

(٣) تيمموه ، أى اقصوا إليه .

(٤) تزع الهوى : تكفه وتزيره .

(٥) لا برّاح ، أى لا ريب . وتقل : تنلم وتكسر . والغرب : الحد .

(٦) تكنفوا الشورى : أحيطوا بها وألزموها . وقوله « لا توجيه نزعاً واحى » ، أى اصدروا

عن رأيكم ولا تلتقوا الأمر عن غيركم . والواحى : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوجيته إليه .

(٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليونانى ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى

سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد خرج يوماً في راحة التماريحل مصباحاً يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا

الفيلسوف الذى ينكر وجود رجل يعتمد به ويعتمد عليه .

(١)
 والله ما بلغ الشقاء بنا المدى * بسوى خلاف بيننا وتلاحي
 (٢)
 قم يا بن (مصر) فانت حر واستعد * تجدد الجدود ولا تعد لمرآح
 شمر وكافح في الحياة فهذه * دنياك دار تسحر وكفاح
 (٣)
 وانهل مع النهل من جلب الحياة * فإذا رقا فانتخ مع النتائج
 (٤)
 وإذا ألح عليك خطب لا تنه * واضرب على الإلحاح بالإلحاح
 وخض الحياة وإن تلاطم موجها * خوض البحار رياضة السباح
 (٥)
 واجعل عيانك قبل خطوك رائدا * لا تحسب الفمر كالضخضاج
 (٦)
 وإذا اجتوتك محلة وتنكرت * لك فأعدها واترج مع النتائج
 في البحر لا تنليك نار بوايح * في السبر لا يلويك غاب رماح
 (٧)
 وأنظر إلى الغرب كيف سمت به * بين الشعوب طبيعة الكداح
 والله ما بلغت بنو الغرب المني * إلا يليات هناك مصاح
 (٨)
 ركبوا البحار وقد تجدد ماؤها * والجووين تنابح الأرواح

- (١) التلاحي : التغاصم . (٢) يريد « بالمراح » : الأخذ في أسباب الفرح والبهجة .
 (٣) انهل : اشرب ، من النهل (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . رقا (معتل من رقا بالهمز) ، بمعنى جف واقطع . والنتخ : ترح الماء من البئر . ينصح المصري بأن يرد موارد الحياة سهلها وصعبها . (٤) لا تنه ، أى لا تذل ولا تضعف . (٥) الفمر : الماء الكثير . والضخضاج : الماء القريب الغور . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا بنا بك منزل ، وتعددت عليك الإقامة به فاهجره إلى غيره وأرتحل عنه مع المرتحلين . (٧) الكداح : الجاذة المجهدة في العمل .
 (٨) تنابح الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

- (١) والبرّ مضمور الحمى متاججا * يرعى بترّاع الشوى لّواح
(٢) يلقى قتهم الزمان بهمة * تجيب ووجهه في الخطوب وقاح
(٣) ويشقّ أجواز القفار مغامرا * وعمر الطريق لديه كالصّحاح
(٤) وابن الكنانة في الكنانة راكدا * يرون بعين غير ذات طماح
(٥) لا يستغلّ - كما علمت - ذكاه * وذكاؤه كالخاطف اللّاح
(٦) أمسى كماء النهر ضاع فرائه * في البحر بين أجاجه المتداح
(٧) فأنهض ودع شكوى الزمان ولا تنح * في فادج البؤسى مع الأنواح
(٨) وأربح لمصر برأس مالك عزّة * إن الذكاء جباله الأربع
(٩) وإذا رزقت رآسة فأنسج لها * بردين من حزم ومن إشباح
(١٠) واشرب من الماء القراح متعنا * فلكم وردت الماء غير قراح

- (١) المصهور : الذى أصابه الحزنى عليه . والمتاجج : المتعب . والشوى : اليقان والريحان
وحف الرأس . يصف البر بأنه يقذف بحز شديد يترع الشوى . وفي القرآن في وصف النار : (كلا إنها
لظى نزاغة للشوى) . ولواح ، أى حرم غير للألوان . (٢) وقاح : يجترى .
(٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصّحاح : ما استوى من الأرض .
(٤) يرون : ينظرون . والطاح : الطموح والتطلع إلى المجد .
(٥) الخاطف اللّاح : البرق .
(٦) القرات : العذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمتداح : المتبسط المتسع .
(٧) يقال : فندح الأمر ، إذا أثقله وبهظه . والأنواح : النائمات .
(٨) حباله الصائد : الشرك الذى يصيده .
(٩) الإشباج : حسن العفو .
(١٠) الماء القراح : الصافي الخالص . يريد العيش الصافي من الأكدار .

من قصيدة في شؤون مصر السياسية

قالها في عهد وزارة إسماعيل صدق باشا

وقد نظمتها حافظ بعد إحالته إلى المعاش في سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتي بيت

لم نشر منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عَامٌ يَا سَعَادُ وَعَامٌ * وَأَبْنُ الْكِتَابَةِ فِي حِمَاهُ يُضَامُ
صَبَّوْا الْبَلَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَنُصِفُهُمْ * يَجِيءُ الْبِلَادَ وَنُصِفُهُمْ حُكَامُ
أَشْكُو إِلَى (قَصْرِ الدُّبَارَةِ) مَا جَنَى * (صَدِيقِ الْوَزِيرِ) وَمَا جَنَى (عَلَامُ)^(١)

ومنها في الإنجليز :

قُلْ لِلْحَايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِمَاءَنَا * تَجْرِي وَهَلْ بَعْدَ الدِّمَاءِ سَلَامُ^(٢)؟
سُفِّكَتْ مَوَدُّتُنَا لَكُمْ وَبَدَأْنَا * أَنْتَ الْحَيَادَ عَلَى الْخِصَامِ لِشَامُ
إِنَّ الْمَرَاجِلَ شَرُّهَا لَا يُتَّقَى * حَتَّى يُنْفَسَ كَرْهِيْنُ صَامُ^(٣)
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُمَيِّنُ نَفْسَهُ * يُوَدِّدُكُمْ فَيُوَدِّدُكُمْ أَخْلَامُ
أَمِنَ السِّيَاسَةِ وَالْمُرُوءَةِ أَنَّنَا * نَشْقَى بِكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ؟
إِنَّا جَمَعْنَا لِلْجِهَادِ صُفُوفَنَا * سَمَّوْتُ أَوْ تَحْيَا وَنَحْنُ كِرَامُ

ومنها في مخاطبة إسماعيل صدق باشا :

وَدَعَا طَبِيعَكَ اللَّهُ فِي مَحَارِبِهِ * الشَّيْخُ وَالْقَسِيسُ وَالْحَاخَامُ
لَا هُمْ أَحَى ضَمِيرُهُ لِيَذُوقَهَا * غُصَصًا وَقَسِيفَ نَفْسِهِ الْآلَامُ

(١) يريد محمد علام وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب - ويشير بقوله «وما جنى علام» : إلى ما كانوا يجيئون به من الأموال لإعانة لحزب الشعب . (٢) أشار بقوله «الحايِد» : إلى أن الإنجليز في هذه الفترة التي قيلت فيها هذه الأبيات كانوا يتعاون الحيايد في الشؤون المصرية . (٣) المراجِل : القنود -

إلى الإنجليز :

[نشرت في ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(١) بَنَيْتُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ آسَاسَ مُلْكِكُمْ • فَكَانَ لَكُمْ يَوْمَ الشُّعُوبِ ذِمَامُ
(٢) فَمَا لِي أَرَى الْأَخْلَاقَ قَدْ شَابَ قَرْنُهَا • وَحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ وَدَبَّ سَقَامُ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَقْرَةَ بَعْدَ نَهْضَةٍ • فَلَيْسَ لِمُلْكِ الظَّالِمِينَ دَوَامُ
أَضَعْتُمْ وِدَادًا لَوْ رَعَيْتُمْ عَهْدَهُ • لَمَّا قَامَ بَيْنَ الْأُمَمِينَ خِصَامُ
(٣) أَبْعَدَ حَيَادٍ لَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَهُ • وَبَعْدَ الْجُرُوحِ النَّاهِرَاتِ وَثَامُ
(٤) إِذَا كَانَ فِي حُسْنِ التَّفَاهِيمِ مَوْتُنَا • فَلَيْسَ عَلَى بَاغِي الْحَيَاةِ مَلَامُ

إلى المندوب السامي

[نشرت في ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(٥) أَلَمْ تَرَفِ الطَّرِيقَ إِلَى (كِيَاد) • تَعْبِيدُ الْبَطْرِ بُؤْسَ الْعَالِيَيْنَا؟
أَلَمْ تَتَّبِعْ دُمُوعَ النَّاسِ تَجْرِي • مِنْ الْبَلَوَى أَلَمْ تَسْمَعْ أَيْنَنَا؟
أَلَمْ تُخْزِرْ نَهْيَ التَّامِيزِ عَنَّا • وَقَدْ بَعَثْنَاكَ مَسْدُوبًا أَمِينَا
بَأَنَّا قَدْ لَمَسْنَا الْقَدْرَ لَمَسًا • وَأَصْبَحَ ظُلْمُنَا فِيكُمْ يَقِينَا؟

- (١) الذمَام : الحق والحكمة . (٢) القرن : الذلابة من الشعر .
(٣) الناهرات : الدايات . (٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا وبينكم فيجب لنا الموت بالذل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا . (٥) كياد : بركة بالظلم الشرقية اعتاد أن يذهب إليها المندوب السامي وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

أولم يكن لك مُلكٌ مِصرَونيلها * ينسابُ بين مروجها الأفياح^(١)؟
 منضورة الجناتِ حاليّة الرّبا * مطلولة السّرحاتِ والأرواح^(٢)
 قد قال (عمرو) في تراها آية * مأثورة نُقِشت على الألواح^(٣)؛
 بينا ترأه لآلئاً وكأتما * ثُرث بُرّقه عُقودُ مِلاج
 وإذا به للنّاظرين زُمردٌ * يشفيك أخضره من الأتراج
 وإذا به يسكّ تسقُ سواده * شقّ الأديم عمارثُ الفلاج^(٤)
 البرّتان تهيّأت أسبابه * لم يبق من سببِ سوى المِفتاح
 هو في يديك وديعة لرعيّة * تُثنى بالسنّة عليك فصاح^(٥)
 ردّ الوديعة يا (فؤاد) فيأتما * ردّ الوديعة شيمّة المِفتاح
 وأنقض بشعبك يا (فؤاد) إلى العلا * وإلى مكانٍ في الوجُودِ بَراج^(٦)

(١) المروج : الأراضي الواسعة فيها نبت كثير . والأفياح ، أى الواسعة .

(٢) منضورة : حسنة بهيجة . وجمالية الرّبا ، أى مكسرة المرتفعات بأنواع الزهر والنبات . ومطلولة ، أى أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف . والسّرحات : جمع سرعة ، وهى الشجرة العظيمة . والأرواح : الرياح . (٣) يريد "عمرو" : عمرو بن العاص فأنح مصر . ويشير "بالآية" : إل ما روى من أن عمرا وصف مصر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومعاذهما معروفا جاء منه هذه المعاني التى يضمها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد . (٤) يشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إل أحوال ثلاث : حال تربة مصر أيام الفيضان والماء يفسرها ، ثم حالها وقد تكشفت عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء ، فشبهها فى الحالة الأولى بالؤلؤ فى بياضه ، وفى الثانية بالزمرّد فى خضرته ، وفى الثالثة بالمسك فى سواده . وقد وردت هذه المعاني فى وصف عمرو لمصر . (٥) المِفتاح : الكثير المِباح . (٦) البراج : المكان الذى لا ستره فيه من شجر وغيره ؛ يريد مكانا ظاهرا للعالم .

- (١) فَاللهُ يَشْهَدُ وَالْخَلَائِقُ أَتْنَا * طَلَبُ حَقٍّ فِي الْحَيَاةِ صِرَاحِ
(٢) هَذَا مَنَارُ الْبَرَّانِ أَمَامَكُمْ * لَهْدَى السَّبِيلِ كَلْبَرَةُ الْمَلَّاحِ
(٣) فَيَمِّمُوهُ مُخْلِصِينَ فَا لَكُمْ * مِنْ دُونِهِ مِنْ غِبْطَةٍ وَقَلَّاحِ
(٤) الْفَصْلُ لِلشُّورَى وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي * تَزَعُّ الْهَوَى وَتَرُدُّ كُلَّ حِمَاجِ
هِيَ لَا تَفْضِلُ سَبِيلَهَا فَكُنَّا * خُلِقَ السَّبِيلُ لَهَا بِغَيْرِ نَوَاحِ
(٥) هِيَ - لَا بَرَّاحَ - تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ * وَتُقْلُ غَرْبَ الْغَايِبِ الْمُجْتَاحِ
(٦) فَتَكْنُفُوا الشُّورَى عَلَى اسْتِقْلَالِكُمْ * فِي الرَّأْيِ لَا تُوحِي بِهِ تَزَعَّةٌ وَاحِ
وَيَدُ الْإِلَهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ فَأَضْرِبُوا * بَعْصَا الْجَمَاعَةِ تَنْظَفَرُوا بَنَجَاحِ
(٧) كُونُوا رِجَالًا عَامِلِينَ وَكُذِّبُوا * وَالصَّبْحُ أَبْلَجُ ، حَامِلُ الْمَصْبَاحِ
وَدَعُوا التَّخَاذُلَ فِي الْأُمُورِ فِيمَا * شَبَّحُ التَّخَاذُلِ أَنْكَرُ الْأَشْبَاحِ

- (١) الصراح (بالكسر) وهو أنصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذي لا شائبة فيه .
(٢) إبرة الملاح : هي التي يَتَّبِعُ بها الجهات ويهتدى بها في السير .
(٣) تيمموه ، أى اقصداوا إليه .
(٤) تزع الهوى : تكفه وتزجره .
(٥) لا برّاح ، أى لا ريب . وتقل : تنلم وتكسر . والغرب : الخذل .
(٦) تكنفوا الشورى : أحيطوا بها والزموها . وقوله « لا توحيه تزعّة واحى » ، أى اصدروا عن رأيكم ولا تلقوا الأمر عن غيركم . والواحى : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوحيته إليه .
(٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليونانى ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد خرج يوما فى رائلة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا الفيلسوف الذى ينكر وجود رجل يعتمد به ويعتمد عليه .

- (١) والله ما بلغ الشقاء نبأ المدى * بسوى خلاف بيننا وتلاحي
 (٢) قم يا بن (مضر) فانت حر واستعد * تجدد الحدود ولا تعد لمراج
 شمر وكافح في الحياة فهذه * ذنباك دار تتأخر وكفاج
 (٣) وانهل مع التهل من طلب الحيا * فاذا رقا فانتج مع المتاج
 (٤) واذا ألح عليك خطب لا تنه * واضرب على الإلحاح بالإلحاح
 وخض الحياة وإن تلاطم موجها * خوض البحار رياض السباح
 (٥) واجعل عيانك قبل خطوك رائدا * لا تحسب الفمر كالضخضاج
 (٦) واذا اجتوتك محلة وتكثرت * لك فاعلها وانزع مع الزجاج
 في البحر لا تنيلك نار بوايح * في البر لا يلويك غاب رماح
 (٧) وانظر إلى القربى كيف تمت به * بين الشعوب طيعة الكداح
 والله ما بلغت بنو القربى المنى * إلا ويلات هناك صحاح
 (٨) ركبوا البحار وقد تجدد ماؤها * والجو بين تنابح الأرواح

- (١) التلاحي : التناغم . (٢) يريد «المراج» : الأخذ في أسباب الفرح والبهجة .
 (٣) انهل : اشرب ، من التهل (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . ورا (ممثل من
 رقا بالهز) ، بمعنى جف واقطع ، والمنح : نزع الماء من البئر . ينصح المصري بأن يرد موارد الحياة سهلا
 وصعبا . (٤) لا تنه ، أى لا تذل ولا تضعف . (٥) الفمر : الماء الكثير . والضخضاج :
 الماء القريب الغور . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا نبا بك منزل ، وتكلمت عليك الإقامة به
 فاجهره إل غيره وارثله مع المرتجلين . (٧) الكداح : الجادة المجهدة في العمل .
 (٨) تنابح الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

- (١) والبرّ مَصْهُورَ الْحَصَى مُتَاجِجًا * يَرْمِي بِتَرَايَعِ الشَّوَى لَوَاجِ
(٢) يَلْقَى فَيُتِمُّ الزَّمَانَ بِهَمَّةٍ * عَجِبَ وَوَجَّهَ فِي الْخَطُوبِ وَقَاجِ
(٣) وَيُسْقِ أَجْوَازَ الْقِفَارِ مُغَامِرًا * وَغُرَّ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كَالْمَصْحَصَاجِ
(٤) وَأَبْنُ الْكِئَانَةِ فِي الْكِئَانَةِ رَاكِدٌ * يَرْنُو بَعِينَ غَسِيرِ ذَاتِ طِمَاجِ
(٥) لَا يَسْتَعِثِّلُ - كَمَا عَلِمْتَ - ذَكَاءَهُ * وَذَكَاءُهُ كَالْخَاطِيفِ اللَّتَاجِ
(٦) أَمْسَى كَلَاءُ النَّهْرِ ضَاعَ فُرَاتُهُ * فِي الْبَحْرِ يَنْزِ أَجَاجِهِ الْمُتَنَاجِ
(٧) فَانْهَضَ وَدَعَّ شَكْوَى الزَّمَانِ وَلَا تَنْتَحِ * فِي فَاوِجِ الْبُسْطَى مَعَ الْأَنْوَاجِ
(٨) وَأَرْبَعٌ لِمَصْرَبِ رَأْسِ مَالِكٍ عِزَّةٌ * إِنِّ الدَّكَاءَ جُبَالَةُ الْأَرْبَاجِ
(٩) وَإِذَا رُزِقْتَ رَأْسَةً فَانْسُجْ لَهَا * بُرْدَيْنِ مِنْ حَزْمٍ وَمِنْ إِنْجِجِجِ
(١٠) وَاشْرَبْ مِنَ الْمَاءِ الْقِرَاجِ مُنْعَمًا * فَلَكُمْ وَرَدَّتْ الْمَاءَ غَيْرَ قِرَاجِ

- (١) المصهور : الذى أصابه الحز وحنى عليه . والمتأجج : الملتب . والشوى : اليدان والرجلان
ويقف الرأس . يصف البر بأنه يقذف بجز شديد ينزع الشوى . وفى القرآن فى وصف النار : (كلا إنها
لظى نزاغة للشوى) . ولواج ، أى حزم غير لالوان . (٢) وقاج : يجترى .
(٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والمصحصاج : ما استوى من الأرض .
(٤) يرنو : ينظر . والطماح : الطموح والتطلع إلى المجد .
(٥) الخاطف اللتاج : البرق .
(٦) الفرات : الذئب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمتناج : المنبسط المتسع .
(٧) يقال : فدحه الأمر ، إذا أثقله وبهظه . والأنواع : النائمات .
(٨) جبالة الصائد : الشرك الذى يصيد به .
(٩) الإنججج : حسن المفرد .
(١٠) الماء القراج : الصافي الخالص . يريد العيش الصافى من الأكدار .

من قصيدة في شؤون مصر السياسية

قالها في عهد وزارة إسماعيل صدق باشا

وقد نظمها حافظ بعد إحالة إلى المعاش في سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتي بيت

لم نعرض منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عَامٌ يَا سَعَادُ وَعَامٌ * وَأَبْنُ الْكِتَابَةِ فِي حِمَاهُ يُضَامُ
صَبُّوا الْبَلَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَنُصِفُهُمْ * يَجِيءُ الْيَلَادَ وَنُصِفُهُمْ حُكَامُ
أَشْكُو إِلَى (قَصْرِ الدُّبَارَةِ) مَا جَنَى * (صَدِيقِ الْوَزِيرِ) وَمَا جَنَى (عَلَامُ)^(١)

ومنها في الإنجليز :

قُلْ لِلْحَايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِمَاءَنَا * تَجْرِي وَهَلْ بَعْدَ الدَّمَاءِ سَلَامُ؟^(٢)
سُفِكَتْ مَوَدَّتُنَا لَكُمْ وَبَدَأَ لَنَا * أَنْتَ الْحَيَادَ عَلَى الْخِصَامِ لِثَامُ
إِنَّ الْمَرَايِلَ شَرُّهَا لَا يُتَّقَى * حَتَّى يُنْفَسَ كَرْهِيَّتُ صَمَامِ^(٣)
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُمَيِّنُ نَفْسَهُ * يُوَدِّدُكُمْ فَيُوَدِّدُكُمْ أَحْلَامُ
أَمِنَ السِّيَاسَةِ وَالْمُرُوءَةِ أَنَّنَا * تَشَقَّى بِكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ؟
إِنَّا جَمَعْنَا لِلْجِهَادِ صُفُوفَنَا * سَتَمُوتُ أَوْ نَحْيَا وَنَحْنُ كِرَامُ

ومنها في مخاطبة إسماعيل صدق باشا :

وَدَعَا عَلَيْكَ اللَّهُ فِي غَمْرَاهِ * الشَّيْخُ وَالْقَسِيسُ وَالْحَاخَامُ
لَا هُمْ أَحَى ضَمِيرَهُ لِيَذُوقَهَا * غُصَصًا وَتَهَسَفَ نَفْسَهُ الْآلَامُ

(١) يريد محمد علام وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب . ويشير بقوله « وما جنى علام » :
إلى ما كانوا يمجونه من الأموال إعانة لحزب الشعب . (٢) أشار بقوله « الحايذ » : إلى أن الإنجليز في هذه
الفترة التي قبلت فيها هذه الأبيات كانوا يتعمدون الحياذ في الشؤون المصرية . (٣) المراجيل : القتلور .

إلى الإنجليز :

[نشرت في ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(١) بَنَيْتُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ آسَاسَ مُلْكِكُمْ * فَكَانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمَامٌ
(٢) فَلَمَّا أَرَى الْأَخْلَاقَ قَدْ شَابَ قَرْنُهَا * وَحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ وَدَبَّ سَقَامٌ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَثْرَةَ بَعْدَ نَهْضَةٍ * فَلَيْسَ لِمُلْكِ الظَّالِمِينَ دَوَامٌ
أَضَعْتُمْ وِدَادًا لَوْ رَضِيتُمْ عُهُودَهُ * لَمَّا قَامَ بَيْنَ الْأُمَمِينَ خِصَامٌ
(٣) أَبْعَدَ حِيَادٍ لَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَهُ * وَبَعْدَ الْجُرُوحِ النَّاهِغَاتِ وَثَامٌ
(٤) إِذَا كَانَ فِي حُسْنِ التَّفَاهِيمِ مَوْتُنَا * فَلَيْسَ عَلَى بَاغِي الْحَيَاةِ مَلَامٌ

إلى المندوب السامي

[نشرت في ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(٥) أَلَمْ تَرَفِ الطَّرِيقَ إِلَى (كِيَاد) * تَصِيدُ الْبَطْءَ بُؤْسَ الْعَالَمِينَا؟
أَلَمْ تَلْبَحْ دُمُوعَ النَّاسِ تَجَرِي * مِنْ الْبَلَوَى أَلَمْ تَسْمَعْ أُنِينَا؟
أَلَمْ تُخَيِّرْ بَنِي التَّامِيزِ عَنَّا * وَقَدْ بَعَثُوكَ مَسْدُوبًا أَمِينَا
بَاأَنَا قَدْ لَمَسْنَا الْغَدَرَ لَمَسًا * وَأَصْبَحَ ظَنُّنَا فِيكُمْ يَقِينَا؟

- (١) الذم : الحق والحرمة . (٢) القرن : الذلابة من الشعر .
(٣) الناهغات : الداميات . (٤) يقول : إذا كان حسن الطعام بيننا وبينكم يوجب لنا الموت بالذل والاستبعاد كان سوء الطعام خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا . (٥) كياد : بركة بالعلم الشرقي اعتاد أن يذهب إليها المندوب السامي وحاشيته لاستعياد بعض أنواع الطيور .

- (١) كَشَفْنَا عَنْ نَوَايَاكُمْ فَلَسْتُمْ * وَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ مُحَايِدِينَ
(٢) سَتَجْمَعُ أَمْرَنَا وَتَزُونَ مِنَّا * لَدَى الْجُلَى كِرَامًا صَابِرِينَ
(٣) وَتَأْخُذُ حَقَّنَا رَغَمَ الْعَوَادِي * تُطِيفُ بِنَا وَرَغَمَ الْقَاسِطِينَ
(٤) ضَرَبْتُمْ حَوْلَ قَادَتِنَا نِطَاقًا * مِنَ الْبَرَانِ يُعَيِّ الدَّارِعِينَ
(٥) عَلَى رَغَمِ الرُّوءَةِ قَدْ فَلَقْتُمْ * وَلَكِنْ بِالْأَسْوَدِ مُصَفِّدِينَ

الأخلاق والحياد

قالها وكان الإنجليز إذ ذاك يَدْعُونَ الحياد في الشؤون المصرية

[نُشِرَ فِي ٤ أBRIL سَنَةِ ١٩٣٢ م]

- (٦) لَا تَذْكُرُوا الْأَخْلَاقَ بَعْدَ حِيَادِكُمْ * فَمُصَابُكُمْ وَمُصَابُنَا سِيَّانِ
(٧) حَارَبْتُمْ أَخْلَاقَكُمْ لِتَحَارِبُوا * أَخْلَقْنَا فَنَأَلَمَ الشُّعْبَانِ

(١) لم نجد في كتب الفقه (النوايا) جمع نية، كما استعمله الشاعر هنا، وهو جمع شائع في كلام أهل العصر، وهو من ظلماتهم، والقياس: نيات - وبرح الخفاء، أى وضع الأمر وتبين - (٢) الجلى: النازلة الشديدة - (٣) القاسطون: الظالمون - (٤) الدارمون: لابسو الدروع - يشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان يصبه الإنجليز على زعماء النهضة الوطنية المصرية من أنواع العذاب من عجن ونفى واعتقال ومحاورة بيوتهم بالخنود - (٥) المصفد: المقيد - (٦) يخاطب الإنجليز في هذا البيت ويقول: إنكم بهذا الحياد المكذوب تضيعون ما عرقت به من الأخلاق الفاضلة، فلا تدعوها لكم بعد، فمصابكم في الأخلاق بهذا الطمع والظلم كمصابنا باحتلالكم - (٧) يشير (بالأخلاق) المضادة الى الإنجليز في هذا البيت الى ما عرفوا به من الصبر والأناة وعدم الأخذ بالقسوة والعنف - وبالأخلاق المضادة اليها، الى ما أظهرناه في نهضتنا الوطنية من صبر على الجهاد واستمساك بحقوق البلاد - يقول - إنكم أيها الإنجليز بقسوتكم على المصريين تحاربون أخلاقكم السالفة الذكر في سنبل محاربة أخلاقنا، فكلا الشعبين متالم، لأنه يحارب فيما طبع عليه -

ثمن الحِيَاد

[نشرت في ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لقد طَالَ الحِيَادُ وَلَمْ تَكُفُوا * أَمَا أَرْضَاكُمْ ثَمَنُ الحِيَادِ ؟
أَخَذْتُمْ كُلَّ مَا تَبْغُونَ مِنَّا * فَا هَذَا التَّحَكُّمُ فِي العِبَادِ ؟
بَلَوْنَا شِدَّةً مِنْكُمْ وَلَيْنَا * فَكَانَ كَلَامُهُمَا ذَرَّ الرَّمَادِ
وَسَأَلْتُمْ وَعَادَيْتُمْ زَمَانًا * فَلَمْ يُغْنِ الْمُسَالِمُ وَالْمُعَادِ
فَلَيْسَ وَرَاءَكُمْ غَيْرُ التَّجَنِّي * وَلَيْسَ أَمَانًا غَيْرُ الْجِهَادِ

إلى الإنجليز

[نشرت في ٢٨ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

حَوَّلُوا النَّيْلَ وَأَعْجَبُوا الضُّوءَ عَنَّا * وَأَطْمَسُوا النُّجُومَ وَأَحْرَمُونَا النَّسِيمَا
وَأَمَلُّوا الْبَحْرَ إِنْ أَرَدْتُمْ سَفِينَا * وَأَمَلُّوا الْخَوَّانَ إِنْ أَرَدْتُمْ رُجُومَا
وَأَقِيمُوا لِلْعَسِيفِ فِي كُلِّ شَيْءٍ * (كُنْتُ بَلَاً) بِالْأَسْوَدِ يَقْرِى الْأَدِيمَا^(١)
إِنَّا لَنْ نَحُولَ عَنْ عَهْدٍ مُضِرٍ * أَوْ تَرَوْنَا فِي الثَّرْبِ عَظْمًا رَمِيمَا
عَاصِفٌ صَبَانَ مِنْكُمْ وَحَمَانٌ * وَكَفَانُكُمْ بِالْأَمْسِ خَطْبًا جَسِيمَا

(١) العسف : الظلم والأخذ بالقوة . ويقرى الأديم : يشق الجلد .

(١) غَالٍ (أَرَادَةَ) الْمَدُوفُفُزُّم * وَبَلَّغْتُمْ فِي الشَّرْقِ شَاوَا عَظِيمًا
 فَعَدَلْتُمْ هُنَيْهَةً وَبَغِيْتُمْ * وَتَرَكْتُمْ فِي النَّيْلِ عَهْدًا ذَمِيمًا
 فَشَهِدْنَا ظُلْمًا يُقَالُ لَهُ الْعَد * لُ وَوُدًّا يَسْنِي الْحِمِيمَ الْحَمِيمَا^(٢)
 فَاتَّقُوا غَضَبَةَ الْعَوَاصِفِ إِنِّي * قَدْ رَأَيْتُ الْمَصِيرَ أَمْسَى وَيَخِمَا

الحِيَادِ الْكَاذِبِ

[نُشِرَتْ فِي سَنَةِ ١٩٣٢ م]

(قَصْرُ الدُّبَارَةِ) قَدْ تَقَضَّ * مَتَّ الْعَهْدَ تَقَضَّ النَّاصِبِ
 أَخْفَيْتَ مَا أَصْمَرْتَهُ * وَأَبْنَتَ وَدَّ الصَّاحِبِ
 الْحَرْبُ أَرْوَحُ لِلنُّفُو * مِّنَ الْحِيَادِ الْكَاذِبِ

جَلَاءُ الْإِنْجِلِيزِ عَنْ مِصْرَ

قَالَهُمَا تَنْدِيدًا بِكَاتِبِ فَرَنْسَى كَانَ قَدْ زَعَمَ أَنَّ جَلَاءَ الْإِنْجِلِيزِ عَنْ مِصْرَ سَيَكُونُ فِي أَكْثَرِ
 كَمْ حَدَّدُوا يَوْمَ الْجَلَاءِ الَّذِي * أَصْبَحَ فِي الْإِبْهَامِ كَالْمَحْشَرِ
 وَسَنَ قَوْمُ الطُّنِيشِ مِنْ جَهْلِهِمْ * كَذِبَةً (إِبْرِيلَ لِأَكْتُوبَرِ)

- (١) غَالٍ : أَهْلَكَ . وَأَرَادَةَ : هِيَ الْأَسْطُولُ الْأَسْبَانِيُّ الَّذِي كَانَ يُرِيدُ مَهَاجَةَ الْأَسْطُولِ الْإِنْجِلِيزِيِّ
 فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ ، فَتَحَطَّمَتْ بِعَاصِفَةٍ شَدِيدَةٍ حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَهَاجَتِهِ . وَإِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ يُشِيرُ الشَّاعِرُ
 بِهَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي قَبْلَهُ . وَيُشِيرُ بِقَوْلِهِ « وَبَلَّغْتُمْ فِي الشَّرْقِ » : إِلَى كَثْرَةِ مَسْتَعْمِرَاتِ الْإِنْجِلِيزِ فِيهِ .
 (٢) يُرِيدُ « بِالْحِمِيمِ » الْأَوَّلُ : الصَّدِيقُ . وَ« بِالْحِمِيمِ » الثَّانِي : الشَّرَابُ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ .

الامتيازات الأجنبية

- (١) سَكْتُ فَأَصْفُرُوا أَدْبِي * وَقُلْتُ فَأَكْبُرُوا أَرْبِي
وما أَرْجُوهُ مِنْ بَلَدٍ * به ضَائِقُ الرَّجَاءِ وَبِي؟
وهل (في مِصْرَ) مَفْعَرَةٌ * سِوَى الْأَلْقَابِ وَالرُّتَبِ؟
(٢) وَذِي إِرْتِ يُكَاثِرُنَا * بِمَالٍ غَيْرِ مُحْتَسِبٍ
(٣) وَفِي الرُّومِيِّ مَوْعِظَةٌ * لَشَفِيفٍ جَدٍّ فِي اللَّعِبِ
(٤) يُقَاتِلُنَا بِلَا قَوْدٍ * وَلَا دِيَّةٍ وَلَا رَهْبٍ
(٥) وَيَمِشِي نَحْوَ رَأْيَتِهِ * فَتَحْيِيهِ مِنَ الْعَطَبِ
فَقُلْ لِلْفَائِزِينَ : أَمَا * لِمَذَا الْفَخْرُ مِنْ سَهَبٍ؟
(٦) أَرُونِي بَيْنَكُمْ رَجُلًا * رَكِينًا وَاحِجَ الْحَسَبِ
(٧) أَرُونِي نِصْفَ مُحْتَرِعٍ * أَرُونِي رُبْعَ مُحْتَسِبٍ؟
أَرُونِي نَادِيًا حَفَلًا * بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ؟
وماذا فِي مَدَارِسِكُمْ * مِنْ التَّعْلِيمِ وَالْكُتُبِ؟

(١) الأرب : العقل . . . (٢) كاثره بماله : فانه بكثرة .

(٣) يريد « بالشعب » : الشعب المصري . وبعدي اللعب : أى استمر عليه وواظب .

(٤) القود : القصاص . والرهب (بالتحريك) : الخوف . (٥) العطب : الهلاك .

(٦) الركين : الرزين . (٧) يريد « بالاحتساب » : العالم بتدبير الأموال والتصرف فيها

على أحسن وجه ؛ ومنه قولهم : « فلان محتسب البلد » .

وماذا في مساجيدكم * من التبيان والخطب؟
وماذا في صحائفكم * سوى التثويه والكذب؟
حصائد السن جرّت * إلى الولايات والحرب^(١)
فهبوا من مراقيدكم * فإنّ الوقت من ذهب^(٢)
فهذي أمة (البا * ن) جازت دائرة الشهب^(٣)
فهامت بالملأ شققا * وهنّا بأبنة العنب

(١) حصائد الألسنة : ما تقتله من الكلام الذي لا خرف فيه ، الواحدة حصيدة ، تشبهاً به بما يصعد من الزرع إذا جذ . وفي حديث معاذ : « وهل يكب الناس على مناكرهم في النار إلا حصائد السهم » . والحرب (بالتحريك) : الهلاك .

(٢) الدارة : المنزل .

(٣) ابنة العنب : العنبر .

الشكوى

الى محمد الشيمى بك المحامى بطنطا

قال حافظ هذين البيتين وكان يعمل بمكتبه فى أول شبابه قبل

انتظامه فى سلك المدرسة الحربية ، ثم تركه لخلاف وقع بينهما

خِرابٌ حَقَّى قَدْ أَفْرَعَتْهُ طَمَعًا * بِيَابِ أَسْتَاذِنَا (الشيمى) وَلَا عَجَبًا

(١) فَمَادَنِى وَهُوَ مَمْلُوءٌ فَقُلْتُ لَهُ : * يَمَا؟ فَقَالَ مِنَ الْحَسَرَاتِ وَأَحْرَبًا

الى آدم أبى البشر

(٢) سَلِيلَ الطَّيْنِ كَمْ نَلْنَا شَقَاءً * وَكَمْ خَطَطْتُ أَنَا مِلْنَا ضَرِيحًا

(٣) وَكَمْ أَزَرْتُ بَنَى الْأَيَّامُ حَتَّى * قَدَّتْ بِالْكَبْشِ (إِسْحَاقُ) الَّذِيحًا

(١) سكن السين فى « الحسرات » لضرورة الوزن ، والحرب بالتحريك : الملاك .

(٢) سليل الطين ، يريد آدم أبى البشر عليه السلام . وخط القبر : حفره . يقول لآدم : تركت

بنيك يعبت بهم الشقاء والفتاء . (٣) أزرت بنى الأيام ، أى تهاوت بنى ، ووضعت

من شأننا . وإسحاق الذبيح ، هو نبي الله إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، وقد اختلف

العلماء فى الذبيح من ولدى إبراهيم ، فقيل : هو إسحاق كما هنا ، وقيل : هو إسماعيل . وقصة هذا الذبيح

والفداء مشهورة ، وقد قصها الله تعالى فى القرآن ، إذ قال تعالى فى سورة الصافات : (فلما بلغ معه السعى

قال يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) الآيات .

(١) وَبَاعَتْ (يُوسُفَا) بَيْعَ الْمَوَالِي * وَأَلْقَتْ فِي يَدِ الْقَوْمِ (الْمَسِيحَا)

(٢) وَيَا (نُوحَا) جَنَيْتَ عَلَى الْبَرَايَا * وَلَمْ تَمْنَحْهُمْ الْوَدَّ الصَّحِيحَا

عَلَامَ حَلَّتْهُمْ فِي الْفُلِكِ هَلَا * تَزَكَّيْتُمْ فَكُنْتُمْ لَكُمْ مُرِيحَا

(٣) أَصَابَ رِفَاقِي الْقِدْحَ الْمَعْلَى * وَمَصَادَفَ سَهْمِي الْقِدْحَ الْمُنِيحَا

(٤) فَلَوْ سَأَقِ الْقَضَاءُ إِلَى تَقَعَا * لَقَامَ أَخُوهُ مُعْتَرِضَا فَتَحِيحَا

(١) يوسف ، هو ابن يعقوب عليهما السلام ، وأمره مع إخوته من إلقاءه في الحب ، والقاطر بعض السيارة له ، ويعمهم إياه بيع العيد مشهور ، وقد قص الله ذلك في القرآن في سورة يوسف . والموالي : العيد ؛ الواحد مولى . ويريد « بالقوم » : جماعة اليهود الذين أرادوا صلب عيسى عليه السلام ؛ وقد قص الله تعالى ذلك في القرآن .

(٢) يشير إلى قصة نبي الله نوح عليه السلام ، وأمره مع قومه والطوفان الذي أرسله الله عليهم ونجاته بمن معه في السفينة مشهور ، وقد قص الله تعالى ذلك في القرآن .

(٣) القدح (بكسر القاف وسكون الدال) : واحد القداح ، وهي سهام الميسر . والقدح الملقى ، هو المهم الساج منها ، وهو أفضلها ، لأنه إذا خرج حاز سبعة أنصباء . والمنحج : سهم من سهام الميسر لا نصيب له ولا فرض ، وهو الثالث من القداح الغفل التي ليس لها فرض ولا أنصباء .

(٤) أخوه ، أى أخو القضاء ، وهو القدر .

النفس الحزينة

بيتان مترجمان عن (جان چاك روسو)^(١)

[نشر في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

خَلَقْتَ لِي نَفْسًا فَأَرْصِدْتَهَا * لِلْحُزْنِ وَالْبَلْوَى وَهَذَا الشَّقَاءُ^(٢)
فَأَمَّنْ بِنَفْسٍ لَمْ يَشِبْهَا الْأَمْنَى * لَعَلَّهَا تَعْرِفُ طَعْمَ الْهَنَاءِ^(٣)

سعى بلا جدوى

يصف سعي المتواصل وبؤسه وإياده ، ويقتى الراحة من ذلك بالموت

[نشرت في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٠ م]

سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كِدْتُ أَتَّعِلُ الدَّمَ * وَصُدْتُ وَمَا أَغْقَبْتُ إِلَّا التَّنَدُّمَ^(٤)
لَحَى اللَّهُ عَهْدَ الْقَاسِطِينَ الَّذِي بِهِ * تَهَلَّمْ مِنْ بُيَانِنَا مَا تَهْدَمُ^(٥)
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعَادَةَ بَيْنَهُمْ * فَلَا تَكُ مِصْرِيًّا وَلَا تَكُ مُسْلِمًا
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامٌ مُودَّعٍ * رَأَى فِي ظُلَامِ الْقَبْرِ أَنْسًا وَمَغْنَمًا

- (١) روسو، هو الكاتب الفرنسي المعروف ، بطل الحرية وزعيم المساواة . ولد سنة ١٧١٢ م ، وكانت وفاته في ٣ يولييه سنة ١٧٧٠ م . وله عدة تأليف ، منها كتاب الاتفاق الجمهوري ، وكتاب إميل ، وقاموس في الموسيقى ، وآخر في علم النبات ، وغيرها .
(٢) أرصدتها للحن : حبستها عليه .
(٣) لم يشبها : لم يحاطلها . أى آمن على بنفس أخرى لم تحاطلها الأخران .
(٤) يقول : إنه تقرحت قدماء من كثرة السعى على الرزق حتى صار دم قدميه أشبه بالنعل لها ، وما عاد بعد كل هذا إلا بالندم .
(٥) القاسطون : الجائرون المائلون من الحق ، ويريد بهم المحتلين ومناثمهم .

- (١) أَصْرَتْ بِهِ الْأَوَّلَىٰ فِيهِمَا بِأَخْتِهَا * فَإِنْ سَمِعْتَ الْآخَرَىٰ فَوَيْلَاهُ مِنْهَا
 (٢) فَهِيَ رِيَّاحِ الْمَوْتِ نُجْجًا وَأَطْفَىٰ * سِرَاجَ حَيَاتِي قَبْلَ أَنْ يَحْطُمَا
 (٣) فَا عَصَمْتَنِي مِنْ زَمَانِي فَضَائِلِي * وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ لِحُرٍّ أَهْصَمَا
 (٤) فَيَا قَلْبُ لَا تَجْزَعْ إِذَا عَضَّكَ الْأَمْسَى * فَإِنَّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ لَنْ تَسْأَلَ
 (٥) وَيَا عَيْنُ قَدْ أَنْ الْجُودُ لَمَدَمِي * فَلَا سَبِيلَ دَمْعٍ تَسْكِبِينَ وَلَا دَمًا
 وَيَا يَدُ مَا كَلَّفْتُكَ الْهَسْطَ مَرَّةً * لِيَدِي مِثْلَ أَوَّلَى الْجَمِيلِ وَأَنْتَاهَا
 (٦) فَلِلَّهِ مَا أَحْلَاكَ فِي أُنْمُلِ الْبَلَى * وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فِي الطُّرُوسِ وَأَكْرَمَا
 وَيَا قَدِيمِي مَا سَرَّتْ بِي لِمَنْزِلَةٍ * وَلَمْ تَزْنِي إِلَّا إِلَى الْعِزِّ سُلْبَا
 فَلَا تُبْطِئِي سَبْرًا إِلَى الْمَوْتِ وَأَعْلَى * بِأَنَّ كَرِيمَ الْقُومِ مَن مَاتَ مُكْرَمَا
 (٧) وَيَا نَفْسُ كَمْ جَشَمْتِكَ الصَّبْرَ وَالرِّضَا * وَجَشَمْتَنِي أَنْ أَلْبَسَ الْمَجْدَ مُعْلَمَا
 (٨) لَمَّا أَسْطَعْتِ أَنْ تَسْتَمِرِّي مَرُّ طَعْمِهِ * وَمَا أَسْطَعْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ أَنْ أَتَقَدَّمَا

- (١) يريد «الأولى» : الدنيا . و «بالأخرى» : الآخرة ؛ فإن شق فيها كاشن في دنياه فويلاه .
 (٢) التكب : جمع نكباء ، وهي الريح إذا المحرفت عن وجهها ووقعت بين ريحين ، وهي ريح مهلكة للزروع والمواشي ، حاسبة للقطر . ويحطم : يتكسر . (٣) عصمتني : حفظني .
 (٤) يشير بقوله «بعد اليوم» : إلى الموت . (٥) جود الدمع : انقطاعه أو نكته . قدّر الشاهر في هذا البيت أن ما تمناه من الموت قد وقع ، وانقطعت عنه أسباب الحزن المجرية للدموع .
 (٦) في أعمل البلى ، أى في يد القضاء . والطروس : جمع طرس (بكسر الطاء وسكون الراء) ، وهو الصحيفة يكتب فيها . (٧) جشمتك : كلفتك . والمعلم من الثياب : الذى فيه أعلام من طراز أو غيره . شبه المجد به في وضوحه وظهوره . (٨) استمرا الطعام : استطابه واستغناه . ويشير بالشطر الأول من هذا البيت إلى الصبر والرضا الواردين في البيت السابق . ويقول « وما أسطعت بين القوم ... الخ » إلى المجد ، في البيت السابق أيضا . يقول لنفسه : إن كليتا لم يستطع القيام بما كلف به .

(١) فهذا فراقٌ بيننا فتَجَمَّلِي * فإِنَّ الرَّدَى أَحَلَّى مَذَاقًا وَمَطْمَأً
 وَيَا صَدْرُكُمْ حَلَّتْ بِذَاتِكُمْ ضَيْقَةٌ * وَكَمْ جَالَ فِي أَفْئَاتِكُمُ الْهَمُّ وَأَرْغَمَى
 (٢) فَهَلَّا تَرَى فِي ضَيْقَةِ الْقَبْرِ فُسْحَةً * تُنَفِّسُ عَنْكَ الْكَرْبَ إِنْ يَتَّ مُرَمَّا؟
 (٣) وَيَا قَبْرُ لَا تَجْعَلْ رَدَّيْجِيَّةً * عَلَى صَاحِبِ أَوْقٍ عَلَيْنَا وَسَلَامًا
 وَهِيَاتَ يَأْتِي الْحَيُّ لِلَّيْتِ زَائِرًا * فَإِنِّي رَأَيْتُ الْوُدَّ فِي الْحَيِّ أَشْفَامًا
 (٤) وَيَأْيُهَا النُّجْمُ الَّذِي طَالَ مُهْدُهُ * وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ السَّرَى أَيْنَ يَمَامًا
 (٥) لَعَلَّكَ لَا تَنْتَسِي عُهودَ مُنَادِمٍ * تَعْلَمُ مِنْكَ الشَّهَدَ وَالْأَيْنَ كُلَّمَا

الإخفاق بعد الكدِّ

وفها ينحى مجد الترك والعرب، ويشير إلى معان أخرى في الشكوى

[نشرت سنة ١٣١٨ هـ - سنة ١٩٠٠ م]

(٦) ماذا أَصَبْتَ مِنَ الْأَسْفَارِ وَالنَّصَبِ * وَطَيْكَ الْعُمَرَاءُ بَيْنَ الْوَحْدِ وَالْخَبَبِ؟
 (٧) نَرَاكَ تَطْلُبُ لَا هَوْنًا وَلَا كَثَبًا * وَلَا نَرَى لَكَ مِنْ مَالٍ وَلَا نَسَبٍ

(١) بجلى : لا تظهرى الجزع . (٢) المبرم : المتضجر . (٣) أرفى، أى أشرف
 علينا زائرا . (٤) السرى (بضم السين) : السير ليلًا . ويمم : قصد . (٥) الأين : التعب والإعياء .
 وفى هذا البيت والذى قبله يتادى الشاعر النجم الذى أخذ منه المهر والسرى كل مأخذ ، ويطلب إليه أن
 يذكر عهود أليف له فى مهرة وسيره . وقوله «كلما» ، أى كلما سهرت أيتها النجم وتعبت من السرى .
 (٦) النصيب (بالتحريك) : التعب . والوخد : الإمراع فى المشى . والخبيب (بالتحريك) : أن ينقل
 الفرس أيامه جميعا وأيامه جميعا إذا عدا . (٧) الهون : الهين . والكثب (بالتحريك) :
 القرب . والهون والكثب : صفتان لموسوف محذوف ، أى لا طلبا هينا ولا قربا . والنسب : المال الأصيل .

(١) لَا تُطْعِمَانِي أَنْيَابَ الْمَلَامِ عَلَى * هَذَا الْفِئَارِ فَإِنِّي مَهْطُ الْعَجَبِ
 (٢) وَدِدْتُ لَوْ طَرَحُوا بِي يَوْمَ جِثْتِهِمْ * فِي مَسِجِ الْحَوْتِ أَوْ فِي مَسْرَجِ الْعَطَبِ
 (٣) لَعَلَّ (مَانِي) لَاقَى مَا أَكَايَدُهُ * فَوَدَّ تَعَجُّلَنَا مِنْ عَالَمِ الشَّجَبِ
 (٤) إِنِّي أَحْسَبْتُ شَبَابًا بَتُّ أَتَّقُهُ * وَعِزَّةً شَابَتِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَسِبْ
 (٥) كَمْ هِمْتُ فِي الْيَسَدِ وَالْآرَامِ فَاقِلَةٌ * وَالشَّمْسُ تَرْمِي أَدِيمَ الْأَرْضِ بِاللَّهَبِ
 (٦) وَكَمْ لَيْسْتُ الدُّجَى وَالتُّرْبُ نَاعِصَةٌ * وَاللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جَائِشِي لَدَى التُّوْبِ
 (٧) وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي وَيَحْسِبُنِي * لَدَى السَّرَى ثَامِنًا لِلسَّبْعَةِ الشَّهْبِ
 (٨) لَكِنِّي غَيْرُ مُجْدُودٍ وَمَا فَنَنْتُ * يَدُ الْمَقَادِيرِ تُقْصِي عَنِّي عَنِ الْأَرَبِ

(١) « لا تطعماني ... الخ » أي لا تجعلني طعمة . وقد شبه الملام ، بالاسد ذي الأنياب ؛ وقسه بالقرصة . (٢) تمنى لو طرحه أهله يوم ولادته في قاع البحر أو في أي طريق من طرق الهلاك . (٣) ماني ، هو ماني التنوي صاحب المذاهب المانوية المشهورة . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى ما كان يراه ماني من وجوب تعجيل الفناء للبشر بقطع النسل ، وقد ظهر ماني في أيام سابور بن أردشير ، وقتل في زمن بهرام بن سابور . والشجب : الحزن والعتى يصيب الإنسان من مرض ونحوه . (٤) يريد أنه لم يستغد من شبابه ولا عزيمته في أيام الحياة شيئا ، فاحتسبها عند الله وعدما فيما يذخره من أجر وثواب . (٥) هام : ذهب على وجهه حائرا لا يدرى أين يتوجه . والآرام : الغطاء ؛ الواحد : رثم ، وهو في الأصل مخصوص بالطي الخالص البياض . والقائلة : المستكة وقت الظهيرة لشدة الحر ؛ وقال : إن الغطاء لا تقيل إلا إذا اشتد القبط . وأديم الأرض : وجهها وظاهرها . (٦) التراب (بضم فسكون) : جمع تراب ، بمعنى التراب ؛ وهذا الجمع مطرد في (فعلاه) مؤنث (أفعل) ويريد بكونها ناعسة ، أنها مستقرة في مكانها لقلة من يثيرها من المازة بالمشي عليها . والحاش : النفس . وقيل : القلب . يصف في الشعر الأخير الليل بأنه أشد هدوءا من هدوء قسه واطمئناتها عند نوائب الدهر . (٧) الشهب السبعة ، هي السيارة ، وهي : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر . يقول : إنه مستمر على السرى استمرار هذه الكواكب ، حتى كأنه واحد منها . (٨) المجلود : المحظوظ .

(١) وقد غَدَوْتُ وأمالِي مَطْرَحَةٌ * وفي أُمُورِي ما لِلضَّبِّ في الذَّنْبِ
 فإن تُكُنْ نَسْبَتِي للَشْرِقِ ما نَعَتِي * حَقًّا فَوَاهَا تَجِدِ التُّرْكَ والعَرَبِ
 (٢) وقاضياتِ لَهُمْ كانت إذا اخْتَرَعْتُ * تَدَثَّرُ العَرَبُ في ثَوْبٍ مِنَ الرَّهْبِ
 (٣) وبَحْمَرَةٍ لَهُمْ في الشَّرْقِ ما هَمَدْتُ * ولا صَلاها رَمَادُ الخُتَلِ والكَذِبِ
 متى أَرَى (النَّيْلَ) لا تَحُلُو مَوَارِدَهُ * لغير مُرْتَهَبٍ لِلَّهِ مُرْتَقِبِ
 (٤) فقد غَدَتْ (مِصْرُ) في حَالٍ إذا دُرِ كَرَتْ * جَادَتْ جُفُونِي لها باللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ
 (٥) كَأَنِّي عِنْدَ ذِي كَرِي ما أَلَمَ بها * قَرَمٌ تَرَدَّدَ بَيْنَ المَوْتِ والمَهِرَبِ
 (٦) إذا نَطَقْتُ ففَاعُ السَّجَبِ مُتَكَأً * وإن سَكَتُ فإِنَّ النَّفْسَ لَمْ تَطْلُبِ
 أَيَسْتَيْكِي الفَقْرَ غَايِنًا ورَائِحُنَا * ونحن نَمِثُ على أَرْضٍ مِنَ الذَّنْبِ
 (٧) والقَوْمُ في (مِصْرَ) كالإِسْفِنَجِ قد تَطَفَّرَتْ * بالماءِ لَمْ يَتْرُكُوا ضَرْعًا مُخْتَلِبِ

- (١) مطرحة ، ملقاة منبوذة . ويريد بقوله « وفي أُمُورِي ... الخ » : أن أموره معقدة متعلدة
 لخل ، كأنها ذنب الضب الذي يضرب به المثل في التعقيد .
- (٢) القاضيات : السيوف القواطع . واختلط السيف : استلذه من غمده . وتَدَثَّرَ : التف . والرهب
 (بالتحريك) : الخوف والرهب . يلحصر على زمان كانت فيه للترك والعرب سطوة يخشى بأسها العرب .
- (٣) استعار « البحمة » في هذا البيت لقوة الدولة وشوكتها وعزها . والختل : الخداع . يصف
 سياستهم بالصراحة وأنها لم يفتشها كذب ولا خداع كما غشى غيرها من سياسات دول الغرب .
- (٤) الرطب (يسكون الطاء) معروف ، وبحريكها هنا لضرورة الوزن ؛ ويلاحظ أننا لم نجد ذلك
 في شعر آخر فيما راجعنا . (٥) القمر : السيد العظيم والبطل الشجاع . (٦) يقول :
 إنه إذا ذكر مصر اضطرب أمره بين إقدام عاقبته العقاب ، وإحجامه بعتبه لدع الضمير .
- (٧) يريد « بالقوم » : الأجانب . يقول : إن هؤلاء الأجانب في مصر امتصوا كل خيرها
 كالإسفنج يمتص ما في الوعاء من ماء . والضرع للبهائم بمنزلة الثدي لدى المرأة ، جمعه ضرورع .

(١) يَا آلَ عُثْمَانَ مَا هَذَا الْجَفَاءُ لَنَا * وَنَحْنُ فِي اللَّهِ إِخْوَانٌ وَفِي الْكُتُبِ
تَرَكْتُمُونَا لِأَقْوَامٍ تُخَالِفُنَا * فِي الدِّينِ وَالْفَضْلِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ

حسرة على فائت

[نشرت في يونيو سنة ١٩٠٢ م]

(٢) لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا * إِلَّا بَقِيَّةُ دَمْعٍ فِي مَاقِينَا
كَمَا فَلَادَةَ جِيدِ الدَّهْرِ فَانْفَرَطَتْ * وَفِي يَمِينِ الْعُلَا كُنَّا رِيَاحِينَا
(٣) كَانَتْ مَنَازِلُنَا فِي الْعِزِّ شَاخِحَةً * لَا تُشْرِقُ الشَّمْسُ إِلَّا فِي مَغَائِينَا
(٤) وَكَانَ أَقْصَى مُنَى نَهْرِ (الْحَجْرَةِ) لَوْ * مِنْ مَائِهِ مُزِجَتْ أَقْدَاحُ سَاقِينَا
وَالشُّهْبُ لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ مُسَخَّرَةً * لَرَجِمَ مَنْ كَانَ يَسُدُّ مِنْ أَعَادِينَا
(٥) فَلَمْ نَزَلْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَرْمُقُنَا * شَرَرًا وَتَحْدَعُنَا الدُّنْيَا وَتُلْهِيُنَا
(٦) حَتَّى غَدَوْنَا وَلَا جَاهٌ وَلَا نَسَبٌ * وَلَا صَدِيقٌ وَلَا خِلٌّ يُوَاسِينَا

(١) آل عثمان : الترك .

(٢) المآق : جمع موق وماق ، وهو مجرى الدمع من العين .

(٣) المغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل الذى غنى به أهله ، أى أقاموا .

(٤) الحجرة : نجوم كثيرة يتشربها هافرى كأنه قعة بيضاء ؛ وتشبهها الشعراء بالنهر ، كما فى هذا البيت .

(٥) صروف الدهر : خبره ونوائبه . والنظر الشر : أن تنظر إلى غيرك بجانب عينك ولا تستقبله .

بوجهك معرضاً عنه ، أو غاضباً عليه .

(٦) النسب : المال والعقار .

وداع الشباب

قال هذه القصيدة في دار وسط مزارع في الجزيرة قفى فيها بعض أيام شبابه ، ثم مر بها بعد عهد طويل من تحوله عنها فحزنت في نفسه ذكريات ، وجاش صدره بهذه الأبيات

[نشرت في ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٢ م]

(١)
 كم مرّ بي فيك عيشٌ لستُ أذكرُهُ * ومرّ بي فيك عيشٌ لستُ أنساهُ
 ودّعتُ فيك بقايا ما ملّقتُ به * من الشباب وما ودّعتُ ذكرهُ
 (٢)
 أهفو إليه على ما أفرحتُ بكيدى * من التباريحِ أولاهُ وأخراهُ
 (٣)
 ليسته ودُموعُ العينِ طيّعةٌ * والنفسُ جياشةٌ والقلبُ أواهُ
 فكان عوني على وجيدٍ أكابدهُ * ومرّ عيشٌ على العلاتِ ألقاهُ
 إن خان ودّي صديقٌ كنتُ أصعبُهُ * أو خان عهدى حبيبٌ كنتُ أهواهُ
 (٤)
 قد أرخصَ الدمعُ يَبُوعُ الغناء به * والهفتي ونفسوبُ الشيبِ أغلاهُ
 (٥)
 كم رَوَّحَ الدمعُ عن قلبي وكُم غَسَلَتْ * منه السَّوابقُ حُرّاً في حنّياهُ

(١) يقول : إنه مرّت به في هذا البيت شؤون وأحوال نسي بعضها وذكر بعضها .

(٢) أهفو، أى أميل . والتباريح : ما يمانيه المحب من شدّة الشوق .

(٣) جياشة : مضطربة بمختلف المواقف . والأواه : الحزين .

(٤) أرخصه : جعله رخيصاً . والغصير في « به » يعود على الشباب . ونفسوبُ الشيب ، أى ذبول

العود وجفافه في المشيب . يقول في الشطر الأول : إن غزارة الدمع في عهد الشباب قد جعلته رخيصاً

يفيض لأقل الأشياء ؛ ويتلطف في الشطر الثاني على قلّة هذا الدمع في عهد المشيب حتى غلا ومرّ ، فلا يجيبه

إذا دماه . (٥) روح الدمع عن قلبي ، أى خفف من حزنه ونفوس من لوعته . وسوابقُ الدموع :

ما أسرع منها .

(١) لَمْ أَدْرِ مَا يَدُهُ حَتَّى تَرَشَّقَهُ * فَمُ الْمَشِيبِ عَلَى رَغْمِي فَأَفْنَاهُ
 قَالُوا تَحَرَّزْتَ مِنْ قَيْدِ الْمَلَّاحِ فِعِشْ * حُرًّا فَنِي الْأَمِيرِ ذُلُّ كُنْتَ تَأْبَاهُ
 (٢) فُكُلْتُ يَا لَيْتَهُ دَامَتْ صَرَامَتُهُ * مَا كَانَ أَرْقَقَهُ عِنْدِي وَأَحْنَاهُ
 (٣) بَدَلْتُ مِنْهُ بِقَيْدٍ لَسْتُ أَفْلُتُهُ * وَكَيْفَ أَفْلُتُ قَيْدًا صَاغَهُ اللَّهُ
 أَسْرَى الصَّبَابَةِ أَحْيَاءُ وَإِنْ جَهْدُوا * أَمَّا الْمَشِيبُ فَنِي الْأَمْوَاتِ أَسْرَاهُ .

وقال :

كتب بها من السودان إلى بعض أصدقائه يشكو حظه ويتشوق إلى مصر
 (٤) رَمَيْتُ بِهَا عَلَى هَذَا التَّابِ * وَمَا أَوْرَدْتُهَا غَيْرَ السَّرَابِ
 (٥) وَمَا حَمَلْتُهَا إِلَّا شَقَاءً * تُقَاضِيَنِي بِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ
 (٦) جَنَيْتُ عَلَيْكَ يَا نَفْسِي وَقَبْلِي * عَلَيْكَ جَنَى أَبِي فَدَعِيَ عِتَابِي
 (٧) فَلَوْلَا أَنْتَهُمْ وَأَدُّوا بَيَانِي * بَلَّغْتُ بِكَ الْمُنَى وَشَقَيْتُ مَا بِي

- (١) يده، أى نعمة الدمع عندي؛ ويقال : ترشقه، أى شر به قليلا قليلا .
 (٢) ياليت، أى ياليت هذا القيد السابق ذكره . وصرامته : شدته وإحكامه وتعذر الإفلات منه .
 (٣) المعروف أن الباء تدخل على المترك عكس ما استعمله الشاعر هنا؛ ولكن ورد في عبارة بعض اللغويين ما يفيد صحة دخول الباء على المأخوذ كاستعمال الشاعر . قال أبو العباس ثعلب : يقال « بدلّ الخاتم بالخلة » : إذا أذبه وسوّيته حلقة ؛ وبدلت الحلقة بالخاتم : إذا أذبتها وجعلتها خاتما . والمراد بالقيد هنا : قيد المشيب . (٤) بها، أى بالنفس . والتاب : الخمران والنقص . والسراب : هو ما تراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء من بعد ؛ ويشبه به الخلداع . (٥) تقاضيني : تحاسبنى عليه .
 (٦) جناية أبيه عليه أنه كان سبيا في ولادته ، إشارة إلى قول المعزى :
 هذا جناه أبي على *
 وما جئيت على أحد

(٧) وأده : دفعه حيا .

سَعَيْتُ وَكَمْ سَعَى قَبْلِي أَدِيبٌ * قَابَ بِحَيَّةٍ بَعْدَ اغْتِرَابِ (١)
 وَمَا أَطْدَرْتُ حَتَّى كَانَ تَعْلِي * دَمًا وَوِسَادَتِي وَجَهَ التُّرَابِ (٢)
 وَحَتَّى صَيَّرْتَنِي الشَّمْسُ عَبْدًا * صَبِيغًا بَعْدَ مَا دَبَّغْتَ لَهَا بِي (٣)
 وَحَتَّى قَلَمَ الْإِمْلَاقُ طُفْقِرِي * وَحَتَّى حَطَّطَ الْمِقْدَارُ نَائِي (٤)
 مَتَى أَنَا بِالْإِغْيَا (مَضْرُ) أَرْضًا * أَشْمُ بِتُرْبِهَا رِيحَ الْمَلَابِ (٥)
 رَأَيْتُ ابْنَ الْبُخَارِ عَلَى رُبَاهَا * يُمْرُكَاثَهُ شَرُخَ الشَّبَابِ
 كَانَ يَحْمُوفُهُ أَحْشَاءَ صَبٍّ * يُؤَجِّجُ نَارَهَا شَوْقُ الْإِيَابِ (٦)
 إِذَا مَا لَاحَ سَاءَلْنَا الدِّيَاجِي * أَبْرَقُ الْأَرْضِ أَمْ بَرَقَ السَّحَابِ

وقال :

مَا لِهَذَا النَّجْمِ فِي السَّحَرِ * قَدْ مَهَا مِنْ شِدَّةِ السَّهْرِ؟ (٧)
 خَلْتُهُ يَا قَوْمُ يُؤْنِسُنِي * إِنْ جَفَانِي مُؤْنِسُ السَّحَرِ
 يَا لِقَوِي إِنِّي رَجُلٌ * أَفْنَتِ الْآيَامُ مُصْطَبِرِي (٨)
 أَهْمَرْتَنِي الْحَادِثَاتِ وَقَدْ * تَامَ حَتَّى هَاتِفِ الشَّجَرِ

- (١) ما أطدرت : ما قصرت . ويريد « يكون فعله دما » : كثرة السعي إلى أن تقتزحت قدماه فصار الدم لهما كالنمل . (٢) الصبيغ : المصبوغ . وإهاب الانسان : جلده . (٣) قلبه : قطعه . والإملاق : الفقر المدقع . ويريد « بالظفر والنايب » في هذا البيت : أسباب قوته . (٤) الملاب : لفظ فارسي ، وهو كل عطرساتل . (٥) ابن البخار : القطار . والربا : ما ارتفع من الأرض . وشرخ الشباب : أوله وريمانه ، شبه به القطار في السرعة . (٦) الدياجي : الظلمات ، جمع داجية . (٧) مؤنس السحر : حبيبه أو نديمه . (٨) هاتف الشجر : الطائر المفرد .

(١) والدجى يخطو على مهل * خطو ذى عز وذى خفير
فيه شخص الياس مانقى * كحبيب أب من سقى
(٢) وأثارت بي قوادحه * كامينات المم والكدر
وكانت الليل أقسم لا * يتقضى أو يتقضى عمري
(٣) أيها الزنجي ما لك لم * تخش فينا خالق البشر؟
لي حبيب هاجر وله * صورة من أبدع الصور
أتلاشي في محبته * ككلاشي الظل في القمر

شكوى الظلم

(٤) لقد كانت الأمثال تُضرب بيننا * بيجور (سُدوم) وهو من أظلم البشر
(٥) فلما بدت في الكون آيات ظلمهم * إذا (بسُدوم) في حكومته (عمر)

(١) الخفر : شدة الحياء . وقد كنى «بجهل الدجى في خطوه» عن طول الليل .

(٢) القوادح : ما يتقل حمله من التواءب .

(٣) يريد «بالزنجي» : الليل ، لسواده .

(٤) سدوم (بالدال المهملة ؛ وقيل بالقال المعجمة) : إحدى مدائن قوم لوط الخمس التي دمرها الله لجور أهلها وكفرهم ، وكان لها قاض يضرب به المثل في الظلم ، يقال له : (سدوم) أيضا ، قيل : «أظلم من قاضى سدوم» .

(٥) الحكومة : الحكم . وعمر ، هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ضرب به المثل في العدل . ويريد الشاعر بهذا البيت : أن ظلم سدوم يتضاءل حتى يصير عدلا إذا قيس بظلم حكام هذا العصر .

وقال في مرض له :

(١) مَرَضْنَا فَمَا عَادَنَا عَائِدٌ * وَلَا قِيلَ : أَيْنَ الْفَقَى الْأَلْمَى ؟
(٢) وَلَا حَنٌّ طَرَسَ إِلَى كَاتِبٍ * وَلَا خَفَّ لَفْظٌ عَلَى مِسْمَعٍ
سَكَنَتَا فَمَزَّ عَلَيْنَا السُّكُوتُ * وَهَانَ الْكَلَامُ عَلَى الْمُدْعَى
(٣) فَيَا دَوْلَةً أَذْنَتُ بِالزَّوَالِ * رَجَعْنَا لَعَهْدِ الْهَوَى فَا رَجَعِي
(٤) وَلَا تَحْسِبِينَا سَلَوْنَا اللَّسِيبَ * وَيَيْنَ الضُّلُوعِ فَوَادٍ يَبِى

سجن الفضائل

(٥) نَعِمْتَ بِنَفْسِي وَأَشْقَيْتَنِي * فَيَا لَيْتَنِي وَيَا لَيْتَنِي
يَخْلُلُ نَزْلَنَ يَخْضِبُ النَّفُوسَ * فَرَوَيْنَهُنَّ وَأَظْلَمَانِنِي
تَعَوَّذَنَ مِنِّي أَبَاءَ الْكَرِيمِ * وَصَبَرَ الْحَلِيمَ وَتِيَّةَ الْغَنِيِّ
وَعَوَّدَتْنِ نَزَالَ الْخُطُوبِ * فَيَا يَتْنَيْنِ وَمَا أَتْنِي
(٦) إِذَا مَا لَهَوْتُ بِلَيْلِ الشَّابِ * أَهْبَنَ بَعَزْمِي فَتَنَهْنَسْنِي

- (١) الألى : الذكى المتوقد ذكاه . (٢) الطرس : الصحيفة يكتب فيها . والمسمع (يكر الميم الأولى) : الأذن . (وبفتحها) : السمع . (٣) يريد دولة الأدب .
(٤) النسب : التشيب بالنساء وذكر حاسن في الشعر . وبى : يحفظ .
(٥) نعمن ، أى لخلال المذكورة في البيت الآتى . فإليهن وإليتنى ، أى إليهن مانعمن وإليتنى
(٦) ما شقيت . (٦) آهاب به : دماه .

(١)
 فَاِزَلْتُ اَمْرَحُ فِي قِدْحِي * وَيَمْرَحَنَّ مِنِّي بِرَوْضِ جَنِّي
 اِلَى اَنْ تَوَلَّى زَمَانُ الشَّاب * وَاَوْشَكَ عُودِي اَنْ يَتَجَنَّى
 (٢)
 فَيَا نَفْسُ اِنْ كُنْتَ لَا تُوفِّين * بِمَعْقُودِ اَمْرِكَ فَاسْتَيْفِينِ
 فَهَذِي الْفَضِيلَةُ بِجَنِّ النُّفُوس * وَاَنْتِ الْجَدِيرَةُ اَنْ تُسَجِّنِي
 فَلَا تَسْأَلْنِي مَتَى تَنْقُضِي * لِيَالِي الْاِسَارِ؟ وَلَا تَحْزَنِي

كتاب الى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

كتب به اليه من السودان

(٣)
 كَتَابِي اِلَى سَيِّدِي، وَاَنَا مِنْ وَعْدِهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالسَّلْسِيلِ، وَمِنْ تَيْبِي بِهِ فَوْقَ
 (٤) (٥)
 النَّثْرِ وَالْاِكْلِيلِ؛ وَقَدْ تَعَجَّلْتُ السُّرُورَ، وَتَسَلَّقْتُ الْحُبُورَ؛
 * وَقَطَعْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَابِ *

وَبَشَّرْتُ اَهْلِي بِالَّذِي قَدْ سَمِعْتُهُ * فَمَا عَجَنِي اِلَّا لِيَالٍ قَلَائِلُ
 (٦)
 وَقُلْتُ لَهُمُ لِلشَّيْخِ فَيَا مَسْنِيَّةً * فَلَيْسَ لَنَا مِنْ دَهْرِنَا مَا تُنَازِلُ

- (١) القَدْ (بالكسر) : السير يَفْدُ من جلد يقيد به الأسير؛ والضمير يعود على الخلال . وروض جني (تشديد الياء وخففت للشعر) ، أى أدرك ثمره واصلح لجنى . يقول : إننى فى ضيق من هذه الخلال الجديدة ، وهن فى سعة من قصى . (٢) بمعقود أمرك ، أى بما هو حتم عليك من مصيرك وما لا بد لك منه ، وهو الموت . (٣) السلسيل : اسم عين ماء فى الجنة ؛ قال تعالى : «عينا فيها تسلسل» . (٤) النثرة : اسم كوكب تسميه العرب «نثرة الأسد» ، وهى من منازل القمر . والإكليل : منزل من منازل القمر (أيضا) ، وهو أربعة أنجم مصطفة . (٥) تسلفت الحبور : طلبته مقدما قبل أوانه . (٦) نازل : قاتل .

وَجَمَعْتُ فِيهِ بَيْنَ نَفَقَةِ الزَّيْبِدِيِّ بِالصَّنَمِصَامَةِ ، وَالْحَارِثِ بِالنَّعَامَةِ ؛ فَلَمْ أَقُلْ
 مَا قَالَ الْهَذْلِيُّ لِمُصَاحِبِهِ حِينَ نَسِيَ وَعْدَهُ ، وَجَجَبَ رِقْدُهُ ؛
 * يَا دَارَ عَاتِكَةِ الَّتِي أَتَمَزَلُ *^(٥)

(١) الزبيدي ، هو عمرو بن معد يكرب الفارس المشهور . وهو من بني زبيد ، وقد أدرك الجاهلية والإسلام ، وله بلاد حسن في المزارك التي شهد بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي غيرها . والصمصامة : اسم سيفه .

(٢) الحارث ، هو ابن عباد التغلبي ، وهو من شيوخ العرب ورؤسائهم . والنعام : اسم فرسه .

(٣) يريد « بالهذلي » أبا بكر . و « مصاحبه » : أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي المعروف . ويشير الكاتب بهذا الكلام إلى ما حدث بينهما ، وكان أبو بكر الهذلي هذا من جلساء المنصور ومصاحبه ، وكان قد تمرد ألا يكلم المنصور إلا جواباً على سؤال إجلالاً له ، وروية منه ، وقد وعده المنصور ذات يوم بجائزة ، ثم تناقل عن الوفاء بوعده ، فبينما هما يسيران ذات يوم إذ مررا بدار عاتكة التي يشبها الأصوص ، فقال الهذلي للنصور : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت عاتكة التي يقول فيه الشاعر .
 * يَا دَارَ عَاتِكَةِ الَّتِي أَتَمَزَلُ *

فصحب المنصور من صاحبه كيف بدأه بالكلام على غير عادته ، وفطن إلى ما يريد الهذلي بذلك هذه الأبيات ، وهو قول الشاعر فيها :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبِمَفْهَمٍ * مَلَقَ السَّاتِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

وتذكر وعده ، فقام بوفاة لساعته . والشعر للأصوص بن محمد بن عبد الله الأنصاري من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز ، وأولها :

يَا دَارَ عَاتِكَةِ الَّتِي أَتَمَزَلُ * حَذَرَ الْعِدَا وَبِكَ الْفُرَادِ مَوَكَّلُ

إِنِّي لَأَمْنَعُكَ الْعُدُودَ وَإِنِّي * قَبْلَكَ إِلَيْكَ مَعَ الْعُدُودِ لَأَمِيلُ

ويريد الكاتب بهذا الكلام : أنه لا يذكر الأستاذ الإمام بوعده كما فعل الهذلي مع المنصور .

(٤) الرقد : العطاء والصلوة .

(٥) أتَمَزَلُ : أتجنب .

بل أناديه نداءً الأخيذة^(١) في عمورية، شجاع الدولة العباسية؛ وأمد صوتي بذكري
إحسانه، مدّ المؤذنين صوته في أذنيه؛ وأعتد عليه في البعد والقرب، اعتماد الملاح
على نجمة القطب .

وقال أصيحابي وقد هالني النوى * وهالهم أمري: متى أنت قافل^(٢)؟
فقلت: إذا شاء الإمام فأوتيني * قريب ربي بالسعادة أهل^(٣)

وهانا متماسك^(٤) حتى تتحسر هذه الغمرة^(٥)، ويتطوى أجل تلك الفترة؛ ويتظلم
سبدي نظرة ترفني من ذات الصدع^(٦)، إلى ذات الرجع؛ وتردني إلى وكري الذي
فيه درجت رد الشمس قطرة المزن إلى أصلها، ورد الوفي الأمانات إلى أهلها .

(١) الأخيذة : الأسيرة ، فعيلة بمعنى مفعولة . وعمورية : بلد من بلاد الروم فتحه المنصور بالله
ثامن خلفاء بني العباس في سنة ٨٢٢٣ . ويريد « بشجاع الدولة العباسية » : المنصور بالله السابق ذكره .
ويشير بهذا الكلام إلى امرأة من نساء المسلمين أمرها الروم في عمورية في عهد المنصور ، وكان الروم
يعذبونها ، فصاحت : رامتصاه ، فقال لها بعض الحراس سائرا بها : سيأتيك المنصور على جواد
أبيض وخلفه خيول بلق فيقتلك من أيدينا . فغضب هذا الكلام إلى الخليفة المنصور ، فأقسم أن يفتح
بلاد الروم ، ويعود بالأسيرة ؛ ثم جرد لوقته على بلاد الروم جيشا كثيفا كله خيول بلق ، وتقدمه هو على
جواد أبيض . فنكل بالروم وفتح عمورية ، ودخل على الأسيرة في سجنها واستخلصها وأعادها إلى بلادها .
(٢) النوى : البعد . وقافل : راجع . (٣) قال : « قريب » ولم يقل : « قريبة » لأنه يستعمل
في المذكر والمؤنث كما قال الله تعالى : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » . وأهل بالسعادة : عامر بها .
(٤) تتحسر هذه الغمرة ، أي تنكشف هذه المصيبة . (٥) الصدع : الشق . ويريد
« بذات الصدع » : الأرض . والرجع : المطر بعد المطر . وذات الرجع ، أي السماء . قال تعالى :
(والماء ذات الجوع والأرض ذات الصدع) . (٦) الزكر : عش الطائر ؛ والمراد به هنا :
وطئه . ودرجت : مشيت . والمزن (بضم فسكون) : السحاب . ويشير بهذه العبارة إلى ماء المطر الذي
يسقط من السماء ، فتحوّله الشمس بجزءها إلى بخار ، ثم يعود إلى أصله سحابا .

فَإِنْ شَاءَ فَالتَّوْبُ الَّذِي قَدْ رَجَوْتُهُ * وَإِنْ شَاءَ فَالْعِزُّ الَّذِي أَنَا أَمْلُ
 وَلَا فَنَائِي قَافُ (رُؤْيَا) ^(١) لَمْ أَزَلْ * بَقِيدِ النَّوَى حَتَّى تَقُولَ الْغَوَائِلُ
 فَلَقَدْ حَلَلْتُ السُّودَانَ حُلُولَ الْكَلِمِ ^(٢) فِي التَّابُوتِ، وَالْمُغَاضِبِ ^(٣) فِي جَوْفِ الْحَوْتِ؛
 بَيْنَ الضَّيْقِ وَالشَّتَةِ، وَالْوَحْشَةِ وَالْوَحْدَةِ ^(٤) . لَا، بَلْ حُلُولَ الْوَزِيرِ ^(٥) فِي تَنْوِيرِ الْعَذَابِ
 وَالْكَافِرِ فِي مَوْقِفِ يَوْمِ الْحِسَابِ؛ بَيْنَ نَارَيْنِ : نَارِ الْقَيْظِ، وَنَارِ الْغَيْظِ .
 فَتَادَيْتُ بِأَسْمِ الشَّيْخِ وَالْقَيْظُ بِجَمْرِهِ ^(٦) * يُذِيبُ دِمَاعَ الضُّبِّ وَالْعَقْلُ ذَاهِلُ
 فَصِرْتُ كَأَنِّي بَيْنَ رَوْضٍ وَمَنْهَلٍ ^(٧) * تَلِدُ الصَّبَا فِيهِ وَتَسْدُو الْبَلَابِلُ

(١) رؤيا، هو ابن العجاج بن رؤبة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . وكان هو وأبوه من رجاز الإسلام وفصحائهم المذكورين المتقدمين منهم . ومات رؤبة في أيام المنصور، وكان يصنع أكثر أراجيزه على روى القاف الساكنة، فغضب بقائه المشل في السكون وعدم الحركة؛ والمراد هنا : إن لم يدركني الأستاذ الإمام بمساعيه، فإني مستقر في هذه البلاد البعيدة لا أبرحها، كقاف رؤبة في سكونها، حتى يأتي الأحل . وفي قاف رؤبة هذه يقول أبو العلاء :

مال غدت كقاف رؤبة قيدت * في الدهر لم يقدر له إيراؤها

والغوائل : الدوام التي تأخذ الإنسان من حيث لا يدري . (٢) الكلم : نبي الله موسى عليه السلام؛ وقصة وضعه في التابوت وإلقائه في اليم وهو وليد مشمورة، وقد قصها الله تعالى في القرآن في غير موضع . (٣) يريد «المغاضب» : نبي الله يونس عليه السلام، قال تعالى في سورة الأنبياء : (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا) الآية . وقصة التقام الحوت إياه ونجده من جوفه مشمورة؛ وقد ذكرها الله تعالى في القرآن . (٤) كذا ورد ضبط هذا اللفظ بضم الواو في شرح القاموس ضبطًا بالعبرة . (٥) يريد «الوزير» : أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات، وزير الخليفةين، المستصم بالله، وابنه الواثق بالله . ويشير بهذه العبارة إلى ما يروى من أن هذا الوزير كان لشدة ظلمه قد صنع تنورا يدخل فيه من أمر يقتله مبالغة في تعذيبه، فأراد الله أن يكون هو أول من يعذب فيه حتى يموت، وذلك بأمر الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٣٣ هـ . (٦) يذيب دماغ الضب : كناية عن شدة الحر . والضب : حيوان قصير الذنب، معقده، خشن الجلد، ولونه إلى غبرة مشربة بالسواد . (٧) الصبا : ريح الشمال . وتسدو، أي تنزد .

والْيَوْمَ أَكْتُبُ إِلَيْهِ وَقَدْ قَعَدَتْ هِمَّةُ النَّجْمَيْنِ^(١) ، وَقَصُرَتْ يَدُ الْجَلِيدَيْنِ^(٢) ؛ عَنْ
 إِزَالَةِ مَا فِي نَفْسٍ ذَلِكَ الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ^(٣) ، فَلَقَدْ نَمَى ضَبٌّ ضَغْنُهُ عَلَيَّ^(٤) ، وَبَدَّرَتْ^(٥)
 بَوَادِرُ السُّوءِ مِنْهُ إِلَيَّ^(٦) ، فَأَصْبَحْتُ كَمَا مَرَّ الْعَدُوُّ وَسَاءَ الْحَجِيمُ^(٧) ، وَالْأَيْمَى كَأَنَّهَا جُلُودُ^(٨)
 أَهْلِ الْحَجِيمِ ، كُلُّهَا نَضِجَ مِنْهَا أَدِيمٌ تَجَدَّدُ أَدِيمٌ^(٩) ؛ وَأَمْسَيْتُ وَمُلْكُ أُمَامِي إِلَى الزُّوَالِ^(١٠)
 أَسْرَعُ مِنْ أَثَرِ الشَّهَابِ فِي السَّمَاءِ ، وَدَوْلَةُ صَبْرِي إِلَى الْإِصْطِحْلَالِ أَحْتُ مِنْ حَبَابِ^(١١)
 الْمَاءِ ؛ فَتَنَظَّرْتُ فِي وَجْهِهِ تِلْكَ الْعِبَادِ ، وَإِنِّي لَفَارِسُ الْعَيْنِ وَالْفُؤَادِ ؛ فَلَمْ تَقِفْ^(١٢)
 فِرَاسَتِي عَلَى غَيْرِ بَايِكَ .

(١) يريد « بالنجمين » : المشتري والزهرة ؛ وكان القدماء يعتقدون أن لها تأثيراً في قوس البشر
 يؤلفان منها ما تفرق . ويقال : قعدت همة عن كذا ، أى عجزته .

(٢) الجليدان : الليل والنهار .

(٣) يريد « بالجبار العنيد » : كتنشرباشا سردار الجيش المصرى إذ ذاك ، وكان بينه وبين حافظ
 قنود وبقوة ، حتى يقال : إنه لفضبه على حافظ كتب أمام اسمه : لا يرقى ولا يرفى .

(٤) نمى بنى وينمو : زاد .

(٥) الضب : القيط والحقد الخفى .

(٦) بدرت : أسرع . والبوادر : جمع بادرة ، وهى ما يندور من الإنسان عند حدثه من خطأ
 وسقطات ، والمراد « ببوادر السوء » : أوائله .

(٧) الحجيم : الصديق .

(٨) الأديم : الجلد . ويشير بهذه العبارة الى قوله تعالى فى صفة عذاب أهل النار :
 (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) .

(٩) أحث : أشد سرعة . وحباب الماء : فقائمه التى تكون على سطحه .

(١٠) فارس : اسم فاعل من القراسة ، وهى الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية .

وإني أهديك سلاما لو أمتزج بالسحاب ، وأختلط منه باللعاب ؛ لأصبحت^(٢)
 تنهادى بقطره الأكاسره ، وأمتست تكسره^(٣) منه الرهبان في الأديرة ؛ ولأغنى ذات^(٤)
 الجباب ، عن الغالية والملاعب ؛ ولا بدع^(٥) إذا جاد السيد بالرد ، فقد يرى وجهه^(٦)
 المليك في المرأة ، وخيال القمر في الأضائة ؛ وإن حال حائل ، دون أمنية هذا^(٧)
 السائل ؛ فهو لا يذم يومك ، ولا يئأس من غدك ؛ فانت خير ما تكون حين لا تظن^(٨)
 نفس بنفس خيرا والسلام .

(١) صوابه «أهدي لك» أو «إليك» . (٢) لعاب السحاب : مطره . (٣) قطر السحاب :
 ماؤه الذي يقطر منه . والأكاسرة : ملوك فارس . (٤) لم نجد هذا الجمع «للدبر» في مدونات
 اللغة التي بين أيدينا ؛ والذي وجدناه أن جمعه : أدبار ؛ كما في القاموس وغيره ؛ وديورة ، كما في المصباح ؛
 وهذا الجمع المذكور هنا شائع الاستعمال في كلام المعاصرين ، بل لا يستعملون غيره . وقد شبه المطر الممزج
 بسلامه بالتمر الملققة عند الرهبان ، المحفوظة في أديارهم . (٥) الغالية : نوع من الطيب مركب
 من أخلاط تقل على النار . والملاعب : كل حطرماتع ؛ وهو لفظ فارسي معرب . (٦) لا بدع ،
 أي ليس غريبا ولا أول شيء حدث . (٧) الأضائة (بفتح الهمزة وتخفيف الضاد) : الغدير ؛
 وجمعه أصوات (بالتحريك) .

المكراني

رثاء عثمان^(١) السيد أباطه بك

سنة ١٨٩٦ م

(٢) رُدَّا كُؤُوسُكُمَا عَنْ شَيْءٍ مَفْؤُودٍ * فليس ذلك يومَ الزَّاحِ وَالْعُودِ
(٣) يَا سَاقِيَّ أَرَانِي قَدْ سَكَنْتُ إِلَى * مَاءِ الْمَدَامِيعِ عَنْ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ
(٤) وَبِثَّ يَرْتَاحُ سَمْعِي حِينَ يَفْتَقُّهُ * صَوْتُ النَّوَادِبِ لَا صَوْتُ الْأَغَارِيدِ
(٥) فَأَمْسِكَ التَّرَاحَ إِنِّي لَا أَخَا مِرْهَا * وَبَلِّغَا النِّيدَ عَنِّي سَلَوَةَ النِّيدِ
ثُمَّ أَمِضِيَا وَدَعَانِي إِنِّي رَجُلٌ * قَدْ آلَ أَمْرِي إِلَى هَمٍّ وَتَسْهِيدِ
أَبْعَدَ (عُثْمَانَ) أَتَيْنِي مَأْرَبًا حَسَنًا * مِنْ الْحَيَاةِ وَحَظًّا غَيْرَ مَنكُودٍ؟

(١) عثمان أباطه بك ، هو ابن السيد أباطه باشا ، ولد في سنة ١٢٦٤ هـ - ١٨٤٨ م وأخذه والده بالمدرسة الخديوية ، ثم مدرسة الإدارة والألسن ، وهي مدرسة الحقوق في أول عهدها ، وتولى بجملة مناصب ، فكان ناظر قسم ، ثم ناظر قلم قضايا مديرية الشرقية ، واختاره المنفور له اسماعيل باشا الخديوي مفتشا لتفتيش (الزككون) وأُتم عليه بالرتبة الثانية ، وبعد أن تقلد عدة أعمال أخرى استقال منها ، وأقام ببلده (الربعمائة) بإقليم الشرقية ، وكان يتهى ملهى العطاء والأدباء والشعراء ، وكان حافظ إبراهيم بك كثير التردد عليه ، وتوفي سنة ١٨٩٦ م . وكان أبوه السيد أباطه باشا أول من نال لقب (باشا) من المصريين العرب . (٢) المقفود : مصاب القواد . والراح : الخمر . (٣) سكن الى الشيء : استراح اليه وأنس به . ويريد بماء العناقيد : الخمر . (٤) يفتقه ، أى يشقه وينفذ فيه . والأغاريد : جمع أغرودة ، وهي الأغنية . (٥) لا أخا مِرْها ، أى لا أخا لها . والنيد : جمع غيداء ، وهي المرأة المتتنية لبنا ونعمة .

- (١) إِنِّي لَبَحْزُنِي أَنْ جَاءَ يَنْشُدُهُ * دَاعِيَ الْمُنُونِ وَأَنَّى غَيْرُ مَنْشُودٍ
 (٢) أَمَسَتْ تُنَافِسُ فِيكَ الشَّهْبَ مِنْ شَرَفٍ * أَرْضٌ تَوَارَيْتَ فِيهَا يَافَتَى الْجُودِ
 لَوْلَمْ تَكُنْ سَبَقَتْكَ الْأَنْبِيَاءُ لَهَا * قُلْنَا بِأَنَّكَ فِيهَا خَيْرٌ مَلْجُودِ
 (٣) وَوَدَّتِ الرَّجُلُ لَوْ كَانَتْ مُسَخَّرَةً * لِحِمْلٍ نَشِئَكَ عَنْ هَامِ الْأَمَاجِيدِ
 وَالشَّمْسُ لَوْ أَنَهَا مِنْ أَقْفِهَا هَبَطَتْ * وَأَثَرَتْ مَعَكَ سُكْنَى الْفَقْرِ وَالْيَدِ
 (٤) وَقَدْ تَمَنَّى الضُّحَى لَوْ أَنَّهُمْ دَرَجُوا * هَذَا الْفَقِيدَ بِثَوْبٍ مِنْهُ مَقْدُودِ
 (٥) يَا رَاحِلًا أَكْبَرْتَكَ الْحَادِثَاتُ وَمَا * أَكْبَرَتْهَا عِنْدَ تَلَيُّنٍ وَتَشِيدِ
 (٦) أَبَكَيْتَ حَتَّى الْمَلَا وَالْمَكْرَمَاتِ وَمَا * جَفَّتْ عَلَيْكَ مَا قَى الْخُرْدِ الْخُودِ
 (٧) وَبَاتَ آلُكَ وَالْأَصْحَابُ كُلُّهُمْ * عَلَيْكَ مَا يَبْنَ عَمُودٍ وَمَعْمُودِ
 (٨) يَكُونُ فَقَدْ أَمْرِي لَخَيْرٍ مُنْتَسِبٍ * بِالْبَشْرِ مُتَقَبٍ فِي النَّاسِ مَحْمُودِ
 (٩) (بَنِي أَبَاظَةَ) لَا زَالَتْ دِيَارُكُمْ * أَفَقَ الْبُدُورِ وَغَابًا لِلصَّنَائِدِ

(١) ينشده : يطلبه . والمنون : الموت . (٢) «تنافس فيك الشهب» الخ ، أى فنافسها بدفئك فيها . والشهب : النجوم . (٣) الهام : الروس ، الواحدة هامة .
 (٤) درجوا : لقوا . والمقدود : المقطوع . (٥) يقول : إن حوادث الأيام قد أكبرت حمة الفقيد وأعظمت خطره فلا تحل به رهبة منه ، وما كان هو يكرها ولا يحسب لها حسابا لصغرها عن همة . (٦) يريد بالمآق : العيون . والخرد : جمع نريدة ، وهى البكر التى لم تمس . والخود : بضم الخاء جمع خود فتحتها ، وهى الشابة الحسنة . (٧) المعمود : من أصيب في عمود قلبه ، أى صميمه . (٨) المنتقب : لابس الثقاب ، وهو البرقع ، شبه به ما يبدو على الوجه من بشاشة واستبشار . (٩) بنو أباطة : أسرة معروفة ينتهى نسبها إلى بنى العائد ، بطن من طي (وكفر المائد بإقليم الشرقية معروف) وقد حضرت هذه الأسرة من العراق إلى مصر مع الشيخ محمد أبى مسلم ، وذلك مدسقوط بغداد فى يد (هولاكو) ملك التتار أيام الخليفة المستعصم ، ولقيت هذه الأسرة بأباطة لأن أهمهم كانت من قبيلة شركسية يقال لها : أباطة ، فنسبوا إليها .

لَا قَدَّرَ اللَّهُ بَعْدَ الْيَوْمِ تَعْرِيفَةً * إِلَّا هَنَاءً عَلَى عِزٍّ وَتَحْلِيدَ
وَعَظَمَ اللَّهُ فِي (عُثْمَانَ) أَجْرَكُمْ * فِي رَحْمَةِ اللَّهِ أَمْسَى خَيْرَ مَقْمُودٍ

رثاء سليمان أباطه باشا^(١)

[قلت في سنة ١٨٩٧ م]

(٢) أَيَهَذَا الثَّرَى إِلَّا مَ الْتَمَّادِي * بَعْدَ هَذَا أَأَنْتَ غَرْثَانُ صَادِي
أَنْتَ تَرَوِي مِنْ مَدْمَعِ كُلِّ يَوْمٍ * وَتُعْدِي مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
قَدْ جَعَلْتَ الْأَنَامَ زَادَكَ فِي الدَّهْرِ * بِرٍ وَقَدْ آذَنَ الْوَرَى بِالنَّفَادِ
(٣) فَالْتِمِسْ بَعْدَهُ الْمَجْرَةَ وَرِدًّا * وَتَزَوَّدْ مِنَ النُّجُومِ بَرَادِ
(٤) لَسْتُ أَدْعُوكَ بِالتُّرَابِ وَلَكِنْ * بِقُدُودِ الْمِلَاحِ وَالْأَجْيَادِ
(٥) بِقُدُودِ الْحِسَانِ ، بِالْأَعْيُنِ النَّجْدِ * لِي ، يَتْلُكَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْجَادِ
لَمْ تَلِدْنَا (حَوَاءُ) إِلَّا لِنَشْقَى * لَيْتَهَا عَاطِلٌ مِنَ الْأَوْلَادِ
(٦) أَسَلَّمْتَنَا إِلَى صُرُوفِ زَمَانٍ * ثُمَّ لَمْ تُوصِهَا بِحِفْظِ الْوِلْدَانِ

(١) انظر التعريف بسليمان أباطه باشا في الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٧ من الجزء الأول .

(٢) الثرثان : الخائن . والصادي : الظلمان . يريد مداراة الثرى على موارد الأجساد وإيلاء

الجسوم . (٣) المجرة : نجوم كثيرة يتشعروها في السماء قترى كأنها بقعة بيضاء .

(٤) القُدود : جمع قُد ، وهو القامة . والأجباد : جمع جيد ، وهو العنق . يريد بهذا البيت والذى

بعده : أن يسمى التراب بقُدود الملاح وأجبادها وخدودها وعبونها ... الخ ، لأنها فُتيت فيه فصارت منه .

(٥) النجل : الواسعة . (٦) صروف الزمان : نوائبه وتقلباته .

- (١) أَيُّهَا الِّيمُ كَمْ بِقَاعِكَ نَفْسٌ * فَيْكَ أَوْدَتَ مِنْ عَهْدِ ذِي الْأَوْتَادِ
 قَدْ تَحَالَفَتِ وَالْتَرَابَ طَيْنَا * وَتَقَاسَمْتُمَا فَنَاءَ الْعِبَادِ
 (٢) خَبَرْنَا جُهِينَ لَا تَكْذِبُنَا * مَا الَّذِي يَفْعَلُ الْيَلَى بِالْجَوَادِ؟
 (٣) كَيْفَ أَمْسَى وَكَيْفَ أَصْبَحَ فِيهِ * ذَلِكَ الْمُنْعَمُ الْكَثِيرُ الرَّمَادِ
 رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ لَفْظًا شَيْئًا * كَانَ أَحْلَى مِنْ رَدِّ كَيْدِ الْأَعَادِي
 (٤) رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ طَرَفًا تَقِيًّا * وَبَيْنَمَا تَسِيلُ سَبِيلَ الْغَوَادِي
 (٥) رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ شَهْمًا وَفِيًّا * كَانَ مِلءَ الْعُيُونِ فِي كُلِّ نَادِي
 أَلْهَمَ اللَّهُ فِيكَ صَبْرًا جَبِيلًا * كُلُّ مَنْ بَاتَ نَاطِقًا بِالضُّبَادِ
 (٦) بَيْتٌ فِي حُلَّةِ النَّعِيمِ وَبَيْنَا * فِي ثِيَابٍ مِنَ الْأَمْسَى وَالسُّهَادِ
 وَسَكَنَتِ الْقُصُورُ فِي بَيْتِ خُلْدٍ * وَسَكَّنَا عَلَيْكَ بَيْتَ الْحِدَادِ

(١) اليم: البحر، و«نفس» (بالجر) على قول بعض النحويين، والنصب أرجح، للفصل بين «كم» وتمييزها بالجازر والمجرور. وأودت: هلكت. وذو الأوتاد: لقب لفرعون ورد ذكره في القرآن.

(٢) جهين، يريد جهينة، وهي قبيلة من قضاة. ويشير الشاعر إلى المثل المعروف: «وعند جهينة الخبر اليقين». - يضرب لمن يعرف الأمور على حقيقتها، وأمله من قول الشاعر:

تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخسر اليقين

والجواد: الكريم.

(٣) فيه: أي في «اليلى» السابق في البيت الذي قبله. وكنى «بكثرة الرماد» من سعة جوده، وكثرة إطعامه للناس.

(٤) الغوادي: السجب تنشا غدوة؛ الواحدة غادية.

(٥) ملء العيون، كناية عن هبة الناس إياه وإعظامهم له إذا رأوه.

(٦) الأمسى: الحزن.

وقال يرثيه أيضا :

(١) لا وَالْأَمْسَى وَتَلْهَبِ الْأَحْشَاءُ * مَا بَاتَ بِعَدِّكَ مُعْجَبٌ بِوَفَاءِ
أَنِّي حَلَلْتُ أَرَى عَلَيْكَ مَا تَمَى * فَلَمَنْ أَوْجَهُ فِيكَ حُسْنَ عَزَائِي؟
(٢) لَيْبِكَ، أَمْ لِدَوِيكَ، أَمْ لِلْكُونِ، أَمْ • لِلدَّهْرِ، أَمْ لِمَجَاعَةِ الْجَوَزَاءِ؟
(٣) أَوْدَى (سُلَيْمَانُ) فَأَوْدَى بَعْدَهُ * حُسْنُ الْوَفَاءِ وَهَجَّةُ الْعُلِيَاءِ
لَا تَحْمِلُوهُ عَلَى الرِّقَابِ فَقَدْ كَفَى * مَا حُمِلَتْ مِنْ مَنِيَّةٍ وَعَطَاءِ
(٤) وَذَرُّوْا عَلَى نَهْرِ الْمَدَامِجِ نَعَشَهُ * يَسْرِي بِهِ لِلرَّوَضَةِ الْقَيْحَاءِ
(٥) تَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِ أَعْوَادَهُ • مُذْ لَامَسَتْهُ لَأَوْرَقَتْ لِلرَّثَائِ
حُلُقُ كَضَمِّهِ الْبَدْرِ، أَوْ كَالرَّوِضِ، أَوْ • كَالزُّهْرِ، أَوْ كَالنَّجْمِ، أَوْ كَالْمَاءِ
(٦) وَشِمَالُ لَوْ مَا زَجَّتْ طَبَعَ الدَّبْحِ • مَا بَاتَ يَشْكُوهُ الْمُحِبُّ الْآثَائِ
وَعَمَامِدُ نَسَجَتْ لَهُ أَكْفَانَهُ * مِنْ عَقْفَةٍ، وَسَمَاحَةٍ، وَبَابَاءِ
(٧) وَمَنَاقِبُ لَوْلَا الْمَهَابَةُ وَالثَّقَى * قُلْنَا مَنَاقِبُ صَاحِبِ الْإِسْرَاءِ
(٨) وَعَزَائِمُ كَانَتْ تَقُلُّ عَزَائِمُ الْ • الْأَحْدَاثِ، وَالْأَيَّامِ، وَالْأَعْدَاءِ

(١) الأُمسَى : الحزن . وقوله : « ما بات » الخ ، أى لم يبق بعد موتك وفاء يعجب به أحد من الناس .

(٢) الجوزاء : برج فى السماء معروف . ويريد « جماعه الجوزاء » : الكواكب التى يتألف منها

هذا البرج . (٣) أودى : هلك . (٤) القيعاء : الواسعة ؛ ويريد بها منزله فى الجنة .

(٥) أهواده : يريد أعواد نعشه . (٦) الثانى : البعيد . يريد أنه لو كان ليل أخلاته

وسجاءه ماشكا العاشق طولها عليه ومعهده فيه . (٧) صاحب الإسراء : رسول الله صلى الله

عليه وسلم . (٨) تقل : تمل . والأحداث : حوادث الزمن وشذائده .

عَطَلْتَ فَنَ الشَّعْرِ بَعْدَكَ وَأَنْطَوَى * أَجَلَ الْقَرِيضِ وَمَوْسِمَ الشُّمْرِاءِ
 (١)
 وَاللُّؤْلُؤَ أَسْتَعَصَى عَلَيْنَا نَظْمُهُ * بُسْمُوطٍ مَدِجٍ أَوْ سُمُوطٍ هَنَاءِ
 (٢)
 إِلَّا عَلَى طَرْفٍ بَكَالِكَ وَشَاعِيرٍ * أَحْيَا عَلَيْكَ مَرَايِيَ الْخَنَسَاءِ
 (٣)
 شَوْقُنَا لِلتَّرِيبِ بَعْدَكَ وَاشْتَهَى * فِيهِ الْإِقَامَةَ وَاحِدُ الْعُدَاءِ
 (٤)
 ثَبَّتْ فُؤَادَكَ يَا قَلِيلَ تَصَبُّرِي * وَأَشْرَحَ (لَا لِي أَبَاطِلِي) بُرْحَانِي
 فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بَاتَ عَزِيزُهُمْ * ضَيْقًا بِسَاحَةِ أَكْرَمِ الْكِرْمَاءِ

رثاء الملكة فكتوريا^(٥)

[نشرت في ٢٤ يناير سنة ١٩٠١ م]

أُعْزَى الْقَوْمَ لَوْ تَتِمُّعُوا عِزَّائِي * وَأَعْلُنْ فِي مَلِكَتِهِمْ رِثَائِي
 وَأَذْهَبُوا الْإِنْجِلِيزَ إِلَى الرِّضَاءِ * بِحُكْمِ اللَّهِ جَبَّارِ السَّمَاءِ
 فَكُلُّ الْعَالَمِينَ إِلَى فَنَاءِ

- (١) السموط : جمع مبط (بالكسر) ، وهو خيط النظم ، مادام فيه الخب ، فإذا لم يكن فيه فهو سلك .
 (٢) الخنساء : هي تماضر بنت عمرو بن الحارث ، وتكنى أم عمرو . و الخنساء : لقب ظب عليها ،
 وأكثر شعرها في رثاء أخوتها معاوية ومضر ، فحضر بها المثل في الحزن . وقد ثبت في الجاهلية ،
 وأدركت الإسلام . وأسلمت . وتوفيت في أول خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ٨٢٤ .
 (٣) واحد العداء : عيسى المسيح عليه السلام ، إشارة إلى أنه في السماء ، فهو يود أن يستبدل بها
 الأرض لشرها بدفن الفقيد فيها . (٤) البرحاء : شدة الحزن والمناة .
 (٥) الملكة فكتوريا ، هي الكسندرينا بنت ادوارد ، وهو الدوق كينيت ، رابع أبناء الملك جورج
 الثالث . ولدت سنة ١٨١٩ م ، وتولت عرش إنجلترا في سنة ١٨٣٧ م ، وتوفيت سنة ١٩٠١ م .

أَشْمُسُ الْمُلْكِ أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ * هَوَتْ أَمْ تَلَكِ مَالِكَةُ الْبَحَارِ

(١)

فَطَرُفُ الْغَرْبِ بِالْعَبْرَاتِ جَارِي * وَعَيْنُ السِّمِّ تَنْظُرُ لِلْبُحَارِ

بَنْظَرَةٍ وَاحِدَةٍ قَلِيلِي الرَّجَاءِ

أَمَّا لِكَلَّةِ الْبَحَارِ وَلَا أُبَالِي * إِذَا قَالُوا تَقَالَى فِي الْمَقَالِ

فِيثَلْ عَلَاكِ لَمْ أَرْ فِي الْعَالِ * وَلَا تَأْجَا تَأْجِيكِ فِي الْجَلَالِ

وَلَا قَوْمًا كَقَوْمِكَ فِي الدَّهَاءِ

(٢)

مَلَأَتْ الْأَرْضَ أَهْلَامًا وَجُنْدًا * وَشَدَّتْ لِأُمَّةِ (السَّكُونِ) مَجْدًا

(٣)

وَكُنْتَ لِقَالِهَا يُمْنًا وَسَعْدًا * تَرَى فِي نُورِ وَجْهِكِ إِنَّ تَبْدَى

سَعُودَ الْبَدْرِ فِي بُرْجِ الْهَنَاءِ

(٤)

وَكُنْتَ إِذَا تَعَمَّدْتَ لِأَخْذِ نَارِ * أَسَلْتَ الْبَرَّ بِالْأَسْدِ الضُّوَارِي

(٥)

وَسَيَّرْتَ الْمَدَائِنَ فِي الْبَحَارِ * وَأَمْطَرْتَ الْعُدُوَّ شِوَاظَ نَارِ

(٦)

وَذَرَيْتِ الْمَعَاقِلَ فِي أَلْهَوَاءِ

(١) اليم : البحر . والواجد : الحزين . والمعنى أن البحر ينظر إلى البوارج الإنجليزية نظرة قلق على مستقبلها بعد موت الملكة فكتوريا . (٢) السكون : صف من الفزاة الذين وفدوا إلى بريطانيا مع الإنجليز من الشرق ، من الدنمارك وشمال ألمانيا الغربي ، بعد جلاء الرومان عنها سنة ٤١٠ م . وقد انتشروا في الجزيرة بالتدريج ، وبأدبهم السكان الأصليين ، ومن بين قرأى جبال الغالة أو إلى غيرها من الجهات القاصية ؛ وكان الإنجليز والسكسون يعيشون أول الأمر في ولايات مستقلة منفصل بعضها عن بعض ، ثم ما لبثوا أن اتحدت كلتهم ، وأترفوا بالزمامة لأعظم ولاية من بين تلك الولايات ، وهي ولاية وسكس ، وثقبت ولايتها في أوائل القرن التاسع بالملك . (٣) تبدى ، أى بدا وظهر . (٤) « أسلت الخ » أى جعلت البريسيل بالشجمان كما يسيل الماء . والضواري : البحرية التي تقودت الصيد ولازمة . (٥) يريد « بالمداين » : السفن الكبيرة . وشواظ النار : بالغم وبالكسر : حرها ولهبها . (٦) ذريت المعاقل ، أى نسفت الحصون وقرقت أجزائها في الهواء .

(١)
أُعَزِّي فِيكَ تَاجَكَ وَالسَّيْرَى * أُعَزِّي فِيكَ ذَا الْمَلِكِ الْكَبِيرَا
(٢)
أُعَزِّي فِيكَ ذَا الْأَسَدِ الْهَاصُورَا * عَلَى الْعَلَمِ الَّذِي مَلَكَ الدُّهُورَا
وَنَظَّلَ تَحْتَهُ أَهْلَ الْوَلَاءِ

(٣)
أُعَزِّي فِيكَ أَبْطَالَ النَّزَالِ * وَمَنْ قَاسُوا الشَّدَائِدَ فِي الْقِتَالِ
(٤)
وَالْقَوَا بِالْعُدُوِّ إِلَى الْوَبَالِ * وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ
(٥)
لَهَيْبُ الصَّيْفِ أَوْ قُرُ الشَّيْءِ

(٦)
بَيْتَانِ كَتَبَا عَلَى قَبْرِ السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَوَاكِبِي

فِي سَنَةِ ١٩٠٢ م

هُنَا رَجُلُ الدُّنْيَا، هُنَا مَهِيظُ الْتَقَى * هُنَا خَيْرُ مَظْلُومٍ، هُنَا خَيْرُ كَاتِبٍ
(٧)
قِفُوا وَأَقْرَعُوا أُمَّ الْكِتَابِ وَسَلُّوا * عَلَيْهِ فَهَذَا الْقَبْرُ قَبْرُ (الْكَوَاكِبِي)

- (١) يريد « بالملك الكبير » ادوارد السابع ابن الملكة فيكتوريا .
(٢) الأسد : رمز متخذ للدولة الإنجليزية . والمصور : الكاسر . (٣) الصحيح « قاسوا » ،
بفتح السين وسكون الواو ، وضم السين في هذا البيت لضرورة الوزن . (٤) الوبال : الهلاك .
(٥) القر (بضم القاف) : البرد . يريد : أن الحر والبرد لم يمنعا من تسلق الجبال .
(٦) ولد السيد عبد الرحمن الكواكبي بحلب سنة ١٢٦٥ هـ ، وتعلم على أساتذة عصره علوم الأدب
والشريعة ، وطالع من الكتب ما يتعلق منها بعلوم الاجتماع من تاريخ وفلسفة ، ثم درس بعض العلوم الطبيعية
والرياضية ، فنال من ذلك حظا وافرا ، وساح في بلاد العرب وشرق أفريقيا وبعض بلاد الهند ، وألف
كتابه المشهور (أم القرى) و (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) ، وتوفي في سنة ١٩٠٢ م
(٧) أم الكتاب : الفاتحة .

رثاء محمود سامي البارودي^(١) باشا

[نشرت في ٢٢ يناير سنة ١٩٠٥]

- (٢) ردوا على بياني بعد (محمود) * إني عييت وأعب الشعر مجهود
 ما للبلاغة غصبي لا تطاوعني * وما لجبيل القوافي غير تمدود؟
 ظننت سكوتي صفحا عن مودته * فأملتني إلى هم وتسييد
 ولو درت أن هذا الخطب أغمي * لا طلقت من لساني كل معقود
 لييك يا مؤنس الموتى وموحشنا * يا فارس الشعر والهيجاء والجود
 ملك القلوب - وأنت المستقل به - * أبقى على الدهر من ملك (ابن داود)
 لقد تزحت عن الدنيا كما تزحت * عنها ليالك من بيض ومن سود
 أغمضت عينيك عنها وأزدرت بها * قبل المات ولم تحفل بوجود
 لييك يا شاعرا ضن الزمان به * على النهى والقوافي والأنشيد

- (١) انظر التعريف بالبارودي في الحاشية رقم ١ من صفحة ٧ ج ١ (٢) ردوا على بياني، أى أعيدوه إلى بعد أن عزب عني من هول المصاب . وعي يعب (من باب رضى) : كل تعب .
 (٣) أى ظننت البلاغة سكوتي عن رثاء الفقيه إعرافا عن مودته وتناسيا لصحبته فتركته أعذب بالهم والمهر .
 (٤) أغمي : أسكته وعقد لسانه . (٥) الهيجاء : الحرب .
 (٦) يريد « بابتن دارده » : نبى الله سليمان عليه السلام ، وبه يضرب المثل في سعة الملك .
 (٧) تزحت : بعدت . والبيض والسود : إشارة إلى أيام نعم فيها البارودي بالمرز والجاه ، وأخرى شق فيها بالأمرو وكف البصر ومصادرة المال والنهى . (٨) يشير بقوله : « أغمضت عينيك » إلى أن الفقيه كان قد كف بصره في آخر حياته فعاش ضريرا . وأزدرت بها : احتقرتها واستخففت بها . ولم تحفل : لم تبال . (٩) النهى : المقول ؛ الواحدة نهي (بالضم) .

- (١) تَجْرِي السَّلَاسَةُ فِي أَثْنَاءِ مَنَظِّهِ * تَحْتَ الْفَصَاحَةِ بَحْرَى الْمَاءِ فِي الْعُودِ
(٢) فِي كُلِّ بَيْتٍ لَهُ مَاءٌ يَرِفُ بِهِ * تَغَارُ مِنْ ذِكْرِهِ مَاءُ الْعَنَاقِيدِ
لَوْ حَظَّوْكَ بِشِعْرِ أَنْتَ قَائِلِهِ * غَنِيَتْ عَنْ نَفْعَاتِ الْمِسْكِ وَالْعُودِ
(٣) حَلِيَّتِهِ بِمَدِّ أَنْ هَدَبْتَهُ بِسَنَا * عَقْدٍ بِمَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ مَنْصُودِ
(٤) كَفَالِكَ زَادًا وَزَيْنًا أَنْ تَسِيرَ إِلَى * يَوْمِ الْحِسَابِ وَذَلِكَ الْعَقْدُ فِي الْجِيدِ
لَيْتَكَ يَا خَيْرَ مَنْ هَزَّ الْيَرَاعَ، وَمَنْ * هَزَّ الْحُسَامَ، وَمَنْ لَبَّى، وَمَنْ تُودَى
(٥) إِنْ هَدَّ رُكْنُكَ مَنُكُوبًا فَقَدْ رَفَعْتَ * لَكَ الْفَضِيلَةَ رُكْنًا غَيْرَ مَهْدُودِ
إِنَّ الْمَنَاصِبَ فِي عَزْلِ وَتَوَلِّيَةٍ * غَيْرِ الْمَوَاهِبِ فِي ذِكْرِ وَتَحْلِيلِ
(٦) أَكْرَمَ بِهَا زَلَّةً فِي الْعُمُرِ وَاحِدَةً * إِنْ مَعَ أَنَّكَ فِيهَا غَيْرُ مَحْمُودِ
(٧) سَلُّوا الْجَاهِلَ قَضَتْ أَرْبَابُهُ وَطَرًّا * دُونَ الْمَقَادِيرِ أَوْ فَازَتْ بِمَقْصُودِ

(١) السلامة : الرقة والانسجام .

(٢) يقال : رف النبات يرف رفيقا ، إذا كثر ماؤه من النضرة والفضاضة واهتز وتمايل . وقد شبه به أبيات البارودي في حسن رونقها وطلاوتها . وماء العناقيد : النمر . (٣) السنا : النور . والمنصود : المنظوم . ويشير بهذا إلى قصيدة البارودي التي عارض بها قصيدة البوصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ومماها : (كشف الغمة في مدح خير الأمة) وأولها :

ياسارى البرق يسم دائرة العلم * واحد النعام إلى حى بذى سلم

(٤) الجيد : العنق . (٥) يشير إلى ما نكب به البارودي في حياته من عزله من مناصب الحكومة ، وبقية ، وغير ذلك .

(٦) بريد «بالزلة» اشتراك الفقيه في الثورة الموازية .

(٧) الجا : العقل . والوطر : الحاجة . أى إن القول وإن رجع وأبى لا تملك مع المقادير شيئا .

- (١) كُنْتَ الْوَزِيرَ وَكُنْتَ الْمُسْتَعَانَ بِهِ * وَكَانَ هَمُّكَ هَمَّ الْقَادَةِ الصَّيْدِ
(٢) كُمْ وَقْفَةٍ لَكَ وَالْأَبْطَالُ طَائِرَةٌ * وَالْحَرْبُ تَضْرِبُ صَنِيدًا بِصَنِيدٍ
(٣) تَقُولُ لِلنَّفْسِ إِنَّ جَاشَتْ إِلَيْكَ بِهَا * هَذَا بِجَالِكَ سُودَى فِيهِ أَوْ يَدَى
(٤) نَسَخَتْ (يَوْمَ كَرِيدٍ) كُلَّ مَا تَقْلُوا * فِي يَوْمٍ (ذِي قَارٍ) عَنْ (هَانِي بْنِ مَسْعُودٍ)
(٥) نَظَّمْتَ أَعْدَاكَ فِي سِلَكِ الْفَنَاءِ بِهِ * عَلَى رَوَى وَلَكِنْ غَيْرُ مَعْهُودٍ
(٦) كَانَتْهُمْ كَلِمٌ وَالْمَوْتُ قَافِيَةٌ * يَرْمِي بِهِ عَرَبِيٌّ غَيْرُ رَغِيدٍ
(٧) أَوْدَى (الْمَعْرَى) تَقَى الشَّعِيرَ مُؤْمِنُهُ * فَكَادَ صَرَحَ الْمَعَالِي بَعْدَهُ يُودَى

(١) الصيد : جمع أسيد، وهو الزارع رأسه كبرا وزهوا . (٢) طائرة : أى موبلة فى سرعة من الخوف والفرح . والصنيد : البطل الشجاع . (٣) جاشت النفس : اضطربت من الخوف . وبها ، أى بالحرب ، وبأيدى : هلك . (٤) فى سنة ١٨٦٦ م انتفض أهل جزيرة كريد على الدولة العلية : فأرسلت مصر جيشا لمساعدتها على تأديهم . وكان البارودى « رئيس ياور حرب » وقد أبدى هناك من الشجاعة والإقدام والدهاء والحزم ما أطلق الألسنة بمدحه والإعجاب به ، وقد أبلى الجيش المصرى فى إخماد تلك الثورة البلاء الحسن حتى أحمدها ، وكان قائد تلك الحملة المصرية شاهين باشا ، ومعهما خمسة آلاف مقاتل . ويوم ذى قار : يوم كان بين بكرين وائل والفرس ، وهو من أعظم أيام العرب وأبلغها أثرا فى انتصاف العرب من المعجم . وذوقار ، هو الموضع الذى وقعت فيه هذه الواقعة ، وهو بين الكوفة وواسط . وقد ذكر الشاعر هنا هانى بن مسعود ، والمعروف فى هذه الحرب هو هانى بن قبيصة ابن هانى بن مسعود الشيبانى ، وكان من قواد العرب الذين اشتهروا فى هذه الواقعة ، وهو الذى أودع عنده النعمان بن المنذر ودأبته ، وبسبب ذلك وقعت هذه الحرب . (٥) به ، أى يوم كريد . والروى : الحرف الذى تبقى عليه القصيدة . جعل وقوع القتلى قتلا بجانب قتيل كآيات القصيدة يضم فيها البيت الى مثله على روى واحد ، ولكن التقيد قد نظم أعداءه فى سلك الموت على روى مبتدع لم يعده الناس من قبل . (٦) الرعيد : الجبان . وشبه الموت الذى عم الأعداء بالقافية ، لاحتدادها فى جميع آيات القصيدة . (٧) أودى : هلك . والمعرى ، هو أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف المعروف ، شبه به البارودى فى شعره المشتمل على الموعظة والحكمة . والصرح : كل بناء عال . ويودى ، أى يهدم وينقض .

وَأَوْحَشَ الشَّرْقُ مِنْ فَضِيلٍ وَمِنْ أَدَبٍ * وَأَقْفَرَ الرُّوحُ مِنْ شَدِيدٍ وَتَغْيِيرِدٍ
 (١) وَأَصْبَحَ الشَّعْرُ وَالْأَسْمَاعُ تَلْبِثُهُ * كَأَنَّهُ دَسَمٌ فِي جَوْفٍ مَمْعُودٍ
 (٢) أَلْوَى بِهِ الضَّعْفُ وَاسْتَرْخَتْ أَعْيُنُهُ * فَرَّاحَ يَعْتَرُّ فِي حَشْوٍ وَتَغْيِيدٍ
 (٣) وَأَنْكَرَتْ نَسَمَاتُ الشُّوقِ مَرَبَّعَهُ * تُثِيرُهَا خَطَرَاتُ الْخُرْدِ الْخُودِ
 (٤) لَوْ أَنْصَفُوا أَوْدَعُوهُ جَوْفَ لُؤْلُؤَةٍ * مِنْ كَثَرِ حِكْمَتِهِ لَا جَوْفَ أُخْدُودِ
 (٥) وَكَفَّنُوهُ بِدَرَجٍ مِنْ جَعَائِفِهِ * أَوْ وَاصِحٍ مِنْ قَيْصِ الصَّبِيحِ مَقْدُودِ
 (٦) وَأَنْزَلُوهُ بِأُنْفٍ مِنْ مَطَالِيعِهِ * فَوْقَ الْكَوَاكِبِ لَا تَحْتِ الْجَلَامِيدِ
 (٧) وَنَاشَدُوا الشَّمْسَ أَنْ تَنْتَ عَمَاسَتَهُ * لِلشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالْأَمْصَارِ وَالْيَدِ
 (٨) أَقُولُ لِلْمَلِإِ الْفَائِدَى بِمَوْصِيهِ * وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ مَكْبُودٍ وَمَقْدُودِ
 (٩) غُضُّوا الْعُيُونَ فَإِنَّ الرُّوحَ يَصْحَبُكُمْ * مَعَ الْمَلَائِكِ تَكْرِيماً (أَمْهُودِ)

- (١) المَعْدُود : الذى اعتلت معدته فلا يستترى ما يأكله . (٢) ألْوَى بِهِ : ذهب به .
 والأعنة : جمع عانة (بالكسر) ، وهو سير الجمام . وكفى باسترخاء أعنة الشعر عن ضعف بئانه ، وركاكة
 ألقائه ، واضطراب نظمه . والحشو : فضول الكلام الزائدة عن الغرض .
 (٣) مرَبَّعَهُ : منزله . والأصل في المربع : المنزل يقام فيه في وقت الربيع . والخرد : جمع شريدة ،
 وهى العذراء . والخود (بالضم) : جمع خود (بالفتح) ، وهى الشابة الحسنة الخلقة . والمراد أن الفزل
 والنسب في الشعر قد ذهبا بذهاب البارودى .
 (٤) الأخدود : الحفرة المستطيلة في الأرض ، يريد بها القبر . (٥) الدريج (بالفتح) :
 ما يكتب فيه . والمقدود : المشقوق . (٦) الجلاميد : الصغور ؛ الواحد جلود .
 (٧) اليد : الفلوات ؛ الواحدة يدا . (٨) الملا : الجماعة . والمكبود : المصاب
 في كبده . والمقدود : المصاب في فؤاده . (٩) يريد « بالروح » : الروح الأمين ، وهو جبرئيل
 عليه السلام .

- (١١) يَا وَيْحَ الْقَبْرِ قَدْ أَخْفَى سَنَا قَمِير * مَقْمِعِ الْوَجْهِ غُشُودِ التَّجَالِيدِ
(١٢) يَا وَيْحَهُ حَلَّ لَيْسَ دُورِ قَرِيحَتِهِ * لَهَا يَحْذِرُ الْمَعَالَى أَلْفَ مَوْلُودِ
(١٣) فَرَاثُكَ نَحْدُ لَوْ شَاءَ أَوْدَعَهَا * غُصَيِ الْجَدِيدِ بِجَلَاتِ الْمَوَالِيدِ
(١٤) كَانَهَا وَهَى بِالْأَلْفَاظِ كَاسِيَةً * وَحُسْنُهَا يَنْ مَشْهُودِ وَغُشُودِ
(١٥) لَأَيُّ خَلْفَ بِالْوَرْدِ قَدْ أَسْقَتْ * فِي يَتِّتِ يُعْقَانُ تَسْتَوِي نَبِي الْعِيدِ
(١٦) (مَحْمُودُ) إِنِّي لَأَسْتَحْيِكَ فِي كُلِّى * حَيًّا وَمَيِّتًا وَإِنْ أَبَدْتُ تَقْصِيدِي
(١٧) فَاغْزِرْ قَرِيضَى وَأَغْزِرْ فَيْسَكَ قَائِلَهُ * كَلَامُهَا يَنْ مَضْعُوفِ وَغُشُودِ

(١) سَنَا القبر: ضوئه . ومقمع الوجه : يجميل كده ، كان كل قسم منه أخذ قسطا من الجمال . وتجاليد الإنسان : جسمه وبدنه .

(٢) (دور (دنا) : بمعنى الذى ، فى لغة طين . والخرد (الكسر) : البيت . ويريد بقوله : « ألف مولود » : فصائده .

(٣) الفرائد : الجواهر النفيسة ، لأنها مفردة فى نوعها . والخرد : اللائى التى لم تستب ، الواحدة نريدة ؛ شبه فصائده بالفرائد الخرد فى قياسها وصيانتها عن الابتلال . وغصى الجديد : من يقيد المعانى الجديدة التى يتكررها الثمراء . ويريد بقوله : « لو شاء » الخ : أن له مالى مبتدعة جديدة أن تسجل باسمه كما تسجل المواليد .

(٤) كاسية ، أى حالة منجدة كما يجمل الإنسان بكسائه .

(٥) الدهقان (بالكسر ويضم) : الثبور ، فارسي معرب . والغيد : جمع غداة ، وهى المرأة الشابة لينا . وقد شبه فى هذا البيت المعانى فى شعر التقييد باللائى ، والألفاظ بالبور فى أنها تشفى عما تضمنت من المعانى كما يشفى البور عما وراعه .

(٦) قصيد الشاعر (بالضميف) : واصل عمل القصائد وأطال .

(٧) المضموع : الضعيف . والمحدود : المحروم والمنع من الخير . والمراد أنه حرم الإجابة فى رثاء الفقيد .

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده^(١)

[نشرت في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٠٥ م]

- (٢) مَسْلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ * سَلَامٌ عَلَى أَيَّامِهِ النَّصْرَاتِ
 عَلَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا، عَلَى الْعِلْمِ وَالْحِجَا * عَلَى الْبِرِّ وَالْتِقْوَى ، عَلَى الْحَسَنَاتِ
 لَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى طَائِدَى الْمَوْتِ قَبْلَهُ * فَأَصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
 فَوَالْهَنَى - وَالْقَبْرِ بَنَى وَبَيْنَهُ - * عَلَى نَفْسَةٍ مِنْ تِلْكَمُ النَّظَرَاتِ^(٣)
 وَقَفْتُ عَلَيْهِ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعًا * كَأَنِّي حَيَالُ الْقَبْرِ فِي عَرَافَاتِ^(٤)
 لَقَدْ جَهِلُوا قَدْرَ الْإِمَامِ فَأَوْدَعُوا * تَجَالِيْسَهُ فِي مُوْجِشِ بَقْلَةٍ^(٥)
 وَلَوْ ضَرَحُوا بِالْمَسْجِدَيْنِ لَأُتْرَلُوا * بِخَسِيرٍ بِقَاعِ الْأَرْضِ خَيْرُ رَفَاتِ^(٦)
 تَبَارَكْتَ هَذَا الدِّينُ دِينَ مُحَمَّدٍ * أَيْتَرَكُ فِي الدُّنْيَا بَغِيرَ حِمَاةٍ ؟
 تَبَارَكْتَ هَذَا حَالِمُ الشَّرْقِ قَدْ قَضَى * وَلَانَتْ قَنَاةُ الدِّينِ لِلْغَمَزَاتِ^(٧)

(١) انظر التعريف بالشيخ محمد عبده في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من الجزء الأول .
 (٢) النصرات : ذوات الحسن والرواق . (٣) والهني : كلمة يتخسر بها على ما فات .
 (٤) حاسر الرأس : عار به . وحيال القبر : تلقاءه وأمامه . (٥) تجاليد الإنسان : جسمه
 وبدنه . والقلاة : الصحراء الواسعة . (٦) خرخريت : حفرة ضريحها . ويريد « بالمسجدين » :
 المسجد الحرام بمكة ، وبيت المقدس . ورفات الميت : ما يلي وتكسر من عظامه . يقول : لو أنهم حفروا
 بأحد المسجدين ضريحاً لهذا الجسم لكان حراً بذلك ، لأنه خير جسم يدفن في خير بقعة من الأرض .
 (٧) قضى : مات . والقناة : الریح . ولين القناة : تخاية عن الضعف والوهن . ويريد « بالغمزات » :
 المطاعن الموجهة إلى الإسلام من أعدائه .

- (١) زَرَعْتَ لَنَا زَرْعًا فَأَتَجَرَّ شَطَاءُ * وَبُنْتَ وَلَنَا تَجْتَنِ الثَّمَرَاتِ
 (٢) فَوَاهَا لَهُ إِلَّا يُصِيبَ مُوَقَّعًا * يُسَارِفُهُ وَالْأَرْضُ غَيْرُ مَوَاتٍ
 (٣) مَدَدْنَا إِلَى الْأَعْلَامِ بَعْدَكَ رَاحَنَا * فَرُدَّتْ إِلَى أَعْطَافِنَا صَفِرَاتِ
 (٤) وَجَاءَتْ بِنَا تَبْنِي سِوَالِكَ عُيُونُنَا * فَعُدْنَ وَآثَرْنَ الْعَمَى شِرْقَاتِ
 (٥) وَآذَوْكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَأَنْكُرُوا * مَكَانَكَ حَتَّى مَسُودُوا الصَّفَحَاتِ
 رَأَيْتَ الْأَذَى فِي جَانِبِ اللَّهِ لَذَّةً * وَرُحْتَ وَلَمْ تَهْمُ لَهُ بِشَكَاةٍ
 (٦) لَقَدْ كُنْتَ فِيهِمْ كَوْبًا فِي غِيَابِهِ * وَمَعْرِفَةً فِي أَنْفُسِ نَصِيرَاتِ
 (٧) أَبْنَتْ لَنَا التَّزْيِيلَ حُكْمًا وَحِكْمَةً * وَفَرَّقَتْ بَيْنَ الثُّورِ وَالظُّلُمَاتِ
 وَوَقَّعَتْ بَيْنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْجَمَا * فَأُطْلَعْتَ نُورًا مِنْ ثَلَاثِ يَهَاتِ
 (٨) وَوَقَّعْتَ (لَهَا نُورُ) وَ(رَيْنَان) وَقَفَّةً * أَمَدَكَ فِيهَا الرُّوحُ بِالْفُتُوحَاتِ

- (١) شطء الزرع : فراخه أو سنبله . وكنى بالزرع : عما قام به الفقيد من ضرر الإصلاص . وبنت : بعدت .
 (٢) الضمير في «له» يرجع إلى الزرع . ويشارفه : يشرف عليه . والأرض الموات : الجلبة التي لا تثبت . يخشى ألا يجد الزرع من تعهده بعد الفقيد مع خصوبة الأرض وقبولها لما يفرس فيها .
 (٣) يريد «بالأعلام» : المشهورين من العلماء . والراح : جمع راحة ، وهي الكف . والأعطاف : الخواصر . وصفرات ، أي خاليات .
 (٤) شرقا ، أي محرات من البكاء . (٥) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التي كان يواجهها أعداء الفقيد إليه ، ويشيرون بها في بعض الصحف تشهيرا به ، وتحقيرا من شأنه .
 (٦) الغياب : الظلمات . (٧) يشير بهذا البيت إلى الدروس التي كان يلقيها الأستاذ الإمام في تفسير القرآن . (٨) هانوتو : هو جبرائيل هانوتو السياسي المؤرخ الفرنسي . ولد في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م ، وقد كتب مقالات في الطعن على الإسلام . ورينان ، هو أرنست رينان الفرنسي ، ولد في ٢٧ فبراير سنة ١٨٢٣ م ، وقد كان قسا كاثوليكيا ، وهو مشهور بمطاعنه في الدين الإسلامي كما حجه السابق ، وقد ردَّ الفقيد على مطاعنها . وتوفي رينان في سنة ١٨٩٢ م . والروح : جبريل .

- (١) وَخِفتَ مَقَامَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ * خَفَاكَ أَهْلُ الشُّكِّ وَالزَّغَاةِ
(٢) وَكَمْ لَكَ فِي إِغْفَاءِ الْقَجْرِ يَقْظَةٌ * نَقَضَتْ عَلَيْهَا لَذَّةَ الْمَجَاعَاتِ
(٣) وَوَلَيْتَ شَطَرَ الْبَيْتِ وَجْهَكَ خَالِيًا * تُنَاسِي إِلَهَ الْبَيْتِ فِي أَخْلَاقَاتِ
(٤) وَكَمْ لَيْلَةٌ طَانَتْ فِي جَوْفِهَا الْكَرَى * وَنَبَّهَتْ فِيهَا صَادِقَ الْعَزَمَاتِ
(٥) وَأَرْصَدْتَ لِلْبَاغِي عَلَى دِينِ أَحْمَدٍ * شَبَابَةَ يَرَاجِ سَاحِرِ النَّفَّاتِ
(٦) إِذَا مَسَّ خَدَّ الطَّرِيسِ فَاضَ جَبِينُهُ * بِأَسْطَارِ نُورٍ بِأَمِيرِ اللَّعَاتِ
(٧) كَانَ قَرَارَ الْكَهْرِبَاءِ بِشِقِّهِ * يُرِيكَ سَنَاهُ أَيْسَرِ اللَّسَاتِ
فِيَا سَنَةً مَرَّتْ بِأَعْوَادِ نَعِيشِهِ * لَأَنْتَ طِينَا أَشْأَمُ السَّنَوَاتِ
(٨) حَطَمْتَ لَنَا سَيْفًا، وَعَطَلْتَ مِنبْرًا * وَأَذَوَيْتَ رَوْضًا نَاصِرَ الزَّهْرَاتِ
(٩) وَأَطْفَأْتَ نِيرَاسًا وَأَشْعَلْتَ أَنْفُسًا * عَلَى بَحْمَرَاتِ الْحُزْنِ مُنْطَوِيَاتِ

(١) الزغاة : الوسواس .

(٢) الإغفاء : النوم . « نقضت عليها » إلخ ، أى أنه خلع مل يقظة لذّة المجاعة فصار يلهو
من اليقظة تلذذ الناس بالمجاعة ، أى النوم .

(٣) البيت : الكعبة .

(٤) الكرى : النوم . وماذا العزمات ، من إضافة الصفة الى الموصوف ، أى العزيمة الصادقة .

(٥) أُرصدت : أهددت وحيات . واليراج : القلم . وشبابه : سه . ونفثات القلم : ما يفيض به
من كلمات تشبها لها بما ينشئه السحر في المقادير .

(٦) الطريس (بالكسر) : الصحيفة التى يكتب فيها .

(٧) سناه : ضوءه ونوره . يقول : كان الكهرياء مستقرة فى شق هذا القلم ، فجزد الماس يظهر نوره .

(٨) حطمت : كسرت . وأذويت : أذبلت .

(٩) النيراس : المصباح .

(١) رَأَى فِي لَبَائِكِ الْمُتَجَمُّ مَا رَأَى * فَأَنْذَرَنَا بِالْوَيْلِ وَالْعَثَرَاتِ
وَنَبَّأَهُ عِلْمُ النُّجُومِ بِحَادِثٍ * تَبَيَّنَتْ لَهُ الْأَبْرَاجُ مُضْطَرِبَاتِ
(٢) رَمَى السَّرَطَانُ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خَادِرٌ * وَرُبَّ ضَعِيفٍ نَافِذِ الرِّمَاتِ
(٣) فَأَوْدَى بِهِ خَتَلًا فَسَالَ إِلَى الثَّرَى * وَمَالَتْ لَهُ الْأَجْرَامُ مُنْهَرِفَاتِ
وَشَاعَتْ تَعَاوِزِي الشُّهْبِ بِاللَّحْجِ بَيْنَهَا * عَنْ الثَّيْرِ الْمَهِوِي إِلَى الْقَلَوَاتِ
(٤) مَشَى نَعْشُهُ يَحْتَالُ عَجَبًا بِرَبِّهِ * وَيَخْطُرُ بَيْنَ اللَّيْسِ وَالْقُبُلَاتِ
(٥) تَكَادُ الدُّمُوعُ الْجَارِيَاتُ تُقْلَهُ * وَتَدْفَعُهُ الْأَنْفَاسُ مُسْتَعِرَاتِ
بَكَى الشَّرْقُ فَأَرْجَحَتْ لَهُ الْأَرْضُ رَجَّةً * وَضَاقَتْ عُيُونُ الْكَوْنِ بِالْعَبَرَاتِ
فَفِي الْمَهْدِ عَمُوزٌ وَفِي الصَّبْرِ جَاوِزٌ * وَفِي (مِصْرٍ) يَاكِ دَائِمُ الْحَسَرَاتِ
وَفِي الشَّامِ مَقْجُوعٌ، وَفِي الْفُرْسِ نَادِبٌ * وَفِي تُونِسَ مَا شَتَّتَ مِنْ زَفَرَاتِ
(٦) بَكَى عَالَمُ الْإِسْلَامِ عَالِمَ عَصْرِهِ ■ سِرَاجُ الدِّيَابِجِ هَادِمَ الشُّبُهَاتِ

(١) يريد « بالمنجم » : أحد المنجمين ، وكان قد تنبأ بوفاة الأستاذ الإمام في السنة التي توفي فيها ، وكتب ذلك في تقويمه السنوي .

(٢) روى السرطان ...
الخ ، إشارة إلى أن المرحوم الإمام مات بالسرطان ، وهو هذا الداء المعروف . واليـث خادر ، أي والأسد في أجهته . ويطلق السرطان أيضا على برج في السماء يقابله برج الأسد الذي أطلق الشاعر عليه لفظ الليث . واستعمل الشطر الأول في المعنيين ، كما يدل عليه سياق الكلام في الأبيات التالية .

(٣) أودى به : ذهب به . واختلل : الخلداع . والأجرام : الأقلاك .

(٤) وبه : صاحبه .

(٥) تقله : بحمله . ومستعرات : مشتعلات من الحزن .

(٦) الديابجى : الظلمات .

(١)
 مَلَاذَ عَيَّالٍ تِمَالٍ أَرَامِلٍ * غِيَاثَ ذَوِي عُدْمٍ إِمَامَ هُدَاةٍ
 فَلَا تَصْبُحُوا لِلنَّاسِ تِمَالًا (عَيْدُهُ) * وَإِنْ كَانَ ذِكْرِي حِكْمَةً وَتَبَاتٍ
 فَلَأَنِّي لَا أَخْشَى أَنْ يَضِلُّوا فَيُؤْمِتُوا * إِلَى نُورِ هَذَا الْوَجْهِ بِالسَّجْدَاتِ
 (٢)
 فَيَا وَبَيْحَ الشُّورَى إِذَا جَدَّ جَدُّهَا * وَطَاشَتْ بِهَا الْآرَاءُ مُشْتَجِرَاتٍ
 (٣)
 وَيَا وَبَيْحَ اللَّفْتِيَا إِذَا قِيلَ مَنْ لَهَا؟ * وَيَا وَبَيْحَ الْغَيْرَاتِ وَالصَّدَقَاتِ
 بَكَيْنًا عَلَى فَسْرِدٍ وَإِنْ بُكَاءَنَا * عَلَى أَنْفُسٍ لِلَّهِ مُنْقَطِعَاتِ
 (٤)
 نَعْمَ هَذَا فَضْلُ الْإِمَامِ وَحَاطَهَا * بِإِحْسَانِهِ وَالذَّهْرِ غَيْرُ مُوَاقٍ
 (٥)
 فَيَا مَنَزِلًا فِي (عَيْنِ شَمْسٍ) أَظَلَّنِي * وَأَرْغَمَ حُسْنُ دِي وَنَمَّ عِدَاتِي
 (٦)
 دَعَائِمُهُ التَّقْوَى وَآسَاسُهُ الْهُدَى * وَفِيهِ الْإِدَى مَوْضِعُ اللَّيْنَاتِ
 (٧)
 طَلَبِكَ سَلَامُ اللَّهِ، مَا لَكَ مُوحِشًا * عَبُوسَ الْمَغَانِي مُقْفِرَ الْعَرَصَاتِ

(١) الملاذ (بالفتح) : الملجأ . وعيَّال : جمع عيل (بشدائد الباء) . وعيل الرجل : من يتكفل
 بهم ويموّنهم ويقوم عليهم . وتمال الأراذل : من يقوم بأمرهم ويموّنهم . والغياث : المنقذ
 والمعين . والعدم : الفقر . (٢) يؤمّوا : يشيروا . ولقد رد الشاعر بهذا البيت على ما اقترحه
 بعضهم من إقامة تمثال للإمام . (٣) يريد « بالشورى » مجلس شورى القوانين
 وكان الفقيد عضوا به . وطاشت : انحرفت عن القصد . ومشتجرات : مشتبهات لا يتميز فيها الحق
 من الباطل . (٤) حاطها : صانها وحفظها . والمواق : المرافق المساعدة . (٥) عين شمس :
 ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة ، وكان فيها بيت الفقيد . (٦) دعائم البيت : عسده .
 والأبدي : النعم . واللين : ما يضرب من الطين البناء ، الواحدة لين .
 (٧) الموحش : الخال الذي ليس به ساكن . ومغانيه : منازل التي كان يزل بها ساكنوه ؛
 الواحد مغي . وعمراته : ساحاته .

- (١) لقد كنت مقصودَ الجَوَابِ أَهْلًا * تَطُوفُ بِكَ الآمَالُ مُبْتَهَلَاتٍ
(٢) مَثَابَةَ أَرْزَاقٍ ، وَمَهِيْطَ حِكْمَةٍ * وَمَطْلَعِ أَنْوَارٍ ، وَكَثْرَةِ عِظَاتٍ

رثاء مصطفى كامل باشا

[نشرت في ١٢ فبراير سنة ١٩٠٨]

- (٤) أيا قَبْرُ هَذَا الضَّيْفِ آمَالُ أُمَةٍ * فَكَبَّرَ وَهَلَّلَ وَأَلْقَى ضَيْفَكَ جَانِبًا
(٥) عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى فِيكَ (مُصْطَفَى) * شَهِيدَ الْمَلَا فِي زَهْرَةِ الْمُرِّ ذَاوِيَا
(٦) أيا قَبْرُ لو أَنَا فَقَدْنَاهُ وَحْدَهُ * لَكَانَ النَّاسُ مِنْ جَوَى الْحُزْنِ شَافِيَا
وَلَكِنْ فَقَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ بِفَقْدِهِ * وَهَيَّاتَ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ الدَّهْرُ ثَانِيَا
فِيَا سَائِلِي أَيْنَ الْمَرْوَةُ وَالْوَفَا * وَأَيْنَ الْجَمْحُ وَالرَّأْيُ؟ وَيَجِبُكَ هَاهُنَا
(٧) هَنِيئًا لَهُمْ فَلْيَأْمِنُوا كُلَّ صَائِحٍ * فَقَدْ أَسْكَبَتِ الصُّوْتُ الَّذِي كَانَ حَالِيَا

(١) منزل آمل : طامر بأهله . ومبتهلات : داعية متضرعة .

(٢) المثابة : المرجع . أى إن الناس كانوا يرجعون إلى هنا البيت في طلب أرزاقهم .

(٣) ولد المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب اللواء بمدينة القاهرة في ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤م . وبعد أن نال شهادة الدراسة الثانوية دخل مدرسة الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية في وقت واحد ، ثم ذهب إلى فرنسا ، ومنها أخذ شهادة الحقوق ، وبدأ حياته السياسية في سنة ١٨٩٥م . وكانت باكورة أعماله كتابه الذى رُفِعَ إلى رئيس مجلس النواب الفرنسى في ٤ يونيو سنة ١٨٩٥م ؛ ثم كان زعيم التبعة الوطنية في مصر ، إلى أن توفى في سنة ١٩٠٨م بعد أن ألف الحزب الوطنى . (٤) جيشا الرجل

يجئ : يجئ : جلس على ركبتيه ؛ والمراد هنا : الخضوع . (٥) الداوى : الدابل .

(٦) التامى : اقتداؤك بمن سواك في الصبر على المصائب . وجوى الحزن : حرقته .

(٧) الضمير في « لهم » : للإنجيليز .

(١) ومات الذى أحب الشُّعُورَ ومساقه * إلى المحبِّدِ فَاسْتَحْيَا النُّفُوسَ الْبَوَالِيَا
مَدَحْتُكَ لَمَّا كُنْتُ حَيًّا فَلَمْ أُجِدْ * وَإِنِّي أُجِيدُ الْيَوْمَ فِيكَ الْمَرَاثِيَا
(٢) عليك، وإلا ما لِدَا الْحُزْنَ شَامِلًا * وفيك، وإلا ما لِدَا الشُّعْبَ بَايَا
يَمُوتُ الْمُدَاوِي لِلنُّفُوسِ وَلَا يَرَى * لِمَا فِيهِ مِنْ دَاءِ النُّفُوسِ مُدَاوِيَا
(٣) وَكُنَّا نِيَامًا حِينَما كُنْتَ سَاهِدًا * فَأَسْبَهْتَنَا حُزْنًا وَأَسْبَيْتَ غَايَا
(٤) شَهِيدَ الْعُلَا، لَا زَالَ صَوْتُكَ بَيْنَنَا * يَرِنُ كَمَا قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ دَاوِيَا
(٥) يُهَيِّبُ بِنَا : هَذَا بِنَاءُ أَقْتِهِ * فَلَا تَهَيِّدُوا بِاللَّهِ مَا كُنْتُ بَانِيَا
(٦) يَصْبِحُ بِنَا : لَا تُشْعِرُوا النَّاسَ أَنِّي * قَضَيْتُ وَأَنْتَ الْحَيُّ قَدْ بَاتَ خَالِيَا
يُنَاشِدُنَا بِاللَّهِ أَلَّا تَقْرُقُوا * وَكُونُوا رِجَالًا لَا تَسْرُوا الْأَعَادِيَا
(٧) فَرُوسٍ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ مُطْلَعٌ * تُشَارِفُكُمْ عَنِّي وَإِنْ كُنْتُ بَالِيَا
فَلَا تَحْزَنُوا بِالْخِلَافِ فَإِنِّي * أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِي الْخِلَافِ الدَّوَاهِيَا
(٨) أَجَلٌ، أَيُّهَا الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ إِنَّنَا * عَلَى الْعَهْدِ مَا دُمْنَا فَتَمَّ أَنْتَ هَانِيَا
بِنَاؤُكَ مَحْفُوظٌ، وَطَيْفُكَ مَائِلٌ * وَصَوْتُكَ مَسْمُوعٌ، وَإِنْ كُنْتُ نَائِيَا

(١) استحياء، أى أحيا . والاستحياء (لغة) : الاستيقاظ . يقال : استحي فلان فلانا ، إذا أيقاه حيا .

(٢) عليك ، أى عليك الحزن . وفيك ، أى فيك البكاء .

(٣) الساهد : الساهر . والفاوى : النائم . (٤) المعروف (دوى) يتشبهه الروار ، واسم

القامل منه : مدق . وأما (دوى) بالتخفيف ، فهو استعمال شائع فى كلام أهل العصر ،

(٥) أهاب به : صاح به ودعاه . (٦) قضى : مات .

(٧) شارفه : نظر إليه من علو . (٨) أجل ، كلمة يقال فى الجواب بمعنى «نعم» .

عَهْدُكَ لَا تَبْكِي وَتُشْكِرْ أَنْ يُرَى * أَخُو الْبَائِسِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ بِأَيِّكَ
 (١) فَرَحَّصَ لَنَا الْيَوْمَ الْبُكَاءَ وَفِي غَيْدٍ * تَرَانَا كَمَا تَهْوَى جِبَالًا رَوَاسِيَا
 فَيَا نَيْلُ إِنْ لَمْ تَجْرِ بَعْدَ وَفَاتِهِ * دَمًا أَحْمَرًا لَا كُنْتَ يَا نَيْلُ جَارِيَا
 وَيَا (مُضِرُّ) إِنْ لَمْ تَحْفَظِي ذِكْرَ عَهْدِهِ * إِلَى الْحَشِيرِ لَا زَالَ أَنْيْلُكَ بَاقِيَا
 وَيَاهْلَ (مُضِرِّ) إِنْ جَهَلْتُمْ مُصَابِكُمْ * يَقُولُوا أَنْ نَجْمَ السَّعْدِ قَدْ غَارَ هَاوِيَا
 (٢) ثَلَاثُونَ عَامًا بَلْ ثَلَاثُونَ دُرَّةً * يَجِيدُ اللَّيَالِي سَاطِعَاتِ زَوَاهِيَا
 (٣) سَتَشْهَدُ فِي التَّارِيخِ أَنَّكَ لَمْ تَكُنِّي * قَتَى مُفْرَدًا بَلْ كُنْتَ جَيْشًا مُغَازِيَا

رثاء مصطفى كامل باشا أيضا

أشدها في حفل الأربعين في ٢٠ مارس سنة ١٩٠٨ م

(٤) نَزَرُوا عَلَيْكَ نَوَادِي الْأَزْهَارِ * وَأَتَيْتُ أَنْتَرُ بَيْنَهُمْ أَشْجَارِي
 زَيْنَ الشَّبَابِ وَزَيْنَ طُلَاقِ الْعُلَا * هَلْ أَنْتَ بِالْمُهْجِ الْحَزِينَةِ دَارِي؟
 (٥) غَادَرْتَنَا وَالْحَادِثَاتُ بِمِرْصِدٍ * وَالْعَيْشُ عَيْشُ مَنَلَةٍ وَإِسَارِ

- (١) الذي وجدناه أنه يقال: «رخصت له» ورخصته في كذا «أى أذنت له فيه» بعد النهى عنه .
 ولم نجد في كتب اللغة أنه يقال: رخصت له كذا بخلاف «في» كما استعمله الشاعر في هذا البيت ،
 إلا أن يقال: إنه ضمن الترخيص معنى التسهيل والتيسير، فحذف الفاء . والرواى: الرراخ .
 (٢) توفي مصطفى كامل باشا عن اثنين وثلاثين سنة ، فالثلاثون في هذا البيت عدد تقريبي .
 (٣) تشهد، أى الثلاثون عاما .
 (٤) نوادى الأزهار: الرطبة المبتلة بالندى . (٥) بمِرْصِدٍ، أى أن الحوادث ترقبنا وتحين
 القرص لداومتنا . والمرصد، هو مكان الرصد، أى المراقبة .

- (١) ما كَانَ أَحْوَجَنَا إِلَيْكَ إِذَا مَدَا * عَادِ وَصَاحَ الصَّامِتُونَ : بَدَارِ
 أَيْنَ الْخَطِيبُ وَأَيْنَ خَلَابُ النُّهَى ؟ * طَالَ انْتِظَارُ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ
 (٢) بِاللَّهِ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيَا * مَاذَا أَصَابَكَ يَا أَبَا الْمَغْوَارِ
 (٣) قُمْ وَانْحُ مَا خَطَّتْ يَمِينُ (كُرُومِي) * جَهْلًا بِيَدَيْنِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
 (٤) قَدْ كُنْتَ تَغْضَبُ لِلْكُفَّةِ كُلِّهَا * هَمَّتْ وَهَمَّ رَجَاؤُهَا بِعِشَارِ
 (٥) غَضَبَ التَّنْقِي لِرَبِّهِ وَكِتَابِهِ * أَوْ غَضَبَهُ (الْفَارُوقِ لِلخُتَّانِ)
 (٦) قَدْ ضَاقَ جِسْمُكَ عَنْ مَدَاكَ فَلَمْ يَطِقْ * صَبْرًا عَلَيْكَ وَأَنْتَ شُعْلَةُ نَارِ
 (٧) أَوْدَى بِهِ ذَاكَ الْجِهَادُ وَهَدَّه * عَزَمَ يَهُدُّ جَلَائِلَ الْأَخْطَارِ
 (٨) لَعِبْتَ يَمِينَكَ بِالْإِرْيَاقِ فَأَعْجَزْتَ * لَعِبَ الْقَوَارِيسُ بِالْقَنَا الْخَطَّارِ
 (٩) وَجَرَيْتَ لِلْعَلْيَاءِ تَبْنِي شَاوَهَا * بَخَرَى الْقَضَاءُ وَأَنْتَ فِي الْمِضْمَارِ

(١) بدار : اسم فعل أمر بمعنى يادر، أى أسرع . (٢) المغوار : الكثير الثارات على الأعداء .
 ويشير بهذه الكنية إلى قول الشاعر :

وداع دعا : يا من يجيب إلى الندى * فلم يستجبه عند ذاك يجيب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جبهة * لعل أبى المغوار منك قريب

(٣) يشير بهذا البيت إلى ما كتبه الورد كرومر عميد الدولة الإنجليزية في مصر من طعن على الدين
 الإسلامى . (٤) الثار : الكبر والتعس . (٥) الفاروق : عمر بن الخطاب رضى الله
 تعالى عنه . والخفّار : النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) مذاك، أى غاية ما تطمح إليه من المالى . (٧) أودى به : ذهب . « وهده
 عزم » الخ، أى أن عزمه الذى يذهب بالشدائد قد ذهب بجسمه وأفناءه . (٨) القنا : الرياح .
 والخطار : من صفات الرمح ، لاضطرابه واهتزازه . (٩) الشار : النفاية . ويريد
 « بالقضاء » : الموت .

(١) أَوْكَلْنَا هَزَّ الرَّجَاءُ مُهْنَدًا * بَدَرْتُ إِلَيْهِ غَوَائِلُ الْأَقْدَارِ
(٢) عَزَّ الْقَرَارُ عَلَى لَيْلَةٍ نَعِيهِ * وَشَهِدْتُ مَوَكِبَهُ فَقَرَّ قَرَارِي
(٣) وَتَسَابَقَتْ فِيهِ النُّعَاةُ فَطَائِرٌ * بِالْكَهْرَبَاءِ، وَطَائِرٌ يُخَارِ
(٤) شَاهَدْتُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَوْمَ وَفَاتِهِ * وَعَلِمْتُ مِنْهُ مَرَاتِبَ الْأَقْدَارِ
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَقَى الشُّعُوبُ رِجَالَهَا * حَقَّ الْوَلَاءِ وَوَاجِبَ الْإِنْجَارِ
(٥) تَسْعُونَ أَلْفًا حَوْلَ تَعَشِكَ خُشْعٌ * يَمْشُونَ تَحْتَ (لِوَائِكَ) السَّيَّارِ
خَطُّوا بِأَدْمُعِهِمْ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى * لِلْحُزْنِ أَسْطَارًا عَلَى أَسْطَارِ
أَنَا يُوَالُونَ الضَّجِيجَ كَأَنَّهُمْ * رَكِبُ الْحَجِيجِ بِكَمِيَةِ الزُّوَارِ
وَتَحَالُمُ أَنَا لَقَرِطُ خُشُوعِهِمْ * عِنْدَ الْمُصَلَّى يُنِصُّونَ لِقَارِي
(٦) قَلْبَ الْخُشُوعِ عَلَيْهِمْ فُدُوعُهُمْ * تَجْنَرِي بِلَا كَلَجٍ وَلَا أَسْتِنَارِ
فَدَكْتُ تَحْتَ دُمُوعِهِمْ وَزَفِيرِهِمْ * مَا يَنْ سَيْلِ دَافِقٍ وَشَرَارِ
أَسْعَى فَيَاخُذُنِي اللَّهْبُ فَأَنْتَنِي * فَيَصُدُّنِي مُدْفَقُ النَّيَّارِ

(١) المهند : السيف . وغوائل الأقدار ، أى المهلكات منها . (٢) يريد بقوله : « وشهدت »
انلخ : أنه لما رأى وفاة الأمة للفقيد في جنازته هدأت نفسه . (٣) يريد « بالطائر بالكهرباء » :
الرسائل البرقية . « وبالطائر بالبخار » : القطار . (٤) وعلمت منه مراتب الأقدار ، أى كيف
تنزل الأمة عظامها منازلهم التي يستحقونها . (٥) اللواء : العلم . ويشير إلى جريدة اللواء التي
كان يصدرها الفقيد .

(٦) بلا كلج ، أى بلا عيوس ولا قطب . والمسموع : كلاح وكروح (بالضم فيها) . والاستنار
من الأنف معروف . ويريد « تجنرى بلا كلج ولا أستنار » : أن الدموع تجري بطبيعتها بلا عيوس
ولا غيره مما يصحب الدموع عادة .

- (١) لَوْلَمْ أَلَدْ بِالنَّعْشِ أَوْ بِظِلَالِهِ * لَقَضَيْتُ بَيْنَ مَرَايِلٍ وَبِحَارِ
كَمْ ذَاتٍ حَذِرٍ يَوْمَ طَافَ بِكَ الرَّدى * هَتَكَتْ عَلَيْكَ حَرَارُ الْأَسْتَارِ
سَفَرْتُ تُودِّعُ أُمَّةً مُجْهَوْلَةً * فِي النَّعْشِ لَا خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
(٢) أَمِنْتُ عُيُونَ النَّاسِطِينَ فَمَزَّقْتُ * وَجْهَ الْحِمَارِ فَلَمْ تَلْذُ بِبُخَارِ
قَدْ قَامَ مَا بَيْنَ الْعُيُونِ وَبَيْنَهَا * سِتْرٌ مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْأَكْدَارِ
(٣) أَدْرِجَتْ فِي الْعِلْمِ الَّذِي أَصْفَيْتَهُ * مِنْكَ الْوِدَادَ فَكَانَ خَيْرَ شِعَارِ
(٤) مَلَمَّا نِ مِنْ فَوْقِ الرُّعُوسِ كِلَاهُمَا * فِي طَيْهِ بَسْرٍ مِنَ الْأَسْرَارِ
(٥) نَادَاهُمَا دَاعِي الْفِرَاقِ فَأَمْسَيَا * بَتَعَانَقَانِ عَلَى شَفِيرِ هَارِي
(٦) تَاللَّهِ مَا جَزَعَ الْحُبُّ وَلَا بَكَى * لِنَوَى مُرَوَّعَةٍ وَبُعْدِ مَنَارِ
(٧) جَزَعَ (الْهَلَالِ) عَلَيْكَ يَوْمَ تَرَكْتَهُ * مَا بَيْنَ حَرَّائِي وَحَرَّ أَوَارِ
مُتَلَفَّتَا مُتَحَيِّرَا مُتَخَيِّرَا * رَجُلًا يُنَاضِلُ عَنْهُ يَوْمَ نِفَارِ

(١) قضى : هلك ومات . والمراجل : القصور ، الواحد مرجل (بكسر فسكون) . ويريد

« بالمرجل والبحار » : ما أشار إليه في البيت الأسبق من الزفراء والدموع .

(٢) الخمار : ما تغطى به المرأة وجهها . (٣) يقال : أدريجه

في الثوب : إذا لفه فيه وطواه . ويريد « بالعلم » : علم مصر . (٤) يريد « بالعلين » :

القفيد ، تشبيهاً له بالعلم في ارتفاعه وشمسوته ، وعلم مصر الذي لف فيه النعش .

(٥) شفير كل شيء : حافته . والهارى : المنهار .

(٦) النوى : البعد .

(٧) الهلال : شعار الدولة العثمانية والولايات التابعة لها التي كانت منها مصر إذ ذاك . والامسى :

الحزن . والأرار : الظلم ، ويريد به ما تركه فراقه في النفوس من تعطش إليه .

- (١) إن الثلاثين أتى بك فاتحرت * باتت نفاس بأطول الأعمار
 ضمت الى التاريخ بضع صحائف * يضاء مثل صحائف الأبرار
 شهنش بنقطة مطرية * وسعت عحصل روضة مطار^(٢)
 خلفتها كالشقي يخلو حدوها * راجى الوصيل ومقتنى الآثار
 ماذا على السارى - وهن منائر - * لو سار بين تجاهل وقفار^(٣)
 ما زلت تختار المواقف وعرة * حتى وقفت لذلك الجبار^(٤)
 وهدمت سورا قد أجاد بناءه * فرعون ذو الأوتاد والأنهار^(٥)
 ووصلت بين شكائنا ومشايخ * فى (البركان) أعيرة أخيار^(٦)
 كشفوا الغطاء عن العيون فأبصروا * ما فى الكانة من أذى وضار^(٧)
 نبذوا كلام (اللرد) حين تبينوا * حنق المغيظ ولمحة الثنار^(٨)
 ورماهم يجلدين رموهم * فى رتبة الأصفار لا الأسفار^(٩)

(١) يريد الثلاثين سنة التى ذكرها فى مرثيته السابقة فى قوله "ثلاثون عاما ... الخ" . وقد قدما أن الفقيه قد توفى عن اثنين وثلاثين سنة ، فالثلاثون عدد تقريبي . (٢) الروضة المطار : الكثيرة الزهور والرياحين ، وعصلها : ما يحصل من رياحها وأزهارها . (٣) وهن ، أى الثلاثون عاما . والمنائر : جمع منارة ، وهى ما يهتدى به . يريد أن سارى الظلمات لا يضل وهو يهتدى بهذه الأعلام الواضحة . (٤) يريد «بالجبار» اللورد كرومر ؛ ويشير إلى مواقفه مع فى حادثة دنشواى وغيرها . (٥) الأوتاد : الجبال . ويضرب فرعون المثل فى الجبروت والبغى ؛ شبه اللورد كرومر به . (٦) الشكاة : الشكوى . ويريد «بالبركان» : البرلمان الإنجليزى . (٧) كشفوا ، أى مشايخ البرلمان . (٨) الحنق : الغيظ . والثرار : الذى يكثر الكلام نكلفا وتروجا عن الحق . (٩) يشير «بالجلدين» : ما كتبه اللورد كرومر لحكومته عن مصر . والأسفار : الكتب ؛ والواحد سفر (بالكسر) .

(١)
 وَأَمَّا عَلَى تِلْكَ الْمَوَاقِفِ إِنِّهَا * كَانَتْ مَوَاقِفَ لَيْثٍ غَابِ ضَارِي
 (٢)
 لَمْ يَلَوْهَ عَنْهَا الْوَعِيدُ وَلَا تَنَى * مِنْ عَزَمِهِ قَوْلُ الْمُرِيبِ : حَذَارِ
 فَاهْنًا بِمِثْلِكَ الْجَدِيدِ وَتَمَّ بِهِ * فِي غِبْطَةٍ وَأَنْتُمْ بِخَيْرِ جَوَارِ
 (٣)
 وَأَسْتَقْبِلِ الْأَجَرَ الْكَبِيرَ جَزَاءَ مَا * صَحَّيْتُ لِلْأَوْطَانِ مِنْ أَوْطَارِ
 (٤)
 نِعَمَ الْجَزَاءِ وَنِعَمَ مَا بَلَّغْتَهُ * فِي مِثْرَلَيْكَ وَنِعَمَ عَقْبِي الدَّارِ

رثاء قاسم أمين بك^(٥)

[نشرت في ٦ يونية سنة ١٩٠٨ م]

(٦)
 لِلَّهِ دَرَكٌ كُنْتُ مِنْ رَجُلٍ * لَوْ أَهْلَتَكَ غَوَائِلُ الْأَجَلِ
 (٧)
 خُلِقَ كَأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ إِذَا * أَسْمَحَرْنَ غَبَّ الْعَارِضِ الْهَاطِلِ

(١) الضاري : الجري، المؤد على الصيد . (٢) لم يلوه : لم يصرفه . والمريب : ذو الرية .
 يريد به هنا : ألهم في وطنيته ، المشكوك في إخلاصه لبلاده . (٣) الأوطار : جمع وطر ،
 وهو البنية والحاجة . (٤) في مِثْرَلَيْكَ ، أى الدنيا والآخرة .

(٥) ولد قاسم أمين سنة ١٨٦٥ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر سافر إلى فرنسا حيث
 درس الحقوق ، وعاد في سنة ١٨٨٥ ، ثم تدرج في المناصب القضائية حتى صار قاضياً بمحكمة الاستئناف
 الأهلية ، وهو أول من نادى بجزر المرأة المصرية ، وله في ذلك كتابان : (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) .
 واشترك أيضاً في الدعوة إلى إنشاء الجامعة مع صديقه المحروم سعد زغلول باشا ؛ وتوفي رحمه الله
 في ٢٢ أبريل سنة ١٩٠٨ م عن ثلاث وأربعين سنة .

(٦) الغوائل : الدواهي المهلكة ، الواحدة غائلة .

(٧) أسمر : صار في السحر . والعارض : السحاب المعترض في الأفق . والهاطل : المتابع المطر ،
 العظيم القطر . والنسيم المنبعث عن الرياض أنقى ما يكون عقب الملرور في السحر .

(١) وَثَمَائِلُ لَوْ أَنَّهَا مُرِجَتْ * بَطْبَائِجِ الْإِيَّامِ لَمْ تَحُلْ
 (٢) جَمُّ الْحَمِيدِ غَيْرُ مُتَّهِمٍ * جَمُّ التَّوَّاضِعِ غَيْرُ مُبْتَدَلٍ
 (٣) يَا ذَوَلَةَ الْأَخْلَاقِ رَافِلَةً * مِنْ (قَائِمٍ) فِي أَهْجِ الْحُلَلِ
 كَيْفَ أَنْطَوَيْتِ بِهِ عَلَى عَجَلٍ * أَكْذَا تَكُونُ مَصَارِعُ الدُّوَلِ؟
 (٤) يَا طَالِبَا لِلشَّرْقِ لَجَّ بِهِ * تَحْسُ النُّحُوسِ فَقَرِّ فِي (زُحَلِ)
 هَلَّا وَصَلْتَ سُورَاكَ مُتَقِلًّا * مَلَّ السُّعُودَ تَكُونُ فِي الثَّقَلِ
 (٥) مَالِي أَرَى الْأَجْدَاثَ حَالِيَةً * وَأَرَى رُبُوعَ النَّبْلِ فِي عَطَلِ
 (٦) فَاذَا الْكَائِنَةُ أَطْلَمَتْ رَجُلًا * طَاحَ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ الرَّجُلِ
 أَوْ كَلَّمَا أَرْسَلَتْ مَرِثِيَةً * مِنْ أَدْمِي فِي إِثْرِ مُرْتَحِلِ
 (٧) هَاجَتْ بِي الْأُخْرَى دَفِينِ أُمِّي * قَوَّصَلْتُ بَيْنَ مَدَامِيعِ الْمُقِلِ
 إِنِّ خَاتَمِي فِيمَا بَحْتُ بِهِ * شِعْرِي فَهَذَا الدَّمْعُ يَشْفَعُ لِي
 (٨) وَلَقَدْ أَقُولُ وَمَا يُطَايُنِي * عِنْدَ الْبَيْدَةِ قَوْلُ مُرْتَحِلِ:
 يَا مُرْسِلَ الْأَمْثَالِ يَضْرِبُهَا * قَدْ عَزَّ بِعَدْلِكَ مُرْسِلُ الْمَثَلِ

- (١) لم تحل، أى لم تتحول ولم تتغير. والمعنى أن شمائله من الثبات على الخير بحيث لو مرجت بطبايح الأيام المتقلبة لأكسبتها ثباتاً على ما يحب الناس. (٢) المبتدل: المتهم. (٣) رافلة: تخرج الذيل منبخره. (٤) لج به: ألح عليه. وزحل: كوكب معروف من الشمس، وهو عند المنجمين كوكب نحس. (٥) الأجداث: القبور؛ الواحد جدث (بالحرىك). وحالية: مرذلة. والعطل: التجرد عن الزينة. (٦) طاح به: ذهب به. (٧) «هاجت بي الأخرى» ألح، أى أفاوت المراثية الأخرى ما خفى من حزنى. (٨) طاوله: قاله.

- (١) يا رائِثَ الآراءِ صائِبَةً * يرمى بينَ مقاتِلِ آنَظَلِ
 (٢) لِلَّهِ آراءٌ شَاوَتْ بها * في الخالِدينَ نَوائِغَ الأوَّلِ
 (٣) قد كنتَ أَشَقَّانَا بِنَا وَكُنَّا * يَشُقِّي الأَيُّ بِصُحْبَةِ الوَكَلِ
 (٤) لَمْ يَفِي طَلَبِكَ قَضَيْتَ مُرْتَجِلاً * لَمْ تَشْكُ ، لَمْ تَسْتَوْصِ ، لَمْ تَقُلْ
 (٥) غَلَّ القَضَاءُ يَدَ القَضَاءِ فَذَا * يَبْكِي عَلَيْكَ وَذَاكَ فِي جَدَلِ
 شَغَلَتْكَ عَنْ دُنْيَاكَ أَرْبَعَةٌ * وَالْمَرْءُ مِنْ دُنْيَاهُ فِي سُئُلِ
 (٦) حَقُّ تَنَاصُرِهِ وَمَفْخَرُهُ * تَمْشِي إِلَيْهَا غَيْرَ مُتَّحِلِ
 (٧) وَحَقَائِقُ اللَّعْلِمِ تَنْشُدُهَا * مَا لِلْحَكِيمِ بَيْنَ مَنْ قَبْلِ
 (٨) وَفَضِيلَةُ أَعْيَتْ سِوَاكَ فَلَمْ * تَمُدُّ إِلَيْهِ يَدًا وَلَمْ يَصِلْ
 (٩) إِنْ رَأَيْتَ رَأْيًا فِي الْجَبَابِ وَلَمْ * تُعَصِّمَ ، فَيُتْلِكَ مَرَاتِبُ الرُّسُلِ

(١) الرائث : الذى يلحق الريش على الميهم ليكون أسرع فى مضيه إلى الغرض . والآنظَل (بالتحريك) : الخطأ والفساد . (٢) شَاوَتْ : سبقت . (٣) الوكل (بالتحريك) : الضعيف العاجز الذى بكل أمره إلى غيره . ويشير بهذا البيت إلى ما لقيه الفقيه من ضروب النقد الشديد والظعن الجارح حين أخرج كتابه : (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) . (٤) قضيت مرتجلاً ، أى مت من غير صلة ظاهرة . وتستوصى ، أى توصى . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة استوصيت بمعنى أوصيت . (٥) القضا (الأول) ، بمعنى الموت (والثانى) بمعنى الفصل فى الخصومات . والجَلَل (بالتحريك) : الفرج . (٦) المتحلل : الذى يدعى لنفسه ما لغيره . (٧) تنشدها : تطلبها . والقبل : الطاقة . (٨) أعيت : أعجزت ، ولم تمتد ... الخ ، أى لم تمتد الفضيلة إلى سواك يدا ولم يصل إلى نوالها . (٩) ريت : رأيت ، غلظت الحمزة للوزن . ويشير بهذا البيت إلى دعوة الفقيه إلى سفور المرأة . وتلك ، أى العصمة .

الْحُكْمُ لِلْإِيَّامِ مَرْجُوعُهُ • فِيمَا رَأَيْتَ فَنَمَ وَلَا تَسِيلُ^(١)
 وَكَذَا طُهَاةُ الرَّأْيِ تَنْزَعُهُ • لِلدَّهْرِ يُنْفِجُهُ عَلَى مَهَلٍ
 فَإِذَا أَصْبَحَتْ فَأَنْتَ خَيْرُ فَنَى • وَضَعَ الدَّوَاءَ مَوَاضِعَ الْعِلَلِ
 أَوَّلًا ، فَحَسْبُكَ مَا شَرُفَتْ بِهِ • وَتَرَكْتَ فِي دُنْيَاكَ مِنْ عَمَلٍ^(٢)
 وَاهًا عَلَى دَارٍ مَرَرْتُ بِهَا • قَفَرًا وَكَانَتْ مُلْتَقَى السُّبُلِ^(٣)
 أَرَخَصْتُ فِيهَا كُلَّ ظَالِيَةٍ • وَذَكَرْتُ فِيهَا وَفَقَةَ الْطَلْلِ^(٤)
 سَأَلْتُهَا عَنْ (فَاسِمٍ) فَأَبَتْ • رَدَّ الْجَوَابِ فُوحَتْ فِي خَبَلٍ^(٥)
 مُتَعَثِّرًا يَنْشَابُنِي وَهْنٌ • مُتَرَجِّحًا كَالشَّارِبِ الثَّمِيلِ^(٦)
 مُتَذَكِّرًا يَوْمَ (الإمام) بِهِ • يَوْمَ أَنْشَوَيْتُ بِذَلِكَ الْبَطْلِ^(٧)
 يَوْمَ أَحْسَبْتُ - وَكُنْتُ ذَا أَمَلٍ - • تَحْتَ التَّرَابِ بَقِيَّةَ الْأَمَلِ
 جَاوِزَ أَحِبَّتِكَ الْأَلَى ذَهَبُوا • بِالْعَزْمِ وَالْإِقْدَامِ وَالْعَمَلِ^(٨)
 وَأَذْكُرْ لِمَنْ حَاجَ الْبِلَادِ إِلَى • تِلْكَ النَّهْيِ فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ

- (١) شبه في هذا البيت صاحب الرأي يرسله في الناس ويركه ينفذ إلى عقولهم شيئًا فشيئًا حتى يثبت ، بطاهي الطعام الذي يضمه على النار تنضجه شيئًا فشيئًا حتى يتم نضجه ، ويصير صالحًا لتناوله .
- (٢) يريد « بالدار » دار القعيد . وملق السبل ، أي جمع الوافدين من كل طريق . ونصب « قفرا » على الحال .
- (٣) الغالية ، أي الدفعة الغالية التي لا تسيل إلا في أشد المصائب . والطلل (بالتحريك) : الشاخص من آثار الدار .
- (٤) الخيل : الجنون . (٥) الرهن : الضعف . والمترجح : المائل سكرًا . والخل : الشوان . (٦) الإمام ، هو المرحوم الشيخ محمد عبده . ويوم أنشويت به ، أي يوم رماني فيه الزمان وقصدني بمكروهه .
- (٧) احتسبه : قلبه واعتده فيما يدخر عند الله .
- (٨) الحاج : جمع حاجة .

قُلْ (للإمام) إِذَا تَقَيَّتْ بِهِ • فِي الْجَنَّتَيْنِ بِأَحْكَمِ التُّرُلِ:
 إِنَّ الْحَقِيقَةَ أَصْبَحَتْ هَدًى • لِلرَّاكِبِينَ مَرَاكِبَ الزَّلَلِ
 لِلَّهِ آثَارٌ لَكُمْ خَلَلَتْ • صَاحَ الزَّوَالُ بِهَا فَلَمْ تَزَلْ
 لِلَّهِ أَيَّامٌ لَكُمْ دَرَجَاتٌ • طَالَتْ عَنَوَارُهَا وَلَمْ تَقْلُ
 نِعمَ الظَّلَالُ لَوْ أَنَّهَا بَقِيَتْ • أَوْ أَنَّ ظِلًّا غَيْرُ مُتَقِلِّ

ذكرى مصطفى كامل باشا

أنشدنا في المجلس الذي أقيم من أجله لإحياء ذكره الأول

[نشرت في ١٢ فبراير سنة ١٩٠٩ م]

طُوفُوا بَارِكَا نِ هَذَا الْقَبْرِ وَاسْتَلِمُوا • وَأَقْضُوا هُنَا لَكَ مَا تَقْضِي بِهِ الدُّمُ
 هُنَا جَنَاتُ تَمَالَى اللَّهُ بَارِئُهُ • ضَاقَتْ بِأَمَالِهِ الْأَقْدَارُ وَالْهَيْمُ
 هُنَا قُمْ وَبَنَانُ لَاحَ بَيْنَهُمَا • فِي الشَّرْقِ بِفَرَسِيحِي ضَوْءُ الْأُمُ
 هُنَا قُمْ وَبَنَاتُ طَالَمَا نَفَرَا • نَحْنَا تَسِيرُ بِهِ الْأُمُشَالُ وَالْجُحُمُ
 هُنَا الْكَيْيُ الَّذِي شَادَتْ فَرَائِمُهُ • لَطَالِبِ الْحَقِّ رُكْنَا لَيْسَ يَنْهَيْدُ
 هُنَا الشَّيِيدُ، هُنَا رَبُّ اللَّوَاءِ، هُنَا • سَاحِي الدَّمَارِ، هُنَا الشَّهْمُ الَّذِي هَلَبُوا

(١) درجت: مضت وذهبت. والنواف: جمع نارة، وهي العطية، المعروف: ماعلة بمعنى مفعولة.

(٢) استلم القبر: قبله أو لمسه بيده. (٣) الكي: الشجاع. (٤) اللواء:

الصفيحة التي كان يمسرها الفقيده. والدمار: كل ما يلزمك حفظه وحمايته والدفاع عنه.

يَا أَيُّهَا النَّائِمُ الْهَانِي بِمَضْجَعِهِ * لَيْسَ نِكَ النَّوْمُ لَاهُمْ وَلَا سَقَمٌ
 بَاتَتْ تُسَائِلُنَا فِي كُلِّ نَارِزَةٍ * عَنْكَ الْمَنَابِرُ وَالْقِرَاطُسُ وَالْقَلَمُ
 تَرَكْتَ فِينَا قَرَاغًا لَيْسَ يَشْغَلُهُ * إِلَّا أَيُّ ذِكِّي الْقَلْبِ مُضْطَرِمٌ^(١)
 مُنْقَرُ النَّوْمِ سَبَاقٌ لِنَايِبِهِ * آثَارُهُ عَمَمٌ أَمَالُهُ أَمَمٌ^(٢)
 إِنِّي أَرَى وَفُؤَادِي لَيْسَ يَكْذِبُنِي * رُوحًا يُحِفُّ بِهَا الْإِبْكَارُ وَالْعَظَمُ^(٣)
 أَرَى جَلَالًا، أَرَى نُورًا، أَرَى مَلَكًا * أَرَى عُيَا يُحَيِّنَا وَيَنْتَسِمُ
 اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا الْوَجْهُ أَعْرِفُهُ * هَذَا قَتَى النَّيْلِ هَذَا الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ^(٤)
 غَضَبُوا الْعُيُونَ وَحَيَوُهُ تَحِيَّتُهُ * مِنْ الْقُلُوبِ إِذَا لَمْ تُسْعِدِ الْكَلِمُ^(٥)
 وَأَقْسِمُوا أَنْ تَذُودُوا عَنْ مَبَادِيهِ * فَتَحْنُ فِي مَوْفٍ يَحْلُو بِهِ الْقَسَمُ^(٦)
 لَيْسَ نَحْنُ الْأَلَى حَرَكْتَ أَنْفُسَهُمْ * لَمَّا سَكَنْتَ وَلَمَّا غَالَكَ أَلْعَدَمُ^(٧)
 جِئْنَا تُؤَدِّي حِسَابًا عَنْ مَوَاقِفِنَا * وَنَسْتَمِدُّ وَنَسْتَعِيدُ وَنَحْتَكِمُ^(٨)
 قِيلَ اسْكُتُوا فَسَكَنْتَنَا ثُمَّ أَنْطَقْنَا * عَسْفُ الْجُفَاءِ وَأَعْلَى صَوْتِنَا الْأَلَمُ^(٩)
 قَدْ أَثْمَنَّا وَلَمَّا نَطْلُبُ جَلَالًا * إِنَّ الضَّعِيفَ عَلَى الْحَالَيْنِ مُتَّهَمٌ

(١) مضطرم، أى مشعل غيرة وحية . (٢) منقر النوم : مسهد . وعمم ، أى عامة شاملة .

(٣) الحيا : الوجه . (٤) أسعده : أغاثه .

(٥) تذكروا : تدفروا . (٦) غاله : أهلكه .

(٧) نستمد : نطلب المدد، أى المونة . ونستعدي : نستنصر .

(٨) العسف : الظلم . ويريد «الجفافة» : المحتلين . (٩) اطلب : طلب . والجلل :

قالوا : لقد ظلموا بالحق أنفُسَهُمْ * والله يعلم أن الظالمين هم
 (١) إذا سكنا تناجوا ، تلك عادتهم * وإن نطقنا تنادوا : فتنه هم
 (٢) قد مرَّ عامٌ بنا والأمرُ يحزُّ بنا . * أنسا وآونةً تشابنا النقم
 (٣) فالناس في شدةٍ والدمرُ في كَلْبٍ * والعيش قد حار فيه الحاذقُ الفهم
 وللسياسةِ فينا كلُّ آونةٍ * لَوْنٌ جَدِيدٌ وعَهْدٌ ليس يُحترَمُ
 (٤) يَبْنَى نَرَى جمَهرًا تُحشى ملاسبه * إذا به عِنْدَ لَمَسِ المصْطَلِي لَحْمِ
 تُصْنِي لأصواتنا طَوْرًا لتُخدعنا * وثارةٌ يزدهيها الكِبَرُ والصَّمَمُ
 (٥) مِنْ مُلَانِيَةِ أَسْناها خُدْعٌ * إلى مُصَالِيَةِ أَسْناها وهم
 ماذا يُريدون ؟ لا قَرَّتْ عُيونهم * إنَّ الكِئانةَ لا يُطوى لها عِلْمُ
 (٦) كم أُمّةٍ رَغِبَتْ فيها فما رَتَبَتْ * لها — على حَوْلها — في أرضها قَدَمُ
 (٧) ما كان رَبُّكَ رَبُّ الْبَيْتِ تارِكها * وهى الَّتِي بِجِبَالٍ مِنْهُ تَعْتَصِمُ
 لَبَيْكَ إنا على ما كُنْتَ تَعهده * حَتَّى نُسودَ وَحَتَّى تَشْهَدَ الأُمَمُ
 فَيَعْلَمَ النَّيْلُ أنا خيرٌ مَنْ وَردوا * وَيَسْتَطِيلَ آخِثًا ذَلِكَ أَلْهَرَمُ

(١) تناجوا : تساروا .

(٢) حَزَبُ الأَمْرِ : اشتدَّ عليه وضغطه .

(٣) كَلْبُ الدَّهْرِ (بالتحريك) شِدَّةُ وإلحاحه بما يسوء . (٤) يريد بهذا البيت : أن السياسة

أحوالا مخططة لحينا تكون نارا حامية ، وحينما غمة باردة . (٥) الوهم (يسكون الماء) ،

معروف . وحركة الشاعر للضرورة . (٦) رمت : ثبتت . والحول : القوة .

(٧) البيت : الكعبة .

هذا الغراس الذى واليت منيته * بجير ما والت الأضواء والنسم^(١)
 أمسى وأضحى وعين الله تحرسه * حتى نما وحلاه المجد والشمم
 فأنظر إليه وقد طالبت بواسفه * تهنأ به ولائف الحاميد الرغم^(٢)
 يأبها النشء سبيروا فى طريقته * وثابروا، رضى الأعداء أو تقموا
 فكلكم (مُصطفى) لو سار سيرته * وكلكم (كامل) لو جازه السام^(٣)
 قد كان لا وانبأ يوماً ولا وكلاً * يستقبل الخطب بساماً ويقبج^(٤)
 وأنت يا قبر قبد جئنا على ظمير * بخذلنا بجواب، جادك الدم^(٥)
 أين الشباب الذى أودعت نضرته * أين الحلال - رماك الله - والشيم؟^(٦)
 وما صنعت بأمال لنا طويت * يا قبر فيك وعنى رسمها القدم؟^(٧)
 ألا جواب يروى من جوائننا * ما للقبور إذا ما نوديت تجيم؟^(٨)
 نعم أنت، يكفيك ما عانيت من تعب * فنحن فى يقظة والشمل ملتئم
 هذا (لواؤك) خفاق يظللنا * وذاك شخصك فى الأجداد مرقسم

- (١) واليت منيته، أى لم تقطع عن تمهده . والنسم (حركة) والنسيم : (كلاهما) نفس الريح؛ وقبل : النسم أول هبوبها . « وجير ما والت » الخ، أى بأحسن ما تمتد الشمس والنسيم حياة النبات .
- (٢) البواسق : ما طال وارفع من الأشجار . والرغم (بالسكون، وحرك وسطه لضرورة) : التراب . ولأنه الرغم : كناية عن الذلة والمهانة . (٣) جازه : جازره . (٤) الوكل (حركة) : العاجز الذى بكل أمره إلى غيره . (٥) الدم : جمع ديمة، وهى السحابة التى يدوم مطرها فى سكون بلا رعد ولا برق ؛ ويقال : جادته الدم، إذا أصابه بغزير ماؤها . وهو كناية عن الدماء بالخير والنعيم .
- (٦) الحلال : الخصال . (٧) الرسم : ما بقى من آثار الديار . وعفا القدم : نجا وطمس آثاره .
- (٨) وجم جيم : سكت عن الكلام وبجزم من كثرة البهم .

(١) رثاء تولستوى

[نشرت في نوفمبر سنة ١٩١٠ م]

(٢)
رثاءك أمير الشعير في الشرق وأندري * لمُدِّحِكَ مِنْ كُتَّابِ مِصْرَ كَبِيرُ
ولستُ أبالي حين أرثيك بعده * إذا قيلَ عني قد رثاهُ صَغيرُ
فقد كنتَ عوناً للضعيفِ وإثني * ضَعِيفٌ ومالي في الحياةِ نَصِيرُ
ولستُ أبالي حين أبكيك للورى * حَوْتُكَ جَنَانٌ أَمْ حَوَاكَ تَسْعِيرُ
فلأني أحب النابغينَ لِعَالَمِهِمْ * وَأَعَشَقْتُ رَوْضَ الْفِكْرِ دَهْوَ نَصِيرِ
دَعَوْتُ إِلَى عَيْسَى فَضَجَّتْ كَنَائِسُ * وَهَزَّتْ لَهَا عَرْشُ وَمَادَ سَرِيرِ
وقال أناسُ إِنَّهُ قَوْلُ مُلْحِدٍ * وقال أناسُ إِنَّهُ لَبَشِيرِ

(١) ولد تولستوى الفيلسوف الروسي المشهور في ٢٨ أغسطس سنة ١٨٢٨ م . وقد ماش في أملاكه يزرعها ويقسم مائتله بينه وبين فلاحيه ، ثم وزعها بينهم على الرغم من ممارسة ذريده له . ومن كتبه : (الحرب والسلام) و(أين المخرج) . وله من الروايات المشهورة : (البحث) و(القيامة) . وأتهم في آخر حياته بالخروج على الكنيسة ، لحكت بكفره ، وكانت وفاته في ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٢) يريد «بأمر الشعر» : المرحوم أحمد شوقي بك ، وله في رثاء تولستوى قصيدة مطعنها :
«تلتو» بحجى آية العلم دمعها * عليك ويبكى بأُس وفقير
ويريد «الكاتب الكبير» : الأستاذ أحمد لطفى السيد وقد رثى تولستوى بكلمة صدر بها الجريدة ، وعنوانها : (مات الرجل) نشرت في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٣) «حوتك جنان» الخ ، أى أنه لا يبال حين يرثيه أكان الفقيه مؤمناً أم كافراً .

(٤) ماد : اضطرب .

(١) وَلَوْلَا حُطَامٌ رَدَّ عَنْكَ بِكَادِهِمْ * لَفَضَقْتَ بِهِ ذَرْعًا وَسَاءَ مَصِيرُ
 وَلَكِنْ حَمَاكَ الْعِلْمُ وَالرَّأْيُ وَالْجَمَا * وَمَالٌ - إِذَا جَدَّ التَّرَالُ - وَفِيرُ
 إِذَا زُرْتَ رَهْنَ الْمُحْبَسِينَ بِخُفْرَةٍ * بِهَا الزُّهْدُ نَارٌ وَالذِّكَاؤُ سَتِيرُ
 وَأَبْصَرْتُ أُنْسَ الزُّهْدِ فِي وَحْشَةِ الْبَلَى * وَشَاهَدْتُ وَجْهَ الشَّيْخِ وَهُوَ مُنِيرُ
 وَأَيَّقَنْتَ أَتَكَ الدِّينَ لِلَّهِ وَخَدَهُ * وَإِنْ قُبُورَ الزَّاهِدِينَ قُصُورُ
 فَفَقِفْ ثُمَّ سَلِّمْ وَاحْتَشِمْ إِنَّ شَيْخَنَا * مَهِيْبٌ عَلَى رَغَمِ الْفَنَاءِ وَقُورُ
 وَسَائِلُهُ عَمَّا غَابَ عَنْكَ فَإِنَّهُ * عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ بِصِيرُ
 يُخَبِّرُكَ الْأَعْمَى وَإِنْ كُنْتَ مُبْصِرًا * بِمَا لَمْ تُخْبِرْ أَحَدٌ وَسُطُورُ
 كَأَنِّي بَسْمُجِ الْغَيْبِ أَسْمَعُ كُلَّ مَا * يُجِيبُ بِهِ أَسْنَادُهَا وَيُحِيرُ
 يُنَايِكَ : أَهْلًا بِالَّذِي عَاشَ عَيْشَنَا * وَمَاتَ وَلَمْ يَدْرُجْ إِلَيْهِ غُرُورُ
 قَضَيْتَ حَيَاةَ مِلْؤُهَا الْبِرِّ وَالتَّقَى * فَأَنْتَ بِأَجْرِ الْمُتَّقِينَ جَدِيرُ
 وَسَمَّوكَ فِيهِمْ فَيَلْسُونًا وَأَمْسَكُوا * وَمَا أَنْتَ إِلَّا مُحْسِنٌ وَمُجِيرُ
 وَمَا أَنْتَ إِلَّا زَاهِدٌ صَاحِبُ صَبِيحَةٍ * يَرِنُ صَدَاهَا سَاعَةً وَيَطِيرُ

- (١) الحطام : المال . والكباد : المكيدة . يشير الى ثروة تولستوى التى كان يملكها ثم نزل منها بعد وفرةها بين الفقراء . وقد ذكر ذلك فى ترجمته . (٢) رهن الحبسين ، هو أبو العلاء المخرى ، سمى نفسه به ، وكان لزم بيته فلم يخرج منه مطلقا ، فأراد بأحد الحبسين : البيت . وبالأخر : العسى . وثار : مقيم . وسير : يريد أنه مستور ، بمعنى مدنون . (٣) يريد « بالشيوخ » : أبا العلاء . (٤) الاحتشام : الحياء . (٥) أحوار الجواب بحيره : رده . (٦) عيشنا ، أى عيش الزاهدين . ويدرج : يمشى .

(١)
 سَلَوْتَ عَنِ الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُمْ صَبَوْا * إِلَيْهَا بِمَا تُعْطِيهِمْ وَيَمِيرُ
 حَيَاةُ الْوَرَى حَرْبٌ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا * سَلَامًا وَأَسْبَابُ الْكِفَاجِ كَثِيرُ
 آبَتْ سُنَّةُ الْعُمَرَانِ إِلَّا تَنَاحَرَا * وَكَذَحًا وَلَبُو أَنْ الْبَقَاءَ يَسِيرُ
 مُحَاوِلُ رَفَعَ الشَّرَّ وَالشَّرُّ وَاقَعَ * وَتَطْلُبُ مَحْضَ الْخَيْرِ وَهُوَ عَسِيرُ
 وَلَوْ لَا امْتَرَاجُ الشَّرِّ بِالْخَيْرِ لَمْ يَقُمْ * دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِلَهَ قَدِيرُ
 وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ النَّبِيَّ لِلْهُدَى * وَلَمْ يَتَطَّلِعْ لِلسَّرِيرِ أَمِيرُ
 وَلَمْ يَعْشَقِ الْعَلِيَاءُ حُرٌّ وَلَمْ يَسُدَّ * كَرِيمٌ وَلَمْ يَرْجُ الشَّرَّاءَ فَقِيرُ
 (٢)
 وَلَوْ كَانَ فِيْنَا الْخَيْرُ مَحْضًا لَمَّا دَعَا * إِلَى اللَّهِ دَاعٍ أَوْ تَبَلَّجَ نُورُ
 وَلَا قِيلَ هَذَا فَيُلْسَفُ مَوْفُقٌ * وَلَا قِيلَ هَذَا عَالِمٌ وَخَيْرُ
 فَكَمْ فِي طَرِيقِ الشَّرِّ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ * وَكَمْ فِي طَرِيقِ الطَّيِّبَاتِ شُرُورُ
 (٣)
 أَلَمْ تَرَ أَنِّي قُتِلْتُ قَبْلَكَ دَاعِيَا * إِلَى الزُّهْدِ لَا يَأْوِي إِلَى ظَهِيرِ
 (٤)
 أَطَاعُوا (أَبِيقُورًا) وَ(سُقْرَاطَ) قَبْلَهُ * وَخُولِفْتُ فِيمَا أَرْتَبِي وَأُشِيرُ
 (٥)

(١) صبا : مال وحن . وتميمهم : تأنيبهم بالمعزة ، وهي الطعام .

(٢) تبليج ، أشرق . (٣) يلاحظ أن الرفع في قوله « شرور » آنرا ليت لضرورة حركة

الروى ، وإلا فالوجه نصبه على الأرجح ، للفصل بينه وبين « كم » الخبرية بهما ووجوبه : أوجهه ، على

مذهب بعض النحويين . (٤) الظهير : المعين . (٥) ولد أبيقور الفيلسوف الإغريقي

سنة ٣٤٢ ق م في جزيرة ساموس ، وأسس في أثينا مدرسة في حديقته منزله . وتوفي سنة ٢٧٠ ق م . واشتهر

بدعوته إلى طلب الذات في الحياة ، وأخطأ الناس ففهموا من فلسفته الإباحية المطلقة . وسقراط :

فيلسوف يوناني معروف ، عاش من سنة ٤٦٨ ق م إلى سنة ٤٠٠ ق م . ولم يعرف مذهب في اللذة

بالضبط ؛ من أجل ذلك وجدت مذاهب مختلفة بعده تنسب إليه ، منها مذهب اللذة .

(١) ومِتْ ماتت بُع طامِع * عليها ولا ألقى القِيَادَ صَمِيرُ
إِذَا هُ تَ الظُّلْمُ رُ تَشَيَّتْ * له فَوْقَ أَكْتَفِ الكَوَاكِبِ دُورُ
أَفَاضَ نَا فِي النَّصِيحَةِ جَاهِدًا * ومَاتَ كِلَانَا وَالْقُلُوبُ صُحُورُ
(٢) فَكَمْ قِيلَ عَنْ كَهْفِ الْمَسَاكِينِ بَاطِلٌ * وَكَمْ قِيلَ عَنْ شَيْخِ (الْمَعْرَةِ) زُورُ
(٣) وَمَا صَدَّ عَنْ فِعْلِ الْأَذَى قَوْلُ مُرْسِلٍ * وَمَا رَاعَ مَقْتُونِ الْحَيَاةِ نَذِيرُ

رثاء رياض باشا^(٤)

أنشدها على قبره في حفل الأربعين

[نشرت في ٢٩ يولييه سنة ١٩١١ م]

(٥) (رياضُ) أَفِيقْ مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ وَاسْتَمِعْ * حَدِيثَ الْوَرَى عَنْ طَيْبٍ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ
أَفِيقْ وَاسْتَمِعْ مِنِّي رِثَاءً جَمَعْتُهُ * تُشَارِكُنِي فِيهِ الْبَرِيَّةُ أَجْمَعُ
لَتَعْلَمَ مَا تَطْوِي الصُّدُورُ مِنَ الْأَمْسَى * وَتَنْظُرَ مَقْرُوحَ الْحَشَا كَيْفَ يَخْزَعُ

(١) عليها ، أى على الأرض . وإلقاء القياد : كناية عن الإذعان والطاعة . والقياد بالكسر :

الحيل يقاد به .

(٢) كهف المساكين : ملجؤهم . ويريد به هنا : تولستوى . وشيخ المعزة ، هو أبو العلاء المعرى السابق ذكره . ويريد بهذا البيت . أن كلا الرجلين قد اتهم بما ليس فيه ، ورماء الناس في عقيدته ومذهبه بما هو برى منه . (٣) راعه : أقره . والمقتون : المخدوع .

(٤) كان رياض باشا من رجال عباس باشا الأول ، وتولى عدة مناصب عالية في عهد إسماعيل ونوفيق وعباس الثاني ، وأسندت إليه رئاسة مجلس النظار ثلاث مرات ، وترك الحكم في ١٤ أبريل سنة ١٨٩٤ م ، وتوفي بالإسكندرية في ١٧ يونيو سنة ١٩١١ وكان معروفًا بالعدل والشفقة في تنفيذ الأحكام ، وكانت له أباد يفضاء في تنظيم شؤون الداخلية . (٥) المعرة : الشدة .

لئن تَكُ قد عُمِرْتَ دَهْرًا لَقَدْ بَكَى * عَلَيْكَ مَعَ الْبَاكِ خَلَائِقُ أَرْبَعٍ :
 مَضَاءٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَعَزَمَةٌ * ^(١) مِنْ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ أَمْضَى وَأَقْطَعَ
 رَحِمَتِ ، فَا جَاهُ يُنَوِّهُ فِي الْعُلَا * ^(٢) بِصَاحِبِهِ إِلَّا وَجَاهُكَ أَوْسَعُ
 وَلَا قَامَ فِي أَيَّامِكَ الْيَبِضُ مَا جَدُّ * يُنَازِعُكَ الْبَابُ الَّذِي كُنْتَ تَقْرَعُ
 إِذَا قِيلَ : مَنْ لِلرَّأْيِ فِي الشَّرْقِ أَوْمَاتُ * ^(٣) إِلَى رَأْيِكَ الْأَعْلَى مِنَ الْغَرْبِ أَصْبَحُ
 وَإِنْ طَلَعْتَ فِي (مِصْرَ) شَمْسُ نَبَاهَةٍ * ^(٤) فَمِنْ بَيْتِكَ الْمُعْمُورِ تَبْدُو وَتَطْلُعُ
 حَكَمَتَ فَمَا حَكَمْتَ فِي قَصْدِكَ الْهَوَى * ^(٥) طَرِيقُكَ فِي الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ مَهْمَعُ
 وَقَدْ كُنْتَ ذَا بَطْشٍ وَلَكِنْ نَحْتَهُ * ^(٦) نَزَاهَةُ نَفْسٍ فِي سَبِيلِكَ تَشْفَعُ
 وَقَفْتَ (لِإِسْمَاعِيلَ) وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ * ^(٧) وَفِي كَفِّهِ سَيْفٌ مِنَ الْبَطْشِ يَلْمَعُ
 إِذَا صَاحَ لَبَّاهُ الْقَضَاءُ وَأَسْرَعَتْ * إِلَى بَابِهِ الْأَيَّامُ ، وَالنَّاسُ خُشَعُ
 يُنْذَلُ - إِذَا شَاءَ - الْعَزِيزُ وَتَرْتَبِي * ^(٨) إِرَادَتُهُ رَفَعَ الدَّلِيلَ فَيُرْفَعُ
 فِيهِ كَرَّةٌ مِنْ لَحْظِهِ وَهُوَ مَا يَسُّ * ^(٩) تَدَّكَ جِبَالٌ لَمْ تَكُنْ تَتَزَعَّرُ

(١) الصارم المصقول : السيف المجلج . (٢) نَوَّهَ بِهِ : رفع ذكره .

(٣) أومات : أشارت . (٤) المهجع من الطريق : البين الواضح .

(٥) يقول : إن ابتعاد الفقيه عما يدنس أرباب الحكم من المفاالم كان يشفع له عند الناس

إذا أخذهم بالقسوة والعنف في تنفيذ الأحكام . (٦) يشير إلى معارضته (إسماعيل باشا)

الحدادي عند ما أراد نفى (إسماعيل باشا صديق) ، وكانت رياض باشا الرجل الوحيد الذي عارض في هذا النفي ، وطلب محاكمته علنا ليعلم جرمه .

(٧) تدك : تهدم .

(١) وفي كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وَهُوَ بِاسْمٍ * تَسِيلُ بِحَارٍ بِالْعَطَاءِ قَتْمِرُ
 (٢) فَمَا أَظْلَبُ شَاكِيَ الْعَزِيمَةِ أَرْوَعُ * يُصَارِعُهُ فِي الْغَابِ أَظْلَبُ أَرْوَعُ
 (٣) بِأَجْرًا مِنْ ذَلِكَ الْوَزِيرِ مُصَادِمًا * إِرَادَةَ (إِسْمَاعِيلَ) وَالْمَوْتُ يَسْمَعُ
 (٤) وَفِي الثَّوَرَةِ الْكُبْرَى وَقَدْ أَحْدَقَتْ بِنَا * صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْمَنِيَّةُ مُشْرِعُ
 (٥) نَظَرَتْ إِلَى (مِصْرٍ) فَسَاءَكَ أَنْ تَرَى * حُلَاهَا بِأَيْدِي الْمُسْتَطِيلِينَ تَنْزِعُ
 (٦) وَلَمْ تَسْتَطِعْ صَبْرًا عَلَى هَتِكِ خَدْرِهَا * فَفَارَقَتْهَا أَسْوَانٌ وَالْقَلْبُ مُوجِعُ
 (٧) وَعُذَّتْ إِلَيْهَا حِينَ نَادَاكَ نِيلُهَا : * أَقِلْ عَثْرَتِي فَالْقَوْمُ فِي الظُّلُمِ أَبْدَعُوا
 (٨) فَكُنْتَ (أَبَا مُحَمَّدٍ) غَوَاً وَعِصْمَةً * إِلَيْكَ دُعَاةُ الْحَقِّ تَأْوِي وَتَفْرَعُ
 (٩) وَكَمْ نَابِغٍ فِي أَرْضِ (مِصْرٍ) حَمِيَّتِهِ * وَمِثْلُكَ مَنْ يَجِي الْكَرِيمَ وَيَمْنَعُ

- (١) تمرع، أى نهض بالخصب والخير . (٢) الأظلب : الأسد، لفظ رقبته . وشاكى العزيمة ،
 أى ذو شوكة وحدة في عزيمته . والأروع : من يعجبك بشجاعته . (٣) والموت يسمع : كناية عن قربهِ .
 (٤) أحْدَقَتْ بِنَا : أحاطت . وصُرُوفُ اللَّيَالِي : نوائها . والمشرع : المورِد .
 (٥) المستطيلون : المتعبون . (٦) الأسوان : الحزين .
 (٧) العثرة : الكربة والزلة . وإثالتها : إنهاض صاحبها والأخذ بيده . يشير هذا البيت والآيات
 الثلاثة قبله : إلى هجرة الفقيه من مصر إلى أوروبا ، عند ما ثار الضباط في عهد إسماعيل في ١٨ فبراير
 سنة ١٨٧٩ م ، لأن ناظر المالية إذ ذاك السير (ريفريس ولس) رأى أن يرفق ٢٥٠٠ ضابط على
 سبيل الاقتصاد من غير أن يدفع لهم المتأخر من مرتباتهم ، فظاهره وأمام نظارة المالية ، وأوسعوا نوبار باشا
 رئيس النظارة (ولس) لكأ وضرباً ، وكادوا يتألون من الفقيه ، وكان وزيراً للداخلية في هذه الوزارة ؛
 وقد بقي الفقيه في أوروبا حتى دعاه المغفور له توفيق باشا لتولي رئاسة النظارة ، فعاد إلى مصر في ٣ سبتمبر
 سنة ١٨٧٩ م . (٨) منع الشاعر (محمود) من الصرف لضرورة الشعر . (٩) يشير بقوله
 « وكَمْ نَابِغٍ » والآيات الأربعة الآتية بعد : إلى ترحيب الفقيه وتمضيده للسيد جمال الدين الأفغاني حينما
 ترك الأستانة إلى مصر سنة ١٨٧١ وإلى ما كانت تمتد به حكومة رياض من مساعدة مالية ، ذلك إلى أنها
 رخصت له في إلقاء محاضرات في الأزهر لنشر آراءه وبسطه للناس من علمه .

رَعَيْتَ (جَمَالَ الدِّينِ) ثُمَّ اصْطَفَيْتَهُ * فَأَصْبَحَ فِي أَفْيَاءِ جَاهِكَ يَرْتَعُ^(١)
 وَقَدْ كَانَتْ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ ثَاوِيًا * وَفِي صَدْرِهِ كَثْرٌ مِنَ الْعِلْمِ مُودَعُ^(٢)
 فَبُغْتَ بِهِ وَالنَّاسُ قَدْ طَالَ شَوْقُهُمْ * إِلَى أَلْمَعَى بِالْبَرَاهِينِ يَصْدَعُ^(٣)
 فَارْكٌ مِنْ أَفْهَامِهِمْ وَعُقُولِهِمْ * وَعَاوَدَهُمْ ذَاكَ الذِّكَاؤُ الْمُضِيعُ^(٤)
 وَوَلَّيْتَ تَحْرِيرَ الْوَقَائِعِ (عَبْدَهُ) * بَخَاءٍ بِمَا يَتَسَفَى الْغَلِيلُ وَيَنْقَعُ^(٥)
 وَكَانَتْ لَرَبِّ النَّاسِ فِيهِ مَشِيئَةٌ * فَأَمَسَتْ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي الْحَقِّ تَرْجِعُ^(٦)
 وَجَاءُوا (بِابْرَاهِيمَ) فِي الْقَيْدِ رَاسِفًا * عَلَيْهِ مِنَ الْإِمْلَاقِ ثَوْبٌ مُرْقَعُ^(٧)
 فَأَلْقَيْتَ مِلءَ الثَّوْبِ نَفْسًا طُمُوحًا * إِلَى الْمُجْدِ مِنْ أَطَارِهَا تَنْطَلِعُ^(٨)
 فَأُطْلِقْتَهُ مِنْ قَيْدِهِ وَأَقْلَنْتَهُ * وَمَا كَانَ فِي تِلْكَ السَّعَادَةِ يَطْمَعُ
 وَكَمْ لَكَ فِي (مُضِيرٍ) وَفِي (الشَّامِ) مِنْ يَدٍ * لَهَا أَيْنَ حَلَّتْ نَفْعَةٌ تَنْضَوُّعُ^(٩)

(١) الأفياء : الظلال ؛ الواحد في . .

(٢) ثاوريا : مقيا .

(٣) الألعى ، الذكى المتوقد . ويصدع بالبراهين : يجهريها . (٤) عبده ، أى الشيخ محمد عبده ،

وكان رياض باشا قد عهد إليه في سنة ١٨٨٠ م بالإشراف على تحرير الوقائع المصرية حيث خصص فيها قسم لحركة الأدبية والسياسية . والغليل : شدة العطش . ونقعه : إرراؤه .

(٥) أى وكانت لله مشيئة في أن يكون الشيخ محمد عبده عظيم القدر ، موثلا للفق .

(٦) يريد بـ إبراهيم : إبراهيم الهلباوى بك الحامى المعروف . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده

إلى ما كان من طعن الهلباوى على الحكومة والمجى به متبها أمام رياض باشا ، فأفس منه رياض ماسر به ففعا عنه ، وتولاه برعايته . (٧) نفسا طموحة ، أى مستشرقة إلى معالي الأمور ، متطلعة إليها .

والمسجوع ، طموح ، بلا تاء في آخره ، للذكر والمؤنث . والأطمار : الخلق من الثياب ؛ الواحد طمر (بالكسر) . (٨) تنضوع : تنتشر رائحتها .

(١) رَفَعَتْ عَنِ الْفَلَاحِ عِبَاءَ ضَرِيَّةٍ * يَنْوُءُ بِهَا أَيَّامٌ لَا غَوْتَ يَنْفَعُ
 (٢) وَأَرْهَبَتْ حُكَّامَ الْأَقَالِيمِ فَأَرَعَوْا * وَكَانُوا أَنَاسًا فِي الْجَهَالَةِ أَوْضَعُوا
 (٣) خَفَافُوكَ حَتَّى لَوْ تَنَاجَوْا بِنَجْوَةٍ * لَخَالُوا (رِيَاضًا) فَوْقَهُمْ يَتَسَمَعُ
 (٤) أَقَتَ عَلَيْهِمْ زَاجِرًا مِنْ نُفُوسِهِمْ * إِذَا سَأَلْتِ أَمْرًا لَهُمْ قَامَ يَرُدُّ
 (٥) سَلِ النَّاسَ أَيَّامَ الرِّشَاءِ مُسْتَفِيزَةً * وَأَيَّامَ لَا تَجْنِي الَّذِي أَنْتَ تَزْرَعُ
 أَكَلَتْ (رِيَاضُ) عَنْهُمْ غَيْرَ غَافِلٍ * يَرُدُّ الْأَذَى عَنِ أَهْلِ (مِصْرٍ) وَيُدْفَعُ
 (٦) (أُمُوتَمَرُ الْإِصْلَاحِ) وَالْعُرْفِ، قَدَمَضَى * (رِيَاضُ) وَأَوْدَى السَّوَارِعُ الْمُتَوَرِّعُ
 (٧) وَكَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ خَيْرَ جَالِسٍ * هَيَّيْتَهُ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَخْشَعُ
 (٨) فَيَا وَيْلَنَا إِنْ لَمْ تُسَدُّوا مَكَانَهُ * بِذِي مِرَّةٍ فِي الْخَطْبِ لَا يَتَضَعُّعُ

(١) العبء : الحمل . وينوء بها : لم يستطع حملها والنهوض بها . والغوث : المعين والناصر . ويشير إلى النساء . رياض باشا بعض الضرائب ، وكان مجموع ما ألغى منها أربعة وعشرين ضريبة ، منها عوائد الجمارك الداخلية التي كان يتضجر منها الفلاحون ، والضريبة الشخصية ، وضريبة الوزن .

(٢) ارعوى : كف وانهى . وأرضعوا في الجهالة ، أى انغمسوا فيها واسترسلوا .

(٣) تناجوا : تشاروا . والنجوة : ما ارتفع من الأرض . يريد المكان البعيد عن الرقباء .

(٤) يردع : يزجر .

(٥) الرشا : جمع رشوة (بتلث الراء) ، وهى معروفة « وأيام لا تجنى » الخ ، أى أيام كان يحرم

العامل ثمره عمله . (٦) يشير إلى أثر الفقيه في مؤتمر الإصلاح الذى انعقد في سنة ١٩١١م ،

وتوالت جلساته خمسة أيام . وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما النظر في حال المسلمين الاقتصادية

والاجتماعية والأدبية . والثانى الرد على مطالب الأقباط التى طلبوها في مؤتمريهم المنعقد بأسبوط قبل ذلك

في ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان الفقيه رئيسا لهذا المؤتمر الإسلامى ، أو المؤتمر المصرى . وأودى :

ذلك . والوازع : الزاجر . والمتورع : المتحرج . (٧) تعنو : تذل وتختضع .

(٨) المرة : القوة والعزيمة .

بِعِيدِ مَرَامِ الْفِكْرِ أَمَا جَنَانُهُ * فَرَحْبٌ ، وَأَمَّا عِزُّهُ فَمُمْنَعٌ ^(١)
 فَيَأْتِيهِمُ الْمُسْتَضْعِفِينَ إِذَا عَدَا * عَلَيْهِمْ زَمَانٌ بِالْعَدَاوَةِ مُوَلِّعٌ ^(٢)
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا قَامَ بَيْنَنَا * وَزِيرٌ عَلَى دَسْتِ الْعُلَا يَتَرَبَّعُ ^(٣)

رثاء الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ^(٤)

انشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه بمنزل السادات

[نشرت في ٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ م]

صُوِّبُوا يَرَاعَ (عَلِيٌّ) فِي مَتَاحِفِكُمْ * وَشَاوِرُوهُ لَدَى الْأَرْزَاءِ وَالنُّسُوبِ ^(٥)
 وَاسْتَلْهِمُوهُ إِذَا مَا الرَّأْيُ أَخْطَأَكُمْ * يَوْمَ النَّضَالِ عَنِ الْأَوْطَانِ وَالنَّشَبِ ^(٦)
 قَدْ كَانَ سَلَوَةً (مُضِيرٍ) فِي مَكَارِيهَا * وَكَانَ جَمْرَةً (مُضِيرٍ) سَاعَةَ الْقَضَبِ ^(٧)
 فِي شِقِّهِ وَمَرَامِيهِ وَرِيقَتِهِ * مَا فِي الْأَسَاطِيلِ مِنْ بَطْشٍ وَمِنْ حَطَبِ ^(٨)
 كَمْ رَدَّ عَنَّا وَعَيْنُ الْغَرْبِ طَائِحَةٌ * مِنْ الرِّزَايَا وَكَمْ جَلَّى مِنَ الْكُرْبِ ^(٩)

(١) الجنان : القلب . (٢) مولع : منعم . (٣) الدست : المجلس .

(٤) ولد الشيخ على يوسف الكاتب المعروف صاحب المؤيد في بعصفورة من أعمال مديرية بجربا ، وحفظ القرآن ، وتلقى مبادئ العلوم في بلدة بنى عدى من أعمال منفلوط ، ثم أرسل الى الأزهر فتعلم فيه بعض علوم اللغة والدين ، وأنشأ جريدة المؤيد ، ظهر أول عدد منها في ديسمبر سنة ١٨٨٩ م ، وكان المرحومان رياض باشا وسعد زغلول باشا من أكبر أنصاره على القيام بسبب هذه الصحيفة ، وتوفي في سنة ١٩١٣ م ، وكان كاتباً معروفًا بالجدل وقوة الحجّة ، وتولى مشيخة عبادة الوفاية .

(٥) النشب : المال . (٦) ريقة القلم : مداده . والعطب : الهلاك .

(٧) جلى : كشف .

(١) له صريرٌ اذا جَدَّ التَّزَالُ به * يُنْسِي الكُفَاةَ صَلِيلَ الْبَيْضِ وَالْقُضْبِ
(٢) ما ضَرَّ مَنْ كَانَ هَذَا فِي أَنَامِلِهِ * أَنْ يَشْهَدَ الْحَرْبَ لَمْ يَسْكُنْ إِلَى يَلْبِ
(٣) فَلَوْ رَأَى (أَبْنُ أَوْسٍ) مَا قَرَأَتْ لَهُ : * (السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ)
أَلَا فَتَى عَرَبِيٌّ يَسْتَقِيلُ بِهِ * بَعْدَ الْفَقِيدِ وَيَحْيَى حَوْزَةَ الْأَدَبِ
(٤) وَيَمْنَعُ الْحَقُّ أَنْ يُغْنِيَ تَبْلُجَهُ * مَا فِي السِّيَاسَةِ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبِ
أَوْدَى قَتَى الشَّرْقِ، بَلْ شَيْخُ الصَّحَافَةِ بَلْ * شَيْخُ الْوَفَائِيَّةِ الْوَضَاحَةِ الْحَسَبِ
(٥) أَقَامَ فِينَا عِصَامِيًّا فَعَلَّمَنَا * مَعْنَى الثَّبَاتِ وَمَعْنَى الْخَدِّ وَالْدَّابِّ
وَرَاحَ عَنَّا وَلَمْ تَبْلُغْ عَزَائِمُنَا * مَدَى مُنَاهَا وَلَمْ تَقْرُبْ مِنَ الْأَرْبِ
(٦) قَالُوا عَجَبْنَا لِمِصْرِ يَوْمَ مَضْرَعِهِ * وَقَدْ عَجَبْتُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْعَجَبِ

(١) صرير القلم : صوته في الكتابة . وصليل البيض والقضب : أصوات السيوف . والكافة : الشجعان ؛ الواحد كمي . (٢) اليلب : الدروع من الجلود . يريد أن من كان هذا القلم من أسلحته شهد الحروب بغير درع بقيه أسلحة الأبطال ، وحسبه هذا القلم وقاية له . (٣) يريد حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام . والشرط الثاني من هذا البيت هو مصدر بيت له من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله الخليفة العباسي حين فتح عمورية ، وبجز البيت :

* فِي حَذِّهِ الْخَدَّيْنِ الْخَدَّ وَاللَّعْبِ *

لحافظ يقول : إن أبا تمام لو رأى هذا القلم لعرف فضله على السيف .

(٤) يغشى تبليجه ، أى يحجب إشاراته . (٥) العصامي : الذي ساد بنفسه لا يأتاه ،

نسبة إلى عصام الذي يقول فيه الشاعر :

* نَفْسُ عَصَامٍ سَوَّدَتْ عَصَامًا *

والدأب في العمل : الاستمرار عليه والاجتهاد فيه . (٦) قالوا عجبنا ... الخ ، أى عجبنا

لأهل مصر في تلقيهم نهي الفقيه في فتور وقلة أكرات .

(١) إِنْ الْأَلَى حَسِبُوهَا غَيْرَ جَارِعَةٍ * لَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَشْيَاءِ مِنْ كَثَبِ
 تَالِهٍ مَا جَهِلَتْ فِيهِ مُصِيبَتَهَا * وَلَا الَّذِي فَقَدَتْ مِنْ كَاتِبِ الْعَرَبِ
 (٢) لَكِنَّا أَلَفْتُ وَالْأَمْرُ يَحْزُبُهَا * فَقَدَ الرَّجَالِ وَمَوْتَ السَّادَةِ النَّجْبِ
 (٣) وَهَمَّتْهَا أَلْيَالِي أَنْ تُصَايِرَهَا * فِي الْحَاثَاتِ وَإِنْ أَمَعَنَّ فِي الْحَرْبِ
 (٤) كَمْ أَرْجَفُوا بَعْدَ مَوْتِ الشَّيْخِ وَارْتَقَبُوا * مَوْتَ (الْمُؤَيَّدِ) فِينَا شَرٌّ مُرْتَقَبِ
 وَإِنْ يَمُتْ يَمُتِ الْأَمَالُ فِي بَلَدٍ * لَوْلَا (الْمُؤَيَّدِ) لَمْ يَنْشَطْ إِلَى طَلَبِ
 (٥) صُبَابَةٍ مِنْ رَجَاءٍ بَيْنَ أَضْلَعِنَا * قَدْ بَاتَ يَرْشُفُ مِنْهَا كُلُّ مُغْتَصِبِ
 (٦) أَلَمْ يَكُنْ لِنَبِيِّ (مِصْرٍ) وَقَدْ دُهِمُوا * مِنْ سَاسَةِ الْعَرَبِ مِثْلَ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ
 كَمْ أَنْبَرَتْ فِيهِ أَقْلَامٌ وَكَمْ زُرِفَتْ * فِيهِ مَنَائِرُ مِنْ نَظْمٍ وَمِنْ خُطَبِ
 وَكَانَ مِيدَانُ سَبْقِي لِلْأَلَى غَضَبُوا * لِلدِّينِ وَالْحَقِّ مِنْ دَائِعٍ وَمُحْتَسِبِ
 (٧) فَكَمْ يَرَاغُ حَكِيمٍ فِي مَشَارِعِهِ * قَدْ التَّقَى بِيَرَاغِ الْكَاتِبِ الْأَرِبِ

(١) الكتب (بالتحريك) : القرب . أى لا ينظرون الأمور على حقائقها .

(٢) حزبه الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) الحرب (بالتحريك) : اشتداد الغضب . (٤) أرجف القوم : خاضوا في الأخبار

السيئة على أن يوقعوا بين الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شئ . (٥) الصبابة :

البقية . يقول : ان المؤيد بقية من رجاء وعزاء يلوذ بها كل مغتصب الحق . (٦) الضمير

في « يكن » المؤيد . والمعقل : الحصن . والأشب : المتنع بما حوله من السياج والسلاح ، وهو من

قولهم : شجر أشب ، أى ذو شوك مشبك بعضه ببعض .

(٧) المشارع : المناهل ، الواحد مشرع (يفتح الميم والراء) . والأرب : البصير الفطن .

(١) أَيْ الصَّحَائِفِ فِي الْقُطْرَيْنِ قَدْ وَصَعَتْ * رَدَّ (الإمام) مُزِيلِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
(٢) أَيَّامَ يَحْصِبُ (هَانُوتُو) بِفَرِيَّتِهِ * وَجَهَ الْحَقِيقَةَ وَالْإِسْلَامَ فِي نَحْبِ
مَالِي أَعَدُّ آتَارَ الْفَقِيدِ لَكُمْ * وَالشَّرْقُ يَعْرِفُ رَبَّ السَّبْقِ وَالْغَلَبِ
لَوْلَا (الْمُؤَيَّدُ) ظَلَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَى * تَنَاضُرٍ بَيْنَهُمْ فِي ظُلُمَةِ الْمَجْبُوبِ
(٣) تَعَارَفُوا فِيهِ أَرْوَاحًا وَصَمَمَهُمْ * رَغَمَ التَّنَائِي زِمَامٌ غَيْرُ مُتَقَضِبِ
فِي مِصْرَ فِي تُونِسَ فِي الْهِنْدِ فِي عَدَنَ * فِي الرُّوسِ فِي الْفُرْسِ فِي الْبَحْرَيْنِ فِي حَلَبَ
هَذَا يَحِينُ إِلَى هَذَا وَقَدْ عُقِدَتْ * مَوَدَّةٌ بَيْنَهُمْ مَوْصُولَةُ السَّبَبِ
(أَبَا بُثَيْنَةَ) نَمَّ يَكْفِيكَ مَا تَرَكَتْ * فِينَا يَدَاكَ وَمَا عَانَيْتَ مِنْ تَعَبِ
جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ وَالْأَوْطَانِ مُعْتَسِبَا * فَأَرْجِعْ إِلَى اللَّهِ مَأْجُورًا وَقُزْ وَطِبْ
(٤) وَأَحْمِلْ يُثْنِيكَ يَوْمَ النَّشْرِ مَا نَشَرْتَ * تِلْكَ الصَّحِيفَةُ فِي دُنْيَاكَ وَأَنْتَ سَبِ

(١) يريد «بالإمام»: الشيخ محمد عبده، ويشير إلى رده على هانوتو الذي نشره في صحيفة المؤيد.

(٢) يحصب: يرى. والفريّة: الكذبة. والحب (يسكون الحاء) وفتحها هنا لضرورة الوزن:

أشدّ البكاء.

(٣) التناي: التباعد. ومتقضب: منقطع.

(٤) وانتسب، أى انتسب إلى تلك الصحيفة فهي حسبك من نسب.

رثاء على أبي الفتوح باشا^(١)

أشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه في الجمانة

[نشرت في ٩ فبراير سنة ١٩١٤ م]

(٢)

جَلَّ الأَمَى قَتَجَلِي * وإذا أَيْتِ فَأَجْمَلِي

يامِضْرُ قد أَوْدَى قَتَا * كِ ولا قَتَى إِلَّا (عَلِي)

قَدَمَاتِ نَابِغَةُ القَضَا * عِ وغَابَ بَدْرُ المَحْفَلِ

(٣)

وَمَدَا القَضَاءُ عَلَى القَضَا * عِ فصَابَهُ فِي المَقْتَلِ

حَلَالُ عَقْدِ المَعْضَلَا * تِ قَضَى بِدَاءِ مُعْضِلِ

(٤)

وَيْجِ الكِثَانَةِ مَالَمَا * فِي غَمْرَةٍ لَا تَجْعَلِي

بَاتَتْ وَكَارِثَةُ تَمْرُهَا * وَكَارِثَةُ نَلِي

يَا زَهْرَةَ المَاضِي وَيَا * رَيْحَانَةَ المُسْتَقْبَلِ

كُنَّا نَعِدُّكَ للشَّدَا * يُدِ فِي الزَّمَانِ المُقْبِلِ

- (١) على أبو الفتوح باشا، هو ابن أحمد أبو الفتوح باشا. ولد بيلقاس من أعمال الغربية في سنة ١٨٧٣ م وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر سافر إلى أوروبا لالتق علوم القانون بكلية مونبلييه بفرنسا، ولبث فيها ثلاث سنوات نال بعدها شهادة الليسانس، وقد شهد له أساتذته في تفريراتهم الرسمية بأنه يكتب اللغة الفرنسية كأحد أبنائها. وكان ينشر بعض المباحث في المجلات الفرنسية، وعاد إلى مصر في سنة ١٨٩٥ م. وأثر منصب تولاه في الحكومة المصرية وكالة المعارف في ٥ أبريل سنة ١٩١٠ م، وتوفي في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٣ م.
- (٢) تجلي، أي لا تظهرى الخزع. وأجمل، أي أرفق، يخاطب مصر.

(٣) يريد «بالقضاء» الأول: الموت، والثاني: الفصل في الخصومات.

(٤) الغمرة: ما يشمر الناس، أي يشملهم من الخطوب والأرزاء.

يَا لَابَسَ انْخُلْتُ الْكَرِي * يَمِ الْمُطْمِنِ الْأَمْتَلِ

فَارَقْتَنَا فِي حِينِ حَا * جَتْنَا وَلَمْ تَسْمَهَلِ

يَا رَامِيَا صَدَرَ الصَّعَا * بِ رَمَاكَ رَامِي الْأَجْمَلِ

يَا حَافِظَا غَيْبِ الصَّدِيدِ * بَقِي وَيَا كَرِيمَ الْمَقُولِ

أَيُّ الْحَامِدِ غَضَّة * بِجُلَاكَ لَمْ تَجْمَلِ

تَلَهُو لِدَاؤِكَ بِالْقَبَا * تَلَهُو وَأَنْتَ بِمَعَزِلِ

تَسْعَى وَرَاءَ الْبَاقِيَا * تِ الصَّالِحَاتِ وَتَعْتَلِ

بَيْنَ الْمُحَابِرِ وَالْدَفَا * تَرِ دَائِبَا لَا تَأْتَلِ

أَدْرَكْتَ عِلْمَ الْآخِرِي * بِنِ وَحُزَّتْ فَضْلَ الْأَوَّلِ

أَذْنَى مَرَامِكَ هِمَّة * فَوْقَ السَّمَاءِ الْأَعَزَلِ

وَأَجَلُ قَصِيدِكَ أَنْ تَرَى * (مِضْرًا) تَسُودُ وَتَعْتَلِ

دَرَجَ الْأَحْبَةِ بَعْدَ مَا * تَرَكُوا الْأَسَى وَالْحُزْنَ لِي

لَمْ يَحُلْ لِي مِنْ بَعْدِهِمْ * عَيْشٌ وَلَمْ أَنْعَلِ

- (١) الأجل : الصقر ، وهو معروف بالحذر والحرس . يقول : أصابك الموت الذي يصيب أشد المخلوقات حذرا وحما . (٢) القول : اللسان . (٣) الغضة : الناصرة . (٤) لدائك : من ولدوا ملك . (٥) لا تأمل : لا تنقص . (٦) السماء : اسم يطلق على نجمين فريين ، هما الأعزل والرايح ، وصي أعزل ، لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب ؛ وهو من منازل القمر ؛ والرايح ليس من منازل . (٧) درج الأحبة : ذهبوا ومضوا . (٨) أتعلى : أشتغل وأتلهى .

لى كُلِّ حَامٍ وَقْفَةٌ * حَرَى عَلَى مُتَحَلِّلِ
 (١)
 أَبْيَكى بُكَاءَ النَّاسِ كَلَا * تِ وَأَصْطَلِي مَا أَصْطَلِي
 لَمْ يُبْقِ لى يَوْمُ الْفَقِيرِ * يَدِ عَزِيمَةٍ لَمْ تُفْلَلِ
 (٢)
 يَوْمَ عَبُوسٍ قَدْ مَضَى * بَفَقَى أَغْرَ مُحَجَّلِ
 مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ هَوْلَهُ * عِنْدَ الْقَضَاءِ الْمُنْزَلِ
 (٣)
 لَمْ يَدْرِ مَا قَصَمُ الظُّهُو * رِ وَلَا أَنْخِزَالَ الْمَفْصِلِ
 يَا قَبْرُ وَيَحْكَ مَا صَنَعْتَ * تَ بَوَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ
 (٤)
 عَبَسْتَ مِنْهُ نَضْرَةً * كَانَتْ رِيَاضَ الْمُجْتَلِيِ
 (٥)
 وَعَبَسْتَ مِنْهُ بَطْرَةً * سَوْدَاءَ لَمَّا تَتَّصِلِ
 يَا قَبْرُ هَلْ لَعِبَ اللَّيْلِ * يَلْطَافِ تِلْكَ الْأَمْثَلِ ؟
 (٦)
 لَهْفَى عَلَيْهَا فِي الطُّرُ * سِ تَسِيلُ سَيْلَ الْجَدُولِ
 لَهْفَى عَلَيْهَا فِي الْجَدَا * لِ تَحُلُّ عَقْدَ الْمُشْكَلِ
 (٧)
 لَهْفَى عَلَيْهَا لِلرَّجَا * يَ وَلِلْعُقَاةِ السُّؤْلِ

(١) اصطلى النار : قامى حرقها .

(٢) أغر محجل ، أى مشهور المكانة معروف المنزلة . والأغر والمججل : أصابهما من صفات الخيل .

(٣) انخزال المفصل : انفصاله . (٤) المجتلى : الناظر المستوضح للأشياء .

(٥) لما تنصل ، أى لم تخرج من لونها بعد ، وهو السواد . يريد أنها لم يدر كمها الشيب .

(٦) الجدول : النهر الصغير .

(٧) العقاة : طلاب المعروف ؛ الواحد عاف (كقاف) .

يَا قَبْرُ ضَيْفِكَ بَيْنَنَا * قَدْ كَانَ خَيْرَ مُؤْمِلٍ
لَمْ يَنْقِضْ كِبَرًا بِنَا * دِيهٍ وَلَمْ يَنْبَذِلِ
إِنِّي حَلَلْتُ رِحَابَهُ * فَتَزَلَّتْ أَكْرَمَ مَتَرِلِ
وَنَهَلْتُ مِنْ أَخْلَاقِهِ * فَوَرَدْتُ أَعْذَبَ مَنَهَلِ^(١)

رثاء فتحي وصادق

قالها في رثاء الطيارين العثمانيين فتحي بك وصادق بك اللذين سقطت بهما الطائرة قرب دمشق، وكانا يستزمان الطيران من دمشق إلى القدس ثم إلى مصر، ويؤمل فيها وصول الطيار الآخر نوري بك سالمًا

[نشرت في أول أبريل سنة ١٩١٤ م]

أُخْتُ الْكَوَكِبِ مَا رَمَا * كِ وَأَنْتِ رَامِيَةُ النَّسُورِ؟^(٢)
مَاذَا دَهَاكِ وَفَوْقَ ظَهْرٍ * بِرِكَ مَرِيضُ الْأَسَدِ الْمَصُورِ؟^(٣)
خَضَعْتَ لِأَمْرَتِهِ الرِّيَا * حُ مِنْ الصَّبَا وَمِنْ الدُّبُورِ^(٤)
فَقَدْ يُصَرِّفُ مِنْ أَعْنَتِهَا تَصَارِيفَ الْقَدِيرِ^(٥)
(فَتَحِي) وَهَلْ لِي إِنْ سَأَلْتُ * سَتْ عَنِ الْمِصْبِيَةِ مِنْ مُحِيرِ؟^(٦)
وَيَلَاهُ هَلْ جُرِزَتِ الْحُدُودُ * دَ وَأَنْتِ تُحْتَرِقُ السُّتُورِ؟

(١) نهلت : شربت . (٢) أخت الكواكب، يخاطب الطائرة .

(٣) مريض الأسد : موضع ربوضه، أى بروكه . والمصور : الذى يصور فرسته، أى يكسرها .

(٤) الصبا : ريح الشمال . والدبور : الريح التى تقابلها . (٥) المحير : المحجب .

(٦) جزت الحدود ... الخ . يقول : هل جاوزت الحدود التى تفصل بين العالمين : عالم السماء وعالم

الأرض، واخترقت الحجب التى بينهما ؟

(١)
 فَرَمَاكَ حُرَّاسُ السَّمَاءِ * وَتِلْكَ قَاصِمَةُ الظُّهُورِ
 (٢)
 أَمْ غَارَ مِنْكَ السَّامِحَا * تَ وَأَنْتَ تَسْبَحُ فِي الْأَمِيرِ
 حَسَدَتَكَ حِينَ رَأَيْتَكَ وَحْدًا * ذَكَ ثُمَّ كَالْفَلَاحِ الْمُنِيرِ
 (٣)
 وَالْعَيْنُ مِثْلُ السَّهْمِ تَذُ * قُدُّ فِي التَّرَائِبِ وَالتُّحُورِ
 حَاوَلْتَ أَنْ تَرِدَ الْمَجْرَةَ * وَالْوُرُودُ مِنَ الْعَسِيرِ
 فَوَرَدْتَ يَا (فَتَحَى) الْحِمَا * مَ وَأَنْتَ مُنْقَطِعُ النَّظِيرِ
 وَهَوَيْتَ مِنْ كَيْدِ السَّمَاءِ * هِ وَهَكَذَا مَهْوَى الْبُذُورِ
 إِنْ كَانَ أَعْيُنَكَ الصُّعُورِ * دُ بِذَلِكَ الْجَسَدِ الظُّهُورِ
 فَاسْبَحْ بِرُوحِكَ وَحْدَهَا * وَأَصْعَدْ إِلَى الْمَلِكِ الْكَبِيرِ
 (٤)
 إِنْ رَاعِنَا صَوْتُ النَّعَى * وَفَاتِنَا نَبَأُ الْبَشِيرِ
 فَلَعَلَّ مَنْ ضَلَّتْ يَدَا * هُ عَلَى الْيَكَاةِ بِالسُّرُورِ
 أَنْ يَسْتَجِيبَ دُعَاءَهَا * فِي حِفْظِ صَاحِبِكَ الْآخِرِ
 بَاتَتْ تُرَاقِبُ فِي الْمَشَا * رِقَ وَالْمَغَارِبِ وَجَهَ (نُورِي)

(١) يريد بهذا البيت تشبيهه بالجن الذين كانوا يسترقون السمع من السماء فتعزهم بشبهها المرسله عليهم .

(٢) السامحات : الكواكب . قال تعالى : (والسامحات سبعاً) . (٣) يجارى في هذا

البيت ما هو شائع بين الناس من اعتقادهم في تأثير العين ، وأنها تصيب كما يصيب السهم .

(٤) راعنا : أفرعنا .

رثاء الدكتور شبلي شميل^(١)

أنشدما في الحفل الذي أقيم في نادي جمعية الاتحاد السوري في مساء الأحد

٩ فبراير سنة ١٩١٧ م

سَكَنَ الْفَيْلَسُوفُ بَعْدَ اضْطِرَابٍ * إِنَّ ذَاكَ السُّكُونَ فَصَّلُ الْخَطَابِ
لَقِيَ اللَّهَ رَبَّهُ فَاتْرَكُوا الْمَرْ * لَدَيَّانِيهِ فَسِيحَ الرَّحَابِ
حَزَنَ الْعِلْمُ يَوْمَ مَيِّتٍ وَلَكِنْ * أَمِنَ الدِّينُ صَهِحَةَ الْمُرْتَابِ^(٢)
كَنتَ تَبْنِي بَرْدَ الْيَقِينِ عَلَى الْأَرْ * ضٍ وَتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ الْبَابِ
فَاسْتَرَحْ أَيُّهَا الْمُجَاهِدُ وَاهْدَأْ * قَدْ بَلَغْتَ الْمُرَادَ تَحْتَ التُّرَابِ
وَعَرَفْتَ الْيَقِينَ وَأَنْبَلَجَ الْحَقُّ لَعَيْنَيْكَ سَاطِعًا كَالشَّهَابِ^(٣)
لَيْتَ شِعْرِي وَقَدْ قَضَيْتَ حَيَاةَ * مِيزَانِ شَكٍّ وَحَيْرَةٍ وَأَرْتِيَابِ
هَلْ أَتَاكَ الْيَقِينُ مِنْ طُرُقِ الشَّكِّ * فَشَكُّ الْحَكِيمِ بَدَأُ الصَّوَابِ
كُمُ سَمِعْنَا مُسَائِلًا قَبْلَ (شِبْلِي) * عَاشَ فِي الْبَحْثِ طَارِقًا كُلَّ بَابِ
أَطْلَقَ الْفِكْرَ فِي الْعَوَالِمِ حُرًّا * مُسْتَطِيرًّا يُرِنُّ هَتَكَ الْجِهَابِ^(٤)

(١) الدكتور شبلي شميل، هو الطبيب اللبناني تزيل مصر، وكان من أشهر الأطباء. ولد في نحو سنة ١٨٥٠ م، في قرية كفر شيما من قرى ساحل لبنان، وهي القرية التي ولد فيها الشيخ ناصيف اليازجي. وتعلم العلوم الطبيعية والطب في كلية الأمريكان ببيروت وأتم علومه في أوروبا. وهو مشهور بمباحثه الطبيعية والاجتماعية المبنية، وله من الآراء المتعلقة بالعقيدة الدينية ما أنكره الناس عليه، وإلى هذا يشير حافظ في قصيدته تلك. ومن أشهر كتبه: كتاب (النشوء والارتقاء). وتوفي سنة ١٩١٧ م.

(٢) المرتاب: الشاك في العقيدة. (٣) أنبلج: أضاء. وأشرق. (٤) يرين: يطلب.

يَقْرَعُ النَّجْمَ سَائِلًا ثُمَّ يَرْتَدُّ إِلَى الْأَرْضِ بَاحِثًا عَنْ جَوَابِ
 أَعْجَزَتِهِ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ أَسْبَا * بَطَّوَاهَا مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ
 وَقَفْتُ دُونَهَا بِالْمَقُولِ حَيَارَى * وَأَنْتَنَى هَبْرَيزَهَا وَهُوَ كَابِي^(١)
 لَمْ يَكُنْ مُلْحِدًا وَلَكِنْ تَصَدَّى * لَشُؤْرَيْنِ الْمُهِمَيْنِ السَّوَابِ
 رَامَ إِدْرَاكَ كُنْهِ مَا أَعْجَزَ النَّاسَ * سَقَدِيمًا فَلَمْ يَفْزُ بِالطَّلَابِ
 إِلَيْهِ شَبْلِي قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيكَ أَلْ * مَقُولَ حَتَّى تَفْتَنُوا فِي عِتَابِ
 قِيلَ : تَرَى ذَاكَ الَّذِي يُنْكِرُ النَّوْ * رَوَلَا يَهْتَدِي بِهِدْيِ الْكِتَابِ؟
 قُلْتُ : كُفُّوا فَإِنَّمَا قُتُّ أَرْنِي * مِنْهُ خِلَا أَمْسَى طَوِيلَ الْغِيَابِ
 أَنَا وَاللَّهِ لَا أَحْيَا بِهِ فِي الْقَوْ * لِ فَقَدْ كَانَ صَاحِبِي لَا يُحْيَا
 أَنَا أَرْنِي شِمَالًا مِنْهُ عِنْدِي * كُنَّ أَحْلَى مِنَ الشَّهَادِ الْمُذَابِ^(٢)
 كَانَ حُرَّ الْأَرَاءِ لَا يَعْرِفُ الْخُلْدَ * بَلْ وَلَا يَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصَّحَابِ^(٣)
 مُفْضِلًا مُخِيسًا عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ * يَرِ جَمِيعَ الْفَوَادِ رَحْبَ الْجَنَابِ^(٤)
 عَاشَ مَا عَاشَ لَا يُلِيقُ عَلَى الْأَيْتَامِ مَا لَمْ يَلِنْ لِلصَّعَابِ^(٥)
 كَانَ فِي الْوَدِّ مَوْضِعَ الثَّقَةِ الْكُفْبِ * سَرَى وَفِي الْعِلْمِ مَوْضِعَ الْإِعْجَابِ

(١) الهبرزي : المقدام . والكابي : العاثر المنكب على رجليه .

(٢) الشهاد والشهد ، كلاهما بمعنى واحد . (٣) الخلد : الخداع . (٤) المفضل :

المنعم . وجميع الفؤاد ، أى مجتمعه لا تفرق قلبه التوايب . (٥) يقال : فلان لا يلين درهمًا

لسنانه ، أى لا يمسكه .

نُكِبَ الطُّبُّ فِيهِ يَوْمَ تَوَلَّى * وَأَصِيتَ رَوَائِعُ الْآدَابِ
 (١) وَخَلَا ذَلِكَ النَّيْدُ مِنَ الْأَذَى * سِيسَ وَقَدْ كَانَ مَرْتَعِ الْكُتَابِ
 (٢) وَبَكَتْ فَقْدَهُ الشَّامُ وَنَابَتْ * فَوْقَ مَا نَابَهَا بِهَذَا الْمُصَابِ
 (٣) كُلُّ يَوْمٍ يَهْدُ رُكْنٌ مِنَ الشَّأْ * م، لَقَدْ آذَنْتَ إِذَا بِالْخَرَابِ
 (٤) فَهِيَ (بِالْيَازِجِيِّ) وَ(جُورِيِّ) وَ(شَيْلِي) * فُجِعَتْ بِالثَّلَاثَةِ الْأَقْطَابِ
 (٥) فَعَلَى الرَّاحِلِ الْكَرِيمِ سَلَامٌ * كَلَّمَا غَيَّبَ الثَّرَى لَيْتَ غَابَ

رثاء جورجى زيدان^(٥)

سنة ١٩١٤

دَعَانِي رِفَاقِي وَالْقَوَائِي مَرِيضَةً * وَقَدْ عَقَدْتُ هُوجُ الْخُطُوبِ لِسَانِي
 (٦) بَحْثْتُ وَبِي مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ أُمِّي * وَمِنْ كَيْدٍ قَدْ شَفَّنِي وَبَرَانِي

- (١) الندى : مجتمع القوم . (٢) ناه بالحلل : نهض به مع جهد ومشقة وتناقل .
 (٣) آذنت : أعلت . (٤) يريد الشيخ إبراهيم اليازجي الشاعر اللبناني المعروف . (انظر التعريف به في الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٨٤ من هذا الجزء) . وجورجى ، جورجى زيدان (وسياقي التعريف به في الحاشية الآتية بعدها) . (٥) ولد جورجى زيدان في بيروت عاصمة لبنان في سنة ١٨٦١ م ، وتلقى بعض العلوم في مدارسها الابتدائية ، ثم ترك التعليم وهو لم يبلغ الثانية عشرة من عمره ، فإثر ميله إلى العلم والأدب جعله لا يدع فرصة يستفيد منها إلا انتهزها ، إما بمطالعة ما تصل إليه يده من الكتب ، وإما بتقريبه من رجال العلم حتى صار من أعلام التاريخ والأدب المشهورين ، وهو منشئ مجلة الهلال المعروفة . وكانت وفاته في أغسطس سنة ١٩١٤ م ، وتأليفه كثيرة ، منها : كتاب (تاريخ مصر الحديث) ، و(تاريخ التمدن الإسلامى) ، و(تاريخ الماسونية) ، وغيرها من الكتب . (٦) مرض القوائى : كناية عن قلة موافاتها إياه وعصيانها عند إرادته لها . وشبه الخطوب والمصائب في ثوارتها وتقلها واشتداد وقعها بالرياح الهوج ، وهى التى لا تستوى في هبوبها وتقلع الخيام ؛ الواحدة هوجاء .

مَلِكْتُ وَقُوفِي بَيْنَكُمْ مُتْلَهًفَا * عَلَى رَاحِلٍ فَأَرْقُتْهُ فَشَجَانِي
 (١)
 أَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْضَعُ الْحُزْنَ بَضْعَةً؟ * مِنَ الْقَلْبِ لِي قَدْ فَقَدْتُ جَنَانِي
 (٢)
 كَفَانِي مَا لَقِيتُ مِنْ لَوْعَةِ الْأَسَى * وَمَا نَأْنِي يَوْمَ (الإمام) كَفَانِي
 تَهْرَقُ أَحْبَابِي وَأَهْلِي وَأَنْحَرْتُ * يَدُ اللَّهِ يَوْمِي فَاَنْتَظَرْتُ أَوَانِي
 (٣)
 وَمَالِي صَدِيقٌ إِنْ عَثَرْتُ أَفَالَتِي * وَمَالِي قَرِيبٌ إِنْ قَضَيْتُ بَكَائِي
 أَرَانِي قَدْ قَصَّرْتُ فِي حَقِّ صُحْبَتِي * وَتَقْصِيرُ أَمْثَالِي جِنَايَةُ جَانِي
 (٤)
 فَلَا تَعْدِرُونِي يَوْمَ (فَتَحَى) فَإِنِّي * لَأَمْلُ مَا لَا يَجْهَلُ النَّقْلَانِ
 (٥)
 فَقَدْ غَابَ عَنَّا يَوْمَ غَابَ وَلَمْ يَكُنْ * لَهُ يَنْبَ هَالَاتِ التَّوَابِخِ ثَانِي
 (٦)
 وَفِي ذِمَّتِي (الْيَازِجِيُّ) وَدَيْعَةً * وَأُنْحَرِي (لَزِيدَانِ) وَقَدْ سَبَقَانِي

- (١) يبضع : يقطع . والبضعة (بالفتح) : القطعة . والجنان : القلب .
 (٢) يريد « بالإمام » : الشيخ محمد عبده . (٣) أقلت فلانا عشرته : صفحت عنها ودفعت عنه ما يتوقع من شرها . وقضيت : مت . (٤) النقلان : الإنس والجن . ويريد « بفتحي » : أحمد فتحي زغلول باشا العالم القانوني المعروف ، ولد في سنة ١٨٦٣ م بآبانة من أعمال مركز فوة ، وآخر منصب تولاه وكالة لنظارة الحفانية . وتوفي في سنة ١٩١٣ م ، وله كثير من الكتب النافعة المترجمة من اللغات الأجنبية ، وشرح للقانون المدني . وقد مات فتحي ولم يرثه الشاعر ، وهو لهذا يعترف بتقصيره ، ويطلب الى الناس ألا يمدروه في ذلك .
 (٥) الهالة : دارة القمر التي تحيط به . (٦) يريد « باليازجي » : الشيخ إبراهيم اليازجي الشاعر اللبناني المعروف ، وهو ابن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف ، ولد ببيروت سنة ١٨٤٧ م وكان شاعرا ناثرا متصرفا في أنواع أخرى من العلوم . وتوفي سنة ١٩٠٨ م . وهو منشئ مجلة البيان ومجلة الضياء ، الأولى في سنة ١٨٩٧ م والثانية في سنة ١٨٩٨ م . وآل اليازجي معروفون بكثرة من تخرج منهم من العلماء والأدباء والشعراء .

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَقُولَانِ فِي الثَّرَى * إِذَا التَّقِيَا يَوْمًا وَقَدْ ذَكَرَانِي
 وَقَدْ رَمَيَا بِالطَّرَفِ بَيْنَ جُمُوعِكُمُ * وَلَمْ يَشْهَدَا فِي الْمَشْهَدَيْنِ مَكَانِي
 أَيْجُلُ بِي هَذَا الْعُقُوقُ وَإِنَّمَا * عَلَى غَيْرِ هَذَا الْعَهْدِ قَدْ عَرَفَانِي
 دَعَانِي وَفَانِي يَوْمَ ذَاكَ فَلَمْ أَكُنْ * ضَئِيفًا وَلَكِنِّ الْقَرِيبُضَ عَصَانِي ^(١)
 وَقَدْ تُخْرِسُ الْأَحْزَابُ كُلَّ مُقَوِّهِ * يُصْرَفُ فِي الْإِنْشَادِ كُلَّ عَنَانِ
 أَأَنْسَاهُمَا وَالْعِلْمُ فَوْقَ تَرَاهُمَا * تَتَكَسَّرُ مِنْ أَعْلَامِهِ عُلَانِ ^(٢)
 وَكَمْ فُزْتُ مِنْ رَبِّ (الْهَلَالِ) بِحِكْمَةٍ * وَكَمْ زِنْتُ مِنْ رَبِّ (الضِّيَاءِ) بِبَيَانِي ^(٣)
 (أَزِيدَانُ) لَا تَبْعُدْ وَتِلْكَ عُلَالَةٌ * يُنَادِي بِهَا النَّاعُونَ كُلُّ حُسَانِ
 لَكَ الْأَثَرُ الْبَاقِي وَإِنْ كُنْتَ نَائِيًا * فَانْتَ عَلَى رَغَمِ الْمَنِيَّةِ دَانِي ^(٤)
 وَيَا قَبْرَ (زَيْدَانِ) طَوَيْتُ مُؤَرَّخًا * تَجَلَّى لَهُ مَا أَضْمَرَ الْفَتَيَانِ ^(٥)
 وَعَقْلًا وَلَوْ مَا بِالْكُنُوزِ فَإِنَّهُ * عَلَى الدَّرِّغَوَاصِ يَتَحَرَّ (عُمَانِ) ^(٦)
 وَعَزَمًا شَامِيًا لَهُ أَيْتِمَا مَضَى * شَبَا هِنْدُوَانِيَّ وَحَدَّ يَمَانِي

(١) المقوّه : المنطق . والعنان : سير الجمام . ويريد بقوله « يصرف في الإنشاد... الخ » :

أنه يذهب فيه كل مذهب . (٢) رب الهلال : جورجي زيدان ، ورب الضياء : الشيخ إبراهيم اليازجي . والهلال والضياء : صحيفتان معروفتان .

(٣) العلالة : ما يتلألأ به الإنسان ، أي يتلوه به عن مراده إذا لم يظفر به . والحسان من الرجال (بضم الحاء وتحقيف السين) : الحسن منهم . (٤) تجلّى : تكشف . والفتيان : الليل والنهار .

(٥) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بمغاص الزؤلؤ . (٦) شبا هندوواني ، أي سن رخ منسوب إلى الهند . وحد يمان ، أي حد سيف مصنوع باليمن .

- (١) وَكَفًا إِذَا جَالَتْ عَلَى الطَّرِيسِ جَوْلَةٌ * تَمَازِلَ لِمُغْبَايَا بِهَا أَلْبَدَانُ
(٢) أَشَادَتْ بِذِكْرِ الرَّاشِدِينَ كَأَنَّمَا * فَقَى (الْقُدْسِ) مِمَّا يُنْبِئُ الْحَرَمَانُ
(٣) سَأَلْتُ حُمَاةَ النَّشْرِ عَدَّ خِلَالِهِ * لِمَالِي بِمَا أَعْيَا الْقَرِيفُ يَسْدَانُ

رثاء لإبراهيم حسن باشا ومحمد شكرى باشا

- أُنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينهما في مدرسة القصر العيني في ٢٣ فبراير سنة ١٩١٧ م
(٥) لَا مَرْحَبًا بِكَ أَيُّهَا الْعَامُّ * لَمْ يُنْزَعْ عَنْكَ لِالْأَسَاءَةِ نِيَامُ
فِي مُسْتَهْلَكِ رُغْنَتِنَا بِمَاتِهِم * لِلنَّالِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ تُقَامُ
عَلَمَانٍ مِنْ أَعْلَامِ (مِصْرَ) طَوَائِمَا * فِيكَ الرَّدَى فَبِكْتُهُمَا (الْأَهْرَامُ)
خَبِثَتْ (شُكْرَى) وَهُوَ نَائِبُهُ خَصِيرُهُ * وَأَصْنَعْتُ (إِبْرَاهِيمَ) وَهُوَ إِمَامُ

(١) البلدان : مصر والشام . (٢) أشاد بذكره : رفعه بالثناء عليه . ويريد « بالراشدين » : خلفاء الإسلام ، و « فقى القُدس » : الفقيه . والحرمون : مكة والمدينة . يقول : إن الفقيه أئتمى من الخلفاء الراشدين ورفع ذكرهم في كتبه ، فكأنه من أهل الجواز مع أنه فلسطيني . (٣) تقول : مالى يد بهذا الأمر ، إذا عجزت عنه . وأعيا القريض ، أى عجز الشعر .

(٤) الدكتور إبراهيم حسن باشا ، هو ابن حسن رفعت مدير إحدى مديريات مصر . ولد بالقاهرة في ٢٥ فبراير سنة ١٨٤٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من تعلم الطب في مصر وأوروبا تولى بعض مناصب طبية كان آخرها رئاسة مدرسة الطب سنة ١٨٩٨ م ، وبعد إحالته إلى المعاش كان يقضى الصيف في أوروبا والشتاء في مصر ، وقد حالت الحرب العظمى وهو في أوروبا دون عودته إلى وطنه ، فغضى السنين الأخيرة بعيداً عنه إلى أن توفى في ٤ يناير سنة ١٩١٧ م . وأما الدكتور محمد شكرى باشا فقد كان طبيباً خاصاً بأمراض النساء ، وله في هذا الفرع من الطب شهرة واسعة ، وتولى تدريسه في مدرسة الطب . وكانت ولادته في نحو سنة ١٨٥٢ م ، ووفاته في مستهل سنة ١٩١٧ م . (٥) الأساءة : الأخطاء ، الواحد آس (كقفاض) .

خَدَمَا رُبُوعَ النَّيْلِ فِي عَهْدَيْهِمَا * وَالطَّبُّ نَبْتُ لَمْ يَحْذِهِ عَمَامٌ^(١)
 وَالنَّاسُ بِالْقَرْبَى فِي تَطْيِيهِ * وَلَعُوا عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَهَامُوا
 حَتَّى أَنْبَرَى (شُكْرَى) فَأَثَبَتْ سَبْقَهُ * أَكَّ أَبْنِ (مَضْرُ) مُجَرَّبٌ مِقْدَامُ
 وَأَقَامَ (إِبْرَاهِيمُ) أَبْلَغَ حُجَّةٍ * أَكَّ الْعَرِينِ يَحُلُّهُ ضِرْغَامُ^(٢)
 وَتَرَسَّمِ الْمُتَعَلِّمُونَ خُطَاهُمَا * فَأَنْشَقَّ مِنْ عَلَيْهِمَا أَعْلَامُ^(٣)
 قَدْ أَقْسَمُوا لِلطَّبِّ أَنْ يَسْمُوا بِهِ * فَوْقَ السَّمَاءِ فَجَبَّتِ الْأَقْسَامُ^(٤)
 وَغَدَتْ رُبُوعُ الطَّبِّ تَحْكِي جَنَّةً * فِيهَا (لُبْقِرَاطُ) الْحَكِيمِ مَقَامُ
 وَرَأَى مَلِيلُ النَّيْلِ أَنَّ أَسَاتَهُ * بَنُوا الْأُسَاةَ فَلَمْ يَرُدَّهُ سَقَامُ^(٥)
 يَا (مَضْرُ) حَسْبُكَ مَا بَلَغْتَ مِنَ الْمُنَى * صَدَقَ الرَّجَاءُ وَصَحَّتِ الْأَحْلَامُ
 وَمَشَى بَنُوكَ كَمَا اشْتَهَيْتَ إِلَى الْعَلَا * وَعَلَى الْوَلَاءِ - كَمَا عَلِمْتَ - أَقَامُوا
 وَمَدَدْتَ صَوْتِكَ بَعْدَ طَوْلِ خُفُوتِهِ * فَدَعَا بِعَافِيَةٍ لَكَ الْإِسْلَامُ
 وَرَفَعْتَ رَأْسِكَ عِنْدَ مُفْتَخِرِ النَّهْيِ * بَيْنَ الْمَالِكِ حَيْثُ تُحْنِي الْهَامُ^(٦)
 كَمْ فِيكَ جَرَاحٌ كَأَنَّ يَمِينَهُ * عِنْدَ الْجَوَاحَةِ بَلَسَ وَسَلَامُ^(٧)

- (١) بجاده النعام : أمطره . (٢) العرين : مأوى الأسد . والضِرْغَامُ : الأسد .
 (٣) فأنشَقَّ من عليهما أعلام ، أى تخرج عليهما في الطب أمثالهما في النبوغ . (٤) السماك : اسم
 لكوكتين تقدم الكلام عليهما في حواشي هذا الديوان . (٥) بذوا الأساةة : غلبهم وفاقوهم
 في الطب . (٦) الهام : الهم . وإحنا الهام : كناية عن التصاهر والالتكاسر والتسليم للخصم .
 (٧) يلاحظ أن الأريج في قوله « جراح » النصب ، للفصل بينه وبين « كم » بالجار والمجرور ،
 ولكن الشاعر جرى على مذهب بعض النحويين في جزمه « كم » مع الفصل ، ومنه قول الشاعر :
 كَمْ بِجُودٍ مَقْرُوفٍ نَالَ الْغَنَى *
 والبسم : دواء تضمد به الجراح .

(١) قَدْ صَبَغَ مِبْضَعُهُ وَإِنْ أُجْرَى دَمًا * مِنْ رَحْمَةٍ بِفَرْيَحِهِ بَسَامٍ
 وَمَوْفِقِي جَمِّ الصَّوَابِ إِذَا أَلْتَوَى * دَاءُ الْعَلِيلِ وَحَارَتْ الْأَفْهَامُ
 (٢) يُلْقِي بِسَمْعٍ لَا يَخُونُ إِذَا هَفَّتْ * أُذُنٌ وَخَانَ السَّمْعَيْنِ صِمَامُ
 (٣) وَإِذَا عُضَالُ الدَّاءِ أَبْهَمَ أَمْرُهُ * عَرَفْتُ خَفِيَّ دَيْبِيهِ الْإِبْهَامُ
 يَسْتَنْطِقُ الْآلَامَ وَهِيَ دَفِينَةٌ * نَحْسَاءُ حَتَّى تَنْطِقَ الْآلَامُ
 (٤) كَمْ سَلَّ مِنْ أَيْدِي الْمَنَايَا أَنْفُسًا * وَفَنَى عِنَانَ الْمَوْتِ وَهَوَزُؤَامُ
 (٥) وَمَطْبِئٍ لِلْعَيْنِ يَحْمِلُ مِيلَهُ * نُورًا إِذَا غَشَى الْعُيُونُ قَتَامُ
 (٦) وَكَانَتْ لِمِغْدِهِ ضِيَاءُ ذَرَّةٍ * (عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ) فَأَلْجَأَ الْإِظْلَامُ
 (٧) وَمُطْبِئٍ لِلطُّفْلِ لَمْ تَنْبُتْ لَهُ * سِنَّةٌ وَلَمْ يَدْرُجْ إِلَيْهِ فِطَامُ
 يَشْكُو السَّقَامَ بِنَاطِرِيهِ وَمَالِهِ * غَيْرُ التَّفَرُّزِ وَالْإَيْنِ كَلَامُ
 (٨) فَكَمْ اسْتَشَفَّ وَكَمْ أَصَابَ كَأَنَّمَا * فِي نَظَرَتَيْهِ الْوَحْيُ وَالْإِلْهَامُ
 وَمَوْلِدٍ عَرَفَ الْأَجِنَّةُ فَضْلَهُ * إِنْ أَعْسَرَتْ يَوْلَادُهَا الْأَرْحَامُ
 كَمْ قَدْ أَنَارَ لَهَا بِجَالِكَةِ الْحَشَا * سُبُلًا تَصِلُ سُلُوكَهَا الْأَوْهَامُ

- (١) المِبْضَعُ : المِشْرَطُ . (٢) السَّمْعَانِ : الْأُذُنَانِ . (٣) إِنَّمَا ذَكَرَ الْإِبْهَامَ
 لِأَنَّ الطَّيِّبَ يَلْبَسُ يَدَهُ مَوْضِعَ الدَّاءِ مِنْ جِسْمِ الْمَرِيضِ ، فَكُنِيَ بِالْإِبْهَامِ عَنْ الْيَدِ . (٤) الزَّوَامُ :
 الْكَرْبَةُ الْمَجْهُوزَةُ عَلَى صَاحِبِهِ . (٥) الْمِيلُ : الْمُرُودُ الَّذِي تَكْمُلُ بِهِ الْعَيْنُ . وَالْقَتَامُ : الظُّلَامُ .
 (٦) الْإِسْمُ : الْكَمَلُ . وَيُسَمَّى « عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ » عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِذْ « أَمَرَ » أَيْ جَاءَهُ مِنْ يَدِهِ مِنْ
 إِيمَرِ الْأَكْمَةِ . قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُ : (وَأَبْرَأَ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأَحْيَى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) .
 (٧) يَدْرُجُ : يَمْشِي . (٨) الضَّمِيرُ فِي (اسْتَشَفَّ) لِلطَّيِّبِ ، السَّابِقُ ذَكَرَهُ .

(١) لَوْلَا يَدَاهُ سَطَا عَلَى أَبْدَانِهَا * كَرَّبُ النَحَاسِ وَشَقُّهَا الْإِبْلَامُ
فَبِهَوْلَاءِ الْغُرِّيَا (مُضَر) أَهْنَيْ * فِيمِثْلِهِمْ تَتَفَاخَرُ الْأَيَّامُ
وَعَلَى طَيْبِيكَ اللَّذِينَ رَمَاهَا * رَأَى الْمُنُونِ تَحِيَّةً وَسَلَامُ

رثاء المغفور له الشيخ سليم البشري^(٢)

أنشدهما عنيد دقته

[نشرت في ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٧ م]

أَيَذْرَى الْمُسْلِمُونَ بَمَنْ أَصِيبُوا * وَقَدْ وَارَوْا (سَلِيًّا) فِي التُّرَابِ
هَوَى رُكْنُ الْحَدِيثِ فَأَيُّ قُطْبٍ * لَطْلَابِ الْحَقِيقَةِ وَالصَّوَابِ
(٣) (مَوْطَأً مَالِكٍ) عَزَّ (الْبُخَارِي) * وَدَعَّ لِلَّهِ تَعَزِيَّةً (الْكِتَابِ)
(٤) فَمَا فِي النَّاطِقِينَ فَمُّ يُوَقِّ * عَزَاءَ الَّذِينَ فِي هَذَا الْمُصَابِ
(٥) قَضَى الشَّيْخُ الْمُحَدَّثُ وَهُوَ يَمْلِي * عَلَى تُلَايِهِ فَصَلَ الْخُطَابِ

(١) شفها : هنالها . (٢) ولد الشيخ سليم البشري في سنة ١٢٤٨ هـ في محلة بشر من أعمال مركز شبراخيت من مديرية البحيرة ، ولما بلغ التاسعة حضر إلى مصر ، وكان قد أتم حفظ القرآن ؛ وبعد أن أتم تعليمه في الأزهر تولى التدريس فيه ، ثم عين شيخاً لمسجد السيدة زينب ، وبعد ذلك ببيعة أعوام عين شيخاً وقييماً للسادة المالكية ، ثم اختير عضواً في مجلس إدارة الأزهر ؛ وتولى مشيخة الأزهر مرتين ، ومات رحمه الله في سنة ١٣٣٥ هـ بعد أن عمر ما يقرب من تسعين سنة .

(٣) كان الفقيه مشهوراً بتبحره في علوم الحديث ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٤) موطأ مالك ، تأب لمالك بن أنس في الحديث مرتب على أبواب الفقه . ويريد «بالبخاري» : كتاب الجامع الصحيح الذي وضعه الإمام البخاري محمد بن إسماعيل . ويشير الشاعر إلى حرمان هذه العلوم الثلاثة : فقه مالك ، والحديث ، والتفسير التي كان يدرسها الفقيه مطلقاً بها . (٥) قضى : مات .

(١) وَلَمْ تَنْقُصْ لَهُ التَّسْعُونَ عَزْماً * وَلَا صَدَّقْتَهُ عَنْ دَرَكِ الطَّلَابِ
وَمَا غَالَتْ قَرِيحَتُهُ اللَّيَالِي * وَلَا خَانَتْهُ ذَاكِرَةُ الشُّبَابِ
أَشْيَخَ الْمُسْلِمِينَ نَأَيْتَ عَنَّا * عَظِيمَ الْأَجْرِ مَوْفُورَ الثَّوَابِ
لَقَدْ سَبَقَتْ لَكَ الْخُسْفَى فُطُوبَى * لِمَوْقِفِ شَيْخِنَا يَوْمَ الْحِسَابِ
(٢) إِذَا أَلْقَى السُّؤَالَ عَلَيْكَ مُلْقٍ * تَصَدَّى عَنْكَ بِرُّكَ الْجَوَابِ
(٣) وَنَادَى الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ إِنَّا * تُزَكَّى مَا يَقُولُ وَلَا تُحَابِي
فَقُفُوا يَا أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ وَأَبْكُوا * وَرَدُّوا لِحَدِّهِ قَبْلَ الْحِسَابِ
(٤) فَهَذَا يَوْمُنَا وَلَنَحْنُ أَوْلَى * بِبَذْلِ الدَّمْعِ مِنْ ذَاتِ الْخَضَابِ
عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ وَفَقَّا * وَأَهْلِيهِ إِلَى يَوْمِ الْمَنَآبِ

رثاء المغفور له السلطان حسين كامل^(٥)

[نشرت في أول نوفمبر سنة ١٩١٧م]

(٦) ذُكِّ مَا بَيْنَ صَخْرَةٍ وَعَشِي * شَايخٌ مِنْ صُرُوجِ (آلِ عَلِيٍّ)
(٧) وَهَوَى عَنْ سَمَاوَةِ الْعَرْشِ مَلِكٌ * لَمْ يَمْتَحِ بِعَهْدِهِ الذَّهَبُ

- (١) درك الطلاب : إدراك الطلب والحاجة . (٢) يريد « بالملك » : الملك الذي يتول حساب الميت على ما عمل . (٣) كان الفقيد معروفا بالإحسان إلى الفقراء ، وكان لهم من مرتبه قدر معلوم كل شهر . (٤) ذات الخضاب : المرأة . (٥) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ٦٧ من الجزء الأول . (٦) ذك : هدم . وآل علي ، أي آل محمد على جده الأسرة المالكة . (٧) يريد « بهامة العرش » : أعلاه . والملك (يسكون اللام) ، لغة في الملك (بكرها) .

قَدْ تَسَاءَلْتُ يَوْمَ مَاتَ (حُسَيْنٌ) * أَفَقَدْنَا بِفَقْدِهِ كُلَّ شَيْءٍ؟
 أَمْ تَرَى يُسْعِدُ الْكِثَانَةَ بَارِدٍ * بِهَا وَيَقْضِي لَهَا بِطُلْفٍ خَفِي؟
 لَمْ تَكُنْ تُدْرِكُ النَفُوسَ مُرَادًا * فِي زَمَانِ الْمَتْوَجِّ الْعَلَوِي^(١)
 لَمْ تَكُنْ تَبْلُغُ الْبِلَادَ مُنَاهَا * تَحْتَ أَفْيَاءِ عَدْلِهِ الْكُثْرَوِي^(٢)
 لَمْ يَكُنْ يَنْعَمُ الْفَقِيرُ بِعَيْشٍ * مِنْ نَدَاهُ وَفَيْضِهِ الْحَاثِي^(٣)
 حَجَبَ الْمَوْتُ مَطْلَعَ الْجُودِ يَا (مُضَى) * بِجُودِي لَهُ يَدْنِعُ سَخِي^(٤)
 وَمَضَى وَاهِبُ الْأَلُوفِ فَوَلَّتْ * يَوْمَ وَلَّى بَشَاشَةُ الْأَرْجِي^(٥)
 وَقَضَى كَافِلُ الْيَتَامَى فَوَيْلٌ * لِلْيَتَامَى مِنَ الزَّمَانِ الْعَتِي^(٦)
 كَمْ تَمَنَّى لَوْ مَاشَ حَتَّى يَرَانَا * أَمَّةٌ ذَاتَ مَنَعَةٍ وَرُقِي
 غَالَهُ الضُّعْفُ حِينَ شَمَّرَ لِلْإِضْدِ * مَلَا حَ فِي مُلْكِهِ بَعَزِمٌ فَتِي
 حَبَسَ الْخَطْبُ فِيكَ أَلْسِنَةَ الْقَوَى * لِ وَأَعْيَا قَرِيحَةَ الْعَبْقَرِي^(٧)
 وَإِذَا جَلَّتْ أَنْخُطُوبٌ وَطَمَّتْ * أَعْجَزَتْ فِي الْقَرِيضِ طَوَقُ الرَّوِي^(٨)
 إِنَّ شَرَّ الْمُصَابِ مَا أَطْلَقَ الدَّمَ * حَ وَرَاعَ الْمُفْوْهِينَ بِعِي

(١) الأفياء : الطلال . وكسرى : نسبة الى كسرى من ملوك الفرس ، وكان يقال له : الملك العادل .

(٢) الحاثي : نسبة الى حاتم الطائي المعروف بالجلود . والفيض : المطاء .

(٣) الأرجي : الواسع الخلق الذي يرتاح للعروف .

(٤) العتي : الظالم المتعير .

(٥) الطوق : الطاقة والجهد . وكفى بالروى عن الشعر ، كما يكنى عنه بالقافية أيضا .

(٦) المفوه : المتعلق . والي : عدم القدرة على الكلام .

هَفَفَ نَفْسِي عَلَى أَنْبَاطِكَ لِلضُّبِّ * فِي وَدْيَالِكَ الْحَدِيثِ الشَّهِيِّ
 (١)
 يَحْسَبُ الدَّارَ دَارَهُ وَهُوَ يَمْشِي * فَوْقَ زَاهِي إِسْطَاطِكَ الْأَحْمَدِيِّ
 (٢)
 خُلِقَ مِثْلًا تَشَقَّتْ أَرْيَحَ الْـ * زَهْرٍ جَادَتْهُ زَوْرَةُ الْوَسْمِيِّ
 (٣)
 وَاهْتَرَأَزَ لِلْعُرْفِ مِثْلُ اهْتِرَازِ الْـ * سَيْفٍ فِي قَبْضَةِ الشُّجَاعِ الْكَبِيِّ
 وَحَبَاءُ عِنْدَ الْعَطِيطَةِ يَنْفِي * تَجَلَّ السَّائِلِ الْكَرِيمِ الْأَبِيِّ
 (٤)
 وَاخْتِبَارُ يَتْنِ عِنَانَ الْمَوَادِي * وَوَقَارُ يَزِينُ صَدْرَ النَّدِيِّ
 رَحِمَ اللَّهُ (يَا حُسَيْنُ) خِلَالًا * فَبِكَ لَمْ يَجْتَمِعَنَّ فِي نَفْسٍ حَى
 يَا كَرِيمًا حَلَّتْ سَاحَ كَرِيمٍ * وَضَعِيفًا حَلَّتْ سَاحَ الْقَسْوَى
 (٥)
 قَدْ كَفَاكَ الشَّهَادُ فِي الْمَيْثِ فَأَهْنَأُ * يَا أَلَيْفَ الضُّنَى بَنُومَ هَنَى
 وَنَجَّ (مَضْرِي) فَأَيُّ خَيْطٍ رَجَاءٍ * قَطَعَتْهُ رَنَاتُ صَوْتِ النَّبِيِّ

(١) البساط الأحمدي، يكنى به عن سهولة الجانب وسماحته وعدم الكلفة.

(٢) تشقت: شمنت. وأريح الزهر: ريحه. والوسمي: مطر أول الربيع.

(٣) الاهترأز للعرف: سخاية عن الانبساط للبلل والارتياح للغطاء. والكبي: الشجاع.

(٤) يتن عنان المروادي، أي يصرف حوادث الأيام ويردّها عن قصدّها. والندى: مجتمع القوم.

(٥) يشير بقوله «يا أليف الضنى»: إلى ما كان يمانيه الفقيد في آخر أيامه من مرض وأرق.

رثاء باحثة البادية^(١)

[نشرت في سنة ١٩١٨ م]

(مَلَكَ) النَّهْيَ لَا تَبْعِدِي * فَاتَّخِذِي فِي الدُّنْيَا سِيرَ
 لَمَنِّي أَرَى لَكَ سِيرَةً * كَالرَّوْضِ أَرْجَهُ الزَّهْرُ^(٢)
 رَبِّي أَبُوكَ النَّاشِئُ * مَنْ فَعَّاشَ مَحْمُودَ الْأَثَرِ
 وَسَلَّكَ أَنْتِ سَبِيلَهُ * فِي النَّاشِئَاتِ مِنَ الصَّغَرِ
 رَبِّتِهِنَّ عَلَى الْفَضْلِ * لِمَةِ وَالطَّهَارَةِ وَالْخَفَرِ^(٣)
 وَعَلَى اتِّبَاعِ شَرِيعَةٍ * نَزَلَتْ بِهَا آيُ السُّورِ
 فَلَبَّيْكُمْ فَضْلٌ عَلَى الْإِ * حَاجِئِ أَنْتِي أَوْ ذَكَرِ
 لِلَّهِ دَرَكٌ إِنْ نَزَرُ * يَدِ وَدَرٌ (حُفْنِي) إِنْ نَزَرُ
 قَدْ كُنْتَ زَوْجًا طَبَّةً * فِي الْبَدْوِ عَاشَتْ وَالْحَضَرِ^(٤)

(١) باحثة البادية ، هي السيدة ملك ناصف بنت المرحوم حفنى ناصف بك ، ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م وتلقى مبادئ العلوم في مدارس أولية مختلفة ، ثم دخلت المدرسة السنية فنالت الشهادة الابتدائية في سنة ١٩٠٠ م ، ثم نالت إجازة التدريس من قسم المعلمات ، ومارست التعليم في مدارس البنات الأميرية ، وتوفيت في سنة ١٩١٨ م . وكانت من فضليات الكتابات والباحثات ، بذلت جهدا كبيرا في الدعاية الى نهضة المرأة المصرية بعد المرحوم ناصف أمين بك ، وكانت تفضل السفر على الحجاب ، ولها مقالات كثيرة طبعت كلها في كتاب سمته (النسائيات) وسلسلة محاضرات ألقتها في إدارة الجريدة التي كان يصدرها حزب الأمة ، وإلى هذه المقالات وتلك المحاضرات يشير حافظ في هذه القصيدة .

(٢) أَرْجُهُ : طيبه . (٣) الْخَفَرُ : شدة الحياة . (٤) يشير بقوله : « في البدو الخ » : الى أنها كانت زوجة لعبد السار الباسل بك أحد مشايخ عرب القويم . والعلبة : الماهرة الحاذقة بعملها .

(١)
 سَادَتْ عَلَى أَهْلِ الْقُصُورِ * رِيسُودَتْ أَهْلُ الْوُجَرِ
 غَرِيبَةً فِي حَالِهَا * مَرْمُوقَةٌ بَيْنَ الْأَسْرِ
 شَرِيقَةً فِي طَبْعِهَا * تَحْدُورَةٌ بَيْنَ الْجَمْرِ
 (٢)
 بَيْنَا تَرَاهَا فِي الطُّرُورِ * سِيسُ تَحْطُطُ آيَاتِ الْعِبَرِ
 وَتُرِيكَ حِكْمَةً نَائِيَةً * عَرَكَ الْحَوَادِثَ وَأَخْتَبَرَ
 (٣)
 فَإِذَا بِهَا فِي مَطْبَخٍ * تَطْهَرُ الطَّعَامَ عَلَى قَدَرِ
 وَإِذَا بِهَا قَعَدَتْ تَحِيَّةً * مَطُورَتْ وَتَرْتَضِي وَخُزَّ الْإِبَرِ
 نَفَرَتْ بِوَالِدِهَا وَوَا * لِدَها بِحِلْيَتِهَا أَفْتَحَرَ
 بِالْعِلْمِ حَلَّتْ صَدْرَهَا * لَا بِاللَّائِي وَالْدَّرِ
 (٤)
 فَأَنْظُرْ شَمَائِلَ فِكْرِهَا * بِاللَّهِ يَوْمَ (الْمُؤْتَمَرِ)
 وَاقْرَأْ (مُحَاضَرَةَ الْحَرِيدِ * مَدَّةً) وَالْمَقَالَاتِ الْغُرَرِ
 وَأَرْجِعْ إِلَى مَا أَوْدَعْتَ * عِنْدَ الْجَلَلَاتِ الْكُبَرِ

(١) أهل الور: هم أهل البادية ، لأن بيوتهم من الور .

(٢) الطرور: الصحائف التي يكتب فيها . (٣) حل قدر: أى بحساب .

(٤) يريد المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في سنة ١٩١١ م وتوالت جلساته خمسة أيام ، وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما ، النظر في حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية ، والثاني ، الرد على مطالب الأقباط التي طلبوها في مؤتمرهم المنعقد بأسسوط قبل ذلك في ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان رئيس المؤتمر الإسلامي المرحوم رياض باشا ، وقد ألقت الفقيدة محاضرة في هذا المؤتمر تتعلق بشؤون المرأة .

تَمَلَّ بِأَنَا قَدْ قَعَدَ * نَا خَيْرَ رَبَّاتِ الْفِكْرِ
 ذَنْبُ الْمَنِيَّةِ فِي أَغْيَا * لِ شَبَابِهَا لَا يُقْتَفَرُ
 يَا لَيْتَهَا عَاشَتْ (لِصَدِّ * رَ) وَلَمْ تُفَيِّبْهَا الْخُفَرُ
 كَانَتْ مِثْلًا صَالِحًا * يُرَبِّي وَكَثْرًا يُدْخِرُ
 إِنِّي رَأَيْتُ الْجَاهِلَا * تِ السَّافِرَاتِ عَلَى خَطَرِ
 وَرَأَيْتُ فِيهِنَّ الصَّبَا * نَةً وَالْعَفَافَ عَلَى سَفَرِ
 لَا وَازِعٌ - وَقَدْ أَنْطَلَوْتُ * (مَلَكٌ) يَقِينٌ الضَّرَرُ^(١)
 لَا كَانَ يَوْمُكَ يَوْمَ لَا * حَ الْحُزْنَ يُخْتَلَفُ الصُّورُ
 عَلِمْتُ هَانِفَةَ الْقُصُورِ * رِ نُوحٍ هَانِفَةَ الشَّجَرِ^(٢)
 وَتَرَكْتُ أَتْرَابَ الصَّبَا * حُزْنَا يُقَطِّعُ الشَّمَرُ^(٣)
 يَبْكِينَ عَهْدَكَ فِي الصَّبَا * جَ وَفِي الْمَسَاءِ وَفِي السَّحَرِ
 وَتَرَكْتُ شَيْخَكَ لَا يَبِي * هَلْ غَابَ زَيْدٌ أَوْ حَضَرَ^(٤)
 فَمَلًّا تُرْتَمِيهِ الْهَمُومُ * مُ إِذَا تَحَامَلَ أَوْ خَطَرَ^(٥)
 كَالْفَرْجِ هَزْنُهُ الْعَمَا * صِفُ فَالْتَوَى ثُمَّ أَنْكَسَرَ

(١) الوازع : الزاجر . (٢) يريد «هانفة القصور» : الباكية من النساء ، و «هانفة الشجر» :

النائمة من الطير . (٣) أتراب الإنسان : لدااته ، الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء) .

(٤) يريد «بالشيخ» : أباها . ويشير بقوله «هل غاب زيد» ... الخ الى ما كان أبوها مشغرا به

من علم النحو واللغة وما ألهما من علوم العربية ، وذلك لأن مدار الأمثلة في النحو على «زيد» .

(٥) ترمحه : تيمله هنا وهنا .

(١)
 أَوْ كَالْبِنَاءِ يُرِيدُ أَنْ * يَنْقُصَ مِنْ وَقْعِ الْخَوَرِ
 قَدْ زَعَزَعَتْهُ يَدُ الْقَضَا * وَزَلَزَلَتْهُ يَدُ الْقَدَرِ
 أَنَا لَمْ أَذُقْ فَقْدَ الْبَنِي * بِنَ وَلَا الْبَنَاتِ عَلَى الْكِبَرِ
 لَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ * مَتَ فُرَادَهُ وَقَدْ أَنْفَطَرَ^(٢)
 وَرَأَيْتُهُ قَدْ كَادَ يُخْ * سِرُّ زَائِرِيهِ إِذَا زَفَرَ
 وَشَهِدْتُهُ أَنِّي خَطَا * خَطْوًا تَجْبَلُ أَوْ عَثَرَ
 أَدْرَكْتُ مَعْنَى الْحُزْنِ جُزْ * نِ الْوَالِدَيْنِ ، لَمَّا أَمَرَ^(٣)
 وَشَهِدْتُ زَوْجِكَ مُطَرِّقًا * مُسْتَوْحِشًا بَيْنَ السَّمَرِ^(٤)
 كَالْمُدْلِجِ الْخَيْرَانِ فِي الْ * بَيْدَاءِ أَخْطَاهُ الْقَمَرُ^(٤)
 فَلَمِثْتُ أَنَّكَ كُنْتَ عِفْ * دَ هَنَاهُ وَقَدْ أَنْتَرُ
 صَبْرًا أَبَا (مَلَكٍ) فَإِنَّ الْبَاقِيَاتِ لِمَنْ صَبَرَ
 وَبَقْدِرِ صَبْرِ الْمُبْتَلَى * طُكُولِ الْمُصِيبَةِ وَالْقِصَرِ
 كُنْ أَنْتَ أَنْتَ إِذَا كُتِبَ * كُنْتَ أَنْتَ إِذَا تُسَرَّ
 يَا بَرَّةً بِالْوَالِدَيْنِ * بِنِ أَبُوكَ بَعْدَكَ لَا يَقْتَرِ
 فَسَلِي إِلَهَكَ سُؤْلَوَ * لِأَيْسِكَ فَهُوَ بِهِ أَبَرُ
 وَلَيْهِنِكَ الْخِذْرُ الْجَدِيدِ * دُ فَذَلِكَ دَارُ الْمُسْتَقَرِّ

(١) من وقع الخور، أى من وقوع الضعف به . (٢) انقطر : انشق .
 (٣) السمر : مجلس السهار بالليل . (٤) المدلج : السارى بالليل .

رثاء محمد فريد بك^(١)

[في سنة ١٩١٩ م]

مَنْ لِيَوْمٍ نَحْنُ فِيهِ مِنْ لَعْدٍ * مَاتَ ذُو الْعِزَّةِ وَالرَّأْيِ الْأَسَدُ^(٢)
 حَلَّ (بِالْجُمُعَةِ) حُزْنٌ وَأَمْسَى * وَمَتَّى الْوَجْدُ إِلَى يَوْمِ (الْأَحَدِ)^(٣)
 وَبَدَأَ شِعْرِي عَلَى قِرطاسِهِ * لَوْعَةً سَالَتْ عَلَى دَمْعِ جَمَدٍ
 أَيُّهَا النَّيْلُ لَقَدْ جَلَّ الْأَمْسَى * كُنْ مِدَادًا لِي إِذَا الدَّمْعُ نَفَدَ
 وَأَذْبُلِي يَا زَهْرَةَ الرُّوضِ وَلَا * تَبْسِي لِلطَّلِّ فَالْعَيْشُ نَكَدَ^(٤)
 وَالزِّمِ النَّوْحَ أَيَا طَيْرُ وَلَا * تَبْتَهِجْ بِالشُّدُوِّ فَالشُّدُوِّ حَدَدَ^(٥)

(١) المرحوم محمد فريد بك ، هو ابن فريد باشا ناظر الدائرة السنية . ولد في مدينة القاهرة في رمضان سنة ١٢٨٤ هـ ، يناير سنة ١٨٦٧ م . وبيته من أكبر بيوت مصر وأجددها ، وقال شهادة الحقوق في مايو سنة ١٨٨٧ ثم اشتغل بالدائرة السنية ، ثم انتقل إلى النيابة العمومية ، ثم إلى نيابة الاستئناف . وقد أنعم عليه بالرتبة الثانية في أغسطس سنة ١٨٩١ م وكان من أقوى دعاة النهضة الوطنية ، والآخذين بيد الوطنيين من الكتاب وأصحاب الصحف ، واستقال من منصبه وقيد اسمه في جدول المحامين أمام المحاكم الأهلية في أول يونيو سنة ١٨٩٧ م ، وظل مشغولا بالمحاماة سبع سنين ثم ترك كل عمل ليفرغ لخدمة الأمة من الناحية السياسية ، فكان خير عون للرحوم مصطفى كامل باشا وقد صحبه في كثير من رحلاته إلى أوروبا ، واختاره مصطفى كامل لرئاسة الحزب الوطني في فبراير سنة ١٩٠٨ م وتوفي في برلين عاصمة ألمانيا في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٩ م وأحضرت جسده إلى مصر ، ودفنت قرب مسجد السيدة قتيبة .

(٢) « ريذ » باليوم والعد : الحاضر والمستقبل . والأسد : الأصوب .

(٣) الأمسى : الحزن - وكفى « بيوم الجمعة والأحد » عن مسلم مصر وقبطها .

(٤) الطل : الندى ، أو أخف المطر وأضعفه .

(٥) شدو الطير : ترنمه وتغريده . والحدد : الحرام الذي لا يحل أن يرتكب .

فلقد ولَّى (قريذ) وأنطوى * رُكنُ (مصر) وفتاها والسند
 خالد الآثار لا تَحْشُ آلِي * ليس يبلى من له ذِكْرُ خَلَدِ
 زُرْتُ (برلين) فنادى سَمْتُهَا : * تَزَلَّتْ تَمْسُ الضَّمْحَى بُرْجَ الْأَسَدِ^(١)
 وأخففت تَمْسُكَ فيها وكذا * تَحْتَفِي فِي الْغَرْبِ أَلْسَارُ الْأَبَدِ
 يا غريبَ الدَّارِ والقَبْرِ ويا * سُلُوءَ (النَّيْلِ) إذا ما الْخَطْبُ جَدَّ^(٢)
 وحُسامًا قَلَّ حَدِيدُهُ الرَّدَى * وشهابًا ضَاءَ وَهْنًا وَتَمَدَّ^(٣)
 قُلْ لَصَبِّ (النَّيْلِ) إِنْ لَاقَيْتَهُ * فِي جِوَارِ الدَّائِمِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ^(٤)
 إِنْ (مُصْرًا) لَا تَنِي عَنْ قَصِيدِهَا * رَغَمَ مَا تَلَقَّى وَإِنْ طَالَ الْأَمَدُ
 جَعَلْتُ عَنْهَا أَحْمِلُ الْوُشْرَى إِلَى * أَوَّلِ الْبَايِنِ فِي هَذَا الْبَلَدِ
 فَاسْتَرِخْ وَأَهْنَأْ وَنَمْ فِي غِبْطَةٍ * قَدْ بَدَّرْتَ الْحَبَّ وَالشَّعْبُ حَصَدَ^(٥)
 آثَرَ (النَّيْلِ) عَلَى أَمْوَالِهِ * وَقُصَّوْهُ وَهَوَّاهُ وَالْوَلَدَ^(٦)
 يَطْلُبُ الْخَيْرَ (لَمْعِر) وَهُوَ فِي * شِقْوَةٍ أَحْمَلُ مِنَ الْعَيْشِ الرُّغْدَ^(٧)

(١) يحتمل هذا البيت معنيين : أحدهما أنه يريد وصف الفقيد بالقوة وجلال الشأن ، فشيبه حين نزل برلين مدينة القوة بالشمس حين تزل برج الأسد ؛ والثاني ما يقوله قدماء المنجمين من أن نزول الشمس في برج الأسد دليل على وقوع الموت ؛ ويكون هذا البيت بالمرنى الثاني ترشيحا للبيت الذي بعده .
 (٢) قل حديد : تلها . والوهن : نحو من نصف الليل . (٣) صب النيل : عاشقه .
 ويريد به (الرحوم مصطفي كامل باشا) . (٤) آثر النيل : فضله . يشير بهذا البيت الى هجرة الفقيه الى أوربا في سبيل بلاده وتركه ماله وأهله وولده . (٥) العيش الرغد : الطيب الواسع . ويشير بهذا البيت الى ما تجرعه الفقيد في غربته من يؤس وشقاء ، وإيثاره هذا البؤس على العودة الى وطنه المحتل .

- (١) ضَارِبٌ فِي الْأَرْضِ يَبْنِي مَارَبًا * كَلَّمَ قَارَبَهُ ، عَنْهُ ابْتَعَدُ
 (٢) لَمْ يَعْبه أَنَّنِي تَجَنَّى دَهْرُهُ * رَبِّ جَدِّ حَادٍ عَنْ جِجْرَاهُ جَدِّ
 (٣) يَسْتَجِمُّ الْعَزَمَ حَتَّى إِنْ بَدَتْ * فُرْصَةٌ شَدَّ إِلَيْهَا وَصَمَدُ
 (٤) فَهَوَلَا يَنْتَبِهُ عِنَانًا عَنْ مُنَى * وَهُوَ هَجِيرَاهُ (مَنْ جَدَّ وَجَدَ)
 (٥) فَأَيَادِيهِ إِذَا مَا أَنْصَكِرَتْ * إِنَّمَا تُنْكِرُهَا عَيْنُ الْحَسَدِ
 فَقَدَتْ (مِصْرُ قَرِيدًا) وَهِيَ فِي * مُوْطِنٍ يُعْزِزُهَا فِيهِ الْمَدَدُ
 (٦) فَقَدَتْ (مِصْرُ قَرِيدًا) وَهِيَ فِي * لَهْوَةِ الْمَيْدَانِ وَالْمَوْتُ رَصَدُ
 (٧) فَقَدَتْ مِنْهُ خَيْرًا حَوْلًا * وَهِيَ وَالْأَيَّامُ فِي أَخْذٍ وَرَدِّ
 لَمْ يَكْدُ يُمْتَعِهَا الدَّهْرُ بِهِ * فِي رُبُوعِ (النَّيْلِ) حَيًّا لَمْ يَكْدُ
 (٨) لَيْتَهُ عَاشَ قَلِيلًا فَتَرَى * شَعْبَ (مِصْرٍ) عَيْنُهُ كَيْفَ اتَّحَدَ
 وَبِجَ (مِصْرٍ) بَلْ فَوَيْحًا لِلثَّرَى * إِنَّهُ أَبْلَغُ حُزْنًا وَأَشَدَّ
 (٩) كَمْ تَمَنَّى وَتَمَنَّى أَهْلُهُ * لَوْ يُوَارَى فِيهِ ذِيَاكَ الْجَسَدُ

(١) ضرب في الأرض : ذهب فيها ساعيا .

- (٢) الجسد (بالكسر) : الاجتهاد . (وبالفتح) : الحظ . ومجراه ، أى طريقه . يقول : رب
 اجتهاد أعطاه الحظ فلم يقد صاحبه ولم يثر . (٣) يستجم العزم ، أى يريحه ؛ يقال : إنى
 لأستجم قلبي بشئ . من اللهو حتى أقوى على الحق ، أى إنى لأجعل قلبي يتفكك بشئ . من اللهو ليستجمع قوته .
 وصمد : قصد . (٤) هجيراه ، أى دأبه وشأنه وعادته . (٥) الأيادي : النعم .
 (٦) شبه مصر في ميدان الجهاد بلهوة الرحي ، وهى بفتح اللام وضمتها ، ما يلقى في فها للطنح .
 (٧) الحول : الحاذق البصير بجميل الأمور . (٨) يشير بهذا البيت الى اتحاد مسلمي مصر
 وقبيلها في سنة ١٩١٩م ، تحت رئاسة المرحوم سعد زغلول باشا . (٩) يوارى : يدفن .

لَهْفَ نَفْسِي هَلْ (يَبْرُلِينَ) أَمْرُؤُ * فوق ذَاكَ الْقَبْرِ صَلَّى وَتَجَدُّ؟
 هَلْ بَكَتْ عَيْنٌ فَرَوَتْ تُرْبَهُ * هَلْ عَلَى أَجْجَارِهِ خَطٌّ أَحَدٌ؟^(١)
 هَاهُنَا قَبْرُ شَهِيدٍ فِي هَوَى * أُمَّةٍ أَيْقَظَهَا، ثُمَّ رَقَدَ

رثاء عبد الله أباطه بك^(٢)

[أُنشد هذين البيتين على قبره في سنة ١٩١٩ م.]

يَا عَايِدَ اللَّهِ نَمَّ فِي الْقَبْرِ مُغْتَبِطًا * مَا كُنْتَ عَزْدَ كَرِّ رَبِّ الْعَرْشِ بِاللَّاهِي
 يَا رَحْمَةَ اللَّهِ هَذَا قَبْرُهُ فَقِفِي * وَأَنِيسِي رُوحَهُ يَا رَحْمَةَ اللَّهِ

رثاء عبد الحميد رمزي

قالها على لسان إبراهيم رمزي بك في حفل تأبين ابنه عبد الحميد، وكان طالبا
 بالمدارس الثانوية، ولم يقو أبوه على الكلام في هذا الحفل، فناب عنه حافظ وقال
 هذه القصيدة :

[نشرت في ٦ مارس سنة ١٩٢٠ م.]

وَلَدِي، قَدْ طَالَ سَهْدِي وَنَحْيِي * جِئْتُ أَدْعُوكَ فَهَلْ أَنْتَ يُحْيِي؟
 جِئْتُ أَرَوِي بَدْمُوعِي مَضْجَعًا * فِيهِ أَوْدَعْتُ مِنَ الدُّنْيَا نَصِيْبِي

(١) خط أحد، أي كتب على أججار هذا القبر البيت الآتي بعده .

(٢) عبد الله أباطه بك، هو ابن السيد أباطه باشا، كان عضوا بالجمعية الشريعية، وتقلد عدة

مناصب، وتوفي في سنة ١٩١٩ م .

لَا تَحْتَفِ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ وَلَا * تَبْتَئِسْ إِنِّي مُوَافٍ عَنْ قَرِيبٍ
 (١)
 أَنَا لَا أَتْرُكُ شَيْئًا وَحْدَهُ * فِي جَدِيدٍ مُوَحِّشٍ غَيْرِ رَحِيبٍ
 (٢)
 أَوْحِينَ أَبْتَرِّدْهُرَى قُوَّتِي * وَذَوَى عُودِي وَوَقَاتِي مَشِيبِي
 وَآكَتَسَى غُصْنُكَ مِنْ أَوْرَاقِهِ * تَحْتَ شَمْسِ الْعِزِّ وَالْجَاهِ الْخَصِيبِ
 وَرَجَوْنَا فِيكَ مَا لَمْ يَرْجُهُ * مُنْجِبُ الْأَشْبَالِ فِي الشَّيْلِ النَجِيبِ
 (٣)
 يَنْتَوِيكَ الْمَوْتُ فِي شَرِيخِ الصَّبَا * وَالشَّبَابُ النَّصْ فِي الْبُرْدِ الْقَشِيبِ
 (٤)
 لَمْ يَدْعُ آسِيكَ جُهْدًا إِنَّمَا * غَابَ عِلْمُ اللَّهِ عَنْ عِلْمِ الطَّيِّبِ
 (٥)
 إِيَّاهِ يَا (عَبْدَ الْحَمِيدِ) انْظُرْ إِلَى * وَالِدِ جَمِّ الْأُمَى بِأَدَى الشُّحُوبِ
 ذَاهِلٍ مِنْ قَرِطٍ مَا حَلَّ بِهِ * يَنْ أَرْيَاكَ يَمْشِي كَالْغَرِيبِ
 كُلَّمَا أَبْصَرَ مِنْهُمْ وَاحِدًا * هَزَّهَ الشُّوقُ إِلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ
 يَسْأَلُ الْأَغْصَانَ فِي إِزْهَارِهَا * عَنْ أَخِيهَا ذَلِكَ الْغُصْنِ الرُّطِيبِ
 (٦)
 يَسْأَلُ الْأَقْفَارَ فِي إِشْرَاقِهَا * عَنْ مُحِبِّ غَابٍ مِنْ قَبْلِ الْمَغِيبِ
 (٧)
 غَمَرَ الْحُزْنَ نَوَاحِي نَفْسِهِ * وَأَذَابَتْ لَهُ سُودَ الْخُطُوبِ
 فَهُوَ لَا يَنْفَعُهُ الْعَيْشُ وَهَلْ * تَصْلُحُ الْأَبْدَانُ مِنْ غَيْرِ قُلُوبِ؟

(١) الشبل : ولد الأسد . ويعني « بالجدب الموحش » : القبر . (٢) ابتز : سلب . وذوى
 عوده : ذبل وحف . (٣) ينتريك : يقصدك . وشرخ الصبا : وباعته . والقشيب : الحديد
 (٤) الأمى : الطيب . (٥) الأمى : الحزن . والشحوب : تغير اللون من حزن أو نحوه .
 (٦) محيا الإنسان : وجهه . (٧) غمر الحزن نواحي نفسه ، أى شملها .

طالبي يا شمس قبرا صمته * بالتعايا في شروق وغروب
واسكنني يا رحمة الله به * واجعلي قبضك منهل السكوب

رثاء عبد الحليم المصرى الشاعر المعروف

[نشرت في ٨ يولييه سنة ١٩٢٢م]

لك الله قد أسرعت في السير قبلنا * وآثرت يا مصرى^(١) سكنى المقابر
وقد كنت فينا يا فتى الشعر زهرة * تفتح للأذهان قبل النواظر
فلهني على تلك الأنايل في البلى * فكم نسجت قبل البلى من مفاخر^(٢)
ويا ويح للأشعار بعد نجيبها * وويح للقوافي ساقها غير شاعرها
تزوّدت من دُنْيَاكَ ذِكْرًا محمّدا * وذاك لعمري نعيم زاد المسافر^(٣)
وأورثتنا حزنا عليك وحسرة * على فقيد سباق كريم المحاضر^(٤)
فلم تتويا (عبد الحليم) بمحسرة * ولكن برويض من قريضك ناظر^(٥)
فديوانك الرّيان يغنيك طيبه * عن الزهر مظلولا يحود المواطر^(٥)
فسامر (أبا بكر) هناك فإنه * سيظفر في عدن بنخير مسامر

(١) نجيبا، أى من يتاجبها . (٢) المحاضر: المجالس . (٣) نوى بالمزول :

أقام به . (٤) الزهر المظلول : المبلل بالطل . والجود : المطر الكثير . والمواطر : السحب .

(٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لعبد الحليم المصرى فى سيرة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأولها :

أفنى أبا بكر عليهم قوافيا * وأطرلساني حكمة ومعاني

هَيْنًا لَكَ الدَّارُ الَّتِي قَدْ حَلَّهَا * وَأَعْظَمَ بَيْنَ جَاوَرَتِهِ مِنْ مُجَاوِرِ
(١)
عَلَيْكَ سَلَامٌ مَا تَرْتَمِ مُنْشِدٌ * وَقَامَ خَطِيبٌ فَوْقَ هَامِ الْمَنَابِرِ

(٢) ذكرى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

انشدها في الحفل الذي اقيم بالجامعة المصرية في يوم الثلاثاء ١١ يولييه سنة ١٩٢٢ م

وقد ضمنها رثاء المرحوم حفي ناصف بك

(٣)
أَذْنَتْ شَمْسُ حَيَاتِي بِمَغِيبِ * وَدَنَا الْمَنَهِلُ يَا نَفْسُ فِطْيِي
(٤)
إِنْ مَنْ سَارَ إِلَيْهِ سَيْرَنَا * وَرَدَّ الرَّاحَةَ مِنْ بَعْدِ اللُّغُوبِ
(٥)
قَدْ مَضَى (حَفْنِي) وَهَذَا يَوْمُنَا * يَتَدَانِي فَأَسْتَنْبِي وَأُنْيِي
وَأَرْقِيهِ كُلَّ يَوْمٍ إِنَّمَا * نَحْنُ فِي قَبْضَةِ عَلَامِ النُّيُوبِ
أُذَكِّرِي الْمَوْتَ لَدَى النَّوْمِ وَلَا * تُنْفِلِي ذِكْرَتَهُ عِنْدَ الْهُبُوبِ
وَأَذَكِّرِي الْوَحْشَةَ فِي الْقَبْرِ فَلَا * مُؤْنِسٌ فِيهِ سِوَى تَقْوَى الْقُلُوبِ
قَدَّمِي الْخَيْرَ أَحْتِسَابًا فَكُنِّي * بَعْضُ مَا قَدَّمْتِ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ
رَاعَنِي فَقَدْ شَبَابِي وَأَنَا * لَا أَرَاغُ الْيَوْمَ مِنْ فَقْدِ مَشِيبي
حَنْ جَنَابِي إِلَى بَرْدِ الثَّرَى * حَيْثُ أُنْسِي مِنْ عَدُوِّ وَحْيِي

(١) هام المنابر: رومها؛ الواحدة هامة. (٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٤ من الجزء الأول.

(٣) أذنه بالأمر: أعله بقرينه. والمنهل: المورد؛ يريد به الموت. (٤) اللغوب: التعب.

(٥) استنبي: اطلبى الثواب من الله. وأنبي: ارجعى إليه بالطاعة.

(١) مَضَجَّ لَا يَسْتَكِي صَاحِبُهُ * شِدَّةَ الدَّهْرِ وَلَا شَدَّ الْخَطُوبِ
 (٢) لَا وَلَا يُسَيِّمُهُ ذَاكَ الَّذِي * يُسَيِّمُ الْأَحْيَاءَ مِنْ عَيْشٍ رَتِيبِ
 (٣) قَدَّ وَقَفْنَا سِتَّةَ نَبْكِ عَلَى * عَالَمِ الْمَشْرِيقِ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ
 وَقَفَ الْخَمْسَةُ قَبْلِي قَمَضُوا * هَكَذَا قَبْلِي وَإِنِّي عَنْ قَرِيبِ
 وَرَدُوا الْحَوْضَ تَبَاطًا فَقَضُوا * بِاتِّفَاقٍ فِي مَنَازِلِهِمْ عَجِيبِ
 (٤) أَنَا مُذْ بَانُوا وَوَلَّى عَهْدُهُمْ * حَاضِرُ اللُّوْعَةِ مَوْصُولُ النَّجِيبِ
 هَدَّاتُ نِيرَانُ حُزْنِي هَدَاةً * وَأَنْطَوَى (حَفْنِي) فَعَادَتْ لِلشُّبُوبِ
 (٥) فَتَذَكَّرْتُ بِهِ يَوْمَ أَنْطَوَى * صَادِقُ الْعَزْمَةِ كَشَافُ الْكُرُوبِ

(١) شَدَّ الْخَطُوبِ، أى حملها عليه . (٢) يريد «الرتيب» : العيش الثابت المتكرر بحال واحدة لا تتغير؛ والذي وجدناه في كتب اللغة بهذا المعنى : الراتب لا الرتيب . (٣) يشير بهذا البيت وما بعده الى قصة عجيبة ، وهى أنه لما توفى المرحوم الشيخ محمد عبده رثاه على القبر ستة من الخطباء والشعراء ، أولهم الشيخ أحمد أبو خطوة ، ثم حسن حاصم باشا ، ثم حسن عبد الرازق باشا الكبير ، ثم قاسم أمين بك ، ثم حفنى ناصف بك ، ثم حافظ ابراهيم بك . واتفق أن مات الأربعة الأولون على ترتيب وقوفهم فى الرثاء ، فلاحظ ذلك المرحوم حفنى بك ناصف ، فبحث إلى حافظ بهذه الأبيات :

أَتَذَكَّرُ إِذْ كُنَّا عَلَى الْقَبْرِ سِتَّةَ * نَعْتَدُ آثَارَ الْإِمَامِ وَنَسْتَدِ
 وَقَفْنَا بِرَتِيبٍ وَقَدْ دَبَّ بَيْنَنَا * مِمَاتِ عَلَى وَقْفِ الرِّثَاءِ حُرَّتِ
 أَبُو خَطْوَةٍ وَلَى وَقْفَاهُ حَاصِمٌ * وَجَاءَ لَعِبْدِ الرَّازِقِ الْمَوْتِ يَطْلُبُ
 فَلَسِي وَغَابَتْ بِمَدِّهِ شَمْسُ قَاسِمٍ * وَعَمَّا قَلِيلٍ نَجْمٌ مَحْيَا بِغُرْبِ
 فَلَا تَحْشُ حُلُوكًا مَحْيَا وَأَنْ أَمْتُ * فَأَمْتُ الْخَافِئُ تَسْرُقُ
 نَفَاطِرُ وَقَعَ تَحْتَ الْقَطَارِ وَلَا تَحْفُ * وَتَمَّ تَحْتَ بَيْتِ الْوَقْفِ وَهُوَ غُرْبُ
 وَخَضَ بِلُجِّ الْمِهْيَا أَعَزَّلَ آمَنَّا * فَإِنَّ الْمَنَازِلَ عِنْدَكَ تَتَايَ وَتَهْرَبُ
 فَلَمَّا تَرَفَى حَفْنِي بِمَدِّ ذَلِكَ نَعْلَمُ حَافِظَ مَرْتَبَةِ تِلْكَ . (٤) بَانُوا : بَدَرُوا .

(٥) يريد «بصادق العزيمة» : المرحوم الشيخ محمد عبده .

- (١) يَوْمَ كَفَّنَاهُ فِي آمَالِنَا * وَذَكَّرْنَا عِنْدَهُ قَوْلَ (حَبِيب) :
- (٢) عَرَفُوا مَنْ غَيَّبُوهُ وَكُنَّا * نَعْرِفُ الْأَقْمَارَ مِنْ بَعْدِ الْمَغِيبِ
- (٣) وَفُجِعْنَا بِإِمَامٍ مُضْلِحٍ * طَامِرِ الْقَلْبِ وَأَوَّابٍ مُنِيبِ
- كَمْ لَهُ مِنْ بَاقِيَاتٍ فِي الْهُدَى * وَالنَّدَى بَيْنَ شُرُوقٍ وَغُرُوبِ
- (٤) يَبْدُلُ الْمَعْرُوفَ فِي السَّرَّكَامَا * يَرْقُبُ الْعَاشِقُ إِغْفَاءَ الرَّقِيبِ
- يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِهِ أَعْدَاؤُهُ * حِينَ لَا يَحْسُنُ ظَنُّ بَقَرِيبِ
- تَنْزِلُ الْأَضْيَافُ مِنْهُ وَالْمُنَى * وَالْحِلَالُ الْغُرَى فِي مَرَعَى خَصِيبِ
- (٥) قَدْ مَضَتْ عَشْرٌ وَسَبْعٌ وَالنَّهْيُ * فِي ذُبُولِ وَالْأَمَانِي فِي نُضُوبِ
- (٦) تَرْقُبُ الْأَفْقَ فَلَا يَتَدَوَّبُهُ * لَا مِعْرُوفَ مِنْ نُورِ هَادٍ مُسْتَنِيبِ
- وَنَادَى كُلُّ مَأْمُولٍ وَمَا * غَيْرُ أَصْدَاءِ الْمُنَادِي مِنْ مُجِيبِ
- (٧) دَوَى الْجُرُوحِ وَلَمْ يُقَدَّرْ لَهُ * بَعْدَ نَاوِي (عَيْنِ شَمْسٍ) مِنْ طَلِيبِ
- (٨) أَجْدَبَ الْعِلْمُ وَأَمْسَى بَعْدَهُ * رَائِدُ الْعِرْفَانِ فِي وَادٍ جَدِيبِ

- (١) حبيب ، هو ابن أوس الطائي ، المكنى أبا تمام ، الشاعر المعروف .
- (٢) يلاحظ أن هذا البيت قد ورد في شعر حبيب بن أوس بمعناه قال يرثى إسماعيل بن أبي ربي :
قد علمت ما رزئت إنما * يعرف قد الشمس عند المغيب
- ولم يرد بلفظه كما توهمه عبارة حافظ في البيت الذي قبله . (٣) الأبواب : كثير الرجوع إلى الله .
والمُنِيب : من أتاب ، بمعنى يرجع . . (٤) الإغفاء : النوم . (٥) النضوب : الجفاف .
(٦) مستنيب ، أى يطلب بمن ضل طريق الهدى أن يثوب إليه ، أى يرجع . (٧) دوى :
ماردا داء . والناوى : المقيم . وعين شمس : البلد الذى كانت يسكنه الققيد ، وهى ضاحية من
ضواحي القاهرة معروفة . (٨) الرائد : الطالب .

- (١) رَحْمَةُ الدِّينِ عَلَيْهِ كُلَّمَا * نَحَرَ التَّفْسِيرُ عَنْ طَوْقِ الْأَرِيبِ
 رَحْمَةُ الرَّأْيِ عَلَيْهِ كُلَّمَا * طَاشَ سَهْمُ الرَّأْيِ فِي كَفِّ الْمُصِيبِ
 رَحْمَةُ الْفَهْمِ عَلَيْهِ كُلَّمَا * دَقَّتْ الْأَشْيَاءُ عَنْ ذِهْنِ اللَّيْبِ
 رَحْمَةُ الْحِلْمِ عَلَيْهِ كُلَّمَا * ضَاقَ بِالْحِذْنِ ذُو الصَّدْرِ الرَّحِيبِ
 لَيْسَ فِي مَيْدَانِ (مِصْرِ) فَارِس * يَرْكَبُ الْأَخْطَارَ فِي يَوْمِ الرُّكُوبِ
 (٢) كُلَّمَا شَارَفَهُ مِتَافَتَى * غَالَهُ الْمِقْدَارُ مِنْ قَبْلِ الْوُثُوبِ
 (٣) مَا تَرَى كَيْفَ تَوَلَّى (قَاسِمُ) * وَهُوَ فِي الْمَيْعَةِ وَالْبُرْدِ الْقَشِيبِ
 (٤) أَنْبَى الْأَحْيَاءِ ذِكْرِي (عَبِيدُ) * وَهِيَ لَلْسُتَافِ مِنْ مِسْكِ وَطِيبِ
 (٥) لَأَنْهُمْ لَوْ أَنْصَفُوهَا لَبَنَوْا * مَعَهْدًا تَعْتَادُهُ كَفُّ الْوُحُوبِ
 (٦) مَعَهْدًا لِلدِّينِ يُسْقَى غُرْسُهُ * مِنْ نَيْمٍ فَاضٍ مِنْ ذَاكَ الْقَلِيبِ
 وَنَسِينَا ذِكْرَ (حَفْنِي) بَعْدَهُ * وَدَقْنَا قَضْلَهُ دَفْنِ الْغَرِيبِ
 (٧) لَمْ تَسْلُ مِنَّا عَلَيْهِ دَمْعَةٌ * وَهُوَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْدَّمْعِ الصَّبِيبِ

(١) الطوق : الجهد والعناية . والأريب : العاقل البصير . ويريد « بالتفسير » : تفسير القرآن الكريم ، وكان الفقيد يتولى تدريسه بالأزهر .

(٢) شارفه : أشرف عليه ودنا منه . (٣) ميعة الشباب : أوقته . والقشيب : الجليد . وقاسم ، هو المحكوم قاسم بك أمين .

(٤) استاف الطيب : شم . (٥) تعاده ، أى تتعود الإتيان عليه وتتهده بالبنل .

(٦) الماء النير : الناجع في الري . والقليب : البر . ويريد به الفقيد .

(٧) الصيب : المنصب .

(١١) سَكَنْتُ أَنْفَاسُ (حَقْنِي) بَعْدَ مَا * طَيَّبْتُ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسَ الْأَدِيبِ
عَاشَ خَضِبَ الْعُمُرِ مَوْفُورَ الْحَيَا * صَادَقَ الْعِشْرَةَ مَا مَوْتَ الْمَغِيبِ

(١٢) تَأْيِينَ حَسَنَ عَبْدِ الرَّازِقِ بَاشَا وَإِسْمَاعِيلَ زُهْدِي بِكَ

قَالَهَا فِي الْخُفْلِ الَّتِي أَقَامَهُ الْأَحْرَارُ الدِّسْتُورِيُّونَ لِتَأْيِينَ الْفَقِيدِينَ

[يَوْمَ الْأَرْبَعِينَ ٢٦ دَيْسَمْبَرِ سَنَةِ ١٩٢٢ م]

مَلَمَّا مِنْ أَعْلَامٍ مِصْدَ * رَعَدَا الرَّدَى فُطَوَاهُمَا
(حَسَنُ) وَ(زُهْدِي) لَمْ يَمُدَّ نَحْ بِالْشَّبَابِ كَلَامُهَا
سَلَكَا سَبِيلَ الْحَقِّ مَا * عَاشَا وَمَا أَوْلَاهُمَا!
دَاسَ الْإِثْمِ جُمَاهُمَا * تَحْتَ الدُّبْحِ وَدَهَاهُمَا
فَرَمَى النَّهْيَ وَالْفَضْلَ نَجْدَ * تَمِيمِينَ حِينَ رَمَاهُمَا
إِنْ تَذَكُّرُوا هِمَّ الرَّجَا * لِي فَقَدُّوا ذِكْرَاهُمَا
أَوْ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْدٍ * لَدَى مَبْدَأِ فُهُمَا هُمَا

(١) سكون الأنفاس : كناية عن الموت . ويريد بقوله « طيبت في الشرق أنفاس الأديب » :

أن أدباء الشرق قد تخمروا عليه ، وأخذوا من أدبه وفضله ما طابت به منشأهم وارتفع به أديهم .

(٢) في مساء الخميس ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ م ، احتلى منتدى على عضوين من أعضاء حزب الأحرار

الدستوريين ، هما المرحومان حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدي بك ، فرامهما بالرماس ولم يهلهما

الأجل إلا إياهما ، شوق إسماعيل بك أولاً ، وتوفى حسن باشا بعده ، وكان مبعث هذا الاعتداء الخلاف

السياسي بين الأحزاب .

رثاء إسماعيل صبرى باشا^(١)

أنشدها في حفل التأيين الذى أقيم في فناء مدرسة المعلمين بالميتة في مايو سنة ١٩٢٣ م ، وحين وقف لإنشاد هذه القصيدة أكثر المجتمعون التصفيق ترحيبا به ، فقال مرتجلا :

أَكْثَرْتُمُ التَّصْفِيقَ فِي مَوْطِنٍ * كَانِ الْبُكَاءُ فِيهِ بِنَا أَلِيقًا
فَاكْرِمُوا (صَبْرِي) بِإِنْصَاتِكُمْ * وَلْيُعْذِرِ الدَّمْعُ إِذَا صَفَقًا

ثم ابتدأ في إنشاد قصيدته :

نَعَاكَ النُّعَاةُ وَحَسَمَ الْقَدَرُ * وَلَمْ يُغْنِ عَنَّا وَعَنكَ الْحَدَرُ^(٢)
طَوَتْ ذُبْحَةُ الصَّدْرِ صَدْرَ النَّدَى * فَلَمْ تَطْوِ إِلَّا بِحِجْلِ الْعَبْرِ^(٣)
فَأَمْسَيْتَ تُذَكِّرُ فِي الْغَابِرِينَ * وَإِنْ قَلَّ مِثْلُكَ فَيَمْنُ غَبَرِ^(٤)
إِذَا ذُكِرَتْ سِيرُ النَّاهِبِينَ * فِسِيرَةُ (صَبْرِي) تَجِبُ السَّيْرِ^(٥)
لَقَدْ كُنْتَ بَرًّا يَظِلُّ الشَّبَابَ * فَلَمَّا تَقَلَّصَ كُنْتَ الْآبَرِ^(٦)

(١) ولد المرحوم إسماعيل صبرى باشا في سنة ١٨٥٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر ونال شهادة الحقوق ، سافر إلى أوروبا فأتى علومه القانونية هناك ، ونال الشهادة من كلية اكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وآخر منصب تولاه وكالة الحفائية ، واعتزله في سنة ١٩٠٧ ، وكانت وفاته في ربيع سنة ١٩٢٣ م . وشعره معروف بالرفقة ولطف الصياغة وبجودة النسيب ، كما اشتهر بالإجادة في المقطعات الصغيرة ، وإلى هذا يشير حافظ في مراثيه . (٢) حسم القدر : قضى (بالبناء للجهول فيها) . ويريد « بالقدر » : الموت . (٣) يشير إلى أن الفقيد توفى بالذبحبة الصدرية ، وقد عاش مصابا بها زحمة إله أعواما طويلة . والندى : مجلس القوم ومبتداهم . (٤) الغابرون : الماضون . (٥) تحجب السير : تقطعها وتذهب بها . يقول : إنه إذا ذكر الفقيد لم يذكر سواء في التابيين من الرجال . (٦) تقلص الظل : تقبض . يريد أنه قد بعد عن الإثم في شبابه ، فلما ذهب شبابه كان بعده عن الإثم أشد .

فَلَمْ تَسْتَيْقِ زَوْجَةً فِي الصَّبَا * وَلَمْ تَسْتَيْحِ هَفْوَةً فِي الْكِبَرِ
 أَهْنَى الثَّرَى أَمْ أَعَزَّى الْوَرَى * لَقَدْ نَازَ هَذَا وَهَذَا خَيْرَ
 أَوَّلِ يَوْمٍ لَعَهْدِ الرَّيْسِ * تَحْتَفُ الرِّيَاضُ وَيَدْوَى الزَّهْرُ^(١)
 وَيَذْبُلُ زَهْرُ الْقَرِيضِ الثَّرَى * وَيُقْفِرُ رَوْضُ الْقَوَافِي الْغُرَى^(٢)
 لِيَهْدَأُ (عُمَانُ) فَعَوَاضُهُ * أَصِيبَ وَأَسَى رَهَيْنَ الْحَفْرِ^(٣)
 فَقَدْ كَانَ يَتَنَادَهُ دَائِبًا * بَكُورًا رَوْحًا لَتَهَبِ الدُّرَى^(٤)
 يَقُولُ فَيُرْخِصُ دُرَّ النُّحُورِ * وَيُقَلِّي بُحَانَ بَنَاتِ الْفِكَرِ^(٥)
 يَسُوقُ الْقِصَارَ فَيَأْتِي الْعِنَارَ * وَكَمْ مِنْ مُطِيلٍ مُمِلٍّ عَثَرَ^(٦)
 قِصَارَ وَحَسْبُ النَّهْيِ أَنَّهُ * لَهَا مُعْجَزَاتُ قِصَارِ السُّورِ
 رُحِمَتْ، فَقَدْ كُنْتَ حُلَاوِ اللِّسَانِ * جَلِيَّ الْبَيَانِ صَدُوقَ الْخَبَرِ^(٧)
 قَلِيلَ التَّعْجِيبِ جَسَمُ الْأَنَاءِ * حَكِيمَ الْوُرُودِ حَكِيمَ الصَّدْرِ^(٨)
 شَمَائِلُكَ الْغُرُّ هُنَّ الرِّيَاضُ * رَوَى عَنْ شَذَاهَا نِسْمُ السَّحَرِ^(٩)

(١) ذرى الزهر : ذبل . ويشير بهذا الى أن وفاة الفقيده كانت في فصل الربيع .

(٢) القريض الثرى : القى عمانية وألقاظه . (٣) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بالثول

المستخرج من بحرها . ويريد الشاعر بهذا البيت تشبيه شعر الفقيده بالثول الذى يؤتى به من بحر عمان .

(٤) يتناده دائبا ، أى يواظب على استخراج الآلى منه ليرمع بها شعره . (٥) الجمال : الثول ،

الواحدة جملة . ويريد « بنات الفكر » : معانى الشعر . (٦) يشير الى أن الفقيده كان أجرد

ما يكون شعره في المقطوعات القصيرة . (٧) الأناء : الثانى . ويريد « بحكيم الورد ... » الخ :

أنه بصير بمواقع الأمور يحسن البسول إليها والمخرج منها . (٨) الشذا : الرائحة الطيبة .

- (١) لها مِثْلُ رَوْحِ الدُّمَاءِ اسْتَجِيبَ * فَعَاقَى وَأَوَى وَأَغْنَى وَسَرَّ
- (٢) إِذَا مَا وَرَدَتْ لَهَا مَتَهَلًّا * وَرَدَّتْ نَمِيرًا لَدَيْدَ الْخَصَرِ
- (٣) وَفِكَرُكَ فِي خِصْبِهِ ثَرَوَةٌ * لِفِكْرِ الْأَدِيبِ إِذَا مَا افْتَقَرَ
- (٤) وَشِعْرُكَ كَالْمَاءِ فِي صَفْوِهِ * عَلَى صَفْحَتِهِ تَرَأَى الصُّورَ
- (٥) عِيُونَ الْقَصَائِدِ مِثْلَ الْعِيُونِ * وَشِعْرُكَ فِيهِنَّ مِثْلَ الْحَوَرِ
- وَكَمْ لَكَ شَكْوَى هَوَى أَوْ أَسَى * لَهَا نَفْسَاتٌ تُذِيبُ الْجَحَرَ
- (٦) هَتَفَتْ بِهَا مَرَّةً فِي الْهَجِيرِ * فَكَادَ يَدْبُ إِلَيْكَ الشُّجَرُ
- (٧) وَكَمْ كُنْتَ تُشْعِلُ فِخْمَ الدُّجَى * بِأَنْفَاسِ صَبٍّ طَوِيلِ السَّهَرِ
- فِيَا وَجْهِ قَلْبِكَ مَاذَا أَلَحَّ عَلَيْهِ مِنَ الدَّاءِ حَتَّى أَنْفَطَرَ
- (٨) أَيْخِفُكَ تَحْتَ الدُّجَى وَخَدَهُ * لِذِكْرَى أَلْفِ سَلَا أَوْ هَجَرِ

(١) الريح : الراحة .

(٢) النمر : الماء الناجع في الرى . وخصر الماء (بالتحريك) : برودته .

(٣) يريد بهذا البيت إن الأدباء يستمدون من معانيه إذا أهرزتهم المعاني .

(٤) تراءى ، تراءى ، أى تبين وتظهر . (٥) عيون القصائد : نقائسها

وكرامتها . والحور في العين : اشتداد البياض والسواد في بياضها وسوادها ، واستدارة حدقتها ، ورقة جفونها .

(٦) الهجير : شدة الحر . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للرحوم اسماعيل صبرى باشا ، أترها :

يا سرحة بمحسوار الماء ناضرة * سقاك دمي اذا لم يوف سابقك

عار عليك وهذا الظل منتشر * فنك الهجير يمشى في نواحيك

(٧) يشير بهذا البيت الى مقطوعات الفقيدي في النسيب والشوق ، وهي من أقسى شعره .

(٨) يشير بهذا البيت الى قول الفقيدي يخاطب فؤاده :

سلا الفؤاد الذي شاطرته زمنا * حمل الصباية فأخفق وحدهك الآنا

- (١) إِذَا قِيلَ (صَبْرِي) ذَكَرْتُ (الْوَلِيد) * وَمَرَّتْ بِنَفْسِي ذِكْرِي (عُمَرُ)
- (٢) يَزِيدُ تَوَاضُعُهُ نَفْسَهُ * كَمَا زَانَ حُسْنَ الْمَلَّاحِ الْخَفَرُ
- (٣) زَكَّى الْمَشَاعِرَ عَفُ الْمَوَى * شَبَّهِ الْأَحَادِيثَ حُلُوهَ السَّمَرِ
- لَقَدْ كُنْتُ أَغْشَاهُ فِي دَارِهِ * وَنَادِيهِ فِيهَا زَهَا وَأَزْدَهَرَ
- (٤) وَأَعْرِضْ شِعْرِي عَلَى مَسْمَعٍ * لَطِيفٌ يُحَسُّ نُبُوَ الْوَرِّ
- (٥) عَلَى سَمْعٍ بَاقِعَةٍ حَاضِرٍ * يَمِيزُ الْقَدِيمَ مِنَ الْمُبْتَكِرِ
- (٦) فَيَصْقُلُ لَفْظِي صَقْلَ الْجُمَانِ * وَيَكْسُوهُ رِقَّةَ أَهْلِ الْحَصْرِ
- (٧) يُرْقِرُقُ فِيهِ غَيْرَ الْجَنَانِ * قَسْتَأْفُ مِنْهُ النَّهْيَ وَالْفِكْرَ
- كَذَلِكَ كَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - * إِمَامًا لِكُلِّ أَدِيبٍ شَعَرَ
- (٨) فَكُنَّا الْجَدَاوِلَ تُرَوَّى الظَّمَاءُ * ظِلْمَاءَ الْعُقُولِ وَكَانَ النَّهْرُ
- (٩) زَهْدَتَ عَلَى شُهْرَةٍ طَبَّقَتْ * وَجَاهٍ أَظْلَ وَفَضْلٍ بَهَرِ

- (١) يريد «بالوليد وعمر» : أبا عبادة البحرى وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشى المخزومى ،
الشاعرين المعروفين . شبه بهما التقيد فى رقة الأسلوب ، وعذوبة الألفاظ ، وطرافة المعانى ، وحسن
النسب . وكان اسماعيل صبرى رحمه الله ، يعجب كثيرا بشعر البحرى ويفضله على غيره من الشعر .
- (٢) الخفر : شدة الحياء . (٣) زكى المشاعر : طاهرها . عفو الموى : عفيفه فلا يدعو
حبه الى ارتكاب ماثم . (٤) يريد بقوله «يحس نبو الوتر» : أنه كان يدرك بلطف حسه ودقة
ذوقه ما نبأ من الألفاظ والعبارات ، وقد عما جاوره ولم ينسجم معه فى البيت أو القصيدة .
- (٥) الباقعة : الذكى العارف الذى لا يفوته شئ . (٦) يصقل لفظى ، أى يجلوه ويحسنه .
- (٧) العير : الرائحة الطيبة . قستأف : تسم . والنهى : العقول .
- (٨) الجداول : الأنهار الصغيرة من النهر الكبير . (٩) أظل : أى آمنت ظله وأوسع .

- (١)
خَلَعَتِ الشَّبَابَ فَلَمْ تَبْكِيهِ * وَسَلَّكَ أَنْكَ لَمْ تُخْتَضِرْ
(٢)
وَقَدْ ذُقْتَ طَعْمَ الرَّدَى عِنْدَ مَا * أَصِيبَ قِطَارُكَ يَوْمَ السَّفَرِ
(٣)
فَأَقْسَمْتَ أَنْكَ الْفَيْتَهُ * لَذِيذِ الْمَذَاقَةِ إِذْ تُخْتَضِرُ
تَمَيَّنْتَ أَنْ لَمْ تُعَدِّ لِلْحَيَاةِ * وَلَكِنْ أَبَاهَا عَلَيْكَ الْقَدَرُ
(٤)
وَكَمْ سَاعَةٍ بَيْنَ سَاعِ الْحَيَاةِ * سَقَّتْكَ الْمَرَارَ بِكَأْسِ الضُّجَرِ
(٥)
فَرُحْتَ إِلَى أَخِيهَا شَايِكًا * أَذَاتَكَ مِنْهَا فَكَانَتْ أَمْرًا
فَفَتَّشْتَ أَثْنَاءَهَا جَاهِدًا * بَعَيْنِي بِصَبْرِ بَعِيدِ النَّظَرِ
(٦)
فَلَمْ تَرَفِهَا عَلَى طَوْلِهَا * هُنَيْمَةً صَفْوَى خَلَّتْ مِنْ كَدَرِ

(١) احتضر فلان بالبناء للجهول : مات غشا شابا . (٢) يشير بهذا البيت والذين بعده الى ما حدث للفقيه أيام كان محافظا لمدينة الاسكندرية ، وذلك أنه بينما كان راكبا قطار الرمل عائدا الى منزله من زيارة صاحب السق الخديوى عباس الثانى اذ اصطدم القطار الذى كان يقفه مع قطار آخر ، وقد أصيب فى هذه الحادثة كثيرون من الركاب باصابات مختلفة ، وتوفى بعضهم ، وقد أغشى على الفقيه إغماء طويلا ، وأصيب بارتجاج فى مخه ، حتى إنه كان بعد ذلك كثير النسيان من أثر ذلك ، كما أصيب برضوض فى كتفه الأيسر ، وكان يتحدث الى جلسائه بأنه قد ذاق طعم الموت فى هذا الحادث فوجده لذيق المذاق ، وكان يتنى أن لم تعد اليه الحياة ثانية . (٣) احتضر فلان (بالبناء للجهول) : حضره الموت . (٤) الساع : جمع ساعة . والمرار بالضم : شجر شديد المرارة . شبه الأحران والحوم بمصارف هذا النبات . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للفقيه فى الساعة ، أولها :

كَمْ سَاعَةٍ آلَمْنِي مَسَا * وَأَزِغْنِي يَدَهَا الْقَاسِيَه
(٥) يشير بهذا : الى قول الفقيه فى مقطوعة الساعة التى سبقت الإشارة إليها :

وَكَمْ سَقَّتْنِي الْمَرَاغَتْ لَهَا * فَرَحْتُ أَشْكُوهَا إِلَى التَّالِيَه
فَأَسْلَمْنِي هَذِهِ عَنُوه * لِسَاعَةٍ أُخْرَى وَبِى مَا يَه

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى قول الفقيه فى مقطوعة الساعة أيضا :

فَتَشْتَ فِيهَا جَاهِدًا لَمْ أَجِدْ * هُنَيْمَةً وَاحِدَةً صَافِيَه

- (١) وما زِلْتَ تَشْكُو إِلَى أَنْ أَتَتْ * كَمَا تَشْتَبِي سَاعَةً لَمْ تَذَرِ
(٢) فَلَا صَدَّ تَحْشَاهُ بَعْدَ الْوِصَالِ * وَلَا ضَعْفَ تَشْكُوهُ بَعْدَ الْأَشْرِ
(٣) أَرِيحَ فُؤَادَكَ مِمَّا ضَانَاهُ * وَصَدْرَكَ مِمَّا عَلَيْهِ أَنْكَدَرِ
(٤) تَمْنِيَتَهَا خُطْوَةً لِلَمَاتِ * تُفَرِّجُ عَنْكَ كُرُوبَ الْغَيْرِ
(٥) وَهَذَا قَدْ خَطَاها وَنِلْتَ الْمُنَى * فَهَلْ فِي الْمَمَاتِ بُلُوغُ الْوَطْرِ
صَدَقْتَ فِي الْمَوْتِ نَصْرُ الْأَبَى * عَلَى الدَّهْرِ إِنْ هُوَ يَوْمًا غَدَرَ
(٦) مِلْتَ الشَّوَاءَ بِدَارِ الزَّوَالِ * فَمَاذَا رَأَيْتَ بِدَارِ الْمَقَرِّ
أَتَحْتَ التُّرَابِ يُضَامُ الْكَرِيمِ * وَيَشْقَى الْحَلِيمُ وَيَخْفَى الْقَمَرُ؟
(٧) وَيَهْضُمُ حَقُّ الْأَدِيبِ الْأَرِيبِ * وَيُطْمَسُ فَضْلُ النَّبِيِّ الْأَعْرَفِ؟
أَتَحْتَ التُّرَابِ تُسَاقُ الشُّعُوبُ * بِسَوَاطِ الْعُبُودَةِ سَوَاقُ الْبَقَرِ؟
وَيُعَقَّدُ مُؤَمَّرٌ لِلْسَّلَامِ * فَتَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى مُؤَمَّمَرٍ؟

(١) ساعة لم تذر : يريد ساعة الموت ؛ ويشير بهذا البيت الى قول الفقيده في آخر مقطوعة الساعة :

يا شاكي الساعات أسمع عني * تنبيك منها الساعة القاضيه

(٢) الأشر : البطر؛ وقابله بالضعف لأن الأشر إنما يكون مع القوة والقدره .

(٣) مما عليه أنكدري : أى مما أنصبَّ عليه من الحنوم .

(٤) الغير : تغيرات الزمان ونوائبه . ويشير بهذا البيت والذى بعده الى قول الفقيده :

يا مسوت هانذا اخذنا * ما أقيمت الأيام منى

ببنى وبينك خطوة * إن تخطها فرجت عني

(٥) الوطر : الحاجة . (٦) الشواء : الإقامة .

(٧) الأريب : العاقل الفطن .

فَإِنْ كَانَ مَا عِنْدَنَا عِنْدَكُمْ * فَلَيْسَ لَنَا مِنْ شَقَاءٍ مَقَرٌ
 خِضْمُ الْحَيَاةِ بَعِيدُ النَّجَاةِ * فَطُوبَى لِرَاكِبِهِ إِنْ عَبَّرَ^(١)
 فُؤَادَ سَائِلٍ غَانِمًا لِلتَّرَابِ * كَرَأَيْكَ فِي الْمَوْتِ وَأَهْنَأُ وَقَرَّ

رثاء سعيد زغلول^(٢)

أنشدهما على قبر الفقيد بعد دفنه

[نشرت في ٢١ يولييه سنة ١٩٢٣ م.]

مَا أَنْتَ أَوَّلُ كَكُوتَبِ * فِي الْغَرْبِ أَذْرَكَهُ الْمَغِيبُ
 فَهَنَّاكَ أَقْمَارُ الْمَشَا * رِقِّ قَدْ أُتِيحَ لَهَا الْغُرُوبُ
 دَاسَ الْجِسَامِ عَيْرِينَ خَا * لِكَ، وَهُوَ مَرْهُوبٌ مَهِيْبُ^(٣)
 لَمْ يَثْنِهِ عَنْكَ الرَّيْدُ * سُسْ وَلَا رَمَى عَنْكَ الْخَطُوبُ^(٤)
 يَا (سَعْدُ) كَيْفَ قَضَى (سَعِيدُ) * (سُدُّ) وَهُوَ مِنْ (سَعِيدٍ) قَرِيبُ؟

(١) الخضم : البحر .

(٢) نشأ سعيد زغلول في ظل خاله المغفور له سعد زغلول باشا ، وبعد أن تخرج في مدرسة الحقوق عين مساعدا للنيابة ، ثم انتقل الى الديوان السلطاني في أيام المغفور له السلطان حسين كامل ، ثم عاد الى النيابة ثانية ، ثم عين قاضيا في محكمة الزقازيق . ولما سمَّ خاله الوحدة ، وكان إذ ذاك متفيا بجبل طارق ، استنداه إليه فكان معه في جبل طارق ، وصحبته في سفره بعد ذلك إلى أوروبا ، وقد أصيب بمرض لم يمهله إلا أياما ، وكانت وفاته في ١٠ يولييه سنة ١٩٢٣ م ، ثم نقل جثمانه من أوروبا الى مصر . (٣) العرين : مأوى الأسد . (٤) لم يثنه : لم يصرفه . ويريد « بالرئيس » رئيس الوفد المصري المرحوم سعد زغلول باشا .

عَجَبًا ! أُنْحِي أُمَّةً * وَتَخَافُ جَانِبَكَ الْخَطُوبُ^(١)
 وَيُقَالُ ضَيْفُكَ وَابْنُ أَخٍ * نِكَ وَهُوَ عَن (مَضِرٍّ) غَرِيبٌ؟
 نَبْتُ أَنْكَ قَدْ بَكَتْ * تَ وَهَالِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبُ
 وَإِذَا بَكَى (سَعْدٌ) بَكَتْ * لُبْكَائِهِ مِنَّا الْقُلُوبُ
 يَا (آلَ زُغَلُولٍ) ذَوَى * مِنْ رَوْضِكُمْ غُصْنٌ رَطِيبٌ^(٢)
 فَقَدَتْ بِهِ (مَضِرٌّ) قَتَى * أَخْلَاقُهُ مِنْكَ وَطِيبُ
 يَا (آلَ زُغَلُولٍ) وَعُو * دُمُّ عَلَى الْجُلَى صَلِيبُ^(٣)
 إِنِّي لِأَتَجَمَّلُ أَنْ أُعْزِيَكُمْ وَكُلُّكُمْ أَرِيبُ^(٤)
 شَاكِي سِلَاحِ الصَّبْرِ مُدَّ * تَحْنُ لِدُنْيَاهُ لَيْبُ^(٥)
 خَطْبُ الْكِنَانَةِ فِي قَفِي * يَدِكُمْ لِحَطِيمِكُمْ يُشِيبُ^(٦)
 لَمْ يَتَقَ مِنَّا وَاحِدٌ * إِلَّا لَهُ مِنْهُ نَصِيبُ

(١) يلاحظ أن في هذا الشعر إبطاء، لتكرير لفظ «الخطوب» في بيتين ليس بينهما غير بيت واحد .

(٢) ذوى : ذبل .

(٣) الجلى : المصيبة العظمى . وصليب ، أى صلب .

(٤) الأريب : ذو العقل والرأى .

(٥) شاكي سلاح الصبر ، أى متسلح بالصبر ، قوى به على مواجهة الخطوب .

(٦) «خطبكم» ... الخ ، أى خطب مصر لأجل الخطب التى أصبتم به يشيب الرأس لعظم هوله .

رثاء محمد سليمان أباطه بك^(١)

[في سنة ١٩٢٣م]

مَنْ لَمْ يَذُقْ فَقْدَ أَلِفِ الصَّبَا * لَمْ يَذُرْ مَا أَبْدَى وَمَا أَضْمِرُ
 أَفْقَدَنِي الْمَوْتَ بِهِ وَافِيَا * لَا يَعْرِفُ الْخُتْلَ وَلَا يَنْدِرُ^(٢)
 تَقَرَّأَ فِي عَيْتِهِ كُلِّ الَّذِي * فِي نَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ يَسْتُرُ
 ثَلَاثَةٌ لَمْ تَعْرِ عَنْ عَقِيَّةٍ : * لِسَانُهُ وَالذَّيْلُ وَالْمِسْتَرُ^(٣)
 قَدْ كَانَ مِثْلًا لَأَمْوَالِهِ * وَكَانَ نَهَاضًا بِمَنْ يَعْتُرُ
 أَوْشَكَ أَنْ يُفْقِرَهُ جُودُهُ * وَمِنْ صُنُوفِ الْجُودِ مَا يُفْقِرُ
 أَصِيبَ فِيهِ الْحُجْدُ يَوْمَ أَنْطَوَى * وَالْعُرْفُ وَالسَّائِلُ وَالْمُسِيرُ^(٤)

* *

كُنَّا عَلَى عَهْدِ الصَّبَا سَبْعَةً * بِمُسْتَطَابِ اللَّهِ وَنُسْتَأْثَرُ
 (البابلي) صَفْوَةُ فِتْيَانِنَا * وَ(ابن الموليحي) الْكَاتِبُ الْأَشْهَرُ^(٥)
 وَ(صَادِقُ) خَيْرُنِي (مَسِيدُ) * وَ(بَيْرُمُ) إِذْ عُدُّهُ أَخْضَرُ
 وَكَانَ (عَبْدُ اللَّهِ) أُنْسًا لَنَا * وَأُنْسُ (عَبْدِ اللَّهِ) لَا يُنْكَرُ
 لَمْ يَكْرِهْ لَمْ يَسْبُ صَفْوَهُ * رَجَسٌ وَلَمْ يَسْهَدْهُ مُسْتَهْتَرُ^(٦)

(١) محمد سليمان أباطه بك، هو ابن سليمان أباطه باشا ولد سنة ١٨٧٢ وتعلم في مدرسة البوليس ثم كان ضابطاً إلى سنة ١٨٩٧م ثم تولى عدة أعمال أخرى آخرها وكالة لمصلحة الأملاك وتوفي سنة ١٩٢٣م .
 (٢) الختل : الخداع . (٣) المزور : الأزار . وعفة المزور : كناية عن عفة صاحبه . (٤) العرف : المعروف . (٥) انظر التعريف بالبابل والموليحي (في الحاشية رقم ٥ صفحة ١٦٦ والحاشية رقم ٣ من صفحة ١٥٠ من الجزء الأول على الترتيب) . (٦) لم يشب : لم يتألف . والرجس : النجس .

(١) فكم لنا من مجلس طيب * يشاققه (هارون) أو (جعفر)
 قلعب باللفظ كما شئني * ونضمر المعنى فما يظهر
 ونرسل النكتة بحبوكة * عن غيرنا في الحسن لا تصدر
 ثم أنطوى هذا وهذا وما * يطوى من الأيام لا ينشر
 (٢) كم دوحة أودى بها عاصف * والنجم من مأمنه ينظر

ذكرى المرحوم محمد أبي شادي بك

عجبت أن جعلوا يوماً لذكركا * كأننا قد تسينا يوم متكا
 (٤) إذا سلت (يا أبا شادي) مطوقة * ذكر المديل فشق أنا سلونا
 (٥) في مهبجة (النيل) والوادي وساكنه * رجع لصوتك موصول بذكركا
 (٦) قد عشت فينا نيمراً طاب موره * أسمى سجايا الفتى أدنى سجاياكا

- (١) يريد هارون الرشيد، وجعفر بن يحيى البرمكي وذريته، وقد توفي جعفر مقتولاً بأمر الرشيد سنة ٨٧ هـ. (٢) الدوحة : الشجرة العظيمة. (٣) كان المرحوم محمد أبو شادي بك عبداً من أعلام الحماة وإليه انتهت رئاسة نقابة المحامين حيناً من الزمن كما كان صحيفياً مبرزاً وأنشأ صحيفة يومية سماها « الظاهر » وانتخب عضواً في مجلس النواب وتوفي في ٣٠ يولية سنة ١٩٢٥ م.
- (٤) المطوقة : الحمامة، لما يحيط بمنقها من لون يخالف سائر لونها. والمديل : زعم بعض الأعراب أنه فرخ من الحمام قديم مات ضيعة وعطشا، فيقولون : ما من حمامة إلا وهي تبكي عليه.
- (٥) رجع الصوت : صداه. (٦) النمر : الماء الخارج في الري. ويريد بقوله « أسمى سجايا » = أن أعلى ما يحلى به الناس من صفات فاضلة هو أقل ما تحلى به من شيم ومكارم.

لما كأولاك في رِّ وفي كَرِيم * أُولَى كَرِيم ، ولا عُقْبَى كُعُقبَا كا
 قَضِيَةُ الْوَطَنِ الْمَغْبُونِ، قد مَلَّات * أَنَحَاءَ نَفْسِكَ شُغْلًا عَنْ قَضَايَا كا
 أَبْلَيْتَ فِيهَا بَلَاءَ الْمُخْلِصِينَ لَهَا * وَكَانَ سَهْمُكَ أُنَى رِشْتِ قَضَا كا^(١)
 أَبْجَلْتَ مَا فَصَّلُوهُ فِي قَصَائِدِهِمْ * حَتَّى لَقَدْ نَضُّرُوا بِالْحَمْدِ مِثْوَا كا^(٢)
 لَمْ يُبْقِ لِي قَيْدَ شَيْءٍ صَاحِبَايَ وَلَمْ * يَفْسَحْ لِي الْقَوْلَ لَا هَذَا وَلَا ذَا كا
 يَا مُدْمِنَ الدَّنْكِ وَالتَّسْبِيحِ عُتْسِبَا * هَانَتْ فِي الْخُلْدِ قَدْ جَاوَرْتَ مَوْلَا كا
 لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي دُنْيَاكَ مَفْخَرَةٌ * سِوَى (زَكَّى) لَقَدْ جَمَلْتَ دُنْيَا كا^(٣)

رثاء المغفور له سعد زغلول باشا

أنشدتها في الحفل الذي أقيم لتأبين الفقيد في ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧ م

إِلَيْهِ يَا لَيْلُ هَلْ شَهِدْتَ الْمُصَابَا * كَيْفَ يَنْصَبُ فِي النُّفُوسِ أَنْصَابَا؟
 بَلَغَ الْمَشْرِقَيْنِ قَبْلَ أَنْبِلَاجِ الصُّبْحِ * أَنْ الرِّيسَ وَلَّى وَظَا^(٤)
 وَأَنْعَ لِلنِّيرَاتِ (سَعْدًا) فَ (سَعْدُ) * كَانَ أَمْضَى فِي الْأَرْضِ مِنْهَا شِهَابَا
 قَدْ يَا لَيْلُ مِنْ سَوَادِكَ ثَوْبًا * لِلدَّرَارِي وَلِلضُّحَى جِلْبَابَا^(٥)

(١) راس السهم يريشه ، اذا الصق به الريش ليكون أسرع في مضيه .

(٢) نضروا ، من النضرة ، وهي الحسن والبهجة . ومثواك : قبرك .

(٣) المراد « زكى » : الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، ابن الفقيد .

(٤) أنبلج الصبح : إشرقه . (٥) قد : أقطع . والدراى (بتشديد الاء ونخفت للشعر) :

الكواكب المضيئة الصافية الشعاع .

- (١) أَسْجِ الْحَالِكَاتِ مِنْكَ نِقَابًا * وَأَحْبُ شَمْسَ النَّهَارِ ذَاكَ النِّقَابَا
 قُلْ لَهَا: غَابَ كَوْكَبُ الْأَرْضِ فِي الْأَرْضِ * ضِ فَنِغِي عَنْ السَّمَاءِ أَحْجَابَا
 وَالْبَسِينِي عَلَيْهِ نَوْبَ حَدَادٍ * وَأَجْلِسِي لِلْعَزَاءِ فَالْحُزْنُ طَابَا
 (٢) أَيْنَ (سَعْدُ) ؟ فَذَلِكَ أَوَّلُ حَقِيلٍ * غَابَ عَنْ صَدْرِهِ وَعَافَ الْخَطَابَا
 لَمْ يَعْوِذْ جُنُودَهُ يَوْمَ خَطْبٍ * أَنْ يُنَادَى فَلَا يَرُدُّ الْجَوَابَا
 (٣) عَلَّ أَمْرًا قَدْ عَاقَهُ ، عَلَّ سُقْمًا * قَدْ عَرَاهُ ، لَقَدْ أَطَالَ الْغِيَابَا
 أَيُّ جُنُودِ الرَّئِيسِ نَادُوا جِهَارًا * فَإِذَا لَمْ يُجِبْ فَشَقُّوا النَّيَابَا
 (٤) إِنَّهَا النَّكْبَةُ الَّتِي كُنْتُ أَخْشَى * إِنَّهَا السَّاعَةُ الَّتِي كُنْتُ آبَى
 (٥) إِنَّهَا اللَّفْظَةُ الَّتِي تَنْسِفُ الْأَنْزُ * نَفْسَ نَسْفًا وَتَقْفِرُ الْأَصْلَابَا
 مَاتَ (سَعْدُ) ، لَا كُنْتُ يَا (مَاتَ سَعْدُ) * أَمِهَا مَاتَ مَسْمُومَةً أَمْ حِرَابَا
 (٦) كَيْفَ أَقْصَدْتُ كُلَّ حَيٍّ عَلَى الْأَرْضِ * ضِ وَأَحْدَثْتُ فِي الْوُجُودِ أَنْقِلَابَا
 (٧) حَسْرَةً عِنْدَ أَنْتَ عِنْدَ آهِ * تَحْتَهَا زَفَرَةٌ تُذِيبُ الصَّلَابَا
 (٨) قُلْ لِمَنْ بَاتَ فِي (فَلَسْطِينِ) يَبْكِي * إِنَّ زِلْزَالَنا أَجَلٌ مُصَابَا

(١) يقال : حباه كذا وبكنا يحبوه ، إذا أخطاه إياه . (٢) عاف الشيء : كرهه وزهد فيه .

(٣) عراه : أصابه . (٤) آبى ، أى أكره . (٥) يريد باللفظة : (مات سعد) الواردة في البيت التالي . والأصلاب : عظام في الظهور ذات تقار من لدن الكاهل إلى العقب . وتقفرها ، أى تصيب هذه الفقار فتكسرهما . (٦) أقصده : أصاب مقتله . (٧) الصلاب ، أى الحجارة الصلبة . (٨) يشير إلى زلزال فلسطين الذى حدث في ١١ يولييه سنة ١٩٢٧ م ، والذى عم خطبه كثيرا من البلاد الفلسطينية ، فدمر كثيرا من الدور ، وأهلك عددا ليس بقليل من الأتقى ، وقد تبرع الفقيد لتكويين هذا الزلزال بمئة جنيه .

(١)
 قَدْ دُهِيمُكُمْ فِي دُورِكُمْ وَدُهِينَا * فِي نُفُوسٍ أَيْبَنَ إِلَّا أَحْتِسَابًا
 (٢)
 فَقَقَذْتُمْ عَلَى الْحَوَاثِ جَفْنًا * وَقَقَذْنَا الْمُهْنَدَ الْقِرْضَابَا
 (٣)
 سَلَهُ رَبُّهُ زَمَانًا فَأَبَى * ثُمَّ نَادَاهُ رَبُّهُ فَأَجَابَا
 قَدَرُ شَاءَ أَنْ يُزَلَّزَلَ (مِضْرًا) * فَتَعَالَى فَزَلَّزَلَ الْأَلْبَابَا
 (٤)
 طَاحَ بِالرَّأْسِ مِنْ رِجَالَاتِ (مِضْرٍ) * وَتَخَطَّى التُّحُوتَ وَالْأَوْشَابَا
 وَالْمَقَادِيرُ إِنْ رَمَتْ لَا تُبَالِي * أَرُءَوْسًا تُصِيبُ أَمْ أَذْنَابَا
 تَرَجَّتْ أُمَّةٌ تُسَبِّحُ نَعْسًا * قَدْ حَوَى أُمَّةٌ وَبَحْرًا عُجَابَا
 حَمَلُوهُ عَلَى الْمَدَافِعِ لَمَّا * أَنْعَجَزَ الْهَامَ حَمَلُهُ وَالزُّقَابَا
 (٥)
 حَالُ لَوْنُ الْأَصِيلِ وَالْدَمْعُ يَخْرِي * شَفَقًا سَائِلًا وَصُبْحًا مُذَابَا
 وَسَهَا النَّيْلُ عَنْ سُرَاهُ دُهُولًا * حِينَ أَلْفَى الْجُوعَ تَبْكِي أَنْتِجَابَا
 ظَنَّنِي يَا (سَعْدُ) أَنْ يَرَى مِهْرَجَانًا * فَرَأَى مَا مَيَّمَا وَحَشْدًا مُتَجَابَا
 (٦)
 لَمْ تَسُقْ مِثْلَهُ فَرَاعِينُ (مِضْرٍ) * يَوْمَ كَانُوا لِأَهْلِيهَا أَرْبَابَا

(١) احتساباً، أى إن هذه النفوس جعلت هذا المصاب وأحتملها له فيما يتذكرها عند الله .

(٢) الجفن : القند . والمهند : السيف . والقِرْضَاب : القطاع . يقول : إن ما ضاع من الفلسطينيين بالززال بالقياس إلى ما ضاع منا كالقند إذا قيس بالسيف . (٣) سله : شهره .

(٤) طاح به : ذهب به . والتحوت : السفلة . والأوشاب : الأخطاط من الناس ؛ الواحد وشب (بالكسر) . (٥) يقول : إن لون الأصيل قد فترته الدموع التي كانت تجري دماً ، فكانت

كلها شفق سائل ، أو صبح مذاب ؛ وفي لون الشفق والصبح حمرة وصفرة تشبهان حمرة الدم وصفرة .

(٦) مثله ، أى مثل هذا الحشد .

(١)
خَضَبَ الشَّيْبُ شَيْبَهُمْ بِسَوَادٍ * وَمَا الْيَضُ يَوْمَ مِتَّ الْخَضَابَا
(٢)
وَاسْتَهَلَّتْ تُحُبُّ الْبُكَاءِ عَلَى الْوَا * دِي فَغَطَّتْ خَضْرَاءَهُ وَالْيَابَا
(٣)
سَأَقْتُ (الْتَيْمُسُ) الْعَزَاءَ إِلَيْنَا * وَتَوَخَّتُ فِي مَذْحِكَ الْإِنْهَابَا
لَمْ يَنْحُ جَارِئٌ عَلَيْكَ كَمَا نَا * حَتَّ وَلَا أَطْنَبَ الْمُحِبُّ وَحَابِي
(٤)
وَأَعْتَرَأْتُ (الْتَامِيزِ) يَا (سَعْدُ) مَقِيَا * سُّ لِمَا نَالَ نِيلَنَا وَأَصَابَا
يَا كَبِيرَ الْفُؤَادِ وَالنَّفِيسِ وَالْآ * مَا لِي أَيْنَ أَعْتَرَمْتُ عَنَّا الدَّهَابَا؟
كَيْفَ تَنْتَسِي مَوَاقِفًا لَكَ فِينَا * كُنْتُ فِيهَا الْمَهِيْبَ لَا أَلْمِيَابَا؟
(٥)
كُنْتُ فِي مِيعَةِ الشَّيَابِ حُسَامًا * زَادَ صَقْلًا فِرْنْدُهُ حِينَ شَابَا
(٦)
لَمْ يُنَازِلْكَ قَارِحُ الْقَوْمِ إِلَّا * كُنْتُ أَقْوَى يَدًا وَأَعْلَى جَنَابَا
(٧)
عِظْمٌ لَوْ حَوَاهُ (كَنْزَى أَنْوَشَرُ * وَارَ) يَوْمًا لَضَاقَ عَنْهُ إِهَابَا
(٨)
وَمَضَاءٌ يُرِيكَ حَدَّ قَضَاءِ اللَّهِ يَقْرِى مَتْنًا وَيَحْطِمُ نَابَا

- (١) يريد أن الشيوخ قد خضبوا شعورهم البيضاء بسواد الحداد، وترك النساء الخضاب حدادا على الفقيد . (٢) يقال : اسهل المطر، اذا انهل واشتد أنصبابه . والياب : القفر .
(٣) التيمس : جريدة انجليزية معروفة . (٤) التاميز : نهر في جنوب إنجلترا، ويريد بالتاميز والنيل : ألهما . (٥) ميعة الشباب : أوله . وفرنده : وشيه وجوهره .
(٦) يريد « بالقارح » (هنا) : المكتمل القوة، المستحكم العقل والتجربة من الرجال . والقارح في الأصل من الأفراس : ماتمت أسنانه، وإنما تم في خمس سنين .
(٧) كسرى أنوشروان : ملك من ملوك الفرس معروف . والإهاب : الجلد . أى إن بدن كسرى لا يتسع لمثل هذا السقر والعظم .
(٨) يقرى المتن، أى يقصم الظاهر . ويحطم التاب : يكسره .

- (١) قَدْ تَحَدَّيْتُ قُوَّةَ تَمَلَّأَ الْمَعْدُ * مُورٍ مِنْ هَوْلٍ بَطِشَهَا إِزْهَابًا
(٢) تَمَلِّكَ الْبَرَّ وَالْبَحَارَ وَتَمْنَحُنِي * فَوْقَ هَامِ الْوَرَى وَتُنَجِّي السَّحَابَا
(٣) لَمْ يَنْهِنَهُ مِنْ عَزَمِكَ السَّجْنُ وَالنَّفْدُ * بِي وَسَاجَلَتَهَا (بِمَصْرَ) الضَّرَابَا
(٤) سَائِلُوا (سَيْشِلًا) أَوْ جَسَّ خَوْفًا * وَسَلُّوا (طَارِقًا) أَرَامَ أَنْسِحَابَا؟
عَزَمَةٌ لَا يَصُدُّهَا عَنْ مَدَاهَا * مَا يَصُدُّ الشُّيُولَ تَغَشَّى الْهَضَابَا
لَيْتَ (سَعْدًا) أَقَامَ حَتَّى يَرَانَا * كَيْفَ نُعْلِي عَلَى الْأَسَاسِ الْقَبَابَا
قَدْ كَشَفْنَا بِهِذِيهِ كُلَّ خَافٍ * وَحَسِبْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ حِسَابَا
تُجَجُّ الْمُبْطِلِينَ تَمْضِي سِرَافًا * مِثْلَمَا تُطْلِعُ الْكُؤُوسُ الْحَبَابَا
حِينَ قَالَ : (أَتَيْتُ) قُلْنَا بَدَانَا * تَحْمِلُ الْعِيبَ وَحَدَنَا وَالصُّعَابَا
(٥) فَاجْتَبُوا الشَّمْسَ وَأَحْيِسُوا الرُّوحَ عَنَّا * وَأَمْنَعُونَا طَعَامَنَا وَالشَّرَابَا
(٦) وَأَسْتَشْفُوا يَقْبَلْنَا رَغْمَ مَا نَدُ * بَقِي فَهَلْ تَلْمَحُونَ فِيهِ أَرْثِيَابَا؟
(٧)

(١) يريد «بالقوة» : قوة الإنجليز . (٢) هام الورى : رومهم ، الواحدة هامة . ويريد بقوله «ونجى السحاب» أن هذه الدولة لها ملك واسع ، بحيث أمطر السحاب وأنرج زرعاً كان ما يجي من هذا الزرع لدولة الإنجليز ، وهو إشارة إلى ما يروى من أن بعض الخلفاء رأى سحابة في الأفق فقال : امطري حيث تمطرين فأنه ما تخريجيه من الزرع يجي ثمراثة إلينا . (٣) لم ينهه ، أى لم ينه عن مطلبه ولم يصرفه . وساجلتها الضرابا ، أى حاربت هذه القوة كما حاربك . (٤) سيشل : جزيرة انجليزية في المحيط الهندي تقع إلى الشمال من جزيرة مدغشقر ، وقد نفى إليها سعد وظلوا بها هو وبعض أصحابه سنة ١٩٢١م قتل من سيشل إلى جبل طارق ، لأن جو سيشل أضر به . (٥) حين حضرت سعد الوفاة ، سئل : كيف أنت ؟ فقال : «أنا أتيت» ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٦) الروح : نسيم الريح . (٧) استشف الشيء : تبينه من وراء حجاب . يقول في هذا البيت والذي قبله مخاطباً الإنجليز : إننا على الرغم مما تصبونه علينا من ألوان العذاب ثابتون على مبدئنا لأنرتاب فيه ولا يزعجنا عنه مزحج .

(١) قَدْ مَلَكَتُمْ فَمَ السَّبِيلِ عَلَيْنَا * وَفَتَحْتُمْ لِكُلِّ شَعْوَاءَ بَابًا
(٢) وَأَتَيْتُمْ بِالْحَائِمَاتِ تَرَامِي * تَحْمِلُ الْمَوْتَ جَائِمًا وَالْخَرَابَا
وَمَلَأْتُمْ جَوَانِبَ النَّيْلِ وَعَدَا * وَوَعِيدًا وَرَحْمَةً وَعَذَابَا
(٣) هَلْ ظَفِرْتُمْ مِنَّا بِقَلْبِ أَبِي * أَوْ رَأَيْتُمْ مِنَّا إِلَيْكُمْ مَثَابَا
(٤) لَا تَقُولُوا خَلَا الْعَرِينُ فِيهِ * أَلْفَ لَيْثٍ إِذَا الْعَرِينُ أَهَابَا
(٥) فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ وَرُوعُوا حِمَاهَا * إِنَّ عِنْدَ الْعَرِينِ أَسَدًا غَضَابَا
جَزَعَ الشَّرْقُ كُلَّهُ لِعَظِيمِ * مَلَأَ الشَّرْقُ كُلَّهُ إِنْجَابَا
عَلَّمَ (الشَّامَ) وَ(الْعِرَاقَ) وَ(مَجْدَا) * كَيْفَ يُحْمَى الْحِمَى إِذَا الْخَطْبُ نَابَا
(٦) جَمَعَ الْحَقُّ كُلَّهُ فِي كِتَابِ * وَأَسْتَنَارَ الْأَسْوَدَ غَابًا قَفَابَا
وَمَشَى يَحْمِلُ اللَّوَاءَ إِلَى الْحَقِّ * وَيَتَلَوُّ فِي النَّاسِ ذَاكَ الْكِتَابَا
كَلَّمَا أَسَدَلُوا عَلَيْهِ حِجَابَا * مِنْ ظَلَامٍ أَزَالَ ذَاكَ الْإِجَابَا
(٧) وَاقِفٌ فِي سَبِيلِهِمْ أَيْنَ سَارُوا * عَلِيمٌ بِأَحْتِيَالِهِمْ أَيْنَ جَابَا

(١) الشعواء : الغارة المنشرة . (٢) يريد « بالحائمات » : الطائرات .

(٣) المئاب : الرجوع . يقول : إنكم بالغم في تعذيبنا ، فهل استعظمتم أن تميلوا إليكم قلباً ألبا من قلوبنا ، أو أن يجلدوا منا استسلاماً لكم .

(٤) العرين : بيت الأسد ومأواه . وأهاب : دعا .

(٥) راعه يروعه : أزعجه ويخوفه . والضمير في « حماها » لمصر .

(٦) يشير بهذا البيت والذي قبله الى اقتفاء المالك الشرقية اثر مصر واقتدائها بها في نهضتها والندود عن الأوطان .

(٧) أين جاب ، أى أين تنقل .

(١)
أَيُّ مَكْرِيْدُقٍ عَنِ ذَهْنٍ (سَعْدٍ) * أَيُّ خَتْلٍ يُرِيغُ مِنْهُ أَضْطِرَابًا؟
(٢)
شَاعَ فِي نَفْسِهِ الْيَقِيْنُ فَوْقًا * هُوَ بِهِ اللَّهْ عَثْرَةٌ أَوْ تَبَابًا
عَجَزَتْ حِيلَةُ الشَّبَالِ وَكَانَ الشَّرْقُ لِلصَّيْدِ مَغْنَمًا مُسْتَطَابًا
كَلَّمَا أَحْكَمُوا بِأَرْضِكَ نَفَا * مِنْ فِخَاخِ الدَّهَائِ خَابُوا وَخَابَا
(٣)
أَوْ أَطَارُوا الْحَمَامَ يَوْمًا لِرَبْجِلٍ * قَابَلُوا مِنْكَ فِي السَّمَاءِ عُقَابًا
(٤)
تَقْتُلُ الدُّسَّ بِالصَّرَاحَةِ قَتْلًا * وَتُسْقِي مُنَافِقَ الْقَوْمِ صَابَا
وَتَرَى الصَّدْقَ وَالصَّرَاحَةَ دِيْنًا * لَا يَرَاهُ الْمُخَالِفُونَ صَوَابًا
(٥)
تَعْتَشُقُ الْجَوْصَانِيَّ اللَّوْنِ مَحْمُومًا * وَالْمُضِلُّونَ يَعْشُقُونَ الضُّبَابَا
أَنْتَ أَوْرَدْتَنَا مِنَ الْمَاءِ عَذْبًا * وَأَرَاهُمْ قَدْ أَوْرَدُونَا السَّرَابَا
قَدْ جَمَعْتَ الْأَحْزَابَ حَوْلَكَ صَفَا * وَنَفَلْتَ الشُّيُوخَ وَالنُّوَابَا
(٦)
وَمَلَكْتَ الزَّمَانَ وَأَحْطَطْتَ لِلْنِّبَا * سَبَّ وَأَذْرَكْتَ بِالْأَنَاءِ الطَّلَابَا
ثُمَّ خَلَقْتَ بِالْكَفَانَةِ أَبْطَا * لَا هَكُوهَلَا أَعِزَّةٌ وَشَبَابَا

(١) يدق : يدهض ويغنى . والختل : الخداع . ويرىغ منه : يريد به على الاضطراب والنفوس . (٢) ولاء : حفظه . والتباب : الخسران .

(٣) الحمام الزاجل : حمام كان يستعمل لنقل الرسائل . ويريد « بإرساله للزجل » هنا : السى لبث أعبار السوء وإضرار الفتنة . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب بالكاسر .

(٤) تسقى (بالتشديد) : تسقى (بالضعف) ، وشددت لبالغة . والصاب : عصارة شجر مرمر .

(٥) شبه في هذا البيت المصراحة في القول بصحوا الجو وصفائه ، والتفاق بغلبة التيم والضباب .

(٦) الأناء : الثاني .

(١) قد مَشَى جَمْعُهُم إِلَى الْمَقْصِدِ الْأَمْسِ * حَتَّى يُغْدُونَ لِلْوُصُولِ الرَّكَّابَا
يَتَنَوَّنُونَ الْعَلَا يَشِيدُونَ مَجْدًا * يُسْعِدُونَ الْبَيْنِينَ وَالْأَعْقَابَا
(٢) قَدْ بَلَوْنَاكَ قَاضِيًا وَوَزِيرًا * وَرَئِيسًا وَمِدرَهَا خَلَا
فَوَجَدْنَاكَ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِي * لَكَ عَظِيمًا مُوَفَّقًا غَلَا
(٣) لَمْ يَنْلِ حَاسِدُوكَ مِنْكَ مُنَاهُمْ * لَا وَلَمْ يُلْصِقُوا بَعْلِيَّكَ حَابَا
(٤) نَمَّ هَنِيئًا فَقَدْ سَهِنَتْ طَوِيلًا * وَسَمِئَتْ السَّفَامَ وَالْأَوْصَابَا
(٥) كَمْ شَكَوْتَ الْمَهَادِي يَوْمَ كُنَّا * بِالْبَاسَاتِينَ تَسْتَعِيدُ الشُّبَابَا
تَهَبُ اللَّهُوْ فَاطِلِينَ وَكُنَّا * تَحْسَبُ الدَّهْرَ قَدَ أَنْابَ وَتَابَا
(٦) لِإِذَا الرُّزْءُ كَانَ مِنَّا بِمَرْمَى * وَإِذَا حَائِثُ الرَّدَى كَانَ قَابَا
حَرَمْنَا الْمَنُونُ ذِيَالِكَ الْوَجْهَ * لَهُ وَذَلِكَ الْحِمَى وَيَلُوكَ الرِّحَابَا
وَتَجَايَا لَهْمٌ فِي النَّفْسِ رَوْحَ * يَعْدِلُ الْقَوْزَ وَالْدَّمَاءَ أَهْجَابَا
(٧) كَمْ وَرَدْنَا مَوَارِدَ الْأَنْثَى مِنْهَا * وَرَشَفْنَا سُلَافَهَا وَالرُّضَابَا
وَمَرَحْنَا فِي سَاحِلِهَا فَلَيْسَيْنَا أَلْ * بِأَهْلِ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابَا

- (١) يقال : أخذ فلان السير في السير ، إذا أسرع . (٢) بلوناك ، أي اخبرناك .
والمدح : خطيب القوم ولسانهم ، ويطلق في هذا المعنى على الحامي : (٣) العاب : العيب .
(٤) الأوصاب : الأمراض والأوجاع الدائمة . (٥) يريد « بالباساتين » : باسيتين فتح الله
بركات باشا التي تقع قرية من مدينة بليس من أعمال الشرقية ، وقد كان الشاعر بها مع الفقيد .
(٦) قابا ، أي قريبا . (٧) السلاف : ما تحلب وسال قبل مصر ، وهو أجدو النمر .
والرضاب : لعاب العسل .

ثُمَّ وَلَّتْ بِشَاشَةِ الْعَيْشِ عَنَّا * حِينَ سَارُوا فَوَسَّدُوا التُّرَابَا
(١)
خِيفَتَ فِينَا مَقَامَ رَبِّكَ حَيًّا * فَتَنْظُرُ بِحَيْثِيَّةِ الثُّوَابَا

رثاء أمين^(٢) الرافعي بك

أشدها في الحفل الذي أقامه الحزب الوطني للذكرى الشهداء في ١٦ فبراير سنة ١٩٢٨ م

أَمَّا (أَمِينُ) فَقَدْ دُقْنَا لِمَصْرِهِ * وَخَطْبِهِ مِنْ صُنُوفِ الْحُزْنِ أَلْوَانَا
لَمْ تُنْسِنَا ذِكْرَهُ الدُّنْيَا وَإِنْ تَسَجَّتْ * لِلزَّاحِلِينَ مِنَ النَّسِيَانِ أَكْثَفَانَا
(٣)
مَضَى نَقِيًّا عَفِيفَ النَّفْسِ مُحْتَسِبَا * فَهَدَّ مِنْ دَوَلَةِ الْأَخْلَاقِ أَرْكَانَا
(٤)
جَرَتْ عَلَى سَنَنِ التَّوْحِيدِ نُسَانُهُ * فِي اللَّهِ وَالرَّأْيِ لِإِخْلَاصًا وَإِيمَانَا
(٥)
لَمْ يَلُوهُ الْمَأَلُ عَنْ رَأْيٍ يَدِينُ بِهِ * (وَلَوْ حَمَلَتْ إِلَيْهِ الدُّهْرَ مَلَانَا)
(٦)
وَلَمْ يَلِنْ عُودُهُ لِلخَطْبِ يُرْهِقُهُ * قَسَا عَلَيْهِ شَدِيدُ الْعَيْشِ أَمَّ لَنَا
ظَلَمٌ مِنَ الْقَبْرِ أَنْ تَبْلَى أُنَامِلُهُ * فَكَمْ رَمَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ خَانَا

(١) تنظر : انتظر . ويشير هذا البيت الى قوله تعالى : «ولن خاف مقام ربه جحطان» .

(٢) ولد المرحوم أمين الرافعي بك في ديسمبر سنة ١٨٨٦ م ، وتوفي في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧ م ، وهو الكاتب السياسي المعروف ، صاحب جريدة الأخبار ، وكانت له في النهضة القومية مواقف مشهودة .

(٣) محتسبا ، أى لمنرا عند الله ما قدمه من عمل صالح . (٤) السنن : الطريقة .

(٥) لم يلو ، أى لم يصره . والشرط الثاني بحر بيت للتنبي من قصيدة يمدح بها أباه سهل سميد بن عبد الله ، وصدره : «ولا أسر بما غيى الحيد به» ومطلعها :

قد علم الين منا الين أجفانا * تدى وألف في ذا القلب أحرانا

(٦) لان عوده : ضعف . ويرهقه : يحمله ما لا يطيق .

(١) كانت مَطِيَّةَ سَبَاقِ جَوَانِبُهُ * يُرِيدُكَ فَيَاضُهَا صِدْقًا وَعِرْفَانًا
عِشْرُونَ مَامَا عَلَى الطَّرْسِ الطُّهُورِ جَرَى * مَا خَطَّ فَاخِشَةً أَوْ خَطَّ بُهْنَانًا
يُحَوِّلُ بَيْنَ رِيَاضِ الْفِكْرِ مُقْتَطِفًا * مِنْ طَيْبٍ مَغْرِمِهَا وَرَدًّا وَرَيْحَانًا
فَيَنْشَقُّ الدَّهْنُ مِنْ أَسْطَارِهِ أَرْجَا * وَتُبْصِرُ الْعَيْنُ فَوْقَ الطَّرْسِ بُسْتَانًا^(٢)
(أَمِينُ) فَارَقْتَنَا فِي حِينٍ حَاجَتِنَا * إِلَى قَيِّ لَا يَرَى لَيْلًا سُلْطَانًا
إِلَى أَمِينٍ عَلَى أَوْطَانِهِ يَقِظُ * ذِي مِرَّةٍ يَتَلَقَّى الْخَطْبَ جَدَلَانًا^(٣)
أَيْلَسُ الْخَزْمَ مَنْ لَانَتْ مَهْزَتُهُ * وَأَنْتَ تَخْرُجُ مِنْ دُنْيَاكَ عُرْيَانًا؟^(٤)
إِنَّ الْقَنَاعَةَ كَثُرْتُكَ حَارِسَهُ * تَرَى بِهِ الْقُوَّةَ يَاقُوتًا وَمَرْجَانًا^(٥)
فَمَا سَعَيْتَ لَغَيْرِ الْحَمْدِ تَكْسِبُهُ * وَلَا رَضِيتَ لَغَيْرِ الْحَقِّ إِذْخَانًا
أَوْدَى بِكَ (السُّكْرُ) الْمُضْنِي وَلَا يَعْجَبُ * أَنْ يُورِثَ الْخُلُومُ مَرَّ الْعَيْشِ أَحْيَانًا^(٦)
مَا هَانَ خَطْبُكَ وَالْأَخْلَاقُ وَالْهَلَّةُ * تَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا خَطَبْتُ أَمْرِي هَانًا^(٧)
(أَمِينُ) حَسْبُكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ * فَأَنْتَ أَرْبَحُنَا فِي الْحَشْرِ مِيزَانًا

(١) يريد «بالسباق»: القلم. ويريد «جوانبه» شقيه. وفيهاضها، أى التى تفيض بالمعاني والأفكار.

(٢) أريج الزهر: قمحه وطيب ريحه. والطرس: الصحيفة يكتب فيها.

(٣) المزة: القوة والشدة. والجلدان: الفرح (يكسر الراء). (٤) الخز: الحرير.

ومن لانت مهزته، أى من كان ضعيفا فى طلب الحق والدفاع عنه، وكان لينا لناصب وطنه.

(٥) يريد بقوله: «ترى به القوت... الخ»: أنه يكفى من حطام الدنيا بالقوت، ويرى أنه يعدل

اليافوت والمرجان فى تقاسمهما، فلا يمتد طمعه الى عرض الدنيا قناعة منه. (٦) أودى به:

ذهب به وأهلكه. والسكر، هو ذلك المرض المعروف، وبه مات الفقيه. (٧) والهة: حزينة.

أَشْرَفَانِكَ فِي أَخْرَاكَ أَسْعَدْنَا * حَظًّا وَإِنْ كُنْتَ فِي دُنْيَاكَ أَشْقَانَا
 بَلَّغْ ثَلَاثَتَكُمْ عَنَّا تَحِيَّتَنَا * وَأَذْكُرْهُمْ مَا يُعَانِي قَوْمَنَا الْآنَا^(١)
 وَأَضْرَعْ إِلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُبْتَلَا * أَنْ يَحْرُسَ النَّيْلَ مِمَّنْ رَامَ طُفْنَانَا

رثاء الدكتور يعقوب صروف^(٢)

أُنشدها في الحفل الذي أقيم لثأريته بدار الأوبرا الملكية في ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨ م

أَبْيَكِي وَعَيْنُ الشَّرْقِ تَبْكِي مَعِي * عَلَى الْأَرِيْبِ الْكَائِبِ الْأَلْمِي^(٣)
 جَرَى عَصَى الدَّمْعِ مِنْ أَجَلِهِ * فَرَادَ فِي الْجُودِ عَلَى الطَّيْسِ^(٤)
 نَقَصَ مِنَ الشَّرْقِ وَمِنْ زَهْوِهِ * فَقَدْ الْبَرَّاجُ الْمُعْجِزُ الْمُبْدِعُ^(٥)
 لَيْسَ لِضَرِيرٍ فِي رِجَالِهَا * حَظٌّ وَلَا لِلشَّامِ فِي أَرْوَاعِ^(٦)
 مُصَابُ (صُرُوف) مُصَابُ النُّهَى * فَلْيُنْكِهِ كُلُّ فُوَادٍ يَسِي^(٧)
 كُرْمٍ بِالْأَمْسِ وَأَكْفَانِهِ * تَتَسَجُّهَا الْأَقْدَارُ لِلصَّرْعِ^(٨)
 يَا صَائِغَ الدَّرِّ لَتَكْرِيْمِهِ * صُغْتُهُ لِمَنْعَاهُ مِنَ الْأَدْمَعِ

(١) يريد «بالثلاثة» : المرحومين : معصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وعلى فهمي كامل .

(٢) انظر التعريف بالدكتور يعقوب صروف (في الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٤ من الجزء الأول) .

(٣) الأريب : العاقل . والألمي : الذي المتوقد . (٤) يريد «بعضي الدمع» : الدمع الذي

يمنع عند نزول المصائب عزة وأهنة من البكاء . (٥) الزهو : الكبر والفخر . (٦) الأربع :

الشهم الذي الفؤاد . (٧) يسي : يحفظ . (٨) يشير بقوله «كرم بالأمس» :

إلى الاحتفال باليربيل الذهبي لجمعية المتكلمين الذي أقيم في سنة ١٩٢٧ م ، وأُنشده فيه حافظ قصيدة نُشرت في هذا الديوان .

قَدْ زَيْنَ الْعِلْمَ بِأَخْلَاقِهِ * فَعَاشَ مِلَّةَ الْعَيْنِ وَالْمِسْمَعِ
 تَوَاضَعُ وَالْكِبَرُ دَابُّ الْفَتَى * خَلَا مِنَ الْفَضْلِ فَلَمْ يَنْفَعِ
 تَوَاضَعُ الْعِلْمِ لَهُ رَوْعَةٌ * يَنْهَارُ مِنْهَا صَلَفُ الْمُدْعَى ^(١)
 وَحُلَّةُ الْفَضْلِ لَهَا شَارَةٌ * أَزْهَى مِنَ السَّيْفَيْنِ وَالْمِدْفَعِ
 يُسْبِغُ مَنْ حَصَلَ مِنْ عِلْمِهِ * وَهُوَ مِنَ التَّحْصِيلِ لَمْ يَسْبِغِ
 مُبَكَّرٌ تَحْسَبُهُ طَالِبًا * يُسَاقُ الْفَجْرَ إِلَى الْمَطْلَعِ
 قَدْ ظَلَّتِ الْأَسْقَامُ أَضْلَاعَهُ * وَالرَّأْسُ فِي شُغْلٍ عَنِ الْأَضْعَعِ
 مَاتَ وَفِي أُنْمُلِهِ صَارِمٌ * لَمْ يَنْبُ فِي الضَّرْبِ عَنِ الْمَقْطَعِ
 صَاحِبَهُ تَحْسِينِ طَامًا فَلَمْ * يُخْنِ لَهُ عَهْدًا وَلَمْ يَخْذَعِ ^(٢)
 مُوَفَّقًا أَنَّى جَرَى مُلْهُمَا * مَا ضَلَّ فِي الْوَرْدِ عَنِ الْمَشْرِعِ ^(٣)
 لَمْ يَبْرِهْ بِإِيسَى رَبِّهِ * وَلَمْ يَحْزُهُ جَاهِلٌ أَوْ دَعَى ^(٤)
 فِي النُّقْلِ وَالتَّصْنِيفِ أَرْبَى عَلَى * مَدَى (أَبْنِ بَجْرٍ) وَمَدَى (الْأَصْمَعِيِّ) ^(٥)

- (١) الصلف: الكبر. (٢) شبه القلم بالصارم، وهو السيف. ونبا السيف عن الضربة ينبو: كل وارتد عنها. (٣) المشرع: المورد الذي يستقي منه. (٤) خفف الياء في «دعى» لضرورة القافية. (٥) يريد «بالنقل»: ترجمة الكتب والمباحث من اللغات الأجنبية، وكان الدكتور صروف من أُمهر العلماء في هذا الباب. وابن بجر، هو أبو عثمان عمرو بن بجر الجاحظ المتوفى بالقالج النصفى سنة ٨٢٥هـ. ولد بالبصرة ونشأ بها، وأخذ العلم عن جهاذة اللغوين والرواء، ويخرج في علم الكلام على أبي إسحاق النظام، ونصر مذهب الاعتزال. ومؤلفاته كثيرة لا ينسج لها المقام. والأصمعي، هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب، ولد سنة ١٢٣هـ ونشأ بالبصرة، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمتها، وأكثر الخروج إلى البادية، وشافه الأعراب وسأكنهم، وكان من تلامذة الخليفة الرشيد؛ وتوفى في سنة ٨٢١هـ، وأكثر مؤلفاته في اللغة.

أَيَّ سَبِيلٍ لِلْهُدَى لَمْ يَرِدْ * وَأَيَّ بَابٍ مِنْهُ لَمْ يَقْرِعْ
 يَقْتَطِفُ الزَّهْرَ وَيَخْتَارُهُ * كَالنَّحْلِ لَا يَمْقُو عَنِ الْأَيْعِ^(١)
 فَتَحَسَّبُ الْقُرَاءُ فِي جَنَّةٍ * عُقُوبُهُمْ فِي رَوْضِهَا تَرْتَمِي
 (صُرُوفٌ) لَا تَبْعَدُ فَلَسْتَ الَّذِي * يَطْوِيهِ طَائِرِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ
 أَسْكَنْتَ الْمَوْتَ وَلَكِنَّهُ * لَمْ يُسَيِّكِ الْآثَارَ فِي الْمَجْمَعِ
 ذِكْرُكَ لَا تَنْفَكُ مَوْصُولَةٌ * فِي مَعْهَدِ الْعِلْمِ وَفِي الْمَصْنَعِ

رثاء عبد الخالق ثروت باشا^(٢)

أُنشدها في الحفل الذي أقيم بالأوبرا الملكية لثانيته في يوم السبت ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ م

لِعَبِّ الْإِسْلَى بِمُلَايِبِ الْأَلْبَابِ * وَمَحَا بَشَاشَةِ فَمِكَ الْخَلَابِ^(٣)

وَطَوَى الرَّدَى (عَمْرُو) الْكِثَانَةَ غَافِلًا * وَرَمَى شِهَابَ دَهَائِهِ بِشِهَابِ^(٤)

(١) لا يفوق عن الأيئع، أي لا يترك الناصر من الزهر إلا أصاب منه طعمه .

(٢) عبد الخالق ثروت باشا، هو ابن اسماعيل عبد الخالق باشا، من كبار رجال مصر في عصره .
 ولد ثروت باشا في سنة ١٨٧٣ م، وبعد أن تعلم في مصر ونال شهادة الحقوق تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية، وهو أول مصري تولى منصب النيابة العمومية، وتولى رئاسة الوزارة في سنة ١٩٢٢ م، وتم في عهده وزارته حصول البلاد على تصريح ٢٨ فبراير المعترف فيه من بريطانيا باستقلال مصر وسيادتها .
 ثم رأس الوزارة مرة أخرى أيام تآلف الأحزاب المصرية، ثم اعتزل السياسة أخيراً، وسافر إلى باريس للاستشفاء بها، وتوفي في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م . وكان من سؤاس مصر المعترف بمخدعهم وبصرهم بشؤون السياسة والحكم . (٣) يريد «بملايِبِ الألباب» : وصف الفقيه بسحر المنطق . وفي كتب اللغة أن ميم القم تشدد في الشعر كما هنا . (٤) يريد بقوله «عمر الكثانة» : تشبيه الفقيه بعمر بن العاص المخزومي أحد الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وكان معروفًا بالدهاء والكماسة والخروج من مآزق الأمور، والقوة على مكيدة الخصوم، وهو فاتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب، وكان أميراً عليها حتى عزله عنها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وتوفي في خلافة معاوية سنة ٤٣ هـ .

مَنْ كَانَ يَدْرِي يَوْمَ سَافَرَانَهُ * سَفَرٍ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ إِيَابٍ
 حَزِنْتُ عَلَيْهِ عَقُولُنَا وَقُلُوبُنَا * وَبَكَتْ، وَحَزِنُ الْعَقْلُ شَرُّ مُصَابٍ
 الْقَلْبُ يُنْسِيهِ الْغِيَابُ أَلْفَهُ * وَالْعَقْلُ لَا يُنْسِيهِ طَوْلُ غِيَابٍ^(١)
 بِالْأَمْسِ مَاتَ أَجَلُنَا وَأَعَزَّنَا * جَاهًا وَثِقَاتًا عَلَى الْأَحْقَابِ^(٢)
 وَالْيَوْمَ قَدْ ظَالَ الْجَمَامُ أَسَدَنَا * رَأْيَا فُطِحَ بِحِكْمَةٍ وَصَوَابٍ
 رَأْسٌ يَدْبُرُ فِي الْخَفَاءِ كَأَنَّهُ * قَدَّرَ يَدْبُرُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ^(٣)
 حَتَّى إِذَا أَرْضَى النَّهْيَ وَتَنَاسَقَتْ * آيَاتُهُ رَاعَ السَّوْرَى بِحُجَابٍ^(٤)
 يَمْشِي عَلَى سَنَنِ الْجَمَاهِ مُتَهَمِّلًا * بَيْنَ الْمُدَاةِ الْكَثِيرِ وَالْأَحْبَابِ^(٥)
 تَنَاقُزُ الْأَقْوَالِ عَنْ جَنَابِهِ * مِنْ شَانِيٍّ وَمُنَاصِرٍ وَمُحَابٍ^(٦)
 لَا أَلْمَحُ بِغَيْرِهِ وَلَا يُلَوِّي بِهِ * عَنْ مُجِدِّهِ الْمَرْسُومِ وَقَعُ سَبَابٍ^(٧)
 حُلُوُ التَّوَاضُعِ لَمْ يُخَالِطْ نَفْسَهُ * زَهْوُ الْمِيدَلِ يُحَاطُ بِالْإِعْجَابِ^(٨)
 حُلُوُ الْأَنَاةِ إِذَا يُسْوَمُ وَعِنْدَهُ * أَنَّ التَّعَجُّلَ آفَةٌ الْأَقْطَابِ^(٩)
 حُلُوُ السُّكُوتِ كَكُوكِبٍ مُنَاقَتِي * وَاللَّيْلُ سَاجٍ أَسْوَدُ الْجَلْبَابِ

- (١) يريد بقوله: «أجلنا» الخ المرحوم سعد زغلول باشا زعيم الأمة . والأحقاب : الدهور .
 (٢) قال : أهلك . والجمام (بكسر الجاء) : الموت . (٣) تناسقت ، أى توافقت وتناهت
 على نسق ونظام واحد . (٤) السنن (بالتحريك) : الطريق . والجا : العقل . والكتر : الكثير .
 (٥) الشانئ : المفض . (٦) ألوى به عن الطريق . حاد به عنه . والتبجد : الطريق البين
 الواضح ، قال تعالى : (وهديناه التبجدين) . (٧) الزهو : الكبر . (٨) الأناة : التأني في الأمر .
 (٩) المتناق : المشرق . وسجا الليل يسجر : ركد ظلامه ودام .

يَهْدِي السَّيْلَ لِسَالِكِهِ وَلَمْ يَرُدْ * شُكْرًا وَلَمْ يَعْمَلْ لِنَيْلِ ثَوَابِ^(١)
 مُتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَعْرِهْ * قَلَقُ الضَّعِيفِ وَحَيْرَةُ الْمُتَرَاتِبِ^(٢)
 يَزِنُ الْأُمُورَ كَأَنَّمَا هُوَ صَرِيفٌ * يَزِنُ النَّضَارَ بِدَقَّةٍ وَحِسَابِ
 وَيَحُلُّ غَاضِضَهَا بِشَاقِبٍ ذِهْنِهِ * حَلَّ الطَّيِّبِ عَنَاصِرَ الْأَعْشَابِ^(٣)
 وَيَقْيِسُ شُقَّتَهَا بِمِقْيَاسِ النَّهْيِ * فَتَرَى صَحِيحَ قِيَاسِ (الْأَصْطِرْلَابِ)^(٤)
 مُتَمَسِّمٌ وَعَلَى مَعَارِفٍ وَجْهِهِ * آيَاتُ مَا يَلْقَى مِنْ الْأَوْصَابِ^(٥)
 شِيمٌ تَرُدُّ النَّاقِصِينَ لَوُدَّهُ * وَشَمَائِلُ تَسْتَلُّ حَقْدَ النَّبَايِ^(٦)
 يُرِضِي الْمُرْتَلَّ فِي الْكَنِيسَةِ صُنْعُهُ * كَنِيسًا وَيُرِضِي سَاكِنَ الْمِحْرَابِ^(٧)
 يَرْتَاحُ لِلْمَعْرُوفِ لَا مُتَرَبِّحًا * فِيهِ وَلَا هُوَ فِي الْبَهْلِيلِ مُسَارِي^(٨)
 يُرَوِّى الصَّيْدِيقَ مِنَ الْوَفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ * بِالْحَاسِدِ النُّعْمَى وَلَا الْمُغْتَابِ^(٩)
 لَمْ يَبْسُدْ فِينَا جَاوِزًا أَوْ غَاضِبًا * لَا هُمْ إِلَّا غَضَبَةُ النَّوَابِ^(١٠)
 وَبُكَاءُهُ فِي يَوْمٍ (سَعِيدٍ) زَادَنِي * عَلَمًا بَانَ الْيَوْمَ يَوْمَ تَبَابِ

(١) لم يرد، أى لم يعصب.

(٢) الشقة : المسافة ، والاصطرلاب : آلة تعرف بها المسافات بين النجوم ، وهى كلمة يونانية

الأصل . (٣) عارف الوجه : ملاحه وما يعرف به ، والأوصاب : الأمراض ؛ الواحد

وصب (بالتحريك) . (٤) يريد أن هذه الشمائل تستخرج حقد العذر المعروض عنه وتردّه الى

مؤدته . والنابى : المنصرف عنه . (٥) الكهيس : العقل . يقول فى هذا البيت : إنه بسياسة

وعقله ينال رضا المسلمين والنصارى . (٦) لا متربحا ، أى لا طالبا ربحا . (٧) لاهم ، أى

الاهم . ويريد بهذا البيت أنه لا يغضب لشخصه ولا يحزن لمنفعة فاته ، وإنما يغضب غضبة الناب من

الأمة فى سبيل المصلحة العامة . (٨) الباب ، الخسران .

- (١) قَامَتْ صِعَابٌ فِي مَسَالِكِ سَعِيهِ * مِنْ بَعْدِ (سَعْدٍ) دُعِمَتْ بِصِعَابٍ
(٢) فَظَهِيْرُهُ عِنْدَ النَّضَالِ وَرُكْنُهُ * أَمْسَى حَلِيْثَ جَنَادِلٍ وَتُرَابٍ
(٣) لِلَّهِ سِرٌّ فِي بِنَايَةِ (ثُرُوتٍ) * سُبْحَانَ بَانِي هَذِهِ الْأَعْصَابِ
إِنِّي سَأَلْتُ الْعَارِفِينَ فَلَمْ أَفْزُ * مِنْهُمْ عَلَى عِرْفَانِهِمْ بِجَوَابِ
(٤) هُوَ مُسْتَقِيمٌ مُلْتَوٍ، هُوَ لَيِّنٌ * صُلْبٌ، هُوَ الْوَاعِي، هُوَ الْمُتَغَابِي
(٥) هُوَ حَوْلٌ، هُوَ قَلْبٌ، هُوَ وَاصِحٌ * هُوَ غَائِضٌ، هُوَ قَاطِعٌ، هُوَ نَابِي
(٦) هُوَ ذَلِكَ الطَّلَمُ مِنْ أَعْيَا الْجَمَا * حَلَا وَمَاتَ وَلَمْ يَفْزُ بِطَلَابِ
(٧) هُوَ مَا تَرَاهُ مُفَاوِضًا كَيْفَ أُتْبِرَى * لَكَبِيْرِهِمْ بِذَكَائِهِ الْوَتَابِ
(٨) لَمْ يَأْتِ مِنْ بَابٍ لَصِيْدٍ دَهَائِهِ * إِلَّا نَجَا بِدَهَائِهِ مِنْ بَابِ
(٩) وَيَظُلُّ يَرْقُبُهُ وَيَخْزُو كِبَرَهُ * بِلُيُونَةٍ وَلِبَاقَةٍ وَخِلَابِ

- (١) دعمت بصعاب، أى صعاب فوق صعاب . والتدعيم : التقوية . بشير بهذا البيت والذى بعده الى أن الفقيه كان يفاوض الإنجليز في القضية المصرية سنة ١٩٢٧ م قبل موت سعد في وزارة الائتلاف ، فلما مات سعد في أثناء تلك المفاوضة ، أمن البريطانيون ذلك الجانب المخوف ، وتشددوا فيما كانوا يريدون منه لمصر قبل ذلك ، وعاد ثروت بمشروع المعاهدة لم يقبل .
(٢) الظهير : المعين . ويريد به سعدا . والجنادل : الحجارة .
(٣) بناية ثروت ، أى تكوينه وخلقه (بفتح فسكون) . (٤) الراعى : الحافظ . والمتغابي : مدعى النبوة .
(٥) الحزول القلب : الحاذق البصير بتقلب الأمور وتحولها ، لا تؤخذ عليه طريق إلا قلد في غيرها . (٦) الضمير في «مات» ، للفقيد ، وفي «فاز» : للجم .
(٧) كبيرهم ، أى كبير الإنجليز ، ويريد به المستر أوسطن تشمبرلين وزير خارجية إنجلترا ، وهو الذى كان يفاوض الفقيه إذ ذاك . (٨) الضمير في «يأتى» : لكبير الإنجليز . وفي «نجا» : لثروت .
(٩) الخلاب : الخاتلة والدهاء .

(١) وَيَرُوضُهُ حَتَّى يَرَى أَسْطُولَهُ * خَشَبًا تَنَازَرُ فَوْقَ ظَهْرِ عُبَابِ
 (٢) وَيَرَى صُنُوفًا مِنْ ذَكَاءٍ صُفِّقَتْ * دُونَ الْحَيِّ تُعْيِي أَسْوَدَ النَّسَابِ
 (٣) وَأَتَى بِأَقْصَى مَا يَنَالُ مُفَاوِضُ * يَسْعَى بِغَيْرِ حَكَائِبٍ وَحِرَابِ
 (٤) وَأَسْتَلَّ مِنْ أَشْدَاقِ آسَادِ الشَّرَى * عَالِمًا عَضُضْنَ عَلَيْهِ بِالْأَنْيَابِ
 (٥) خَلَقًا خَبَا ضَوْؤُهُ الْهَلَالِ لَطِيبُهُ * جَمَّ التَّوَجُّعِ دَائِمِ الْأَهْدَابِ
 فَاخْضَرَّ فَوْقَ رُبُوعٍ مِصْرَ عُدُوهُ * فِي مَنِيَّتِ خَضِبٍ وَرَحِبِ جَنَابِ
 (٦) إِنْ فَاتَهُ بَعْضُ الْأَمَانِي فَاذْكُرُوا * أَنَا أَمَامَ مُحَنِّكِينَ الصَّلَابِ
 (٧) قَدْ جَازَ تَهْمَاءَ الْأُمُورِ وَلَمْ يَكُنْ * فِي وَغْرِهَا وَهْكُودِيهَا بِالْكَابِ
 (٨) رَجُلٌ يَفَاوِضُ وَحْدَهُ عَنْ أُمِّهِ * إِنْ لَمْ يَفُزْ فَوْزًا فَلَيْسَ بِعَابِ
 (٩) رَفَعَ الْحِمَايَةَ بَعْدَ مَا بُسِطَتْ حَلَى * أَبْنَاءِ (مِصْرَ) وَأَيَّدَتْ بِكِتَابِ

- (١) يروضه، أى يسوسه؛ وأصله من رياضة الدواب، أى تدليلها وتيسير ما صعب منها . والعباب :
 بلة البحر . (٢) الحى، أى مصر؛ يريد بهذا البيت : أن ذكاء العقيد كان حصنا للبلاد وقوة لها .
 (٣) الكتاب : فرق الجيش . (٤) يشير بهذا البيت إلى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م الذى
 رفع الحماية عن مصر، واضترف الإنجليز فيه باستقلالها . والفضل فى ذلك لثروت باشا الذى كان رئيسا للوزارة
 إذ ذاك . ويريد « بأساد الشرى » الإنجليز . (٥) يصف هذا العلم المصرى بأنه رث بال من طول
 ما عانى من أذى المستعبرين ، وأن ضوء الهلال قد خبا حزنا عليه بأيدى الفاسقين . ونحس الهلال بالذكر ،
 لأنه شعار هذا العلم . (٦) يريد « بالحنكين الصلاب » : الإنجليز . والحنك : الذى أسكنه التجارب .
 (٧) التباء : الصبر . الذى يفضل فيها السائر . والكزود من العقبات : الصعبة الشاقة على من صدها .
 والكابى : العائر . (٨) فوزا ، أى فوزا كاملا . والماب : الغيب . (٩) يريد الكتاب
 الذى أرسله حكومة الإنجليز إلى المغفور له السلطان حسين كامل على يد الجنرال مكسويل قائد الجيوش
 البريطانية فى مصر إذ ذاك بوضع مصر تحت الحماية البريطانية ، وذلك فى ديسمبر سنة ١٩١٤ م .

وَأَيُّ (مِصْرَ) وَأَهْلِهَا بِسِيَادَةٍ * مَرْفُوعَةِ الْأَعْلَامِ وَالْأَطْنَابِ
 عَفْرًا فَلَسْتُ بِبَالِغٍ فِيكَ الْمَدَى * إِنِّي غَذَذْتُ إِلَى مَدَاكِ رِكَابِي^(١)
 كَمْ مَوْقِفٍ لَكَ فِي الْجِهَادِ مُسَجِّلٍ * بِشَهَادَةِ الْأَعْدَاءِ وَالْأَضْعَابِ
 فِي خَطِيبِ مِصْرَ (بَطْرُسٍ) أَنْحَمَتَهَا * مَشْبُوبَةً كَانَتْ عَلَى الْأَبْوَابِ^(٢)
 أَفَلَتَ بَيْنَ الْعُنُصْرَيْنِ فَأَصْبَحَا * رَتَقًا، وَكُنْتَ مُوَفِّقَ الْأَسْبَابِ^(٣)
 خَالَفْتُ فِيكَ الْجَاذِبَيْنِ فَلَمْ أَفُخْ * حُزْنَا عَلَيْكَ وَأَنْتَ مِنْ أُنْتَابِي
 النَّوْحُ فِي الْجُلَى أَجْهَادُ مَقْصِرٍ * أَلْفَى دُمَاءَ الصَّبْرِ غَيْرُ مُجَابِ^(٤)
 فَأَنَا الَّذِي يَتَكَيَّ بِشِعْرِ خَالِدٍ * يَبْقَى عَلَى الْأَجْيَالِ لِلْأَعْقَابِ
 قَدْ كُنْتَ تُحْسِنُ بِي وَتَرْقُبُ جَوَلِي * فِي حَلْبَةِ الشَّعْرَاءِ وَالْكُتَابِ
 وَتَهْشُ إِنِّي لَا قَيْدِي وَتُخْصِنِي * بِالْبِشْمِ فِي نَادِيكَ وَالتَّرْحَابِ
 فَأَذْهَبَ كَمَا ذَهَبَ الرِّيحُ بَنُورِهِ * تَأْسَى الرِّيَاضُ عَلَيْهِ غَبَّ ذَهَابِ^(٥)

(١) غَذَذْتُ : أَمْرَعْتُ . يقول : إنه قد حث مطايا الشعر واجتهد في أن يبلغ مدى وصف الفقيه

فلم يستطع . والذي في كتب اللغة : «أغذذت» بالهمز في أوله .

(٢) بشير هذا البيت والذي بعده إلى الفتنة التي كادت تشتعل نارها بين الأقباط والمسلمين حين

قتل بطرس غالي باشا، وكان الفضل في إخماد هذه الفتنة ، ورجوع الطائفتين إلى ما تقتضيه الحكمة ومصلحة

الوطن ، لمراعاة الفقيه في هذه القضية ضد الورداني ، قاتل بطرس باشا ، وكان اذ ذاك تائباً عمومياً .

(٣) رَتَقًا : ملتصين . (٤) الجلى : ما جل وعظم من الترائب .

(٥) النور (يفتح النون) : زهر النبات . و«تأسى الرياض» ... الخ ، أى تحزن لهبابه ، ويذوى

نباتها لنفايه .

رثاء محمود سليمان باشا^(١)

[نشرت في ١٩ فبراير سنة ١٩٢٩ م]

مُسَدِّى الْجَمِيلِ بِلَا مَنْ يُكَدِّرُهُ * وَمُكْرِمُ الضَّيْفِ أَمْسَى ضَيْفَ (رَضْوَانِ)^(٢)
 تَجْتَازُنَا عِبْقَةً مِنْ رَوْضَةٍ أَنْفٍ * إِذَا أَلَمْتُ بِنَا ذِكْرَى (سُلَيْمَانَ)^(٣)
 فُكِّلَ (لَا لِسُلَيْمَانَ) إِذَا جَزَعُوا * رُدُّوا النُّفُوسَ إِلَى صَبْرِ وَسَلْوَانِ
 مَا إِنْ رَأَيْتُ دَفِينًا قَبْلَ شَيْخُكُمْ * تَحْتَ التُّرَابِ وَفَوْقَ النَّجْمِ فِي آنِ
 قَضَيْتَهَا مِثْلَ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ * تُعِدُّ زَادَكَ مِنْ يَرْوِاحِ خَسَنِ^(٤)
 فَكَمْ صَفَحَتْ عَنِ الْجَانِي وَلَمْ تَرَهِ * وَكَمْ غَرَسَتْ وَكَانَ الْمُعْزُورُ الْجَانِي^(٥)
 وَكَمْ أَقَلَّتْ كَرِيمًا عِنْدَ عَثْرَتِهِ * وَكَمْ مَشَيْتَ بِصُلْحٍ بَيْنَ إِخْوَانِ^(٦)
 إِنِّي رَأَيْتُكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي فَلَكٍ * مِنْ الْجَلَالِ عَلَى جَنَّتَيْهِ نُورَانِ
 نُورُ الْيَقِينِ وَنُورُ الشَّيْبِ بَيْنَهُمَا * سَكِينَةٌ حَرَّكَتْ نَفْسِي وَوَجَدَانِي
 عَلَى جَبِينِكَ آيَاتُ الرِّضَا ارْتَسَمَتْ * وَبَيْنَ جَنَّتَيْكَ قَلْبٌ فَيْرُ وَسَنَانِ^(٧)

(١) محمود سليمان باشا، كان عميد الأسرة السلطانية المعروفة بالصعيد، ومن كبار رجال النهضة الوطنية، ورئيساً للجنة الوفد المركزية، وهو والد صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس الوزارة سابقاً، وكانت وفاته في ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩ م، وقد نيف على التسعين ... (٢) مسدى الجميل : معطيه . والمن : عند النعم والصنائع تعبيراً بها . (٣) «تجتازنا عبقة» الخ ... ، أى تمر بنا قفحة من طيب روضة مصونة لم يتنزل، شبه ذكره بطيب الرياض المصونة . (٤) هذا العدد الذى ذكره الشاعر لعمير الفقيد إنما هو على وجه التقريب .. (٥) المعوز : الفقير إلى الحال . ويريد « بالجانى » الأثرل فى هذا البيت : مقترف الجناية ؛ و (بالثاني) : بجنتى الثمار . (٦) يقال : أقلت فلاناً عثرته ، إذا صفحت عنه ودفعت ما تزل به من مكروه . (٧) الوسنان : النائم .

(١) قَسَمْتَ مَا جَمَعْتَ كِفَالَهُ مِنْ نَسَبٍ * عَلَى يَدَيْكَ فَكُنْتَ الْوَالِدَ الْحَيَّانِي
 (٢) مَالٌ حَلَالٌ مُرَكَّبِي مَا خَلَطْتَ بِهِ * مِلِّمْ تَحْتِ وَلَا حَقًّا لِلْإِنْسَانِ
 زَهَدْتَ فِيهَا وَهَامَ الْعَايِدُونَ لَهَا * يَجْتَمِعُ فَإِنْ يُعَانِي جَمْعَهُ فَإِنِّي
 يَكْسِرُهُ وَكَسَاءٌ عِشْتَ مُقْتَبِلًا * تُسَبِّحُ اللَّهَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ
 (٣) أَقَرَّ عَيْنِكَ فِي دُنْيَاكَ أَنْ رَأَا * (مُحَمَّدًا) يَرَاهِي قَوْقَ (كَيَوَانَ)
 قَضَيْتَ فِي الْأَوْجِ مِنْ عِزِّيكَمَا وَكَذَا * يَقْضِي (سُلَيْمَانُ) فِي عِزِّهِ وَسُلْطَانِ
 (٤) أَتَجَبَّتْ أَرْبَعَةٌ سَادُوا بِأَرْبَعَةٍ * فَضْلٍ وَنُبُلٍ وَإِحْسَانٍ وَعِزِّ فَإِنْ
 (٥) أَوْرَثَهُمْ شَمًّا هَشَّ الْإِبَاءُ لَهُ * وَأَوْرَقَتْ فِي ذُرَاهُ صِرَّةُ الشَّانِ
 (٦) يَذْكُرْنَ بَرًّا رَحِيمًا قَدْ أَقَامَ لَهُمْ * صَرَحًا مِنَ التَّجْدِ أَمَلَى رُكْنَهُ الْبَانِي
 (٧) كَمْ نِعْمَةٍ لَكَ يَا (تَحْمُودُ) عِنْدَ أَبِي * بِشُكْرِهَا لَكَ عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْصَانِي
 (٨)

- (١) النّسب : المال . (٢) السحت : ما نخبث من المكاسب ولزم عنه المارء .
 (٣) يريد محمد محمود باشا ، وكان رئيسا للوزارة حين موت والده . وكَيَوَانَ : اسم كوكب زحل .
 ويضرب مثلا في طلق المنزلة . (٤) قضيت : مت . والأوج : اللقو . ويريد «سليمان» :
 نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام . (٥) يريد أولاده الأربعة ، وهم محمد محمود ، وحفي محمود ،
 وعبد الرحمن محمود ، وعلى محمود . (٦) الشم : كناية عن الرفعة وشرف النفس ، وهي في الأصل ،
 ارتفاع قصبة الأنف وحسنها وأستواء أعلاها واتساع الأربعة . وهش : ارتاح . وذراه : أعاليه .
 (٧) الضمير في قوله « يذكرون » : للصفات السابق ذكرها في البيت السابق ، وهي الشم والإباء
 وعزة الشأن . إذ ليس فيما سبق ما يصلح جعله مرجعا لهذا الضمير غيرها . (٨) يشير الشاعر
 بهذا البيت الى أن إباء إبراهيم أفندي فهي مهتدس قناطر ديروط كان له اتصال بالفقيد ، وكان للفقيد
 عليه كثير من الأيادي والتمن .

تأين محمد المويلحي بك^(١)

آيات قالها وهو يسير خلف نعشه

[نشرت في ١٨ أبريل سنة ١٩٣٠ م]

غاب الأديبُ أديبُ (مضير) واختفى * فلتبكيه الأقلامُ أو تنقصصا

لمسني على تلك الأنامل في السلى * كم سطررت حكاها وهزرت مرهفا

مات (المويلحي) الحسانُ ولم يمت * حتى غزا «عيسى» العقولَ وثقفا^(٢)

وقال يرثيه أيضا :

أنشد هذه القصيدة في حفل التأين الذي أقيم في مسرح حديقة الأزبكية في ١٣ يونيو ١٩٣٠ م

دَمْعَةٌ مِنْ دُمُوعِ عَهْدِ الشَّبَابِ * كُنْتُ خَبَائِثُهَا لِيَوْمِ الْمَصَابِ^(٣)لَبْتُ الْيَوْمَ يَا (مُحَمَّدُ) لَمَّا * رَاعَنِي نَمِي أَكْتَبَ الْكُتَابِ^(٤)هَدَّأْتُ لَوْعَتِي وَسَرَّتْ قَلِيلًا * عَنْ قُؤَادِي وَلَطَفْتُ بَعْضَ مَا بِي^(٥)مَوَكَّبُ الدِّفْنِ خَلَفَ نَعْيِكَ يَمْشِي * فِي أَحْتِسَابٍ وَحَسْرَةٍ وَأَتْنَحَابِ^(٦)لَمْ يُجَاوِزْ مَنَازِلَ الْبَدْرِ عَدَا * مِنْ بَقَايَا الصِّدِّيقِ وَالْأَحْبَابِ^(٧)

(١) انظر التعريف بمحمد المويلحي بك (في الحاشية رقم ٣ صفحة ١٥٠ من الجزء الأول) .

(٢) الحسان : الحسن من الرجال . ويريد «عيسى» : كتاب الفقيسد ، وهو حديث عيسى بن

هشام المعروف . (٣) خص عهد الشباب لأنه عهد الفتوة ، وفيه يجذب الإنسان معينا من الودع وقوة

على البكاء . (٤) راعني : أفرسني . (٥) سرت عن قؤادي : أي كشفت عنه الهم والمزن .

(٦) في احتساب ، أي في طلب الثواب . (٧) منازل البدر : مواضع التي ينزل فيها في دورانه ،

وهي اثنا عشر منزلا . يقول : إن عدد الذين شيعوه قد بلغ مبلغ هذه المنازل في القلة وطلو المنزل .

لَمْ يَسْرِ فِيهِ مَنْ يُحَاوِلُ أَجْرًا * عِنْدَ حَيِّ مُؤَمِّلٍ أَوْ يُحَايِ
 (١) مَوَكَّبُ مَا جَ جَنِبَاهُ بِمَحْفَلٍ * مِنْ وَفُودِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَحْسَابِ
 شَاعَ فِيهِ الْوَفَاءُ وَالْحُزْنُ حَتَّى * ضَاقَ عَنْ حَشْدِهِ فَنَسِجُ الرَّحَابِ
 فَكَانَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ تَمْشِي * فِيهِ مِنْ هَيَاةٍ وَعِزٍّ جَنَابِ
 تَمَتَّنَى قِيَاصِرُ الْأَرْضِ لَوْفًا * زَتَ لَدَى مَوْتِهَا بِهَذَا الرِّكَابِ
 (٢) رَبِّ نَعِشْ قَدْ شَبِعَتْهُ الْوُفُ * مِنْ سَوَادٍ تَعْلُوهُ سُودُ الثِّيَابِ
 لَيْسَ فِيهِمْ مِنْ جَارِجٍ أَوْ حَزِينٍ * صَادِقِ السَّغَى أَوْ أَلِيفِ مُصَابِ
 كُنْتَ لَا تَرْتَضِي النُّجُومَ مَحَلًّا * فَلِهَذَا رَضِيتَ سُكْنَى التُّرَابِ !
 (٣) كُنْتَ رَاحَ النُّفُوسِ فِي تَجَلِيسِ الْأَذَى * مِيسَ وَرَاحَ الْعُقُولِ عِنْدَ الْخَطَابِ
 (٤) كُنْتَ لَا تُرِيهَقُ الصَّدِيقَ بِلَوِّمْ * لَا وَلَا تَسْتَيْحِ غَيْبَ الصَّحَابِ
 وَلَنْ يَتَّعَبَ عَائِبًا أَوْ غَضُوبًا * لَقَرِيبُ الرِّضَا كَرِيمِ الْعِتَابِ
 (٥) جُرْتَ سَبْعِينَ حِجَّةً لَا تَبَالِي * بِشَهَادٍ تَعَاقَبَتْ أُمُ يَصَابِ
 (٦) وَسَوَاءٌ لَدَيْكَ وَالرَّأْيُ حُرٌّ * رَوْحُ (نَيْسَانَ) أَوْ لَوَافِحُ (آبِ)

(١) ماج : اضطرب . (٢) سواد الناس : عامتهم . (٣) الراج : النجر
 (٤) تريحق الصديق ، أى تؤذيه وتحمله ما يسىء ويؤلم . (٥) الشهاد : عمل النعل .
 والصاب : عصارة شجر شديد المرارة . يريد حلول الزمان وممره . (٦) الروح : الريح . ونيسان ،
 شهر من شهور السنة المسيحية ، ويقابله إبريل حيث يكون الربيع . والوافح من الرياح : الحارة .
 وآب ، شهر من شهور السنة المنيعية ، ويقابله أغسطس ، حيث يشتد القَيْظُ . يقول : إنه سواء لديه
 في سبيل رأيه الحر ما يلاقيه من نعيم الزمان وشقائه .

يَا شُجَاعًا وَمَا الشَّجَاعَةُ إِلَّا الـ صَبْرٌ لَا الْخَوْضُ فِي صُدُورِ الصَّعَابِ
 (١)
 كُنْتَ نِعَمَ الصَّبُورِ إِنْ حَزَبَ الْأَمَدُ * رُسُودَتْ مَسَارِحُ الْأَسْبَابِ
 (٢)
 كَمْ تَجَلَّتْ وَالْأَمَانِيُّ صَرَغِي * وَتَمَاسَكْتَ وَالْحِفْظُ وَكَوَابِي
 (٣)
 عِشْتَ مَا عِشْتَ كَالْجِبَالِ الرَّوَاسِي * فَوْقَ نَارٍ تُذِيبُ صَمَّ الصَّلَابِ
 (٤)
 مُؤَثِّرَ الْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ عَلَى الشُّكْ * وَبَى وَإِنْ عَضَّكَ الزَّمَانُ بِنَابِ
 (٥)
 كُنْتَ تَحُلُوهُمُ النَّفْسِ وَالنَّفْسُ تُسَوِي * مِنْ كُؤُوسِ الْمَحْمُومِ وَالْأَوْصَابِ
 (٦)
 فَتُسَرَّى بِالذِّكْرِ عَنْهَا وَتَتَغَي * مَا عَمَرَاهَا مِنْ غُصَّةٍ وَأَكْتِنَابِ
 (٧)
 وَتَرَى وَخَشَةَ أَنْفِرَادِكَ أَنْسَا * بِمَحْدِثِ النَّفْسِ وَالْأَلْبَابِ
 (٨)
 بَلَّتْ عَنْهَا وَمَا جَنَيْتَ وَقَدْ كَا * بَدَّتْ بِأَسَاءَهَا عَلَى الْأَحْقَابِ
 (٩)
 وَبَدَّتْ الثَّرَاءُ تَبْدُلُ فِيهِ * مِنْ إِبَاءٍ فِي بَدْلِهِ شُرَطَابِ
 (١٠)
 لَوْ شَهِدْتُمْ (مُحَمَّدًا) وَهُوَ يُمَلِّي * آيَ "عَيْسَى" وَمُعْجَزَاتِ الْكِتَابِ
 وَقَفَّتْ حَوْلَهُ صُفُوفُ الْمَعَانِي * وَصُفُوفُ الْأَلْفَاظِ مِنْ كُلِّ بَابِ

- (١) يقال : حزبه الأمر ، إذا اشتد عليه وضغطه . وسدت مسارح الأسباب ، أى سدت مذاهب العيش والرزق . (٢) تجلت ، أى لم تظهر الجزع . وكوابي ، أى عوارض . (٣) صم الصلاب ، أى الحجارة الشديدة الغليظة الصلبة . (٤) الأوصاب : الآلام ؛ الواحد وصب (بالتحريك) . (٥) الذكر : القرآن ، وكان الفقيه يكثر تلاوته فى آخر أيامه . (٦) بلت : بدت . وعنها ، أى عن الدنيا . والأحقاب : السنون . (٧) الثراء : الغنى . والعاب : العيب . والضمير فى « بدله » : يعود على الإباء . يقول : إنك عفت العنى الذى لا ينال إلا بالتدل وقد الإباء ، وقد الإباء ثم ما يعاب به الأبي . (٨) آى عيسى ، أى آيات كتابه « حديث عيسى بن هشام » .

- (١) لَعَلَّيْتُ بِأَنْتَ عَهْدَ (أَبْنِ بَحْرِ) * عَاوَدَ الشَّرْقَ بَعْدَ طُولِ أَحْجَابِ
(٢) أَدَبٌ مُسْتَوٍ وَقَلْبٌ بِجَمِيعٍ * وَذَكَاءٌ يُرِيكَ ضَوْءَ الشَّهَابِ
(٣) عِنْدَ رَأْيٍ مُوَفِّقٍ، عِنْدَ حَزْمٍ * عِنْدَ عِلْمٍ، يَفِيضُ فَيْضَ السَّحَابِ
(٤) جَلَّ أَسْلُوبُهُ النَّقْيُ الْمَصْفَى * عَنْ غُمُوضٍ وَتَفْرِقَةٍ وَأَضْطِرَابِ
(٥) وَسَمَّا تَقَدُّهُ النَّزِيَّةُ عَنِ الْمُهْجِ * سِرًّا شَيْبَ مَرَّةً بِالسَّبَابِ
(٦) دُقَّتْ فِي غُرْبَةِ الْحَيَاةِ عَنَاءٌ * فَذُقَّ الْيَوْمَ رَاحَةً فِي الْإِيَابِ
(٧) بَلَغَ (الْبَابِلِيُّ) عَنِّي سَلَامًا * كَمَعِيرِ الرِّيَاضِ أَوْ كَالْمَلَابِ
كَانَ تَرَبُّيٌّ وَكَانَ مِنْ نَعِيمِ الْمَدَنِ * يَدْعُ - سُبْحَانَهُ - عَلَى الْأَتْرَابِ
فَارِئُ فِي النَّدَى إِذَا قَصَرَ الْفُرُ * سَانٌ عِنْدَ وَفَارِئُ فِي الْجَوَابِ
يُرْسِلُ النُّكْنَةَ الطَّرِيفَةَ تَمْشِي * فِي رَقِيقِ الشُّعُورِ مَشَى الشَّرَابِ
قَدْ أَثَارَ (الْمُحَمَّدَانِ) دَفِينًا * فِي فُؤَادِي وَقَدْ أَطَارَا صَوَابِي
خَلَفَانِي بَيْنَ الرَّفَاقِ وَجِيدًا * مُسْتَكِينًا وَأَمْنًا فِي الْغِيَابِ

(١) ابن بحر، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكاتب المتكلم المعروف .

(٢) وقلب جميع، أى مجتمع لانفرقة الحوادث والشذائد .

(٣) يريد « بالفترة » تنافر الألفاظ وعدم اتساق بعضها مع بعض .

(٤) المهجر (بالضم) : القبيح الفاحش من الكلام . وشيب : خلط . (٥) يريد « بالبابل » :

محمد البابل بك . (انظر التعريف به في الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ من الجزء الأول) وعير الرياض : طيها . والملاّب : كل عطرمائع وهو لفظ فارسي معرب . (٦) ترب الإنسان : نظيره في السن .

(٧) المحمدان، محمد المولى على، ومحمد البابل .

رثاء عبد الحليم العلايلي بك^(١)

[نشرت في ٦ مايو سنة ١٩٣٢ م]

- (٢) يابنَ (عبد السلام) لا كانَ يومٌ * غبتَ فيه عن هالة الأحرارِ
 كنتَ فيهم كالرمح بآسًا ولينًا * كنتَ فيهم كالكوكب السَّيارِ
 (٣) يا عريقَ الأصولِ والحسبِ الوَضَّاحِ * والنبيلِ يا كريمَ الحوارِ
 كنتَ فرطًا بدوحة العزِّ تأوى * تحتَ أفنانهِ عفاة الدِّيارِ
 قصفتُهُ المنوتُ وهو نصيرٌ * مُورِقٌ عودُهُ جنيُّ الثَّمارِ
 (٥) كنتَ تأسو جراحهم وتقيمهم * وتُقيلُ العِثارَ عندَ العِثارِ
 خانَ نطقي ولم تخنني دُموعي * طهفَ نفسي فقصرت أشعاري
 (٦) غيرُ يدُجِ إذا نظمتُ رثائي * في صديقي من الدُموعِ الحوارِ
 (٧) فمن الحُزنِ ما يذكُ الرِّوايى * ومن الحُزنِ ما يهدُّ الضَّواري

(١) عبد الحليم العلايلي بك، هو ابن عبد السلام العلايلي بك من سراة دمياط المعروفين، وقد اشترك في النهضة الوطنية زمانًا طويلاً، وكان عضواً بارزاً في حزب الأحرار الدستوريين، وانتخب (سكرتيراً) عاماً لهذا الحزب، وكان عضواً في مجلس النواب في بعض السنين؛ وتوفي في ٣ مايو سنة ١٩٣٢ م.

(٢) الهالة : دارة القبر، شبه بها جماعة الأحرار الدستوريين . (٣) الحسب الوضاح : المشهور . (٤) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . والأفنان : الأغصان . والعفاة : طلاب المعروف . (٥) تأسو جراحهم : تداريها وتبرئها . وتقيمهم : تحفظهم . وأقلت فلانا عثرته ، إذا وقع في خطأ فذقت عنه ما يتوقع من عاقبته وصفحت عن زلته .

(٦) البدع : الغريب . (٧) ينك : يهدم . والروايى : الجبال . والضواري : السباع المولعة بالافراس ، الواحد ضار .

وقال يرثيه أيضا :

[نشرت في ١٦ يونيو ١٩٢٢م]

مَضَيْتَ وَتَحْنُ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ * إِلَيْكَ وَمِثْلُ خَطْبِكَ لَا يَهُونُ
 بِرَغْمِ (النَّيْلِ) أَنْ عَدَّتِ الْعَوَادِي * عَلَيْكَ وَأَنْتَ خَادِمُهُ الْأَمِينُ
 بِرَغْمِ (الْفُتْرِ) أَنْ غُيِبَتْ عَنْهُ * وَأَنْ تَزَلَّتْ بِسَاحَتِكَ الْمُنُونُ^(١)
 أَجَلُ مَنْهَ لَوْ يَحْوِيكَ مَيْتًا * لِيَجْبَرَ كَسْرُهُ ذَاكَ الدِّفِينُ^(٢)
 أَسْأَلَ مِنَ السُّمُوعِ عَلَيْكَ بِحُورًا * تَكَادُ يُجْبَهُ تَجْمِرِي السَّفِينُ^(٣)
 وَقَامَ النَّادِبَاتُ بِكُلِّ دَارٍ * وَكَتَبَتْ فِي مَآذِنِهِ الْأَذِينُ^(٤)
 أَصِيبَ بِنْدَى مَضَاءٍ أَرِيحِي * بِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ يَسْتَعِينُ^(٥)
 فَتَى الْفَتَيَانِ غَالَتِكَ الْمَنَابَا * وَغُضُنُكَ لَا تُطَاوِلُهُ غُصُونُ^(٦)
 مَحَبَّتِكَ حَقَبَةً فَصَحِبْتُ حُرًا * أَيْبَا لَا يَهَانُ وَلَا يُبِينُ^(٦)
 نَيْلَ الطَّبِيعِ لَا يَغْتَابُ خِلَا * وَلَا يُؤْذِي الْعَشِيرَ وَلَا يَمِينُ
 تَطَوَّعَ فِي الْجِهَادِ لَوَجْهِهِ (مُضِرٍ) * لَهَا حَامَتُ حَوَالِيهِ الظُّنُونُ
 وَلَمْ يَثْنِ الْوَعِيدُ لَهُ عِنَانًا * وَلَمْ تَحْنَنْ لَهُ أَبَدًا يَمِينُ

(١) يريد « بالنظر » : مدينة دمياط . والمنون : الموت . (٢) يشير بهذا البيت إلى

أن الفقيد دفن بقرافة الإمام الشافعي بمصر ولم يدفن بدمياط . (٣) الأذنين : المؤذن . ويشير بقوله « وكبر... الخ » : إلى ما كان مألوفاً من أنه إذا مات عظيم قام المؤذنون ينعونه بالكبير على الماذن

في غير أوقات الأذان . (٤) الضمير في قوله « أصيب » . للفر السابق ذكره . والأريحي :

الذي يرتاح للعروف . (٥) الحقة : الدهر . (٦) مان يمين : كذب .

وَلَمْ تَنْزِلْ بِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا * وَلَمْ يَمَلِّقْ بِهِ ذُلٌّ وَهُونٌ
 مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يَحْنِ رَأْسًا * وَلَمْ يَبْرَحْ مَرِيرَتَهُ الْيَقِينُ
 تَرَكْتَ أَلْفَةً تُرْجُو مُعِينًا * وَلَيْسَ سِوَى الدُّمُوعِ لَهَا مُعِينُ^(١)
 تَنُوحُ عَلَى الْقَرِينِ وَأَيْنَ مِنْهَا * وَقَدْ قَالَ الرَّدَى ذَاكَ الْقَرِينُ^(٢)
 سَمِعْتُ أُنَيْنَهَا وَاللَّيْلُ سَاجٍ * فَمَزَّقَ مُهْجَتِي ذَاكَ الْأَيْنُ
 فَقَدْ مَا تَيْتُ قَدَمًا مَا يُعَانِي * عَلَى مَلَاتِهِ الْقَلْبُ الْحَزِينُ^(٣)
 مِنْ الْخَفَرَاتِ قَدْ نَعِمْتُ بِزَوْجٍ * سَمَا يَجْلَلُهُ أَدَبٌ وَدِينُ
 أَقَامَتْ فِي النَّعِيمِ وَلَمْ تُرَوِّعْ * فَكُلَّ حَيَاتِهَا رَغْدٌ وَلِينُ
 لَقَدْ نَسَجَ الْعَفَافُ لَهَا رِدَاءً * وَزَانَ رِدَاءَهَا الْخُلْدُ الْمَصُونُ
 دَهَاهَا الْمَوْتُ فِي الْأَلْفِ الْمَفْدَى * وَكَدَّرَ صَفْوَهَا الدَّهْرُ الْخُلُونُ^(٤)
 فَكَادَ مُصَابُهَا يَأْتِي عَلَيْهَا * لِسَاعَتِهَا وَتَقْتُلُهَا الشُّجُونُ^(٥)
 رَبِيبَةٌ نِعْمَةٌ لَمْ تَبُلْ حُزْنًا * وَلَمْ تُشْرِقْ بِأَدْمُعِهَا الْجُفُونُ^(٦)
 وَقَتٌ لَا يُفِيهَا حَيًّا وَمَيِّتًا * كَذَلِكَ كَرِيمَةُ (الْوُزَى) تَكُونُ
 سَتَكْنِفُهَا الْعِنَايَةُ كُلَّ شَرٍّ * وَيَحْرُسُ خَدْرَهَا (الرُّوحُ الْأَمِينُ)

- (١) يريد « بالألفة » : زوجه . (٢) سببا الليل : سكن وهذا . (٣) الخفرات :
 ذرات الحياء الواحدة خفرة (يفتح أوله وكسر ثانيه) . (٤) يأتي عليها : يذهب بها ويهلكها .
 (٥) لم تبلى حياء ، أى لم تعرفه ولم تذق مرارتها . وشرق الجفن : احمر من البكاء .
 (٦) الوزى : لقب لأسرة مريقة بغير دمياط معروفة ، وكانت زوج الفقيد منها .

رثاء محمود الحمولى

وهو ابن المرحوم عبده الحمولى المنفى المعروف ، وكان قد مات بعد قرأته بقليل

(١) شَوْقَتُنِي أَيُّهَا الْفَرَقْدَانِ * لَبْدِرٍ تَمَّ غَابَ قَبْلَ الْأَوَانِ

(٢) وَكُلَّمَا أَشْرَقْتُ مَرَّةً * عَلِمْتُ عَنِّي نَظْمَ الْجَمَانِ

(٣) عَلَى عَزِيْزٍ قَدْ تَوَلَّى وَلَنْ * يُؤُوبَ حَتَّى يَرْجِعَ الْقَارِظَانِ

عَجَلْتُ يَا (محمود) فِي رِحْلَةٍ * قَرَّتْ بِهَا أَعْيُنُ حُورِ الْجَمَانِ

(٤) كَأَنَّمَا آخِرُ عَهْدِ الْمَنَا * قَدْ كَانَ مِنَّا لَيْلَةَ الْمَهْرَجَانِ

رثاء حبيب المطران^(٥) باشا

(٦) أَعَزَّيْ فَيْكَ أَهْلَكَ ، أَمْ أَعَزَّيْ * عَفَاةَ النَّاسِ ، أَمْ هِمَمَ الْكِرَامِ؟

(٧) وَمَا أَدْرِي أَرُكِّنُ أَبْلَاهُ أَوْ دَى * وَقَدْ أَوْدَيْتَ أَمْ رُكْنُ الشَّامِ؟

(١) يريد : أنه كلما رأى الفرقدين تذكر ذلك للبدر فاشتاق إليه .

(٢) الجمَان : الزُّوْجُ؛ الواحدة جمانة ، شبه بها الدموع . (٣) القارظان : رجلان من

عزّة خرجا يجنيان القُرْظَ فلم يرجعا ، ولا عرف لهما خبر ، فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى إيايه .

(٤) المهرجان : عيد القُرس ؛ ويطلق الآن على كل حفل وعيد ؛ ويريد به هنا حفل العرس .

(٥) كان حبيب المطران باشا سرّياً من سرّاة الشام ، وكان قصره في بعلبك مقصد الوزراء والوجهاء ،

وقد نزل به المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده في بعض أيام إقامته بالشام حين كان مغنياً بها بعد الثورة

العراقية . (٦) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . (٧) أودى : هلك .

رثاء المرحوم أحمد البابلي

بَدَأَ الْمَاتُ يَدِبُّ فِي أَثْرِي * وَبَدَأْتُ أَعْرِفُ وَخَشَةَ الْأَحْبَابِ
 يَا بَابِلِي فِدَاكَ الْفُكَّ فِي الْعَبَا * وَفِدَا شَبَابِكَ فِي التَّرَابِ شَبَابِي
 قَدْ كُنْتُ خُلْصَانِي وَمَوْضِعَ حَاجَتِي * وَمَقَرَّ آمَالِي وَغَيْرِ مَهَابِي^(١)
 فَادْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْكِرَامُ مُشَيِّمَا * بِالْحَجْدِ مَبِيحًا مِنَ الْأَحْبَابِ

تعزية المرحوم محمود سامي البارودي باشا في أبنته

وَدَيْعَةً رُدَّتْ إِلَى رَبِّهَا * وَمَالِكُ الْأَزْوَاجِ أَوْلَى بِهَا^(٢)
 أَلَمْ يَكُنْ صَبْرُكَ فِي بُعْدِهَا * يَرِيءُ عَلَى شُكْرِكَ فِي قُرْبِهَا ؟

وقال يرثيها أيضا :

بَيِّنَ السَّرَائِرِ خِصْنَةً دَفَّنُوكِ * أُمُّ فِي الْحَاجِرِ خُلْسَةً خَبَّشُوكِ^(٣)
 مَا أَنْتِ مِمَّنْ يَرْتَضَى هَذَا الثَّرَى * تُزُلُّ أَفْهَلُ أَرْضُوكِ أَمْ غَبْنُوكِ^(٤) ؟

(١) الخُلْصَانُ (بالضم) : الخالص من الأخدان، يستوى فيه الواحد كما هنا، والجماعة أيضا .

يقال : هو خُلْصَانِي، وهم خُلْصَانِي .

(٢) يريو : يزيده، والمستعمل في هذا المعنى : أربي يربي .

(٣) السرائر : جمع سريرة، وهي السر والمراد هنا : وضمة . وضمة : أي يخلأ بها . والمحاجر :

جمع محجر (وزان مجلس)، وهو ما دار بالعين . «يريد» أن حرمهم على الفقيده وبخلهم بها جعله يظن أنهم دفنوها في ضمايرهم أو في عيونهم، فهو يستفهم عن أيها دفنت فيه . (٤) الزل : المكان المهبأ للزول به .

- (١) يَا بِنْتَ (مُحَمَّدٍ) يَعْزُّ عَلَى الْوَرَى * لَمَسُ التُّرَابِ لِحْسَمِكَ الْمَنُوكِ
(٢) تَرَكَوْا شَبَابَكَ فِيهِ نَهْيًا لِلْيَلَى * وَاهَا لِفَضِّ شَبَابِكَ الْمَتْرُوكِ
(٣) وَحَثُوهُ فَوْقَ سَنَّاكَ يَاشْمَسُ الضُّحَى * فَبَكَى لَهُ بَدْرُ السَّمَاءِ أَخُوكِ
(٤) دَاسَ الْجِثَامُ عَرَيْنَ آسَادِ الشَّرَى * يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ كَانَ أَبُوكِ؟
(٥) عَهْدِي بِهِ يَلْتَقَى الرَّدَى بِمُهَنْدٍ * يَعْلُوهُ غَمْدٌ مِنْ دِمِّ مَسْفُوكِ
يَا نَقَسَ (مُحَمَّدٍ) وَأَنْتِ عَلِيَّةٌ * بِطَرِيقِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَسْلُوكِ
(٦) عَهْدُوكِ لَا تَتَصَدِّعِينَ لِحَادِثٍ * أَوْ أَنْتِ بَاقِيَةٌ كَمَا عَهْدُوكِ
(٧) هَذَا التُّرَابُ - وَأَنْتِ أَعْلَمُ - مُلْتَقَى * هَذَا الْوَرَى مِنْ مُسَوِّقَةٍ وَمُلُوكِ
(٨) هَلْ أَنْتِ إِلَّا يَيْنَ جَنِّيٍّ مَاجِدٍ * صَعْبِ الشَّكِيمَةِ لِلْخَطُوبِ مَخْخُوكِ
(٩) يُغْفِي بِحَضْرَتِهِ الزَّمَانُ فَيَلْتَقَى * عِزُّ الْمَالِكِ وَذِلَّةُ الْمَلُوكِ

(١) المنوك : المجهود المغنى .

(٢) الفض : الطرى الناعم .

(٣) حثا التراب على الميت يحثوه : هاله عليه . والسنا : الضوء .

(٤) الجثام (بالكسر) : الموت . وعرين الأسد : مأواه . والشرى : مأسدة بجانب القرات يضرب

بأسادها المثل . ويريد « بعين الأسد » : بيت أبيها .

(٥) المهند : السيف .

(٦) التصدع : التشقق . (٧) أنت : يخاطب نقس البارودي .

(٨) صعب الشكيمة ، أى أنوف أبى لا يتقاد .

(٩) يغفى الزمان ، أى يستحي منه ويهابه .

ملاحظة - أشرف في نهاية هذه القصيدة في طبعة هذا الديوان السابقة إلى أنها قصيدة طويلة ،

وأنه لم يشر منها إلا على هذه الأبيات ، وقد بحثنا نحن أيضا عن بقيتها فلم نجدها .

”من مريثة وهمية“

بلغ حافظاً أن جورج الخامس ملك إنجلترا قد توفي ، فلم يكد يسمع هذا النبأ
حتى بدأ ينظم قصيدة في رثائه ، ثم تبين له بعد عدم صحة هذا الخبر وقد وقفنا على
بيتين من هذه المريثة ، وهما :

إِنَّ الَّذِي كَانَتْ الدُّنْيَا بَقْبَضَتِهِ * أَمْسَى مِنَ الْأَرْضِ بِحَوِيهِ ذِرَاعَانِ
وَضَابَّ عَنْ مُلْكِهِ مَنْ لَمْ تَقْبُ أَيْدَا * عَنْ مُلْكِهِ الشَّمْسُ مِنْ عِزِّ وَسُلْطَانِ



قصائد لم تنشر في الطبعة الأولى

من شعر حافظ في ثورة سنة ١٩١٩

وَلَّتْ بَشَاشَةُ دُنْيَانَا وَدُنْيَاكَ * وَفَارَقَ الْإِنْسُ مَعْنَانَا وَمَعْنَاكَ
حَمَاكَ دُونِي أَسْوَدَ لَا يُطَاوِلُنَا * شَاكِيَ السَّلَاحِ فَكَيْفَ الْأَعَزُّ الشَّاكِيَ
وَجَسْمُونِي عَلَى ضَعْفِي وَقُوَّتِهِمْ * أَنْ أُمْسِكَ الْقَوْلَ حَتَّى عَنْ نَحَايَاكَ
وَأَرْصِدُوا لِي رَقِيًّا لَيْسَ يُخْطِئُهُ * هَجَسُ الْفُرَادِ إِذَا حَاوَلْتُ ذِكْرَكَ
يُحْصِي تَرَدُّدَ أَنْفَاسِي وَيَمْنَعُنِي * نَفْحَ الشَّبَائِلِ إِنْ جَازَتْ بَرِّيَّاكَ
مُنِعْتُ حَتَّى مِنَ النَّجْوَى وَسَلَوِيهَا * وَكَمْ تَعَلَّتُ فِي الْبَلَاوِي بِنَجْوَاكَ
مَا كَادَ يَأْتِي عَلَى نَفْسِي وَيُورِدُنِي * مَوَارِدَ الْحَفِيفِ إِلَّا حُبُّكَ الزَّاكِيَ
تَنَاولْتُ مَا وَرَاءَ النَّفْسِ غَايَتُهُ * وَقَرَّرْتُ خَلَجَاتِ الْقَلْبِ مَتَوَاكِ
وَوَظَنُّ أَهْلَكَ بِي سُوءًا وَأَرْمَضَنِي * قَوْلُ الْوَشَاةِ وَدَعْوَى كُلِّ أَفَّاكِ
فَالْوَأَسْلَاءُ عَنْكَ غَدْرًا وَابْتِغَى بَدَلًا * وَكَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ أَوْفَى رَعَايَاكَ
كَمْ لِي أَحَادِيثُ شَوْقٍ لَا تُنَاقِضُهَا * زَهْرُ الرِّيَاضِ وَلَا يَسْمُومُهَا الْحَاكِي
إِنْ تُنْكِرِيهَا فَكَمْ طَارَ الرِّوَاءُ بِهَا * إِلَى حِمَاكَ وَكَمْ قَدْ عَطَّرَتْ فَالِكَ
مُسْتَعْلِمِينَ إِذَا مَا لِلْعَمْرَةِ انْحَسَرَتْ * مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَمَنْ بِالنَّفْسِ فَدَّاكَ
رَمَيْتُ عَنْكَ إِلَى أَنْ حَاقَتِي وَتَرَى * وَلَمْ أَخُنْ فِي إِسَارِي عَهْدَ نَعْمَاكَ

برقية من حافظ إلى الخديو عباس

جاءت الأنبياء بسقوط مدينة أدرنة التابعة لدولة الخلافة العثمانية يوم
الاحتفال بزفاف كريمة الخديو إلى نجل الصدر الأعظم جلال باشا ، فأرسل
حافظ هذه البرقية إلى الخديو :

عَيْدُ هُنَا ، وَهَنَّاكَ قَامَ الْمَأْتَمُ * مَلِكٌ يَنْسُوحُ ، وَتَائِبٌ يَتَرَنَّمُ
عَجَبًا أَرَى تِلْكَ الدَّمَاءَ فَهَـنَا * دَمٌ فَرَحَةٍ ، وَهَنَّاكَ لِلْقَتْلِ دَمٌ

فأمر الخديو بإزالة معالم الزينات مشاركة للخليفة وللعالم الإسلامي
في تلك النكبة .

قصر الدوبارة وقصر عابدين

قصر الدوبارة هو القصر الذي يقيم فيه المعتمد البريطاني ممثل الاحتلال
وصاحب السلطة الفعلية في البلاد .

وقصر عابدين هو قصر الخديو وصاحب السلطة الشرعية والخاضع للسلطان الإنجليزي .
وفي هذين البيتين يعقد حافظ مقارنة بين كلا الحاكمين .

قصر الدوبارة مَا لِلشَّيْخِ رَابِعًا * وَالذُّبُّ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ يَحْجِلُ
إِنِّي سَمِعْتُ بِعَابِدِينَ عَوَاءَهُ * فَعَجِبْتُ كَيْفَ يُسَوِّدُ مَنْ لَا يَمِيقُ

من حافظ شاعر مصر إلى فؤاد ملك مصر

يَا مَلِكًا بِرَغْمِهِ يُلَبَّسُ النَّاسُ * جَ وَيرَقُّ لِعَرْشِهِ مَمْلُوكَا
إِنْ أُتِمَّتْ يَدَاكَ تَحْرِيبَ مِصْرٍ * فَلَقَدْ مَهَّدَ الْخُرَابَ أَبُوكَ^(١)
أَبْقِ شَيْئًا — إِذَا مَضَيْتِ ذَمِيمَا * عَنْ قَرِيبٍ — يَأْتِي عَلَيْهِ بَنُوكَا^(٢)

(١) يشير إلى الخديو إسماعيل الذي أفلس مصر وأدانها بتبذيره وامرأته حتى سقطت في براثن
الاحتلال والديون الأجنبية . (٢) يقول الشاعر للـك فؤاد لا ترتكب المقاصد كلها ،
حتى يجد أبنائك من بعدك شيئا يفسدونه ، فالفساد متأصل فيهم أصولا وقرورا .

إلى باني الهرم

من شاعر مصر الكبير حافظ إبراهيم إلى فرعون مصر العظيم ، باني الهرم
ومسعر الملايين .

من الشاعر في عهد الحرية الشخصية وحكم الديمقراطية ، إلى فرعون
في عهد الملوك الآلهة والرايا العبيد .

من ابن مصر في القرن العشرين بعد الميلاد ، إلى سيد مصر في القرن العشرين
قبل الميلاد .

البلاغ الأسبوعي

تَحَرَّ الْعِلْمَ لِيَبْنِيَ آبَةً * فوق شَطِّ النَّبْلِ تَبْدُو كَالْعِلْمِ^(١)
مِى ذِكْرٌ خَالِدٌ لَكُنْه * مَابُنُ الْوَجْهِ إِذَا الذِّكْرُ ابْتَسَمَ
كُلُّ مَا فِيهَا عَلَى إِعْجَازِهَا * أَنَهَا قَبْرٌ لِبَجَائِرِ حُطَمِ^(٢)
لَيْتَهُ تَحَرَّ مَا فِي عَهْدِهِ * مِنْ قُوَى فِي غَيْرِ تَقْدِيسِ الرَّمَمِ
مِنْ فَنُونٍ أَعْجَزَتْ أَطْوَأَقَنَا * وَمَلُومٍ عِنْدَهَا الْفَكْرُ وَجَمَمِ
وَبَنَانٍ مَبْدَمَاتٍ صَوَّرَتْ * أَوَّجَهَ الْعُذْرَ لِعُبَادِ الصَّنَمِ^(٣)
أَبْدَعَتْ مَا أَبْدَعَتْ ثُمَّ انْطَوَتْ * وَمَلَى أَسْرَارِهَا الدَّهْرُ خَتَمَ

(١) العلم : الجبل .

(٢) الحطم : البالي — وحطام الشيء بقاياه .

(٣) يريد الشاعر أن يقول إن الأيدى الماهرة التي صنعت تلك التماثيل جعلت للناس العذر

في عبادتها لدقة الصنع وجمال التصوير .

من شاعر مصر إلى أبناء مصر

قلت بعد ائتلاف حزبي الوفد والأحرار الدستوريين

البلاغ الأسبوعي ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٦

قَدْ غَفَوْنَا وَانْتَبَهْنَا فَلِذَا * نَحْنُ غُرُقٌ ، وَإِذَا الْمَوْتُ أُمُّ^(١)
 ثُمَّ كَانَتْ فِتْرَةٌ مَقْدُورَةٌ * غَرَّ فِينَا الدَّهْرُ ضَعْفٌ فَهَجَمَ
 فَتِمَسَكْنَا فَكَانَتْ قُوَّةٌ * زَلَزَلَتْ رُكْنَ اللَّيَالِي فَانْهَدَمَ^(٢)
 كَانَ فِي الْأَنْفِيسِ جُرْحٌ مِنْ هَوًى * نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فَالْتَمَأَ
 فَلَنَشْدَا الْعَيْشَ حُرًّا طَلَقًا * تَحْتَ ظِلِّ اللَّهِ لَا ظِلَّ الْإِثْمِ
 وَحَقِيقٌ أَنْ يُوفَّى حَقُّهُ * مَنْ يَجْعَلِ اللَّهَ وَالصَّبْرَ احْتِصَمَ
 آفَةُ الْمَرْءِ إِذَا الْمَرْءُ وَفَى * آفَةُ الشَّعْبِ إِذَا الشَّعْبُ انْتَقَمَ
 لَيْسَ مِنْهُ مَنْ يَنْيَ أَوْ يَنْتَنِي * أَوْ يَغُتُّ النَّيْلَ فِي رَعْيِ الذِّمِّ
 نَشَاءَ مِصْرَ ، يَنْتَوُوا مِصْرًا : بِكُمْ * تَشْتَرُونَ الْمَقْصِدَ الْأَسْمَى ، بِكُمْ ؟
 بِنَضَالٍ يُعْثَقِلُ الْعِزْمُ بِهِ * وَمُهَيَّاهُ فِي الْعُلَا حُلُولِ الْأَلَمِ
 أَنَا لَا أَنْفِرُ بِالْمَاضِي ، وَلَا * أَحْسَبُ الْحَاضِرَ يُطَرِّى أَوْ يُذَمُّ
 كُلُّ قَوْمِي أَنْ أَرَاكُمْ فِي غِيَةٍ * مِثْلَ مَا كُنْتُمْ أُسْوَدًّا فِي أَجَمِ

(١) أم — مريب .

(٢) المعنى أن في تماسكنا قوة فهزت البال ونكباتها التي سلطتها علينا .

فالفَتَى كُلُّ الْفَتَى مِنْ لَوْ رَأَى * فِي اقْتِحَامِ النَّارِ عِزًّا لَا اقْتِحَمَ
لَا تَنْظُنُّوا الْعَيْشَ أَحْلَامَ الْمَنَى * ذَاكَ عَهْدٌ قَدْ تَوَلَّى وَانصَرَمَ
هُوَ حَرْبٌ بَيْنَ فَقِيرٍ وَغَنَى * وَصِرَاعٌ بَيْنَ بُرٍّ وَسَقَمَ
هُوَ نَارٌ وَوُقُودٌ فَإِذَا * غَفُلَ الْمَوْقِدُ فَالنَّارُ حَمَمٌ^(١)
فَانْفَضُّوا النَّوْمَ وَجِدُّوا لِلْعَلَا * فَالْعُلَا وَقَفَ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْمَ
لَيْسَ يَنْجِي مَنْ تَمَنَّى وَصَلَهَا * وَانِيًّا أَوْ وَاِدْعَا غَيْرَ النَّسَمِ
وَالْأَمَانِي شَرٌّ مَا تُتَمَنَّى بِهِ * هِمَّةُ الْمَرْءِ إِذَا الْمَرْءُ اعْتَمَدَ
تُحْمِدُ الْعَزَمَ وَتُثْنِي حَدَّهُ * فَهِيَ كَلِمَاتُ الْإِنْجَادِ الضَّرَمِ^(٢)
وَانظُرُوا الْيَابَانَ فِي الشَّرْقِ وَقَدْ * رَكَزَتْ أَعْلَامُهَا فَوْقَ الْقِمَمِ
حَارَبُوا الْجَهْلَ وَكَانُوا قَبْلَنَا * فِي دُجَى عَمِيَّاتِهِ حَتَّى انْهَزَمَ
فَاسْأَلُوا عَنْهَا الثَّرِيَّ لَا الثَّرَى * لِمَنِا تَحْتَلُّ أَبْرَاجَ الْهَمَمِ
هَمٌّ يَمِشُّ بِهَا الْعِلْمُ إِلَى * أَنْبِلِ الْغَايَاتِ لَا تَدْرِي السَّامِ
فَهِيَ أُنِّي حَاوَلْتُ أَمْرًا مَشَتْ * حِلْفُهَا الْأَيَّامُ فِي صَفِّ الْخَلْدِ
لَا تُبَالِي زُلْزَلَتْ مِنْ تَحْتِهَا * أَمَّ عَلَيَّهَا النِّجْمُ بِالنِّجْمِ اصْطَلَمَ
تَخَيَّدَتْ شَمْسُ الضُّحَى رَمَزًا لَهَا * وَكَفَى بِالشَّمْسِ رَمَزًا لِلْعَظَمِ
فَهِيَ لَا تَالُوْهُ صُعُودًا تَبْنِي * جَانِبَ الشَّمْسِ مَكَانًا لَمْ يَرَمْ

(١) الحِم - الرِماد .

(٢) الضَّرَم - النَّار .

التبرع للتعليم

أقامت نقابة المعلمين حفلة في دار الجامعة المصرية مساء الجمعة ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٢٠ تكريماً لحسنى المنوفية : حسنين عبد الغفار وعبد العزيز حبيب وعمود السيد أبو حسين لتبرعهم بسبعين فدانا من أطيانهم في المنوفية أوقفوها على التعليم .

ودعى حافظ للاشتراك في تكريمهم ، فالتقى هذه القصيدة :

ثَلَاثَةٌ مِنْ سَرَاةِ النَّيْلِ قَدْ حَسَّوْا * عَلَى مَدَارِسِنَا سَبْعِينَ فِدَانَا
أَحْيَاوْهَا أَمْلًا قَدْ كَانَ يُحْنِقُهُ * بِحُلِّ الْغَنَى وَجَهْلٍ قَدْ تَفَشَّانَا
وخالَفُوا سُنَّةَ فِي مَصْرٍ شَائِعَةً * بَرَّثَ عَلَى الْعِلْمِ وَالْآدَابِ خُسْرَانَا
فَلَمَّا هُمْ سَرَاةِ النَّيْلِ أَنْ يَقْفُوا * عَلَى الْقُبُورِ وَإِنْ لَمْ تَحْيُوا إِنْسَانَا
فَكَمْ ضَرِيحٌ خَلَاءَ لَا رُقَاتَ بِهِ * تَرَى لَهُ فِي مَنَاسِ النَّيْلِ «أَطْيَانَا»
وَكَمْ حَبِيبٍ عَلَى الْمَوْتِ وَغَلَّتْهَا * يَشْرَى الْجُبَاةُ بِهِ خَوْصًا وَرِيحَانَا
وَالْعِلْمُ فِي حَسْرَةٍ، وَالْعَقْلُ فِي أَسَفٍ * وَالِدَيْنُ فِي نَجْمٍ مِمَّا تَوَلَّانَا
مَا كَانَ ضَرَّ سَرَاةِ النَّيْلِ لَوْ فَعَلُوا * شَرُّوْكُمْ ، فَبَنَوْا لِلْعِلْمِ أَرْكَانَا^(١)
تَقْدَزَى عَيْوُنُ بَنِي مَصِيرٍ بِمَظْهَرِهِمْ * فِي «الرَّيْلِ» حَيًّا ، وَفِي «حُلْوَانٍ» أَحْيَانَا^(٢)

(١) شرواكم أى مثل فعلكم وصنيعكم .

(٢) تقذى أى تؤذى — ويعيب الشاعر على الأثرياء بخلفهم في الاتفاق على العلم وتمتعهم بما بهج

الحياة ما بين رمل الإسكندرية صيفًا وحلوان شتاء .

(١) يبفون أن تحتوى الدنيا خزائنها * ويزرعوا فلوات الله أقطاناً
وليس فيهم أخو نفع وصالحه * ولا ترى لهم براً وإحساناً
يا مصر حتام يشكو الفضل في زين * يحنى عليه ويمى فيك أسواناً (٢)
قد سأل وإدبك خصباً ممتناً متى * تسيل أرجاؤه علباً وعرفاناً

إلى الدكتور طه حسين

عند ما أصدر الدكتور طه حسين مؤلفه « في الشعر الجاهلي » شن عليه جامدو الفكر حملة بتكفيره وبخروجه على الإسلام، وتعالى بعضهم فطالبوا باهدار دمه ، وكان منهم المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد الذي كان عضواً بمجلس النواب ورئيساً لجمعية الشبان المسلمين وقتئذ فقال حافظ :

إن صم ما قالوا ، وما أرجفوا * وألصقوا زوراً بدين العميد
فكفر طه عند ديانته * أحب من إسلام عبد الحميد

من حافظ إلى الشيخ عبد الرحيم الدمرداشي

لما ترجم حافظ كتاب البؤساء لفكتور هوجو، أقبل الفضلاء على تعزيده بالاشتراك في أعداد من نسخ الكتاب ، عدا شيخ الطريقة الدمرداشية وكان من أغنى أغنياء البلاد .

فلما انتهى طبع الكتاب ، أرسل إليه حافظ نسخة هدية ، وكتب عليها

إهداءه :

(١) الفلوات جمع القلاة وهي الصحراء الواسعة .

(٢) حتام أى حتى متى — أحوان أى حزين .

هَدِيَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ بِائِسٍ * إِلَى الدَّمَرْدَاشِيِّ وَلِيِّ النَّعَمِ
يُشْرِكُ بِاللَّهِ وَلَا يَسْتَرْكُ * فِي نَسْخَةٍ فِيهَا ضَرْوبُ الْحِكَمِ

مداعبة لحافظ

كان حافظ مدعوا لإلقاء قصيدة في حفل جمعية رعاية الأطفال بمدينة الأذربكية . وعند دخوله أراد المشرف أن يداعبه ، فطلب منه التذكرة ، فقال له إنه حافظ إبراهيم وجاء للمشاركة في الاحتفال السنوي كعادته بقصيدة ، فزعم المشرف أنه لا يعرفه ، وعليه أن يثبت شخصيته بينين يرتجلها .

فضحك حافظ وقال له : لم أر أخبث منك مشرفا .. وارتنبل هذين

البيتين :

رِيَاضُ الْأَزْبَكِيَّةِ قَدْ تَحَلَّتْ * بِأَنْجَابِ كِرَامِ أَنْتَ مِنْهُمْ

فَهَبْهَا جَنَّةً فُتِحَتْ لِلْحَيْرِ * وَأَدْخَلْنَا مَعَ الْمَعْقُودِ عَنْهُمْ

وضحك المشرف وقال : تفضل يا حافظ بك ...

شهداء العلم

جريدة السفور — ١٥ أبريل سنة ١٩٢٠

فى سنة ١٩٢٠ أوفدت مصر أول بعثة دراسية من شبابها النابه إلى أوربا لاستكمال دراساتهم العليا فى جامعاتها وقد ذهبوا جميعا ضحية حادث أليم وقع للقطار الذى كان يقلهم عبر إيطاليا فى أكبر كارثة للسكك الحديدية شهدتها أوربا .

وكان وقع المصائب الفادح بالغ الألم والأثر فى مصر وفى سائر البلاد العربية والأجنبية . وقد رثاهم شاعر النيل بهذه القصيدة التى ألفت فى حفل جريدة السفور التى أقيمت مساء ١٤ من أبريل سنة ١٩٢٠ .

صَلَمُونَا الصَّبْرُ يُطْفِئُ مَا اسْتَعْرَ * إِنَّمَا الْأَجْرُ لِمَفْجُوعٍ صَبَرَ
صَدَمَةٌ فِي الْغَرْبِ أَمْسَى وَقَعُهَا * فِي رُبُوعِ الشَّرْقِ مَشُومَ الْأَثَرِ
زَلَزَلَتْ فِي أَرْضِ مِصْرٍ أَنْفُسًا * لَمْ يُزَلِّزْهَا قَرَارُ الْمُؤْتَمَرِ^(١)
مَا اصْطَدَامَ النُّجُومُ بِالنُّجُومِ عَلَى * سَاكِنِي الْأَرْضِ بِأَذَى وَأَمَرِ
قَطَفَ الْمَوْتُ بَوَاكِرَ النَّهْيِ * بَحْنَى أَجْمَلَ طَاقَاتِ الزَّهْرِ
وَعَدَا الْمَوْتُ إِلَى أَقْبَارِنَا * فَتَهَاوُوا قَمَرًا بَعْدَ قَمَرِ
فِي سَبِيلِ النَّبِيلِ وَالْعَلِيمِ وَفِي * ذِمَّةِ اللَّهِ قَضَى الْإِثْنَا عَشَرَ
أَيُّ بَدْوَرِ الشَّرْقِ مَاذَا نَابَكُمْ * فِي مَسَارِ الْغَرْبِ مِنْ صَرْفِ الْغَيْرِ
نَبَأًا قَطَّعَ أَوْصَالَ الْمَنَى * وَأَصَمَّ السَّمْعَ مِنَّا وَالْبَصِيرَ^(٢)
كَمْ بِمِصْرٍ زَفَرَةٌ مِنْ حَرِّهَا * كُنَّسَ الْأَعْفَرُ، وَالطَّيْرُ وَكَرَ

(١) المؤتمر هو مؤتمر الصلح بباريس الذى عقد عقب الحرب العالمية الأولى وحاول زعماء مصر حضوره للطالبة بجلالة الإنجليز من مصر ، ولكن منع الزعماء من حضوره وأصدر المؤتمر قراره بالابقاء على الأوضاع فى مستعمرات الدول المنتصرة ومنها إنجلترا .

(٢) ذكر الطير أى لزم وكره — والمعنى أن الزفراء الحارة على شهادتنا كانت من الفسوة والشدة كالريح السوم التى تكنس التراب وتلزم الطير وكره من حرارتها وهجيرها .

كم أب أسوانَ دَامَ قَلْبُهُ * مستطيرِ اللَّبِّ مفقورِ الظَّهَرِ
 سَاهِمِ الوجهِ لما حَلَّ به * سَادِرِ النظرةِ مِن وَقْعِ الخبرِ
 كم بها والدِةٌ والهِمةُ * عَصَتْهُ التُّكُلُ بنابِ فَعَقَرِ
 ذَاتِ تَوَجُّحٍ تحتِ أَذْيَالِ الدُّجَى * عَلَّمَ الأَشْيَاقَ سُكَّانَ الشَّجَرِ^(١)
 تَسْأَلُ الأَطْيَارَ عن مَوْنِنِهَا * كَلِمَا صَفَّقَ طَيْرٌ واضْطَحَرَ
 تسال الأنجِسمَ عن واحدِها * كَلِمَا غَوَّرَ نَجْمٌ أو ظَهَرَ
 تَهَبُ العَمَرُ لمن يُنَبِّئُهَا * أَنَّهُ أَفَلَّتْ مِن كَفِّ القَدَرِ

ويَجْ مَصِيرٌ ، كُلُّ يَوْمٍ حَادِثٌ * وبلاءٌ ما لها مِنْهُ مَفَرٌ
 هَانَ ما تَلَقَّاهُ إِلَّا خَطْبُهَا * فِي تَرَاثٍ مِنْ بَنِيهَا مُدْنَرٌ
 قَدْ ظَلَمْتُمْ عِجْدَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ * إِنَّمَا نَقَلْتُهُمْ إِحْدَى الكُوبِ^(٢)
 فَسَوَاءٌ فِي تَرَابِ الشَّرِيقِ أَمْ * فِي تَرَابِ الْغَرْبِ كَانَ الْمُسْتَقَرُّ
 أَأَبَيْتُمْ أَنْ نَرَى يَوْمًا لَنَا * فِي رُبُوعِ الْعِلْمِ شَيْبَرًا فَتُسَرُّ
 أَضَلَّيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بَيْنَهُمْ * شَاهِدًا مِنَّا لِكُتَابِ السَّيَرِ
 وَمَزَارًا كُلَّمَا يَمُمُّهُ * نَاشِئٌ حَيًّا ثَرَاهِ وَادَّكِرُ
 وَدَلِيلًا لِابْنِ مَعِيرٍ كُلَّمَا * قَامَ فِي الْغَرْبِ بِمَصِيرٍ فَانْفَخِرُ
 كَمْ يَسْأَلُنَا فِي أَرْضِهِمْ * صَوْرَتَ مُعْجِزَةٍ بَيْنَ الْمُسَوَّرِ

(١) سكان الشجر هم الطير .

(٢) لم يرض حافظ عن نقل بحثهم إلى مصر ليدفنوا فيها ، بل أشرأن يدفنوا حيث ماتوا كرمز

لجد مصر وكفاحها في سبيل العلم .

فَمَنْ رَمَزَا لِعَصُورٍ قَدْ خَلَّتْ * أَشْرَقَ الْعِلْمُ عَلَيْهَا وَازْدَهَرَتْ
فَاجْعَلُوا أَمْوَاتَنَا الْيَوْمَ بِهَا * خَيْرَ رَمِيزٍ لِرَجَاءٍ مُتَنْظَرِ

* *

أُمَّةَ الطَّلِيانِ خَفَّفَتِ الْأَمَى * بِصَنِيعٍ مِنْ أَيْدِيكَ الْفُرْدِ
جَمَعْتَ كَفَالِكَ عِقْدًا زَاهِيًا * مِنْ بَنِينَا فَوْقَ وَادِيكَ انْتَدَرِ
وَمَشَى فِي مَوَكِبِ الدَّفْنِ لَهُمْ * مِنْ بَيْنِكُمْ كُلِّ مَسْجَاةٍ أُخَرِ
وَسَعَى كُلِّ رَئِيٍّ مُفْضِلٍ * بِأَدَى الْأَحْزَانِ تَخْفُوضُ النَّظَرِ
وَبَكَتْ أَفْلَادُكُمْ أَفْلَادَنَا * بِدُمُوعِ رَوْضَتِ تِلْكَ الْحُقُورِ ^(١)
وَصَنَعْتُمْ - صَنَعَ اللَّهُ لَكُمْ - * فَوْقَ مَا يَصْنَعُهُ الْحِلُّ الْأَبَرِ
قَدْ بَكَيْنَا لَكُمْ مِنْ رَحْمَةٍ * يَوْمَ "مَسِينَا" فَارْخَصْنَا الدُّرُورِ ^(٢)
خَفِظْتُمْ وَشَكَرْتُمْ صُنْعَنَا * وَبَنُو الرُّومَانِ أَوَّلَى مَنْ شَكَرَ

* *

أَيُّ شَبَابٍ النَّبِيلِ لَا تَقْعُدْ بِكُمْ * عَنْ خَطِيرِ الْمَجِيدِ أَخْطَارُ السَّفَرِ
إِنَّ مَنْ يَعْشُقُ أَسْبَابَ الْعَلَا * يَطْرُحُ الْإِحْجَامَ عَنْهُ وَالْحَذَرِ
فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ جَشَمَكُمْ * فَوْقَ مَا تَحْمِلُ أَطْوَاقُ الْبَشَرِ
نَحْنُ فِي عَهْدِ جِهَادٍ قَائِمٍ * بَيْنَ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ لَمْ تَقِرْ

(١) روضت الحفر، أي جعلت قبور أبنائنا روضة من الرياض لكثرة ما بقيت من الدموع.

(٢) مسينا مدينة إيطالية دمرها زلزال مروع وسارعت مصر بمساعدة إيطاليا بالترغاط، وكان حافظ من اشتركوا في الدعوة لتجديتها بقصيدة من روائع شعره الإنساني، وهي منشورة في الديوان بعنوان زلزال مسينا.

رثاء فقيد العلم والوطن
محمد عاطف بركات باشا^(*)

ألقيت في حفل تأبينه

المنعظم في ١٣ سبتمبر ١٩٢٤

تَمَنَّيَ المجيد والمحامد غالى * آل زفلول فاصيروا الليالى
قد هوى منكم ثلاثة أفا * رَحَلَتْ منهم بروجُ المعالي
مات «فتحي»، وَمَنْ لنا بجأه * وأفانين فكره الجوال
كان أنجوبة الزمان ذكاء * وَمَضَاءٌ في كلِّ أمرٍ عُضَالِ
و «سعيد» وكان غصنا ندياً * فُتِّحَتْ فيه زهرة الآمال
وَقَضَى «عاطف» وكان عظيماً * صادق العزم مُطْمَآنٍ الحلالِ
يهزلُ الناسُ والزمانُ، وَيَابِي * غيرَ جَدٍّ مَوَاصِلٍ ونضالِ
ساهدُ الرأي ، نائمُ الحقد ، لاه * عن مَلَاهِي الْوَرَى ، عَفِيفُ الْمَقَالِ
قد جَلَّ سيفُ عَزْمِهِ صَبْقُلُ الـ * نَفْيِ ، فَأَرْبَى عَلَى السُّيُوفِ الْعُقَالِ^(١)
وَتَمَّتْ رَأْيُهُ التَّجَارِبُ حَتَّى * بَاتَ أَمْضَى مِنْ نَافِذَاتِ النَّبَالِ
يا شهيدَ الإصلاحِ قَادَرْتَ مِصْرًا * وهى تَجْتَازُ هَوْلَ دَوْرِ انْتِقَالِ

(*) محمد عاطف بركات باشا أحد رجالات مصر الذين اشتغلوا بالتعليم ، ورأس حيناً مدرسة القضاء الشرعى ، وظل يعمل في خدمة الحكومة حتى رقى إلى منصب وكيل وزارة المعارف العمومية ، وكان له الأثر الكبير في تطوير التعليم في مصر ، وكان يمت بصلة القرابة للزعم سعد زغلول ، حيث كان الزعيم في منزلة خاله .

(١) يشير الشاعر إلى سبق نفى الإنجليز لعاطف بركات مع الزعيم سعد زغلول .

لو تَرَيْتِ لاسْتَطَالَ بك النية * بل على هذه الحُطوبِ التوالى
غير أن الردى ، وإن كثرنا * س ، حريصٌ على البعيدِ المنال
كلما قام مُصلِحٌ أُعْجِلَتْهُ * عن مناهِ غوائلِ الآجالِ
يُخْطَفُ النَّابِغُ النبية وَيَبْقَى * خاملُ الذكرِ في نعيمٍ وخالٍ
أيعيشُ الرُّبَالُ في الغابِ جيلًا * ويمرُّ الغرابُ بالأجيالِ

* *

كنتَ فوق الفراشِ والسقمُ بادٍ * لهفَ نفسى عليك والجسمُ بالِ
لم يُزَحِّكْ عن نهوضك بالأعبا * ءِ داءٌ يهدُّ أَسَدَ الدِّهَالِ
شغلتكَ الجهودُ والمداة يمشى * بك مَشَى المحاذيرِ المُقْتَالِ
لم يدعُ منك غير قوة نفسٍ * تتجلى في هيكلي من خيالِ
عجز السقمُ عن بلوغِ مداها * قَضَتْ في صيلها لا تبالي
لم تزلْ في بِناءِ النيشِ حتى * هَدَمَ الموتُ عُمرَ باني الرجالِ
عَجِبَ النَّاسُ أَنَّ رَأَوْا سَرَطَانَ الـ * بجحرٍ قد دَبَّ في رؤوسِ الجبالِ
مَنْ رَأَى «عاطفًا» وقد وَصَلَ الْأَشْـ * غَالَ بِعَدَ الْمُدَوِّ بالأشغالِ
ظَنَّ ، أَوْ كَادَ ، أَنَّ أَوَّلَ نَوْمٍ * نَامَهُ كَانَتْ تَحْتَ تِلْكَ الرمالِ
أَوْ رَأَى قُوَّةَ الْعَزِيمَةِ فِيهِ * وهو فوقَ الفراشِ بادِيِ الهزالِ
ظَنَّ بِأَسِّ الْحَدِيدِ لَأَرَقَ مَشْوَا * هُ اجْتَوَاءَ وَحَلَّ عَوْدَ الْخِلَالِ

* *

قَدْ تَبَيَّنَتْ كُلُّ مَعْنَى فَأَنْسَكَ * تَ عَلَى السَّالِفِينَ مَعْنَى الْمُحَالِ
 رُمْتَ فِي أَشْهَرِ ضَلَاخِ أُمُورٍ * دَمَرْتَهَا يَدُ الْعَصُورِ الْخَوَالِ
 رُمْتَ إِصْلَاحَ مَا جَنَّتْ يَدُ « دَنَلَوْ » * بَبَ عَلَى الْعِلْمِ السَّنِينَ الطَّوَالِ
 وَقَلِيلٌ عِنْدِي لَهَا نَصْفُ جِيلٍ * لِمَجْدٍ مُوَفَّقٍ فَعَالِ
 لَمْ تَكُنْ مَصْرُوبًا بِالْعَقِيمِ وَلَكِنْ * قَدْ رَمَاهَا أَعْدَاؤُهَا بِالْحَيَالِ^(١)
 أَفْسَحُوا لِلْجِيَادِ فِيهَا مَجَالًا * قَدْ أَضْرَّ الْجِيَادَ ضَيْقُ الْمَجَالِ
 أَصْبَحَتْ فِي الْقِيُودِ تَمَثَّى الْمُؤَيَّنَا * كَسَفِينٍ يَغْبُرْنَ بِحَرَى الْقَنَالِ
 فَاصْدَعُوا هَذِهِ الْقِيُودَ وَخَلُّو * هَا تَبَارَى فِي السَّبْقِ رِيحَ الشَّمَالِ
 حَرَفَ الْغَرْبُ كَيْفَ يَسْتَمِرُّ الْحَدَّ * فَيَبْنِي بِفَضْلِهِ كُلَّ ضَالِ
 وَدَرَى الشَّرْقُ كَيْفَ يَسْتَمِرُّ اللَّهُ * وَفَيُفِضِي بِهِ إِلَى شَرِّ حَالِ
 فَاتْرَكُوا لِلَّهِ فِي الْحَيَاةِ وَجِدُّو * إِنَّ فِي اسْمِ الرَّئِيسِ أَيْمَنَ فَالِ
 فَاصْنَعُوا صُنْعَ مَاطِفٍ وَادْكُرُو * آيَةَ الْمَجِيدِ — ذِكْرَةَ الْأَبْطَالِ

يَأْمُرُ بِالْجِدَالِ ثُمَّ مَسْتَرِيحًا * لَيْسَ فِي الْمَوْتِ مَتَقَدُّ بِالْجِدَالِ
 صَامِتٌ يُسَكَّتُ الْمَقَوَّةَ فَاعْجَبْ * وَبَطِيءٌ يَسْبِرُ تَخْطُو الْعِجَالِ
 كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا التَّحِيَّةَ يُرَبِّحِي * فَهِيَ لِلَّهِ ، وَالِدُنَا لِلزَّوَالِ^(٢)
 إِنْ بَكَتْ غَيْرَكَ النِّسَاءُ وَأَذْرَفِ * مِنْ عَلَيْهِ الدَّمُوعَ مِثْلَ اللَّالِي
 فَعَلَى الْمَصْلُوحِينَ مِثْلِكَ تَبْكِي * ثُمَّ تَبْكِي جَلَائِلُ الْأَعْمَالِ

رثاء الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي

مجلة النيل - ١٨ شبتمبر سنة ١٩٢٤

رَحِمَ اللهُ صَاحِبَ النُّظَرَاتِ * غَابَ عَنَّا فِي أَحْرَجِ الْأَوْقَاتِ
 يَا أَمِيرَ الْبَيَانِ وَالْأَدَبِ النَّضْ * يَرِ لَفْدَ كُنْتَ نَفْسَ أَمِّ اللِّغَاتِ
 كَيْفَ قَادَرْتَنَا سَرِيعًا وَعَهْدِي * بِكَ يَا مُصْطَفَى كَثِيرَ الْأَنَاءِ
 أَفْقَرْتُ بِعَدِكَ الْأَسَالِيبُ وَاسْتَرْ * نَحْيَ عِنَانُ الرِّسَالِ الْمُنْتَعَاتِ
 بَحَثَتْ بِعَدِكَ الْمَعَانِي وَكَانَتْ * سَلَسَاتِ الْقِيَادِ مُبْتَدَرَاتِ
 وَأَقَامَ الْبَيَانُ فِي كُلِّ نَادٍ * مَاتَمًا لِلْبِدَائِعِ الرَّائِعَاتِ
 لَطَمْتَ «مَجْدَلِينَ» بِعَدِكَ خَدَّيْ * هَا وَقَامَتْ قِيَامَةُ «الْمَعْبَرَاتِ»^(١)
 وَأَنْطَوَتْ رِقَّةُ الشُّعُورِ وَكَانَتْ * سَلَوَةُ الْبِائِسِينَ وَالْبِائِسَاتِ
 كُنْتَ فِي مَصْرٍ شَاعِرًا يَهْرُ الدَّ * بِبَيَّاتِ شِعْرِهِ الْبَيِّنَاتِ
 فَهَجَرْتَ الشُّعْرَ الْمَرِيَّ إِلَى الشَّ * يَرِ بَحْثَ الْكُتُبِ بِالْمُعْجَزَاتِ
 مَتَّ وَالنَّاسُ عَنْ مُصَابِكَ فِي شُعْدٍ * يَلِ بِمَجْرَجِ الرَّئِيسِ حَامِي الْحَيَاةِ^(٢)
 شُغِلُوا عَنْ أَدِيبِهِمْ بِمُنْجِيَةٍ * يَهْمُ فَلَمْ يَسْمَعُوا نِدَاءَ النُّعَاةِ
 وَأَفَاقُوا بَعْدَ النِّجَاةِ فَالْفَوْا * مَتَرَلِ الْفَضِيلِ مُقْفَرِ الْعَرَصَاتِ
 فَدَبَّكَ الرَّئِيسُ وَهُوَ جَرِيحٌ * وَدَمَوْعُ الرَّئِيسِ كَالرَّحِمَاتِ

(١) «مجدلين» و«المعبرات» و«النظرات» من الروايات التي ترجعها المرحوم المنفلوطي .

(٢) توفي المرحوم المنفلوطي يوم الاعتداء على الزعيم سعد زقزل في محطة مصر وهو متوجه إلى

لَمْ تُبَقِّ يَافَتَى الْحَامِدِ مَالًا * فَلَقَدْ كُنْتَ مُغْرَمًا بِالْهَبَاتِ
 كَمْ أَسَأَلْتُ لَكَ الْيَرَاعَةَ سَيَّلًا * مِنْ نُضَارٍ يَفِيضُ قَيْضَ الْفُرَاتِ^(١)
 لَمْ تُؤْتِلْ مِمَّا كَسَبْتَ وَلَمْ تَحْ * سَبَّ عَلَى مَا أَرَى حِسَابَ الْهَمَاتِ
 مِتَّ عَنْ يَافِعٍ وَنَحِيسِ بَنَاتِ * لَمْ تُخَلِّفْ لَهَا سِوَى الذِّكْرِيَّاتِ
 وَتَرَأْتُ الْأَدِيبَ فِي الشَّرْقِ حُزْنٌ * لِبَيْتِهِ ، وَثَرَوَةٌ لِلرَّوَاةِ
 لَا تَخْشَفُ عَثْرَةَ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ * لَا ، وَلَا صَوْلَةَ اللَّيَالِي الْمَوَاتِي
 عَيْنٌ سَعِدَتْ رَعَاهُمْ بَعْدَ عِي * بِنِ اللَّهِ فَاهْدَأْ فَقَدْ وَجَدْتَ الْمَوَاتِي

رثاء أحمد حشمت باشا

كان أحمد حشمت باشا من رجالات مصر في العصر السابق ، ولى مناصب القضاء والإدارة ثم وزيرا للمعارف « التربية والتعليم الآن » .
 وقد ناصر الأدب واللغة العربية في عصر اشتدت حملة الاستعمار والمهشرين عليها شدة مسعورة ، وكانت له رغم منصبه الوزاري ووجود مستشار المعارف الإنجليزي ، مواقف مشهودة ، خرجت بفضلها اللغة العربية سليمة خالصة لأهلها ، وحفظت عليهم لسانهم العربي المبين .
 وكان من الطبيعي أن تقوم الصلة قوية متينة بين حشمت باشا وشاعر النيل ، وأن يقتربه الوزير اليه ، ويعينه رئيسا للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية .
 فكان عملا جريئا من الوزير أن يعين في وظيفة حكومية ، أديبا يطارد الاستعمار ويطارده الاستعمار في عصر الاستعمار ...

(١) النضار : الذهب — الفرات : الماء العذب .

ولقد رثاه الشاعر سنة ١٩٢٦ بهذه المراثية المنبثقة من ضمير ووجدان الشاعر
الوطني الوفى الكلم .

حَبَسَ اللِّسَانَ وَأَطْلَقَ الدَّمَاعَا * نَاجَ أَصَمَّ بِنَعْيِكَ السَّمْعَا
لَكَ مِثْنَةٌ قَدْ طَوَّقَتْ عُنُقِي * مَا لَنْ أُرِيدُ لَطَوْفَهَا تَرْعَا
مَاتَ الْإِمَامُ وَكَانَ لِي كَفَّأ * وَقَضَيْتَ أَنْتَ وَكُنْتَ لِي دِرْعَا
فَلَيْتَشَمَتَ الْحُسَّادُ فِي رَجُلٍ * أَمَسَتْ مُنَاهُ وَأَصْبَحَتْ صَرَعِي
وَلَتَجْمِلِ الْأَيَّامُ حَمَلَهَا * غَاضَ الْمَعِينُ وَأَجْدَبَ الْمَرْعِي
إِنِّي أَرَى مِنْ بَعْدِهِ شَلَالًا * يَدِ الْعَلَا وَيَأْفِقُهَا جَدْعَا
وَأَرَى النَّدَى مُسْتَوْحِشًا قَلِقًا * وَأَرَى الْمُرُوءَةَ أَقْفَرَتْ رَبْعَا
قَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَبُو حَسَنِ * بُولِي الْجَمِيلَ وَيُحْسِنُ الصَّنْعَا
إِنْ جَاءَ ذُو جَاهٍ بِمُحَمَّدَةٍ * وَتَرَا شَاهُ بِمِثْلِهَا شَفْعَا^(١)
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَنَايِلِهِ * تَنَدَى ، حَسِبْتَ يَكْفُهُ نَبْعَا
سَلَّى فُلَانِي مِنْ صَنَائِعِهِ * وَسَلَّى « الْمَعَارِفَ » كَمْ جَنَتْ نَفْعَا
قَدْ أَخَصَبَتْ أُمُّ اللَّفَاتِ بِهِ * خِصْبًا أَدْرُ لِأَهْلِهَا الضَّرْعَا
تَاللهِ تَوَلَّأْنَا أَنْ يُقَالَ أَنِّي * بِنَدْمَا ، لَطُفْتُ بِقَبْرِهِ سَبْعَا
قَدْ ضُفِّتُ ذَرْمًا بِالْحَيَاةِ وَمَنْ * يَفْقِدُ أَحِبَّتَهُ يَضِقُّ ذَرْمَا

(١) الإمام هو الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا وقد رثاه الشاعر بقصيدة في هذا الديوان .

(٢) شاه أى زاد عليه ، والوتر الواحد والشفع الاثنان ، ومنها صلاة الوتر ذات الركعة الواحدة ،

وصلاة الشفع ذات الركعتين .

وَعَدَوْتُ فِي بَلَدٍ تَكْتَفُنِي * فِيهِ الشُّرُورُ وَلَا أَرَى دَفْعًا
 تَكَمُّ مِنْ صَدِيقٍ لِي يُجَاسِّنِي * وَكَأَنَّ تَحْتَ ثِيَابِهِ أَفْعَى
 يَسْعَى فَيُخْفِي لِيَنْ مَنَسِهِ * عَنِّي مَسَارِبَ حَيَّةٍ تَسْعَى
 تَكَمُّ حَاوَلَتْ هَدْيِي مَعَاوِلَهُمْ * وَابْنُ الْإِلَهِ فَزَادَنِي رَقَعًا
 أَصْبَحْتُ فَرْدًا لَا يُنَاصِرُنِي * غَيْرُ الْبَيَانِ ، وَأَصْبَحُوا جَمْعًا
 وَمَنَاهُمْ أَنْ يَحِطُّوا بِيَدِي * قَلَمًا أَثَارَ عَلَيْهِمُ النُّقْعَا
 وَلَرُبُّ حُرِّ عَابِهِ تَفَرُّ * لَا يَصْلُحُونَ لِنَعْلِهِ شِسْمَا
 مَنْ ذَا يُوَاسِنِي وَيَكْلَأُنِي * فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَرْغَى
 لَا جَاهَ يَجْنِي ، وَلَا مَدَدَ * عَنِّي يَرُدُّ الْكِدَ وَالْقَدَمَا
 بِكَ كُنْتُ أَدْفَعُ كُلَّ عَادِيَةٍ * وَأَجِيبُ فِي الْجُلَى إِذَا أُدْعَى
 وَأَقْبِلْ عَثْرَةَ كُلِّ مُبْتَلِسٍ * وَأَفِي الْحَقُوقَ وَأُنْجِحُ الْمُسْعَى
 حَتَّى نَبَى النَّاعِي أَبَا حَسَنِ * قَوَّدْتُ لَوْ كُنْتُ الَّذِي يُسْعَى
 غِيْظُ الْعِدَاةِ فَاوَلَوْ سَفَهًا * مِنْهُمْ لِحَبِيلٍ وَدَادِنَا قَطْعًا
 رَأْمُو لَهُ بَنًا - وَقَدْ حَمَلُوا * ظَلَمًا - فَكَانَ لَوْ ضَلَّهِ أَدْعَى

* *

يَادُوحَةَ اللَّبْرِ قَدْ تَشَرَّتْ * فِي كُلِّ صَالِحَةٍ لَهَا فُرْمَا
 وَمَنَارَةٌ لِلْفَضْلِ قَدْ رُفِعَتْ * فَوْقَ الْكُنَانَةِ نَوْرُهَا شَمْعًا
 وَمَثَابَةٌ لِلرُّزْقِ أَحْمَدُهَا * مَارِدٌ مِسْكِينًا وَلَا دَعَا
 إِنِّي رَيْثُكَ وَالْأَثَى جَلُّ * وَالْحَزَنُ يَصْدَعُ مَهْجَتِي صَدْمَا
 لَا غَرْوَ إِنْ قَصُرْتُ فَيْكَ قَعْدَ * جَلَّ الْمَصَابُ وَجَاوَزَ الْوُسْعَا
 سَأْفِيكَ حَقِّكَ فِي الرِّئَاءِ كَمَا * تَرْضَى ، إِذَا لَمْ تُقْدِرِ الرَّجْعَى

فهرست

القوائد

—

(حرف الهزة)

صفحة		
٥٨	هل رأيتم موقعا كمل	في الأطباء يستحق الثناء
٢٠٥	لي كساء أنعم به من كساء	أنا فيه أتبه مثل الكساء
٢١٣	ييا بك النعم والسعود	وموقف اليأس والرجاء
٢٣٩	هذا الظلام أثار كامن داني	يا ساقبي هل بالصهايا
٢٥٢	أليسوك الدماء فوق الدماء	وأروك العدا بدم العدا
٤٢٨	خلقت لي قمعا فأرصدتها	لحزون والبلوى وهذا الشقاء
٤٤٩	لا والألمى وتلهب الأحشاء	ما بات بملك معجب بوفاء
٤٥٠	أعزى القوم لو سمعوا عزائي	وأطن في مليكتهم رثائي

(حرف الألف)

١٩٦	تأيت منكم لحقت عرا	ومضات هود على ما أرى
٢٢٢	بتأدى الجزيرة كف ساعة	وشاهد برك ما قد حوى

(حرف الباء)

١٣	ماذا اخترت لهذا العيد من أدب	قد عهدت لك رب السقى والغلب
١٥	لهمت جلال العيد والقوم هيب	فعلني آي العلاكيف تكتب
٢٣	بصكرا صاحبي يوم الإياب	وقفا بي بعين شمس قفا بي
٢٦	لو يتظلمون اللائي مثل ما نظمت	مذغبت عنا عيون الفضل والأدب
٣٨	أعجمي كاد يسلو نجمه	في سماء الشعر نجم العرب
١٥٤	شيطان قد خيرا الوجود زادركا	ما فيه من طل ومن أسباب
١٦٠	أخرق الدف لو رأيت شكيا	وأفض الأذكار حتى يقييا

صفحة		
١٦١	منه الوفاية والتجديد للكتب	أديم وجهك يا زنديق لوجعت
١٦٦	وداخلني بصحبتك ارتباب	أنى راقه قد ملئ الوطاب
١٧٦	وبهزيم بقدرى مماء الرتب	ملكتم على عنات الخطب
١٨٨	فإذا ذنا عنه حراس وجباب	قل للقيب لقد زنا فضيلته
٢٣٣	ن وقد أبصروا لديك بجيا	عجب الناس منك يا بن سليا
٢٥٦	وضعت الليالي فلا تعجبى	حطمت السرايا فلا تعجبى
٢٦٥	فتمن ندعوكم للبلد عن رغب	إن كنتم تهللون المال عن رهب
٢٦٨	هنا الملا وهناك المجد والحسب	لمصر أم لربوع الشام تنسب
٢٧٢	إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا	حياكم الله أحيوا العلم والأدبا
٣٠٢	ما بين ذل واغتراب	قضيت عهد حدائقى
٣٢٠	كانت جوارك في لمووفى طرب	(عبد العزيز) لقد ذكرتنا أمة
٣٢١	مع منى العزم والدهر أبى	لا تلم كفى إذا السيف نبا
٣٣١	على أن صدر الشعر لادح أرحب	أيحصى معانيك القريض الملهذب
٣٣٦	فالشرق ريع له ومنح المغرب	(قصر الدبارة) هل أذاك حدينا
٣٦٢	هنا لم فليسحب الذيل ساحبه	أجل هذه أعلامه ومواكبه
٤٢٣	يت المهسد تقض الغاصب	(قصر الدبارة) قد تقض
٤٢٤	وقلست فأصغروا أربى	سكت فأصغروا أدبى
٤٢٦	يباب أستاذنا (الشيبي) ولا عجا	جرب حظى قد أفرغته ملحا
٤٣٠	وطيك المبرين الوغد والتجب	ماذا أصبت من الأسفار والنصب
٤٣٥	وما أوردتها غير السراب	دميت بها على هذا التياب
٤٥٢	هنا خير مفلوم هنا خير كاتب	هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقي
٤٨٦	وشاوروه لدى الأرواء والنزوب	صولوا يراع (على) في متاحكم
٤٩٥	إن ذاك السكون فصل الخطاب	سكن الفيلسوف بعد اضطراب
٥٠٣	وقد وارا سليا في التراب	أهدى المسليون من أميروا

صفحة		
٥١٤	جئت أدعوك فهل أنت مجيبي	ولدى قد طال مهدي ونحيبي
٥١٧	دنا المنهل يا قس فطليبي	أذنت شمس حياقي بمقيب
٥٢٨	في القريب أدركه المنيب	ما أنت أول كوكب
٥٣٢	كيف ينصب في القوس انصبايا	ليه ياليل هل شهدت المصايا
٥٤٤	ومحا بشاشة فك الخسلايا	لعب البلى بملعب الألباب
٥٥٢	كثت خباياها ليوم المصايا	دمعة من دموع عهد الشباب
٥٦٠	وبدأت أعرف وحشة الأجباب	بدأ الممات يدب في آترابي
٢٧٢	إن تنشروا العلم ينشر فيكم الربا	حياكم الله أحيوا العلم والأدبا

(حرف التاء)

٥٥	يا مصر في الخيرات والبركات	فيك السعيدان اللذان تباريا
١٣١	معطرة في أسطر عطرات	إليكن يهدي النيل ألف تعية
١٩٦	تسلو بنو الشرق مقامه	يا كاتب الشرق يا خير من
٢٥٣	وناديت قوى فاحتضيت حياي	رجعت لنفسي فانهت حصاي
٣١٨	وبألف ألف ترزق الأموات	أحيانا لا يرزقون بدم
٣١٨	وبألف ألف ترزق الأموات	أحيانا لا يرزقون بدمهم
٣٨٣	يسرجي ولا أنا ميت	(يسلاي) ما أنا حي
٤٥٨	سلام على أيامه الضمرات	سلام على الإسلام بعد مجد

(حرف الحاء)

٧١	بها مصر وتاه بها مديحي	(لونا) ذهرة في الطلح تاهت
١٤٨	فماؤكم قد زانها (المصباح)	أهل الصحافة لا تفلوا بملء
٢٤٢	جيوش الدجى ما بين أنس وأفراح	وفتيان أنس أفسموا أن يتدورا
٢٤٢	إصباحها إذ أذنت برواح	مرث كمر الورد بيتا أجنلى
٤٠٨	والروض لا يذكرو ولا ينح	ما لي أرى الأكام لا تفتح

٤١١	أفرق فذلك مشارق الإصباح	وأعط ثامك من نهار ضاحي	ملحة
٤٢٦	سليل الطين لم تلق شقاء	وكم خطت أنا ملنا ضريحا	
(حرف الدال)			
٧	تمدت قتل في الهوى وتمدا	لما أمت عني ولا لخطه اعتدى	
٣٣	أهنيك أم أشكو فراك فالا	أما ليقى كنت السجين المصفا	
٥٠	إن هتوك بها فلت مهش	إن عهدتك قبلها محسودا	
١٤٤	أرايت رب الناج في	عيد البلوس وقد تبتدى	
١٥٣	يا كوكب الشرق أشرق	فالحادات تجدد	
١٩٥	لقد بت محسودا طيك لأنى	فكاهل غير المنم يحسد	
٢٢١	ارحمونا بني الهود ككفاكم	ما جتمم بمذكم من نقود	
٢٤٣	نمرة في (بابل) قد صهرجت	هكذا أنسر حاخام الهود	
٢٤٧	ومن عجب قد قلدرك مهندا	وفي كل لحظ منك سيف مهند	
٢٦١	سمنا حديثا كقطر الندى	بلقد في النفس ما جندا	
٢٦٤	مالي أرى بحر السبا	سنة لا ين جسرزا ومدا	
٣٢٤	أيها القاتلون بالأمسر لنا	هل نسيم ولانا والسودادا	
٣٤٥	بنات الشعر بالضعف جودى	فهذا يوم شاعرك الهجسد	
٣٤٠	قى الشعر هذا موطن الصدق والمدي	فلا تكذب التاريخ إن كنت منشدا	
٣٥٧	لأرض الله عهدنا من جدد	كيف أمسيت يابن (عبد المهد)	
٤٠٣	وقف الخلق ينظرون بهما	كيف أبى قواعد المهد ومدى	
٤٢٢	لقد طال الحباد ولم تكفوا	أما أرضاكم ثمن الحباد	
٤٤٥	ردا كزوسكا من شبه مقزود	فليس ذلك يوم الراح والعود	
٤٤٧	أيها الرى إلام التادى	بعد هذا أنت غرثان سادى	
٤٥٣	ردوا مل باني بد (محسود)	إنى هيت وأعيا الشعر مجهودى	
٥١١	من ليوم نحن فيه من لشد	مات ذو العزمة والراى الأسد	

(حرف الراء)

١١	تجلت بهذا العيد أم تلك أشعاري	مطالع سعد أم مطالع أثار
١٥	مر وعيد مولانا الصغير	في عيد مولانا الصغير
١٨	فقلت للشعر هذا يوم من شعرا	لحمت من مصر ذلك التاج والقمر
٢٦	تاج الفخار ومطلع الأنوار	إن صؤروك فإنما قد صؤروا
٣١	وقالبت فيك الشوق وهو قد ير	فصرت عليك العبر وهو قصير
٥٧	وعلى الزهامة والضير الطاهر	رباك والملك الكريم على التسق
١١٤	بلد عن الأخلاق ماري	يا كامي الأخلاق في
١٥٠	سجدت له الأقلام وهي جوارى	قلم اذا ركب الأنامل أو جرى
١٦٧	فسالت قوس لندكارها	شجنتنا مطالع أثارها
١٨٥	أجمل خلقا منه في الظاهر	كحافظ إبراهيم لكنه
١٨٩	بأن شاعره بالباب منتظر	قل للرئيس أدام الله دولته
١٩١	ودمع العين مقياس الشعور	شكرت جميل صنعكم بدمعي
١٩١	بالدر أو بالجواهر	واني كتابك يزدرى
١٩٤	ولاح للنوم في أجفانكم أثر	طال الحديث عليكم أيها السمر
٢٠٤	في ليلة القدر نجيا الوزير	لا غرو إن أشرق في منزلي
٢٠٤	وبينك يا أخى صلة الجوار	أحمد كيف تسانى وبني
٢٢٧	أنا بالله منهما مستجير	عاصف يرتقى وبحر يفسر
٢٣٤	يطير بكننا صفحته شرار	كأن أرى في الليل نصلا يجزدا
٢٣٦	إني أراك على شئ من الضجر	يا ساعد النجم هل الصبح من خبر
٢٤٧	أعينك من وجد تغفل في صدرى	أنا العاشق العاني وإن كنت لا تدرى
٢٤٧	جفنه قد واصل السهرا	قالت الجوزاء حين رأت
٢٥٠	كيف باتت نساؤهم والندارى	سائلوا الليل عنهم والنهارا
٢٩٢	تحت الظلام هيام حائر	هذا صبي هائم

صفحة		
٢٩٩	واسبق الفجر الى روض الزهر	أبها الوسمى زر نبت الربا
٣٠٧	تدرا لله لنا أن تنشرا	أبها الطفل لك البشرى فقد
٣٢٤	ومورد الموت أم الكوثر	أساحة للحرب أم محشر
٣٥١	هلال رآه المسلوبون فكبروا	أطل على الأكوان والمخلق تنظر
٣٩٠	في المشرقين صلا وطار	أهلا بأول مسلم
٤٢٣	أصبح في الإيهام كالمحشر	كم حددوا يوم الجلاء الذي
٤٣٦	قد بها من شدة السهر	ما لهذا النجم في السمر
٤٣٧	بجور (سدوم) وهو من أعظم البشر	لقد كانت الأمثال تضرب بيننا
٤٦٥	وأنت أنثر بينهم أشمارى	ثروا عليك نوادى الأزهار
٤٧٨	للدحك من كتاب معركبير	وثاك أميرالشر في الشرق وإنبرى
٤٩٣	لك وأنت رامية النور	أخت الكواكب ماوما
٥٠٧	فالمخلق في الدنيا سير	منك النهى لا تبعدى
٥١٦	وآثرت يا مصرى سكنى المقابر	لك الله قد أسرعت في السير قبلنا
٥٢٢	ولم يخن عنا وعنك الحذر	نماك النعاة وحكم القدر
٥٣٠	لم يدروا أبهى وما أضمر	من لم يلق فقد أليف العبا
٥٥٦	غبت فيه من هالة الأبرار	يا بن (عبد السلام) لا كان يوم

(حرف السين)

١٠٣	أسمى بأمر الرئيس	أتيت سوق عكاظ
١٨٨	ليس لى فيها أنيس	أنا فى البهزة نار
٢٤١	بينهم وبين ظن وحسد	أوشك الديك أن يصيح وقضى
٢٤٦	فإن فى الحب حياة النفوس	يا بها الحب استرج بالمشى
٢٩٦	وهكذا يسؤر عن (فس)	أجاد (مطراث) كعادته
٣٠٦	وجلالا يوم عيد الجلوس	إن يوم احتفالكم زاد حسنا

(حرف العين)

٣٤	ما أنت إلا عاشق مدعى	هجمت يا طسير ولم أجمع
١١٩	بشعر أمير الدولتين ورجى	بلا بل وادى النيل بالمشرق ابجى
١٤٢	بيان وراع الجاسم	قد راع دار العدل طفد
١٤٣	بمك من أرائك النافه	قد أجدبت دار الجا والنهى
١٥٨	بارك الله فى (ظلال الدموع)	قد قرأنا ظلالكم فاشفقنا
١٦١	يخط ومن يتلو ومن يسمع	هنا يستنث الطرس والنقم والذى
١٩٦	وفاته ما فيه من إبداع	من لم ير المعرض فى أساع
٢٠٣	وعنى لازمت سكب الدموع	نمى يا با بل إلىك شوقى
٢٥٩	رجال الدنيا القديمة باعا	أى رجال الدنيا الجديدة مدوا
٣١٨	طلع النار وأفسع	أنشى مريقى إذا
٤٣٨	ولا قيل أين الفتى الألى	مرضنا فاعادنا طائد
٤٨١	حديث الورى عن طيب ما كنت تصنع	(رياض) أفق من غمرة الموت واستمع
٥٤٢	على الأريب الكاتب الألى	أبكى ومن الشرق تبكى مى

(حرف الفاء)

٢١	وأصفت من قمى وذو البى نصف	صدفت من الأهواء والحز نصف
٥٥٢	فكتبك الأقلام أو تنقصفا	ظاب الأديب أديب (مصر) واختنى

(حرف القاف)

٤٠	وسطا على جنيتك هم مقلق	سكن القلام وبات قلبك يحقق
١١٨	ميس العروس مشت على استبرق	ما بال (دندرة) تميم تهاديا
١٤١	بأية الإعجاز فى الخلق	أيا يدا قبد خصها رها
٢٠٧	والسمع يملكه الكذب الحاذق	وجدوا السبيل الى التقاطع بينا
٢١٢	ولكل عصر واحد لا يلحق	يا (جاك) إنك فى زمانك واحد

صفحة		
٢٧٩	كم ذا يكابد عاشق ويلاق	في حب (مصر) كثيرة المشاق
٢٩٨	لا أبالي أذى العدو لحظتي	أنت يا رب من ولاء الصديق
٣٧٢	لي فيك حين بدا سناك وأشرقا	أمل سألت الله أن يحققا
٤٠٠	لا هم إن الغرب أصبح شعلته	من هولاء أم الصواعق تفرق
٥٢٢	أكثرتم التصفيق في موطن	كان البكا فيه بنا أليقا

(حرف الكاف)

٣٦	الله ممد كبير	يزهو بنور جبينك
١٠٩	أحمد الله إذ سلبت لمصر	قد رماها في قلبها من رماكا
١٣٣	سما الخليليان في المعال	وجاز شأواهما السهاكا
١٦٠	عطلت فن الكهراء فلم تجدد	شيئا يموق مسيرها إلا كا
٢٠١	يا شاعر الشرق اتد	ما ذا تحاول بمد ذاك
٢٤٨	ظلي الحى بالله ما ضركا	إذا رأينا في الكرى طيفكا
٣١٤	كم وارت غض الشباب وموته	بفسرام راقصة وحب هلك
٥٣١	عجبت أن جعلوا يوما لذكراكا	كاننا قد نسينا يوم منكا
٥٦٠	بين السرائر ضنة دفنوك	أم في المهاجر خلصة شيوخ

(حرف اللام)

٤	بلنتك لم أنسب ولم أنفزل	ولما أقف بين الهوى والتذلل
٥	قالوا صدقت فكان الصدق ما قالوا	ما كل منتسب للقول قوال
٦٧	هنيئا أيها الملك الأجل	لك العرش الجديد وما يظل
٧٥	في ساحة (البدري) حلت ساحة	عز البلاد بمنزها موصول
٩٨	لقد عاشرتنا فلبت فينا	مثالا للتزاهة والكمال
١١٠	الشعب يدعو الله يا (زظول)	أنت يستقل على يدك النيل
١٣١	نقد قرأنا كم نهشت نهانا	فانقبسنا نورا يضيء السبلا

صفحة		
١٤٨	لنا ونعمم الوكيل	أضفى (نجيب) وكلا
١٥٣	شروى مميك جامع التزليل	(عثمان) إنك قد أتيت موقعا
١٥٩	لغير تفریق وتضليل	براند ما خط حرف بها
١٥٩	أيدى البطاة وهو فى تضليل	لا تعجبوا فليكن لعبت به
١٧١	وأبى القرار الأتزال مقيلا	يا صارما أفت التواء بنمده
٢٠٠	واستقلا التّم ولا تأفلا	سيرا أيا بدرى صماء الملا
٢٠٣	أم تناس منك أم مل	أدلال ذاك أم ككل
٢٠٩	* يادولة القواضب المقال *	
٢٣٧	يا حكيم القوس يابن المعالي	ضمت بين النهى وبين الخيال
٢٣٧	بطلى سرى أبهى الى اليث ميله	أفضيه فى الأشواق إلا ألقه
٢٧٥	لا بل فتاة بالمرء حياى	شبحا أرى أم ذاك طيف خيال
٣١٠	مر ولا تحش عاديّات الليالى	أيا الطفل لا تخف عنت الده
٣١٢	قد شاورم بالمعجزات الرجالا	أى رجال الدنيا الجليدة مهلا
٤٧٠	لو أمهلثك غوائل الأجل	لله درك كنت من رجل
٤٩٠	وإذا أبيت فأجمل	جعل الأسمى فتجمل

(حرف الميم)

٥٠	أدينا وديننا زادك الله أنما	منى قلها يا لابس المجد مملما
٥٥	لده فهدى الى حماك الكريم	لم نجد ما ينى بقدرك فى المج
٥٦	فأجبت رغم شواغلى وسقائى	لانى دعيت الى احتفالك بلقاء
٥٨	ودعائى فزرتبها للماما	جازبى مرثها فهاج الغراما
٦٣	بب فن شاء فليكن وسامه	وسع الفضل كله صدرك الرح
٧٢	شفوف بقول البقرين منفرم	يحييك من أرض الكناة شاعر
١٠٦	خليق أن يتيه على النجوم	أفصر الإغفران لأنت قصر
١٥٠	أثنى عليها الشرق والاسلام	أحييت ميت رجائنا بصحيفة

صفحة		
١٦٢	وذكرى ذلك للعيش الرخيم	أثرت بنا من الشوق القديم
١٧٢	وعصافى الطبع السليم	ملككت على مذاهي
١٩٧	* من واجد متفر النام *	
٢٠٢	لا يؤدى لمثل هذا الخصاص	إن عضيك يا أخى بالسلام
٢٤٦	يا (جوليا) أنكر فيه الغرام	تمثل إن شئت فى منظر
٢٤٨	وفى النور والظلماء والأرض والسماء	أذنتك ترتابن فى الشمس والضياء
٢٨٣	أم شهاب يشق جوف الظلام	صفحة البرق أو مضت فى الغمام
٢٨٨	دأى القواد ولبه لا يعلم	كم تحت أذيال الفلال متيم
٣١٦	ش ولم تحسنوا عليه القياما	أيها المصلحون ضاق بنا العيد
٣٣٩	حواشي حتى بات ظلمنا منظما	لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت
٣٦٧	أهم ذاد نومك أم هيام	لقد فصل الدينى فى تنام
٣٧٦	بلغى (اليسفور) عن (مصر) السلاما	بالذى أبراك يارب الخسما
٣٨٠	فاستفق يا شرق واحذر أن تناما	طمع ألقى من الغرب اللثاما
٤٠٢	عهد كرام فيك صلوا وسلبوا	(أيا صوفيا) حان التفريق فاذكرى
٤١٩	وابن الكفاة فى حماء يضام	قد مر عام يا (سماد) وعام
٤٢٠	فكان لكم بين الشعوب ذمام	بنيتهم على الأخلاق أساس ملككم
٤٢٢	واطمسوا النجم واحرمونا النسيما	سولوا النيل واجهبوا الضوء عنا
٤٢٨	وعدت وما أعقبت إلا التندما	سميت الى أن كدت أنتعل الدما
٤٧٤	واقضوا هنالك ما تقضى به الذمم	طوفوا بأركان هذا القبر واستلبوا
٥٠٠	لم يربح عندك للاساة ذمام	لامرحبا بك أيهذا العام
٥٢١	مر صدا الردى فطواهما	عليان من أعلام مصر
٥٥٩	صفاء الناس أم همهم الكرام	أعزى فيك أهلك أم أعزى

(حرف النون)

٣	حائل لو شئت لم يكن	حال بين الجفن والوسن
٢٨	واقض المتاسك من قاص وعين داني	طف بالأريكة ذات العز والشان

صفحة

٤٤	وأجل عید جلوسك القلان	أثنى الحبیج طبعك والحرمان
٦٣	ذكرى الأوائل من أهل وجیران	یا صاحب الروضة الغناء هجت بنا
٩٨	فتنظری یا (مصر) بحر بیانه	ورد الكفانة عبقرى زمانه
١١٨	أدب السرى ویاقى الفتیان	یا كاسى الخلق الرضى وصاحب ال
١٣٣	وطالع الین من (بالشام) حیانی	حیا بكور الحیا أرباع لبنان
١٤٢	ماذا اعتدت بلرح الماشق العانی	قل للطیب الذى تغزو الجراح له
١٤٨	لناس قالوا معجز ثانی	هذا كتاب منذ بدا سره
١٤٩	بشرك فوق هام الأولینا	أراك - وأنت نبت الیوم - تمشی
١٥٩	ج هبت لا ترم الحصونا	یا ساكن البیت الزجا
١٧٩	أرهقت لقتول ذهنی	یا یوم تذكركم (حفنى)
١٨٤	ویا أ دیب الزمان	یا سیدى ویا مای
١٨٧	صاد ویسقى ربا مصر ویمقنا	عجبت للنبیل یدرى أن بلبله
١٨٩	قصف المدافع فی أفق البساتین	یرغى ویزید بالقصافات تحسبا
٢٠٧	فنسوا بالیل وضاح الجبین	لاح منها حاجب للناظرین
٢١٥	ما دهم الكون أیها الفرقدان	نبشانی إن كنتا تعلبان
٢٣٨	فأثنى قافلا الی السودان	أنكر النیل موقف الخزان
٢٣٨	فما منك بالباکی الحزین	یا من خلقت الدنم لظ
٢٤٤	جئدوا باقعه عهد الثائین	فتیة الصبباء خیر الشارین
٢٤٦	منیلا یخشی تزال الجفون	غضى جفون السحر أو فارحمی
٢٤٨	واختار غرتك الفراء له سكا	سأله ما لهذا الحال مفردا
٢٤٩	ودلویسرى یها الروح الامین	صور عندى له مكتوبة
٣١٥	وذیدا عن تراث المسلینا	أعیدوا مجدنا دنیا و دنیا
٣١٩	وتنظر ما یجری به الفتیان	رویدك حتى یخفق الملبان
٣٢٨	ج ویا شمس ذلك المهرجان؟	أین یوم (القتال) یا ربة النسا

صفحة		
٣٩٧	حسدت روائع حسنا (برلين)	قد آثار هناك كريمة
٤٠١	من ورحت أرقب بجمهته	خرج القوافي يحتجب
٤٢٠	تصيد البط يؤس المايف	الم تر في الطريق إل (كاد)
٤٢١	فما بكم ومصابنا ميات	لا تذكروا الأخلاق بعد حياكم
٤٢٣	إلا بقية دمع في مايف	لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا
٤٣٨	فيا ليتني ويا ليتني	فمن بنقى وأشقيتي
٤٩٧	وقد عقدت هوج المظلوب لسان	دماني وفاق والقوافي مريضة
٥٤٠	ونعطي من صنوف الحزن ألوانا	أما (أمين) فقد ذقتا لمصره
٥٥٠	ومكرم الضيف أمسى ضيف رضوان	مسلى الجليل بلا من يكدره
٥٥٧	إليك ومثل شعلبك لا يهون	مضيت ولحن أحوج ما نكون
٥٥٩	لبدر تم غاب قبل الأوان	شوقتي أيها الفرقدان
٥٦٢	أمسى من الأرض يحويه ذرامان	إن الذي كانت الدنيا بقبضته

(حرف الهاء)

٣٧	ودان لك المقدار حق أمناه	ترامى لك الإقبال حتى شهدناه
١٤١	مد زانه شرف النهي	شرف الرئاسة يا مد
٢١١	هل حاة القوافي أيما تاهوا	يا ليلة الهنئي ما أتته به
٤٣٤	ومر في فيك ميث لست ألساء	كم مر في فيك ميث لست أذكرا
٥١٤	ما كنت من ذكر رب العرش باللاه	يا مابدا لله نم في القير مقبلا
٥٦٠	وما لك الأرواح أول بها	ودعته ردت ال ريبا

(حرف الياء)

٧٧	أنى إل ساحة (الفاروق) أهديا	حسب القوافي وحسب حين ألقيا
٣٩٦	تقصد الجيد وبالراية	أى (مكهون) قدمت بال
٤٦٣	فكبر وهلل وألق ضيفك جاثيا	أما قبر هذا الضيف آمال أمة
٥٠٤	شاخ من صرويح آل علي	ذلك ما بين خصوة وعش

فلسفہ

قصائد لم تنشر في الطبعة الأولى

صفحة

(حرف التاء)

٥٧٩ وحسب الله صاحب النظرات غاب عنا في أرحج الأوقات

(حرف الدال)

٥٧١ إن صح ما قالوا ، وما أرى فوا والصقوا زورا بدين العبد

(حرف الراء)

٥٧٣ ملونا الصبر يطفى ما استمر إنما الأبر لمفجوع صبر

(حرف العين)

٥٨١ حبس اللسان وأطلق الدما ناع أسمم بنميك السما

(حرف الكاف)

٥٦٥ ولت بشاشة دنيانا ودنياك وفارق الأفس مشنقا ومثناك

٥٦٦ يا مليكا برغمه يلبس الثا ج ويرق لعرشه مملوكا

(حرف اللام)

٥٦٦ قصر الدويارة مالينك رابضا والذنب في قصر الإمارة يحجل

٥٧٦ نحن المجد والمحمد غالى آل زغلول قاميروا لبال

(حرف الميم)

٥٦٦ حيدمتا ، وهناك قام الماتم ملك ينوح ، وتاج يزعم

٥٦٧ ينخر العلم ليبنى آية فوق شط النيل تبدر كالعلم

٥٦٨ قد غسقوا واتيننا فإذا نحن غرق ، وإذا الموت أم

٥٧٢ هدية من شاعر بأش إلى الدمرداشي ول النعم

٥٧٢ رياض الأزهكية قد تحلت بانجباب كرام أنت منهم

(حرف النون)

٥٧٠ ثلاثة من سراة النيل قد حبسوا على مدارسا سبعين فدانا

مطابع الهيئة العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٧٣٨٥

ISBN ٩٧ - ٠١ - ١٥٣٦ - ٣